

السَّيِّدُ بَنْتُ النَّبِيِّ

عَرْضُ وَقَاتُعٍ وَتَحْلِيلُ أَحَدَاثٍ



libya-web.net

الجزء الثاني

الرَّوْرُ عَلَيْهِ مَحَمَّدُ الصَّادِقُ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# الفصل الثامن

## غزوة بدر الكبرى

### المبحث الأول

### مرحلة ما قبل المعركة

بلغ المسلمين تحرك قافلة تجارية كبيرة من الشام تحمل أموالاً عظيمة<sup>(1)</sup> لقريش، يقودها أبو سفيان ويقوم على حراستها بين ثلاثة وأربعين رجلاً<sup>(2)</sup>، فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم يتبّيس بن عمرو<sup>(3)</sup> لجمع المعلومات عن القافلة، فلما عاد بتبّيس بالخبر اليقين، ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه للخروج وقال لهم: «هذه غير قريش فيها أموالهم فاخروا إليها لعل الله ينفكموها»<sup>(4)</sup>، وكان خروجه من المدينة في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجرة، ومن المؤكد أنه حين خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة لم يكن في بيته قتال، وإنما كان قصده غير قريش، وكانت الحالة بين المسلمين وكفار مكة حالة حرب، وفي حالة الحرب تكون أموال العدو ودماؤهم مباحة، فكيف إذا علمنا أن جزءاً من هذه الأموال الموجودة في القوافل القرشية كانت للهجارين المسلمين من أهل مكة قد استولى عليها المشركون طلماً وعدواناً<sup>(5)</sup>.

كلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أم مكتوم بالصلاحة بالناس في المدينة عند خروجه إلى بدر، ثم أعاد أبا لبابا من الروحاء إلى المدينة وعيشه أميراً عليها<sup>(6)</sup>.

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم اثنين من أصحابه<sup>(7)</sup> إلى بدر طليعة للتعرف على أخبار القافلة، فرجعاً إليه بخبرها<sup>(8)</sup>، وقد حصل خلاف بين المصادر الصحيحة حول عدد الصحابة الذين رافقوا النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة هذه إلى بدر، ففي حين جعلهم البخاري «بضعة عشر وثلاثمائة»<sup>(9)</sup>. يذكر مسلم بأنهم ثلاثة وتسعة

1 (?) قدرت قيمة البضائع التي تحملها القافلة بحوالي 50 ألف دينار، انظر: موسوعة نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (1/286).

2 (?) جوامع السيرة لابن حزم ص (107).

3 (?) ورد الاسم في صحيح مسلم بصيغة التأنيث مصححاً إلى بسيسة وصححه ابن حجر.

4 (?) ابن هشام السيرة (2/61) بسند صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

5 (?) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول، د. محمد آل عابد (1/43).

6 (?) البداية والنهاية (3/260)، المستدرك للحاكم (3/632).

7 (?) هما عدي بن الزغباء، وتبّيس بن عمرو، الطبقات لابن سعد (2/24).

8 (?) الطبقات لابن سعد (2/42) بإسناد صحيح.

9 (?) فتح الباري (292-7/290).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

عشرة رجال<sup>(1)</sup>، في حين ذكرت المصادر أسماء ثلاثمائة وأربعين من الصحابة البدريين<sup>(2)</sup> وكانت قوات المسلمين في بدر لا تمثل القدرة العسكرية القصوى للدولة الإسلامية، ذلك أنهما إنما خرجو لاعتراض قافلة وأحتواها، ولم يكونوا يعلمون أنهم سوف يواجهون قوات قريش وأحلافها مجتمعة للحرب، والتي بلغ تعدادها ألفاً<sup>(3)</sup> معهم مائتا فرس يقودونها إلى جانب حمالهم، ومعهم القيان يضربون بالدفوف، وينغنين بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه<sup>(4)</sup>، في حين لم يكن مع القوات الإسلامية من الخيول إلا فرسان، وكان معهم سبعون بعيراً يتعاقبون ركوبها<sup>(5)</sup>.

### أولاً: بعض الحوادث في أثناء المسير إلى بدر:

وقد حدثت بعض الحوادث في أثناء مسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فيها من العبر والمواعظ الشيء الكثير:

**1- إرجاع البراء بن عازب وابن عمر لصغرهما:** وبعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المدينة في طريقهم إلى ملاقاًة غير أبي سفيان، وصلوا إلى (بيوت السقيا) خارج المدينة، فعسكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم، واستعرض صلى الله عليه وسلم من خرج معه فرد من ليس له قدرة على المضي من جيش المسلمين، وملقاًة من يتحمل نشوب قتال معهم، فرد على هذا الأساس البراء بن عازب، وعبد الله بن عمر لصغرهما، وكان قد خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم راغبين وعازمين على الاشتراك في الجهاد<sup>(6)</sup>.

**2- ارجع فلن أستعين بمشرك:** وفي أثناء سير النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه، التحق أحد المشركين راغباً بالقتال مع قومه، فرده الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: «ارجع فلن أستعين بمشرك» وكرر الرجل المحاولة فرفض الرسول حتى أسلم الرجل والتحق بالمسلمين<sup>(7)</sup>.

**3- مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في الصعب:** فعن ابن مسعود<sup>(8)</sup> قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وكانت عقبة رسول الله، قال: فقال: نحن نمشي عنك. فقال: «ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما».

1 (?) مسلم، شرح النووي (12/84).

2 (?) البداية والنهاية (3/314) وكذلك الطبقات، وخليفة بن خياط.

3 (?) مسلم، بشرح النووي (12/84). (4) البداية والنهاية (3/260).

5 (?) المنسد (1/411)، مجمع الزوائد (6/69)، جوامع السير، ص 108.

6 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/124).

7 (8) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (2/355).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

## ثانياً: العزم على ملاقة المسلمين بدر:

بلغ أبو سفيان خبر مسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المدينة بقصد اعتراض قافلته وأحتواها، فبادر إلى تحول مسارها إلى طريق الساحل، في نفس الوقت أرسل عمرو بن ضمصم الغفارى إلى قريش يستنفرها لإنقاذ قافلتها وأموالها<sup>(1)</sup>، فقد كان أبو سفيان يقطعاً حذراً، يتلقّط أخبار المسلمين ويسأله عن تحرّكاتهم، بل يتحسّس أخبارهم بنفسه، فقد تقدم إلى بدر بنفسه، وسأل من كان هناك: (هل رأيتم من أحد؟) قالوا: لا، إلا رجلين قال: (أرونني مناخ ركابهما، فارووه، فأخذ البعير ففته فإذا هو فيه النوى، فقال: هذا والله علائق شرب)<sup>(2)</sup>. فقد استطاع أن يعرف تحرّكات عدوه، حتى خبر السرية الاستطلاعية عن طريق غذاء دوابها، بفحصه البعير الذي خلفته الإبل، إذ عرف أن الرجلين من المدينة أي من المسلمين، وبالتالي ففاقتله، في خطر، فأرسل عمرو بن ضمصم إلى قريش وغير طريق القافلة، واتجه نحو ساحل البحر<sup>(3)</sup>.

كان وقع خبر القافلة شديداً على قريش، التي اشتاط زعماؤها غضباً لما يرونـه من امـتهان لـلكرامـة، وتعريض للمصالـح الاقتصادية للأخطـار إلى جانب ما ينـجم عن ذـلك من انـحطـاط لمـكانـة قـريـشـينـ الـقبـائـلـ الـعـربـيـةـ الـآخـرـيـ، ولـذلك فقد سـعواـ إـلـىـ الخـروـجـ لمـجاـبةـ الـأـمـرـ باـقـصـىـ طـاقـاتـهـ الـقتـالـيـةـ<sup>(4)</sup>.

لقد جاءـهمـ عمـروـ بنـ ضـمـصمـ الغـفارـيـ بـصـورـةـ مـثـيرـةـ جـًـاـ يـتأـثـرـ بـهـاـ كلـ منـ رـاهـاـ، أوـ سـمعـ بـهـاـ، إـذـ جـاءـهـمـ وـقـدـ حـولـ رـحلـهـ وـجـدـعـ آنـفـ بـعـيرـهـ، وـشـقـ قـميـصـهـ مـنـ قـبـلـ وـمـنـ دـبـرـ، وـدـخـلـ مـكـةـ وـهـوـ يـنـادـيـ يـأـعـلـىـ صـوـتـهـ: يـاـ مـعـشـرـ قـريـشـ: الـطـيـمـةـ، الـلـطـيـمـةـ، أـمـوـالـكـمـ مـعـ أـبـيـ سـفـيـانـ قدـ عـرـضـ لـهـاـ مـحـمـدـ فـيـ طـاقـاتـهـ الـقـتـالـيـةـ، لـأـرـىـ أـنـ تـدـرـكـوـهـاـ، الغـوثـ، الغـوثـ<sup>(6)</sup>.

وعندما أمن أبو سفيان على سلامـةـ القـافـلـةـ أـرـسلـ إـلـىـ زـعـماءـ قـريـشـ وـهـوـ بـالـجـحـفـةـ بـرـسـالـةـ أـخـبـرـهـمـ فـيـهـاـ بـنـجـاتـهـ وـالـقـافـلـةـ، وـطـلـبـ مـنـهـمـ الـعـودـةـ إـلـىـ مـكـةـ، وـذـلـكـ أـدـىـ إـلـىـ حـصـولـ اـنـقـسـامـ حـادـ فيـ آرـاءـ زـعـماءـ قـريـشـ، فـقـدـ أـصـرـ أـغـلـبـهـمـ عـلـىـ التـقـدـمـ نـحـوـ بـدـرـ مـنـ أـجـلـ تـادـيـبـ الـمـسـلـمـيـنـ وـتـأـمـيـنـ سـلـامـةـ طـرـيقـ التـجـارـةـ الـقـرـشـيـةـ، وـإـشـعـارـ الـقـبـائـلـ الـعـربـيـةـ الـآخـرـيـ بمـدـىـ قـوـةـ قـريـشـ وـسـلـطـانـهـ، وـقـدـ اـنـشـقـ بـنـوـ زـهـرـةـ<sup>(7)</sup>، وـتـخـلـفـ فـيـ الـأـصـلـ بـنـوـ عـدـيـ. فـعـادـ بـنـوـ زـهـرـةـ إـلـىـ مـكـةـ، أـمـاـ غـالـبـيـةـ قـوـاتـ

1 (?) انظر: موسوعة نصرة النعيم (1/287).  
2 هشام (2/230).

3

4

5

6

7

(?) انظر: غزوة بدر الكبرى لأبي فارس، ص 33، 34.

(?) انظر: موسوعة نصرة النعيم (1/287).

(?) الطبيمة: القافلة المحملة بشتى أنواع المصانعة غير الطعام.

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (2/221).

(?) نصحهم الأختنس بن شريقي بذلك، انظر: ابن هشام (2/231).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

5

قريش وأحلافهم فقد تقدمت حتى وصلت بدرًا<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه:

لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم نجاة القافلة وإصرار زعماء مكة على قتال النبي صلى الله عليه وسلم استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في الأمر<sup>(2)</sup> وأبدي بعض الصحابة عدم ارتياحهم لمسألة المواجهة الحربية مع قريش، حيث إنهم لم يتوقعوا المواجهة ولم يستعدوا لها، وحاولوا إقناع الرسول صلى الله عليه وسلم بوجهة نظرهم، وقد صور القرآن الكريم موقفهم وأحوال الفئة المؤمنة عموماً في قوله تعالى: (كَمَا أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَيْتِكُمْ  
بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارُهُونَ ۖ يُحَادِلُونَكُمْ فِي  
الْحَقِّ بَعْدَمَا تَسْتَيْنَ كَانُمَا يُسَلِّقُونَ إِلَيْكُمُ الْمَفْوِتَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ  
ۖ وَإِذْ تَعْذِّكُمُ اللَّهُ أَخْدَى الْمُطَائِقَتِينَ إِنَّهَا لِكُمْ وَتَوَدُونَ أَنْ  
عِزْرِيْ دَأْتِ الشَّوْكَةَ تَكُونُ لَكُمْ وَتَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَحْقِّقَ الْحَقَّ  
بِكَلْمَاتِهِ وَتَقْطَعَ دَأْرَ الْكَافِرِينَ ۖ لِيَحْقِّقَ الْحَقَّ وَيُبَطِّلَ  
الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُخْرِمُونَ) [الأفال: 5-8]. وقد أجمع قادة المهاجرين على تأييد فكرة التقدم لمقابلة العدو<sup>(3)</sup> وكان للمقداد بن الأسود موقفٌ متمنٍ، فقد قال عبد الله بن مسعود<sup>(4)</sup>: شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به<sup>(4)</sup>: أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعوه على المشركيين فقال: لا نقول كما قال قاتل قوم موسى: (قَالَوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَذْخِلَهَا أَبَدًا  
مَا ذَامُوا فِيهَا فَإِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)  
[المائدة: 24]، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يديك وخلفك. فرأيت الرسول صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسرره<sup>(5)</sup>، وفي رواية<sup>(6)</sup>: قال المقداد: يا رسول الله، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (فَإِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا  
قَاعِدُونَ) ولكن امض ونحن معك، فكانه سرّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد ذلك عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أشيراً  
عليَّ أَيْهَا النَّاسُ»، وكان إنما يقصد الأنصار؛ لأنهم غالبية جنده، ولأن بيعة العقبة الثانية لم تكن في ظاهرها ملزمة لهم بحماية الرسول صلى الله عليه وسلم خارج المدينة، وقد أدرك الصحابي سعد بن معاذ، وهو حامل لواء الأنصار، مقصداً النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فنهض قائلاً: «والله لكانك تريديننا يا رسول الله؟ قال صلى الله

1 (؟) انظر: موسوعة نصرة النعيم (1/287) (2) صحيح البخاري رقم (3952).

2 (؟) انظر: موسوعة نصرة النعيم (1/288).

3 (؟) المبالغة في عظمة ذلك المشهد، وأنه كان لو خير بين أن يكون صاحبه وبين أن يحصل له ما يقابل ذلك لكن حصولة أحب إليه.

4 (؟) البخاري، كتاب المغازي (7/287). (6) البخاري، كتاب التفسير (8/273).

5 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

**عليه وسلم: «أجل».** قال: (لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيتني على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي يعثرك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنما لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله<sup>(1)</sup>). سُرّ النبي صلى الله عليه وسلم من مقالة سعد بن معاذ، ونشطه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: «سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكاني انظر إلى مصارع القوم»<sup>(2)</sup>. كانت كلمات سعد مشجعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وملهمة لمشاعر الصحابة فقد رفعت معنويات الصحابة وشجعتهم على القتال.

إن حرص النبي صلى الله عليه وسلم على استشارة أصحابه في الغزوات يدل على تأكيد أهمية الشورى في الحروب بالذات؛ ذلك لأن الحروب تقرر مصير الأمم، فاما إلى العلياء، وإما تحت الغرباء<sup>(3)</sup>.

#### رابعًا: المسير إلى لقاء العدو وجمع المعلومات عنه:

نظم النبي صلى الله عليه وسلم جنده بعد أن رأى طاعة الصحابة وشجاعتهم وأجتمعهم على القتال، وعقد اللواء الأبيض وسلمه إلى مصعب بن عمير، وأعطى رايتين سوداويين إلى سعد بن معاذ، وعلى بن أبي طالب، وجعل على الساقية قيس بن أبي صعصعة<sup>(4)</sup>. وقام صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر يكتشف أحوال جيش المشركيين، وبينما هما يتجولان في تلك المنطقة لقيا شيخاً من العرب، فسألوه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جيش قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه صلى الله عليه وسلم من أخبارهم: قال الشيخ لا أخبركم حتى تخبراني ممن أنتما. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أخبرتنا أخبرناك» فقال: أو ذاك بذلك؟ قال: «نعم»، فقال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به جيش المسلمين، وببلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي فيه جيش المشركيين فعلاً، ثم قال الشيخ: لقد أخبرتكم كما أردتم، فأخبرناكم ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن من ماء»، ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر عن

<sup>1</sup> (؟) مسلم (3/1404) رقم (1779).

<sup>2</sup> (؟) انظر: البداية والنهاية (3/262) بإسناد صحيح، المسند (5/259) رقم (3698).

<sup>3</sup> (؟) انظر: غزوة بدر الكبرى لأبي فارس، ص 37.

<sup>4</sup> (؟) انظر: زاد المعاد (3/172) (5) انظر: سيرة ابن هشام (2/228). هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

الشيخ، ويقي هذا الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟<sup>(1)</sup>. وفي مساء ذلك اليوم الذي خرج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، أرسل عليه الصلوة والسلام علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يتسلقون له الأخبار عن جيش قريش، فوجدوا غلامين يستقيان لجيش المشركين فأتوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: «أخبراني عن جيش قريش» فقال: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كم القوم؟» قال: كثير، قال: «ما عدتهم؟» قال: لا ندرى، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «كم ينحررون كل يوم؟» قال: يوماً تسعًا ويوماً عشرًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القوم ما بين التسعمائة والألف»، ثم قال لهم: فمن فيهم من أشرف قريش؟ فذكرا عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا جهل وأمية بن خلف في آخرين من صناديد قريش، فاقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه قائلاً: «هذه مكة قد ألتكم أفلاد كبدها»<sup>(2)</sup>.

كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم حرصه على معرفة جيش العدو والوقوف على أهدافه ومقاصده؛ ولأن ذلك يعينه على رسم الخطة الحربية المناسبة لمحابيته وصد عدوه، فقد كانت أساليبه في غزوة بدر في جمع المعلومات تارة بنفسه وأخرى بغيره، وكان صلى الله عليه وسلم يطبق مبدأ الكتمان في حروبه، فقد أرشد القرآن الكريم المسلمين إلى أهمية هذا المبدأ قال تعالى: ( **وَإِذَا**  
**خَأْفُهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْحَوْفِ أَذَاعُوا هِيَ وَلُؤْ رَدُوهُ إِلَى**  
**الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكَ أَمْرٌ مِّنْهُمْ لَعِلْمُهُ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ**  
**مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعُتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا**  
**فَلِيَلَا** ) [النساء: 83].

وقد تحلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة الكتمان في عامة غزواته، فعن كعب بن مالك قال: (ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورأى بغيرها...).<sup>(3)</sup> وفي غزوة بدر ظهر هذا الخلق الكريم في الآتي:

1- سؤاله صلى الله عليه وسلم الشيخ الذي لقيه في بدر عن محمد وجيشه، وعن قريش وجيشه.

2- تورية الرسول صلى الله عليه وسلم في إجابته عن سؤال الشيخ من أنتما؟ بقوله صلى الله عليه وسلم: «نحن من ماء» وهو جواب يقتضيه المقام، فقد أراد به صلى الله عليه وسلم كتمان أخبار جيش المسلمين عن قريش.

<sup>2</sup> (?) ابن هشام (2/229).

<sup>3</sup> (?) البخاري (2/2947).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأول من رمضان وعيد الفطر 1426

3- وفي انصرافه فور استجوابه كتمانً أيضًا، وهو دليل على ما يتمتع به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحكمة، فلو أنه أحاب هذا الشيخ ثم وقف عنده لكان هذا سببًا في طلب الشيخ بيان المقصود من قوله صلى الله عليه وسلم: «من ماء»<sup>(4)</sup>.

4- أمره صلى الله عليه وسلم بقطع الأجراس من الإيل يوم بدر، فعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإيل يوم بدر<sup>(2)</sup>.

5- كتمانه صلى الله عليه وسلم خبر الجهة التي يقصدها عندما أراد الخروج إلى بدر، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (... إن لنا طلبةً فمن كان ظهره حاضرًا فليركب معنا...)<sup>(3)</sup>.

وقد استدل الإمام النووي بهذا الحديث على استحباب التورية في الحرب، وأن لا يبين القائد الجهة التي يقصدها لئلا يشيع هذا الخبر فيحذره العدو<sup>(4)</sup>.

وللحظ أن التربية الأمنية في المنهاج النبوي مستمرة منذ الفترة السرية، والجهوية بمكة، ولم تقطع مع بناء الدولة، وأصبحت تنمو مع تطورها، وخصوصاً في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم.

#### خامسًا: مشورة الحباب بن المنذر في بدر:

بعد أن جمع صلى الله عليه وسلم معلومات دقيقة عن قوات قريش سار مسرّعاً ومعه أصحابه إلى بدر ليسبقو المشرّكين إلى ماء بدر، وليخولوا بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل عند أدني ماء من مياه بدر، وهنا قام الحباب بن المنذر، وقال: يا رسول الله: أرأيت هذا المنزل، أمنزل لا أنزل لكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي وال الحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي وال الحرب والمكيدة»<sup>(5)</sup>. قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فانهض يا رسول الله بالناس حتى تأتي أدني ماء من القوم- أي جيش المشرّكين- فنزله ونفور - نحر - ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم، فتشرب ولا يشربون، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأيه ونهض بالجيش حتى أقرب ماء من العدو فنزل عليه، ثم صنعوا الحياض وغوروا ما عداها من الآبار<sup>(5)</sup>، وهذا يصور مثلاً من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه حيث كان أي فرد من أفراد ذلك المجتمع يدلي برأيه حتى في أخطر القضايا، ولا يكون في شعوره احتمال غضب القائد الأعلى، ثم حصول ما يتربّط على ذلك الغضب

2 (؟) انظر: مرويات غزوة بدر، أحمد محمد باوزين، ص 100.  
3 (؟) مسلم، كتاب الإمارة (3/1510) رقم (1901).

4 (؟) شرح النووي لصحيح مسلم (45/13).

5 (؟) انظر: مرويات غزوة بدر، ص 165، قصة الحباب تتقوى وترتفع إلى درجة الحسن.

من تدني سمعة ذلك المشير بخلاف رأي القائد وتأخره في الرتبة وتصدره في نفسه أو ماله.

إن هذه الحرية التي رَبَّى عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه مكنت مجتمعهم من الاستفادة من عقول جميع أهل الرأي السديد والمنطق الرشيد، فالقائد فيهم ينبع نجاحاً باهراً، وإن كان حديث السن؛ لأنه لم يكن يفكر برأيه المجرد، أو آراء عصبة مهيمنة عليه قد تنظر لمصالحها الخاصة قبل أن تنظر لمصلحة المسلمين العامة، وإنما يفكر بآراء جميع أفراد جنده، وقد يحصل له الرأي السديد من أقلهم سمعة وأبعدهم منزلة من ذلك القائد؛ لأنه ليس هناك ما يحول بين أي فرد منهم والوصول برأيه إلى قائد جيشه<sup>(1)</sup>.

ونلحظ عظمة التربية النبوية التي سرت في شخص الحباب بن المنذر، فجعلته يتاذب أمام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتقديم دون أن يطلب رأيه، ليعرض الخطة التي لديه، لكن هذا تم بعد السؤال العظيم الذي قدمه بين يدي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنلاً أنسلاً أم زللاً أم زللاً؟ إن هذا السؤال ليس ولا تناخر عنه، أم هو الرأي وال الحرب والمكيدة؟ إن هذا الجوهر ليس بعظمة هذا الجوهر القيادي ألفذ الذي يعرف أين يتكلم ومتى يتكلم بين يدي قائد، فإن كان الوحي هو الذي اختار هذا المنزل، فلأن يقدم فتقطع عنقه أحبل إليه من أن يلطف بكلمة واحدة، وإن كان الرأي البشري فلديه خطة جديدة كاملة باستراتيجية جديدة.

إن هذه النفسية الرفيعة، عرفت أصول المشورة، وأصول إبداء الرأي، وأدركـت مفهوم السمع والطاعة، ومفهوم المناقشة، ومفهوم عرض الرأي المعارض لرأي سيد ولد آدم، عليه الصلاة والسلام.

وتبدو عظمة القيادة النبوية في استماعها للخطة الجديدة، وتبني الخطـة الجديدة المطروحة من جندي من جنودها أو قائد من قوادها<sup>(2)</sup>.

#### **سادساً: الوصف القرآني لخروج المشركين:**

قال تعالى: ( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ حَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرَنَاعُ التَّنَاسَ وَيَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ) [ الأنفال: 47].

ينهى المولى عز وجل المؤمنين عن التشبيه بالكافرين الذين خرجوا من ديارهم بطرأ ورئاء الناس. فقد وصف سبحانه الكافرين في هذه الآية بثلاثة أشياء: الأول: **البطر**، والثاني: **الرياء** والثالث: **الصد عن سبيل الله**.

ونلحظ أن الله تعالى عبر عن بطرهم بصيغة الاسم الدال على التمكين والثبوت، وعن صدهم بصيغة الفعل الدال على التحدد

<sup>1</sup> (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (4/110).

<sup>2</sup> (?) انظر: التربية القيادية (3/21).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

وقد جاء في تفسير هذه الآية عند القرطبي أن المقصود بالآية: «يعني أبا جهل وأصحابه الخارجين يوم بدر لنصرة العبر، خرجوا بالقياں والمغیبات والمعازف، فلما وردوا الجحفة بعث خفاف الکناني، وكان صديقاً لابي جهل، بهدايا إليه مع ابن عم له، وقال: إن شئت أمدتك بالرجال، وإن شئت أمدتك بنفسي مع ما خف من قومي، فقال أبو جهل: إنا كنا نقاتل الله كما يزعم محمد، فوالله ما لنا بالله من طاقة، وإن كنا نقاتل الناس فوالله إن بنا على الناس لقوة، والله لا نرجع عن قتال محمد حتى نرد بدرًا فتشرب فيها الخمور، وتعزف علينا القياں، فإن بدرًا موسم من مواسم العرب، وسوق من أسواقهم، حتى تسمع العرب بمخر جنا؛ فتهابنا آخر الأبد، فوردوا بدرًا، ولكن جرى ما جرى من هلاكهم»<sup>(2)</sup>.

### سابعاً: موقف المشركين لما قدموا إلى بدر:

بین سبحانہ وتعالیٰ موقف المشرکین۔ لما قدموا إلى بدر، قال تعالیٰ: **إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ حَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَبْتَهُوا فَهُمْ حَيْرُ لَكُمْ وَإِن تَعُودُوا لَتُعْدُ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرْتُ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** [الأنفال: 19].

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن شعليه أن أبا جهل قال حين التقى القوم - في بدر: اللهم أقطعنَا للرحم، وأنانا بما لا يعرف، فاحنه - أي أهلكه: الغداة. فكان المستفتح<sup>(3)</sup>.

ولما وصل جيش مكة إلى بدر دب فيهم الخلاف وتزعزع عن صفوفهم الداخلية، فعن ابن عباس **قال**: «لما نزل المسلمين وأقبل المشركون، نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر، فقال: «إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا» وهو يقول: يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم، ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه وقاتل أبيه، فاجعلوا حقها برأسي وارجعوا، فقال أبو جهل: انتفع والله سحره<sup>(4)</sup>، حين رأى محمداً وأصحابه، إنما محمد وأصحابه أكلة حزور لو قد التقينا. فقال عتبة: ستعلم من الجبان المفسد لقومه، أما والله إني لأرى قوماً يضربونكم ضرباً، أما ترون كان رؤوسهم الأفاعي وكان وجههم السيفو..<sup>(5)</sup>».

وهذا حكيم بن حزام يحدثنا عن يوم بدر، وكان في صفوف المشركين قبل إسلامه، قال: خرجنا حتى نزلنا العدوة التي ذكرها الله عز وجل، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت: يا أبا الوليد هل لك أن تذهب

<sup>1</sup> (?) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول (65/1).

<sup>2</sup> (?) انظر: تفسير القرطبي (25/8).

<sup>3</sup> (?) المسند (431/5).

<sup>4</sup> (?) سحرك: رثيك، يقال ذلك للجبار.

<sup>5</sup> (?) مجمع الزوائد (76/6) وقال: رواه البزار ورجاه ثقات.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

بشرف هذا اليوم ما بقيت؟

قال: أفعل ماذًا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي<sup>(1)</sup>, وهو حليفك فتحمل ديته وترجع بالناس، فقال أنت وذاك وأنا أتحمل ديته، وذهب إلى ابن الحنظلية<sup>(2)</sup> يعني -أبا جهل- فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه، وإذا ابن الحضرمي<sup>(3)</sup> واقف على رأسه وهو يقول: قد فسخت عقدي من عبد شمس، وعقدي إلىبني مخزوم فقلت له: يقول لك عتبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولا غيرك؟ قلت: لا ولم أكن لأكون رسولا لغيره.

قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عتبة، لئلا يفوتي من الخبر شيء<sup>(4)</sup>: فهذا عتبة بن ربيعة وهو في القيادة من قريش لا يرى داعياً لقتال محمد، وقد دعا قريش بترك محمد فإن كان صادقاً فيما يدعي إليه فعزم عز قريش وملكه ملكها، وستكون أسعد الناس به، وإن كان كاذباً فسيذوب في العرب وتنهيه.

ولكن كبرياء الجاهلية دائمًا في كل زمان ومكان لا يمكن أن تترك الحق يتحرك؛ لأنها تعلم أن انتصاره معناه زوالها من الوجود وبقاوتها مكانتها<sup>(5)</sup>.

وهذا عمير بن وهب الجمحي ترسله قريش ليحرز لهم أصحاب محمد، فاستجأ حل حول العسكر ثم رجع إليهم فقال: ثلاثة أمة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلوني أنظر اللقوم كمین أو مدد، قال: فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً، ولكن قد رأيت يا عشير قريش البليا تحمل المنيا، نواضح يشرب تحمل الموت النافع، فوم ليس لهم منعة إلا سيفهم، والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يُقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك، فروا رأيكم<sup>(6)</sup>.

وهذا أمية بن خلف رفض الخروج من مكة ابتداء خوفاً من الموت، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تختلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبتني، فوالله لأشترىن أجود بغير يمكنا. ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني. فقالت له: أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك البشري؟ تقصد سعد بن معاذ عندما قال له: سمعت رسول الله يقول:

1 (؟) تقدم ذكره في سيرة عبد الله بن جحش.  
2 (؟) ابن الحنظلية هو أبو جهل، وهي اسماء بنت مخربة من بني تميم.  
3 (؟) المقصود هنا عامر أخو عمرو المتقدم  
4 (1) سيرة ابن هشام (2/234, 2/235).  
5 (؟) انظر: مرويات غزوة بدرا، ص 155.  
6 (3) انظر: البداية والنهاية (3/269).

أَنْهُمْ لِقَاتِلِوكَ<sup>(1)</sup>. قَالَ: لَا, مَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعْهُمْ إِلَّا قَرِيبًا, فَلَمَّا خَرَجَ أَمِيَةً أَخْذَ لَا يَتَرَكْ مَنْزِلًا إِلَّا عَقْلَ بَعِيرَهُ, فَلَمْ يَزِلْ بِذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ بِبَدْرٍ<sup>(2)</sup>.

وَمِنْ دَهَاءِ أَبِي جَهْلٍ - لِعْنَهُ اللَّهُ - أَنْ سُلْطَانَ عَقْبَةَ بْنَ مُعَايِثَ عَلَى أَمِيَةَ بْنِ خَلْفَ فَاتَاهُ عَقْبَةُ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى وَضَعَهَا بَيْنَ يَدِيهِ فَقَالَ: إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ النِّسَاءِ. فَقَالَ: قِبْحُكَ اللَّهُ<sup>(3)</sup>.

لَقَدْ كَانَتِ الْقُوَّةُ الْمُعْنَوِيَّةُ لِجِيشِ مَكَةَ مُتَزَعِّزَةً فِي النُّفُوسِ, وَإِنْ كَانَ مَظَاهِرُهُ الْقُوَّةُ وَالْعَزْمُ وَالثَّبَاتُ إِلَّا أَنْ فِي مَخْبُرِهِ التُّحْوُفُ وَالْجِنِّينُ وَالتَّرْدُدُ<sup>(4)</sup>.

وَكَانَتِ لِرَؤْيَا عَاتِكَةَ بَنْتَ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ أَثْرٌ عَلَى مَعْنَوَيَّاتِ أَهْلِ مَكَةَ, فَقَدْ رَأَتْ فِي الْمَنَامِ أَنْ رَجُلًا أَسْتَنْفَرَ قَرِيبًا وَأَلْقَى بِصَخْرَةٍ مِنْ رَأْسِ جَبَلِ أَبِي قَبَيسِ بِمَكَةَ فَتَفَقَّتْ وَدَخَلَتْ سَائِرَ دُورِ قَرِيبَشِ, وَقَدْ أَثَارَتِ الرَّؤْيَا خَصْوَمَةَ بَيْنِ الْعَبَاسِيَّ وَأَبِي جَهْلٍ حَتَّى قَدِمَ ضَمْضُمُ وَأَعْلَمَهُمْ بِخَبَرِ الْقَافِلَةِ فَسَكَنَتِ مَكَةَ وَتَأَوَّلَتِ الرَّؤْيَا<sup>(5)</sup>. كَمَا أَنْ جَهَنَّمَ بْنَ الصَّلَتِ بْنَ الْمُطَلَّبِ بْنَ عَبْدِ مَنَافِ رَأَيَ رَؤْيَا عِنْدَمَا نَزَلَتْ قَرِيبَشُ الْجَحْفَةِ, فَقَدْ رَأَيَ رَجُلًا أَقْبَلَ عَلَى فَرَسِهِ حَتَّى وَقَفَ, وَمَعَهُ بَعِيرٌ لَهُ, ثُمَّ قَالَ: قُتْلَ عَتَبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ, وَأَبْوَ الْحَكْمِ بْنَ هَشَامٍ, وَأَمِيَةَ بْنَ خَلْفَ, وَفَلَانَ وَفَلَانَ, فَعَدَ رَجَالًا مِنْ أَشْرَافِ قَرِيبَشِ, ثُمَّ رَأَيْتَهُ ضَرَبَ فِي لَبَةِ بَعِيرِهِ, ثُمَّ أَرْسَلَهُ فِي الْعَسْكَرِ, فَمَا يَقِي خَبَاءَ مِنْ أَخْيَةِ الْعَسْكَرِ إِلَّا أَصَابَهُ نَصْحَ<sup>(6)</sup> مِنْ دَمِهِ, فَلَمَّا بَلَغَتْ أَبَا جَهْلٍ هَذِهِ الرَّؤْيَا, قَالَ: وَهَذَا أَيْضًا نَبِيُّ الْرَّؤْيَا قَدْ سَاهَمَتْ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ فِي إِصْعَافِ النَّفْسِيَّةِ الْقَرْشِيَّةِ الْمُشْرَكَةِ.

\* \* \*

1) انظر: فتح الباري (7/238) الطبعة السلفية، مصر.  
2) انظر: مرويات غزوة بدر، ص 136.  
3) المصدر السابق، ص 138.  
4) المصدر نفسه، ص 137.

5) انظر: المجتمع المدني في عصر النبوة للعمري، ص 41.  
6) نصْح: لطخ.

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (2/230).  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## المبحث الثاني

### النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون في ساحة المعركة

#### أولاً: بناء عريش القيادة:

بعد نزول النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه على أدنى ماء بدر من المشركين، اقترح سعد بن معاذ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء عريش له يكون مقراً لقيادته ويؤمن فيه من العدو، وكان مما قاله سعد في اقتراحه: (يَا نَبِيَ اللَّهِ إِلَّا نَبْنِي لَكَ عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ ثُمَّ نُلْقِي عَدُوَنَا، إِنَّ أَعْزَنَا اللَّهُ وَأَطْهَرُنَا عَلَى عَدُوِنَا كَانَ ذَلِكَ مَا أَحَبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتِ الْأُخْرَى جَلَسْتُ عَلَى رَكَائِكَ فَلَحِقْتُ بِمَنْ وَرَاهُنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنِّكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَ اللَّهِ، مَا نَحْنُ بِأَشْدَدِ لَكَ حَبًّا مِنْهُمْ، وَلَوْ طَنَوْا أَنْكَ تَلْقَى حَرِبًا مَا تَخْلُفُوا عَنِّكَ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ، وَيَنْاصِحُونَكَ، وَيَجَاهُونَ مَعَكَ) فاشتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير، ثم بنى المسلمين العريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تل مشرف على ساحة القتال، وكان معه فيه أبو بكر<sup>1</sup>، وكانت ثلاثة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ يحرسون عريش رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>.

#### ويستفاد من بناء العريش أمور، منها:

- 1- لا بد أن يكون مكان القيادة مشرقاً على أرض المعركة، يمكن القائد فيه من متابعة المعركة وإدارتها.
- 2- ينبغي أن يكون مقر القيادة آمناً بتوافر الحراسة الكافية له.
- 3- ينبغي الاهتمام بحياة القائد، وصونها من التعرض لأي خطير.
- 4- ينبغي أن يكون للقائد قوة احتياطية أخرى تعوض الخسائر التي قد تحدث في المعركة<sup>(2)</sup>.

#### ثانياً: من نعم الله على المسلمين قبل القتال:

من المهن التي منَّ الله بها على عباده المؤمنين يوم بدر أنه أنزل عليهم النعاس والمطر، وذلك قبل أن يتلهموا مع أعدائهم، قال تعالى: (إِذْ يُعَشِّكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّتُطَهَّرُوكُمْ بِهِ وَيُذَهِّبَ عَنْكُمْ رُحْرَ الشَّيْطَانِ وَلِتُرِبِّطَ عَلَى فُلُوْبِكُمْ وَيُبَثِّبَ بِهِ الْأَفْدَامَ) قال القرطبي: (وكان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال من غدها، فكان النوم عجيباً مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم، وكان الله رب جашهم).

<sup>1</sup> (؟) انظر: سيرة ابن هشام (2/233).

66.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وعن علي قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقادد على فرس أبلق، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلّي ويبيكري حتى أصبح.

وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان:

أولهما: أن قواهم بالاستراحة على القتال من الغد.

الثاني: أن أمّنهم بزوال الرعب من قلوبهم كما يقال: «الأمن مُنيم، والخوف مُسهر»<sup>(1)</sup>.

ويبين سبحانه تعالى أنه أكرم المؤمنين بإنزال المطر عليهم في وقت لم يكن المعتمد فيه نزول الأمطار، وذلك فضلاً منه وكرماً، وإسناد هذا الإنزال إلى الله للتبليغ على أنه أكرمه لهم به.

قال الإمام الرازي: (وقد علم بالعادة أن المؤمن يكاد يستقدر نفسه، إذ كان جنباً، وبعثتم إذا لم يتمكن من الاغتسال، ويضطرب قلبه لأجل هذا السبب فلا جرم عَذَّ الله تعالى وتقديس تمكينهم من الطهارة من جملة نعمه...)<sup>(2)</sup>.

وقوله تعالى: (وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رُجَزُ الشَّيْطَانِ) فقد روى ابن حير عن ابن عباس قال: نزل النبي صلى الله عليه وسلم -يعني حين سار إلى بدر- والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة- أي كثير مجتمعة- فاصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيط، فوسوس بينهم ترعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء، وانتم تصلون مجنين، فامطر الله عليكم مطرًا شديداً، فشرب المسلمون وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشي الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم<sup>(3)</sup>. فقد بين سبحانه أنه أنزل على عباده المؤمنين المطر قبل المعركة فتطهروا به حسياً ومعنوياً إذ ربط الله به على قلوبهم وثبت به أقدامهم، وذلك أن الناظر في منطقة بدر يجد في المنطقة رملاً متحركة لا زالت حتى اليوم ومن العسير المشي عليها، ولها عبار كبير، فلما نزلت الأمطار تماست تلك الرمال وسهل السير عليها، وأنطفأ عبارها، وكل ذلك كان نعمة من الله على عباده<sup>(4)</sup>.

**ثالثاً: خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في المعركة:**  
ابتكر الرسول صلى الله عليه وسلم في قتاله مع المشركين يوم بدر أسلوباً جديداً في مقاتلته أعداء الله تعالى، لم يكن معروفاً من قبل

<sup>1</sup> (?) انظر: تفسير القرطبي (7/327). (2) انظر: تفسير الفخر الرازي (15/133).

<sup>3</sup> (?) انظر: تفسير الطبراني (9/195).  
<sup>4</sup> (?) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول (1/91).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

حتى قاتل صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَظَامِ الصَّفَوْفِ<sup>(1)</sup>، وَهَذَا الْأَسْلُوبُ أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَرآنُ الْكَرِيمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَأَنَّهُمْ بُتَّيَّانٌ مَّرْضُوشُونَ) [الصاف: 4].

**صفة هذا الأسلوب:** أن يكون المقاتلون على هيئة صفوف الصلاة، وتقل هذه الصفوف أو تكثر تبعًا لقلة المقاتلين أو كثرةهم. وتكون الصفوف الأولى من أصحاب الرماح لصد هجمات الفرسان، وتكون الصفوف التي خلفها من أصحاب النبال، لتسديدها من المهاجمين على الأعداء، وكان من فوائد هذا الأسلوب في غزوة بدر:

**1- إرهاب الأعداء ودلالة على حسن وترتيب النظام عند المسلمين.**

**2- جعل في يد القائد الأعلى صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوَّةً احتياطية** عالج بها المواقف المفاجئة في صد هجوم معاكس، أو صرب كمين غير متوقع، واستفاد منه في حماية الأجنحة من خطير المشاة والفرسان، وبعد تطبيق هذا الأسلوب لأول مرة في غزوة بدر سبقًا عسكريًا تميزت به المدرسة العسكرية الإسلامية على غيرها من أربعة عشر قرناً من الزمان<sup>(2)</sup>.

ويظهر للباحث في السيرة النبوية أن النبي صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يباغت خصومه ببعض الأساليب القتالية الجديدة، وخاصة تلك التي لم يعهد لها العرب من قبل، على نحو ما قام به النبي صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم بدر، وأحد وغيرهما.

ومن جهة النظر العسكرية، فإن هذه الأساليب تدعوا إلى الإعجاب بشخصية النبي صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبراعته العسكرية؛ لأن التعليمات العسكرية التي كان يصدرها خلال تطبيقه لها، تطابق تماماً الأصول الحديثة في استخدام الأسلحة<sup>(3)</sup>.

وتفصيل ذلك فقد اتبع صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسلوب الدفاع ولم يهاجم قوة قريش، وكانت توجيهاته التكتيكية التي نفذها جنوده بكل دقة سبيًا في زعزعة مركز العدو، وإضعاف نفسه، وبذلك تحقق النصر الحاسم بتوفيق الله على العدو برغم تفوقه<sup>(4)</sup>، بنسبة 3 إلى 1، فقد كان صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتصرف في كل موقف حسب ما تدعو إليه المصلحة؛ وذلك لاختلاف مقتضيات الأحوال والظروف، وقد طبق الرسول صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجانب العسكري أسلوب القيادة التوجيهية في مكانها الصحيح. أما أخذه بالأسلوب الإنقاعي في غزوة بدر فقد تجلى في ممارسة فقه الاستشارة في مواضع متعددة؛ لأنه

1 (؟) انظر: القيادة العسكرية، د. محمد الرشيد ص 401.

2 (؟) انظر: الرسول القائد، خطاب، ص 111، 116، 117.

3 (؟) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية، محمد محفوظ، ص 121.

4 (؟) انظر: مقومات النصر، د. أحمد أبو الشياط (2/154).

صلى الله عليه وسلم لا يقود جنده بمقتضى السلطة، بل بالكفاءة والثقة، وهو صلى الله عليه وسلم أيضاً لا يستبد برأيه، بل يتبع مبدأ الشورى وينزل على الرأي الذي يبدو صواباً، ومارس صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر أسلوب القيادة التوجيهية، فقد تجلى في أمور، منها:

**1- الأمر الأول:** أمره صلى الله عليه وسلم الصحابة برمي الأعداء إذا اقتربوا منهم؛ لأن الرمي يكون أقرب إلى الإصابة في هذه الحالة «إن دنا القوم منكم فانتصروهم بالنبل»<sup>(1)</sup>.

**2- الأمر الثاني:** نهيه صلى الله عليه وسلم عن سل السيف إلى أن تتدخل الصفوف<sup>(2)</sup> «ولا تسروا السيف حتى يغشوكم»<sup>(3)</sup>.

**3- الأمر الثالث:** أمره صلى الله عليه وسلم الصحابة بالاقتصاد في الرمي<sup>(4)</sup> «واسبقو نبلكم»<sup>(5)</sup>.

وعندما تقارن هذه التعليمات الحربية بالمبادئ الحديثة في الدفاع تجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ساقاً إليها من غير ع Kovoff على الدرس ولا التحاق بالكلمات الحربية، فالنبي صلى الله عليه وسلم يرمي من وراء تعليماته التي استعرضناها آنفاً إلى تحقيق ما يعرف حديثاً بكتاب النيران إلى اللحظة التي يصبح فيها العدو في المدى المؤثر لهذه الأسلحة، وهذا ما قصده صلى الله عليه وسلم في قوله: «واسبقو نبلكم»<sup>(6)</sup>.

#### أ- فرصة الاستفادة من الظروف الطبيعية أثناء قتال الأعداء:

ولم يهمل صلى الله عليه وسلم فرصة الاستفادة من الظروف الطبيعية أثناء قتال العدو، فقد كان يستفيد من كل الظروف في ميدان المعركة لمصلحة جيشه، ومن الأمثلة على ذلك ما فعله صلى الله عليه وسلم قبل بدء القتال يوم بدر، يقول المقرizi: وأصبح صلى الله عليه وسلم بدر قبل أن تنزل قريش، فطلعت الشمس وهو يصفهم فاستقبل المغرب وجعل الشمس خلفه فاستقبلوا الشمس.

وهذا التصرف يدل على حسن تدبيره صلى الله عليه وسلم؛ واستفادته حتى من الظروف الطبيعية لما يحقق المصلحة لجيشه، وإنما فعل ذلك لأن

1 (؟) صحيح السيرة النبوية برواية أخرى ونفس المعنى، ص 239.  
2 (؟) انظر: غزوة بدر الكبرى، ص 63، 64، لأبي فارس.

3 (؟) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 239.

4 (؟) انظر: غزوة بدر الكبرى، لأبي فارس، ص 63، 64.

5 (6,?) البخاري، كتاب المغازي، باب من شهد بدرًا، رقم 3984، 3985.

6 (؟) انظر: القيادة العسكرية، ص 453.

7 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الشمس إذا كانت في وجه المقاتل تسبب له عشا<sup>(1)</sup> البصر فتقل مقاومته ومجابهته لعدوه<sup>(2)</sup>. وفيما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر إشارة إلى أن الظروف الطبيعية كالشمس والريح والتضاريس الجغرافية وغيرها لها تأثير عظيم على موازين القوى في المعارك، وهي من الأساليب التي طلب الله منها الأخذ بها لتحقيق النصر والصعود إلى المعالي<sup>(3)</sup>.

### **ب- سواد بن غزيرة في الصفوف:**

كان صلى الله عليه وسلم في بدر يعدل الصفوف ويقوم بتسويةتها لكي تكون مستقيمة متراصة، وبهذه سهم لا ريش له يعدل به الصف، فرأى رحلاً اسمه سواد بن غزيرة، وقد خرج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم في بطنه، وقال له: «استو يا سواد» فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنني، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال: «استقد» فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواد» قال: يا رسول الله حضر ما ترى فاردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله بخير<sup>(4)</sup>.

ويستفاد من قصة سواد أمور، منها:

- 1- حرص الإسلام على النظام.
- 2- العدل المطلق: فقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم القود من نفسه.
- 3- حب الجندي لقائده.
- 4- تذكر الموت والشهادة.
- 5- حسد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبارك، ومسمه فيه بركة، ولهذا حرص عليها سواد.
- 6- بطن الرجل ليس بعورة بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عنه ولو كان عورة لما كشف عنه<sup>(5)</sup>.

### **ج- تحريض النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على القتال:**

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربى أصحابه على أن يكونوا أصحاب إرادات قوية راسخة ثابتة ثبات الشّم الرواسي، فيملأ قلوبهم شجاعة وجرأة وأملاً في النصر على الأعداء، وكان يسلك في

1 (؟) سوء البصر بالليل والنهار يكون في النار والدواب والإبل والطير.  
2 (؟) انظر: تحفة الأحوذى بشرح مجامع الترمذى (7/175).

3 (؟) انظر: القيادة العسكرية، ص 454.

4 (؟) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 236.

5 (؟) انظر: غزوة بدر، لأبي فارس، ص 52.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

سبيل تكوين هذه الإرادة القوية أسلوب الترغيب والترهيب، الترغيب في أجر المجاهدين الثابتين، والترهيب من التولي يوم الزحف، والفرار من ساحات الوعي، كما كان يحدّثهم عن عوامل النصر وأسبابه ليأخذوا بها ويلتزموها، ويحذرهم من أسباب الهزيمة ليقلعوا عنها، وينأوا بأنفسهم عن الاقتراب منها<sup>(1)</sup>.

وكان صلی الله عليه وسلم يحب أصحابه على القتال ويرضى لهم عليه امتنالاً لقوله تعالى: (بِاَيْهَا الَّتِي حَرَضَنَا الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ اِنْ تَكُنْ مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَعْلَمُوْا مَا تَصْنَعُوْنَ اِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ مَّائَةٌ يَغْلِبُوْا الْفَاقِهِ مِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُوْنَ) [الأفال: 65].

وفي غزوة بدر الكبرى قال رسول الله صلی الله عليه وسلم لأصحابه: «قُومُوا إِلَى جَنَّةِ عِرْضَهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ». فقال عمير بن الحمام الانصاري<sup>(2)</sup>: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخ بخ (كلمة تعجب). فقال رسول الله صلی الله عليه وسلم: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِ بَخْ بَخْ؟». قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا».

فأخرج تمرات من قرنه (جعبه النشاب) فجعل يأكل منه، ثم قال: لئن أنا حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل<sup>(2)</sup>.

وفي رواية قال: قال أنس: فرمى ما كان معه من التمر، وقاتل وهو يقول:

رَكِضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادِ  
إِلَّا التَّقِيِّ وَعَمَلِ الْمَعَادِ

وَكُلَّ زَادَ عَرْضَةً لِلنَّفَادِ  
وَالصَّبْرُ فِي اللَّهِ عَلَى الْجَهَادِ

غَيْرِ التَّقِيِّ وَالْبَرِّ وَالرِّشَادِ

فقاتل رحمه الله حتى استشهد<sup>(3)</sup>. ومن صور التعبئة المعنوية أنه صلی الله عليه وسلم كان يبشرهم بقتل صناديد المشركيين، وزيادة لهم في التطمين كان يحدد مكان قتلى كل واحد منهم<sup>(4)</sup> كما كان يبشر المؤمنين بالنصر قبل بدء القتال فيقول: «أَبْشِرُ أَبَا بَكْرٍ». ووقف رسول الله صلی الله عليه وسلم يقول للصحابة رضوان الله عليهم: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً»

<sup>1</sup> (?) انظر: المدرسة النبوية لأبي فارس، ص140.  
<sup>2</sup> (?) انظر: مختصر صحيح مسلم للمنذري (2/70) رقم (1157).

<sup>3</sup> (?) انظر: صفة الصفوة (1/488)، زاد المعاد (3/182).

<sup>4</sup> (?) انظر: جامع الأصول (8/202).

مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة»<sup>(1)</sup>

وقد أثّرت هذه التعبئة المعنوية في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم والذين جاءوا من بعدهم بإحسان<sup>(2)</sup>.

وكان صلى الله عليه وسلم يطلب من المسلمين أن لا يتقدم أحد إلى شيء حتى يكون دونه، فعن أنس قال: (... فانتطلق رسول الله صلی الله علیه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم: «لَا يَقْدِمُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ دُونَهُ»<sup>(3)</sup> فدنا المشركون، فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم: «فَوَمُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرَضَهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ»<sup>(4)</sup>.

د- دعاؤه صلى الله عليه وسلم واستغاثته:

**قال تعالى: (إِذْ تَسْتَغْشِيُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدَّكُمْ بِالْفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ مُزْدَفِينَ )**

لما نظم صلی الله علیه وسلم صفووف جيشه، وأصدر أوامره لهم وحرضهم على القتال، رجع إلى العريش الذي بُني له ومعه صاحبه أبو بكر، وسعد بن معاذ على باب العريش لحراسته وهو شاهر سيفه، واتجه رسول الله صلی الله علیه وسلم إلى ربه يدعوه وبناديه النصر الذي وعده ويقول في دعائه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تبعد في الأرض أبداً»، وما زال صلی الله علیه وسلم يدعوه ويستغيث حتى سقط رداءه، فأخذه أبو بكر ورده على منكبيه وهو يقول: يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فانه منجز لك ما وعدك<sup>(5)</sup>، فأنزل الله عز وجل: (إِذْ تَسْتَغْشِيُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ) وفي رواية ابن عباس قال: قال النبي صلی الله علیه وسلم يوم بدر: «اللهم انشدك عهداً ووعدك، اللهم إن شئت لم تبعد» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبي الله، فخرج صلی الله عليه وسلم وهو يقول: (سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُؤْلُوَنَ الدُّبُرَ)<sup>(6)</sup>.

وروى ابن إسحاق: أنه صلی الله علیه وسلم قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيالها، وفخرها تحادك وتکذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني»<sup>(7)</sup>. وهذا درس رياضي مهم لكل قائد أو حاكم أو زعيم أو فرد في التجرد من النفس وحظها، والخلوص واللجوء لله

1 (?) انظر: سيرة ابن هشام (1/239).

2 (?) المدرسة العسكرية لأبي فارس، ص 143.

3 (?) انظر: مسلم (3/1510) رقم (1901).

4 (?) انظر: المنذر، مختصر صحيح مسلم، (2/70) رقم (1157).

5 (?) انظر: مسلم، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة بدر (3/384).

6 (?) البخاري، كتاب المغازي، باب قصة بدر (5/6) رقم (3953).

7 (?) انظر: البداية والنهاية (3/267).

وحده، والسجود والجثي بين يدي الله سبحانه؛ لكي ينزل نصره.  
ويبقى مشهد نبيه، وقد سقط رداءه عن كتفه وهو ما زال يديه يستغيث  
بالله، يبقى هذا المشهد محفوراً بقلبه ووجدانه، يحاول تنفيذه في مثل  
هذه الساعات، وفي مثل هذه المواطن، حيث تناط به المسئولية  
وتلقى عليه أعباء القيادة<sup>(1)</sup>.

## هـ- وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى:

بعد أن دعا صلى الله عليه وسلم ربه في العريش، واستغاث به  
خرج من العريش فأخذ قبضة من التراب، وحصّب بها وجهه  
المشركين وقال: «شاهدت الوجه» ثم أمر صلى الله عليه وسلم  
أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا، فأوصل الله تعالى تلك  
الحسبياء إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله  
عن حاله<sup>(2)</sup>؛ ولهذا قال الله تعالى: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكَ اللَّهُ رَقْبَكَ) [الأنفال: 17]، ومعنى الآية: أن الله سبحانه أثبت لرسوله  
ابتداء الرمي، ونفي عنه الإيصال الذي لم يحصل برميته، فالرمي يراد  
إيه الحذف والإيصال فثبتت لنبيه الحذف، ونفي عنه الإيصال<sup>(3)</sup>. وللحظة  
أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ بالأسباب المادية والمعنوية  
وتوكلا على الله، فكان النصر والتأييد من الله تعالى، فقد اجتمع في  
بدر الأخذ بالأسباب بالقدر الممكن مع التوفيق الرباني في تهيئة جميع  
أسباب النصر متعاونة متكافئة مع التأييدات الربانية الخارقة والغبية،  
ففي عالم الأسباب تشكل دراسة الأرض والطقس وجود القيادة  
والثقة بها والروح المعنوية لبناء أساسية في صحة القرار العسكري،  
ولقد كانت الأرض لصالح المسلمين، وكان الطقس مناسباً للمعركة،  
والقيادة الرفيعة موجودة والثقة بها كبيرة، والروح المعنوية مرتفعة،  
وبعض هذه المعاني كان من الله بشكل مباشر وتوفيقه، وبعضها كان  
من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذًا بالأسباب المطلوبة،  
فتضادر الأخذ بالأسباب مع توفيق الله وزير على ذلك التأييدات الغبية  
والخارقة فكان ما كان، وذلك نموذج على ما يعطاه المسلمون بفضل  
الله إذا ما صلحت النيات عند الجندي والقادة، ووجدت الاستقامة على  
أمر الله، وأخذ المسلمون بالأسباب<sup>(4)</sup>.

\* \* \*

1 (?) انظر: التربية القيادية (3/36).

2 (?) انظر: المستفاد من فصص القرآن (2/125).

3 (?) انظر: زاد المعاد (3/183).

4 (?) انظر: الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (1/474).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

## نشوب القتال وهزيمة المشركين

اندلع القتال بين المسلمين والمشركين بالمبازرات الفردية، فخرج من جيش المشركين عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد وطلبو المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من الانصار، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أرجعهم لأنه أحب أن يبارزهم بعض أهله وذوي قرباه، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي» وباز عبيدة بن الحارث عتبة فضرب كل واحد منهما الآخر بضريره موجعاً، فكر حمزة وعلي على عتبة فقتلاه، وحمل عبيدة وأتي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن ما ليث أن استشهاده متأثراً من جراحته وقد قال عنه صلى الله عليه وسلم: «أشهد أنك شهيد»<sup>(1)</sup> وفي هؤلاء السنتين نزل قوله تعالى: ﴿هَذَا نَحْنُ خَصَّمَنَا إِحْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثَيَابٌ مِّنْ يُطْلُونَهُمْ وَالْخُلُودُ وَلَهُمْ مَقْعَدٌ مِّنْ حَدِيدٍ﴾ كلاماً أرادوا أن يخرجوها منها من غمٍّ أعيدها فيها وذوقوا عذابَ الحريق ﴿إِنَّ اللَّهَ يُذْلِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ حَتَّىٰ يَجِدُوا مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَازِ يُخْلُوْنَ فِيهَا مِنْ أَسْلَوْرٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِتَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَهُدُوْنَا إِلَى الطَّيْبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوْنَا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: 24-19].

ولما شاهد المشركون قتل الثلاثة الذين خرحو للمبرازة استشاطوا غضباً وهجموا على المسلمين هجوماً عاماً، صمد وثبت له المسلمون، وهم واقعون موقف الدفاع، ويرمونهم بالنبيل كما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان شعار المسلمين: أحد أحد، ثم أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجوم المضاد محرضاً لهم على القتال وقاتلوا لهم: «شدوا» وواعدوا من يقتل صابراً محتسباً بان له الجنة، ومما زاد في نشاط المسلمين وأندفعهم في القتال سمعاً لهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُقْلَوْنَ الدُّبُرُ) وعلمهم وإحسانهم بأمداد الملائكة وبنقليلهم في أعين المسلمين وتقليل المسلمين بآعين المشركين<sup>(2)</sup>. فقد كان صلى الله عليه وسلم قد رأى في منامه ليلة اليوم الذي التقى فيه الجيشان، رأى المشركين عددهم قليل، وقد قص رؤياه على أصحابه فاستبشروا خيراً قال تعالى: (إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكُمْ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكُمْ كثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَارَ عَيْنُكُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ

<sup>1</sup> (؟) انظر: المستفاد من قصص القرآن (2/126).

<sup>2</sup> (؟) انظر: الرحيق المختوم، ص 116: 118.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

## يَدَاتِ الصُّدُورِ

المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى المشركين في منامه قليلاً، فقص ذلك على أصحابه فكان ذلك سبباً لشاتهم، قال مجاهد: ولو رأهم في منامه كثيراً لفشلوا وجنوا عن قتالهم، ولتنازعوا في الأمرين هل يلاؤنهم أم لا، والمضارع في الآية بمعنى الماضي؛ لأن نزول الآية كان بعد الإراءة في المنام (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) أي عصتهم من الفشل والتنازع فقللهم في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>، فقص رؤياه على أصحابه فكان في ذلك ثبت لهم وتشجيعهم وجراتهم على عدوهم. وعند لقاء جيش المسلمين مع جيش المشركين رأى كل منهم عدد الآخر قليلاً، قال تعالى: (وَإِذْ  
**أَغْيَنْتُهُمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**) وإنما قللهم في أعين المسلمين تصديقاً لرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، وليعاينوا ما أخبرهم به فيزدادوا يقيناً ويجدوا في قتالهم وثبتوا، قال عبد الله بن مسعود<sup>(2)</sup>: قلت لرجل إلى حبني: أتراكهم سبعين؟ قال: أربعمائة، فأمسينا رجالاً منهم فقلنا له: كم كنتم؟ قال: ألفاً. وقوله تعالى: (وَيُقْلِلُكُمْ فِي أَغْيَنْتُهُمْ) حتى قال قائل من المشركين: إنما هم أكلة حذور.. ووجه الحكمة واللطف بال المسلمين في هذا التقليل، هو أن إرادة المسلمين عدد الكافرين قليلاً شبعهم ونشطهم وجرّأهم على قتال المشركين، ونزع الخوف من قلوب المسلمين من أعدائهم، ووجه الحكمة في تقليل المسلمين في أعين المشركين هو أنهما إذا رأوهما قليلاً أقدموا على قتالهم غير خائفين ولا مبالين بهم، ولا أخذين الحذر منهم، فلا يقاتلون بحد واستعداد وبقطة وتحرز، ثم إذا ما التحموا بالقتال فعلاً تفجّؤهم الكثرة فيبهرون وبهابون، وتكسر شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم، فيكون ذلك من أسباب خذلانهم وانتصار المسلمين عليهم<sup>(2)</sup>.

### أولاً: إمداد الله للMuslimين بالملائكة:

ثبت من نصوص القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة، ومرويات عدد من الصحابة البدريين<sup>(1)</sup>: أن الله تعالى ألقى في قلوب الذين كفروا الرعب، قال تعالى: (إِذْ مُوحِيَ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَّأُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانِ) [الأنفال: 12]. وقيل تعالى: (وَلَقَدْ تَصَرَّكُمُ اللَّهُ يُنَذِّرُ وَإِنَّمَا أَذْلَهُ فَإِنَّمَا لَعْلَكُمْ تُشَكِّرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّمَا يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ بَلِّي إِنْ

<sup>1</sup> (؟) انظر: المستفاد من قصص القرآن (2/125).

<sup>2</sup> (؟) انظر: تفسير الزمخشري (2/225)، تفسير ابن كثير (2/315).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

**تَصْبِرُوا وَتَنْقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ  
بِخَمْسَةِ الْأَفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ □ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا  
يُشَرِّى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَ فَلَوْبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ .)**

وأورد البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل وغيرهم عدداً من الأحاديث الصحيحة التي تشير إلى مشاركة الملائكة في معركة بدر، وقيامهم بضرب المشركين وقتلهم<sup>(1)</sup>.

فعن ابن عباس □ قال: ( بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتند في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم<sup>(2)</sup> فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو خطم أنفه<sup>(3)</sup>، وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الانصارى فحدث بذلك رسول الله فقال: «صدقت، ذلك مدد من السماء الثالثة»<sup>(4)</sup> ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه آدأة الحرب»<sup>(5)</sup>. ومن حديث علي بن أبي طالب □ قال: (فجاء رجل من الانصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح<sup>(6)</sup> من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلغ<sup>(7)</sup> ما أراه في القوم، فقال الانصارى: أنا أسرته يا رسول الله، فقال «اسكت فقد أيدك الله بملك كريم»<sup>(8)</sup>. ومن حديث أبي داود المازنی قال: (إنى لأتبع رجالاً من المشركين لأضربي إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قتله غيري)<sup>(9)</sup>.

إن إمداد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة أمر قطعي ثابت لا شك فيه، وأن الحكمة من هذا الإمداد تحصيل ما يكون سبباً لانتصار المسلمين، وهذا ما حصل بنزول الملائكة، فقد قاموا بكل ما يمكن أن يكون سبباً لنصر المسلمين: من بشارتهم بالنصر، ومن تشتيتهم بما أقوم في قلوبهم من بوعاث الأمل في نصرهم، والنشاط في قتالهم، وبما أظهروه لهم من أنهم معانون من الله تعالى، وأيضاً بما قام به بعضهم من الاشتراك الفعلي في القتال، ولا شك أن هذا الاشتراك الفعلى في القتال قوى قلوبهم وشتبثم في القتال، وهذا ما دلت عليه الآيات وصرحت به الأحاديث النبوية<sup>(10)</sup>.

<sup>1</sup> (؟) انظر: موسوعة نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (1/291).

<sup>2</sup> (؟) حيزوم: اسم الفرس الذي يركبه الملك. (2) خطم: الخطم: الأثر على الأنف.

<sup>4</sup> (؟) مسلم - الجهاد، باب الإمداد بالملائكة رقم (1763).

<sup>5</sup> (؟) البخاري - المغازي، باب فضل من شهد بدرًا، رقم (3995).

<sup>6</sup> (؟) الأجلح: الذي انحسر شعره على جنبي رأسه. (6) الأبلق: ارتفع التجيل إلى فخدية.

<sup>8</sup> (؟) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 247. (8) نفس المصدر، ص 247.

<sup>10</sup> (؟) انظر: المستفاد من فصص القرآن (2/131، 132).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**وقد يسأل سائل:** ما الحكمة في إمداد المسلمين بالملائكة مع أن واحداً من الملائكة كجبريل عليه السلام قادر بتوفيق الله على إبادة الكفار؟

وقد أجاب الأستاذ عبد الكريم زيدان على ذلك فقال: لقد مضت سنة الله بتدافع الحق وأهله مع الباطل وأهله، وأن الغلبة تكون وفقاً لسدن الله في الغلبة والانتصار، وأن هذا التدافع يقع في الأصل بين أهل الجانبين: الحق والباطل، ومن ثمرات التمسك بالحق والقيام بمتطلباته أن يحصلوا على عون وتأييد من الله تعالى، بأشكال وأنواع متعددة من التأييد والعون، ولكن ثبقي المدافعة والتدافع يجريان وفقاً لسدن الله فيهما، وفي نتيجة هذا التدافع فالجهة الأقوى بكل معاني القول الازمة للغلبة هي التي تغلب، فالمدار بالملائكة هو بعض ثمرات إيمان تلك العصبة المجاهدة، ذلك الإمداد الذي تحقق به ما يستلزم الغلبة على العدو، ولكن بقيت الغلبة موقوفة على ما قدمه أولئك المؤمنون في قتال و مباشرة لأعمال القتال، وتعرضهم للقتل، وصمودهم وثباتهم في الحرب، واستدامة توكلهم على الله، وأعتمادهم عليه، وثقتهم به، وهذه معان جعلها الله حسب سنته في الحياة أساساً للغلبة والنصر، مع الأسباب الأخرى المادية، مثل العدة والعدد والاستعداد للحرب وتعلم فنونه... الخ. ولهذا فإن الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يباشروا بأنفسهم إزهاق الباطل وقتل المبطلين، وأن يهينوا الأسباب المادية والإيمانية للغلبة والانتصار، وبآياتهم إن شاء الله تعالى ينال المبطلون ما يستحقونه من العقاب<sup>(1)</sup>، قال تعالى: (فَاتْلُوْهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ يَأْمُدُكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسِّفُ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيَذْهَبُ غَيْطٌ قَلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) [التوبة: 14، 15].

إن نزول الملائكة عليهم السلام من السماوات العلي إلى الأرض لنصر المؤمنين حدث عظيم.

إنه قوة عظمى، وثبتات راسخ للمؤمنين حينما يوقنون بأنهم ليسوا وحدهم في الميدان، وأنهم إذا حققوا أسباب النصر واجتنبوا موانعه، فإنهم أهل لمدد السماء، وهذا الشعور يعطيهم جرأة في مقاولة الأعداء، وإن كان ذلك على سبيل المغامرة، وبعد التكافؤ المادي بين جيش الكفار الكبير عدداً القوي إعداداً وجيش المؤمنين القليل عدداً الضعيف إعداداً.

وهو في نفس الوقت عامل قوي في تحطيم معنوية الكفار وزعزعة يقينهم، وذلك حينما يشع في صفوتهم احتمال تكرار نزول الملائكة الذين شاهدهم بعضهم عياناً، إنهم مهمّاً قدروا قوة المسلمين وعددهم فإنه سيقى في وجدانهم رعب مزلزل من احتمال مشاركة

<sup>1</sup> (?) انظر: المستفاد من قصص القرآن (132، 2/131) هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

قوى غير منظورة لا يعلمون عددها ولا يقدرون مدى قوتها، وقد رافق هذا الشعور المؤمنين في كل حربهم التي خاضها الصحابة رضي الله عنهم في العهد النبوي، وفي عهد الخلفاء الراشدين، كما رافق بعض المؤمنين بعد ذلك فكان عاملاً قوياً في انتصارتهم المتكررة الحاسمة مع أعدائهم<sup>(1)</sup>.

### **ثانياً: انتصار المسلمين على المشركين وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل القليب:**

انتهت معركة بدر بانتصار المسلمين على المشركين، وكان قتلى المشركين سبعين رجلاً، وأسر منهم سبعون، وكان أكثرهم من قادة قريش وزعمائهم، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً، منهم ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، ولما تم الفتح وأنهزم المشركون أرسل صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة ليشردوا المسلمين في المدينة بنصر الله للMuslimين وهزيمتهم المشركين<sup>(2)</sup>. ومكث صلى الله عليه وسلم في بدر ثلاثة أيام، فعن أنس قال: (إنه صلى الله عليه وسلم كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرضة ثلاثة ليال...) ولعل الحكمة في ذلك<sup>(3)</sup>:

**1- تصفية الموقف بالقضاء على أية حركة من المقاومة اليائسة التي يتحمل أن يقوم بها فلول المنهزمين الفارين هرئاً إلى الجبال.**

**2- دفن من استشهد من جند الله مما لا تكاد تخلو منه معركة، فقد دفن شهداء المسلمين في أرض المعركة، ولم يرد ما يشير إلى الصلاة عليهم، ولم يدفن أحد منهم خارج بدر<sup>(4)</sup>.**

**3- جمع الغنائم وحفظها، وإسناد أمرها إلى من يقوم بهذا الحفظ حتى تؤدي كاملة إلى مستحقها، وقد أسندت أنفال وغنائم بدر إلى ابن الحارث عبد الله بن كعب الأنصاري، أحدبني مازن<sup>(5)</sup>.**

**4- إعطاء الجيش الطافر فرصة يستروح فيها، بعد الجهد النفسي والبدني المضني الذي يذله أفراده في ميدان المعركة، ويضمد فيها جراح محروجيها، ويذكر نعم الله عليه فيما أفاء الله عليه من النصر المؤزر الذي لم يكن دأني القطوف، سهل المنازل، ويتذكر أفراده وجماعاته ما كان من أحداث ومجاجات في الموقعة، مما كان له أثر فعال في استجلاب النصر، وما كان من فلان في شجاعته وفادائيته وجرأاته على افتتاح المضايق وتفريح الأزمام، وما تكشفت عنه المعركة من دروس عملية في الكر والفر، والتدبير المحكم الذي أخذ**

<sup>1</sup> (؟) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (4/145).  
<sup>2</sup> (؟) انظر: المستفاد من قصص القرآن (2/133).

<sup>3</sup> (؟) انظر: موسوعة نصرة النعيم (1/291).  
<sup>4</sup> (؟) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (3/453).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

به العدو، وما في ذلك من عبر، واستذكار أوامر القيادة العليا و موقفها في رسم الخطط، ومشاركة الفعلية في تنفيذها، ليكون من كل ذلك ضياء يمشون في نوره في وقائعهم المستقبلية، ويجعلون منه دعائمن لحياتهم في الجهاد الصبور المظفر بالنصر المبين.

**5- مواراة حيف قتلى الأعداء الذين انفرجت المعركة عن قتلهم، والتعرف عليهم وعلى مكانتهم في حشودهم، وعلى من يقي منهم مصروغاً بجراحه لم يدركه الموت، للإجهاز على من ترى قيادة جيش الإسلام المصلحة في القضاء عليه اتقاء شره في المستقبل، كالذى كان من أمر الفاسق أبي جهل فرعون هدم الأمة، والذي كان في شأن رأس الكفر أمية بن خلف وأضرابهما، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإلقاء هؤلاء الأخبات في ركي<sup>(1)</sup> من قلب<sup>(2)</sup> بدر خبيث مُحبث، ثم وقف على شفة الركي<sup>(3)</sup>، وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم وقف على القتلى فقال: «بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وخذلتموني ونصرني الناس، وأخرجتموني وأواني الناس»<sup>(4)</sup>.**

ثم أمر بهم، فسحبوا إلى قليب من قلب بدر فطرحوا فيه، ثم وقف عليهم فقال: «يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا فلان، ويا فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فأنتم وجدت ما وعدني ربى حقاً» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله! ما تخاطب من أقوام قد جيفوا؟ فقال: «والذي نفسي بيده ما انتم بأسمع لما أقول منهم، ولكلهم لا يستطيعون الجواب»<sup>(5)</sup>. قال قنادة: أحياءهم الله حتى اسمعهم قوله، توبىحاً، وتتصغراً، ونقاً، وحسراً، وندماً<sup>(6)</sup>.

إن مناداة الرسول صلى الله عليه وسلم لقتلى قريش بينت أمراً عظيماً، وهو أنهم بدأوا حياة جديدة، هي حياة البرزخ الخاصة، وهم فيها يسمعون كلام الأحياء، غير أنهم لا يحيون ولا يتكلمون، والإيمان بهذه الحياة من عقائد المسلمين، ونعيم القبر وعدايه ثابتان في صحيح الأحاديث، حتى انه صلى الله عليه وسلم مر بقريين وقال: «إنهم يعذبان وما يعذبان في كبير»<sup>(7)</sup>، وذكر أن سبب تعذيبهما التمرين الناس، وعدم الاستئزاه من البول<sup>(8)</sup>. ولا بد من التسليم بهذه الحقائق الغيبية، بعد أن تحدث عنها الصادق المصدوق، وقطع بها القرآن الكريم في تعذيب آل فرعون، قال تعالى: **(التَّارُ يُعَرِّضُونَ**

(?) ركي: حافة البئر. (6) قلب: أبيان ومفرد بئر.

(?) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (3/454).

(?) زاد المعاد (3/187).

(?) أخرجه البخاري (7/234) في المغازى، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على كفار قريش.

(?) الأساس في السنة - السيرة النبوية (1/479).

(?) رواه البخاري رقم 218.

(?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوى في المدينة، د. محمد فوزي فضل الله، ص 64.

+

+

28

**عَلَيْهَا عُدُوا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَذْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ  
أَسْدَ الْعَذَابِ [غافر: 46]. وأما الشهداء فقد قال الله تعالى فيهم:  
وَلَا تَحْسِبُنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً  
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَفُونَ (آل عمران: 169).**

\* \* \*

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

+

## المبحث الرابع مشاهد وأحداث من المعركة

**أولاً: مصارع الطغاة:**

**أ- مصرع أبي جهل بن هشام المخزومي:**

قال عبد الرحمن بن عوف <sup>هـ</sup>: بينما أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وشمالتي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أصلع منهما<sup>(1)</sup>، فغمزني<sup>(2)</sup> أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبي جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سواده حتى يموت الأجل منا، قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مثلها.

قال: فلم أنسِ<sup>(3)</sup> أن نظرت إلى أبي جهل يحول في الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه، قال: فابتداه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه، فقال: «أيكمَا قتله؟» فقال كل واحد منهم: أنا قتله، فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟» قالا: لا. فنظر في السيفين فقال: «كلا كما قتله»، وقضى بستلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، وكانا معاذ بن عفراه ومعاذ بن عمرو بن الجموح<sup>(4)</sup>. وفي حديث أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: «من ينظر ما صنع أبو جهل؟» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضرباه (ابنا عفراه حتى برد<sup>(5)</sup>) فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل، قال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قال: قتلتموه<sup>(6)</sup>، وفي حديث عبد الله بن مسعود <sup>هـ</sup> قال: أدركك أبا جهل يوم بدر صريرا، فقلت: أي عدو الله قد أحزاك الله؟ قال: وبما أحزاني؟ من رجل قتلتموه، ومعي سيف لي، فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شيء، ومعه سيف له جيد، فضررت يده فوق السيف من يده فأخذته، ثم كشفت المغفر عن رأسه، فضررت عنقه، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: «الله الذي لا إله إلا هو؟» قلت: الله الذي لا إله إلا هو. قال: فانطلق فاستثبت قاتلقيت وأنا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انطلق» فانطلق فانطلقت معه فاريته، فلما وقف عليه صلى الله عليه وسلم قال: «هذا فرعون هذه الأمة»

(?) أصلع: أقوى وأعظم وأشد.  
(?) أنس: أليث.

1

3

4

(?) البخاري، كتاب المغازي، باب من شهد بدرًا، رقم (3988).

5

(?) برد: قارب على الموت وكان في المنزع الأخير.

6

(?) البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل رقم (3963).

كان الدافع من حرص الأنصاريين الشابين على قتل أبي جهل ما سمعاه من أنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا تبلغ محبة شباب الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بذل النفس في سبيل الانتقام ممن تعرض له بالأذى.

وما جرى بين عبد الله بن مسعود وأبي جهل وهو في الرمق الأخير من الحوار فيه عبرة بلية، فهذا الطاغية الذي كان شديد الأذى للMuslimين في مكة قد وقع صریعاً بين أيدي من كان يؤذيهما، وبشأن الله تعالى أن يكون الذي يقضى على آخر رمق من حياته هو أحد المستضعفين، ولقد كان أبو جهل مستكراً جباراً حتى وهو صریع وفي آخر لحظات حياته<sup>(2)</sup>. فقد جاء في رواية لأبن إسحاق أنه قال لعبد الله بن مسعود لما أراد أن يحتز رأسه: لقد ارتقت مرتفقى صعباً يا رويعي الغنم<sup>(3)</sup>.

فالله تعالى لم يعجل لهذا الخبيث أبي جهل بضربيات الأبطال من إشبال الأنصار، ولكنه أبفاه مصروغاً في حالة من الإدراك والوعي بعد أن أصابته ضربات أشفت به على الهلاك الأبدي، ليりه بعين بصره ما بلغه من المهانة والذلة والخذلان على يد من كان يستضعفه ويؤذيه، ويصطبه بمكة من رجال الرعيل الأول -السابقين إلى مظلة الإيمان- وظهر العقيدة، والتبعيد لله بشرائعه، التي أنزلها رحمة للعالمين - عبد الله بن مسعود فيعلو على صدره، ويدوسه بقدميه، ويقبض على لحيته تحقيراً له، ويقرّعه تقريراً يبلغ من نفسه مجمع عروره واستكباره في الأرض، ويستغل منه سيفه إمعاناً في البطش به فيقتله به، ويمنع في إغاظته بإختياره أن النصر عقد بناصية جند الله وكتيبة الإسلام، وأن شنار الهزيمة النكراء وعارها، وخزيها وخذلانها قد رزئت به كنائب الغرور الأجوف في حشود النغير الذي قاده هذا الكفور الخبيث...<sup>(4)</sup>.

## بـ- مصر أمية بن خلف:

قال عبد الرحمن بن عوف<sup>(5)</sup>: كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتها<sup>(6)</sup> بمكة وأحفظه في صاغيتها بالمدينة، فلما ذكرت (الرحمن) قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته (عبد عمرو).

فلما كان في يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه<sup>(6)</sup> حين نام الناس،

1 (؟) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 242.

2 (؟) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي 4/158-160.

3 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام 2/247.

4 (؟) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون 432، 3/431.

5 (؟) الصاغية: صاغية الرجل ما يميل إليه، ويطلق على الأهل والمال.

6 (؟) أحرزه: أحميته.

(2) تحللوه: طعنوه وأصابوه.

فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال: أمية بن خلف لا نجوت إن نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم، فقتلواه ثم أبوا حتى يتبعونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: أبرك، فبرك، فالقيت عليه نفسي لأمنعه، فتجللوه<sup>(1)</sup> بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه، وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الآخر في ظهر قدمه<sup>(2)</sup>.

وفي رواية أخرى لعبد الرحمن بن عوف قال: كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة، وكان اسمه عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن، ونحن بمكة، فكان يلقاني إذ نحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغيت عن اسم سماك أبوك؟ قال: فأقول نعم. قال: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجيئني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجده، قال: فقلت: يا أبا على اجعل ما شئت، قال: فأنت عبد الإله، قال: قلت: نعم. قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجبته فاتحدث معه، حتى إذا كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه علي، وهو أخذ بيده قال: ومعي أدراج لي قد استلبتها، فأنا أحملها، فلما رأني قال: يا عبد عمرو فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله، فقلت: نعم، قال: هل لك فيَّ فأنا خير لك من هذه الأدراج التي معك؟ قال: قلت: نعم، ها لله؟ قال: فطرحت الأدراج من يدي، وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة في اللبن؟ ثم خرجت أمشي بهما، قال ابن هشام: يريد باللبن أن من أسرني افتديت منه يُابل كثيرة اللبن<sup>(3)</sup>.

### ونلحظ من الروايات السابقة:

**1-** ما جرى من بلال حينما رأى عدوه اللدود أمية بن خلف الذي كان يسومه أقسى وأعنف أنواع العذاب في مكة، فلما رأاه في يد عبد الرحمن بن عوف أسريراً صرخ بأعلى صوته: لا نجوت إن نجا.

إنه موقف من مواقف التشفي في أعداء الله، والتشفي من كبار الكفرة الفجار وفي الحياة الدنيا نعمة يفرج الله بها عن المكرهين من المؤمنين الذين ذاقوا الذيل والهوان على أيدي أولئك الفجرة الطغافق، قال تعالى: (فَاتَّلُوْهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ يَأْتِيْكُمْ وَيُبَرِّهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيَدْهِبُ غِيَظًا قُلُوبِهِمْ وَيَنْبُوْبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة: 14، 15].

**2-** إن فيما جرى لأمية بن خلف من قتل مفرز درساً بليغاً للطغاة المتجبرين، وعبرة للمعتبرين، الذين يغترون بقوتهم وينخدعون

<sup>2</sup> (?) البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وَكَلَ المسلم حرّيّاً رقم (2301).  
<sup>3</sup> (?) انظر: سيرة ابن هشام (2/243) سنته صحيح وقد صرّح ابن إسحاق بالقولين.

بجاههم ومكانتهم، فيعتقدون على الضعفاء، ويسلبونهم حقوقهم، فمالهم إلى عاقبة سيئة و وخيمة في الآخرة، وقد يمكن الله للضعفاء منهم في الدنيا قبل الآخرة كما حدث لأمية بن خلف وأضرابه من طغاة الكفر<sup>(1)</sup>، قال تعالى: (وَيُرِيدُ أَنْ تُمْنَنْ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ) [القصص: 5].

**3-** وفي قول عبد الرحمن بن عوف: «يرحم الله بلا ذهبت أدراعي وفجعني بأسييري»<sup>(2)</sup> مع ما جرى من بلال من معارضه وانتزاع الأسيرين من يده بقوة الانصار الذين استدرج بهم دليل على قوة الرباط الأخوي بين الصحابة الكرام<sup>(3)</sup>.

**4-** موقف لأم صفوان بنت أمية: قيل لأم صفوان بنت أمية بعد إسلامها، وقد نظرت إلى الحباب بن المنذر بمكة: هذا الذي قطع رحل علي بن أمية يوم بدر، قالت: دعونا من ذكر من قُتل على الشراك، قد أهان الله علينا بصره الحباب بن المنذر، وأكرم الله الحباب بصره عليه، قد كان على الإسلام حين خرج من هاهنا، فقتل على غير ذلك<sup>(4)</sup>، وهذا الموقف يدل على قوة إيمانها، ورسوخ يقينها حيث اتضحت لها عقيدة الولاء والبراء، فأصبحت تحب المسلمين وإن كانوا من غير قبيلتها، وتكره الكافرين وإن كانوا من أبنائها<sup>(5)</sup>.

وقولها على ابنها علي: «قد كان على الإسلام حين خرج من ههنا فقتل على غير ذلك» تعني أنه كان ممن عرف عنهم الإسلام بمكة وخرجوا مع قومهم يوم بدر مكرهين، فلما التقى الصفار فتنوا حينما رأوا قلة المسلمين فقالوا: قد غر هؤلاء دينهم<sup>(6)</sup>، فنزل فيهم قول الله تعالى: (إِذْ يَقُولُ الْمُتَّافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ عَرَهُؤُلَاءِ دِيُّهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال: 49].

**ج-** مصرع عبيدة بن سعيد بن العاص على يد الزبير: قال الزبير بن العوام: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج<sup>(7)</sup> لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكتنأ أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات، قال هشام، فأخبرت أن الزبير قال: (لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها، وقد اشترى طرفها).

قال عروة: فسألها إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه،

1 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (4/152, 153).

2 (?) انظر: سيرة ابن هشام (2/244).

3 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (4/153).

4 (?) , 5 نفس المصدر (4/154).

6 (?) انظر: تفسير الطبرى (10/21). (7) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (4/154).

فَلِمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْذَاهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٌ فَأَعْطَاهَا، فَلِمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٌ سَأَلَهَا إِيَّاهَا عُمْرَ فَأَعْطَاهَا إِيَّاهَا، فَلِمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَقَعَتْ عَنْدَ الْأَنْصَارِ عَلَيْهِ، فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّزِيرِ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ<sup>(1)</sup>.

(هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام في إصابة الهدف، حيث استطاع أن يضع الحربة في عين ذلك الرجل مع ضيق ذلك المكان، وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جدًا لكونه قد حمى جسمه بالحديد الواقي، لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه، فكانت بها نهاية، ولقد كانت الإصابة شديدة ألعمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية، إضافة إلى دقته ومهارته في إصابة الهدف)<sup>(2)</sup>.

#### د- مصرع الأسود المخزومي:

قال ابن إسحاق: وقد خرج الأسود المخزومي، وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق فقال: أعاهد الله لأشرين من حوضهم، أو لاهدمنه، أو لأموتن دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقى ضربه حمزة فأطعن<sup>(3)</sup> قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب<sup>(4)</sup> رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن يبر يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض<sup>(5)</sup>.

وقد سأله أمية بن خلف عبد الرحمن بن عوف عن الرجل المعلم بريشة نعامة في صدره؟ فأجابه عبد الرحمن: ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال أمية: ذاك الذي فعل بنا الأفاغيل<sup>(6)</sup>: وهذه شهادة من أحد زعماء الكفر، وهذا يعني أنه قد أثخن في جيش الأعداء قتلاً وتشريداً<sup>(7)</sup>. وكان هذا أول من قتل من المشركين بيد أسد الله تعالى حمزة بن عبد المطلب<sup>(8)</sup>، فقد جاء هذا اللئيم الشرس يتحدى المسلمين، فتصدى له بطل الإسلام حمزة، فقضى عليه ولقن أمثاله من الحاذدين المتكبرين درساً في الصميم<sup>(8)</sup>.

#### ثانيًا: من مشاهد العظمة:

أ- استشهاد حارثة بن سراقة: عن أنس قال: أصيّب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر

<sup>1</sup> (؟) انظر: صحيح البخاري، المغاري رقم (3998). <sup>2</sup> (2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (4/163).

<sup>3</sup> (؟) أطعن: أطار. <sup>4</sup> (4) تشخب: تسيل بصوت.

<sup>5</sup> (؟) انظر: سيرة ابن هشام (2/237) <sup>6</sup> (6) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (4/151).

<sup>7</sup> (؟) المصدر نفسه (4/152). <sup>8</sup> (8) المصدر السابق (4/121).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

وأحتبس، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع؟ فقال: «ويحك أَوْهَلْتِ<sup>١</sup>  
أَوْجَنَّةً وَاحِدَةً هِيَ؟ إِنَّهَا جَنَانُ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ»<sup>(٢)</sup> وفي  
رواية: «يَا أَمْ حَارِثَة، إِنَّهَا جَنَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفَرْدَوْسَ  
الْأَعُلَى»<sup>(٣)</sup>.

**ب- استشهاد عوف بن الحارث:** قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة أن عوف بن مالك وهو ابن عفراء<sup>(٤)</sup> قال: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «غَمْسَةٌ يَدُهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا»<sup>(٥)</sup> فنزع درعًا كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل<sup>(٦)</sup>.

وهذا الخبر يدل على قوة ارتباط الصحابة الكرام بالآخرة، وحرصهم على رضوان الله تعالى؛ ولذلك انطلق عوف بن الحارث ـ كالسالم وهو حاسر غير متدرع يتخن في الأعداء حتى أكرمه الله تعالى الشهادة، لقد تغيرت مفاهيم المجتمع الجديد، وتغلق أفراده بالآخرة، وأصبحوا حريصين على مرضاته بعد أن كان جل همهم أن تحدث عنهم النساء عن بطولاتهم، ويرضى سيد القبيلة عنهم، وتنشد الأشعار في شجاعتهم<sup>(٧)</sup>.

**ج- استشهاد سعد بن خيثمة ثم أبيه رضي الله عنهما:** قال الحافظ ابن حجر: قال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب: استهم يوم بدر سعد بن خيثمة وأبوه فخرج سهم سعد فقال له أبوه: يابني أثرني اليوم، فقال سعد: يا أبا لوكان غير الجنة فعلت، فخرج سعد إلى بدر فقتل بها، وقتل أبوه خيثمة يوم أحد<sup>(٨)</sup>.

وهذا الخبر يعطي صورة مشرقة عن بيوتات الصحابة في تنافسهم وتسابقهم على الجهاد في سبيل الله تعالى، فهذا سعد بن خيثمة ووالده لا يستطيعان الخروج معًا لاحتياج أسرتهما وعملهما لبقاء أحدهما، فلم يتنازل أحدهما عن الخروج رغبة في نيل الشهادة حتى اضطروا إلى الاشتراك بينهما، فكان الخروج من نصيب سعد -رضي الله عنهما-، وكان الآباء في غاية الأدب مع والده، ولكنه كان مشتاقاً إلى الجنة فأجاب بهذا الجواب البليغ: (يا أبا لوكان غير الجنة فعلت)<sup>(٩)</sup>

**د- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة:** عن عائشة رضي الله عنها -في حديثها عن طرح قتلى

1 (؟) البخاري في المغارزي، باب فضل من شهد بدرًا رقم (3982).  
2 (؟) الأساس في السنة وفقها السيرة النبوية (1/475).

3 (؟) عفراء بنت عبد بن تعلبة شارك أولادها السبعة في غزوة بدر.

4 (؟) حاسراً: غير لابن الدرع. (5) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 245.

6 (؟) انظر: التربية القيادية (2/31). (7) الإصابة (2/23)، (24)، رقم (3118).

8 (؟) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (4/87).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

قريش في القليب بعد معركة بدر- قالت: (فلما أمر بهم فسحوا عرف في وجه أبي حذيفة بن عتبة الكرايبة، وأبوه يسحب إلى القليب، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبي حذيفة لكانه ساعك ما كان في أريك؟» فقال والله يا رسول الله ما شكت في الله وفي رسوله، ولكن إن كان حليماً سديداً ذا رأي، فكنت أرجو أن لا يموت حتى يهديه الله عز وجل إلى الإسلام، فلما رأيت أن قد فات ذلك ووقع حيث وقع أحزنني ذلك، قال: «فدعوا له رسول الله بخير»<sup>(1)</sup>.

**هـ - عمر بن أبي وقاص:** لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر وعرض عليه جيش بدر رد عمر بن أبي وقاص فبكى عمر فجازه، فعقد عليه حمائل سيفه، ولقد كان عمر يتوارى حتى لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد: رأيت أخي عمر بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يتوارى فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرني ويبردني، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة<sup>(2)</sup>، وقد أستشهاد بالفعل.

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 251، 252.  
<sup>2</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 317، نقلًا عن صفة الصفوة، (1/294)، والمستدرك (3/188) والإصابة (3/35).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## المبحث الخامس الخلاف في الأنفال والأسرى

### أولاً: الخلاف في الأنفال:

عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس فهرم الله تبارك وتعالي العدو، فانطلقت طائفة في أثارهم يهزمون ويقتلون، فأكبت طائفة على العسكر يحونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين حمموا الغنائم: نحن حونيناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجو في طلب العدو: لستم باحق بها منا، نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحذقو برسول الله صلى الله عليه وسلم: وخفنا أن يصيب العدو منه غرة وأشتغلنا به فنزلت: (تَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلْ أَنْفَالُ  
لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتُقُولُوا إِلَهٌ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنَكُمْ وَأَطْبِعُوا  
اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) [الأنفال: 1]. فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على فوائق بين المسلمين<sup>(1)</sup>.

وفي رواية: قال عبادة بن الصامت عن الأنفال حين سئل عن الأنفال: فیناً معاشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، وساعت فيه أخلاقنا، فنزعته الله تبارك وتعالي من أيدينا فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله فيما عن بواء، يقول: على السواء<sup>(2)</sup>.

لقد خلد الله سبحانه وتعالي ذكرى غزوة بدر في سورة الأنفال، وحاءت مفصلة عن أحداثها وأسبابها ونتائجها، وتعرضت الآيات الكريمة لعلاج النفس البشرية وتربيتها على معاني الإيمان العميق والتكوين الدقيق، فبدأت السورة بتبيان حكم أثر من أثار القتال وهو الغنائم، فبيّنت أن هذه الغنائم لله ولرسوله، فالله هو مالك كل شيء، ورسوله هو خليفته، ثم أمر الله المؤمنين ثلاثة أوامر: بالتقوى، وإصلاح ذاتي، والطاعة لله ولرسول صلى الله عليه وسلم، وهي أوامر مهمة جدًا في موضوع الجهاد، فالجهاد إذا لم ينشأ عن تقى فليس جهاداً، والجهاد يحتاج إلى وحدة صف، ومن ثم فلا بد من إصلاح ذاتي، والانضباط هو الأساس في الجهاد، إذ لا جهاد بلا انضباط، ثم بين الله عز وجل أن الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم علامة الإيمان.

ثم حدد الله عز وجل صفات المؤمنين الحقيقيين، وهذا الوصف

<sup>1</sup> (?) مسند الإمام أحمد (5/324)، تفسير ابن كثير (2/283).

<sup>2</sup> (?) مسند الإمام أحمد (5/322).

والتحديد مهمان في موضوع الجهاد الإسلامي؛ لأن الإيمان الحقيقي هو الذي يقوم به الجهاد الإسلامي، لقد حدد الله عز وجل صفات المؤمنين: يأنهم إذا ذكر الله فزعت قلوبهم وخافت وفرقت. وإذا قرئ عليهم القرآن ازداد إيمانهم ونما.

**والصفة الثالثة:** هي التوكل على الله، فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إيه، ولا يلوذون إلا بحناه، ولا يطلبون الحاجة إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصف في الخلق وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب.

**والصفة الرابعة:** إقامة الصلاة والمحافظة على مواقيتها ووضعها ورکوعها وسجودها، ومن ذلك إسباغ الطهور فيها، وتمام رکوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتشهد والصلاحة على النبي صلى الله عليه وسلم.

**والصفة الخامسة:** الإنفاق مما رزقهم الله، وذلك يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحق، والخلق كلهم عباد الله، فأحبهم إليه أنفعهم لخلقه، ثم بين الله -عز وجل- أن المتصفين بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان، وأن لهم عند الله منازل ومقامات ودرجات في الجنات، وأن الله يغفر لهم السيئات، ويشكر الحسنات، وبهذا تنتهي مقدمة السورة بعد أن رفعت الهمم بكل لوازم الجهاد، ونفت كل عوامل الخذلان، من اختلاف على غنائم، أو خلاف بسبب شيء، داعية إلى الطاعة، والارتفاع إلى منازل الإيمان الكامل<sup>(1)</sup>، قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَإِنَّمَا كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ فَلَوْبُهُمْ وَإِذَا تَلَيْتُمْ عَلَيْهِمْ أَيَّاً نَهَى رَبَّهُمْ رَأَدَّهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّ الَّذِينَ يُقْبِلُونَ عَلَى الصَّلَاةِ وَمَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَعُونَ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَفَا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) [الأنفال: 1-4].

يقول الأستاذ محمد الأمين المصري: لم تذكر الآيات شيئاً من أعمال المؤمنين في بدر، ولكن ذكرت عنايا أليماً موجعاً يحمل المؤمنين على الرجوع إلى أنفسهم والاستحياء من ربهم، وهناك نقاط أرسلت الآيات النقاط عليها وبينت نواحي الضعف فيها بياناً جلياً قوياً، بتصوير ما في النفوس وصيغاً دقيقة رائعاً تشاهد العين فيه الحركات والخلجات، وكل ذلك من شأنه أن ينبيه ضمير المؤمن ليتمس المسافة بيته وبين درجات الإيمان التي يهفو قلبه للوصول إليها. ولقد كانت الآيات من تربية الحكيم العليم، ويسعى الذوق السليم هاهنا روعة

<sup>1</sup> (?) انظر: الأساس في التفسير (2113، 4/2114).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

الأسلوب في عرض العتاب بغير عتاب، ولكنه تصوير ما في النفوس تصوّرًا يوّقّن معه العادي من الناس، أنه ما كان لمؤمن من صحيح الإيمان أن يتصف بها؛ ولذلك اقتربت الآيات بتقديم خصائص الإيمان العالية وميزاته الرفيعة التي تصور الفجوة البعيدة بين المؤمن وبين أى إسفاف: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلُتْ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّمَا تُلْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ رَادِنْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَنْوَكُونَ الَّذِينَ يُقْيِمُونَ عَلَيْهِمُ الْمِلَاهَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ دَرَحَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) [الأنفال: 4-2]. ما ذكرت الآيات عتابًا، ولكنها ذكرت واقعًا وكان ذكر الواقع أبلغ من كل عتاب.

لقد استجاب الصحابة الكرام لهذا التوجيه الرباني ونزلت الآيات تبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يتصرف في الأنفال.

بعد أن أصبحت الغنائم لله ورسوله بين المولى عز وجل كيف توزع هذه الغنائم، قال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِرَسُولِ اللَّهِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالسَّائِمَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ أَمْتَمُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰكُمْ إِنِّي أَنْهَاكُمْ بِيَوْمِ الْفِرْقَانِ يَوْمَ التَّقْيَىِ الْجَمِيعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الأنفال: 41].

وهذا بعد ما ظهرت قلوبيهم من الأخلاط، وأخلصت إلى علام الغيوب في الطاعة، وتمثلت الآيات، فتحققت بمعنى العبودية الخالصة لله، وهذا الحكم صريح في أن أربعة أخماس ما غنموه مقسم بينهم، والخمس لله ورسوله، وهذا الخميس نفسه مردود فيهم أيضاً، وموزع على الجهات المذكورة كما ثبت بالسنة.

إن التوجيه التربوي، في إرجاء إنزال جواب السؤال عن الغنائم، يشير إلى أن الأحكام الشرعية ينبغي أن يهيا لها الجو النفسي الروحي المناسب، لتحتل مكانها اللائق في العقل والضمير، فتشتت وتتمكن، وتؤتي أطيب النتائج، إذ يتجلّى فيها أكمل الحلول، وهكذا صرف المولى -جل شأنه- عبادة المسلمين عن التعلق بالغير، أولاً، وبالغنائم ثانياً، ليكونوا له من المخلصين الحديرين بنصره، وإن تمام نعمته، فلما تفرغوا للخلق وأخلصوا في الجهاد، أكبرهم بالنصر من لدنه، وأواسع عليهم من فضله بأكثر مما كانوا يودون<sup>١</sup>، فعن عبد الله بن عمرو قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر في ثلاثة عشر رجلاً من أصحابه فلما انتهى إليها قال: «اللهم إنهم جياع فأشبعهم، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم» ففتح الله له يوم بدر، فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع

<sup>1</sup> (?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوى في المدينة، ص 61، 62.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخيرة من رمضان وعيد الفطر 1426

بحمل أو حملين، واكتسوا وشعروا<sup>(1)</sup>.

ومن عدل النبي صلى الله عليه وسلم في تقسيم الغنائم لعطاوه من هذه الغنيمة من تخلف بأمر رسول الله لمهام أوكلها إليهم، فضرب لهم بسهمهم من الغنيمة وبأحرهم فكانوا كمن حضرها<sup>(2)</sup>. فكان صلى الله عليه وسلم يراعي ظروف الجنود التي تمنعهم من المشاركة في القتال، لأن الله تعالى لم يكلف عباده شيئاً فوق طاقتهم، قال تعالى: **(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ تَقْسِيْمًا إِلَّا وُسْعَهَا)** [البقرة: 286].

ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكلف المسلمين فوق طاقتهم سواء كان ذلك في السلم أو الحرب، وفي غزوة بدر أعفى النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة لأن ظروفهم الأسرية تتطلب منهم القيام عليها ورعايتها، فقد أعفى عثمان بن عفان من الخروج يوم بدر، لأن زوجته رقية كانت مريضة وبحاجة إلى من يرعى شؤونها، روى البخاري في صحيحه أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبر عن سبب تغيب عثمان في غزوة بدر فقال: (... وأما تغيبه عن بدر، فإنه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه...»)<sup>(3)</sup>.

وأمر صلى الله عليه وسلم أبي أمامة بالبقاء عند أمه حيث كانت مريضة وهي بحاجة إليه، فعن أبي أمامة بن شعليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالخروج إلى بدر وأجمع الخروج معه، فقال له خاله أبو بردة بن نيار: أقم على أمك، يا ابن أخي. فقال له أبو أمامة: بل أنت فاقم على اختك، فذكرا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأمر أبي أمامة بالبقاء على أمه وخرج يأتي ببردة، فقدم النبي صلى الله عليه وسلم وقد توفيت فصلى عليها<sup>(4)</sup>. إن هذه الأخلاق الرفيعة ومراعاة شعور الجنود وأحوالهم العائلية تولد قوة ترابط بين القيادة والجنود، وتدخل تحت مفهوم فقه التمكين، وقد مارسه الرسول صلى الله عليه وسلم في أعلى صوره.

ومن الصحابة الذين كانت لهم مهام خاصة أو أصيروا أثناء الطريق فردهم الرسول صلى الله عليه وسلم في أعلى صوره:

**1- أبو لبابة: استخلفه على المدينة.**

**2- عاصم بن عدي: أرسله صلى الله عليه وسلم في مهمة لأهل العالية في المدينة.**

1- (?) سنن أبي داود (5/525) حسن الألباني، صحيح أبي داود (2747).

2-

3- (?) انظر: معين السيرة، ص 214.

4-

4- (?) البخاري، كتاب الفضائل، باب مناقب عثمان (4/245) رقم (3699).

5- (?) انظر: الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، انظر: مجمع الزوائد (3/31).

هديّة الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

3- الحارث بن حاطب: أرسله صلى الله عليه وسلم في مهمة إلىبني عمرو بن عوف.

4- الحارث بن الصمة: وقع أثناء الطريق فكسر فُرْد.

5- خَوَّاتِ بْنِ جَبَّيرٍ: أصابه في الطريق حجر في ساقه فرده من الصفراء<sup>(1)</sup>.

وكذلك أعطى لورثة الشهداء وذويهم نصيبيهم من الغنائم؛ وبذلك كان للإسلام السبق في تكريم الشهداء ورعاية أبنائهم وأسرهم من قربة أربعة عشر قرناً<sup>(2)</sup>.

### ثانيًا: الأسرى:

قال ابن عباس: (... فلما أسروا الأسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسرى؟») فقال أبو بكر: يا نبى الله هم بنو العم والعشيرة: أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي يراه أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنا منهم، فنصرهم علينا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنتني من فلان (نسبياً لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدهم، فهو يرسُل الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهُوَّ ما قلت، فلما كان من العدجت فإذا رسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قaudين بيكيان، قلت يا رسول الله: أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكث، وإن لم أحد بكأء تباكيت ليكائكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء، ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة» - شجرة قريبة من نبى الله صلى الله عليه وسلم - وإنزل الله عزوجل: (مَا كَانَ لِتَبَيَّنَ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّىٰ يُتَخَّنَ فِي الْأَرْضِ) إلى قوله: (فَكُلُوا مِمَّا عِنْمَتْ حَلَالًا طَيِّبًا) [الأنفال: 67-69] فاحل الله لهم الغنيمة<sup>(3)</sup>. وفي رواية: عن عبد الله بن مسعود قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك، استيقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم، وقال عمر: يا رسول الله أخرجوك وكذبوك، قرر لهم فأضرب أصحابهم، وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب، فدخل لهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً، فقال العباس: قطعت رحمك، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئاً، فقال ناس: يأخذ بقول أبي

<sup>1</sup> (?) انظر: معين السيرة، ص 215.

<sup>2</sup> (1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/176).

<sup>3</sup> (?) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم (3/1763).

بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر، كمثل إبراهيم عليه السلام قال: (فَمَنْ تَعْنِي فَإِنَّهُ مَنِ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ عَفُورٌ حَمِيمٌ) ومثلك يا أبا يكر كمثل عيسى قال: (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [المائدة: 118]، وإن مثلك يا عمر كمثل نوح إذ قال: (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِيْنَ دِيَارًا) [نوح: 26]. وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال: (رَسَّا طَمِسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدَّهُمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) [يونس: 88]. ثم قال صلى الله عليه وسلم: «أنتم عالة، فلا ينفلتون منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق».

قال عبد الله بن مسعود: فقلت: يا رسول الله، إلا سهيل بن بيضاء فإنه يذكر الإسلام قال: فسكت، مما رأيتني في يوم أخوف أن تقع على حجارة من السماء في ذلك اليوم، حتى قال: إلا سهيل بن بيضاء فأنزل الله (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُتَحَنَّ فِي الْأَرْضِ) إلى آخر الآية<sup>(1)</sup>.

وهذه الآية تضع قاعدة هامة في بناء الدولة حينما تكون في مرحلة التكوين والإعداد، وكيف ينبغي إلا تظهر بمظاهر اللين، حتى تُرْهَب من قبل أعدائها، وفي سبيل هذه الكلية يطرح الاهتمام بالجزئيات حتى ولو كانت الحاجة ملحة إليها<sup>(2)</sup>.

وكان سعد بن معاذ لما شرع الصحابة في أسر المشركين كره ذلك ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجه سعد لما يصنع الناس، فقال له رسول الله: «والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم» قال: أحل والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإنخان بالقتل أحب إلى من استبقاء الرجل<sup>(3)</sup>.

كانت معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للأسرى تحفها الرحمة، والعدل، والحزم، والأهداف الدعوية؛ ولذلك تعددت أساليبه، وتنوعت طرق تعامله عليه الصلوة والسلام، فهناك من قتلهم، وبعضاً منهم قبل فيهم الفداء، وبعض الآخر من عليهم، وأخرون اشترط عليهم تعليم عشرة من أبناء المسلمين مقابل المن عليهم.

**أ- حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم لجوار المطعم بن عدي:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسرى بدر: «لو

<sup>1</sup> (?) مسند الإمام أحمد (1/373)، تفسير ابن كثير (2/325).

<sup>2</sup> (?) انظر: معين السير، ص 209. (3) انظر: التربية الجهادية للغصبان (1/141).

كان مطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النتني لأطلقهم له»<sup>(1)</sup>.

وهذا الحديث تعبير عن الوفاء والاعتراف بالجميل، فقد كان للمطعم مواقف تذكر بخير، فهو الذي دخل الرسول صلى الله عليه وسلم في حواره حينما عاد من الطائف، كما كان من أشد القائمين على نقض الصحيفة يوم حصر المسلمين وبنو هاشم<sup>(2)</sup>.

وهذا يدل على قيمة الوفاء لمواقف الرجال، ولو كانوا مشركين<sup>(3)</sup>.

**بـ- مقتل عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث: وإذا**  
 كان هذا الوفاء لرجل مثل المطعم بن عدي، فلا بد من الحزم مع مجرمي الحرب ورؤوس الفتنة من أمثال عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث، فقد كان من أكبر دعاة الحرب ضد الإسلام، والمتربصين بالمسلمين الدوائر، فبقاوهما يعد مصدر خطر كبير على الإسلام، ولا سيما في تلك الظروف الحاسمة التي تمر بها الدعوة الإسلامية، فلو أطلق سراحهما لما تورعا على سلوك أي طريق فيه كيد للإسلام وأهله، فقتلهم في هذا الطرف ضرورة تقتضيها المصلحة العامة لدعوة الإسلام الفتية<sup>(4)</sup>: ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم عندما وصل إلى الصفراء<sup>(5)</sup>، أثناء رجوعه للمدينة، فلما سمع عقبة بن معيط بأمر قتله قال: يا ويللي، علام أقتل يا معشر قريش من بين من هاهنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعداوتكم لله ولرسوله» قال: يا محمد مَنْك أفضل، فاجعلوني كرجل من قومي، إن قتلتهم، قتلتني، وإن مننت عليهم مننت علي، وإن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم، يا محمد مَنْ للصبية؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النار، قدمه يا عاصم فاضرب عنقه»<sup>(6)</sup> فقدمه عاصم فضرب عنقه<sup>(7)</sup>.

وأما النضر بن الحارث، فقد كان من شياطين قريش، وممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم وإسفندiar، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا ذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب قبليهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم إلى فأنَا أحدكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وإسفندiar، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟<sup>(8)</sup>.

1 (؟) أبو داود في الجهاد، باب المن على الأسبعين، رقم 2689 واسناده صحيح.

2 (؟) انظر: معين السيرة، ص 208. (6) انظر: التربية القيادية (3/54).

3 (؟) انظر: غزوة بدر الكبرى، محمد أحمد باشميل، ص 162.

4 (؟) الصفراء: واد كثیر النخل والزرع والخير.

5 (؟) انظر: مجمع الزوائد (6/89) قال فيه: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.

6 (7) انظر: التربية القيادية (3/60). (5) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (440, 1/439).

7 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

إن هذا الرجل المتعالي على الله والمتأللي عليه، والذي يزعم أنه سينزل أحسن ما أنزل الله، والذي يزعم أنه أحسن حديثاً من محمد لا بد لمثله من يمثل هذا التيار وقد أصبح بين يدي رسول رب العالمين، لا بد أن يُشار لله ولرسوله منه، ومن أجل هذا لم يدخله رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمن نطاق الاستشارة<sup>(1)</sup>، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله، فقتله علي بن أبي طالب<sup>(2)</sup>.

ويمقتل هذين المجرمين تعلم المسلمين أن بعض الطغاة العتاة المعادين لا مجال للتسلّه عليهم، فهم زعماء الشّرّ وقادّة الضلال، فلا هوادة معهم؛ لأنّهم تجاوزوا حد العفو والصفح<sup>(3)</sup> بأعمالهم الشنيعة، فقد كان هذان الرجلان من شرّ عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغيّاً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله<sup>(4)</sup>.

**جـ- الوصية بإكرام الأسرى جانب من المنهج النبوى الكريم:** ولما رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فرق الأسرى بين أصحابه، وقال لهم: «استوصوا بهم خيراً»<sup>(5)</sup> وبهذه التوصية النبوية الكريمة ظهر تحقيق قول الله تعالى: (**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى خُبْءٍ مِسْكِينًا وَيَتَيِّمًا وَأَسِيرًا**) [الإنسان: 8]. فهذا أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير يحدّثنا عما رأى قال: كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالأسرى خيراً»، وكنت في نفر من الأنصار، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشائهم أكلوا التمر، وأطعموني البرّ لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(6)</sup>.

وهذا أبو العاص بن الربيع يحدّثنا قال: كنت في رهط من الأنصار جراهم الله خيراً، كنا إذا تعشينا أو تغدينا أثروني بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل، والتّمر زادهم، حتى إن الرجل لتفع في يده كسرة فيدفعها إلىي، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد، وكانوا يحملوننا ويفسدون<sup>(7)</sup>.

كان هذا الخلق الرحيم الذي وضع أساسه القرآن الكريم في ثنائه على المؤمنين، وذكر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فاتخذوه خلقاً، وكان لهم طبيعة، قد أثر في إسراع مجموعة من أشراف الأسرى وأفاضلهم إلى الإسلام، فأسلم أبو عزيز عقب بدر، بعيد وصول الأسرى إلى المدينة، وتنفيذ وصية رسول الله صلى الله عليه

<sup>1</sup> (?) انظر: التربية القيادية (3/57). <sup>2</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (2/255).

<sup>3</sup> (?) انظر: التربية القيادية (3/60). <sup>4</sup> (?) انظر: البداية والنهاية (3/306). <sup>5</sup> (8) نفس المصدر (3/307).

<sup>6</sup> (?) مجمع الزوائد (6/86) وقال: رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن.

<sup>7</sup> (?) انظر: المغارizi للواقدي (1/119).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**وسلم**، وأسلم معه السائب بن عبيد<sup>(1)</sup> بعد أن فدى نفسه، فقد سرت دعوة الإسلام إلى قلوبهم، وظهرت نفوسهم، وعاد الأسرى إلى يلادهم وأهلיהם يتحدثون عن محمد صلى الله عليه وسلم ومكارم أخلاقه، وعن محبيه وسماته، وعن دعوته وما فيها من البر والتقوى والإصلاح والخير<sup>(2)</sup>. إن هذه المعاملة الكريمة للأسرى شاهد على سمو الإسلام في المجال الأخلاقي، حيث نال أعداء الإسلام في معاملة الصحابة أعلى درجات مكارم الأخلاق، التي تمثل في خلق الإشار<sup>(3)</sup>.

**د- فداء العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم:** بعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أسرأthem، ففدي كل قوم أسييرهم بما رضوا، وقال العباس: يا رسول الله قد كنت مسلماً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أعلم بسلامك، فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك، وأما ظاهرك قد كان علينا، فافتدع نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفك عتبة بن عمرو أخيبني الحارث بن فهر» قال: ما ذاك عندي يا رسول الله، قال: «فain المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها: إن أصبحت في سفري هذا، فهذا المال الذي دفنته لبني الفضل وعبد الله وقثم» قال: والله يا رسول الله إني لا أعلم أنك رسول الله، إن هذا الشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبحت مني عشرين أوقية من مال كان معي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك شيء أعطانا الله تعالى منهك» ففدي نفسك وابني أخيه وحليفه، فأنزل الله عز وجل فيه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَمَنْ فِي أَنْدِيْكُمْ مِّنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتَكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَحَدٌ مِّنْكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَمِيمٌ وَإِنْ بَرِيدُوا حَيَاتِكَ فَقَدْ حَانُوا اللَّهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَمَّا كُلُّهُمْ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَمِيمٌ) [الأనفال: 70، 71]. قال العباس: فأعطاني الله مكان العشرين أوقية في الإسلام عشرين عبداً كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل<sup>(4)</sup>.

هذا والعبرة بعموم اللفظ لا يخصوص السبب، فهذه الآية الكريمة، وإن كانت نزلت في العباس، إلا أنها عامة في جميع الأسرى<sup>(5)</sup>. استأذن بعض الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن اختنا العباس فداءه، قال: «وَاللَّهُ لَا تذرُونَ مِنْ دِرْهَمًا»<sup>(6)</sup> أي لا تتركوا للعباس من الفداء شيئاً، ويظهر أدب الانصار

1 (؟) انظر: محمد رسول الله، عرجون (3/474).

3 (؟) انظر: التاريخ الإسلامي (4/175, 176).

4 (؟) انظر: البخاري في المغازي، باب 12، حديث رقم 4018.

5 (؟) انظر: حديث القرآن الكريم، عن عزوات الرسول (1/132).

6 (؟) فتح الباري (7/321) نقلاً عن المستفاد من قصص القرآن (2/135).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لهم رسول الله: ابن أختنا<sup>(1)</sup>, لتكون المنة عليهم في إطلاقه بخلاف لـ قالوا: (عمك) لكان المنة عليه صلى الله عليه وسلم، وهذا من قوة الذكاء وحسن الأدب في الخطاب، وإنما امتنع النبي صلى الله عليه وسلم عن إجابتهم لئلا يكون في الدين نوع محاباة<sup>(2)</sup>.

وهنا يتعلم الأسرى والمسلمون أيضا درساً بليغاً في عدم محاباة ذوي القربى، بل كان الأمر على خلاف ذلك، فقد أغلا رسول الله الفداء على عمه العباس<sup>(3)</sup>.

ورجع العباس لمكة، وقد دفع فداءه وأبنته أخويه، وأخفى إسلامه، وأصبح يقود جهاز استخبارات الدولة الإسلامية بمكة بمهارة فائقة، وقدرة نادرة حتى انتهى دوره في فتح مكة، فاعلن إسلامه قبلها بساعات<sup>(4)</sup>.

**هـ- أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم:** قالت عائشة رضي الله عنها: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كأنبت لخدية أدخلتها بها على أبي العاص حين بني عليها، قالت: فلما رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا»، فقالوا: (نعم يا رسول الله، فاطلقواه وردوا عليها الذي لها)<sup>(5)</sup>.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عليه، أو وعده أن يخلّي سبيل زينب إليه، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلًا من الأنصار فقال: «كونا بيطن ياجح<sup>(6)</sup> حتى تمر بكم زينب فتصحباها حتى تأتيا بها»<sup>(7)</sup>.

إن أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم لم يُعرف عنه قط موقف في مقاومة الدعوة بأي لون من الوانها، وقد كفّ بده ولسانه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشغله ماله وتجارته وحياؤه من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مواقف الشراسة القرشية في مقاومة الدعوة إلى الله، وفي يدر كان أبو العاص صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين الأسرى الذين لم يسمع لهم في المعركة صوت، ولم يعرف لهم

1 (؟) لأن جدة العباس أم عبد المطلب من بنى النجار من يثرب.

2

(?) انظر: سبل الرشاد للصالحي (4/135).

3

(?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/176).

4

(?) انظر: التربية القيادية (3/68).

5

(?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 261. (2) اسم مكان على ثمانية أميال من مكة.

6

(?) أبو داود في الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال رقم 2692.

7

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

رأي، ولا يشوهدت لهم في قتال جولة، وبعد أن بدأت قريش تفدي أسرابها، أرسلت السيدة زينب بنت رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وزوجة أبي العاص بمال تفديه به، ومع المال قلادة كانت أمها السيدة خديجة رضي الله عنها أهدتها إليها فادخلتها بها على زوجها للتحلي بها، فلما رأى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قلادة ابنته رق لها رقة شديدة، إذ كانت هذه القلادة الكريمة مبعث ذكريات أبوية عنده **صلى الله عليه وسلم**، وذكريات أسرية، وذكريات عاطفية، فالنبي **صلى الله عليه وسلم** أب، له من عواطف الآية أرفع منازلها في سجل المكارم الإنسانية وأشرفها في فضائل الحياة، فتواثبت إلى خياله نفسه الكريمة المكرمة اسمى مشاعر الرحمة، وتزاحمت على فؤاده الأطهر عواطف الإننان والحنين، فتوجه إلى أصحابه متلطفاً يتطلب إليهم في رحاء الأعز الأكرم، رحاء يدفعهم إلى العطاء ولا يسلهم حقهم في الفداء لو أنهم أرادوا الاحتفاظ بهذا الحق وهو في أيديهم يملكون التصرف فيه، فقال لهم: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا».

وهذا أسلوب من أبلغ وألطف ما يسري في حنايا النفوس الكريمة، فيطوعها إلى الاستجابة الراغبة الراضية رضاه يتم عن الغبطة والبهجة<sup>(1)</sup>.

إن هذا الموقف وما يظهر منه من مظاهر الرحمة والعطف منه **صلى الله عليه وسلم** على ابنته، يحمل في طياته مقصداً آخر وهو أنه كان يتالف صهره للإسلام بذلك، لما عرف عنه من العقل السديد، والرأي الرشيد، فقد كان **صلى الله عليه وسلم** يثني عليه وهو على شركه بحسن المعاملة<sup>(2)</sup>.

**و- أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي بين الرحمة والحزن النبوبي:** كان محتاجاً ذا بنات قال: يا رسول الله، لقد عرفت ما لي من مال، وإنني لذو حاجة، ذو عيال فامتن علىي، فمن عليه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأخذ عليه إلا يظاهر عليه أحداً فقال أبو عزة يمدح رسول الله **صلى الله عليه وسلم** على ذلك:

بأنك حق والملك حميدٌ  
 منْ مبلغ عنِي الرسول  
 حمداً<sup>(3)</sup>

لها درجات سهلة وصعوبة

شقيٌّ ومن سالمته لسعيدٌ

تأوّبٌ ما بي، حسرة وقعود

فإنك من حاربته لمحاربٌ

ولكن إذا ذكرت بدراً وأهله

1 (?) انظر: محمد رسول الله، عرجون 480/3-487.

2 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي 183/4. (2) مباءة: مكانة رفيعة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

قال ابن كثير: ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه، ولعب المشركون بعقله فرجع إليهم، فلما كان يوم أحد أسر أيضا، فسأل من النبي صلى الله عليه وسلم أن يمن عليه أيضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا أدعك تمسح عارضيك، وتقول: خدعت محمدًا مرتين»، ثم أمر به فضربت عنقه<sup>(1)</sup>.

فكان النبي صلى الله عليه وسلم به رحيمًا وعفا عنه، وأطلق سراحه بدون فداء لما ذكر أبو عزه فقره وما لديه من بنات يعولهن، ولكنه لم يف لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما عاهده من لزوم السلم وعدم إثارة الحرب ضده، فوقع أسيئًا في معركة أحد، فكان موقف النبي صلى الله عليه وسلم منه الحزم فامر بضرب عنقه.

ز- سهيل بن عمرو ووقوعه في الأسر وماذا قالت سودة رضي الله عنها: قال عبد الرحمن بن أسعد بن زراره: (قدما بالأسارى حين قدم بهم المدينة، وسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يضرب الحجاف، قالت سودة: فوالله إني لعندهم إذ أتينا فقيل: هؤلاء الأسارى قد أتى بهم، فرجعت إلى بيتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، فإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة ويداه مجموعتان إلى عنقه بحبيل، فوالله ما ملكت حين رأيت أبي يزيد كذلك أن قلت: أبي يزيد أعطيتكم بأيديكم لا تم كراماً.. فما اتبهت إلا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت: «يا سودة أعلى الله ورسوله تحرضين؟» فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبي يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بالحبيل أن قلت ما قلت)<sup>(2)</sup>.

وفد مكرز بن حفص بن الأخفيف في فداء سهيل بن عمرو، فلما فاوض المسلمين وانتهى إلى رصائهم قالوا: هات الذي لنا، قال لهم مكرز بن حفص: أجعلوا رجلي مكان رجله، وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بعده، فخلوا سبيل سهيل وحبسوه مكرزاً عندهم، وجاء في حديث مرسل أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: دعني انزع ثيبة سهيل بن عمر، يدخل لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن آخر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً»<sup>(3)</sup> ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه»<sup>(4)</sup>.

قال ابن كثير: وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدى العرب، ونجم النفاق بالمدينة

<sup>1</sup> (?) انظر: البداية والنهاية (3/313).

<sup>2</sup> (?) انظر: السيرة النبوية، لمحمد الصوibاني (2/200) وسنده صحيح.

<sup>3</sup> (?) انظر: البداية والنهاية (3/311) وقال ابن كثير: مرسل بل معضل.

<sup>4</sup> (?) انظر: البداية والنهاية (3/311).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

وغيرها، فقام بمكة فخطب في الناس وثبتهم على الدين الحنيف<sup>(1)</sup>، فقد قال في ذلك: يا معشش قريش، لا تكونوا آخر الناس إسلاماً وأولهم ردة، من رأينا ضربنا عنقه<sup>(2)</sup>.

فقد أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزع ثنية سهيل، ورأى أن ذلك من باب التمثيل وتشويه خلقة الإنسان، وقال لعمر: «لا أمثل به فيمثل الله بي، وإن كنتنبياً» وهذا نموذج من منهج رسالته صلى الله عليه وسلم وضعه ليكون نبراساً لأمته في انتصاراتها على أعدائها<sup>(3)</sup>.

**ح- التعليم مقابل الفداء:** قال ابن عباس: كان ناس من الأسرى يوم بدر ليس لهم فداء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة<sup>(4)</sup>؛ وبذلك شرع الأسرى يعلمون علمان المدينة القراءة والكتابة، وكل من يعلم عشرة من العلمان يفدي نفسه<sup>(5)</sup>. وقبول النبي صلى الله عليه وسلم تعليم القراءة والكتابة بدل الفداء في ذلك الوقت الذي كانوا فيه باشد الحاجة إلى المال يربينا سمو الإسلام في نظرته إلى العلم والمعرفة، وإزالة الأمية، وليس هذا يجيئ من دين كان أول ما نزل من كتابه الكريم: (اقرأ باسم ربكم الذي خلقكم خلق الانسان من علقي اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم) [العلق: 4-1]. واستفاضت فيه نصوص القرآن والسنة في الترغيب في العلم وبيان منزلة العلماء، وبهذا العمل الجليل يعتبر النبي صلى الله عليه وسلم أول من وضع حجر الأساس في إزالة الأمية وإشاعة القراءة والكتابة، وأن السبق في هذا للإسلام<sup>(6)</sup>.

**ط- حكم الأسرى:** إن حكم الأسرى في الإسلام مفوض إلى رأي الإمام ليختار حكماً من أربعة، وعلى الإمام أن يراعي مصلحة المسلمين العامة، والأحكام الأربع هي:

1- القتل: وقد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط والنصر بن الحارث.

2- المن: وهو إطلاق الأسير بدون مقابل، وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي عزة الجمحي.

3- الفداء: إطلاق سراح الأسير مقابل مبلغ من المال، وهذا ما حدث مع العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، ونوفل بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب وغيرهم.

2 (؟) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (4/181).

3 (؟) انظر: محمد رسول الله، عرجون (3/474).

4 (؟) انظر: صحيح السيرة (3/3).

5 (؟) انظر: صحيح البخاري، ص 261.

6 (؟) انظر: التربة القيادية (3/74).

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/164، 165).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

+

+

49

**الاسترقاق:** وقد حكم سعید بن معاذ<sup>٤</sup> في يهودبني قريطة أن يقتل المحاربون وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء<sup>(٧)</sup>.

\* \* \*

<sup>7</sup> (?) انظر: غزوة بدر الكبرى، ص 101.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## المبحث السادس

### نتائج غزوة بدر ومحاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم

#### أولاً: نتائج غزوة بدر:

1- كان من نتائج غزوة بدر أن قويت شوكة المسلمين، وأصبحوا مرهوبين في المدينة وما جاورها، وأصبح على من يريد أن يغزو المدينة أو ينال من المسلمين أن يفكر ويفكّر قبل أن يقدم على فعلته، وتعززت مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، وارتفع نجم الإسلام فيها، ولم يعد المتشككون بالدعوة الجديدة والمشركون في المدينة يتجرؤون على إظهار كفرهم وعداوتهم للإسلام؛ لذا ظهر النفاق والمكر والخداع، فأعلن فريق منهم إسلامهم ظاهراً أمام النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، فدخلوا في عداد المسلمين، وأبقوا على الكفر باطنًا، فظلوا في عداد الكفار، فلا هم مسلمون مخلصون في إسلامهم، ولا هم كافرون ظاهرون يكفرهم وعداوتهم للمسلمين، قال تعالى: (مُذَدِّيَنْ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هُؤُلَاءِ وَمَن يَضْلِلَ اللَّهُ فَلَن تَحْدَدَ لَهُ سَبِيلًا) [النساء: 143]، ومن أجل هذا الموقف المتذبذب شعن الله عليهم، وسمع بهم في كثير من أياته، وتوعدهم بإشد أنواع العذاب، قال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُجَاتِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَحْدَدَ لَهُمْ تَصِيرًا) [النساء: 145].

ومن نتائج موقعة بدر ازدياد ثقة المسلمين بالله سبحانه وتعالى وبرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وارتفاع دينهم وقوتهم، ودخول عدد كبير من مشركي قريش في الإسلام، وقد ساعد ذلك على رفع معنويات المسلمين المستضعفين الذين كانوا لا يزالون في مكة، فاغتبطت نفوسهم بنصر الله، واطمأنّت قلوبهم إلى أن يوم الفرج قريب فازدادوا إيماناً على إيمانهم وثباتاً على عقيدتهم.

إلى جانب ذلك، فقد كسب المسلمون مهارة عسكرية، وأساليب جديدة في الحرب، وشهرة واسعة في داخل الجزيرة العربية وخارجها، إذ أصبحوا قوة يحسب لها حسابها في بلاد العرب، فلا تهدد زعامة قريش وحدها، بل زعامة جميع القبائل العربية المنتشرة في مختلف الأصقاع والأماكن، كما أصبح للدولة الجديدة مصدر للدخل من غنائم الجهاد؛ وبذلك انتعش حال المسلمين المادي والاقتصادي بما أفاء الله عليهم من غنائم بعد بؤس وفقر شديدين داماً تسعه عشر شهرًا<sup>(1)</sup>.

2- أما قريش فكانت خسارتها فادحة فإذاً إلى مقتل أبي جهل بن هشام وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وغيرهم من زعماء الكفر

<sup>1</sup> (?) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، د. علي معطي، ص 274، 275.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

الذين كانوا من أشد القرشيين شجاعة وقوة وبأساً، ولم تكن غزوة بدر خسارة حرية لقريش فحسب، بل خسارة معنوية أيضاً، ذلك أن المدينة لم تعد تهدد تجاراتها فقط، بل أصبحت تهدد أيضاً سيادتها ونفوذها في الحجاز كله<sup>(1)</sup>، كان خبر الهزيمة على أهل مكة كالصاعقة، ولم يصدقوا ذلك في بداية الأمر، قال ابن إسحاق رحمه الله: (وكان أول من قدم بمكة بمصاب قريش الخميسان بن عبد الله الخزاعي، فقالوا له: ما وراءك؟).

قال: قُتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبيه ومنبه أبا الحاج، وأبو البختري بن هشام، فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية: والله إن يعقل هذا فسلوه عنني؟ فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هو ذاك جالس في الحجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا<sup>(2)</sup>.

وهذا أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص علينا أثر خبر هزيمة قريش على أبي لهب -لعنه الله- حيث قال: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، وأسلمت أم الفضل وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مآل كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر فيبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة.. فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كتبه الله وأخذه ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزّةً.

قال: كنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل القداح وأنجتها في حجرة زمم، فوالله إنني لجالس فيها أتحت القداح وعندى أم الفضل (زوجة العباس بن عبد المطلب) جالسة وقد سرّنا ما جاءتنا من الخبر، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه بشّرّ حتى جلس على طنب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهرى فيبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب قد قدم، فقال: أبو لهب: هلم إلىَّ فعندي لعمري الخبر، قال: جلس إليه والناس قيام عليه فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحنناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاؤوا ويا سرورنا كيف شاؤوا، وایم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، والله ما تليق<sup>(3)</sup> شيئاً، ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت: تلك والله الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة، قال: وثارته فاحتمني وضرب بي الأرض ثم برّ علّيَّ يضربني وكنت

1 (؟) انظر التاريخ السياسي والعسكري، ص 375، 376.  
2 (؟) انظر: صحيح السيرة النبوة، ص 257.  
3 (3) تليق: أي تبقى.

رجلًا ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضررت به ضربة فلعت<sup>(1)</sup> في رأسه شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده، فقام مولياً ذليلاً، ثم مات بعد سبع ليال بالعدسة<sup>(2)</sup> فقتلته<sup>(3)</sup>. وأم الفضل بنت الحارث زوجة العباس بن عبد المطلب وأخت ميمونة أم المؤمنين وخالة خالد بن الوليد، وهي أول امرأة أسلمت بعد خديجة<sup>(4)</sup> رضي الله عنهن.

لقد تركت غزوة بدر بنفوس أهل مكة المشركين كمداً وأحزاناً وألاماً بسبب هزيمتهم ومن فقدوا وأسروا، فهذا أبو لهب لم يلبث أن أصيب بعلة ومات، وهذا أبو سفيان فقد ابنه وأسر له ابن آخر وما من بيت من بيوت مكة إلا وفيه مناحة على قتل عزيز أو قريب، أو أسر أسير، فلا عجب أن كانوا صمموا في أنفسهم على الآخذ بالثار، حتى إن بعضهم حرم على نفسه الاغتسال<sup>(5)</sup> حتى يأخذ بالثار من أذلوهم، وقتلوا أشرفهم وصناديقهم، وانتظروا يتربون الفرصة للقاء المسلمين والانتصاف منهم، فكان ذلك في أحد<sup>(6)</sup>.

**3- أما اليهود فقد هالهم أن ينتصر المسلمون في بدر، وأن تقوى شوكتهم فيها، وأن يعز الإسلام ويظهر على دينهم ويكون لرسوله دونهم الحظوظ والمكانة، فصمموا على نقض العهد الذي عاهدوا عليه النبي صلى الله عليه وسلم عندما قدم المدينة، وأظهروا عداوتهم التي كانت كامنة في نفوسهم، وأخذوا يجاهرون بها القوم ويعلنون، ثم راحوا ي Kiddون للإسلام ولرسوله، ويعملون للقضاء عليه بكل الوسائل المتاحة لديهم<sup>(7)</sup>، ويدعوا يتحرشون بالنبي صلى الله عليه وسلم وال المسلمين، وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخفى عليه شيء من ذلك فقد كان يراقبهم عن حذر وبقطة، حتى استخروا بالمقربات الخلقية، والحرمات التي يعتز بها المسلمين واستعلنوا بالعداوة فلم يكن بد من حربهم وإجلائهم عن المدينة<sup>(8)</sup>.**

**ثانياً: محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم وإسلام عمير بن وهب (شيطان قريش):**

قال عروة بن الزبير: حلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أممية في الحجر، بعد مصاب أهل بدر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذى

1 (?) فلعت: شقت

2

3 (?) العدسة: قرحة قاتلة كالطاعون، وقد عدس الرجل: إذا أصابه ذلك.

4

5 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (2/258).

6

7 (?) هو أبو سفيان بن حرب نذر ألا يمس رأسه من ماء جنابة حتى يغزو المسلمين.

8

8 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/171).

7 (?) انظر: التاريخ السياسي العسكري، د. عصمة الدين كرك، ص 274.

6 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/171).

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويلقون منه عنا<sup>(1)</sup> وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صحفاً: (وَاللَّهِ مَا فِي الْعِيشِ بَعْدُهُمْ خَيْرٌ). قال له عمير: صدقتك، أما والله لولا دين علي ليس عندي قضاوه، وعيال أخشي عليهم الضيعة<sup>(2)</sup> بعدى، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علة<sup>(3)</sup>، ابني أسير في أديتهم.

قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال: على دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسفهم<sup>(4)</sup> ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم على شاني وشأنك. قال: أفعل.

قال: ثم أمر عمير سيفه، فتشحذ وسُمّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويدركون ما أكرمه الله به، وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد آنَّا راحلته على باب المسجد متتوشحاً سيفه، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشرّ وهو الذي حرض علينا، وحرزنا للقوم يوم بدر. ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله هذا عدو الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متتوشحاً سيفه. قال صلى الله عليه وسلم: «فَادْخُلْهُ عَلَيَّ»<sup>(5)</sup> قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحملة<sup>(5)</sup> سيفه في عنقه فلبيه<sup>(6)</sup> بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحدروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر أخذ بحملة سيفه في عنقه قال: «أرسله يا عمر، ادْنُّ يا عمير».

فدنا ثم قال: انعموا صباحاً، وكانت تحيية أهل الحاهليه بينهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَكْرَمْنَا اللَّهَ بِتَحْيَةِ خَيْرٍ مِّنْ تَحْيَتِكَ يَا عَمِيرَ، بِالسَّلَامِ تَحْيَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ»<sup>(7)</sup>.

قال: أما والله، يا محمد إن كنت بها لحديث عهد.

قال: «فَمَا جَاءَ بَكَ يَا عَمِير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فاحسنوا فيه.

قال: «فَمَا بَالِ السَّيْفِ فِي عَنْقِكَ؟» قال: قَبَّحَهَا اللَّهُ مِنْ سَيْفٍ! وهل أغنت عنا شيئاً؟!! قال: «اصدقني ما الذي جئت به؟» قال: ما جئت إلا لذلك.

(1) عنا: التعب.

1

(2) الضيعة: الصياع والتشتت.

2

(3) العلة: السبب.

3

(?) أواسفهم: أقوم على أمرهم ومؤوتهم.

4

(?) حملة السيف: ما يربط به السيف على الجسم.

5

(6) لبيه: قيده.

6

(?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 259.

7

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

قال: «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دينُ عليٍّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدًا، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك».

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لا علم ما أراك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المنساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَقَهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ، وَعَلَمُوهُ الْقُرْآنَ، وَأَطْلَقُوا أَسِيرَهُ فَفَعَلُوا».

ثم قال: يا رسول الله إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل، وأنا أحب أن تاذن لي فأقدم مكة فادعوهم إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإن أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذى أصحابك في دينهم، قال: فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وگان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب، يقول: أبشروا بوعرة تأنيكم الان في أيام تتباسكم وقعة بدر، وگان صفوان يسأل عن الركبان، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبدًا، ولا ينفعه بنفع أبدًا»<sup>(1)</sup>.

### وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

1- حرص المشركين على التصفية الحسدية للدعاة، فهذا صفوان بن أمية وعمير بن وهب يتفقان على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يرشدنا إلى أن أعداء الدعوة قد لا يكتفون برفض الدعوة، والتشويش عليها، وصد الناس عنها، بل يريدون اغتيال الدعاة، وتدبير المؤامرات لقتلهم، وقد يستأجرن المجرمين لتنفيذ هذا الغرض الخسيس<sup>(2)</sup>. وقد يستغل الأغنياء المترفون من أعداء الدعوة حاجة الفقراء وفقرهم فيوجهونهم لقاء مبلغ من المال إلى خدمة ماربهم، وإن أدى ذلك إلى هلاكهم، فها هو صفوان قد استغل فقر عمير وقلة ذات يده وذئنه ليرسله إلى هلاكه<sup>(3)</sup>.

2- ظهور الحس الأمني الرفيع الذي تميز به الصحابة رضي الله عنهم، فقد أتبه عمر ابن الخطاب لمجيء عمير بن وهب وحذره منه، وأعلن أنه شيطان ما جاء إلا لشّر، فقد كان تاريخه معروفاً لدى عمر، فقد كان يؤذى المسلمين في مكة، وهو الذي حرث على قتال المسلمين في بدر، وعمل على جمع معلومات عن عددهم؛ ولذلك شرع عمر فيأخذ الأساليب لحماية الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن جهة فقد أمسك بحملة سيف عمير الذي في عنقه بشدة

<sup>1</sup> (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 260.

<sup>2</sup> (?) انظر: المستفاد من فصص القرآن (2/159).

<sup>3</sup> (?) انظر: غزوة بدر الكبرى لابي فارس، ص 82.

فقطله عن إمكانية استخدام سيفه للاعتداء على الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر نفرًا من الصحابة بحراسة النبي صلى الله عليه وسلم.

**3-** الاعتراض بتعاليم هذا الدين، فقد رفض صلى الله عليه وسلم أن يتعامل بتحية الجاهلية، ولم يرد على تحية عمير حين قال له: أنعموا صباحًا، وأخبره بأنه لا يحيي بتحية أهل الجاهلية؛ لأن الله تعالى أكرم المسلمين بتحية أهل الجنة.

**4-** سمو أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد أحسن إلى عمير، وتجاوز عنه وعفا عنه مع أنه جاء ليقتلته<sup>(1)</sup>، بل أطلق ولدم الأسير بعد أن أسلم عمير وقال لأصحابه: «فَقَهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ، وَأَقْرَئُوهُ الْقُرْآنَ وَأَطْلَقُوا لَهُ أَسِيرَهُ»<sup>(2)</sup>.

**5-** قوة إيمان عمير، فقد قرر أن يواجه مكة كلها بالإسلام، وقد أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفعل، وواجه، وتحدى، وعاد أدراجه إلى المدينة، وأسلم على بيده ناس كثير، وكان حين تعدد الرجال يطرح عمر<sup>1</sup> ممن يزن عنده ألف رجل، وكان أحد الأربعين الذين أمد بهم أمير المؤمنين عمر، عمرو بن العاص -رضي الله عنهم- الذين كان كل واحد منهم بالف<sup>(3)</sup>.

\* \* \*

1 (?) انظر غزوة بدر الكبرى، ص 83.

2 (?) انظر: صحيح السيرة النبوة، ص 260.

3 (?) انظر: التربية القيادية، (3/73).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

## المبحث السابع

### بعض الدروس وال عبر والفوائد من غزوة بدر

#### أولاً: حقيقة النصر من الله تعالى:

إن حقيقة النصر في بدر كانت من الله تعالى قال سبحانه وتعالى: (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ الْيُنْصِرَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: )  
**وَمَا حَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا يُشْرِئُ لَكُمْ وَلَتَطْمَئِنَّ فَلَوْلَيْكُمْ بِهِ وَمَا التَّنْصُرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ [آل عمران: 126]**, قوله تعالى: ( **وَمَا حَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا يُشْرِئُ وَلَتَطْمَئِنَّ بِهِ فَلَوْلَيْكُمْ وَمَا التَّنْصُرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** [الأفال: 10].

في هاتين الآيتين تأكيد على أن النصر لا يكون إلا من عند الله عز وجل، والمعنى: ليس النصر إلا من عند الله دون غيره، (العزيز) أي: ذو العزة التي لا ترام<sup>(1)</sup>، (والحكيم) أي: الحكيم فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته سبحانه وتعالى<sup>(2)</sup>.

ويستفاد من هاتين الآيتين: تعليم المؤمنين الاعتماد على الله وحده، وتفويض أمرهم إليه مع التأكيد على أن النصر إنما هو من عند الله وحده، وليس من الملائكة أو غيرهم، فالأسباب يجب أن يأخذ بها المسلمين، لكن يجب أن لا يغتروا بها، وأن يكون اعتمادهم على خالق الأسباب حتى يمدthem الله بنصره وتوفيقه، ثم بين سبحانه مظاهر فضلهم على المؤمنين، وأن النصر الذي كان في بدر، وقتلهم

المشركين، ورمي النبي صلى الله عليه وسلم المشركين بالتراب يوم بدر إنما كان في الحقيقة بتوفيق الله أولاً وبفضلهم ومعونته. وبهذه الآية الكريمة يربّي القرآن المسلمين ويعملهم الاعتماد عليه، قال تعالى: ( **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُنْبَلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** [الأفال: 17]. ولما بين سبحانه وتعالى أن النصر كان من عنده، وضح بعض الحكم من ذلك النصر، قال تعالى: ( **لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الظِّنَنِ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا حَائِنِينَ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَثُوبُ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ طَالِمُونَ** [آل عمران: 127، 128].

وأمر سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتذكروا دائماً تلك النعمة العظيمة؛ نعمة النصر في بدر، ولا ينسوا من أذهانهم كيف كانت حالتهم قبل النصر، قال تعالى: ( **وَإِذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلُ مُسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَحَطَّفُكُمُ النَّاسُ**

<sup>1</sup> (?). انظر: تفسير ابن كثير (1/411).

<sup>2</sup> (?). انظر: تفسير ابن كثير (2/302). نقلً عن حديث القرآن الكريم عن غزوات

الرسول صلى الله عليه وسلم (105-1/97).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**فَآتَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقُكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ ) [الأنفال: 26].**

**ثانيًا: يوم الفرقان:**

سمى يوم بدر يوم الفرقان، ولهذه التسمية أهمية عظيمة في حياة المسلمين، وقد تحدث الاستاذ سيد قطب عن وصف الله تعالى ليوم بدر بأنه يوم الفرقان في قوله تعالى: **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَنْمِنْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَلَنْ لَهُ خُمُسَةُ وَلَلرَّسُولُ وَلَذِي الْقَرْبَى وَالْبَيْتَمِيِّ وَالْمَسَاكِينُ وَإِنَّ السَّبِيلَ إِنْ كَيْنُمْ أَمْتَهِمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْنَا عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقْيَى الْجَمِيعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الأنفال: 41].** فقال: كانت غزوة بدر، التي بدأت وانتهت بتدبر الله وتوجيهه وقيادته ومدده، فرقاً بين الحق والباطل، كما يقول المفسرون، أحمالاً، وفرقانًا بمعنى أشمل وأدق وأوسع وأعمق كثيراً. كانت فرقانًا بين الحق والباطل.. ولكن الحق الأصيل الذي قامت عليه السماوات والأرض، وقادت عليه فطرة الأحياء والأشياء.. الحق الذي يتمثل في تفرد الله سبحانه بالألوهية والسلطان والتدبر والتقدير، وفي عبودية الكون كله سمائه وأرضه، أشيائه وأحيائه، لهذه الألوهية المتفرة، ولهذا السلطان المتوحد، ولهذا التدبر وهذا التقدير بلا معقب ولا شريك، والباطل الزائف الطارئ الذي كان يعم وجه الأرض إذ ذاك، ويعيش على ذلك الحق الأصيل، ويقيم في الأرض طواغيت تتصرف في حياة عباد الله بما تشاء، وأهواء تصرف أمر الحياة والأحياء، فهذا الفرقان الكبير الذي تم يوم بدر، حيث فرق بين ذلك الحق الكبير، وهذا الباطل الطاغي، وزيل بينهما فلم يعودا يتلبسان.

لقد كانت فرقانًا بين الحق والباطل بهذا المدلول الشامل الواسع الدقيق العميق، على أبعاد وأمامات، كانت فرقانًا بين هذا الحق وهذا الباطل في أعماق الضمير؛ فرقانًا بين الوحدانية المجردة المطلقة بكل شعبها في الضمير والشعور، وفي الخلق والسلوك، وفي العبادة والعبودية، وبين الشرك في كل صوره التي تشمل عبودية الضمير لغير الله من الأشخاص، والأهواء والقيم والأوضاع والتقاليد والعادات، وكانت فرقانًا بين هذا الحق وهذا الباطل في الواقع الظاهر، كذلك فرقانًا بين العبودية الواقعية للأشخاص، والأهواء، وللقيم والأوضاع والشرائع والقوانين وللتقاليد والعادات، وبين الرجوع في هذا كله لله الواحد الذي لا إله غيره، ولا مسلط سواه، ولا حاكم دونه، ولا مشرع إلا إياه، فارتقت الهامات لا تنحني لغير الله، وتساوت الرؤوس فلا تخضع إلا لحاكميته وشرعيه، وتحررت القطعان البشرية التي كانت مستعبدة للطغاة.

**وكانت فرقانًا بين عهدين في تاريخ الحركة الإسلامية: عهد المصابرة والصبر والتجمع والانتظار، وعهد القوة والحركة والمبادرة**

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

والاندفاع، والإسلام بوصفه تصوّرًا جديداً للحياة، ومنهجاً جديداً للوجود الإنساني، ونظاماً جديداً للمجتمع، وشكلًا جديداً للدولة، بوصفه إعلاناً عاماً لتحرير الإنسان في الأرض بتقرير الوهية الله وحده وحاكميته، ومطاردة الطواغيت التي تغتصب الوهيتها<sup>(1)</sup>.

إلى أن قال: وأخيراً فلقد كانت بدر فرقاً بين الحق والباطل بمدلول آخر، ذلك المدلول الذي يوجي به قول الله تعالى: (وَإِذْ يَعْدُكُمُ اللَّهُ أَخْذِي الطَّائِقَتِينَ أَبْهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّ الْحَقَّ بِكَلْمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحَقِّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُخْرَمُونَ). لقد كان الذين خرجوا للمعركة من المسلمين إنما خرجوا يريدون غير أبي سفيان واغتيام القافلة، فأراد الله لهم غير ما أرادوا، أراد لهم أن تفلت منهم قافلة أبي سفيان (غير ذات الشوكة)، وأن يلاقوها نغير أبي جهل (ذات الشوكة)، وأن تكون معركة وقتاً وقتلاً وأسرًا، ولا تكون قافلة وغنية ورحلة موبيحة، وقد قال الله سبحانه: إنه صنع هذا (لِيُحَقِّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ) وكانت هذه إشارة لتقرير حقيقة كبيرة، إن الحق لا يتحقق وإن الباطل لا يبطل - في المجتمع الإنساني - بمجرد البيان النظري للحق والباطل، وإن بمجرد الاعتقاد النظري بأن هذا حق وهذا باطل، إن الحق لا يتحقق وإن الباطل لا يبطل، ولا يذهب من دنيا الناس، إلا بآن يتحطم سلطان الباطل ويعلو سلطان الحق، وذلك لا يتم إلا بأن يغلب جند الحق وبطهروا وبهزم جند الباطل ويندحروا، فهذا الدين منهج حركي واقعي، لا مجرد نظرية للمعرفة والجدل، أي لمجرد الاعتقاد السلبي.

ولقد حق الحق وبطل الباطل بالموقعة، وكان هذا النصر العملي فرقاً واقعياً بين الحق والباطل بهذا الاعتبار الذي أشار إليه قول الله تعالى في معرض بيان إرادته سبحانه من وراء المعركة، ومن وراء إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق، ومن وراء إفلات القافلة (غير ذات الشوكة) ولقاء الفتنة ذات الشوكة. ولقد كان كل فرقاً بين منهج هذا الدين ذاته، تتضح به طبيعة هذا المنهج وحقيقة في حس المسلمين أنفسهم.. وأنه لفرقان ندرك به اليوم ضرورته، حينما ننظر إلى ما أصاب مفهومات هذا الدين من تمييع في نفوس من يسمون أنفسهم مسلمين، حتى ليصل هذا التمييع إلى مفهومات بعض من يقومون بدعاوة الناس إلى هذا الدين، وهكذا كان يوم بدر: (يَوْمَ الْفَرْقَانِ يَوْمَ النَّقْيِ الْجَمِيعَانِ) [الأنفال: 41]. بهذه المدلولات المتنوعة الشاملة العميقية، والله على كل شيء قادر، وفي هذا اليوم مثل من قدرته على كل شيء، مثل لا يجادل فيه مجادل، ولا يماري فيه ممار.. مثل من الواقع المشهود، الذي لا سبيل إلى تفسيره إلا بقدرة الله. وأن الله على كل شيء قادر<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> (؟) انظر: في طلال القرآن (1521/3).

<sup>2</sup> (؟) انظر: في طلال القرآن (1523/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

### ثالثاً: الولاء والبراء من فقه الإيمان:

رسمت غزوة بدر لأجيال الأمة صوراً مشرقة في الولاء والبراء، وجعلت خطأ فاصلاً بين الحق والباطل، فكانت الفرقان النفسي والمادي والمفاسدة الناتمة بين الإسلام والكفر، وفيها تجسدت هذه المعاني، فعاشها الصحابة واقعاً مادياً وحقيقة نفسية، وفيها تهافت القيم الجاهلية، فالتفى ابن أبيه والأخ بأخيه:

**1-** كان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة في صف المسلمين، وكان أبوه عتبة وأخوه الوليد وعمه شيبة في صف المشركين، وقد قتلوا جميعاً في المبارزة الأولى.

**2-** كان أبو بكر الصديق في صف المسلمين.. وكان ابنه عبد الرحمن في صف المشركين.

**3-** كان مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير في صف المشركين، ثم وقع أسيراً في يد أحد الأنصار، فقال مصعب للأنصار: شد يدك به فإن أمه ذات مداع، فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصيتك بي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك، تلك كانت حقائق وليس مجرد كلمات: إنه أخي دونك<sup>(1)</sup>، إنها القيم المطروحة للتقوم الإنسانية على أساسها، فإذا العقيدة هي أصرة النسب والقرابة وهي الرباط الاجتماعي<sup>(2)</sup>.

**4-** كان شعار المسلمين في بدر (أَحْدُ، أَحْدُ) وهذا يعني أن القتال في سبيل عقيدة تمثل بالعبودية للإله الواحد، فلا العصبية ولا القبلية، ولا الأحقاد والضغائن، ولا التار هو الباعث والمحرك، ولكنه الإيمان بالله وحده.

ومن هذا المنطلق كانت صور الإيمان مختلفة المظاهر واحدة في مضمونها<sup>(3)</sup>، وللإيمان فقه عظيم، ومن هذا الفقه حينما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، هاجر إليها كل من استطاع ذلك من المسلمين في مكة، وحبس من كان مصطهدًا ولم يستطع ذلك، فلما كان يوم بدر كان بعض هؤلاء في صف المشركين منهم: عبد الله بن سهيل بن عمرو، والحارث بن زمعة بن الأسود، وأبو قيس بن الفاكه، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه.

فأما عبد الله بن سهيل بن عمرو فقد انحاز من صف المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد المعركة، وكان أحد الصحابة الذين نالوا هذا الشرف العظيم<sup>(4)</sup>.

وأما الآخرون فلم يفعلوا ذلك، وشهدوا المعركة في صف

1 (؟) انظر: البداية والنهاية (3/307). (2) انظر: معين السيرة، ص 213.  
2 (؟) المصدر نفسه، ص 217. (4) انظر: معين السيرة، ص 217.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

المشركين وقد أصيبوها جميعاً<sup>(1)</sup> فقتلوا تحت راية الكفر، فنزل في حكمه قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوْفَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِبِي أَنفُسَهُمْ قَاتِلُوا فِيمَا كَنَّ يَنْتَهُمْ قَاتَلُوا كَمَا مُسْتَحْيَيْفِينَ فِي الْأَرْضِ قَاتَلُوا أَمْ لَمْ يَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَا حَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءُتْ مَصِيرًا) [ النساء: 97].

قال ابن عباس: كان قوم من المسلمين أقاموا بمكة، وكانوا يستخفون بالإسلام، فآخر جهم المشركين يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا على الخروج، فنزلت: (إِنَّ الَّذِينَ تَوْفَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ) إنهم لم يغذروا إذ كانت إمكانات الانتقال إلى صف المؤمنين متوفرة، ولم يكن الفاصل كبيراً بين الصفيين، ولن يعدموا لو أرادوا الفرصة في الانتقال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل عبد الله بن سهيل<sup>(2)</sup>.

إن للإيمان مستلزمات تعبر عن صدقه وقوته، ومن مستلزماته استعلاؤه على كل القيم مما سواه، فإذا كان كذلك كان لأصحابه الآخر الفعال، والقوة الفاعلة في بناء الحق والخير الذي أراده الله، إن الإيمان يصبح السلوك، فإذا به يشع من خلال الحركة والجهد، ومن خلال الكلمة والابتسامة، ومن خلال السمت والانفعال؛ ولذا لم يغذر الذين كانوا في صف المشركين؛ لأن الإيمان الذي ادعوه لم توجد له مستلزمات فلم يؤت ثماره<sup>(3)</sup>.

ولهذا الفهم العميق لفقه الإيمان ضرب الصحابة الكرام في بدر مثلاً علينا لصدق الإيمان، التي تدل على أنهم أثروا رضاه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على حب الوالد والولد والأهل والعشيرة، فلا يعجب المسلم من ثناء الله تعالى على هذه المواقف الصادقة في قوله تعالى: (لَا تَحْدُدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلُوْ كَانُوا أَبَاءُهُمْ أَوْ أَبْنَاءُهُمْ أَوْ أَخْوَانَهُمْ أَفْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْ لِئَلَّكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَنْدَهُمْ بُرُوجٌ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ حَنَّاتٍ تَخْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حَالَدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْ لِئَلَّكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [المجادلة: 22].

#### رابعاً: المعجزات التي ظهرت في بدر وما حولها:

من المعجزات التي ظهرت على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر أخباره عن بعض المعجزات، ومن المعلوم أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده، وقد أضافه الله تعالى إلى نفسه الكريمة في غير آية من كتابه العزيز، قال تعالى: ( قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ

<sup>1</sup> (? ) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (2/253).

<sup>2</sup> (? ) انظر: معين السيرة، ص 217. (2) انظر: معين السيرة، ص 218.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأول من رمضان وعيد الفطر 1426

**يُتَعْثِرُونَ** ) [النمل: 65]. وقال تعالى: ( **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي التَّمَّ وَالبَّخْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ قَرْفَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي طَلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ) [الأعراف: 59].**

ومن المعلوم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعلمون الغيب ولا اطلاع لهم على شيء منه، فقد قال تعالى: ( **فَلِمَ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلِكٌ لَّأَنَّ أَنِي إِلَّا مَا بُوخَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَعَكَّرُونَ** ) [الأعراف: 50]. وكما جاءت الأدلة تدل على أن الله تبارك وتعالى قد اختص بمعرفة علم الغيب، وأنه استثار به دون خلقه، جاءت أدلة تفيد أن الله تعالى استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل فأودعهم، ما شاء الله من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم، قال تعالى: ( **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَتَدَبَّرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَئْتَهُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْحَقِيقَ مِنَ الظَّاهِرِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلَعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مِنْ يَحْتَنِي مِنْ رَسُولِهِ مَنْ يَشَاءُ فَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَسْتَعْفُوا فَلَكُمْ أَخْرُ عَظِيمٍ** ) [آل عمران: 179]. وقال تعالى: ( **عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى عَيْنِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَضِيدًا** ) [الجن: 26, 27]. فنخلص من ذلك أن ما وقع على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار بالمغيبات فهو حقيقة من الله تعالى، وهو إعلام الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته، وقد اشتهر وانتشر أمره صلى الله عليه وسلم باطلاع الله له على المغيبات<sup>(1)</sup>. وكان لأحداث غزوة بدر نصيب من تلك المعجزات الغبية منها:

### 1- مقتل أمية بن خلف:

فعن عبد الله بن مسعود **قال**: انطلق سعد بن معاذ معتمراً، قال: فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: ألا تنظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطافت؟ فيبينما سعد يطوف إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالکعبه، فقال سعد: أنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالکعبه أمنا وقد أويتم محمداً وأصحابه؟ فقال: نعم، فتلا حيا<sup>(2)</sup> بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي. ثم قال سعد: والله لئن منعوني أن أطوف بأليت لأقطعن متجرك بالشام، قال: فجعل أمية يقول لسعد:

<sup>1</sup> (?). انظر: موسوعة نصرة النعيم (1/453). (2) تلا حيا: تلا ومتنازعوا، انظر: النهاية (4/243).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه فغضب سعد فقال: دعنا عنك. فإني سمعت محمداً **صلى الله عليه وسلم** يزعم أنه قاتلك، قال: إيه؟ قال: نعم. قال: والله ما يكذب محمد إذا حدث، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثري؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد، قال: فلما خرجوا إلى بدر جاء الصريح، قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخي اليثري؟ قال: فأراد الآية يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الودي، فسر يوماً أو يومين، فسار معهم يومين فقتله <sup>(1)</sup>.

## 2- مصارع الطغاة:

فعن أنس بن مالك <sup>هـ</sup> قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتبراعينا الهلال، وكنت رحلاً جديداً **البصر**<sup>(2)</sup> فرأيته وليس أحد يزعم أنه راه غيري، قال فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل يقول لا يراه، قال: يقول عمر: سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** كان يربينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: «**هذا مصرع فلان غداً، إن شاء الله**» قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حد رسول الله **صلى الله عليه وسلم**<sup>(3)</sup>.

## 3- إخبار العباس بن عبد المطلب بالمال الذي دفعه، وإعلام عمير بن وهب بالحديث الذي حدث بينه وبين صفوان:

ومن ذلك لما طلب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** من عمه دفع الفداء، وأجابه العباس: ما ذاك عندي يا رسول الله، فقال له: «أين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها: إن أصبت في سفري هذا، فهذا المال الذي دفنته لبني الفضل وعبد الله وقثم»، قال: والله يا رسول الله، إني لا أعلم أنك رسول الله، إن هذا الأمر ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل. وما حدث به عمير بن وهب لما جاء متطاهراً بفداء ابنه، وهو يريد قتيل النبي **صلى الله عليه وسلم** باتفاق مع صفوان بن أمية، فقد أنباه نباً المؤامرة، فكانت سبباً في إسلامه وصدق إيمانه <sup>(4)</sup>.

وذكر ابن القيم في زاد المعاد: أن سيف عَكَاشة بن محسن انقطع يومئذ، فأعطاه النبي **صلى الله عليه وسلم** جذلاً من حطب، فقال: «دونك هذا» فلما أخذه عَكَاشة وهزه، عاد في يده سيفاً طويلاً شديداً أبيض، فلم يزل

1 (؟) البخاري ز انظر: الفتح (6/3632).  
2 (؟) حديث البصر: أي نافذ.  
3 مسلم رقم (2873).

4 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/178).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

عنه يقاتل به حتى قتل في الردة أيام أبي بكر<sup>(1)</sup>. وقال رفاعة بن رافع: رميت بسهم يوم بدر، ففقيئت عيني، فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لي، فما آذاني منها شيء<sup>(2)</sup>.

قال الدكتور أبو شهبة: وما ينبغي لأحد أن يزعم أن المعجزات الحسينية لا ضرورة إليها بعد القرآن، فها هي قد بدت أثارها وأوضحة جلية في إسلام البعض، وتقوية يقين البعض الآخر، وإن شاء أنه نبي يوحى إليه، فقد أخبر بمعجزيات انتفعت في العلم بها كل احتمال إلا أنه خبر السماء، وغير خفي ما يحدثه من انقلاب عود أو عرجون في يد صاحبه سيفاً بيّاراً في أيامه وتقوية يقينه، وجهاده به جهاداً لا يعرف التردد أو الخور، وحِرْصِه البالغ على أن يخوض المعارك بسيف خرقته به العادة وصار مثلاً وذكراً في الأولين والآخرين<sup>(3)</sup>.

#### خامسًا: حكم الاستعانة بالمشرك:

في غزوة بدر -في الأحداث التي سبقتها- أراد مشرك أن يلحق بجيش المسلمين، وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الموافقة على قبوله معهم، والاشتراك فيما هم ذاهبون إليه فقال صلى الله عليه وسلم: «أرجع فلن استعين بمشرك»<sup>(4)</sup> فالحديث يبين أن القاعدة والأصل عدم الاستعانة بغير المسلم في الأمور العامة، ولهذه القاعدة استثناء، وهو جواز الاستعانة بغير المسلم بشروط معينة وهي: تحقق المصلحة، أو رجحانها بهذه الاستعانة، وألا يكون ذلك على حساب الدعوة ومعاناتها، وأن يتحقق الوثوق الكافي بمن يستعان به، وأن يكون تابعاً للقيادة الإسلامية، لا متبوعاً، ومقوياً فيها لا قائداً لها، وألا تكون هذه الاستعانة مثار شهادة لأفراد المسلمين، وأن تكون هناك حاجة حقيقة لهذه الاستعانة وبمن يستعان به، فإذا تحققت هذه الشروط حازت الاستعانة على وجه الاستثناء، وإذا لم تتحقق لم تحرر الاستعانة. وفي ضوء هذا الأصل رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراك المشرك مع المسلمين في مسيرهم إلى غير قريش إذ لا حاجة به أصلاً، وفي ضوء الاستثناء وتحقق شروطه استعان النبي صلى الله عليه وسلم بالمشرك عبد الله بن أريقط الذي استاجره النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في هجرتهم إلى المدينة؛ ليدلهم على الطريق إليها.. وهكذا على هذا الاستثناء وتحقق شروطه قبل صلى الله عليه وسلم حماية عممه أبي طالب له، كما قبل جوار أو إجارة المطعم بن عدي له عند رجوعه عليه الصلاة والسلام من الطائف، وكذلك قبول الصحابة الكرام جوار من أجارهم من المشركين ليدفع هؤلاء الأذى عنهم أجاروهم<sup>(5)</sup>. وضبط هذه القاعدة

1 (؟) انظر: زاد المعاد (186/3) وذكر المحقق أن ابن إسحاق ذكرها من غير سند.

2 (؟) انظر: زاد المعاد (186/3) والأثر فيه خلاف بين التصحيف والتضعيف.

3 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/178).

4 (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (2/355).

5 (؟) انظر: المستفاد من فحص القرآن (145/2)، (144/2).

مع فهم شروط الاستثناء في واقع الحياة يحتاج إلى فقه دقيق وإيمان عميق.

### سادساً: حذيفة بن اليمان، وأسيد بن الحصير رضي الله عنهم:

**1- حذيفة بن اليمان ووالده:** قال حذيفة: ما منعنا أن نشهد بدرًا إلا أبي وأبى أقبلنا نريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذنا كفار قريش فقالوا: إنكم ت يريدون محمدًا، فقلنا: ما نريده إنما نريد المدينة، فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لتصيرن إلى المدينة ولا تقاتلوا مع محمد صلى الله عليه وسلم، لما جاوزناهم أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ما قالوا وما قلت لهم فيما ترى؟ قال: نستعين الله عليهم ونفي بعهدهم، فانطلقنا إلى المدينة، فذاك الذي منعنا أن نشهد بدرًا<sup>(1)</sup>.

هذه صورة مشترقة في حرص النبي صلى الله عليه وسلم لحفظ العهود، وتربية أصحابه على تطبيق مكارم الأخلاق الرفيعة، وإن كان في ذلك إجحاف بالمسلمين ومفوت لهم جهد بعض أفراد المجاهدين.

**2- أسيد بن الحصير:** عندما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قادماً من بدر لقي بالروحاء رؤوس الناس يهنئونه بما فتح الله عليه، فقال أسيد بن الحصير: يا رسول الله، الحمد لله الذي أطفك وأقر عينك، والله يا رسول الله ما كان تختلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً، ولكن ظنت أنها غير، ولو ظنتت أنه عدو ما تخلفت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدقت»<sup>(2)</sup>.

### سابعاً: الحرب الإعلامية في بدر:

قال حسان :

فما نخشى بحول الله قوًما	إذا ما أَبْلُوا جمِعاً علينا
وإن كثروا وأجمعوا الزحوف	سمونا يوم بدر بالعلوي
كفانا حَدَّهم ربُّ رؤوف	فلم تر عصبة في الناس
سِراغاً ما تصعننا الحتوف <sup>(3)</sup>	ولكننا توكلنا وقلنا
لمن عادوا إذا لقحت كشوف	لقيناهم بها لاما سمونا
ما ثرنا ومعقلنا السيوف	
ونحن عصبة وهم ألوف <sup>(4)</sup>	

<sup>1</sup> (؟) انظر: المستدرك للحاكم (202/3, 202) هذا حديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

<sup>2</sup> (؟) انظر: البداية والنهاية (3/305).

<sup>3</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (26/3) الحتوف: جمع حتف وهو الموت.

<sup>4</sup> (؟) هذا محمول على المبالغة لأن جيش قريش ما كان يزيد على الألف.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

## وقال كعب بن مالك ﷺ:

لما حامت فوارسكم ببدر  
وردناه بنور الله يجلو  
رسول الله يقدمنا بأمر  
فما ظفرت فوارسكم ببدر  
فلا تعجل أبا سفيان وارقب  
بنصر الله روح القدس فيها

ولا صبروا به عند اللقاء  
دُجى الظلماء عنا والغطاء  
من أمر الله أحكم بالقضاء  
وما رجعوا إليكم بالسواء  
جياد الخيل تطلع من كداء  
وميكائيل، فيا طيب الملاء<sup>(1)</sup><sup>(2)</sup>

كان النبي صلى الله عليه وسلم يبحث شعراء المسلمين على القيام بواجبهم في الدفاع عن المسلمين وإخافة الأعداء بشعرهم، فقد كان الشعر يمثل العملات الإعلامية المؤثرة في دنيا العرب، فيرفع أقواماً ويخفض آخرين، ويشعل الحرروب ويطفئها<sup>(3)</sup>. كانت بوادر الحرب الإعلامية قد اندلعت منذ الهجرة، غير أن ظهورها أكثر بدأ مع حركة السرايا قبيل بدر، لكنها انفجرت انفجاراً ضخماً بعد بدر؛ لأن الجانب الإعلامي للقبائل المجاورة كان هدفاً مهمّاً من أهداف الفريقين، ويظهر أن القصائد سرّعان ما تطير بها الركيان بين يرب ومكة، فيأتي الرد من الطرف الآخر، فعند النصر تكثر أشعار الفريق المنتصر، بينما تكثر المراهنة عند الفريق الثاني، وكان الصف الإسلامي يضم شعراء متخصصين، كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكان أشدّهم على الكفار حسان<sup>(4)</sup>.

\* \* \*

(?) أي ما أطيب الملائكة الذين يقودهم جبريل وميكائيل عليهما السلام.

1

2

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (30/3).

3

(?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (4/199).

4

(?) انظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص 354، 355.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

## المبحث الثامن أهم الأحداث التي وقعت بين غزوتي بدر وأحد

في أعقاب غزوة بدر أخذت الهيبة العسكرية للمسلمين مداها الكبير في دائرة واسعة في الجزيرة العربية، وأحس ضعفاء المشركين بالخطر وشعر أقوياً هم بغلبة الإسلام، وبدأت النفوس تتطلع إلى الإيمان؛ فتوسعت دائرة الدخول في الإسلام، ورأى الكثيرون أن يدخلوا في الإسلام نفاقاً أو خديعة، وبهذا كله أصبحت الدولة الجديدة أمام أوضاع جديدة من المكر والتالب والتحالفات، ولكن تأييد الله تعالى ثم جهاز أمن الدولة المتيقظ أفشل مخططات أعداء الإسلام<sup>(1)</sup>.

**أولاً: الغزوات التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر وقبل أحد:**

**1- ماء الكدر فيبني سليم:** غزا النبي صلى الله عليه وسلم بعد سبع ليالٍ من عودته إلى المدينة من غزوة بدر، وبلغ ماء الكدر في ديار بني سليم الذين قصدهم بغزوهه هذه، غير أنه لم يلق حرّياً فاقاماً ثلاثة ليالٍ على الماء ثم رجع إلى المدينة<sup>(2)</sup>. كان سبب تلك الغزوة تجمع أفراد بني سليم لمقاتلة المسلمين والاعتداء عليهم بعد معركة بدر مباشرة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجأهم بهجوم سريع غير متوقع، فهرب بنو سليم وتفرقوا على رؤوس الجبال، وبقيت إبلهم مع راعٍ لها يدعى يسارة، فاستافق رسول الله صلى الله عليه وسلم الإبل مع راعيها، وعند موضع صرار، على ثلاثة أميال من المدينة، قسم النبي صلى الله عليه وسلم الإبل التي كان عددها خمسين إبلاً على أصحابه، فأصاب الواحد منهم بعيتين، ونال النبي صلى الله عليه وسلم خمسها، وكان يسار من نصبيه، ولكنه اعتقه بعد ذلك<sup>(3)</sup>.

**2- غزوة السويف:** قدم أبو سفيان بمائتي فرس من مكة، وسلك طريق النجدية حتى نزلوا حي بني النضير ليلاً، واستقبلهم سالم بن مشكم سيد بني النضير، فأطعهم وأسقاهم وكشف لهم عن أسرار المسلمين، وتدارس معهم أحدى الطرق لايقاع الأذى بال المسلمين، ثم قام أبو سفيان بمهاجمة ناحية العريض - واد بالمدينة في طرف حرة واقم - فقتل رجلين وأحرق نخلاً وفر عائداً إلى مكة، فتعقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار، ولكنه لم يتمكن من إدراكم، لأن أبو سفيان ورجاله قد جدوا في الهرب، وجعلوا يتخفون من أثقالهم ويلقون

<sup>1</sup> (?) انظر: الأساس في السنة وفقها السيرة النبوية (1/512).  
<sup>2</sup> (?) انظر: موسوعة نصرة النعيم (1/296). (3) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص 277.

السوق<sup>(1)</sup> التي كان يحملونها لغذائهم، وكان المسلمون يمرون بهذه الحرب فيأخذونها، حتى رجعوا بسوق كثير، لذا سميت هذه الغزوة بغزوة السوق، وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن غاب عنها خمسة أيام دون أن يلقى حرباً<sup>(2)</sup>.

**3- غزوة ذي أمر:** جاءت الأخبار من قبل رجال الاستخبارات الإسلامية تفيد بأن رجال قبيلتي ثعلبة ومحارب تجمعوا بذي أمر بقيادة دُعثور بن الحارت المحاري، يريدون حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإغارة على المدينة، فاستعمل النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة عثمان بن عفان وخرج في أربعاءة وخمسين من المسلمين بين راكب وراجل، فأصابوا رجلاً بذي القصة يقال له جبار من بني ثعلبة، كان يحمل أخباراً عن قومه أسرّ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد دخل في الإسلام وأنضم إلى بلال ليتفقه في الدين<sup>(3)</sup>، أما المشركون من بني ثعلبة ومحارب ما لبثوا أن فروا إلى رؤوس الجبال عند سماعهم بمسير المسلمين، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في نجد مدة تقارب الشهر دون أن يلقي كيداً من أحد وعاد بعدها إلى المدينة<sup>(4)</sup>. وفي هذه الغزوة أسلم دعثور بن الحارت الذي كان سيداً مطاعاً بعد أن حدثت له معجزة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أصاب المسلمين في هذه الغزوة مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل تحت شجرة ونشر ثيابه لتجف، واستطاع دُعثور أن ينفرد برسول الله بسيفه، فقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم؟ قال: «الله»، ودفع جبريل في صدره فوق السيف من يده فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «من يمنعك مني» قال: لا أحد، وانا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليك حمماً أبداً، فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فلما رجع إلى أصحابه فقالوا: وبذلك، ما لك؟ فقال: نظرت إلى رجل طويل فدفع صدري فوقع إلظاهري، فعرفت أنه ملك، وشهدت أن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليه حمماً، وجعل سيد عو قومه إلى الإسلام<sup>(5)</sup>، ونزل في ذلك قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نَعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَنْتَسِطُوا إِلَيْكُمْ فَكَفَ أَنْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَنْقُوا اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوْكِلُ الْمُؤْمِنُونَ) [المائدة: 11].

**4- غزوة بحران<sup>(6)</sup>:** كانت هذه الغزوة في شهر جمادى الأولى

(?) السوق: هو أن تحمص الحنطة والشعير ثم يطحن بالبن والعسل والسمن.

(?) انظر: السيرة لابن هشام (3/51) التاريخ السياسي وال العسكري، ص 278.

1

2

3

(?) انظر: البداية والنهاية (4/3) التاريخ الإسلامي والعسكري، ص 279.

(?) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص 279. (4) انظر: البداية والنهاية (4/3).

4

5

(?) بحران: كتبها بعضهم بفتح الباء (بحران) وببعضهم بضمها. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

6

من السنة الثالثة للهجرة، وقد خرج النبي **صلى الله عليه وسلم** في ثلاثة من المسلمين حتى بلغ بحران بين مكة والمدينة يريد قتال يبني سليم، فوجدهم قد تفرقوا، فانصرف عنهم، وعاد إلى المدينة بعد أن أمضى خارجها عشر ليال<sup>(1)</sup>. وللحظة في هذه الغزوات قدرة القيادة الإسلامية على رصد تحركات العدو، ومعرفة قوته، وخططه، ومدده لكي تحطم هذه التجمعات المناوئة للدولة الإسلامية الفتية قبل أن يستفحـل أمر هذه القبائل، وتـصبح خطـراً على المدينة.

وهذه الغزوـات في هذه الصحـراء المترامـبة الأطرافـ كانت دورـات تـدريـبية تـربـوية لـلـصـحـابةـ الـكـرامـ، وـسـعـدتـ سـرـأـياـ الصـحـابةـ بـقـيـادـةـ النـبـيـ **صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ** لـهـاـ، فـقـدـ كـانـتـ تـلـكـ الدـورـاتـ الـعـمـلـيـةـ الـتـدـرـيـبـيـةـ الـقـتـالـيـةـ التـرـبـويـةـ مـسـتـمـرـةـ، وـتـمـتـ مـنـ خـمـسـةـ أـيـامـ إـلـىـ شـهـرـ، تـتـمـ فـيـهاـ الـحـيـاةـ الـجـمـاعـيـةـ، وـيـتـرـبـيـ جـنـودـ إـلـاسـلـامـ عـلـىـ السـمـعـ وـالـطـاعـةـ، وـالـتـدـرـيـبـ الـمـتـقـنـ، وـيـكتـسـبـونـ خـبـرـاتـ جـدـيدـةـ تـسـاعـدـهـمـ عـلـىـ تـحـطـيمـ الـبـاطـلـ وـتـقوـيـةـ الـحـقـ.

لقد كان المنهاج النبوـيـ الـكـرـيمـ يـهـتمـ بـتـرـبـيةـ الصـحـابةـ فـيـ مـيـادـينـ النـزـالـ، وـلـاـ يـغـفـلـ عـنـ الـمـسـجـدـ وـدـوـرـهـ فـيـ صـقـلـ النـفـوسـ، وـتـنـوـيرـ الـعـقـولـ، وـتـهـذـيبـ الـإـلـاـخـلـاقـ مـنـ خـلـالـ جـوـدـ الـمـرـبـيـ الـعـظـيمـ **صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ** الـذـيـ أـصـبـحـتـ تـعـالـيمـهـ تـشـعـ فـيـ أـوـسـاطـ الـمـجـتمـعـ مـنـ خـلـالـ الـقـدـوةـ وـالـعـبـادـةـ الـخـاشـعـةـ لـلـهـ عـزـ وـجـلـ، فـالـمـنـهاجـ الـنـبـوـيـ الـكـرـيمـ جـمـعـ بـيـنـ الدـورـاتـ الـمـسـجـدـيـةـ، التـرـبـويـةـ، وـالـدـورـاتـ الـعـسـكـرـيـةـ التـرـبـويـةـ الـمـكـثـفـةـ لـكـيـ يـقـوـيـ الـمـجـتمـعـ الـجـدـيدـ، وـتـرـصـ صـفـوفـهـ، وـيـكـسـبـ الـخـيـراتـ لـكـيـ تـقـومـ بـنـشـرـ إـلـاسـلـامـ فـيـ الـأـفـاقـ<sup>(2)</sup>.

**5- سـيـرـةـ زـيـدـ بـنـ حـارـثـةـ إـلـىـ الـقـرـدـةـ:** أـصـبـحـ مـشـرـكـوـمـكـةـ بـعـدـ هـزـيمـتـهـ فـيـ بـدـرـ يـبـحـثـونـ عـنـ طـرـيقـ أـخـرـيـ لـتـجـارـتـهـمـ لـلـشـامـ، فـأـشـارـ بـعـضـهـمـ إـلـىـ طـرـيقـ نـجـدـ الـعـرـاقـ، وـقـدـ سـلـكـوـهـاـ بـالـفـعـلـ، وـخـرـجـ مـنـهـمـ تـجـارـ، فـيـهـمـ أـبـوـ سـفـيـانـ بـنـ حـرـبـ، وـصـفـوـانـ بـنـ أـمـيـةـ، وـحـوـيـطـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـىـ، وـمـعـهـمـ فـضـةـ وـبـصـائـعـ كـثـيرـةـ، بـمـاـ قـيـمـتـهـ مـائـةـ أـلـفـ دـرـهـمـ، فـبـلـغـ ذـلـكـ رـسـولـ اللـهـ **صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ** بـوـاسـطـةـ أـحـدـ أـفـرـادـ جـهـازـ الـأـمـنـ الـإـسـلـامـيـ يـدـعـيـ سـلـيـطـ بـنـ النـعـمـانـ<sup>(3)</sup>، فـبـعـثـ **صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ** زـيـدـ بـنـ حـارـثـةـ فـيـ مـائـةـ رـاكـبـ لـاعـتـرـاضـ الـقـافـلـةـ، فـلـقـيـهـ زـيـدـ عـنـدـ مـاءـ بـيـقالـ لـهـ الـقـرـدـةـ، وـهـوـ مـاءـ مـنـ مـيـاهـ نـجـدـ، فـقـرـرـ رـجـالـهـ مـذـعـورـينـ، وـأـصـابـ الـمـسـلـمـونـ الـعـيـرـ وـمـاـ عـلـيـهـاـ، وـأـسـرـوـاـ دـلـيلـهـاـ فـرـاتـ بـنـ حـيـانـ الـذـيـ أـسـلـمـ بـيـنـ يـدـيـ النـبـيـ **صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ**، وـعـادـوـاـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ، فـخـمـسـهـاـ رـسـولـ اللـهـ **صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ**، وـوـزـعـ الـبـاقـيـ بـيـنـ أـفـرـادـ السـرـيـةـ<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> (؟) انظر: المجتمع المدني للعمري، ص 61، التاريخ السياسي والعسكري، ص 280.

<sup>2</sup> (؟) انظر: التربية القيادية (3/118، 119). (2) المصدر نفسه (3/132).

<sup>3</sup> (؟) انظر: سيرة ابن هشام (3/56). (4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/299).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

## ثانياً: غزوة بنى قينقاع:

ذكر الزهرى أنها وقعت في السنة الثانية للهجرة، وذكر الواقدي وأبن سعد أنها وقعت يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثانية<sup>(1)</sup>، واتفق معظم من كتب في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته على أنها وقعت بعد معركة بدر، إذ لم يلتزم اليهود بني قينقاع بالمعاهدة التي أبرمها الرسول صلى الله عليه وسلم معهم، ولم يوفوا بالتزاماتهم التي حددتها، ووقفوا من الرسول صلى الله عليه وسلم وال المسلمين موقف عدائى، فأظهروا الغضب والحسد عندما انتصر المسلمين في بدر، وجاهروا بعادتهم للمسلمين<sup>(2)</sup>، وقد جمعهم النبي صلى الله عليه وسلم في سوقهم بالمدينة ونصحهم، ودعاهم إلى الإسلام، وحذرهم أن يصيّبهم ما أصاب قريشاً في بدر<sup>(3)</sup>، غير أنهم واجهوا النبي صلى الله عليه وسلم بالتحدي والتهديد رغم ما يفترض أن يلتزموا به من الطاعة والمتابعة لبنيو المعاهدة التي جعلتهم تحت رئاسته، فقد جاءهوا بقولهم: «يا محمد، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت إنفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وإنك لم تلق مثلنا<sup>(4)</sup>». وهكذا بدأت الأزمة تتفاعل إذ لم يكن في جوابهم ما يشير إلى الالتزام والاحترام، بل على العكس فإنهم قد أظهروا روحًا عدائياً، وتحدياً واستعلاء واستعداداً للقتال، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم قوله تعالى: «**فَلِلَّذِينَ كَفَرُوا سَيُغْلِبُونَ وَتُخْسِرُونَ إِلَىٰ حَقَّهُنَّمَ وَبَسْنَ الْمَهَادِ**  
**فَذُكْرٌ كَمْ أَيْهَةٍ فِي فَتْيَنٍ التَّقْتَأْنَ فَتَهْهَبْتُهُمْ بِعَاقِلٍ فِي سَبِيلِ**  
**اللَّهِ وَآخَرِي كَا فَرَةٌ كَارُونُهُمْ مُتَلِّهِمْ رَأَيَ الْعَنْ وَاللَّهُ يُؤْيِدُ**  
**يَتَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعْبَةٌ لَأَوْلَى الْأَبْصَارِ**» [آل عمران: 12، 13].

### 1- الأسباب المباشرة للغزو: لما انتصر المسلمون في بدر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود ما قال، أصررت بنو قينقاع نقض العهد الذي بينهم وبين المسلمين، وأخذوا يتحينون الفرصة السانحة لمناوشة المسلمين، حتى جاءتهم فرصة المحبرة الدينية عندما جاءت امرأة من العرب قدمت بحلب لها، فباعتته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يربدونها على كشف وجهها فآتت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوتها، فضحكت بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمين

<sup>2</sup> (?) انظر: موسوعة نصرة النعيم (1/269). (2) انظر: اليهود في السنة المطهرة (1/276).

<sup>3</sup> (4) انظر: سيرة ابن هشام (3/54).  
هديه الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

فوق الشر بينهم وبين بنى قينقاع<sup>(1)</sup>.

فحين علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك سار إليهم على رأس جيش من المهاجرين والأنصار، وذلك يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثانية للهجرة<sup>(2)</sup>، وكان الذي حمل لواء المسلمين يومئذ حمزة بن عبد المطلب<sup>هـ</sup>، واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابا بن عبد المنذر العمري<sup>(3)</sup>، وأسمه بشير<sup>(4)</sup>، وحين سار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبذ إليهم العهد كما أمره الله تعالى في قوله: (وَإِمَّا تَحَاوَفْنَ مِنْ قَوْمٍ خَيَّأَهُمْ فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الظَّاهِرِينَ) [الأنفال: 58].

2- ضرب الحصار عليهم: وحين علم اليهود بمقدمه صلى الله عليه وسلم تحصنوا في حصونهم، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة، كما ذكر ابن هشام<sup>(5)</sup>، واستمر الحصار حتى قذف الله في قلوبهم الرعب واضطروا للنزول على حكمه صلى الله عليه وسلم، فقد فاجأهم صلى الله عليه وسلم بأسلوب الحصار، فأربكهم وأوقعهم في حيرة من أمرهم بعد أن قطع عنهم كل مدد وحمد حركتهم، فعاشوا في سجن مما جعلهم في النهاية يباسون من المقاومة والصبر، فيبعد أن كانوا يهددون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأنهم قوم يختلفون بأساً وشدة عن مشركي قريش، إذا بهم يضطرون للنزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(6)</sup>، فأمر بهم فربطوا فكانوا يكتفون أكتافاً، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتافهم المنذر بن قدامة السلمي الأوسي<sup>(7)</sup>.

3- مصرير يهود بنى قينقاع: حاول ابن سلول زعيم المنافقين أن يحل حلفاءه من وثاقهم، فعندما مر عليهم قال: حلوه، فقال المنذر: أتحلون قواماً ربطة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله لا يحلهم رجل إلا ضربت عنقه<sup>(8)</sup>، فاضطر عبد الله بن أبي ابن سلول أن يتراجع عن أمره ويلجأ إلى استصدار الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم بفك أسرهم<sup>(9)</sup>. فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أحسن في موالي -وكانوا حلفاء الخزرج- قال: فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا محمد: أحسن في

1 (؟) انظر: المغاري للواقدي (1/176)، الطبقات لأبي سعد (2/28، 29).  
2 (؟) انظر: تاريخ الطبراني (2/481). (7) انظر: اليهود في السنة المطهرة (1/279).

3 (؟) انظر: سيرة ابن هشام (3/55).  
4 (؟) انظر: الصراع مع اليهود لابي فارس (1/144). (2) انظر: اليهود في السنة المطهرة (1/280).

5 (؟) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (5/32). (4) المصدر نفسه (5/33).

موالي، قال: فأعرض عنه، فأدخل ابن أبي يده في جب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسلني»، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه طللا<sup>(1)</sup>, ثم قال: «ويحك أرسلني» قال: لا والله، لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مائة حاس، وثلاثة مائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدتهم في غدأة واحدة؟ إني والله امرأ أخشن الدوائر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هم لك»<sup>(2)</sup>. فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيلهم ثم أمر بإجلائهم، وغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ما كان لديهم من مال، وقد تولى جمع أموالهم وأحصاءها محمد بن مسلمة<sup>(3)</sup>، وحاول ابن أبي ابن سلول أن يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم في يهودبني قينقاع لكي يقرهم في ديارهم، فوجد على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم عويم بن ساعدة الأنصاري الأوسي، فرده عويم، وقال: لا تدخل حتى ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لك، فدفعه ابن أبي، فغلظ عليه عويم حتى جحش وجه ابن أبي الجدار فسال الدم<sup>(4)</sup>.

ويظهر في هذا الخبر فقه النبي صلى الله عليه وسلم السياسي في تعامله مع ابن سلول حيث لم يطلب، فلعل هذا الموقف يغسل قلبه، ويزيل الغشاوة عنه فتتم هدایته، فقال له: هم لك، ولعل الذين يسيرون وراء زعامه ابن أبي يصلحون بصلاحه فيتمسك الصف، ويلتزم فلا ينثر من كيد أعداء الإسلام<sup>(5)</sup>.

وهناك بعد آخر حيث حرص صلى الله عليه وسلم أن يتفادى حدوث فتنة في مجتمع المؤمنين، حيث إن بعض الأنصار حديثه بالإسلام، ويخشى أن يؤثر فيهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي لسمعته الكبيرة فيهم<sup>(6)</sup>، ولذلك سلك صلى الله عليه وسلم معه أسلوب المداراة والصبر عليه وعلى إساءاته تجنبًا للفتنة وإظهارًا لحقيقة الرجل من خلال تصرفاته وموافقه عند من يجهلها، ومن ثم يفر الناس من حوله ولا يتعاطفون معه، وقد حقق هذا الأسلوب نجاحاً باهراً، فقد ظهرت حقيقة ابن سلول لجميع الناس حتى أقرب الناس إليه ومنهم ولده عبد الله، فكانوا بعدها إذا تكلم أستكتوه، وتصايقوه من كلامه<sup>(7)</sup>، بل أرادوا قتله كما سيأتي بإذن الله تعالى.

<sup>1</sup> (? ) طللا: جمع طلة وهي السحابة، استعارة لتغير الوجه عند الغضب.  
<sup>2</sup> (? ,7) انظر: اليهود في السنة المطهرة (1/281).  
<sup>3</sup> (8) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (5/30).

<sup>4</sup> (? ) انظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية للغضبان، 247.  
<sup>5</sup> (? ) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (5/32).  
<sup>6</sup> (2) انظر: الصراع مع اليهود لابي فارس (1/148).

**4- تبرؤ عبادة بن الصامت منهم:** لما نقضت العهد بـ<sup>بنو</sup> قينقاع وكان عبادة بن الصامت أحد بنـي عوف -لهم من حلف بـ<sup>بنـي</sup> قينقاع مثل الذي لهم من عبد الله بن أبيـ مـشي لـرسول الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ وـخـلـعـهـمـ إـلـيـهـ، وـتـبـرـأـ إـلـىـ اللهـ عـزـ وـجـلـ وـإـلـىـ رـسـوـلـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـ حـلـفـهـمـ، وـقـالـ: يـاـ رـسـوـلـ اللهـ، أـتـوـلـىـ اللهـ وـرـسـوـلـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـأـلـمـؤـمـنـينـ، وـأـبـرـأـ مـنـ حـلـفـ هـؤـلـاءـ الـكـفـارـ وـوـلـاـيـتـهـمـ<sup>(8)</sup>. ولـما تـقـرـرـ جـلـاءـ بـنـي قـيـنـقـاعـ اـمـرـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـبـادـةـ بـنـ الصـامـتـ أـنـ يـحـلـيـهـمـ، فـجـعـلـتـ بـنـوـ قـيـنـقـاعـ تـقـولـ: يـاـ أـبـاـ الـولـيدـ مـنـ بـيـنـ الـأـوـسـ وـالـخـزـرـجـ وـنـحـنـ مـوـالـيـكـ. فـعـلـتـ هـذـاـ بـنـاـ؟ـ قـالـ لـهـمـ عـبـادـةـ لـمـاـ حـارـبـتـمـ جـنـتـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـقـلـتـ: يـاـ رـسـوـلـ اللهـ إـنـيـ أـبـرـأـ إـلـيـكـ مـنـهـمـ وـمـنـ حـلـفـهـمـ، وـكـانـ اـبـنـ أـبـيـ وـعـبـادـةـ بـنـ الصـامـتـ مـنـهـمـ بـمـنـزـلـةـ وـاحـدـةـ فـيـ الـحـلـفـ، فـقـالـ عـدـ اللـهـ بـنـ أـبـيـ تـبـرـأـتـ مـنـ حـلـفـ مـوـالـيـكـ؟ـ مـاـ هـذـاـ بـيـدـهـمـ عـنـكـ، فـذـكـرـهـ مـوـاطـنـ قـدـ أـبـلـواـ فـيـهـاـ، فـقـالـ عـبـادـةـ: يـاـ أـبـاـ الـحـيـابـ، تـغـيـرـتـ الـقـلـوبـ، وـمـحـاـ إـلـاسـلـمـ الـعـهـودـ، أـمـاـ وـالـلـهـ إـنـكـ لـمـعـصـمـ بـأـمـرـ سـنـرـيـ عـيـهـ غـدـاـ، فـقـالـتـ بـنـوـ قـيـنـقـاعـ: يـاـ مـحـمـدـ، إـنـ لـنـاـ دـيـنـاـ فـيـ النـاسـ، قـالـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: «ـتـعـجـلـوـاـ وـضـعـواـ»ـ وـأـخـذـهـمـ عـبـادـةـ بـالـرـحـيلـ وـالـإـجـلـاءـ، وـطـلـبـوـاـ التـنـفـسـ، فـقـالـ لـهـمـ: وـلـاـ سـاعـةـ مـنـ نـهـارـ، لـكـمـ ثـلـاثـ لـأـزـيدـ عـلـيـهـاـ، هـذـاـ أـمـرـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، وـلـوـ كـنـتـ أـنـاـ مـاـ نـفـسـتـكـمـ، فـلـمـاـ مـضـتـ ثـلـاثـ، خـرـجـ فـيـ آثـارـهـمـ حـتـىـ سـلـكـوـاـ إـلـىـ الشـامـ وـهـوـ يـقـولـ: الشـرـفـ الـأـبـعـدـ الـأـقـصـىـ فـالـأـقـصـىـ، وـبـلـغـ خـلـفـ الـذـبـابـ ثـمـ رـجـعـ وـلـحـقـوـاـ بـأـذـرـعـاتـ<sup>(9)</sup>.

وهـكـذاـ خـرـجـ بـنـوـ قـيـنـقـاعـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ صـاغـرـينـ قـدـ أـلـقـواـ سـلاـحـهـمـ وـتـرـكـوـاـ أـمـوـالـهـمـ غـنـيـمـةـ لـلـمـسـلـمـيـنـ، وـهـمـ كـانـوـاـ مـنـ أـشـجـعـ يـهـوـدـ الـمـدـيـنـةـ، وـأـشـدـهـمـ بـأـسـاـ، وـأـكـثـرـهـمـ عـدـاـ وـعـدـةـ؛ـ وـلـذـكـ لـاـذـتـ الـقـبـائـلـ الـيـهـوـدـيـةـ بـالـصـمـتـ وـالـهـدـوـءـ فـتـرـةـ مـنـ الزـمـنـ بـعـدـ هـذـاـ الـعـقـابـ الرـادـعـ، وـسـيـطـرـ أـلـرـبـعـ عـلـىـ قـلـوبـهـمـ وـخـضـدـتـ شـوـكـتـهـاـ<sup>(3)</sup>.

**5- الآيات التي نزلت في موالة ابن سلول لليهود**  
وبراءة عبادة بن الصامت منهم: قال تعالى: (يـاـ أـيـهـاـ الـذـيـنـ أـمـنـواـ لـأـ تـنـحـدـوـاـ إـلـيـهـوـدـ وـالـنـصـارـىـ أـوـلـيـاءـ تـعـصـمـهـمـ أـوـلـيـاءـ تـعـصـمـ وـمـنـ يـتـوـلـهـمـ هـنـكـمـ فـإـنـهـ مـنـهـمـ إـنـ اللـهـ لـأـ يـهـدـيـ الـقـوـمـ الطـالـمـيـنـ) فـتـرـىـ الـذـيـنـ فـيـ قـلـوبـهـمـ مـرـضـ يـسـارـعـونـ فـيـهـمـ يـقـولـونـ يـخـشـيـ أـنـ تـصـيـنـاـ دـائـرـةـ فـعـسـيـ اللـهـ أـنـ يـأـتـيـ بـالـقـتـلـ أـوـ أـمـرـ مـنـ عـنـدـهـ فـيـضـيـخـوـاـ عـلـىـ مـاـ أـسـرـوـاـ فـيـ أـنـفـسـهـمـ تـأـدـمـيـنـ) وـيـقـولـ الـذـيـنـ أـمـنـواـ أـهـؤـلـاءـ الـذـيـنـ

8 ) انظر: اليهود في السنة المطهرة (1/282, 283).  
9 ) نفس المصدر (1/284).

3 ) انظر: الصراع مع اليهود لأبي فارس (1/149).  
هـدـيـةـ الشـبـيـكـةـ الـلـيـبـيـةـ وـالـكـاتـبـ بـمـنـاسـبـةـ الـعـشـرـ الـأـوـاـخـرـ مـنـ رـمـضـانـ وـعـيـدـ الـفـطـرـ 1426

**أَفِسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَنْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَاضْبَخُوا حَاسِرِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنِ الدِّينِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُحَاذِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَحَافِدُونَ لَوْمَةً لَائِمَّاً ذَلِكَ قُصْلُ اللَّمْ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسْعَ عَلِيمٌ ۝ إِنَّمَا وَلِكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يُقْبِلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالَمُونَ**

[المائدة: 56-51]. قال ابن عطية في هذه الآيات: لما انقضت بدر وشجر أمربني قينقاع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم، فقام دونهم عبد الله بن أبي ابن سلول وكان حليقاً لهم، وكان عبادة بن الصامت من حلفهم مثل ما لعبد الله، فلما رأى عبادة منزع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما سلكته اليهود من المشaque لله، ورسوله، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنني أبرا إلى الله من حلف يهود وولائهم، ولا أوالى إلا الله ورسوله، وقال عبد الله بن أبي: أما أنا فلا أبرا من ولاء يهود، فإني لا بد لي منهم، إني رجل أخاف الدوائر<sup>(1)</sup>.

إن الفرق واضح بين ابن سلول الذي انغمس في النفاق، ومرد عليه، وبين عبادة بن الصامت الذي تربى على المنهاج النبوى فتصفت نفسه، وتظهر قلبه، وقوى إيمانه، وتنور عقله، فتخلص من آثار العصبية الجاهلية، والأهواء، والمصالح الذاتية، وقدم مصلحة الإسلام على كل مصلحة، فكان مثلاً حيًّا للمسلم الصادق، المخلص لعقيدته<sup>(2)</sup>. ثالثاً: تصفية المحرضين على الدولة الإسلامية، مقتل كعب بن الأشرف:

إن خطر المحرضين على الفتنة لا يقل عن خطر الذين يشهرون السيف لقتال المسلمين، إذ لو لا هؤلاء المحرضون لما قامت الفتنة، لذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع هؤلاء المحرضين ويقتلهم إطفاءً لنار الفتنة، وتمكيناً للحق، وقد قتل منهم خلقاً بعد موقعة بدر<sup>(3)</sup> منهم:

**أ- عصماء بنت مروان** التي كانت تحرض على النبي صلى الله عليه وسلم وتعيب الإسلام، فقد أقدم عمير بن عدي الخطمي على قتلها، وحين سأله النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عما إذا كان عليه شيء؟ قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «نصرت الله ورسوله

1 (?) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (477/1).

2 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (302/1).

3 (?) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، ص 138.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

يا عمير»<sup>(1)</sup>, ثم قال: «لا ينطح فيها عنزان»<sup>(2)</sup> وقد أسلم نتيجة ذلك عدد من بني خطمة وجهر بالإسلام منهم من كان يستخفى<sup>(3)</sup>.

**ب- مقتل أبي عفك اليهودي:** كان أبو عفك شيخاً كباراً من بني عمرو بن عوف وكان يهودياً, يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الشعر, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لي بهذا الخبيث؟» فخرج له الصحابي سالم بن عمير فقتله<sup>(4)</sup>. وأهم حدث في تصفية المحرضين على الدولة ما بين بدر وأحد هو مقتل كعب بن الأشرف.

**ج- مقتل كعب بن الأشرف:** ينتسب كعب بن الأشرف إلى بني نيهان من قبيلة طائ، كان أبوه قد أصاب دماً في الجاهلية، فقدم المدينة وحالف يهود بني النضير، وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعب<sup>(5)</sup>, وكان شاعراً، ناصب الإسلام، وقد غاظه انتصار المسلمين على قريش في معركة بدر، فسافر إلى مكة يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويحرض قريش على الثار لقتلاهم الذين كان ينوح عليهم وبكيتهم في شعره، ويدعو إلى القضاء على الرسول وال المسلمين<sup>(6)</sup>, ومما قاله من الشعر في قتلى بدر من المشركين:

ولمثل بدر تستهل وتندمع	طحنت رحى بدر لمهلك
لا تبعدوا إن الملوك تصرع	قتلت سراة الناس حول
ذى بهجة تأوي إليه الضبع	كم قد أصيب بها من أبيض
إن ابن الأشرف طل كعباً	ويقول أقوم أقوام أذل <sup>(7)</sup>
ظللت تسوخ بأهلها وتصدّع	صدقوا، فليت الأرض ساعة
وجدّعوا <sup>(8)</sup>	نبئت أن بني كنانة كلهم

واستمر كعب بن الأشرف في أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء وتشجيع قريش لمحاربة المسلمين، واستغواههم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له أبو سفيان: أناشدك الله، أدينتنا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ قال: أنتم أهدى منهم سبيلاً<sup>(9)</sup>, ثم خرج مقلباً قد أجمع رأي المشركين على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم معلناً بعداوه وهجائه<sup>(10)</sup>. ولما قدم المدينة

1 (؟) سنن أبي داود (529), 4/528.  
2 (؟) سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبي (529).  
3 (؟) انظر: نصرة النعيم (1/295).  
4 (3) المصدر نفسه (1/296).

5 (؟) انظر: السيرة لابن هشام (3/58). (5) انظر: نصرة النعيم (1/298).  
6 (؟) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، ص 158. (7, 8, 9) المصدر نفسه، ص 158.

هديّة الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

أعلن معاداة النبي **صلى الله عليه وسلم** وشرع في هجائه، وبلغت به الوقاحة والصلف أن يمتد لسانه إلى نساء المسلمين، وشيب بأم الفضل بنت الحارث - رضي الله عنها - زوجة العباس عم النبي **صلى الله عليه وسلم** فقال فيها:

أذاهب أنت لم تحلل بمنقبة  
وتارك أنت أم الفضل بالحرم

صفراء رادعة لو تعصر  
من ذي القوارير والحناء والكتم<sup>(1)</sup>  
إحدى بنى عامر هام الفؤاد بها  
ولو تشاء شفت كعباً من السقم  
لم أر شمساً بليل قبلها طلعت<sup>(2)</sup>  
حتى تبدت لنا في ليلة الظلم

1- حسان بن ثابت لابن الأشرف بالمرصاد: كان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يحث حساناً للتصدي لکعب بن الأشرف، فكان **صلى الله عليه وسلم** يعلم حساناً ابن نزل ابن الأشرف في مكة؟ فعندما نزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضميرة السهمي وزوجته عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص، **فأبلغ صلى الله عليه وسلم** حسان بن ثابت بذلك فهجاهم لـإيوائهم ابن الأشرف، فلما بلغ عاتكة بنت أسيد هجاء حسان بذلة رجل اليهودي كعب بن الأشرف وقالت لزوجها: ما لنا ولهذا اليهودي؟ ألا ترى ما يصنع بنا حسان؟<sup>(3)</sup> وتحول كعب إلى أناس آخرين، وكان كلما تحول إلى قوم آخر دعا رسول الله **صلى الله عليه وسلم** حساناً وأخبره ابن نزل ابن الأشرف فيهجو من نزل عندهم فيطردونه، وظل يلاحقه حتى لفظه كل بيته هناك، فعاد إلى المدينة راغماً بعد أن ضاقت في وجهه السبل ينتظر مصيره المحظوم وجراه الذي يستحقه<sup>(4)</sup>.

كانت الحرب الإعلامية التي شنها حسان ضد كعب بن الأشرف قد حققت أهدافها، وهذه بعض الآيات التي قالها حسان بن ثابت في الرد على كعب بن الأشرف:

أبكي لكعب ثم **غل**<sup>(5)</sup> بعبرة  
أبكي لكعب ثم **غل**<sup>(5)</sup> بعبرة  
ولقد رأيت ببطن بدر منهم  
ولقد رأيت ببطن بدر منهم  
فابك فقد أبكين عبداً راضعاً  
فابك فقد أبكين عبداً راضعاً  
ولقد شفي الرحمن منا  
ولقد شفي الرحمن منا

1 (?) رادعة: أي يفوح منها أثير الطيب والزعفران، والكتم نبت يخلط بالحناء فيخصب به الشعر فيبقى لونه.

2 (?) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، ص 160.

3 (?) انظر: الصراع مع اليهود لـأبي فارس، (1/111).

4 (?) نفس المصدر، (1/111).

5 (?) **غل**، من العلل، وهو الشرب بعد الشرب، يزيد البكاء بعد البكاء.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

**2- جزاء ابن الأشرف:** لقد قام اليهودي ابن الأشرف بجرائم كثيرة، وخيانات عديدة وإساءات متعددة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين والمسلمات القانتات العابدات، وكل جريمة من هذه الجرائم تعد نقضًا للعهد تستوجب عقوبة القتل، فكيف إذا أجمعت هذه الجرائم كلها في هذا اليهودي الشرير؟<sup>(2)</sup>

إن ابن الأشرف بهجائه للنبي صلى الله عليه وسلم واظهاره التعاطف مع أعداء المسلمين ورثاء قتلاهم وتحريضهم على المسلمين يكون قد نقض العهد وصار محاربًا مهدور الدم، ولذلك<sup>(3)</sup> أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وقد فصل البخاري خبر مقتله، فقد روى في صحيحه بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لکعب بن الأشرف؟ فإنه قد أذى الله ورسوله» فقام محمد بن مسلمة، فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتلته؟ قال: «نعم». قال: فأذن لي أن أقول شيئاً، قال: «قل». فاتاه محمد بن مسلمة<sup>(4)</sup> فقال: إن هذا الرجل قد سألا صدقته، وإنه قد عنانا، وإنني قد أتيتك أستسلفك قال: وأيضاً والله لتملنه، قال: إنا قد إتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلينا وسقاً أو وسقين. فقال: أرهنوني. قالوا: أي شيء تريده؟ قال: أرهنوني نسائكم. قالوا: كيف نرهنك نسائنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا؟ فيسب أحدهم فيقال: رُهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، ولكن نرهنك اللامة، قال سفيان: يعني السلاح.

فowاعده أن يأتيه، فجاء ليلاً ومعه أبو نائلة، وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟

قال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة. قالت: أسمع صوّاً كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة. وجاء محمد بن مسلمة برجلين<sup>(5)</sup>، وقال: إذا ما جاء فاني قاتل بشعره فأشمه فإذا رأيتمني استمكنت من رأسه فأضربيوه، فنزل منهم متوضحاً وهو ينفتح منه ريح الطيب. فقال: أتأذن

1 (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/59).

2 (؟) انظر: الصرع مع اليهود (1/111).

3 (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/304).

4 (؟) الذي كتب في السيرة النبوية لابن هشام أن الذي جاء كعب بن الأشرف أبو نائلة وأسمه سلكان بن سلامة.

5 (؟) وفي كتب السيرة أن الذين قاموا بقتله خمسة نفر هم: محمد بن مسلمة، وسلكان بن سلامة بن وقش، وهو أبو نائلة، أحد بنى عبد الأشهل، وكان أخاً كعب بن الأشرف من الرضاعة، وعياد بن يشر بن وقش، أحد بنى عبد الأشهل وأبو عيسى بن جبر أحد بنى حارثة، هؤلاء قدموا أنا نائلة ليحدث كعب بن الأشرف.

هديّة الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

لَيْ أَنْ أَشَمْ رَأْسِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَشَمَهُ، ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ. ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنْ لَيْ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَا اسْتِمْكَنْ مِنْهُ قَالَ: دُونَكُمْ فَقُتْلُوهُ، ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ<sup>(1)</sup>.

وَجَاءَ فِي السِّيرَةِ النَّبُوَّيَّةِ لَابْنِ هَشَامَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ مَكْثُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بَعْدَ أَنْ اسْتَعِدَّ لِقَتْلِ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرُبُ إِلَّا مَا يَعْلَقُ بِهِ نَفْسُهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِدْعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «لَمْ تَرْكِ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَلْتُ لَكَ قَوْلًا لَا أَدْرِي هَلْ أَفِينَّ لَكَ بِهِ أَمْ لَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا عَلَيْكَ الْجَهْدُ». فَقَالَ: لَا بَدْ لَنَا مِنْ أَنْ نَقُولَ. قَالَ: «قُولُوا مَا بَدَأْ لَكُمْ»<sup>(2)</sup>.

وَجَاءَ فِي السِّيرَةِ النَّبُوَّيَّةِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقِ، بِإِسْنَادِ حَسْنٍ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَشَّى مَعَهُمْ إِلَى بَقِيعَ الْغَرْقَدِ ثُمَّ وَجَهُوهُمْ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ الَّهُمَّ أَعْنُهُمْ»<sup>(3)</sup>.

### دُرُوسٌ وَعِبْرٌ:

إِنَّ فِي مَقْتَلِ كَعْبَ بْنِ الْأَشْرَفِ دَرْوِسًا وَعِبْرًا وَفَوَائِدٍ فِي فِقْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَعَالِمِهِ مَعَ خُصُومِ الْإِسْلَامِ وَالدُّولَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَقَدْ اتَّضَحَ أَنَّ عَقُوبَةَ النَّاقْضِ لِلْعَهْدِ الْقَتْلِ، وَهَذَا مَا حُكِمَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَقُوبَةُ الْمُعَاهِدِ الَّذِي يَشْتَمِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِؤْذِيهِ يَهْجَأُ أَوْ غَيْرُهُ هِيَ الْقَتْلُ، وَهَذَا مَا كَانَ لَابْنِ الْأَشْرَفِ، وَيُؤَخِّذُ مِنْهُ أَنَّ شَاتِمَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوَاءَ كَانَ مَعَاهِدًا أَوْ غَيْرَهُ تَضَرُّبُ عَنْهُ عَقُوبَةُ لَهُ، وَقَدْ أَجَادَ شِيخُ الْإِسْلَامِ أَبْنَى تِيمِيَّةَ فِي تَفْصِيلِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ فِي كِتَابِهِ الْقِيمِ الصَّارِمِ الْمُسْلُولِ عَلَى شَاتِمِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

\* يُؤَخِّذُ مِنْ طَرِيقَةِ تَفْيِيذِ حُكْمِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْيَهُودِيِّ أَبْنِ الْأَشْرَفِ، أَنَّ الْحُكْمَ قَدْ تَقْتَضِيَ الْمُصْلَحَةَ الْعَامَّةَ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْفَذْ سَرًّا، وَيَتَأَكَّدُ هَذَا إِنْ كَانَ يَتَرَبَّ عَلَى تَنْفِيذِهِ بِغَيْرِ هَذِهِ الصُّورَةِ السِّيرِيَّةِ فَتَنَّةً أَوْ خَطْرَ قَدْ يَكْلُفُ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّاً بِاهْطَا<sup>(4)</sup>. وَقَدْ بَيَّنَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ عَلَى أَنَّ مَوَاجِهَةَ الْكُفَّارِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَمُحَارِبِي الدُّولَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى مَوَاجِهَتِهِمْ فِي مَيْدَانِ الْمَعَارِكِ، وَإِنَّمَا تَنْعَدِي ذَلِكَ إِلَى كُلِّ عَمَلٍ تَحْصُلُ بِهِ النَّكَاثَةُ بِالْأَعْدَاءِ، مَا لَمْ يَكُنْ إِنَّمَا، وَقَدْ يُوفِّرُ الْفَضَّاءُ عَلَى رَجُلٍ لَهُ دُورٌ الْبَارِزُ فِي حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ جَهُودًا كَبِيرَةً وَخَسَائِرَ فَادِحَةً يَتَكَبَّدُهَا الْمُسْلِمُونَ.

وَهَذَا مَشْرُوطٌ بِالْأَمْنِ مِنَ الْفَتْنَةِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ يَكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ شَوْكَةً، وَقُوَّةً وَدُولَةً، بِحِيثُ لَا يَتَرَبَّ عَلَى نَوْعِيَّةِ هَذِهِ الْعَمَلِ فَتَكُ

<sup>1</sup> (?) الْبَخَارِيُّ فِي الْمُغَازِيِّ، بَابُ قَتْلِ كَعْبَ بْنِ الْأَشْرَفِ رقم 4037.

<sup>2</sup> (?) انْظُرْ: السِّيرَةِ النَّبُوَّيَّةِ لَابْنِ هَشَام (3/61). (2) الْمُصْدَرُ نَفْسُهُ (3/62).

<sup>4</sup> (?) انْظُرْ: الْصَّرَاعُ مَعَ الْيَهُودِ لِأَبِي فَارِسِ، (1/115).

هَدِيَةُ الشَّبَكَةِ الْلِّيَبِيَّةِ وَالْكَاتِبِ بِمِنَاسِبَةِ الْعَشَرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَعِيدِ الْفَطَرِ 1426

بالمسلمين، واجتثاث الدعاة من بلدانهم، وإفساد في مجتمعاتهم<sup>(1)</sup>. وقد أخطأ بعض المسلمين في العالم الإسلامي، وتجل الصدام المسلح واستدلوا على ما ذهروا إليه بمثل هذه الحادثة ولا حجة لهم فيها؛ لأن ذلك كان بالمدينة وللمسلمين شوكة ودولة، أما هم فليس لهم دولة ولا شوكة، ثم كان ذلك إعزازاً للدين وإرهاكاً للكافرين، وكانت كلها مصالح لا مفسدة معها، أما ما يحدث في فترات الاستصناف من هذه الحوادث فإنها يعقبها من الشر والفساد واستباحة دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم ما لا يخفى على بصير<sup>(2)</sup>.

إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم بمحاولة تصفية لأي أحد من المشركين في مكة مع القدرة على قتل زعماء الشرك كأبي جهل، وأمية بن خلف، وعتبة، ولو وأشار إلى حمزة أو عمر بذلك أو غيرهما من الصحابة، لقاموا بتنفيذ ذلك، ولكن الهادي النبوى الكريم يعلمنا أن فقه قتل زعماء الكفر يحتاج إلى شوكة وقوة، كما أن هذا الفقه يحتاج إلى فتوى صحيحة من أهلها، واستيعاب فقه المصالح والمفاسد، وهذا يحتاج إلى علماء راسخين، حيث تتشابك المصالح في عصرينا، وحيث للرأي العام دوره الكبير في قرارات الدول، وحيث احتمالات توسيع الأضرار<sup>(3)</sup>.

\* للحظ قيمة الكلمة عند الصحابة رضي الله عنهم في موقف محمد بن مسلمة □ بعد أن أعطى كلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتنهى فيها بقتل اليهودي ابن الأشرف، ثم إبطاؤه في ذلك، أعيته الحيلة بقيام صعوبات في سبيل تحقيق ما وعد، حيث امتنع عن الطعام والشراب وأصابه الغم والحزن؛ لأنه قال قوله يخشى أن لا يستطيع الوفاء به، وللاحظ في مجتمعاتنا المعاصرة أن كثيراً من الناس يعطون عهوداً ومواثيق ولا يقدرون قيمتها ويخرفون ذمتهم ويتراجعون عن عهودهم ومواثيقهم وتبقى حبراً على ورق، فهو لاء ليسوا أصحاب مبادئ وموافق يبتغي بها وجه الله، بل هم أصحاب مصالح ومنافع يخشى عليهم أن يبعدوها من دون الله.

إن أصحاب الدعوات يؤثرون أن تندق أعناقهم وأن تصوّي أجسامهم وتزهق أرواحهم على أن يتراجعوا عن كلماتهم وعهودهم ومواثيقهم، يستذبذبون الموت والعقاب في سبيل عقائدهم وإسلامهم<sup>(4)</sup>.

\* في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما عليك الجهد»<sup>(5)</sup> فيه توجيه نبوي كريم أن النصر لا يأتي إلا بعدبذل الجهد والصبر عند الابتلاء، قال تعالى: **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعِيْنِ تُوْجِيْهَا إِلَيْكَ مَا**

1

2

3

4

(?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (5/54).

(?) انظر: وقفات تربوية مع السيرة النبوية، ص 205.

(?) انظر: الأساس في السنة وفقها السيرة النبوية (2/537).

(?) انظر: الصراع مع اليهود (1/119). (4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/61).

**كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلَ هَذَا فَأَضَيْرُ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** [هود: 49]. وعلى المسلم أن يفرغ كل ما في وسعه من جهد فكري وطاقة جسمية في سبيل تحقيق ما وعد، ثم يتوكل على الله بعد ذلك في النتائج<sup>(1)</sup>.

\* وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «قولوا ما بدا لكم»<sup>(2)</sup> فقه نبوي كريم، فقد قالوا كلاماً هو في الأحوال العادلة كفر، ومن هنا تعرف أنه من أجل تحقيق المهام العسكرية فلا حدود، للكلام الذي يقال، ولكن تأتي هنا مسألة أخرى وهي ما إذا كان النجاح في المهام العسكرية يقتضي أفعالاً لا تجوز أو يقتضي ترك فرائض، فما العمل؟ المعروف أنه ليس هناك من الذنب أعظم من الكفر والشرك، فإذا جاز التظاهر بالكفر لذلك فمن باب أولى جواز غيره، على أن يتتأكد طريقاً للوصول إلى الهدف أو يغلب الظن على ذلك، وعلى أن يقتصر فيه على الحد الذي لا بد منه، سواء كانت الوسيلة تأخير فريضة أو ارتكاب محظور، على أن هذا وهذا مقيدان بالفتوى، فهناك محظوظات لا يصح فعلها بحال كالزنا واللواء<sup>(3)</sup>.

\* هناك بعض القضايا تحتاج لأهل الفتوى المؤهلين لأن يفتوا فيها، خصوصاً في الظروف الاستثنائية والحالات الاضطرارية، وفي المحاكمات السياسية والعسكرية لأنها تحتاج إلى الموزانات والفتاوي الاستثنائية التي لا يستطيعها كل إنسان، فالأحكام الأصلية ليست مجهولة، وإنما الأحكام الاستثنائية التي تقتضيها الظروف الاستثنائية تحتاج إلى علماء ربانيين، وفقهاء راسخين لهم القدرة على فهم مقاصد الشريعة، وواقعهم الذي يعيشون فيه<sup>(4)</sup>.

\* وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «قولوا ما بدا لكم» فقه عظيم يوضحه قوله صلى الله عليه وسلم: «الحرب خدعة»<sup>(5)</sup>.

\* قوله صلى الله عليه وسلم: «انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم»<sup>(6)</sup> كان لهذا التذكير بالإخلاص في الجهاد، انطلقوا على اسم الله والدعاة لهم بالتوفيق والعون، كل ذلك كان حافزاً على الثبات ورافعاً للمعنويات، فلم يعبأوا بقوة ابن الأشرف ومن حوله من الناس؛ لأنهم استشعروا معية الله لهم ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربي بإعانتهم وتحقيق مسعاهم، ونلحظ في الهدي النبوى الأخذ بكل الأسباب المادية، والتخطيط السديد، ولا ينسى حانب الدعاء النبوى الكريم، فإنهم لم يغفلوا الأسباب الموصولة بهم إلى نجاح مقصودهم؛

<sup>1</sup> (?) انظر: الصراع مع اليهود (1/120). <sup>2</sup> (6) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/61).

<sup>3</sup> (?) انظر: الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (2/537، 538). <sup>4</sup> (?) نفس المصدر (2/537، 538). <sup>5</sup> (3) صحيح مسلم رقم 1740، ص 1362.

<sup>6</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/61). <sup>6</sup> (5) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (5/56).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

لأن المسلم مأمور بالجماع بين التوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب التي شرعها الله سبحانه<sup>(1)</sup>. ولذلك كانت خطة محمد بن مسلمة مع إخوانه محكمة وأتقنوا فقه سنة الأخذ بالأسباب، فقد كانت الأسباب التي ساعدت على نجاح الخطة كالتالي:

- أن أبا نائلة كان أخاه من الرضاعه وهو يطمئن إليه ولا يتوجس منه خيفة.

- وفي بعض الروايات طمأن أبو نائلة كعب بن الأشرف، وأدخل الأننس إلى قلبه بمناشدته في الشعور قبل أن يحدثه عن حاجته.

- ولم يحدثه عن حاجته إلى كعب حتى أخرج كعب الذي عنده كان من سبل التوفيق، ولو بقي أولئك النفر لربما قد كشفوا حقيقة الأمر، وحدروا كعباً من عاقبته، فحدثهم معه على انفراد كان في غاية التوفيق.

- تظاهرهم بالنيل والإبرم والتظلم من الرسول صلى الله عليه وسلم طمأن كعب بن الأشرف.

- فكرة رهن السلاح كانت في غاية التوفيق حتى يكون اصطحابهم للسلاح غير مرتب، ولا يبعث على الريبة ذلك، لأنهم أحضروا ما سيرهونه إلى كعب، وفي نفس الوقت يستطيعون أن يستخدموا هذا السلاح في أي وقت التقوا به.

- أخذ الموعود من كعب بن الأشرف كان إحكاماً في الخطة بحيث يتسنى لهم في أي وقت من الليل أن يأتوه ويطرقوا عليه الباب دون أن يشك فيهم وفي نيتهم.

- اطمئنان ابن الأشرف إلى أبي نائلة ومحمد بن مسلمة جعله يخرج في وقت لا يخرج فيه الإنسان من بيته عادة تحسباً لقتال عدو على حين غرة وغفلة<sup>(2)</sup>.

- إن خطة إبعاد ابن الأشرف عن بيته إلى مكان يخلو به دون رقيب أو نصير كانت موفقة.

- استدراج أبي نائلة لابن الأشرف وشمه طيب رأسه وإمساكه بشعره ليشميه كان موفقاً وتقديمة ليمسك بهذا الرأس الخبيث ويتمكن منه لتكون الفرصة سانحة لتنفيذ حكم الله في هذا اليهودي اللعين<sup>(3)</sup>.

- وتظهر قدرة الصحابة الفائقة على الحفاظ على السرية، وذلك من كتمان هذه الخطة مع كثرة من في المدينة من اليهود والمنافقين، ومع تأخر تنفيذها، وكون النبي صلى الله عليه وسلم عرض هذا الأمر في مشهد من الصحابة وجرت فيه مشورة، وهذا دليل على قوة إيمان

<sup>2</sup> (?), (2) انظر: الصراع مع اليهود (1/122).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

هؤلاء الصحابة وإخلاصهم لدينهم<sup>(1)</sup>.

وقام هؤلاء المغاوير بتنفيذ أدوار الخطة المحكمة التي اتفقوا عليها وأدرکوا مقصودهم الاسمي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بإحساسه الكبير ومشاعره الفياضة، فقد كانوا يقومون بتنفيذ العملية بعقولهم وأجسامهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتولى قيادتهم العليا بالاتصال بالله تعالى ودعائه لهم بالنصر والإعانة<sup>(2)</sup>.

### 3- أثر مقتل اليهودي ابن الأشرف على اليهود: انتشر

خبر مقتل ابن الأشرف في المدينة، فأسرع أحبار اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكون ويحتاجون على ما فعله أصحابه، فلم يحفل النبي صلى الله عليه وسلم بهم، بل أكد مقتله الذي كان نتيجة حتمية لموقفه المعادي، وقد أوقعت هذه الحادثة الرعب في نفوس اليهود جميعهم، فلم يعد أحد من عظامائهم يجرؤ على الخروج من حصنه، كما لم يعد أحد يهود المدينة إلا ويخاف على نفسه من المسلمين<sup>(3)</sup>. واضطرب اليهود لتجديد المعاهدة، وكان لمقتل كعب بن الأشرف أثر عميق في نفوسهم، فمضوا يكيدون للإسلام، كما سبّتين من الأحداث، ومن الجدير بالذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤخذ ببني النضير بجريمة كعب بن الأشرف، واكتفى بقتله جراء غدره وجدد المعاهدة معهم<sup>(4)</sup>. ومن الفقه النبوي في معاملة اليهود، نستفيد أن العلاج الأمثل لليهود هو زجرهم وقتل أهل الفتنة فيهم ومطاردتهم؛ لأنهم أهل شرور لا يتخلصون منها ولا يتوقفون عنها<sup>(5)</sup>.

### رابعاً: بعض المناسبات الاجتماعية:

**أ- زواج النبي صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر:** قال عمر: حين تأيمت<sup>(6)</sup> حفصة بنت عمر من خنيس بن حداقة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفي في المدينة، فقال عمر: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة بنت عمر، فقال: سأنتظر في أمري، فلبيت ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبي بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فضمنت أبو بكر الصديق فلم يرجع إلي شيئاً، فكنت عليه أوجد مني على عثمان. فلبيت ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت على حين عرضت على حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي، إلا أنني كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها، فلم

<sup>1</sup> (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (5/56).  
<sup>2</sup> (5/57).

<sup>3</sup> (?) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص 188. (2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (17304).

<sup>4</sup> (?) انظر: الصراع مع اليهود (1/126). (4) تأيمت: مات عنها زوجها.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأول من رمضان وعيد الفطر 1426

أكُن لِأَفْشِي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها رسول الله قبلتها<sup>(١)</sup>.

**بـ- زواج علي بـ فاطمة رضي الله عنها:** قال علي بن أبي طالب: خطبت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مولاً لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزوجك، قلت: وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجك.

قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم حلاة وهيبة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما جاء بك؟ ألك حاجة؟» فسكت، فقال: «لعلك جئت تخطب فاطمة؟». قلت: نعم. فقال: «وهل عندك من شيء تستحلها به؟». قلت: لا والله يا رسول الله. فقال: «ما فعلت درع ساحتكم؟ فوالذي نفس علي بيده إنها لخطمية ما قيمتها أربعة دراهم». قلت: عندي. فقال: «قد زوحتكم فابعث إليها بها فاستحلها بها» فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(2)</sup>، وقد جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة في خميل<sup>(3)</sup> وقربة ووسادة أدم<sup>(4)</sup> حشوها إذخر<sup>(5)</sup>.

وهكذا كانت حياتهم في غاية البساطة بعيدة عن التعقيد وهي إلى شطوف العيش أقرب منها إلى رغده<sup>(7)</sup>. وهذه القصة تصور لنا حال السيدة فاطمة من التعب و موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم منها عندما طلبت منه أن يعطيها خادماً من النبي، فقد جاء في مسند الإمام أحمد: (قال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنت<sup>(8)</sup> حتى لقد اشتكيت صدري، قال: وجاء الله أباك بنبي فاذهبي فاستخدميه<sup>(9)</sup>، فقالت: أنا والله قد طحنت حتى مجلت يدي<sup>(10)</sup>. فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما جاء بك أي بنيّة؟» قالت: جئت لأنسلم عليك واستحييت أن تسأله ورجعت، فقال: ما فعلت؟ قال: استحييت أن أسأله، فاتينا جميعاً، فقال علي: يا رسول الله والله لقد سنت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي وقد جاءك الله بنبي وسعة فأخذمنا، فقال رسول الله صلى

1

2

3

4

5

6

7

8

9

(?) البخاري، كتاب النكاح، رقم 5122.

(?) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (160/3) إسناده حسن.

(?) خميل: القطيف.

(3) الأدم: الجلد.

(?) إذخر: نبات له رائحة عطرة.

(5) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 267.

(?) انظر: معین السیرة، ص 255.

(7) سنوات: استقيت.

(?) أي اساليه خادماً.

(9) مجلت يدي: ثخن جلدتها وتعجر.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

الله عليه وسلم: «وَاللَّهُ لَا أَعْطِيْكُمَا وَأَرْعَ أَهْلَ الصَّفَةِ طَوْيٌ<sup>(1)</sup>  
بَطْوَنَهُمْ، لَا أَجِدُ مَا أَنْفَقَ عَلَيْهِمْ، وَلَكُنِي أَبِعْهُمْ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ»  
فَرَجَعاً فَأَنَاهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ دَخَلَا فِي قَطِيفَتْهُمَا إِذَا  
غَطَّتْ رُؤُسَهُمَا تَكَشِّفَتْ أَقْدَامَهُمَا، وَإِذَا غَطَّيَا أَقْدَامَهُمَا تَكَشِّفَتْ  
رُؤُسَهُمَا، فَثَارَا، فَقَالَ: «مَكَانَكُمَا» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَخْبُرُكُمَا بِخَيْرِ مَا  
سَأَلْتُمَانِي؟» قَالَا: بَلَى، فَقَالَ: «كَلْمَاتُ عَلَمْنِيهِنَّ جَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»  
فَقَالَ: «تَسْبِحَانَ فِي دِيرٍ كُلَّ صَلَاةٍ عَشَرًا، وَتَحْمِدَانَ عَشَرًا، وَتَكْبِرَانَ  
عَشَرًا، وَإِذَا أَوْتَيْتَمَا إِلَى فَرَاشَكُمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلَاثًا  
وَثَلَاثِينَ وَكَبِرَا أَرْبَعاً وَثَلَاثِينَ»<sup>(2)</sup>.

وَهَكُذا كَانَ الْهَدِيُّ النَّبُوِيُّ فِي تَرْبِيَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَقْرَبَائِهِ، لَقَدْ أَخْفَقَتْ  
مِسَاعِي السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ وَعَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِلْحَصُولِ عَلَى خَادِمٍ؛  
لَأَنَّ السَّيِّدَ يَرِيدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ أَنْ يَبِيعَهُ، وَيَنْفَقْ ثَمَنَهُ عَلَى أَهْلِ  
الصَّفَةِ الَّذِي يَتَلَوَّنُ مِنَ الْجَوْعِ، فَهُمْ أَيْضًا مِنْ خَاصَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ عَلَيْهِ وَفَاطِمَةَ، وَالطَّعَامُ مَقْدُومٌ عَلَى الْخَدْمَةِ<sup>(3)</sup>.  
وَلَقَدْ تَأْثَرَ عَلَيَّ بِهَذِهِ التَّرْبِيَةِ النَّبُوِيَّةِ، وَيَمِرُّ الزَّمْنُ بِالْفَتِنَى عَلَى فَيَصِّبُ  
خَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا بِهِ مِنْ أَثْارِ هَذِهِ التَّرْبِيَةِ يَتَرَفَّعُ عَنِ الدِّينِ  
وَزَخَارَفَهَا، وَبِيدهِ كَنُوزُ الْأَرْضِ وَخَيْرَاتِهَا؛ لَأَنَّ ذَكْرَ اللَّهِ يَمْلأُ قَلْبَهُ وَيَغْمُرُ  
وَجُودَهُ، وَلَقَدْ حَافَظَ عَلَى وَصْبَرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ  
وَقَدْ حَدَثَنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُنَّ مِنْذَ عَلَمْنِيهِنَّ، فَسَالَهُ أَحَدُ  
الصَّحَابَةِ وَلَا لِيَلَةَ صَفَينَ<sup>(4)</sup>، وَكَانَ كَمَا وَصَفَهُ  
ضَرَارُ بْنُ ضِمْرَةَ فِي مَجْلِسِ مَعَاوِيَةَ: (.... يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدِّينِ  
وَزَهَرَتِهَا، وَيَأْنِسُ بِاللَّيلِ وَظَلَمَتِهِ، كَانَ وَاللَّهُ غَزِيرُ الْعَبْرَةِ، طَوِيلُ  
الْفَكْرَةِ، يَقْلِبُ كَفَهُ، وَيَخَاطِبُ نَفْسَهُ، يَعْجِبُهُ مِنَ الْلِّبَاسِ مَا قَصْرٌ، وَمِنَ  
الْطَّعَامِ مَا جِنْشَبِ...)<sup>(5)</sup>.

\* \* \*

1 (?) تَطْوِي: طَوِيْ مِنَ الْجَوْعِ فَهُوَ طَاوِ خَالِي الْبَطْنِ جَائِعٌ لَمْ يَأْكُلْ.

2

3 (?) انْظُرْ: الفَتْحُ الرَّبِيَّانِيُّ (17/260) رقم 90.

4

5 (?) انْظُرْ: التَّرْبِيَةُ الْقِيَادِيَّةُ (3/100).

3

4 (?) انْظُرْ: الإِصَابَةُ فِي تَميِيزِ الصَّحَابَةِ (8/159).

5

5 (?) انْظُرْ: صَفَةُ الصَّفَوةِ لَابْنِ الجُوزِيِّ (1/84).

## الفصل التاسع

### غزوة أحد

#### المبحث الأول أحداث ما قبل المعركة

##### أولاً: أسباب الغزوة:

كانت أسباب غزوة أحد متعددة منها: الديني، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي.

**1- السبب الديني:** فقد أخبر المولى عز وجل أن المشركين ينفقون أموالهم في الصد عن سبيل الله، وإقامة العقبات أمام الدعوة الإسلامية، ومنع الناس في الدخول في الإسلام، والسعى للقضاء على الإسلام والمسلمين ودولتهم الناشئة، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصْدُوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفَقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُعَلِّبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) [الأنفال: 36].

قال الطبراني: يصرفون أموالهم وينفقونها، ليمنعوا الناس عن الدخول في الإسلام<sup>(1)</sup>.

وقال ابن كثير: أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع الحق<sup>(2)</sup>.

وقال الشوكاني: والمعنى أن غرض هؤلاء الكفار في إنفاق أموالهم هو الصد عن سبيل الحق بمحاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمع الجيوش لذلك<sup>(3)</sup>.

من هذا يظهر أن أهم أسباب غزوة أحد هو السبب الديني الذي كان من أهداف قريش للصد عن سبيل الله، واتباع طريق الحق، ومنع الناس من الدخول في الإسلام، ومحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم والقضاء على الدعوة الإسلامية<sup>(4)</sup>.

**2- السبب الاجتماعي:** كان للهزيمة الكبيرة في بدر، وقتل السادة والأشراف من قريش وقع كبير من الخزي والعار الذي يحل بهم، وجعلهم يشعرون بالذلة والهزيمة، ولذلك بذلوا قصارى جدهم في غسل هذه الذلة والمهانة التي لصقت بهم، ولذلك شرعوا في جمع المال لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فور عودتهم من

<sup>1</sup> (?) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، محمد بامدج، ص 71.

<sup>2</sup> (?) انظر: تفسير ابن كثير (2/341) طبعة دار السلام.

<sup>3</sup> (?) انظر: فتح القدير (309).

<sup>4</sup> (?) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص 71.

بدر، قال ابن إسحاق: (لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب، ورجع قلهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بغيرهم فاوقفها بدار الندوة، وكذلك كانوا يصنعون، فلم يحركها ولا فرقها، فطابت أنفس أشرافهم أن يجهزوا منها جيشا لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمشي عبد الله بن ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وحويطب بن عبد العزى، وصفوان بن أمية في رجال ممن أصيب أباً لهم وأباً لهم وإخوانهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العبر تجارة من قريش، فقالوا: إن محمدًا قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا ندرك منه ثارنا <sup>(1)</sup>.  
بمن أصاب منها، فقال أبو سفيان: أنا أول من أجاب إلى ذلك <sup>(1)</sup>.

ودعا جبير بن مطعم غلامًا له جبشيًا يقال له: وحشى يقذف بحرية له قذف الحبشة قلما يخطئ لها فقال: اخرج مع الناس فإن كنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي، فأنت عتيق <sup>(2)</sup>.

**3- السبب الاقتصادي:** كانت حركة السرايا التي تقوم بها الدولة الإسلامية قد أثرت على اقتصاد قريش وفرضت عليهم حصاراً اقتصادياً قوياً، وكان الاقتصاد المكي قائماً على رحلتي الشتاء والصيف، رحلة الشتاء إلى اليمن وتحمل إليها بضائع الشام ومحاصيلها، ورحلة الصيف إلى الشام تحمل إليها محاصيل اليمن وبضائعها، وقطع أحد جناحي هاتين الرحلتين ضرب للجناح الآخر، لأن تجارتهم إلى الشام قائمة على سلع اليمن، وتجارتهم إلى اليمن قائمة على سلع الشام <sup>(3)</sup>، قال تعالى: (لِبَلَافَ قَرِينِشَ لِبَلَافَهُمْ رَخْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيفِ فَلَيَغْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمْتَهُمْ مِنْ حُوْفٍ) [قريش].

وبshire إلى هذا قول صفوان بن أمية: (إن محمدًا وأصحابه قد عزوا علينا متاجرنا، فما نdry كيف نصنع بأصحابه، وهم لا يبرحون الساحل، قد وادعهم <sup>(4)</sup>، ودخل عامتهم معه، فما نdry أين نسلك، وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن في ديارنا هذه، ما لنا بها يقاء، وإنما نزلناها على التجارة إلى الشام في الصيف وفي الشتاء إلى الحبشة) <sup>(5)</sup>.

**4- السبب السياسي:** فقد أخذت سيادة قريش في الانهيار بعد غزوتها بدر، وتزعزع مركزها بين القبائل بوصفها زعيمة لها، فلا بد من رد الاعتبار والحفاظ على زعامتها مهما كلفها الأمر من جهود ومال وتضحيات.

<sup>1</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/68).  
<sup>2</sup> (3/79).

<sup>3</sup> (?) انظر: غزو أحد دراسة دعوية، ص 74.  
<sup>4</sup> (?) وادعهم: أي صالحهم وسامهم. (5) انظر: المغاربي للواقدي (195/1).  
<sup>5</sup> (196).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

هذه أهم الأسباب التي جعلت قريش تبادر إلى المواجهة العسكرية ضد الدولة الإسلامية بالمدينة<sup>(1)</sup>.

### ثانيًا: خروج قريش من مكة إلى المدينة:

استكملت قريش قواها في يوم السبت لسبع خلون من ب Shawwal من السنة الثالثة من الهجرة<sup>(2)</sup>، وغيبات جيشه المكون من ثلاثة آلاف مقاتل مصحبين معهم النساء والعيال، ومن تبعها من القبائل العربية المجاورة، فخرجت قريش بحدها وحديدها وأحابيشهما<sup>(3)</sup> ومن تبعها من كانة وأهل تهامة. وخرجوا بالطعن<sup>(4)</sup>، التماس الحفيطة لثلاثة يفروا.

فخرج أبو سفيان، وهو قائد الناس بهند بنت عتبة بن ربيعة<sup>(5)</sup>، وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة بنت مسعود الثقافية، وخرج عكرمة بن أبي جهل باسم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة<sup>(6)</sup>.. فأقبلوا حتى نزلوا ببطن السبخة من قناة، على شفير الوادي مما يلي المدينة<sup>(7)</sup>.

كانت التعبئة القرشية قد سبقتها حملة إعلامية ضخمة تولى كبرها أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، وعمرو بن العاص، وهبيرة المخزومي، وابن الربيعى وقد حفظت نتائج كبيرة<sup>(8)</sup>، وبلغت النفقات الحربية لجيشه قريش خمسين ألف دينار ذهباً<sup>(9)</sup>.

### ثالثًا: الاستخبارات النبوية تتبع حركة العدو:

كان العباس بن عبد المطلب يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية، فلما تحرك هذا الجيش بعث العباس رسالة مستعجلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ضمنها جميع تفاصيل الجيش، وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة وجد في السير، حتى إنه قطع الطريق بين مكة والمدينة، التي تبلغ مساحتها خمسة كيلومتر، في ثلاثة أيام وسلم الرسالة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد قباء<sup>(10)</sup>.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتبع أخبار قريش بدقة بواسطة عمه العباس، قال ابن عبد البر: (وكان يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المسلمين يتقوون به بمكة،

1 (؟) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص 75.  
2 (؟) البداية والنهاية (4/11) المعاذى للواقدى، (1/199).

3 (؟) الأحاديث: من اجتماع إلى العرب وانضم إليهم.

4 (؟) الطعن: النساء، واحدتها طعينة، والطعينة المرأة في الهودج.

5 (؟) انظر: الإصابة (8/346) رقم 11860. (5) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/70).

7 (؟) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص 78.  
8 (؟) انظر: غزوة أحد لأبي فارس، ص 17.

9 (؟) المصدر نفسه، ص 16.

10 (؟) انظر: الرحيق المختوم للمباركفوري، ص 250.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

وكان يحب أن يقدم على رسول الله فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن مقامك في مكة خير<sup>(1)</sup>.

كانت المعلومات التي قدمها العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم دقيقة فقد جاء في رسالته: (أن قريشاً قد أجمعت المسير إليك، فما كنت صانعاً إذا حلوا بك فاصنعوا، وقد توجهوا إليك وهم ثلاثة ألف وقادوا مائتي فرسٌ وفيهم سبعمائة دارع وثلاثة آلاف بعير، وأوغروا<sup>(2)</sup> من السلاح).

**فقد احتوت هذه الرسالة على أمور مهمة منها:**

- 1- معلومات مؤكدة عن تحرك قوات المشركين نحو المدينة.
- 2- حجم الجيش وقدراته القتالية، وهذا يعين على وضع خطة تواجه هذه القوات الزاحفة.

لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بمعلومات المخابرات المكية، بل حرص على أن تكون معلوماته عن هذا العدو متقدمة مع تلاحم الزمن، وفي هذا إرشاد لقادة المسلمين بأهمية متابعة الأخبار التي يتولد عنها وضع خطط واستراتيجيات نافعة، ولذلك أرسل صلى الله عليه وسلم الحباب بن المنذر بن الجموح إلى قريش يُستطلع الخبر، فدخل بين جيش مكة وحرب عدده ورجوعه، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت؟» قال: رأيت أي رسول الله عدداً، حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، والخيل مائتي فرس، ورأيت دروغاً ظاهرة حزرتها سبعمائة درع، قال: «هل رأيت طعنًا؟» قال: رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار<sup>(4)</sup>... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أردن أن يحرضن القوم ويذكرونهم قتلى بدر، هكذا جاءني خبرهم لا تذكر من شأنهم حرفاً، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أحوال وبك أصول»<sup>(5)</sup>.

كما أرسل صلى الله عليه وسلم أنساً ومؤنساً ابني فضالة يتنصتان أخبار قريش، فألفياها قد قاربت المدينة، وارسلت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها، وعاداً فأخبراه بخبر القوم<sup>(6)</sup>.

وبعد أن تأكد من المعلومات حرص صلى الله عليه وسلم على حصر تلك المعلومات على المستوى القيادي، خوفاً من أن يؤثر هذا الخبر على معنويات المسلمين قبل إعداد العدة، ولذلك حين قرأ أبي بن كعب رسالة العباس أمره صلى الله عليه وسلم بكتمان الأمر،

<sup>1</sup> (؟) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (2/812).  
<sup>2</sup> (؟) أوغروا: خرجن جميعاً عندهم من السلاح.

(2) انظر: مغاري الواقدي (1/204).

(?) الأكبار: جمع كبير؛ والكبير هو: الطبل الذي له وجه واحد وهو فارسي مغرب.  
<sup>4</sup> (?) انظر: مغاري الواقدي (1/207, 208). (5) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/187).

<sup>5</sup> هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

<sup>6</sup> -

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

وعاد مسرعاً إلى المدينة، وتبادل الرأي مع قادة المهاجرين والأنصار في كيفية مواجهة الموقف، وكان صلى الله عليه وسلم قد أطلع سيد الأنصار سعد بن أبي ثابت على خبر رسالة العباس فقال: والله إني لأرجو أن يكون خيراً، فاستكتمه إياه، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند سعد، قالت له امرأته: ما قال لك رسول الله؟ فقال لها: لا أم لك، أنت وذاك، فقالت: قد سمعت ما قال لك، فأخبرته بما أسر به الرسول صلى الله عليه وسلم فاسترجع سعد، وقال: يا رسول الله، إني خفت أن يفشو الخبر فترى إني أنا المفتشي له وقد استكتمني إياه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خل عنها»<sup>(1)</sup>.

وفي هذه الحادثة درس بالغ للعسكريين وتحذيرهم من إطلاع زوجاتهم على أسرارهم العسكرية، وخطفهم وأوامرهم، وينبغي الحذر من إفشاء مثل هذه الأسرار لأن إفشاؤها يهدد الأمة ومستقبلها بكارثة كبرى.

إن تاريخ الأمم والشعوب في القديم والحديث يحذّرنا أن كثيراً من الهزائم والمآسي والألام قد حلّت بكثير من الأمم نتيجة لتسرب أسرار الجيوش إلى أعدائها عن طريق زوجة خائنة، أو خائن في ثوب صديق، أو قريب في الظاهر عدو في الحقيقة والواقع<sup>(2)</sup>.

#### رابعاً: مشاورته صلى الله عليه وسلم لأصحابه:

بعد أن جمع صلى الله عليه وسلم المعلومات الكاملة عن جيش كفار قريش جمع أصحابه رضي الله عنهم وشاورهم في البقاء في المدينة والتحصن فيها أو الخروج لمقابلة المشركين، وكان رأي النبي صلى الله عليه وسلم البقاء في المدينة، وقال: «إنا في جنة حصينة»<sup>(3)</sup> فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها، وكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول<sup>(4)</sup> مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن رجالاً من المسلمين ممن كان فاته بدر قالوا: يا رسول الله، أخرج بنا إلى أعدائنا.

قال ابن كثير: (وابي كثير من الناس إلا الخروج إلى العدو ولم يتناهوا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيه، ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك، ولكن غلب القضاء والقدر، وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدرًا، قد علموا الذي سبق لأهل بدر من

<sup>1</sup> (?) انظر: السيرة الحلبية (2/489). <sup>2</sup> انظر: غزوة أحد لأبي فارس، ص 22.

<sup>3</sup> (?) انظر: تاريخ الطبراني، (2/60). <sup>4</sup> انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص 82.

وقال ابن إسحاق: فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان من أمرهم حب لقاء القوم، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته، فلبس لأمته<sup>(2)</sup>، فتلاؤم القوم فقالوا: عرضنبي الله صلى الله عليه وسلم بأمر وعرضتم بغيره، فاذهب يا حمزة فقل لنبي الله صلى الله عليه وسلم: (أمرنا لأمرك تبع) فأتى حمزة فقال له: (يا نبي الله إن القوم تلاؤموا، فقالوا: أمرنا لأمرك تبع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل»<sup>(3)</sup>.

**كان رأي من يرى الخروج إلى خارج المدينة مبنياً على أمور منها:**

- 1- أن الأنصار قد تعاهدوا في بيعة العقبة الثانية على نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان أغلبهم يرى أن المكوث داخل المدينة تقاعس عن الوفاء بهذا العهد.
- 2- أن الأقلية من المهاجرين كانت ترى أنها أحق من الأنصار في الدفاع عن المدينة ومحاجمة قريش وصدتها عن زروع الأنصار.
- 3- أن الذين فاتتهم غزوة بدر كانوا يتحرقون شوقاً من أجل ملاقاة الأعداء طمعاً في حصول الشهادة في سبيل الله.
- 4- أن الأكثرين كانوا يرون أن في محاصرة قريش للمدينة طفرًا يجب إلا تحلم به، كما توقعوا أن وقت الحصار سيطول أمه، فيصبح المسلمين مهددين بقطع المؤمن عنهم<sup>(4)</sup>.

**أما من وجهة نظر من يرى البقاء في المدينة فهو مبني على التخطيط العسكري الآتي:**

- 1- أن جيش مكة لم يكن موحد العناصر، وبذلك يستحيل على هذا الجيش البقاء زمناً طويلاً إذ لا بد من ظهور الخلاف بينهم إن عاجلاً أو آجلاً.
- 2- أن مهاجمة المدن المصممة على الدفاع عن حياضها وقلاعها وبعistaها أمر بعيد المنال، وخصوصاً إذا تشابه السلاح عند كلاً الجيشين، وقد كان يوم أحد متشابهاً.
- 3- أن المدافعين إذا كانوا بين أهلיהם فإنهن يستسلون في الدفاع عن أبنائهم وحماية نسائهم وبناتهم وأعراضهم.
- 4- مشاركة النساء والأبناء في القتال وبذلك يتضاعف عدد المقاتلين.

<sup>1</sup> (?) انظر: البداية والنهاية (4/14). <sup>2</sup> (6) لامة الحرب: عدتها.

<sup>3</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/71).

<sup>4</sup> (?) انظر: غزوة أحد، أحمد عز الدين، ص 51، 52.

5- استخدام المدافعين أسلحة لها أثر في صفوف الأعداء مثل الأحجار، وغيرها، وتكون إصابة المهاجمين في متناولهم<sup>(5)</sup>.

من الواضح أن الرسول **صلى الله عليه وسلم** عَوَّد أصحابه على التصریح برأيهم عند مشاورته لهم حتى ولو خالفت رأيه، فهو إنما يشاورهم فيما لا نص فيه تعویداً لهم على التفكير في الأمور العامة ومعالجة مشاكل الامة، فلا فائدة من المشورة إذا لم تقترب بحرية إبداع الرأي، ولم يحدث أن لام الرسول **صلى الله عليه وسلم** أحداً؛ لأنه أخطأ في اجتهاده ولم يوفق في رأيه، وكذلك فإن الأخذ بالشوري ملزم للإمام، فلابد أن يطبق الرسول **صلى الله عليه وسلم** التوجيه القراني: (فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَنْتُ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَاطِعَ الْقَلْبَ لَا نَقْصُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَرَمْتَ فَتَوَكِّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: 159]، لتعتاد على ممارسة الشوري وهنا يظهر الوعي السياسي عند الصحابة رضوان الله عليهم، فرغم أن لهم إبداع الرأي، فإنه ليس لهم فرضه على القائد، فحسبيهم أن يبينوا رأيهم، ويتركوا للقائد حرية اختيار ما يتربح لديه من الآراء، فلما رأوا أنهم أحوا في الخروج وأن الرسول **صلى الله عليه وسلم** عزم على الخروج بسبب إلحاحهم، عادوا فاعتذروا إليه، لكن الرسول الكريم علمهم درساً آخر هو من صفات القيادة الناجحة وهو عدم التردد بعد العزيمة والشروع في التنفيذ، فإن ذلك يزعزع الثقة بها ويغرس الفوضى بين الأتباع<sup>(2)</sup>.

كان النبي **صلى الله عليه وسلم** قد عزم على الخروج وقد أعلم كل الطوارئ العامة وتجهز الجميع للقتال، وأمضوا ليلاً لهم في حذر، كل يصحب سلاحه ولا يفارقه، حتى عند نومه، وأمر **صلى الله عليه وسلم** بحراسة المدينة، واختار خمسين من أشداء المسلمين ومحاربيهم بقيادة محمد بن مسلمة<sup>١</sup>. واهتم الصحابة بحراسة رسول الله، فبات سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير وسعد بن عبادة في عدة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ليلة الجمعة مدججين بالسلاح في باب المسجد يحرسون رسول الله **صلى الله عليه وسلم**<sup>(3)</sup>.

#### خامساً: خروج جيش المسلمين إلى أحد:

أ- من الأساليب المهمة التي اتخذها **صلى الله عليه وسلم** لملاقاة أعدائه اختياره لوقت التحرك والطريق التي تناسب خطته، فقد تحرك بعد منتصف الليل، حيث يكون الجو هادئاً، والحركة قليلة، وفي هذا الوقت بالذات يكون الأعداء، غالباً، في نوم عميق لأن الإعياء ومشقة السفر قد أخذوا منهم مجھوداً كبيراً.

5 (؟) انظر: القيادة العسكرية للرشيد، ص 374.

2 (1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/380).

3 (؟) انظر: غزوة أحد، لأبي فارس ص 34، 35.

ومن المعروف أن من نام بعد تعب يكون ثقيل النوم، فلا يشعر بالأصوات العالية والحركة الثقيلة، قال الأوaciدي رحمة الله: ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدخل، فلما كان في السحر قال: «أين الأدلة؟»<sup>(1)</sup> ثم إنه صلى الله عليه وسلم اختار الطريق المناسب الذي يسلكه حتى يصل إلى أرض المعركة، وذكر صفة ينبعي أن تتوافر في هذا الطريق وهي السرية، حتى لا يرى الأعداء جيش المسلمين، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «من رجل يخرج بنا على القوم من طريق لا يمر بنا عليهم؟» فابدى أبو خيثمة استعداده قائلاً: أنا يا رسول الله، فنفذه به في حرث بني حارثة وبين أمواهم، حتى سلك به في مآل لريعي بن قيطي، وفي رواية ابن هشام: لمربع بن قيطي وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر، فلما أحسن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين، قام بحثو في وجوههم التراب، وهو يقول: إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطي، وقد ذكر أنه أخذ حفنة من تراب بيده، ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد، لضررت بها وجهك، فايذره القوم ليقتلوه، فقال لهم: لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر، وقد بدر إليه سعد بن زيد أخوبني الأشهل<sup>(2)</sup> قبل نهي رسول الله عنه، فضربه بالقوس في رأسه فتشجه<sup>(3)</sup>.

ولا شك في أن مروره صلى الله عليه وسلم بين الأشجار والبساتين يدلنا على حرصه صلى الله عليه وسلم على الأخذ بالاحتياطات الأمامية المناسبة في أثناء السير؛ لأن الطرق العامة تكشف للأعداء على مقدار قوات المسلمين، وهذا أمر محظوظ، فالرسول صلى الله عليه وسلم علم الأمة الأخذ بالسرية من حيث المكان، ومن حيث الزمان، لئلا يستطيع الأعداء معرفة قواتهم فيضعوا الخطط المناسبة لمحاجتها، وبذلك يذهب تنظيم القادة وإعدادهم لجيوشهم في مهب الرياح.

وفي هذا الخبر تطبيق عملي لتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة إذا تعارضت المصلحتان فالرسول صلى الله عليه وسلم حينما مر بالجيش في أرض المنافق مربع بن قيطي، وترتب على ذلك إفساد المزرعة، لكن فيه مصلحة للجيش باختصار الطريق لهم إلى أحد، فيبين صلى الله عليه وسلم أن ما يكون به مصلحة للدين مقدم على ما سواه من المصالح الأخرى، فهنا تعارضت مصلحتان مصلحة عامة ومصلحة خاصة، ومصلحة الدين في هذا الموقف مصلحة عامة وهي مقدمة على المصلحة الخاصة، وهي مصلحة المال<sup>(4)</sup>. وقد رتب الشاعر الحكيم مقاصد الشرع في تحقيق المنافع

<sup>1</sup> (?) انظر: المغاربي للواقدي (1/217).

<sup>2</sup> (?) بنو الأشهر: حي من الانصار. (2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/73).

<sup>4</sup> (?) انظر: غزوة أحد، دراسة دعوية، ص 168.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

لعياده من حفظ دينهم ونقوسهم وعقولهم ونسفهم وأموالهم طبق ترتيب معين فيما بينها<sup>(1)</sup>، فإذا نظرنا إلى كليات الدين الخمس وأهميتها وجدنا أن هذه الكليات متدرجة حسب الأهمية: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، فما يكون به حفظ الدين مقدم على ما يكون به حفظ النفس عند تعارضهما، وما يكون به حفظ النفس مقدم على ما به يكون حفظ العقل، وما به يكون حفظ النسل مقدم على ما به حفظ المال، والترتيب بهذا الشكل من هذه الكليات يحظى باتفاق العلماء<sup>(2)</sup>.

### **بـ انسحاب المنافق ابن سلول بثلث الجيش:**

وصل جيش المسلمين الشواط<sup>(3)</sup> انسحب المنافق ابن سلول بثلاثمائة من المنافقين بحجة أنه لن يقع قتال مع المشركين، ومعترضاً على قرار القتال خارج المدينة قائلاً: (أطاع الولadan ومن لا رأي له، أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا)<sup>(4)</sup>. وكان هدفه الرئيس من هذا التمرد أن يحدث بلبلة واضطراباً في الجيش الإسلامي لتهار معنوياته، ويتشنج العدو، وتعلو همته، وعمله هذا ينطوي على خيانة عظيمة، وبغض الإسلام والمسلمين، وقد اقتضت حكمة الله أن يمحص الله الجيش ليظهر الخبيث من الطيب، حتى لا يختلط المخلص بالغرض، والمؤمن بالمنافق<sup>(5)</sup> قال تعالى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَتَرَكُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيْبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلَعَكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ) [آل عمران: 179]. فالجبن والنكوص بما اللذان كشفا عن طوبية المنافقين، فافتضحوا أمام أنفسهم وأمام الناس قبل أن يفضحهم القرآن<sup>(6)</sup>.

**جـ موقف عبد الله بن عمرو بن حرام من انخذال المنافقين:** حاول عبد الله بن حرام إقناع المنافقين بالعودة فأبوا، فقال: يا قوم أذركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أن يكون قتال، فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال: أبعدكم الله، أعداء الله، فسيغبني الله عنكم نبيه<sup>(7)</sup>. وفي هؤلاء المنخذلين نزل قول الله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقْرِيرِ الْحَمْعَانِ فِيَادِنِ اللَّهِ وَلِتَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِتَعْلَمَ الَّذِينَ نَأَفَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ يَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا قَاتِلُوا لَوْ نَعْلَمُ قَاتِلًا لَاتَّبِعَنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفَّرِ يُؤْمِنُ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ

1 (?) انظر: ضوابط المصلحة، محمد رمضان البيوطى، ص 23.  
2 (?) انظر: المقاصد العامة للشريعة، يوسف حامد العالم، ص 166.

3 (?) الشواط: اسم حائط، أي بستان، بين المدينة وأحد.

4 (?) انظر: البداية والنهاية (4/14). (2) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص 84.

5 (?) انظر: مرويات غزوة أحد، حسين أحمد، ص 71. (4) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 277.

6 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

**يَأْفُوا هُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْنُمُونَ** ) [آل عمران: 166، 167].

د- بنو سلمة، وبنو حارثة: ولما رجع ابن أبي ابن سلول وأصحابه همت بنو سلمة وبنو حارثة أن ترجعوا، ولكن الله ثبتهما وعصمهما، قال جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية فينا: (إذ هَمَت طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَغْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَّهُوكُلُّ الْمُؤْمِنُونَ ) [آل عمران: 122] بنو سلمة، وبنو حارثة، وما أحب أنها لم تنزل والله يقول: ( وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا )<sup>(1)</sup>.

لقد أثر موقف المنافقين في نفوس طائفتين من المسلمين ففكروا بالعودة إلى المدينة، ولكنهم غالباً ما هم الضعف الذي الم بهم، وانتصروا على أنفسهم بعد أن تولاهم الله تعالى فدفع عنهم الوهن فثبتوا مع المؤمنين.

وقد ظهر رأيان في أوساط الصحابة تجاه موقف ابن سلول، فالأول: يرى قتل المنافقين الذين خذلوا المسلمين بعودتهم وانشقاقهم عن الجيش، والثاني: لا يرى قتلهم، وقد بين القرآن الكريم موقف للفريقين<sup>(2)</sup> في الآية: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فَيَتَّئِنُ وَاللَّهُ أَرْكِسُهُمْ بِمَا كَسَبُوا أُتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مِنْ أَصْلِ اللَّهِ وَمَنْ يَضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَحِدَّلَهُ سِيلًا ) [ النساء: 88].

هـ - الاستعانة بغير المسلمين: عندما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكان يدعى الشيفين رأى كتبة لها صوت وحلبة فقال: ما هذه؟ فقالوا: هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي ابن سلول من يهود فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك»<sup>(3)</sup>، وهذا أصل وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في عدم الركون إلى أعداء الإسلام في الاستئصال بهم<sup>(4)</sup>.

و- رد النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة لصغر سنهم: رد النبي صلى الله عليه وسلم في معسكره بالشيفين جماعة من الفتياًن لصغر أعمارهم، إذ كانوا في سن الرابعة عشرة أو دون ذلك، منهم عبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وأسامه بن زيد، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأبو سعيد الخدري، بلغ عددهم أربعة عشر صبياً، وقد ثبت أن ابن عمر كان منهم<sup>(5)</sup>، وأجاز منهم رافع بن خديج لما قيل له: إنه رامٍ، فبلغ ذلك سمرة بن جندب فذهب إلى زوج أمه

1 (؟) البخاري في المغازي، باب إذ همت طائفتان رقم 4051.  
2 (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (3/382).

3 (1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 278. (2) انظر: محمد رسول الله، محمد عرجون (3/561).

4 (3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/383). (4) انظر: محمد رسول الله (3/571).

5 (5) المصدر نفسه (3/572).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

مرى بن سنان بن ثعلبة عم أبي سعيد الخدري وهو الذي ربى سمرة في حجره بيكي، وقال له: يا أبا إجاز راجع رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعاً وردني، وأنا أصرع رافعاً، فرجع زوج أمه هذا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى رافع سمرة فقال لهما: «تصارعا» فصرع سمرة رافعاً فاجازه كما اجاز رافعاً، وجعلهما من جنده وعسكر كتائبه، ولكل منهما محاله واختصاصه<sup>(1)</sup>.

ونلحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاز رافعاً وسمرة لامتياز عسكري امتازا به على أقرانهما، ورد صغار السن خشية الآ يكون لهم صبر على ضرب السيف، ورمي السهام، وطعن الرماح، فيفروا من المعركة إذا حمي الوطيس، فيحدث فرارهم خلخلة في صفوف المسلمين<sup>(2)</sup>.

ونلحظ أن المجتمع الإسلامي يضج بالحركة، ويسعى للشهادة شيئاً، وشبياً، وحتى الصبيان يقبلون على الموت ببسالة، ورغبة في الشهادة، تبعث على الدهشة، دون أن يجبرهم قانون التجنيد، أو تدفع بهمقيادة إلى ميدان القتال، وهذا يدل على اثر المنهج النبوى الكريم في تربية شرائح الأمة المتعددة على حب الآخرة والترفع عن أمور الدنيا.

### سادساً: خطة الرسول صلى الله عليه وسلم لمواجهة كفار مكة:

أ- وضع الرسول صلى الله عليه وسلم خطة محكمة لمواجهة المشركين من قريش، حيث اختار الموقع المناسب، وانتخب من يصلح للقتال، ورد من لم يكن صالحًا، واحتار خمسين منهم للرمي، وشدد الوصية عليهم، وقام بتقسيم الجيش إلى ثلاث كتائب، وأعطى اللواء لأحد أفراد الكتبية، وهذه الكتائب هي:

- 1- كتيبة المهاجرين، وأعطي لواءها مصعب بن عمير<sup>هـ</sup>.
- 2- كتيبة الأوس من الأنصار، وأعطي لواءها أسيد بن حضير<sup>هـ</sup>.
- 3- كتيبة الخزرج من الأنصار، وأعطي لواءها الحباب بن المنذر<sup>(3) هـ</sup>.

ب- وكان صلى الله عليه وسلم من هديه يحرض أصحابه على قتال الأعداء، ويحثهم على التحليل بالصبر في ميادين القتال، لكي تنتقى روحهم المعنوية ويصمدوا عند ملاقاة أعدائهم، ومن ذلك ما فعله يوم أحد، وفي ذلك يقول الواقدي، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس: «يا أيها الناس، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته، والتباكي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر ذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطن نفسه له على الصبر

<sup>3</sup> (؟) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص 89.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

والبيتين والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كريه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله رشده، فإن الله مع من أطاعه وإن الشيطان مع من عصاه، فافتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذى أمركم فإني حريص على رشدكم، فإن الاختلاف والتنازع والتشييط من أمر العجز والضعف مما لا يحب الله ولا يعطي عليه النصر <sup>(1)</sup>.  
ولا الظفر» <sup>(2)</sup>.

ويتضح من هذه الخطبة عدة أهداف منها:

- 1- الحث على الجد والنشاط في ميدان الجهاد.
- 2- الحث على الصبر عند قتال الأعداء.
- 3- بيان مساوى الاختلاف والتنازع <sup>(2)</sup>.

إن هذا الهدى المبارك الذي سنه صلى الله عليه وسلم يعلمنا حقائق ثابتة وهي أن الجيوش مهما عظم تسلیحها وتنظيمها فإن ذلك لا يغنى شيئاً إلا إذا حملته نفوس قوية تحرص على الموت أشد من حرصها على الحياة، وهذا يكون بتعينة الجنود بالموعظة والتوجيه وغرس حب الجهاد والشهادة في نفوسهم.

**جـ- أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية جبل أحد لحماية جيش المسلمين**، فعندما وصل جيش المسلمين إلى جبل أحد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم ظهورهم إلى الجبل ووجههم إلى المدينة، وانتقى خمسين من الرماة تحت إمرة عبد الله بن حمير <sup>(3)</sup>. ووضعهم فوق جبل عينين المقابل لجبل أحد، وذلك يمنع التفاف جيش المشركين حول جيش المسلمين، وأصدر أوامره إليهم قائلاً: «إن رأيتمنا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا، حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمنا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم» <sup>(4)</sup>.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجيش: لا تبرحوا حتى أؤذنكم، وقال: لا يقاتلن أحد حتى أمره بالقتال. وقال لأمير الرماة: «انضم الخيل علينا بالنيل لا يأتونا من خلفنا، وثبتت مكانك أن كانت لنا أو علينا»، وقال للرماء: «الرموا مكانكم لا تبرحوا منه، فإذا رأيتمنا نهزهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوها مكانكم، وإن رأيتمنا نُقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا علينا، وارشقوهم بالنيل فإن الخيل لا تقدم على النيل، إننا لن نزال غالبين ما مكتتم مكانكم، اللهم إني أشهدك عليهم» <sup>(5)</sup>.

1

2

3

4

5

(?) انظر: مغازي الواقدي (1/221، 222).

(?) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ص 469.

(?) انظر: الإصابة (2/278).

(?) انظر: البخاري في المغازي، باب غزوة أحد، رقم 4043.

(?) انظر: السيرة الحلبية (2/496).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

سيطر المسلمون على المرتفعات وتركوا الوادي لجيش مكة ليواجه أحداً وظهره إلى المدينة، وأصبحت مهمة الرماة في النقاط التالية: احتلال الموقع، حماية المسلمين من الخلف، صد الخيال عن المسلمين<sup>(6)</sup>.

**د- تسوية الصفوف وتنظيم الجيش:** تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وصفهم على هيئة صفوف الصلاة، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي على رجليه يسيوي تلك الصفوف، ويبوئ أصحابه للقتال يقول: **تقدم يا فلان، وتأخر يا فلان، فهو يقومهم...، حتى أستوت الصفوف<sup>(2)</sup>.** فوضع صلى الله عليه وسلم في مقدمة الصفوف الأشداء، لكي يفتحوا الطريق لمن خلفهم، وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب؛ لأنه أبلغ في قتال الأعداء<sup>(3)</sup>.

**هـ- عدم القتال إلا بأمر من القائد:** قال الطبرى: «فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: «لَا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال»<sup>(4)</sup>. وفي هذا التوجيه فائدة مهمة وهي توحيد القيادة والمسؤولية؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أدرى بالمصلحة.

\* \* \*

6 (?) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص 90.  
2 (?) انظر: الواقدي المغازي، (1/219).

3 (?) انظر: العبرية العسكرية في غزوات الرسول، محمد فرج، ص 355، 356.  
4 (?) انظر: تاريخ الطبرى، (2/507).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

## المبحث الثاني في قلب المعركة

**أولاً: بدء القتال واحتدامه وبواarden الانتصار للمسلمين:**

في بداية القتال حاول أبو سفيان أن يوجد شرحاً وتصديعاً في جبهة المسلمين المتماسكة، فارسل إلى الأنصار يقول: (خلوا بيننا وبين ابن عمّنا، فلننصر عنكم، فلا حاجة بنا إلى قتال) فرددوا عليه بما يكره<sup>(1)</sup>.

ولما فشلت المحاولة الأولى لجأت قريش إلى محاولة أخرى عن طريق عميل خائن من أهل المدينة، وهو أبو عامر الراهن، حيث حاول أبو عامر الراهن أن يستنزل بعض الأنصار فقال: يا معشش الأوس، أنا أبو عامر، قالوا: فلا أنعم الله بك علينا يا فاسق فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شرّ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ورمهم بالحجارة<sup>(2)</sup>.

وببدأ القتال بمبارزة بين علي بن أبي طالب وطلحة بن عثمان حامل لواء المشركين يوم أحد، يقول صاحب السيرة الحلبية: خرج طلحة بن عثمان وكان بيده لواء المشركين، وطلب المبارزة مراراً فلم يخرج إليه أحد فقال: يا أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله تعالى يجعلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهو أحد منكم يجعلني بسيفه إلى النار أو أجعله بسيفي إلى الجنة؟ فخرج إليه علي بن أبي إليه طالب فقال له علي: وألذي نفسك بيده لا أفارقك حتى يجعلك الله بسيفي إلى النار أو يجعلني بسيفك إلى الجنة، فصربيه على فقطع رحله، فوقع على الأرض فانكشفت عورته، فقال: يا ابن عمّي، أنسدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه، فكبير رسول الله، وقال لعلي بعض أصحابه: أفلأجهزت عليه؟ قال: إن ابن عمّي ناشدني الرحيم حين انكشفت عورته فاستحييت منه<sup>(3)</sup>.

والتحم الجيشان واحتدم القتال، وشرع رسول الله يشحد في همم أصحابه ويعمل على رفع معنوياتهم وأخذ سيفاً، وقال: «من يأخذ مني هذا؟» فيبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا، قال: « فمن يأخذ بحقه» قال: فاحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به العدو حتى ينتحني» قال: أنا أخذه بحقه، فدفعه إليه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، أي يمشي مشية المتكبر، وحين رأه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبختر بين الصفين قال: «إنها لمشيخة يبغضها الله إلا في مثل هذا

1 (?) انظر: امتناع الأسماء للمقربي (1/120).

2 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/192).

3 (?) انظر: السيرة الحلبية (7/2497)، تفسير الطبرى (498).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

وهذا الزبير بن العوام يصف لنا ما فعله أبو دحانة يوم أحد قال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فممنعنيه وأعطيه أبا دحانة، وقلت أنا ابن صفيه عمته ومن قريش وقد قمت إليه وسألته إيه قبله فأعطيه أبا دحانة وتركني، والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فاخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الانصار: أخرج أبو دحانة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب فخرج وهو يقول:

ونحن بالسفع لدى النخيل

أنا الذي عاهدني خليلي

أضرب بسيف الله والرسول<sup>(2)</sup>

(3)

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتيله، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذف<sup>(4)</sup> عليه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقى فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دحانة فاتقاه بدرقه فغضبت بسيفه وضربه أبو دحانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت: الله ورسوله أعلم<sup>(5)</sup>. قال ابن إسحاق: قال أبو دحانة: رأيت إنساناً يحمّس الناس جماساً شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة، فاكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة<sup>(6)</sup>.

**ثانياً: مخالف الرماة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم:**

استبسّل المسلمون في مقاتلة المشركين وكان شعاراتهم: أمت، أمت، وأستماتوا في قتال بطولي ملحمي سجل فيه أبطال الإسلام صوراً رائعة في البطولة والشجاعة<sup>(7)</sup>، وسجل التاريخ روائع بطولات حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وأبو دحانة وأبي طلحة الأنصاري، وسعد بن أبي وقاص، وأمثالهم كثير<sup>(8)</sup>، وحقق المسلمون الانتصار في الجولة الأولى من المعركة<sup>(9)</sup>، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: (وَلَقَدْ صَدَقْكُمُ اللَّهُ وَعْدُهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْلَمُمْ وَتَنَازَّلْعُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِتَنَاهِيَ عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَصْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران: 152].

1 (?) مسلم، كتاب فضائل الصحابة رقم 2470.  
2 (2) الكيلول: مؤخرة الصفو.

3 (3) انظر: البداية والنهاية (4/17).

4 (?) ذف: أجهز عليه.

5 (4/18) انظر: البداية والنهاية (4/18).

6 (?) نفس المصدر (4/18).

7 (5) انظر: نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (1/303).

8 (6, 9) نفس المصدر (1/303).

ولما رأى الرماة الهزيمة التي حلت بقريش وأحلافها ورأوا الغنائم في أرض المعركة جذبهم ذلك إلى ترك مواقعهم طناناً منهم أن المعركة انتهت، فقالوا لأميرهم عبد الله بن جبير: (الغنية الغنية، ظهر أصحابكم مما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسستم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلننصيin من الغنية<sup>(10)</sup>، ثم انطلقو يجمعون الغنائم ولا يعباون يقول أميرهم، ووصف ابن عباس رضي الله عنهم حالة الرماة في ذلك الموقف فقال: (فلمَّا غنم النبي صلى الله عليه وسلم وأباحوا عسكر المشركين، أكب الرماة جميعاً فدخلوا في المعسكر ينهبون، وقد التقت صدوق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم كذا وشبّك بين أصابع يديه، والتبسوا فلما أخل الرماة تلك الحلة التي كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فضرب بعضهم بعضاً، والتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير)<sup>(11)</sup>

ورأى خالد بن الوليد وكان على خيالة المشركين الفرصة سانحة ليقوم بالاتفاق حول المسلمين، ولما رأى المشركون ذلك عادوا إلى القتل من جديد، وأحاطوا بالمسلمين من جهتين، وقد المسلمين مواقعهم الأولى، وأخذوا يقاتلون بدون تحطيم، فأصبحوا يقاتلون متفرقين، فلا نظام يجمعهم ولا وحدة تشتملهم، بل لم يعودوا يميزون بعضهم، فقد قتلوا اليمان والد حذيفة بن اليمان خطأ، وأخذ المسلمون يتسلطون شهداء في الميدان، وقدروا اتصالهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وشاع أنه قُتل<sup>(3)</sup>، واختلط الحابل بالنابل واشتدت حرارة القتال، وصار المشركون يقتلون كل من يلقونه من المسلمين، واستطاعوا الخلوص قريباً من النبي صلى الله عليه وسلم فرموه بحجر كسر أنفه الشريف ورباعيته<sup>(4)</sup> وشجه<sup>(5)</sup> في وجهه الكريم فاثقله وتفجر الدم<sup>(6)</sup> منه صلى الله عليه وسلم.

عن أنسٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوه إلى الله؟» فأنزل الله عز وجل: (لَيْسَ لِكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَنْوَبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ طَالِمُونَ) [آل عمران: 128].

وحمل ابن قمة على مصعب بن عميرٍ حيث كان شديد الشبه

(?) البخاري، كتاب الجهاد، رقم 3039. (2) مسنـد أـحمد (1/287) رقم 2608.<sup>10</sup>

(?) انظر: غزوـة أحد دراسة دعـوية، ص 98.<sup>3</sup>

(?) الرباعية: أحـدى الأسـنان الـأربـعة الـتي تكونـ بينـ الشـنـيةـ والنـابـ.<sup>4</sup>

(?) الشـجـ: كـسرـ فـيـ الرـاسـ.<sup>5</sup> (7) انـظـرـ: السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ لـابـنـ هـشـامـ (3/81).<sup>6</sup>

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العـشرـ الأـخـرـ مـنـ رـمـضـانـ وـعـيـدـ الفـطـرـ 1426

برسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله، فقال لقريش: قد قتلت محمداً<sup>(1)</sup> وشاء أن محمدًا قد قتل فتفرق المسلمين، ودخل بعضهم المدينة، وأنطلقت طائفة منهم فوق الجبل، واختلطت على الصحابة أحوالهم، فما يدرؤن كيف يفعلون من هول الفاجعة<sup>(2)</sup>، ففرجع من المسلمين من ميدان المعركة، وجلس بعضهم إلى جانب ميدان المعركة بدون قتال، وأثر آخرون الشهادة بعد أن طنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات، ومن هؤلاء أنس بن النضر الذي كان يأسف لعدم شهود بدر، والذي قال في ذلك: (والله لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله كيف أصنع) وقد صدق في وعده، مر يوم أحد على قومٍ من أذهلتهم الشائعة والقوا بسلاحهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول الله، فقال: يا قوم إن كان محمد قد قُتل فإن رب محمد لم يقتل، وموتوا على ما مات عليه، وقال: اللهم إني أعتذر إليك مما قال هؤلاء، يعني المسلمين، وأبرا إليك مما جاء به هؤلاء، يعني المشركين، ثم لقي سعد بن معاذ فقال: يا سعد إني لأجد ريح الجنة دون أحد، ثم ألقى بنفسه في أتون المعركة، وما زال يقاتل حتى استشهد، فُوجد فيه بضم وثيابه ما بين ضربة بسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، فلم تعرفه إلا اخته ببناته<sup>(3)</sup>. وفي هذا وأمثاله نزل قول الله تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمِنْهُمْ مَنْ قُضيَتْ نَحْنَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنتَظِرُ وَمَا يَدْلُوْا بِنَدِيلًا) [الأحزاب: 23]. أما أولئك النفر الذين فروا لا يلوون على شيء رغم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالصعود والثبات فقد نزل فيهم قوله تعالى: (إِذْ يُضْعَدُونَ وَلَا يَلْتَوِّنَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَإِذَا كُمْ عَمَّا يَعْمَمُ لَكُمْ لِكِيلًا تَخْرُّبَا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [آل عمران: 153].

ولقد حكى القرآن الكريم خبر فرار هذه المجموعة من الصحابة الذين ترخصوا في الفرار بعد سماعهم بما مقتل النبي صلى الله عليه وسلم الذي شاع في ساحة المعركة، وكان أول من علم بنجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه هي هو الصحافي كعب بن مالك الذي رفع صوته بالبشيري، فامرته النبي بالسكتوت حتى لا يفطن المشركون إلى ذلك<sup>(4)</sup>، وقد نص القرآن الكريم على أن الله تعالى قد عفا عن تلك الفئة التي فرت، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقْيَىِ الْحَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَرَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ بِمَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ).

ثالثاً: خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في إعادة شتات الجيش:

<sup>2</sup> (?) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص100. (2) المصدر نفسه، ص101.  
 (?) انظر: مجمع الزوائد للهيثمي (6/112). (4) انظر: نصرة النعيم (1/304).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ 5 ـ

عندما ابتدأ الهجوم المعاكس من المشركين خلف المسلمين والهدف الرئيسي فيه شخص النبي صلى الله عليه وسلم، لم يتزحز عليه الصلاة والسلام من موقفه والصحابة يسقطون واحداً تلو الآخر بين يديه، وحصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلب المشركين وليس معه إلا تسعه من أصحابه سبعة منهم من الأنصار، وكان الهدف أن يفك هذا الحصار، وأن يصعد في الجبل ليمضي إلى جيشه، واستبسّل الأنصار في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهدوا واحداً بعد الآخر<sup>(1)</sup> ثم قاتل عنه طلحه بن عبيد الله حتى أخن وأصيب بسهم شلت يمينه<sup>(2)</sup>، وأراد النبي صلى الله عليه وسلم إلى صخرة فلم يستطع، فقد طلحه تحته حتى استوى على الصخرة، قال الزبير: فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أوجب طلحة»<sup>(3)</sup>، وقاتل سعد بن أبي وقاص بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يناوله النبال ويقول له: «أرم يا سعد، فداك أبي وأمي»<sup>(4)</sup>، كما قاتل بين يديه أبو طلحة الأنصاري الذي كان من أمراء الرماة، وهو الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة»<sup>(5)</sup>، وقد كان متترساً على رسول الله بحفة، وكان رامياً شديداً للتزعع<sup>(6)</sup> كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر معه الجمعة<sup>(7)</sup> من النبل فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انثرها لأبي طلحة» ثم يشرف إلى القوم فيقول أبو طلحة: يا نبى الله يابى أنت لا تشرف إلى القوم<sup>(8)</sup> إلا يصيبك سهم، نحرى دون تحرك<sup>(9)</sup><sup>(10)</sup>.

ووقفت نسيبة بنت كعب تذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وترمي بالقوس وأصبت بجراح كبيرة، وترس أبو دحانة دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منعن عليه حتى كثر فيه النبل<sup>(11)</sup>، والتلف حول الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك اللحظات العصبية أبو يكر وأبو عبيدة، وقام أبو عبيدة بنز السهمن من وجه النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(12)</sup> بساناته، ثم توارد مجموعة من الأبطال المسلمين، حيث بلغوا قراية الثلاثين يذودون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم قتادة وثبت بن الدحداح، وسهل بن حنيف، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام.

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 296.

(?) البخاري، رقم 3724.

2

(?) المصدر نفسه، ص 295.

4

(?) المسند والفتح الرياني (22/589) بساناده رجاله ثقات.  
(?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 296. (6) الجمعة: الكنانة التي تجعل فيها السهام.

5

6

(?) لا تشرف: لا تتطلع.

8

(?) نحرى دون تحرك: جعل الله نحرى أقرب إلى السهام من تحرك لأصحاب بها دونك.

9

(?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 296. (10) انظر: البداية والنهاية (4/35). (36)

10

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وأستطيع عمر بن الخطاب أن يرد هجوماً مصادراً قاده خالد ضد المسلمين من عالية الجبل، وأستبسل الصحابة الذين كانوا مع عمر في رد الهجوم العنيف، عاد المسلمون فسيطروا على الموقف من جديد<sup>(12)</sup>، وينس المشركون من إنتهاء المعركة بنصر حاسم، وتبعوا من طولها ومن جلادة المسلمين، وانسحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمن معه ومن لحق به من أصحابه إلى أحد شعاب جبل أحد، وكان المسلمين في حالة من الألم والخوف والغم لما أصاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أصابهم، رغم نجاحهم في رد المشركين<sup>(13)</sup>، فأنزل الله عليه وسلم فناموا يسبّر، ثم أفاقوا أمنين مطمئنين قال تعالى: (ثُمَّ أَنْزَلْتُ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمْ أَمْنَةً تَعَابِرُهَا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةً قَدْ أَهْمَمْتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَطْبِلُونَ بِاللَّهِ عَيْنَ الرَّحْقِ طَنِ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ سَيِّئٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلُّهُ لِلَّهِ مَا يَعْلَمُ فِي أَنفُسِهِمْ مَا يُمْلِأُ لَا يُنْدُوْنَ لَكُمْ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا مَا قُتِلَنَا فَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَتَرَرَ الدِّينَ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَحَاجَعِهِمْ وَلَيُبَلِّيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلَيُمَحْصِّنَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [آل عمران: 154]. وقد أجمع المفسرون على أن الطائفة التي قد أهتمهم أنفسهم هم المنافقون<sup>(14)</sup>.

أما قريش فإنها يئست من تحقيق نصر حاسم وأجهد رجالها من طول المعركة، ومن صمود المسلمين وجدهم وخاصة بعد أن اطمأنوا وأنزل الله عليهم الأمانة وألزموا فالتفوا حول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولذلك كفوا عن مطاردة المسلمين وعن محاولة اختراع قواتهم<sup>(4)</sup>.

رابعاً: من شهداء أحد:

أـ. حمزة بن عبد المطلب سَيدُ الشَّهَادَةِ عند الله تعالى يوم القيمة:

قاتلأسد الله حمزة قتالاً صارياً، وأثخن في المشركين قتلاً، وأطاح برؤوس نفر من حملة لواء المشركين منبني عبد الدار، وبينما هو على هذه الحالة من الشجاعة والإقدام كمن له وحشياً حتى تمكن منه ثم رماه بحربيته، فأصاب منه مقتلاً، ولندع وحشياً يخبرنا عن هذا المشهد المؤلم، قال وحشى: إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر، قال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة يعمي فأنت حر، فلما خرج الناس عام عينين، وعينين جبل بجبال أحد، وبينه واد، خرجت مع الناس إلى القتال، فلما

<sup>12</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لمشير العصبان، ص 468، 470.

<sup>13</sup> (?) انظر: نصرة النعيم (1/305).

<sup>14</sup> (?) انظر: نصرة النعيم (1/305). (2) المصدر نفسه (1/306).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطعة البسطور، اتحاد الله ورسوله **صلى الله عليه وسلم**؟ ثم شد عليه، فكان كامس الذاهب. قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثنته<sup>(1)</sup> حتى خرجت من بين يديه، قال: فكان ذاك العهد به<sup>(2)</sup>، فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف فارسلوا إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فقيل لي: إنه لا يهيج الرسل<sup>(3)</sup>. قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فلما رأني قال: «أنت وحشى؟» قلت: نعم، قال: «أنت قتلت حمزة؟» قلت: قد كان من الأمر ما قد بلغك، قال: «فهل تستطيع أن تغيّب وجهك عنّي؟» قال: فخرجت فلما قبض رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فخرج مسلمة الكذاب قلت: لا يخرجن إلى مسلمة على أقتله فاكافئ به حمزة قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان، فإذا رجل قائم في ثلامة جدار كأنه جمل أورق<sup>(4)</sup>، ثائر الرأس قال: فرميته بحربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ووثب إليه رجل من الانصار فضربه بالسيف على هامته قال: قال عبد الله ابن الفضل فأخبرني سليمان بن يسّار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: فقالت جارية على ظهر بيت: وأمير المؤمنين قتل العبد الأسود<sup>(5)</sup>.

#### ١- سؤال النبي **صلى الله عليه وسلم** عن مقتل حمزة

بعد انتهاء المعركة سأله رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أصحابه: من رأى مقتل حمزة؟ فقال رجل: أنا رأيت مقتله، قال: **«فانطلق أرباً»** فخرج رسول الله **صلى الله عليه وسلم** حتى وقف على حمزة فرأاه وقد شق بطنه، وقد مُثُلَّ به، فقال: يا رسول الله، مُثُلَّ به والله<sup>(6)</sup>، وفي روایة (لما بلغ النبي **صلى الله عليه وسلم** قتل حمزة بكى فلما نظر إليه شهق)<sup>(7)</sup> ووقف بين طهراني القتلى فقال: «أنا شهيد على هؤلاء، كفونوهم في دمائهم، فإنه ليس جرح يجرح في الله إلا جاء يوم القيمة يدمي، لونه لون الدم، وريحة ريح المسك، قدموه أكثرهم قرأتنا فاجعلوه في اللحد»<sup>(8)</sup>.

وباستشهاد حمزة وأصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** في أحد تحقق رؤية رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فقد أخبر أصحابه عن رؤيام قبل الخروج إلى أحد فقال: «رأيت في سيفي ذي الفقار **فلا**<sup>(9)</sup>، **فأولته فلا يكون فيكم** (أي انهزاماً)، **ورأيت أنني مرد كيساً**

(?) فأضعها في ثنته؛ أي في عاتقه. (4) ذلك العهد به: كنابة عن موته.

1

3

(?) لا يهيج الرسل: أي لا يتألم منه مكروه. (6) أورق: لونه كالمراد.

5

(?) البخاري، المغازي رقم 4072. (2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 283.

7

(?) المصدر نفسه، ص 284. (4) المصدر السابق، ص 283.

9

(?) الفل: التلم في السيف. (6) انظر: المستند (1/271) برقم 2445.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

فأولته كبش الكتبية، ورأيت أنني في درع حصينة، فأولتها المدينة،  
ورأيت بقراً تذبح، فبقر والله خير، قبقر والله خير» فكان الذي قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>.

## 2- صبر صافية بنت عبد المطلب على شقيقها حمزة:

قال الزبير بن العوام: إنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى حتى  
كادت تشرف على القتلى، قال: فكره النبي صلى الله عليه وسلم أن  
تراهم فقال: المرأة المرأة، قال الزبير: فتوسمت أنها صافية قال:  
فخرجت أسعى إليها، قال: فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قال:  
فلدمنت<sup>(2)</sup> في صدرها وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك عندي لا أرض  
للك، فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم عليك.

قال: فوقفت وأخرجت ثوبين معها فقالت: هذان ثوابن جئت بهما  
لأخي حمزة فقد لغبني مقتله، فكفنوه فيهما. قال: فجئنا بالثوابين  
لنكفن فيهما حمزة فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيل فعل به كما  
فعل بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحنى أن يكفن حمزة في ثوابين  
والأنصاري لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب ولأنصارياً ثوب، فقدرناهما  
فكان أحدهما أكبر من الآخر فأقرعنا بينهما، فكفنا كل واحد منهما في  
الثوب الذي صار له<sup>(3)</sup>.

## 3- من شعر صافية في بكاء حمزة:

أسائلة أصحاب أحد مخافه بنات أبي من أعمجم<sup>(4)</sup> وخبير

فقال الخير إن حمزة قد ثوى وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الحق ذو العرش إلى جنة يحيا بها وسرور

فذلك ما كنا نرجي ونرتجي لحمزة يوم الحشر خير

فوالله لا أنساك ما هي الصبا بكاء وحزناً محضري

مدرها<sup>(5)</sup> يذود عن الإسلام كل كفور

فيما ليت شلوى<sup>(6)</sup> عند ذاك أدعوا

أقول وقد أعلى النعي ونصير<sup>(7)</sup>

1

(?) لدمت: ضربت ودفعت

2

(?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 285. (2) انظر: السيرة النبوية لابن

3

هشام (3/185).

4

(?) مدرها: الذي يدفع عن القوم. (4) الشلو: البقية، تعادني: تتعاهدني.

5

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

**4- حمزة لا بواكى له:** لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد سمع نساء الأنصار يبكيهن فقال: «لكن حمزة لا بواكى له» فيبلغ ذلك نساء الأنصار فبكين حمزة فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهن يبكيهن فقال: «يا ويجهن، مازلن يبكيهن منذ اليوم فليكين، ولا يبكيهن على هالك بعد آليوم»<sup>(1)</sup> وبذلك حرمت النياحة على الميت.

**5- رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى غلاماً للأنصار بحمزة:** قال جابر بن عبد الله: وُلد لرجل منا غلام، فقالوا: ما نسميه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سموه بأحب الأسماء إلى حمزة بن عبد المطلب»<sup>(2)</sup> فحمزة متجرد في القلب النبوى، عالق بالذاكرة الكريمة.. ولكن الله سبحانه ينزل على نبيه صلى الله عليه وسلم فيما بعد أحب الأسماء إليه، فيقولها صلى الله عليه وسلم لمن حوله: «إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن»<sup>(3)</sup>.

**6- فهل تستطيع أن تغيب وجهك عنى؟**<sup>(4)</sup>: فهذا التوجيه الكريم لا يوجد فيه شيء من المؤاخذة والتأنيث لوحشى، وإنما هو تذكير له بأن رؤيته تجلب له شيئاً من المتابعة النفسية، وتحرك في نفسه ذكريات حادث القتل وما تبعه من تمثيل شنيع يشع بعنه، فتثير عنده حزارات بشرية ربما لا يكون من المستطاع منعها ومقاومتها إلا بشيء من العسر والعن特 الشديد، مما قد يشغل النبي صلى الله عليه وسلم ويقلقه<sup>(5)</sup>، فأشار عليه صلى الله عليه وسلم بأن يغيب وجهه حتى يفقد مصدر التذكير بتلك المصيبة<sup>(6)</sup>، وفي رواية صحيحة قال وحشى: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: «وحشى» قلت: نعم، قال: «قتلت حمزة؟» قلت: نعم، الحمد لله الذي أكرمه بيدي ولم يهنى بيده، فقالت له قريش: أتحبه وهو قاتل حمزة؟ فقلت: يا رسول الله فاستغفر لي، فتنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض ثلاثة، ودفع في صدرى ثلاثة، وقال: «وحشى، اخر فقاتل في سبيل الله، كما قاتلت لتصد عن سبيل الله»<sup>(7)</sup> فهذا من التوجيه الإرشادي النبوى إلى مكفرات ما سلف من الكفر ومحادة الله تعالى ورسوله، وذكر القتال في سبيل الله بيان للأمر الأنسب في التكبير،

7 (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/185). (6) انظر: صحيح ابن ماجة لللبانى (1/265).

2 (؟) رواه الحاكم (3/196) سنه حسن. (8) مسلم، كتاب الأدب رقم 2132.

4 (؟) البخاري، المغازي رقم 4072.

5 (؟) انظر: محمد رسول الله، عرجون (3/603). (2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدى (5/141).

6 (؟) رواه الطبراني في الكبير، إسناده حسن (22/139). (22) رقم 370 نقاً عن صحيح السيرة النبوية، ص 286.

7 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

وفي حض من النبي صلى الله عليه وسلم لإعلاء راية الجهاد، ولعل مخرج وحشى إلى أيمامة قتله مسيلمة الكذاب كان أثراً من آثار توجيه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أفضل ما يمحو الخطايا، ويحيى الذنوب ويظهر الآثم.

وقد أدرك وحشى ذلك فقال حين قتل مسيلمة الكذاب: قتلت خير الناس يعني سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، وقتلت شر الناس مسيلمة الكذاب<sup>(1)</sup>.

### بـ- مصعب بن عمير ﷺ:

قال خباب: هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتغى وجه الله، فوقع أجرنا على الله فمنا من مضى في سبيله ولم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قُتل يوم أحد، ولم يترك إلا نمرة، كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غطوا رأسه، واجعلوا على رجليه الإذْخَر»<sup>(2)</sup>، ومنا من أينعت له ثمرة فهو يهدبها<sup>(3)</sup>، ومن حديث عبد الرحمن بن عوف أنه أتى بطعام وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير، وكان خيراً مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، وقتل حمزة أو رجل آخر خيراً مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه، إلا بردة، لقد خشيت أن يكون قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا، ثم جعل يبكي<sup>(4)</sup> ومن حديث أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه ودعا له ثم قرأ هذه الآية: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) [الأحزاب: 23] ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيمة، فاتوهم وزوروهم، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيمة إلا ردوا عليه»<sup>(5)</sup>.

جـ- سعد بن الربيع ﷺ: هذا الذي استكتمه رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مسیر قربش، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه، فلما انتهت معركة أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات»؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى الأسنة شرعت إليه، فقال أبي بن كعب: أنا أنظره لك يا رسول الله، فقال له: «إن رأيت سعد بن الربيع فأقرأه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول

<sup>1</sup> (?) انظر: محمد رسول الله، عرجون (3/602). (5) الإذْخَر: نوع من العشب.

<sup>3</sup> (?) البخاري في الجنائز، رقم 1286. (7) البخاري في الجنائز رقم 1274، 1275.

<sup>5</sup> (?) انظر: المستدرك (3/200) صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

الله صلى الله عليه وسلم كيف يجده؟» فنظر أبي فوجده جريحاً به برق، فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات، فقال: قد طعنت اثنتي عشرة طعنة، وقد أنفذت إلى مقاتلي<sup>(1)</sup>، وفي رواية صحيحة قال: على رسول الله وعلىك السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيكم شفر<sup>(2)</sup> يطرف، قال: وفاقت نفسي رحمة الله<sup>(3)</sup>. وهذا نصح لله ورسوله في سكريات الموت يبذل على قوة الإيمان، والحرص على الوفاء بالبيعة لم يتاثر بالموت ولا آلام القروح.

**د- عبد الله بن جحش**: قال سعد بن أبي وقاص: إن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا تدعوا الله، فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقيت العدو، فلقيني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتلته ويقتلني، ثم أرزقني الطفر عليه حتى أقتله، وأخذ سلبه، فامن عبد الله بن جحش، ثم قال: اللهم أرزقني رجلاً شديداً حرده، شديداً بأسه، أقاتلته فيك ويقتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً، قلت: من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول صدق، قال سعد: يابني كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار وإن أنه واذهنه لمعلقان في خيط<sup>(4)</sup>. وفي هذا الخبر جواز دعاء الرجل أن يقتل في سبيل الله، وتمنيه ذلك وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه<sup>(5)</sup>.

**هـ- حنظلة بن أبي عامر** (غسل الملائكة): لما انكشف المشركون ضرب حنظلة فرس أبي سفيان بن حرب فوقع على الأرض، فصاح حنظلة يردد ذيجه، فأدركه إلأسود بن شداد، ويقال له ابن شعوب، فحمل على حنظلة بالرمح فانفذه ومشى إليه حنظلة بالرمح وقد أثبته، ثم ضرب الثانية فقتله، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إني رأيت الملائكة تغسله بين السماء والأرض بياء المزن، في صحاف الفضة» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فاسالوا أهله ما شأنه؟» فسألوا صاحبته عنه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة<sup>(6)</sup>، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلذلك غسلته الملائكة»<sup>(7)</sup>.

وفي رواية الواقدي: وكان حنظلة بن أبي عامر تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلوى، فأدخلت عليه في الليلة التي في صبحها قتال أحد، وكان قد استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت

1 (?) انظر: السيرة الحلبية (2/532). (3) شفر: العين.  
3 (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 294. (5) المصدر السابق، 293.

5 (?) انظر: زاد المعاد (3/212).

6 (?) أي: سمع منادي رسول الله يدعو للخروج لمقابلة العدو.

7 (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 289.

هديّة الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

عندما فاذهن له، فلما صلى بالصبح غداً يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزمه حمillaة فعاد فكان معها، فاجنب منها ثم أراد الخروج، وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه قد دخل بها، فقيل لها بعد: لم أشهدت عليه؟ قالت: رأيت كأن السماء فرجت فدخل فيها حنظلة ثم أطبقت، قلت: هذه الشهادة، فأشهدت عليه أنه قد دخل بها، وتعلق بعد الله بن حنظلة، ثم تزوجها ثابت بن قيس<sup>(1)</sup>. بعد فولدت له محمد بن ثابت بن قيس<sup>(1)</sup>.

### وفي هذا الخبر مواقف وعبر منها:

**1-** في تعلق حمillaة بنت عبد الله بن أبي حنظلة بن أبي عامر حين رأت له تلك الرؤيا التي فسرتها بالشهادة، فالمنظرون في مثل هذه الحال أن تحاول الابتعاد عنه حتى لا تحمل منه فتكون بعد ذلك غير حظية لدى الخطاب، لكنها تعلقت به رجاءً أن تحمل منه فتلد ولذا ينسب لذلك الشهيد الذي بلغ درجات عليا في الصلاح أولاً، ثم بما ترجوه من نيله الشهادة، ولقد حصل لها ما أملت به فحملت منه وولدت ولذا ذكرها سمي عبد الله، وكان له ذكر بعد ذلك، وكان من أعلى ما يفتخر به أن يقول: أنا ابن غسيل الملائكة.

**2-** في حرص حنظلة القوي على مقارعة أعداء الله الذي يتمثل في سرعة خروجه إلى الميدان، الأمر الذي لم يتمكن معه من غسل الجناية.

**3-** شجاعته الفائقة تظهر في تصديه لقائد المشركين أبي سفيان بن حرب والقائد غالباً يكون حوله من يحميه، وهو فارس وحنظلة راجل.

**4-** تشريف رباني كريم في نزول الملائكة لتغسيل حنظلة بمياه المزن في صاحف الفضة.

**5-** معجزة نبوية في إخبار الصحابة عما قامت به الملائكة من تغسيل، حيث رأى صلى الله عليه وسلم الملائكة وهي تغسل ولم ير الصحابة ذلك<sup>(2)</sup>.

**6-** إذا كان الشهيد جنباً، غسل، كما غسلت الملائكة حنظلة بن أبي عامر<sup>(3)</sup>.

**و- عبد الله بن عمرو بن حرام** **:** أصر عبد الله بن عمرو بن حرام على الخروج في غزوة أحد، فخاطب ابنه جابر بقوله: يا جابر، لا عليك أن تكون في نظاري المدينة حتى تعلم إلى ما يصير أمننا، فإني والله لو لا أني أترك بنات لي بعدي لأحببت أن تقتل بين يدي<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> (?) انظر: المعاذري للواقدي (1/273).

<sup>2</sup> (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (5/129, 130).

<sup>3</sup> (?) انظر: زاد المعاد (3/214). (3) البخاري رقم 4097.

<sup>4</sup> هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

وقال لابنه أيضاً: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وإنني لا أترك بعدى أعز على منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن على ديننا فاقض واستوضص بأخواتك خيراً<sup>(1)</sup>. وخرج مع المسلمين ونال وسام الشهادة في سبيل الله، فقد قُتل في معركة أحد، وهذا جابر يحدثنا عن ذلك حيث يقول: لما قُتل أبي يوم أحد، جعلت أكشاف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهوني وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تبكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه»<sup>(2)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا جابر ما لي أراك منكسرًا؟» قال: يا رسول الله، استشهاد أبي وترك عيالاً وديناً، قال صلى الله عليه وسلم: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أبيك؟» قال: بلّ يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: «ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وكلم أبيك كفاحاً، يا جابر أما علمت أن الله أحيا أبيك فقال: يا عبدي، تمّ علىّ أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، فقال الرب سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب.. فأبلغ من ورائي»<sup>(3)</sup> فأنزل الله تعالى: (وَلَا تَحْسِنَ الْذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَخْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ بُرَزَقُونَ) آل عمران: 169، وقد رأى عبد الله بن عمرو رؤبة في منامه قبل أحد، قال: رأيت في النوم قبل أحد، مبشر بن عبد المنذر يقول لي: أنت قادم علينا في أيام، فقلت: وأين أنت؟ فقال: في الجنة نسرح فيها كيف نشاء، قلت له: ألم تقتل يوم بدر؟ قال: بل ثم أحيبت، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هذه الشهادة يا أبي جابر<sup>(4)</sup>، وقد تحققت تلك الرؤيا بفضل الله ومنه.

**ز-خيثمة أبو سعد**: قال خيثمة أبو سعد، وكان ابنه استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، لقد أخطأتهني وقعة بدر، وكانت والله عليها حريضاً، حتى ساهمت أبي في الخروج، فخرج سهمه، فرزق الشهادة، وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها، ويقول: الحق بنا تراافقنا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربّي حقاً، وقد والله يا رسول الله أصبحت مشرقاً إلى مرافعته في الجنة، وقد كبرت سني، ورقّ عظمي، وأحببت لقاء ربّي، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة، ومرافقه سعد في الجنة، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقتل باحد شهيداً<sup>(5)</sup>.

1

(?) البخاري رقم 1351.

3

(?) صحيح ابن ماجة للألباني، رقم 190 (2800).

5

(3/208). (2) انظر: المغاربي للواقدي (1/275).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

-

**ح- وهب المزني وابن أخيه رضي الله عنهم:** أقبل وهب بن قابوس المزني، ومعه ابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس، بعنم لهما من جبل مزينة، فوجدا المدينة خلواً فسالاً: أين الناس؟ فقالوا: واحد، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين من قريش، فقال: لا يتغى أثراً بعد عين فخرجا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم بأحد فيجدان القوم يقتلون والدولة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فاغارا مع المسلمين في النهب، وجاءت الخيل من وراءهم، خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، فاختلطوا، فقاتلا أشد القتال، فانفرقت فرقة من المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لهذه الفرقة؟» فقال وهب بن قابوس: أنا يا رسول الله، فقام فرمادهم بالنبيل حتى انصرفوا ثم رجع. فانفرقت فرقة أخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لهذه الكتبة؟» فقال المزني: أنا يا رسول الله، فقام فذبها بالسيف حتى ولوأوا، ثم رجع المزني، ثم طلعت كتبة أخرى فقال: «من يقوم لهؤلاء؟» فقال المزني: أنا يا رسول الله، فقال: «قم، وأبشر بالجنة» فقام المزني مسروراً يقول: والله لا أقبل ولا استقبل، فقام فجعل يدخل فيهم فيضرب بالسيف، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى المسلمين، حتى خرج من أقصاهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم ارحمه» ثم يرجع فيهم، فما زال كذلك وهم محدقون به، حتى اشتغلت عليه أسيافهم ورماهم فقتلواه، فوجد به يومئذ عشرون طعنة برمج، كلها قد خلصت إلى مقتل، ومثل به أربعين المثلة يومئذ، ثم قام ابن أخيه فقاتل قتاله حتى قتل، فكان عمر بن الخطاب يقول: إن أحب ميتة أموت لما مات عليها المزني<sup>(6)</sup>.

وكان بلال بن الحارث المزني يحدث يقول: شهدنا القادسية مع سعد بن أبي وقاص، فلما فتح الله علينا وقسمت بیننا غنائمنا، فأسقط فتنى من آل قابوس من مزينة<sup>(2)</sup>، فجئت سعداً حين فرغ من نومه فقال: بلال؟ قلت: بلال، قال: مرحباً بك، من هذا معك؟ قلت: رحل من قومي من آل قابوس، قال سعد: ما أنت يا فتى من المزني الذي قتل يوم أحد؟ قال: ابن أخيه، قال سعد: مرحباً وأهلاً وانعم الله بك عيناً، ذلك الرجل شهدت منه يوم أحد مشهداً ما شهدته من أحد، لقد رأينا وقد أخذ المشركون بنا من كل ناحية ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا، والكتائب تطلع من كل ناحية، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرمي بيصره في الناس يتوصّهم<sup>(3)</sup> يقول: «من لهذه الكتبة؟» كل ذلك يقول المزني: أنا يا رسول الله، كل ذلك يرده بما أنسى آخر مرة قامها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قم وأبشر بالجنة» قال سعد: وفمت على أثره يعلم الله أنني أطلب مثل ما يطلب يومئذ من الشهادة، فخضنا حوتهم حتى رجعنا

<sup>2</sup> (?) المصدر نفسه (1/277). (4) انظر: المغاربي للواقدي (1/277). هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

فيهم الثانية، وأصابوهـ رحمة اللهـ وودت والله أني كنت أصبت يومئذ معهـ، ولكن أجيـ استأخرـ، ثم دعا سعدـ من ساعتهـ بسهمـهـ فأعطـاهـ وفضـلهـ، وقالـ: أخـترـ فيـ المـقامـ عندـناـ أوـ الرـجـوعـ إـلـىـ أـهـلـكـ، فـقالـ بلـالـ: إـنـهـ يـسـتحـبـ الرـجـوعـ، فـرجـعواـ.

وقـالـ سـعدـ: أـشـهـدـ لـرأـيـتـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلمـ وـاقـفـاـ عـلـيـهـ وـهـوـ مـقـتـولـ، وـهـوـ يـقـولـ: «ـرـضـيـ اللـهـ عـنـكـ فـإـنـيـ عـنـكـ رـاضـ»ـ، ثـمـ رـأـيـتـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلمـ قـامـ عـلـىـ قـدـمـيهـ وـقـدـ نـالـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلمـ مـنـ الـجـراـحـ مـاـ نـالـهـ، وـإـنـيـ لـأـعـلـمـ أـنـ الـقـيـامـ لـيـشـقـ عـلـيـهـ عـلـىـ قـبـرـهـ حـتـىـ وـقـعـ فـيـ لـحـدـهـ، وـعـلـيـهـ بـرـدـةـ لـهـ أـعـلـامـ خـضـرـ، فـمـدـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلمـ الـبـرـدـةـ عـلـىـ رـأـسـهـ فـخـمـرـهـ، وـأـدـرـكـهـ فـيـهـ طـوـلاـ، وـبـلـغـ نـصـفـ سـاقـيـهـ، وـأـمـرـنـاـ فـجـمـعـنـاـ الـحـرـمـلـ، فـجـعـلـنـاـهـ عـلـىـ رـجـلـهـ، وـهـوـ فـيـ لـحـدـهـ، ثـمـ اـنـصـرـفـ، فـمـاـ حـالـ أـمـوـتـ عـلـيـهـ أـحـبـ إـلـيـهـ مـنـ آنـ الـقـيـ اللـهـ تـعـالـىـ عـلـىـ حـالـ المـزـنـيـ<sup>(1)</sup>.

وـهـكـذـاـ يـفـعـلـ الـإـيمـانـ بـأـصـحـابـهـ فـهـذـاـ وـهـبـ الـمـزـنـيـ وـابـنـ أـخـيـهـ تـرـكـاـ الـأـغـنـامـ بـالـمـدـيـنـةـ وـالـتـحـقـاـ بـصـفـوـفـ الـمـسـلـمـيـنـ وـحـرـصـاـ عـلـىـ نـيلـ الشـهـادـةـ، فـأـكـرـمـهـمـاـ اللـهـ بـهـاـ، وـقـدـ كـانـتـ تـلـكـ الـمـلـحـمـةـ الـتـيـ سـطـرـهـاـ الـمـزـنـيـ مـحـفـورـةـ فـيـ ذـاـكـرـةـ الـصـحـابـةـ، فـهـذـاـ سـعـدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاصـ يـتـذـكـرـهـاـ بـعـدـ مـرـورـ ثـلـاثـ عـشـرـ سـنـةـ تـقـرـيـبـاـ عـلـىـ غـزـوـةـ أـحـدـ لـمـجـرـدـ سـمـاعـ آسـمـ رـجـلـ مـنـ عـشـيرـةـ الـمـزـنـيـ وـيـتـمـنـيـ أـنـ يـمـوتـ وـيـلـقـىـ اللـهـ عـلـىـ مـثـلـ حـالـ الـمـزـنـيـ.

**طـ - عـمـروـ بـنـ الـجـمـوحـ** : كـانـ عـمـروـ بـنـ الـجـمـوحـ أـعـرجـ شـدـيدـ الـعـرجـ، وـكـانـ لـهـ بـنـونـ أـرـبـعـةـ مـثـلـ الـأـسـدـ يـشـهـدـونـ مـعـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلمـ الـمـشـاهـدـ، وـهـمـ خـلـادـ وـمـعـوذـ وـمـعـاذـ وـأـبـوـ أـيـمنـ، فـلـمـ كـانـ يـوـمـ أـحـدـ أـرـادـواـ حـبـسـهـ، وـقـالـواـ: إـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ قـمـ عـذـرـكـ، فـأـتـىـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلمـ فـقـالـ: إـنـ بـنـيـ يـرـيدـونـ أـنـ يـجـسـوـنـيـ عـنـ هـذـاـ الـوـجـهـ وـلـلـخـرـوجـ مـعـكـ فـيـهـ، فـوـالـلـهـ أـنـيـ لـأـرـجـوـ أـنـ اـطـاـ بـعـرـجـتـيـ هـذـهـ فـيـ الـجـنـةـ، فـقـالـ لـهـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلمـ: «ـأـمـاـ أـنـتـ فـقـدـ عـذـرـكـ اللـهـ تـعـالـىـ فـلـأـ جـهـادـ عـلـيـكـ»ـ وـقـالـ لـبـنـيـهـ: «ـمـاـ عـلـيـكـمـ أـلـاـ تـمـنـعـهـ، لـعـلـ اللـهـ أـنـ يـرـزـقـهـ الشـهـادـةـ»ـ فـخـرـجـ وـهـوـ يـقـولـ مـسـتـقـبـلـ الـقـبـلـةـ: اللـهـمـ لـاـ تـرـدـنـيـ إـلـىـ أـهـلـيـ خـائـبـاـ فـقـتـلـ شـهـيدـاـ.

وـفـيـ روـاـيـةـ أـتـىـ عـمـروـ بـنـ الـجـمـوحـ إـلـىـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلمـ فـقـالـ: يـاـ رسـولـ اللـهـ: أـرـأـيـتـ إـنـ قـاتـلـتـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ حـتـىـ أـقـتـلـ، أـمـشـيـ بـرـجـلـيـ هـذـهـ صـحـيـحةـ فـيـ الـجـنـةـ، وـكـانـتـ رـجـلـهـ عـرـجـاءـ، فـقـالـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلمـ: «ـنـعـمـ»ـ فـقـتـلـوـهـ يـوـمـ أـحـدـ هـوـ وـابـنـ أـخـيـهـ وـمـوـلـىـ لـهـمـ، فـمـرـبـهـمـ رسـولـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلمـ فـجـعـلـوـاـ فـيـ قـبـرـ وـاحـدـ<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> (؟) المصـدرـ نـفـسـهـ (1/277).

<sup>2</sup> (؟) انـظـرـ: المسـنـدـ (5/299)، السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ لـابـنـ هـشـامـ (3/101).

هدـيـةـ الشـيـكـةـ الـلـيـبـيـةـ وـالـكـاتـبـ بـمـنـاسـبـ الـعـشـرـ الـأـخـرـ مـنـ رـمـضـانـ وـعـيـدـ الـفـطـرـ 1426

112

وفي هذا الخبر دليل على أن من عذره الله في التخلف عن الجهاد لمرض أو عرج، يجوز له الخروج إليه، وإن لم يجب عليه، كما خرج عمرو بن الجموح وهو أعرج<sup>(3)</sup>.

وفيه دليل على شجاعة عمرو بن الجموح ورغبته في نيل الشهادة وصدقه في طلبها، وقد أكرمه الله بذلك.

### ي- أبو حذيفة بن اليمان وثابت بن وقش -رضي الله

**عنهم:** لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد رفع حُسْنِيل بن جابر، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان، وثابت بن وقش في الآطام<sup>(1)</sup> مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا آبا لك، ما تنتظر؟ فوالله ما بقي لواحد منا من عمره إلا طمء<sup>(2)</sup> حمار، إنما نحن هامة اليوم أو غد<sup>(3)</sup>، أفلأناخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأخذوا أسيافهما ثم خرحا حتى دخلوا في الناس ولم يعلم بهما، فاما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حسنهيل بن جابر فاختلقت عليه أسياف المسلمين فقتلواه ولا يعرفونه، فقال حذيفة: أبي، فقالوا: والله إن عرفناه، وصدقاً، قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه، فتصدق حذيفة بيته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(4)</sup> خيراً. وفي هذا الخبر، يظهر أثر اليمان في نفوس الشيوخ الكبار الذين عذرهم الله في الجهاد وكيف تركوا الحصون وخرجوا إلى ساحات الوعى طلباً للشهادة وحبّاً وشوقاً للقاء الله تعالى، وفيه موقف عظيم لحذيفة، حيث تصدق بدبة والده على المسلمين، ودعا لهم بالمغفرة لكونهم قتلوا والده خطأ، وفيه أيضاً: أن المسلمين إذا قتلوا واحداً منهم في الجهاد يظنونه كافراً، فعلى الإمام ديته من بيت المال؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يدى اليمان آبا حذيفة، فامتنع حذيفة من أخذ الديمة، وتصدق بها على المسلمين<sup>(5)</sup>.

**ك- الأمور بخواتيمها:** إن الأمور بخواتيمها، وقد وقع في غزوة أحد ما يتحقق هذه القاعدة المهمة في هذا الدين، فقد وقع حادثان يؤكدان هذا الأمر، وفيهما عطة وعبرة لكل مسلم متعظاً ومتعتبراً<sup>(6)</sup>.

**1- شأن الأصيর :** واسمها عمرو بن ثابت بن وقش، عرض عليه الإسلام فلم يسلم، وروى قصته أبو هريرة<sup>هـ</sup>: أن الأصيير كان يابئ الإسلام على قومه، ف جاء ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه

(?) انظر: زاد المعاد (3/218). (3) الآطام: الحصون.  
 (?) طمء حمار: أي مقدار ما بين شربتي حمار. (5) أي نموت اليوم أو غداً.  
 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/98). (7) انظر: غزوة أحد لأبي فارس، ص 117.  
 (?) انظر: زاد المعاد (3/218). (3) انظر: زاد المعاد (3/218).

**وسلم وأصحابه بأحد** فقال: أين سعد بن معاذ؟ فقيل: بأحد، فقال: أين بنو أخيه؟ قيل: بأحد: فسأل عن قومه فقيل: بأحد، فبدأ له الإسلام فأسلم، وأخذ سيفه، ورمحه، وأخذ لأمته، وركب فرسه فعدا حتى دخل في عرض الناس، فلما رأه المسلمين قالوا: إليك عنا يا عمرو، قال: أني قد أمنت، فقاتل حتى أثخنته الجراحة، وبينما رحال منبني عبد الأشهل يتلقىهم في المعركة إذ هم به، فقالوا: والله إن هذا الأصيরم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لم ينكر لهذا الحديث، فسألوه: ما جاء بك؟ أحدب على قومك أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام، أمنت بالله تعالى ورسوله، وأسلمت ثم أخذت سيفي فعدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، وإن مت فأموالي إلى محمد يضعها حيث شاء، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنه من أهل الجنة». وقيل: مات فدخل الجنة وما صلى من صلاة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «عمل قليلاً وأجر»<sup>(1)</sup> وكان أبو هريرة يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة ولم يصل قط، فإذا لم يعرفه الناس سالوه من هو؟ قال: هو أصييرم بن عبد الأشهل<sup>(2)</sup>.

**2- شأن مخيرق:** لما كانت غزوة أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين، جمع مخيرق قومه اليهود وقال لهم: يا معاشر اليهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم. فأخذ سيفه وعدته، وقال: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قُتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مخيرق خير يهود<sup>(3)</sup>.

وقد اختلف في إسلامه، فنقل الذهبي في التجريد وابن حجر في الإصابة عن الواقدي<sup>(4)</sup> أن مخيرق مات مسلماً، وذكر السهيلي في الروض الأنف أنه مسلم، وذلك حين قال معقبًا على رواية ابن إسحاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مخيرق خير يهود» قال: ومخيرق مسلم، ولا يجوز أن يقال في مسلم هو خير النصارى، ولا خير اليهود؛ لأن أفعل من كذا، إذا أضيف فهو بعض ما أضيف إليه، فإن قيل: وكيف جاز هذا؟ قلنا: لأنه قال: خير يهود، ولم يقل خير اليهود، وبهود اسم علم كثيرون، يقال: إنهم نيسوا إلى يهودا بن يعقوب ثم عربت الذال دالاً<sup>(5)</sup>. وقد حرق هذه المسألة الدكتور عبد الله الشقاوي في كتابه (اليهود في السنة المطهرة) وذهب إلى أن مخيرق قد أسلم، ودفعه ذلك إلى القتال مع المسلمين، وإلى

<sup>1</sup> (?) انظر: البخاري، الجهاد، رقم 2808. <sup>2</sup> (2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (101/3/100).

<sup>3</sup> (?) انظر: المغازي للواقدي، (1/263)، والسيره لابن هشام (3/99).

<sup>4</sup> (?) انظر: تجريد أسماء الصحابة (2/70)، الإصابة (3/393).

<sup>5</sup> (?) انظر: الروض الأنف للسهيلي (409/4/408).

التصدق بماله مع كثرته، ومع ما عرف عن اليهود من حب المال  
والتكالب عليه<sup>(1)</sup>.

**لـ إنما الأعمال بالنيات:** كان ممن قاتل مع المسلمين يوم أحد رجل يدعى قزمان، كان يعرف بالشجاعة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكر له: إنه من أهل النار، فتاخر يوم أحد غيرته نساءبني طفر، فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسوى الصنوف حتى انتهى إلى الصفي الأول، فكان أول من رمى من المسلمين بسهم، فجعل يرسل نيلًا كانها الرماح ويكتب كتيبة الجمل، ثم فعل بالسيف الأفاغيل حتى قتل سبعة أو تسعه وأصابته جراحة، فوقع فناداه قنادة بن النعمان: يا أبا الغيداق، هنيئاً لك الشهادة، وجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأباشر، قال: بماذا؟ فوالله ما قاتلت إلى على أحساب قومي، فلولا ذلك ما قاتلت، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنه من أهل النار، إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»<sup>(2)</sup>. وفي هذا الخبر بيان لمكان النية في الجهاد، وأنه من قاتل حمية عن قومه أو ليقال شجاع ولم تكن أعماله لله تعالى لا يقبل الله منه.

#### خامسًا: من دلائل النبوة:

**1- عين قنادة بن النعمان :** أصبت عين قنادة<sup>١</sup> حتى سقطت على وجنتيه فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدهما، وأصبحت لا ترمد إذا رممت الأخرى<sup>(3)</sup>، وقد قدم ولده على عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- فسألته من أنت؟ فقال له مرتجلاً:

ففرد يكف المصطفى	أنا ابن الذي سالت على
احسن الد	الخد عنه
فعادت كما كانت لأول أمرها	فيا حسنها عيناً ويا حسن ما
خ	خد

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك:  
تلك المكارم لا قعبان من  
شيء بماء فعاد بعد أبوالا  
لبن،  
ثم وصله فأحسن جائزته<sup>(4)</sup>.

**2- مقتل أبي بن خلف:** كان أبي بن خلف يلقى رسول الله بمكة، فيقول: يا محمد إن عندي العود فرسانًا أعلفه كل يوم، أقتلك عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل أنا أقتلك إن شاء

<sup>1</sup> (؟) انظر: اليهود في السنة المطهرة (1/306).

<sup>2</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/99)، غزوة أحد دراسة دعوية، ص 113.

<sup>3</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/388).

<sup>4</sup> (؟) انظر: البداية والنهاية (4/35).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

«الله» فلما كان يوم أحد، وأسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول: أي محمد لا نجوت، فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «دعوه» فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرية من الحارت بن الصمة، فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتقض بها انتفاضة تطاير عنه من حوله تطاير الشعرا<sup>(1)</sup> عن ظهر البعير إذا انتقض بها، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدا<sup>(2)</sup> منها عن فرسه، فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم، قال: قتلتني والله محمد، قالوا له: ذهب والله فؤادك، والله إن بكم من بأس، قال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلتك، فوالله لو يصدق علي لقتلني، فمات عدو الله بسرف<sup>(3)</sup>، وهم قافقون به إلى مكة<sup>(4)</sup>.

وفي هذا الخبر مثل رفيع على شجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان أبي بن حلف مدحجاً بالسلاح ومتدرغاً بالحديد الواقي، ومع ذلك استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطعنه بالرمح من فرحة صغيرة في عنقه بين الدرع والببضة، وهذا يدل على قدرة رسول الله القتالية ودقته في إصابة الهدف، وفي هذا الخبر معجزة للنبي فقد أخبر أبياً بأنه سوف يقتله بمشيئة الله وتم ذلك، وفي الخبر عبرة في إيمان المشركين بصدق النبي صلى الله عليه وسلم وأنه إذا قال شيئاً وقع، فقد كان أبي بن حلف على يقين بأنه سيموت من تلك الطعنة، ومع ذلك لم يدخلوا في الإسلام لعنادهم وعبادة أهوائهم<sup>(5)</sup>. وقد خلد حسان بن ثابت هذه الحادثة في شعره فقال:

لقد ورث الصلاة عن أبيه      أبي يوم بارزه الرسول

أتيت إليه تحمل رم عظم      وتوعده وأنت به جهول<sup>(6)</sup>

\* \* \*

1 (?) الشعرا: ذباب له لدغ.

2

3 (?) تدأدا: تقلب عن فرسه يجعل يتدرج.

4

5 (?) سرف: موضع على سنته أميال من مكة.

6

4 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي هشام 3/93، (94).

5

5 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي 5/169.

6

6 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي هشام 3/94.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

## المبحث الثالث

### أحداث ما بعد المعركة

**أولاً: حوار أبي سفيان مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه:**

قال البراء<sup>١</sup>: وأشرف أبو سفيان فقال أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجيئونه»، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: «لا تجيئونه»، فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء القوم قتلوا، فلوكأنوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر<sup>٢</sup> نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، أبقي الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان: أعل هيل<sup>(٣)</sup>، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيئونه»، قال: قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل»، قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيئونه»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»، قال أبو سفيان: يوم بدر، وال Herb سجال، وتجدون مثلة لم أمر بها ولم تسؤني<sup>(٤)</sup>. وفي رواية قال عمر: (لا سواء قتلانا في الجنة وقتلناكم في النار)<sup>(٥)</sup>.

كان في سؤال أبي سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر<sup>٦</sup> وعمر دالة واصحة على اهتمام المشركين بهؤلاء دون غيرهم؛ لأنه في علمهم أنهم أهل الإسلام وبهم قام صرحوه وأركان دولته وأعمدة نظامه، ففي موتهم يعتقد المشركون أنه لا يقوم الإسلام بعدهم.

وكان السكوت عن إجابة أبي سفيان أولاً تصغيراً له حتى إذا انتشى وملأ الكبار أخبروه بحقيقة الأمر، وردوا عليه بشجاعة<sup>(٧)</sup>.

وفي هذا يقول ابن القيم في تعليقه على هذا الحوار: فأمرهم بجوابه عند افتخاره بالهته، وبشركه، تعطيمًا للتوحيد. وإن علامًا بعزة من عيده المسلمين، وقوة جانبه، وأنه لا يغلب، ونحن جزبه وحنته. ولم يأمرهم بإجابتنه حين قال: أفيكم محمد؟ أفيكم ابن أبي قحافة؟ أفيكم عمر؟ بل روي أنه نهاهم عن إجابتنه، وقال: لا تجيئونه؛ لأن كلامهم لم يكن يرد في طلب القوم، ونار غيظهم بعد متوقدة. فلما قال ل أصحابه: أما هؤلاء فقد كفيتهم، حمي عمر بن الخطاب واشتد غضبه وقال: كذبت يا عدو الله، فكان في هذا الإعلام من الأدلال، والشجاعة وعدم الجبن، وإلتعرف إلى العدو في تلك الحال، ما يؤذيهم بقوة القوم وبسالتهم، وأنهم لم يهنووا ولم يضعفوا، وأنه

<sup>1</sup> (?). أعل هيل: ظهر دينك.

<sup>2</sup> (?). البخاري، المغازي، رقم 4043، السيرة النبوية الصحيحة (2/392).

<sup>3</sup> (?). انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/392).

<sup>4</sup>

وَقُومُهُ حَدِيرُونَ بِعَدِ الْخُوفِ مِنْهُمْ وَقَدْ أَبْقَى اللَّهُ لَهُمْ مَا يَسُؤُوهُمْ مِنْهُمْ، وَكَانَ فِي الْإِعْلَامِ بِقَاءُ هُؤُلَاءِ الْثَّلَاثَةِ بَعْدَ طَنَهُ، وَطَنَ قَوْمَهُ أَنَّهُمْ قَدْ أَصَبُّوا مِنَ الْمَصْلَحَةِ، وَغَيْظُ الْعُدُوِّ وَحْزِبِهِ، وَالْفَتَّ فِي عَضْدِهِ مَا لَيْسَ فِي جَوَابِهِ حِينَ سَأَلُوا عَنْهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، فَكَانَ سُؤَالُهُمْ عَنْهُمْ وَنَعِيهِمْ لِقَوْمِهِ أَخْرَ سَهَامَ الْعُدُوِّ كِيدَهُ، فَصَبَرَ لِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى اسْتَوْفَى كِيدَهُ، ثُمَّ أَنْتَدَبَ لَهُ عُمُرٌ فَرَدٌ بِسَهَامِ كِيدَهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ تَرْكُ الْجَوَابِ عَلَيْهِ أَحْسَنُ، وَذَكْرُهُ ثَانِيًّا أَحْسَنُ، وَأَيْضًا فَإِنَّ فِي تَرْكِ إِجَابَتِهِ حِينَ سَأَلُوهُمْ إِهَانَةً لَهُ، وَتَصْغِيرًا لِشَانَهُ، فَلَمَّا مَنَّتْهُ نَفْسِهِ مَوْتَهُمْ، وَطَنَ أَنَّهُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَحَصَلَ لَهُ بِذَلِكَ مِنَ الْكَبَرِ وَالْأَشْرِ مَا حَصَلَ، كَانَ فِي جَوَابِهِ إِهَانَةً لَهُ، وَتَحْقِيرًا وَإِذْلَالًا، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا مُخَالِفًا لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا تَجِيئُوهُ» فَإِنَّ إِنَّمَا نَهَى عَنِ إِجَابَتِهِ حِينَ سَأَلَ: أَفِيكُمْ مُحَمَّدًا؟ أَفِيكُمْ فَلَان؟ وَلَمْ يَنْهِ عَنِ إِجَابَتِهِ حِينَ قَالَ: أَمَا هُؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا، وَبِكُلِّ حَالٍ فَلَا أَحْسَنَ مِنْ تَرْكِ إِجَابَتِهِ أَوْلًا، وَلَا أَحْسَنَ مِنْ إِجَابَتِهِ ثَانِيًّا<sup>(1)</sup>.

### ثَانِيًّا: تَفْقِدُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّهَادَاءِ:

بَعْدَ أَنْ اسْنَحَبَ أَبُو سَفِيَّانَ مِنْ أَرْضِ الْمَعْرِكَةِ ذَهَبَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَتَفَقَّدَ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَمَرَّ عَلَى بَعْضِهِمْ، وَمِنْهُمْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِّبِ، وَمُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ، وَحَنْطَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ وَالْأَصِيرِمِ، وَبَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هُؤُلَاءِ، إِنَّهُ مَا مِنْ جَرِحٍ يَجْرِحُ فِي اللَّهِ إِلَّا وَاللَّهُ بَعْثَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَدْمِي جَرَحَهُ، الْلَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالْجَرِحُ جَرِحُ الْمَسْكِ، انْظُرُوهُمْ بَعْدَ هُؤُلَاءِ جَمِيعًا لِلْقُرْآنِ، فَاجْعَلُوهُمْ أَمَامَ أَصْحَابِهِ فِي الْقَبْرِ»<sup>(2)</sup>.

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي رِوَايَةِ الْبَخَارِيِّ: أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْمِعُ بَيْنَ الرِّجْلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أَحَدٍ فِي ثُوبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْدَادًا لِلْقُرْآنِ؟» فَإِذَا أَشَيَّرَ لَهُ إِلَى وَاحِدٍ قَدْمَهُ فِي الْلَّحدِ، وَقَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هُؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَأَمْرَ بِدُفْنِهِمْ بِدَمَائِهِمْ، وَلَمْ يَصُلْ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَغْسِلُوهُ<sup>(3)</sup>.

وَأَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْفُنُوهُ مِنْ حِلْمَةٍ<sup>(4)</sup>، وَأُعِيدَ مِنْ أَخْذِ لِيَدِفَنَ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ.

وَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ

<sup>1</sup> (؟) انظر: زاد المعا德 (202/3). (2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/109).

<sup>2</sup> (؟) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4079.

<sup>3</sup> (؟) سنن النسائي السيوطي وحاشية السندي، كتاب الجنائز، باب أين يدفن الشهيد (4/79) رقم 2006.

<sup>4</sup> هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

<sup>5</sup>

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

المطلب، وقد مُثُلَّ به حزن حزناً شديداً، وبكى حتى نشعّ<sup>(1)</sup> من البكاء<sup>(2)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم: «لولا أن تحزن صفة، ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أطهري الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم»، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمره ما فعل، قالوا: والله لئن طفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب<sup>(3)</sup>، فنزل قول الله تعالى: (وَإِنْ عَلِقْتُمْ فَعَاقِبُوا مِثْلَ مَا عَوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) [النحل: 126]. لقد ارتكب المشركون صوراً من الوحشية، حيث قاموا بالتمثيل في قتلى المسلمين فبقرروا بطون كثير من القتلى وجدعوا أنوفهم، وقطعوا الآذان ومذاكير بعضهم<sup>(4)</sup>. ومع ذلك صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستجابوا لتوجيه المولى عز وجل، فعوا وصبر وكفر عن يمينه، ونهى عن المثلة.

روى ابن إسحاق بسنده عن سمرة بن جندب قال: (ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام قط ففارقه، حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة)<sup>(5)</sup>.

### ثالثاً: دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد:

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه الظهر قاعداً لكترة ما نزف من دمه، وصلى ورائهم المسلمين قعود، وتوجه النبي صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة إلى الله بالدعاء والثناء على ما نالهم من الجهد والبلاء، فقال لأصحابه: «استووا، حتى أتنى على ربِّي عز وجل» فصاروا خلفه صفوفاً، ثم دعا بهذه الكلمات الدالة على عمق الإيمان<sup>(6)</sup>، فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لم من هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يتحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم الغلبة، والأمن يوم الخوف، اللهم عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت، اللهم حب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسق والعصيان وأجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحياناً مسلمين، وألحينا بالصالحين غير خزايا ولا نادمين ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرا الذين

1

2

3

4

5

6

(?) النشع: الشهيق حتى يكاد يبلغ به الغشى.

(?) انظر: مختصر سيرة الرسول، لمحمد عبد الوهاب، ص 331.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

يَكذِّبُونَ رَسُولَكَ، وَيُصْدِّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ،  
اللَّهُمَّ قاتِلْ الْكُفَّارَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ»<sup>(1)</sup> ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ  
وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ<sup>(2)</sup>.

وهذا أمر عظيم شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته  
لكي يطليوا النصر والتوفيق من رب العالمين، وبين لأمتة أن الدعاء  
مطلوب في ساعة النصر والفتح، وفي ساعة الهزيمة لأن الدعاء مخ  
العبادة، كما أنه من أقوى الأسباب في دفع المكروره، وحصول  
المطلوب، يجعل القلوب متصلة بخالقها، فينزل عليها السكينة،  
والثبات والاطمئنان ويمدها بقوة روحية عظيمة، فترتفع المعنويات  
نحو المعلى وتطلع إلى ما عند الله تعالى.

في أعقاب المعركة، يتخذ النبي صلى الله عليه وسلم أهبيته وينظم  
المسلمين صفوّاً، لكي يتنبّي على ربه عز وجل، إنه لموقف عظيم،  
يجلي إيماناً عميقاً، ويكشف عن العبودية المطلقة لرب العالمين  
الفعال لما يريد، فهو القايد والباسط، المعطي والمائع، لا راد ولا  
معقب لحكمه.

ان هذا الموقف من أعظم مواقف العبودية التي تسمى بالعابدين،  
وتحل المعبود، كأعظم ما يكون الإجلال والإكبار، وأبرز ما يكون الحمد  
والثناء<sup>(3)</sup>.

#### رابعاً: معرفة وجهة العدو:

بعد أن انسحب جيش المشركين من أرض المعركة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب<sup>١</sup> بعد الغزوه مباشرةً،  
وذلك لمعرفة اتجاه العدو، فقال له: «اخرج في آثار القوم، وانظر  
ما زا يصنعون وما ي يريدون؟ فإن كانوا قد جنحوا الخيل وامتطوا الإبل  
فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون  
المدينة، والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم  
لأناجزفهم» قال علي: فخرجت في أثرهم ما زا يصنعون فجنحوا الخيل  
وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة<sup>(4)</sup>. فرجع علي<sup>٢</sup> وأخبر رسول الله بخبر  
ال القوم.

#### وفي هذا الخبر عدة دروس وعبر منها:

يقطة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومراقبته الدقيقة لتحركات  
العدو، وقدرته صلى الله عليه وسلم على تقدير الأمور، وظهور قوته  
المعنوية العالية، وبظهر ذلك في استعداده لمقاتلة المشركين لو

<sup>1</sup> (?) انظر: مجمع الزوائد (121/6, 122) وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال  
الصحيح.

<sup>2</sup> (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/394).

<sup>3</sup> (?) انظر: صور عبر من الجهاد النبوي في المدينة، د. محمد فيض الله، ص 132،  
133.

<sup>4</sup> (?) انظر: البداية والنهاية (4/41).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

أرادوا المدينة، وفيه ثقة النبي صلى الله عليه وسلم بعليه و معرفته بمعادن الرجال، وفيه شجاعة على : لأن هذا الجيش لو أبصره ما تورع في محاولة قتله<sup>(1)</sup>، وللحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام في أرض المعركة بعد أن انتهت، فقد خلالها الجرحى والشهداء، وأمر بدفنهم ودعائهم وأثنى عليه سبحانه، وأرسل عليه ليتبع خبر القوم، كل ذلك من أجل أن يحافظ على النصر الذي أحرزه المسلمين في غزوة أحد، وهذا من فقه سنن الله تعالى في الحروب والمعارك، فقد جعل سبحانه من سنته في خلقه أن جعل للنصر أسباباً، وللهزيمة أسباباً، فمن أخذ بأسباب النصر، وصدق التوكل على الله سبحانه وتعالى حقيقة التوكل نال النصر ياذن الله عز وجل، كما قال تعالى: (سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَتْ مِنْ قَبْلٍ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا). [الفتح: 23]

ويتجلى فقه النبي صلى الله عليه وسلم في ممارسة سنة الأخذ بالأسباب في غزوة حمراء الأسد.

### خامساً: غزوة حمراء الأسد:

نجد في بعض الروايات: أن النبي صلى الله عليه وسلم تابع أخبار المشركين بواسطة بعض أتباعه حتى بعد رجوعهم إلى مكة، وبلغه مقالة أبي سفيان يلوم فيها جنده لكونهم لم يشفوا غليلهم من محمد وجنده، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما انصرف أبو سفيان والمشركون من أحد وبلغوا الروحاء<sup>(2)</sup> قال أبو سفيان: لا محمداً قاتلت ولا الكواعب أردتهم، شر ما صنعتم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(3)</sup>. وتقييد هذه الرواية خبر استطلاع الرسول صلى الله عليه وسلم أعداءه حتى بعد انتهاء المعركة؛ وذلك لكي يطمئن على عدم مبالغتهم له.

وعندما سمع ما كان تعزم عليه قريش من العودة إلى المدينة خرج بمن حضره يوم أحد من المسلمين دون غيرهم إلى حمراء الأسد.

قال ابن إسحاق: كان أحد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد يوم الأحد السادس عشر من شوال: أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو، ولا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس، فاستاذنه جابر بن عبد الله في الخروج معه فاذن له، وإنما خرج مرهباً للعدو، وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب

<sup>1</sup> (?) انظر: غزوة أحد لأبي فارس، ص 95، 96.

<sup>2</sup> (?) الروحاء: تبعد عن المدينة 73 كيلومترًا في طريق مكة.

<sup>3</sup> (?) انظر: مجمع الزوائد للهيثمي (6/121) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجوازي.

عدهم<sup>(1)</sup>، وقد استجاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لنداء الجهاد حتى الذين أصيروا بالجرح، فهذا رجل من بنى عبد الأشهل يقول: شهدت أحداً أنا وأخ لي فرجعنا جريحين، فلما آذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله ما لنا من دابة تركها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت أيسر جرحاً منه، فكان إذا غلب حملته عقبة ومشي عقبة (نوبة)، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمين<sup>(2)</sup>. وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد، واقترب بجنوده من جيش المشركين فأقام فيه ثلاثة أيام يتحدى المشركين، فلم يتशجعوا على لقائه ونزله، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر باشعال النيران فكانوا يشعرون في وقت واحد خمسمائة نار<sup>(3)</sup>.

وأقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم، فامرره أن يلحق بابي سفيان، فيخذله، فللحقه بالروحاء ولم يعلم بإسلامه، فقال: ما وراءك يا معبد؟ فقال: محمد وأصحابه، فقد تحرقوا عليكم، وخرجوا في جمع لم يخرجوا في مثله، وقد ندم من كان تخلف عنهم من أصحابهم، فقال: ما تقول؟ فقال: ما أرى أن ترحل حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة<sup>(4)</sup>. فقال أبو سفيان: والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم، قال معبد: فإنني أنهاك عن ذلك، والله لقد حملني ما رأيت أن قلت فيه أبياناً من شعر:

قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادت تهد من الأصوات  
راحتى

تردي<sup>(6)</sup> بأسد كرام لا تنابلة<sup>(7)</sup>

لما سمو برئيس غير مخدول  
بالجبل<sup>(10)</sup>

فطلت عدواً أظن الأرض  
مائلة  
فقلت: ويل ابن حرب من  
لقائكم

<sup>1</sup> (4) انظر: البداية والنهاية (4/50).

<sup>2</sup> (?) انظر: غزوة أحد لابي فارس، ص 144 نقاً عن الطبقات الكبرى لابن سعد (2/43).

<sup>3</sup> (?) انظر: زاد المعاد (3/245).

<sup>4</sup> (?) الجرد: جمع أجدار وهو الضرس قصير الشعر، والأباجيل: الفرق الكثيرة.

<sup>5</sup> (?) تردي: تسرع.  
<sup>6</sup> (4) تنابلة: جمع تبالي وهو القصير.

<sup>7</sup> (?) الميل: جمع أميل وهو الجبان.  
<sup>8</sup> (6) معازيل: جمع معزال وهو من لا رمح له.

<sup>9</sup> (8) تغطّمت: اضطربت وثارت.  
<sup>10</sup> (8) وخشن: ردئ.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

إني نذير لأهل البسل صاحبة لكل ذي أربة منهم ومعقول

من جيش أحمد لا وخش<sup>(1)</sup> بالقيل<sup>(2)</sup> قناله

فتني ذلك أبا سفيان ومن معه، وحاول أبو سفيان أن يغطي انسحابه هذا بشن حرب نفسية على المسلمين، لعله يرهبهم فارسل مع ركب عبد القيس -وكأنوا يريدون المدينة للميرية- رسالة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفادها، إن أبا سفيان وجيشه قد أجمعوا على السير إليه والى أصحابه ليستأصلهم من الوجود، وواعد أبو سفيان الركب أن يعطيهم زبيباً عندما يأتوه في سوق عكاظ، ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحراء الأسد فأخبروه بالذى قال أبو سفيان، فقال هو والمسلمون: حسينا الله ونعم الوكيل<sup>(3)</sup>. واستمر المسلمون في معسكرهم، وأثرت قريش السلامه والأوبة، فرجعوا إلى مكة، وبعد ذلك عاد المسلمون إلى المدينة بروح قوية متوجة، غسلت عار الهزيمة، ومسحت مغبة الفشل، فدخلوها أعزه رفيعي الجانب، عثروا بانتصار المشركين، وهزوا أعصابهم، وأحبطوا شماتة المنافقين واليهود في المدينة، وأشار القرآن الكريم إلى هذه الحرب الباردة، وسجل ظواهرها<sup>(4)</sup> بقوله تعالى: (الَّذِينَ أَسْتَحْبَأُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهَانَهُمُ الْفَرِجُ لِلَّذِينَ أَخْسَيُوا مِنْهُمْ وَأَنْقُوا أَخْرَى عَظِيمًا □ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ خَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْسَوْهُمْ فَرِادُهُمْ إِيمَانًا □ وَقَالُوا كَسَبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ □ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ □ أَنَّمَا ذَلِكُمُ السَّيْطَانُ يُحَوِّفُ أُولَيَاءَهُ فَلَا تَحَافُوْهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [آل عمران: 172-175] ووقع في أسر النبي صلى الله عليه وسلم قبل رجوعه إلى المدينة أبو عزة الجمحى الشاعر فقتل صبراً: لانه أخلف وعده للرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يقاتل ضده عندما من عليه بدر وأطلقه، فعاد فقاتل في أحد، وقد حاول أبو عزة أن يتخلص من القتل، وقال: يا رسول الله أغلني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا والله، لا تمسح عار ضبك<sup>(5)</sup> بمكة بعدها، وتقول: خدعت محمداً مرتين، اضرب عنقه يا زبير»<sup>(6)</sup> فضرب عنقه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»<sup>(7)</sup> فصار هذا الحديث مثلاً ولم يسمع قبل ذلك.

<sup>1</sup> (9) انظر: البداية والنهاية (4/51) (10) تاريخ الإسلام للذهبي، المغاربي، ص 226.

<sup>2</sup> (?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوى في المدينة، ص 142.

<sup>3</sup> (?) عار ضبك: هما جانب الوجه، لسان العرب (2/742).

<sup>4</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام (3/116).

<sup>5</sup> (?) البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المرء (7/134) رقم 6133.

<sup>6</sup> هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

<sup>7</sup> هـ

وبعد هذا العمل من قبيل السياسة الشرعية؛ لأن هذا الشاعر من المفسدين في الأرض، الداعين إلى الفتنة، ولأن في المن عليه تمكيناً له من أن يعود حرباً على المسلمين.

ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجمحى<sup>(1)</sup>.

وأما عدد القتلى من المسلمين في أحد فقد انجلت المعركة عن سبعين شهيداً من المسلمين، ويفيد هذا تفسيير قوله تعالى: **أَوْ لِمَا أَصَابَتُكُمْ مُّصِيَّةٌ قَدْ أَصَبَّنَمْ مُّثْلِنَهَا فَلِئِمْ أَتَى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** أنها نزلت تسلية للمؤمنين عمن أصيب منهم يوم أحد، قال ابن عطية رحمة الله: وكان المشركون قد قتلوا منهم سبعين نفراً، وكان المسلمين قد قتلوا من المشركين بدر سبعين وأسروا سبعين<sup>(2)</sup>. أما عدد الذين قتلوا يوم أحد من المشركين فاثنان وعشرون قتيلاً<sup>(3)</sup>. كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لملاحقة المشركين في غزوة حمراء الأسد يهدف لتحقيق مجموعة من المقاصد المهمة منها:

**1-** لا يكون آخر ما تنطوي عليه نفوس الذين خرجوا يوم أحد هو الشعور بالهزيمة.

**2-** إعلامهم أن لهم الكرة على أعدائهم متى نفروا عنهم الضعف والفشل واستجابوا لدعوة الله ورسوله.

**3-** تجرئة الصحابة على قتال أعدائهم.

**4-** إعلامهم أن ما أصابهم في ذلك اليوم إنما هو محنـة وابتلاء أقتصتها إرادة الله وحكمته وأنهم أقواء، وأن خصومهم الغالبين في الظاهر ضعفاء<sup>(4)</sup>.

كما أن في خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد إشارة نبوية إلى أهمية استعمال الحرب النفسية للتأثير على معنويات الخصوم، حيث خرج صلى الله عليه وسلم بجنوده إلى حمراء الأسد، ومكث فيها ثلاثة أيام، وأمر بإيقاد النيران في كانت تشاهد من مكان بعيد وملأت الارجاء بأنوارها، حتى خيل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لا طاقة لهم به فانصرفو، وقد ملا الرعب أفئدتهم<sup>(5)</sup>. قال ابن سعد: (ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد، وكان المسلمين يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان بعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبـت الله تعالى بذلك عدوهم)<sup>(6)</sup>.

1

2

3

4

5

6

(?) انظر: البداية والنهاية (4/53).

(?) المحرر الوجيز لابن عطية (3/411).

(?) مرويات غزوة أحد للباكرى، ص 369، 367.

(?) انظر: في ظلال القرآن (1/519).

(3) انظر: الطبقات لابن سعد (51).

(2/49)

## سادساً: مشاركة نساء المسلمين في معركة أحد:

كانت غزوة أحد أول معركة في الإسلام تشارك فيها نساء المسلمين، وكان لهذا أثر بالغ في سقي المحاربين وتضميده الجرحى، وقد ظهرت بطولات النساء وصدق إيمانهن في هذه المعركة، فقد خرجن لكي يسعين العطشى ويداولين الجرحى، ومنهن من قامت برد ضربات المشركين الموجهة للرسول **صلى الله عليه وسلم**، وممن شاركن في غزوة أحد أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، وأم عمارة، وحمنة بنت جحش الأسدية، وأم سليم، وأم سليم، ونسوة من الأنصار<sup>(1)</sup>، قال ثعلبة بن أبي مالك **هـ**: (إن عمر بن الخطاب قسم مروطاً بين نساء المدينة، فبقي مرط جيد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله التي عندك، يريدون أم كلثوم بنت علي، فقال عمر **هـ**: أم سليم أحق به من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فإنها كانت تزفر<sup>(2)</sup> لنا القرب يوم أحد<sup>(3)</sup>).

### أ- سقي العطشى من المجاهدين:

عن أنس **هـ** قال: (لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لم يশمرتا أن أرى خدم سوقيهن تتقزان<sup>(4)</sup> القرب، وقال غيره: تتقلان القرب على متونهما ثم تفرغا هن في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملانها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم<sup>(5)</sup>.

وقال كعب بن مالك **هـ**: رأيت أم سليم بنت ملحان وعائشة على طهورهما القرب يحملانها يوم أحد، حمنة بنت جحش تسقي العطشى وتداوي الجرحى، وكانت أم أيمن تسقي الجرحى<sup>(6)</sup>.

### ب- مداواة الجرحى ومواساة المصابين:

عن أنس بن مالك **هـ** قال كان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يغزو بأم سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء ويداولين الجرحى<sup>(7)</sup>.

وأخرج عبد الرزاق عن الزهري: كان النساء يشهدن مع النبي **صلى الله عليه وسلم** المشاهد ويستيقنن المقاتلة ويداولين الجرحى<sup>(8)</sup>.  
وعن الربع بن معوذ قالت: كنا مع النبي **صلى الله عليه وسلم**

<sup>1</sup> (?) مسلم، كتاب الجهاد، باب غزو النساء، رقم 1779.

<sup>2</sup> (?) تزفر: تحمل القرب مملوءة بالماء.

<sup>3</sup> (?) البخاري، كتاب المغازي رقم 4071.

<sup>4</sup> (?) تقزان: أي تحملان وتقفزان بها وثيا.

<sup>5</sup> (?) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء رقم 2880.

<sup>6</sup> (?) انظر: المغازي للواقدي (1/249).

<sup>7</sup> (?) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء، رقم 1810.

<sup>8</sup> (?) البخاري فتح الباري لابن حجر (6/92) عند حديث رقم 2880.

125

نسقي القوم، ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة، وفي رواية: كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة<sup>(1)</sup>. وعن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد<sup>هـ</sup> وهو يسأل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أما والله إني لا أعرف من كان يغسل جرح رسول الله، ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسله، وعلى يسكب الماء بال McDon، فلما رأي فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير فاحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم<sup>(2)</sup>.

### ج- الدفاع عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم بالسيف:

لم تقاتل المشركين يوم أحد إلا أم عمارة نسيبة المازنية -رضي الله عنها-، وهذا ضمرة ابن سعيد يحدث عن جدته، وكانت قد شهدت أحدياً تسقي الماء قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لِمَقَامِ نَسِيَّةِ بَنْتِ كَعْبٍ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِّنْ مَقَامِ فَلَانَ وَفَلَانَ» وكان يراها تقاتل يومئذ أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً، فلما حضرتها الوفاة كنت فيمن عسلها، فعددت جراحها جرحاً جرحاً فوجدتها ثلاثة عشر جرحاً، وكانت تقول: إني لأنظر إلى ابن قميته وهو يضربيها على عاتقها -وكان أعظم جراحها، لقد داومته سنة- ثم نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد فشتد عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم، وقد مكتنا علينا نكمد الجراح حتى أصبحنا، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحمراء، ما وصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني<sup>(3)</sup> -أخوه أم عمارة- يسأل عنها، فرجع إليه يخبره بسلامتها فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك<sup>(4)</sup>. وقد علق الأستاذ حسين الباكري عن مشاركة نسيبة بنت كعب في القتال فقال: وخروج المرأة للقتال مع الرجل لم يثبت في ذلك منه شيء غير قصة نسيبة، وقتال نسيبة إنما كان اضطرارياً حين رأت أن رسول الله أصبح في خطر حين انكشف عنه الناس، فام عمارة كانت في موقف أصبح حمل السلاح واجباً على من يقدر على حمله رجال كان أو امرأة<sup>(5)</sup>.

وعلى الدكتور أكرم ضياء العمري على الآثار الدالة في مشاركة النساء في أحد بقوله: وهذه الآثار تدل على جواز الانتفاع بالنساء عند

1 (؟) البخاري، كتاب الجهاد والسير رقم 2882. 2 (؟) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4075.

3 (؟) أخوه أم عمارة: انظر الذهبي سير أعلام النبلاء (2/278).

4 (؟) المغازي للواقدi (1/269، 270).

5 (؟) انظر: مرويات غزوة أحد، ص 254.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الضرورة لمداواة الجرحى وخدمتهم إذا أمنت فتنهن مع لزومهن الستر والصيانت، ولهم أن يدافعن عن أنفسهن بالقتال إذا تعرض لهن الأعداء، مع أن الجهاد فرض على الرجال وحدهم إلا إذا داهم العدو ديار المسلمين فيجب قتاله من الجميع رجالاً ونساء<sup>(1)</sup>.

وأما الأستاذ محمد أحمد باشميل فقد قال: وقد كانت معركة أحد أول معركة قاتلت فيها المرأة المسلمة المشركين في الإسلام، ومن الثابت أن امرأة واحدة فقط اشتراك في هذه المعركة، وهي تدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أنه من الثابت أيضًا أن المرأة التي اشتراك في معركة أحد، لم تخرج بقصد القتال فهي لم تكن محنة فيها كالرجال، وإنما خرجت لتنظر ما يصنع الناس لتقوم بأية مساعدة يمكنها القيام بها للMuslimين كإغاثة الجرحى بالماء وما شابه ذلك، يضاف إلى هذا أن هذه المرأة التي خاضت معركة أحد هي امرأة قد تخطت سن الشباب، كما أنها لم تخرج إلى المعركة إلا مع زوجها وأبنائها الذين كانوا من الجنود الذين قاتلوا في المعركة، يضاف إلى هذا الرصيد الهايل الذي لديها من المناعة الأخلاقية والتربية الدينية، فلا يقاس على هذه الصحابية الحليلة محنات هذا الزمان اللواتي يرتدين لباس الميدان وعنصر الإغراء والفتنة هو أهم عنصر يتميز به ويحرصن على إظهاره للرجال فـأين الثرى من الثريا؟

كذلك رجال ذلك العصر لا يقاس عليهم أحد من رجال هذا الزمان من ناحية الشهامة والاستقامة والعفة والرجولة، فكل المحاربين الذين اشتراك معهم امرأة في معركة أحد كانوا صفووة الأمة الإسلامية ورمز نبلها وشهادتها وعنوان رجوليتها واستقامتها، فلا يصح مطلقاً جعل اشتراك تلك المرأة في معركة أحد قاعدة تقاس عليها (من الناحية الشرعية) إباحة تجنيد المرأة في هذا العصر لقتال بجانب الرجل (كعنصر أساسى من عناصر الجيش)، فالقياس في هذه الحالة قياس مع الفارق وهو قياس باطل قطعاً<sup>(2)</sup>.

### سابعاً: دروس في الصبر تقدمها الصحابيات للأمة:

#### أ- صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها:

لما استشهد أخوها حمزة بن عبد المطلب في أحد وجاءت لتنظر إليه وقد مثل به المشركون، فجذعوا أنفه وبقرروا بطنه، وقطعوا أذنيه ومذاكيروه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام: «القها فأرجعها، لا ترى ما باخيها» فقال لها: يا أمه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعني، قالت: ولم؟ وقد بلغني أمه قد مثل يأخي، وذلك في الله، مما أرضانا بما كان من ذلك، لاحتسبن ولاصبرن إن شاء الله.

<sup>1</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/391).

<sup>2</sup> (؟) انظر: غزوة أحد، محمد باشميل، ص 171: 173.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**فِلَمَا جَاءَ الزَّبِيرَ بْنَ الْعَوَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ:**  
**«خَلَ سَبِيلَهَا»** فَاتَّهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَصَلَّتْ عَلَيْهِ وَاسْتَرْجَعَتْ<sup>(1)</sup>،  
 وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ<sup>(2)</sup>.

### **بـ حمنة بنت جحش رضي الله عنها:**

لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من دفن أصحابه -رضي الله عنهم- ركب فرسه وخرج المسلمين حوله راجعين إلى المدينة، فلقيته حمنة بنت جحش، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا حمنة: «احتسبي» قالت: من يا رسول الله؟ قال: «أخوك عبد الله بن جحش» قالت: أنا لله وإنما إليه راجعون، غفر الله له، هنئنا له الشهادة، ثم قال لها: «احتسبي» قالت: من يا رسول الله؟ قال: «خالك حمزة بن عبد المطلب» قالت: أنا لله وإنما إليه راجعون، غفر الله له، هنئنا له الشهادة، ثم قال لها: «احتسبي» قالت: من يا رسول الله؟ قال: «زوجك مصعب بن عمير»، قالت: واحذرناه، وصاحت ولو لولت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن زوج المرأة منها لمكان» لما رأى من تشتتها على أخيها وخالها، وصياحها على زوجها ثم قال لها: «ولم قلت هذا؟» قالت: يا رسول الله ذكرت بي بنيه فراعني، فدعاه لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو لولها أن يحسن الله تعالى عليهم من الخلف<sup>(3)</sup>. فتزوجت طلحة بن عبيد الله فولدت منه محمدًا وعمران<sup>(4)</sup> وكان محمد بن طلحة أوصى الناس بولولها<sup>(5)</sup>.

### **جـ المرأة الدينارية رضي الله عنها:**

قال سعد بن أبي وقاص: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرأة من بنى دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد، فلما نعوا لها قالت: مما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: خيراً يا أم فلان، هو يحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعده جلل<sup>(6)</sup>، تزيد صغيرة، وهكذا يفعل الإيمان في نفوس المسلمين.

### **دـ أم سعد بن معاذ وهي كبشة بنت عبيد الخزرية رضي الله عنها:**

خرجت أم سعد بن معاذ تعود نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على فرسه، وسعد

1

2

3

4

5

6

(?) استرجعت، قال: أنا لله وإنما إليه راجعون.

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/108).

(?) انظر: البداية والنهاية (4/47)، غزوة أحد دراسة دعوية، ص 236.

(?) انظر: الإصابة (8/88) رقم 11060.

(?) انظر: غزوة أحد لابي فارس، ص 109.

(?) انظر: البداية والنهاية (4/48).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

بن معاذ آخذ بعنان فرسنه، فقال سعد: يا رسول الله، أمي، فقال رسول الله: «مرحباً بها» فدنت حتى تأملت رسول الله فقالت: أما إذا رأيتكم سالماً، فقد أشوت<sup>(1)</sup> المصيبة، فعزها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمرو بن معاذ ابنها، ثم قال: «يا أم سعد، أبشرني وبشرني أهليهم أن قتلتهم قد ترافقوا في الجنة جمِيعاً، وهم اثنا عشر رجلاً، وقد شفعوا في أهليهم» قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: ادع يا رسول الله لمن خلفوا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم أذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبيهم، وأحسن الخلف على من خلفوا»<sup>(2)</sup>.

\* \* \*

<sup>1</sup> (؟) أشوت: صارت صغيرة خفيفة.

<sup>2</sup> (؟) انظر: مغازي الواقدي (315، 316). 1/315.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## بعض الدروس وال عبر والفوائد

لقد وصف القرآن الكريم غزوة أحد وصفاً دقيقاً، وكان التصوير القرآني للغزوة أقوى حيوية ووضوحاً من الروايات التي جاءت في الغزوة، كما أن أسلوب الآيات المطمئنة المبشرة واللائمة، والمسكنة والواعظة كان رائعاً وقوياً، فبين القرآن الكريم نفوس جيش النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا تميز لحديث القرآن عن الغزوة، ينفرد به عما جاء في كتب السيرة، فسلط القرآن الكريم الأضواء على خفايا القلوب، التي ما كان المسلمون أنفسهم يعرفون وجودها في قلوبهم، والناظر عموماً في منهج القرآن في التعقيب على غزوة أحد، يجد الدقة والعمق والشمول.

**يقول سيد قطب:** الدقة في تناول كل موقف، وكل حركة، وكل حالجة، والعمق في التدبر إلى أغوار النفس ومشاعرها الدفينة، والشمول لجوانب النفس وجوانب الحادث. كما نجد الحيوية في التصوير والإيقاع والإيحاء، بحيث تتماوج المشاعر مع التعبير والتوصير تماوجاً عميقاً عنيقاً، ولا تملك أن تقف جامدة أمام الوصف، والتعقيب فهو وصف حي، يستحضر المشاهد، كما لو كانت تتحرك، ويشيع حولها النشاط المؤثر والإشعاع النافذ، والإيحاء المثير<sup>(1)</sup>.

إن حركة النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الأمة وإقامة الدولة والتمكين لدين الله، تعتبر انعكاساً في دنيا الحياة لمفاهيم القرآن الكريم التي سيطرت على مشاعره، وأفكاره وأحساسه صلى الله عليه وسلم، ولذلك نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم في علاجه لأثر الهزيمة في أحد تابع للمنهج القرآني الكريم، وتحاول تسليط الأضواء على بعض النقاط المهمة في هذا المنهج.

**أولاً: تذكير المؤمنين بالسنن ودعوتهم للعلو الإيماني:**

قال تعالى: ( قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ بُسْتُرَ فَسِرُّوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ عَاقَبَهُ اللَّهُ الْمُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمُؤْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَخْرُنُوا وَأَنِّي أَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) [آل عمران: 137-139].

إن المتأمل في هذه الآيات الكريمة يجد أن الله سبحانه وتعالى لم يترك المسلمين لوساوس الشيطان في محنة غزوة بدر، بل خاطبهم بهذه الآيات التي بعث بها الأمل في قلوبهم، وأرشدهم إلى ما يقويهم ويشتيتهم، ويمسح بتوجيهاته دموعهم ويخفف عنهم ألامهم<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> (؟) في ظلال القرآن (1/532).

<sup>2</sup> (؟) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (1/190).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

**قال القرطبي:** هو تسلية من الله تعالى للمؤمنين<sup>(3)</sup>.

ففي الآيات السابقة دعوة للتأمل في مصير الأمم السابقة التي كذبت بدعوة الله تعالى، وكيف جرت فيهم سنته على حسب عادته، وهي الإهلاك والدمار بسبب كفرهم وظلمهم وفسوقةم على أمره. وجاء التعبير بلفظ كيف الحال على الاستفهام، المقصود به تصوير حالة هؤلاء المكذبين التي تدعو إلى التعجب، وتثير الاستغراب، وتغرس الاعتبار والاتباع في قلوب المؤمنين؛ لأن هؤلاء المكذبين مكن الله لهم في الأرض ومنحهم الكثير من نعمه، ولكنهم لم يشكروه عليها، فأهلتهم بسبب طغيانهم<sup>(2)</sup>.

وفي قوله تعالى: ( وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْرِزُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ) دعاهم إلى ترك الضعف، ومحاربة الجبن، والتخلص من الوهن، وعدم الحزن؛ لأنهم هم الأعلون بسبب إيمانهم.

ثانياً: تسلية المؤمنين وبيان حكمة الله فيما وقع يوم أحد:

قال تعالى: ( إِنْ يَمْسِسْكُمْ فَرْجٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْجٌ مُّثِلُّهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تُدَأْلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ أَنْ تَذَلُّلُوا إِلَيْهِ وَلِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنُّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلَقُوهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظَرُونَ ) [آل عمران: 140-143].

بَيْنَ الله - سبحانه - لهم أن الجروح والقتلى يجب ألا تؤثر في جسدهم واجتهادهم في جهاد العدو؛ وذلك لأنه كما أصابهم ذلك فقد أصاب عدوهم مثله من قبل ذلك، فإذا كانوا مع باطلهم وسوء عاقبتهم لم يفتروا لأجل ذلك في الحرب، فإنما لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبة والتمسك بالحق أولى<sup>(3)</sup>.

وقال صاحب الكشاف: **والمعنى:** إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم، ولم يتسلط عليهم عن معاودتكم بالقتال، فأنتم أولى أن لا تضعفوا<sup>(4)</sup>. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنه كان يوم أحد بيوم بدر، قتل المؤمنون يوم أحد، اتخاذ الله منهم شهداء، وغلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر المشركين فجعل الدولة عليهم<sup>(5)</sup>. وقد ذكر الله تعالى أربع حكم لما حدث للمؤمنين في غزوة أحد وهي: تحقق علم الله تعالى وإظهاره للمؤمنين، وإكرام بعضهم بالشهادة التي توصل صاحبها إلى أعلى الدرجات، وتطهير المؤمنين وتخليصهم

3

2

3

3

5

5

(?) انظر: تفسير القرطبي (4/216).  
 (?) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (1/191).  
 (?) انظر: تفسير الرازبي (9/14). (4) انظر: تفسير الكشاف (1/465).  
 (?) انظر: تفسير الرازبي (4/105).

من ذنوبهم ومن المنافقين، ومحق الكافرين واستئصالهم رويداً رويداً<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: كيفية معالجة الأخطاء:

ترفق القرآن الكريم وهو يعقب على ما أصاب المسلمين في أحد على عكس ما نزل في بدر من آيات، فكان أسلوب القرآن الكريم في محاسبة المنتصر على أخطائه أشد من حساب المنكiser، فقال في غزوة بدر: ( مَا كَانَ لِتَبْيَانِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّىٰ يُنْسَخَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ أَعْرِبْ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسْكُمْ فِيمَا أَخْذَتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٍ ) [الأنفال: 67]. [68]

وقال في أحد: ( وَلَقَدْ صَدَقُوكُمُ اللَّهُ وَعْدُهُ إِذْ تَحْسُسُوْهُمْ يَا ذَنْبِهِ حَتَّىٰ إِذَا قِيلُوكُمْ وَتَنَازَعُوكُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَمْلَأَ أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفْتُكُمْ عَنْهُمْ لِيَتَبَلَّكُمْ وَلَقَدْ عَفَ عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) [آل عمران: 152] وفي هذا حكمة عملية وتربيية قرآنية يحسن أن يتلزمهها أهل التربية والقائمون على التوجيه<sup>(2)</sup>.

رابعاً: ضرب المثل بالمجاهدين السابقين:

قال تعالى: ( وَكَانُوا لَمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا صَعَفُوا وَمَلَأُوا سَكَانِ الْأَرْضِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ . وَمَا كَانَ قُولُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا دُبُوبَنَا وَإِسْرَارَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَفْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَاتَّاهُمُ اللَّهُ تَوَابُ الدُّنْيَا وَخُسْنَ تَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) [آل عمران: 146-148].

قال ابن كثير: عاتب الله بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصبح بأن محمدًا قد قتل، فعدّلهم الله على فرارهم وتركهم القتال<sup>(3)</sup>.

وضرب الله لهم مثلاً بأخوانهم المجاهدين السابقين، وهم جماعة كثيرة، ساروا وراء أنبيائهم في درب الجهاد في سبيل الله، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا عن الجهاد بعد الذي أصابهم منه، وما استكأنوا لللعن، بل طلوا صابرين ثابتين في جهادهم، وهذا تعريض بالمسلمين الذين أصابهم الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبضعفهم عند ذلك عن

1 (?) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (1/199).

2 (?) انظر: صور وغير من الجهاد النبوي في المدينة، ص 137.

3 (?) انظر: تفسير ابن كثير (1/410).

مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم، وضرب الله مثلاً للمؤمنين لتشييthem يأولئك الربانيين وبما قالوه: ( **وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتَبَّأْ قَدَّامَنَا وَأَنْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ) [آل عمران: 147] وهذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى نفوسهم - مع كونهم ربانيين- هضم لها واعتراف منهم بالقصير، ودعاؤهم بالاستغفار من ذنوبهم مقدم على طلبهم تشبيت أقدامهم أمام العدو، ليكون طلبهم إلى ربهم النصر عن زكاة وطهارة وخصوص، وفي هذا تعليم للمسلمين إلى أهمية التضرع، والاستغفار وتحقيق التوبة. وتظهر أهمية ذلك في إتزال النصر على الأعداء ( **فَلَمَّا هُمْ اللَّهُ تَوَابُ الدُّنْيَا وَخُسْنَتْ تَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ) أي وبذلك نالوا ثواب الدارين: النصر والغنيمة في الدنيا، والثواب الحسن في الآخرة، جزاء أحسانهم في أدب الدعاء والتوجه إلى الله، وإحسانهم في موقف الجهاد، وكانوا بذلك مثلاً يضربيه الله للمسلمين المجاهدين، وخص الله تعالى ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقديمه على ثواب الدنيا وأنه هو المعتمد عنده<sup>(1)</sup>.

#### **خامسًا: مخالفهولي الأمر تسبب الفشل لجنوده:**

ويظهر ذلك في مخالفه الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ووقوعهم في الخطأ الفطيع الذي قلب المواريث، وأدى إلى الخسائر الفادحة التي لحقت بال المسلمين. ولكي نعرف أهمية الطاعة لولي الأمر، نلاحظ أن انحدار عبد الله بن أبي ومن معه من المنافقين لم يؤثر على المسلمين، بينما الخطأ الذي ارتكبه الرماة الذين أحسن الرسول صلى الله عليه وسلم تربيتهم، وأسند لكل واحد منهم عملاً، ثم خالفوا أمره صلى الله عليه وسلم كان ضرره على المسلمين عامة، حيث سلط الله عليهم عدوهم، وذلك بسبب عصيان الأوامر، ثم اختلطت أمورهم وتفرقوا كلمتهم، وكاد يُقضى على الدعوة الإسلامية وهي في مهدها.

ونلحظ من خلال أحداث غزوة أحد: أن المسلمين انتصروا في أول الأمر حينما امثلوا لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم، وانقادوا لتعليمات قائهم وأميرهم عبد الله بن جبير<sup>1</sup>، بينما انهزموا حينما خالفوا أمره صلى الله عليه وسلم ونزل الرماة من الجبل لجمع الغائم مع بقية الصحابة<sup>(2)</sup> رضي الله عنهم، قال تعالى: ( **إِذْ يُضْعَدُونَ وَلَا يَلْتَوِونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاجِكُمْ فَإِنَّكُمْ غَمَّا بِعْمَ لَكِيلًا تَخْرُجُونَ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ) [آل عمران: 153].

يقول الشيخ محمد بن عثيمين: ( ومن آثار عدم الطاعة ما حصل

<sup>1</sup> (؟) انظر: المستفاد من قصص القرآن (2/204).

<sup>2</sup> (؟) انظر: غزوة أحد دارسة دعوية، ص 207-209.

من معصية بعض الصحابة رضي الله عنهم، والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، وهم يجاهدون في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، والذي حصل أنه لما كانت الغلبة للمؤمنين، ورأى بعض الرماة أن المشركين انهزموا تركوا الموضع الذي أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إلا يبرحوه، وذهبوا مع الناس، وبهذا كر العدو عليهم من الخلف، وحصل ما حصل من الابتلاء والتمحيص للمؤمنين، وقد أشار الله تعالى إلى هذه العلة بقوله تعالى: **(وَلَقَدْ صَدَّقُكُمُ اللَّهُ وَعَدُهُ أَذْكُرْهُمْ يَادِنَهُ حَتَّىٰ إِذَا فَتَشَلَّمُوا وَتَسَارَ عَنْهُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا عَقَابًا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)** [آل عمران: 152] هذه المعصية التي فات بها نصر انعقدت اسبابه، وبدأت أوائله، هي معصية واحدة والرسول عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم، فكيف بالمعاصي الكثيرة؟ ولهذا نقول: إن المعاصي من أثارها أن الله يسلط بعض الطالمين على بعض بما كانوا يكسبون، ويفوتهم من أسباب النصر والعزوة بقدر ما ظلموا فيه أنفسهم<sup>[1]</sup>.

### سادساً: خطورة إثمار الدنيا على الآخرة:

وردت نصوص عديدة من آيات وأحاديث تبين منزلة الدنيا عند الله وتصف زخارفها وأثرها على فتنة الإنسان، وتحذر من الحرث عليها، قال تعالى: **(وَيْلٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْنَطِرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ وَالْحِيلَةِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْإِنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)** [آل عمران: 14].

وقد حذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمته من الاغترار بالدنيا، والحرث الشديد عليها في أكثر من موضع، وذلك لما لهذا الحرث من أثره السيئ على الأمة عامة وعلى من يحملون لواء الدعوة خاصة ومن ذلك:

عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فینظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنةبني إسرائيل كانت في النساء»<sup>(2)</sup> ويظهر للباحث أثر الحرث على الدنيا في غزوة أحد.

قال ابن عباس: لما هزم الله المشركين يوم أحد، قال الرماة: (أدركوا الناس ونبي الله، لا يسيرونكم إلى الغنائم، فتكون لهم دونكم) وقال بعضهم: (لا نريم<sup>(3)</sup> حتى ياذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم)<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> (?) انظر: الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع، محمد بن العثيمين نقلًا عن غزوة أحد، ص 211.

<sup>2</sup> (?) مسلم، رقم 2742.

<sup>3</sup> (?) لا نريم: لا نبرح المكان.

<sup>4</sup> (?) انظر: تفسير الطبرى (3/474). (5) المصدر نفسه (3/474).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

فنزلت: (**مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ**) [آل عمران: 152].

قال الطبرى: قوله سبحانه: (**مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا**) يعني الغنيمة، قال ابن مسعود: ما كنت أرى أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل علينا يوم أحد<sup>(1)</sup> (**مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ**).

إن الذي حدث في أحد عبرة عظيمة للدعاة وتعلماً لهم بأن حب الدنيا قد يتسلل إلى قلوب أهل الإيمان وبخفي عليهم، فيؤثرون الدنيا ومتاعها على الآخرة ومتطلبات الفوز بتعيمها، ويعصون أوامر الشرع الصريحة كما عصى الرماة أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم الصريحة بتاويل ساقط، يرفعه هو النفس وحب الدنيا، فيخالفون الشرع وينسون المحكم من أوامره، كل هذا يحدث ويقع من المؤمن وهو غافل عن دوافعه الخفية، وعلى رأسها حب الدنيا، وإيثارها على الآخرة ومتطلبات الإيمان، وهذا يستدعي من الدعاة التفتیش الدائم الدقيق في خباباً نفوسهم وأقلال حب الدنيا منها، حتى لا تحول بينهم وبين أوامر الشرع، ولا توقعهم في مخالفته بتاویلات ملفوفة بهوى النفس وتلتفتها إلى الدنيا ومتاعها<sup>(2)</sup>.

### **سابعاً: التعلق والارتباط بالدين:**

قال ابن كثير: لما انهزم من انهزام المسلمين يوم أحد، وقتل من قتل منهم، نادى الشيطان، لأنَّ مُحَمَّداً قد قُتِلَ، ورجع ابن قميئه إلى المشركيين فقال لهم: قُتلت مُحَمَّداً، وإنما كان قد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشجه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتِلَ، وجوزوا عليه ذلك، كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام، فحصل ضعف ووهن وتأخر، عن القتال، ففي ذلك أينزل الله: (**وَمَا مُحَمَّدُ الْأَرْسُولُ قَدْ خَلَقَ مِنْ قَبْلِهِ الرَّسُولُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَمَّا تَنْقَلَبْتُ عَلَى عَقَبَيْهِ فَلَنْ يَصِرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَخْرُجُ اللَّهُ السَّاكِرِينَ**) [آل عمران: 144] أي له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه<sup>(3)</sup>.

وقد جاء في تفسير الآية السابقة، أن الرسول ليس باقية في أقوامها أبداً، فكل نفس ذاته الموت، ومهمة الرسول تبليغ ما أرسى به، وقد فعل، وليس من لوازم رسالته البقاء دائماً مع قومه، فلا خلود لأحد في هذه الدنيا، ثم قال تعالى منكراً على من حصل له ضعف لموت النبي صلى الله عليه وسلم أو قتله، فقال تعالى: (**أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**) أي رجعتم القهقرى، وفقدتم عن

<sup>2</sup> (? ) انظر: المستفاد من قصص القرآن (2/197). (2) انظر: تفسير القرآن (1/441).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

135

الجهاد، والانقلاب على الأعقاب يعني الإدبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من أمر الجهاد ومتطلباته: ( **وَمَنْ يَنْقُلْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يُصْرِرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَخْرُجِي اللَّهُ الشَاكِرِينَ** ) الذين لم ينقلبوا أو ظلوا ثابتين على دينهم متبعين رسوله حيَا أو ميتاً<sup>(1)</sup>.

لقد كان من أسباب البلاء والمصائب التي حدثت للمسلمين يوم أحد أنهم ربطوا إيمانهم وعقيدتهم ودعوتهم إلى الله لإعلاء كلامته بشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا الرابط بين عقيدة الإيمان بالله ربّاً معبوداً وحده وبينبقاء شخص النبي صلى الله عليه وسلم خالداً فيهم خالقه المغلوب بالعاطفة، آلرربط بين الرسالة الخالدة وبين الرسول صلى الله عليه وسلم البشّر الذي يلحقه الموت كان من أسباب ما نال الصحابة -رضي الله عنهم- من الفوضى والدهشة والاستغراب، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم أساس وحوب الناسي به في الصير على المكاره، والعمل الدائب على نشر الرسالة، وتبلیغ الدعوة ونصرة الحق، وهذا الناسي هو الجانب الأغلى من جوانب منهج رسالة الإسلام؛ لأنّه الدعامة الأولى في بناء مسيرة الدعوة لإعلاء كلمة الله ونشرها في آفاق الأرض، وعدم ربط بقاء الدين وأستمرار الجهاد في سبيله ببقاء شخص النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الدنيا<sup>(2)</sup>.

قال ابن القيم: إن غزوة أحد كانت مقدمة وإرهاصاً بين يدي موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم وبخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قتل، بل الواجب لهم أن يتباينوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه، أو يقتلوا، فإنهم إنما يعبدون ربّ محمد، وهو لا يموت فلو مات محمد أو قتل، لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينهم، وما جاء به فكل نفس ذاتية الموت، وما نعمت محمد صلى الله عليه وسلم ليخلد، لا هو ولا هم، بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد، فإن الموت لا بد منه، سواء مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بقي، ولهذا وبخهم على رجوع من رجع منهم عن دينه لما صرخ الشيطان، إنّ محمدًا قد قتل ف قال: ( **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قُدْحَلِبٌ مِّنْ قَبْلِهِ الرَّسُولُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقُلْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يُصْرِرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَخْرُجِي اللَّهُ الشَاكِرِينَ** ) [آل عمران: 144]، والشاكرون هم الذين عرفوا قدر النعمة، فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قتلوا فظهر أثر هذا العتاب، وحكم هذا الخطاب يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وارتدى على عقبه، وثبت

<sup>1</sup> (؟) انظر: المستفاد من قصص القرآن (2/200).

<sup>2</sup> (؟) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (3/616).

**الشاكرون على دينهم فنصرهم الله، وأعزهم وظفرهم وجعل العاقبة لهم<sup>(1)</sup>.**

قال القرطبي: (فهذه الآية من تتمة العتاب مع المنهزمين، أي لم يكن لهم الانهزام وإن قتل محمد، والنبوة لا تدراً الموت، والأديان لا تزول بموت الأنبياء<sup>(2)</sup>). وكلامه -رحمه الله- نفيض جدًا، فالذين طنوا من قبل أن الإسلام قد انتهى بموت النبي **صلى الله عليه وسلم**، والذين يطنون أن ظهور الإسلام ودعوته متوقف على شخص بعينه، فهو لاء وأولئك قد أخطأوا ولم يقدروا هذا الدين قدره، ولم يوفوه حفه؛ لأن ظهور هذا الدين وهيمنته على كل الأديان هو قدّر الله عز وجل وستته، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، قال تعالى: **(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظَهِّرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُمْ كَفِرُ كَرَهُ الْمُشْرِكُونَ) [التوبه: 33]**.

فسبب ظهور هذا الدين أنه حق وأنه هدى<sup>(3)</sup>.

في غزوة أحد نزل التشريع الإلهي بالعتاب على ما حدث منهم أثناء أحداث غزوة أحد، وعند موت الرسول **صلى الله عليه وسلم** جاء التطبيق حيث (لما توفي رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أقبل أبو بكر الصديق **ع** على فرس من مسكنه بالسنح، حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها فتيمم<sup>(4)</sup> رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وهو مغشى ثوب حيره<sup>(5)</sup>، فكشف عن وجهه **صلى الله عليه وسلم** ثم أكبّ عليه فقبّله وبكي، ثم قال: يا بني أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها<sup>(6)</sup>.

وعن ابن عباس **ع** قال: إن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فاقبل الناس إليه وتركوا عمر **ع** فقال أبو بكر **ع**: أما بعد من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: **(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَقْنَا مِنْ قَبْلِهِ الرَّسُولُ أَفَانِ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يَصْرَرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَخْرُجُ اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران: 144]** وقال: والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتقليقاها منه الناس كلهم، فما اسمع بشّرًا من الناس إلا يتلوها. فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر **ع** قال: والله ما هو إلا أن سمعت

<sup>1</sup> (?) انظر: زاد المعاد (3/224). <sup>3</sup> (3) انظر: تفسير القرطبي (4/222).

<sup>2</sup> (?) انظر: مرض النبي ووفاته وأثر ذلك على الأمة، خالد أبو صالح، ص 20 نقلًا عن غزوة أحد دراسة دعوية، ص 191.

<sup>4</sup> (2) الحبرة: نوع من برود اليمن مخططة غالبية الثمن.

<sup>5</sup> (?) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض رسول الله ووفاته، رقم 4454.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

أبا بكر 『 تلاها فَعَقِرْتُ<sup>(1)</sup> حتى ما تقلّنِي رجلاً، وحٰتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات<sup>(2)</sup>. 』

ثامنًا: معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للرماء الذين أخطأوا والمنافقين الذين انخدلوا:

### أ- الرماة:

إن الرماة الذين أخطأوا الاجتهد في غزوة أحد لم يخر جهم الرسول صلى الله عليه وسلم خارج الصف، ولم يقل لهم إنكم لا تصلحون لشيء من هذا الأمر بعد ما بدمكم في التجربة من النقص والضعف، بل قبل ضعفهم هذا في رحمة وعفو وفي سماحة، ثم شمل سبحانه وتعالى برعايته وعفوه جميع الذين اشتركوا في هذه الغزوة، رغم ما وقع من بعضهم من أخطاء جسيمة وما ترتب عليه من خسائر فادحة، فعفا سبحانه وتعالى عفواً غبيلاً به خطاياهم ومحاباً بوأثار تلك الخطايا، قال تعالى: ( وَلَقَدْ صَدَقْكُمُ اللَّهُ وَعْدُهُ إِذْ تَحْسُوْتُهُمْ يَا ذَنْبِنِهِ حَتَّى إِذَا قَسْلَلُتُمْ وَتَنَازَلْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَلَأَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْ تُرِيدُ الدِّنَّا وَمِنْكُمْ مَنْ تُرِيدُ الْآخِرَةَ تَمَّ صَرَّفْكُمْ عَنْهُمْ لِتَبْتَلِيْكُمْ وَلَقَدْ عَفَّ عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) [آل عمران: 152]. وهنالك أمر مهم يتصل بهذا العفو قد يترك أثراً في نفوسهم يعوقها بعض الشيء، ذلك هو موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم مما حدث منهم، إنهم يشعرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو وحده الذي تحمل نتيجة تلك الأخطاء فلا بد أن ينالوا منه عفواً تطيب به نفوسهم، وتم به نعمه الله عليهم، لهذا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يعفو عنهم وحثه على الاستغفار لهم، كما أمره أن يأخذ رأيهم والاستماع إلى مشورتهم، ولا يجعل ما حدث صارفاً له عن الاستفادة من خبراتهم ومشورتهم<sup>(3)</sup>، قال تعالى: ( فَيَمَّا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا عَلَيْطَ الْقَلْبَ لَا نَقْصُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاغْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَسَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَرَمْتَ فَتَوَكِلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ) [آل عمران: 159].

### ب- انخدال ابن سلول المنافق:

كان هدف عبد الله ابن سلول بانسحابه بثلاثمائة من المنافقين، كان يريد أن يحدث بلبلة واضطراباً في الجيش الإسلامي، لتهار معنوياته ويتشعج العدو، وتعلو همته. وعمله هذا ينطوي على استهانة

<sup>1</sup> (?) عقيرت: دهشت وتحيرت، وسقطت. (5) انظر: البخاري، كتاب المغاري، رقم 4454.

<sup>3</sup> (?) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص 218. (2) المصدر نفسه، ص 219. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأول من رمضان وعيد الفطر 1426

بمستقبل الإسلام، وغدر به في أحلك الظروف، وقد حاول عبد الله بن حرام أن يمنعهم من ذلك الانخذال إلا أنهم رفضوا دعوته<sup>(4)</sup>، وفيهم نزل قول الله تعالى: ( وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقْرِيرِ الْجَمِيعَانِ فَيَأْذِنُ اللَّهُ وَلِيَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ تَأْفِقُوا وَقِيلَ لَهُمْ يَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا قَاتِلُوا لَوْ نَعْلَمُ فَتَالًا لَا يَعْنَتُكُمْ هُمْ لِلْكُفَّارِ بُؤْمَئِذٍ أَفَرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ يَا أَفْوَاهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ) [آل عمران: 167-166].

فالبرغم من خطورة الموقف وحاجة المسلمين لهذا العدد، لقلة جيش المسلمين وكثرة جيش قريش إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك هؤلاء المنافقين وشأنهم، ولم يعترض لهم أي اهتمام، واكتفى بفضح أمرهم أمام الناس<sup>(1)</sup>. وكان لهذا الأسلوب أثره في توبخ وإهانة ابن سلول، فعندما رجع رسول الله من غزوه من حمراء الأسد، أراد ابن سلول أن يقوم كعادته لحت الناس على طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الإمام الزهري: كان عبد الله بن أبي له مقام يقومه كل جمعة لا ينكسر له شرقاً في نفسه وفي قومه، وكان فيه شريفاً، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: أيها الناس هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به، فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمين بشيابه من نواحيه، وقالوا: أجلس أي عدو الله، والله لست بذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بحراً<sup>(2)</sup>، إن قمت أشد أمره. فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: وبلك ما لك؟ قال: قمت أشد أمره فوثب إلى رجال من أصحابه يجذونني ويعنفونني لكانما قلت بحراً أن قمت أشد أمره، قالوا: وبلك ارجع يستغفر لك رسول الله، قال: والله ما أبغى أن يستغفر لي<sup>(3)</sup>.

#### تاسعاً: «أحد جبل يحبنا ونحبه»:

عن أنس بن مالك ـ قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم طَلَعَ له أحد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه»<sup>(4)</sup>.

وهذا يدل على دقة شعور النبي صلى الله عليه وسلم حيث قارن بين ما كسبه المسلمون من منعة التحصن والاحتماء بذلك الجبل، وما أودعه الله تعالى فيه من قابلية لذلك، فعبر عن ذلك بآرقي وشائع الصلة وهي المحبة، أفلأ يعتبر هذا الوجدان الحي والإحساس المرهف مثلاً أعلى على التخلق بخلق الوفاء؟. إلا إن الذي يعترض بفضل

<sup>1</sup> (?) نفس المصدر، ص 220. <sup>2</sup> (4) بحراً: شرًّا.  
<sup>3</sup> (1) انظر: البداية والنهاية (4/53). <sup>4</sup> (2) انظر: صحيح البخاري، المغازي، رقم 4084.

139

الحجارة الصماء، ويفضي عليها من الأخلاق السامية ما لا يتصف به إلا أفالصل العقلاً لجدير به أن يعترف بأدنى فضل يكون من بني الإنسان، وإن كان وفاؤه صلي الله عليه وسلم للحمداد قد سما حتى حاز أرقى العبارات وأرقها، فأخلق بيني الإنسان الأوفياء أن ينالوا منه أعظم من ذلك، فضلاً عن تجمعه بهم الأخوة في الله تعالى<sup>(1)</sup>.

والحديث النبوي الشريف فيه كثير من المعاني منها ما ذكره الحميدي، ومنها ما قاله الأستاذ صالح الشامي حيث قال: والإنسان كثيراً ما يربط بين المصدية وبين مكانها أو زمانها.. وحتى لا تنسب هذه العادة وتستمر بعد أن جاء الإسلام كان هذا القول الكريم بياناً للحق، وابتعاداً عن الطيرة والتشاؤم، وذلك المعنى الذي يبقى الآثار السيئة في نفس الإنسان، ولا شك أن المسلمين سيقفون على أحد يتذكرون تلك المعركة فحتى لا يرتبط بفكيرهم بذلك المعنى السيئ بين لهم أن المكان والزمان مخلوقات لله لا علاقة لهما ولا أثر بما يحدث فيهما، وإنما الأمر بيد الله تعالى، والاستشهاد في سبيل الله كرامة لصاحبه لا مصدية، وهكذا تتسرق المفاهيم في إطارها الإيماني، إدّاً (أحد) يكرم ويحب أنطلاقاً من هذا القول الكريم، وكيف لا يكرم وقد اختاره الله ليثوي فيه حمزة وأصحابه ومن اختارهم الله في ذلك اليوم فجادوا بأنفسهم ابتلاء مرضاته<sup>(2)</sup>.

### عاشرًا: الملائكة في أحد:

قال سعد بن أبي وقاص<sup>هـ</sup>: رأيت عن يمين رسول الله صلي الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد، رجلين عليهما ثياب يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل، عليهما السلام<sup>(3)</sup>. وهذا خاص بالدفاع عن النبي صلي الله عليه وسلم؛ لأن الله تكفل بعصمته من الناس، ولم يصح أن الملائكة قاتلت في أحد سوى هذا القتال، ذلك لأن الله تعالى وعدهم أن يمددهم؛ وجعل وعده معلقاً على ثلاثة أمور: الصبر والتقوى وإitan الأعداء من فورهم، ولم تتحقق هذه الأمور فلم يحصل الإماماد<sup>(4)</sup>، قال تعالى: (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ الْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ إِنْ تَصْرِرُوا وَتَنْتَقِلُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ قَوْرَهُمْ هَذَا يُمَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ الْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) [آل عمران: 124، 125].

حادي عشر: قوانين النصر والهزيمة من سورة الأنفال، وآل عمران:

تحدثت سورة الأنفال عن غزوه بدر بشيء من التفصيل، وتحدثت

<sup>1</sup> (?) انظر: التاريخ الإسلامي (5/198). <sup>2</sup> (?) انظر: معين السيرة النبوية، ص 427.

<sup>3</sup> (?) مسلم، كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل (4/1802).

<sup>4</sup> (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/391).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

سورة آل عمران عن غزوة أحد لكي تتعلم الأمة كثيراً من المفاهيم، تتعلق بمفهوم القضاء والقدر، ومفهوم الحياة والموت، ومفهوم النصر والهزيمة، ومفهوم الربح والخسارة، ومفهوم الإيمان والنفاق، ومفهوم المنحة والمحنة، ومن المفاهيم التي تعلمها الصحابة -رضي الله عنهم- من خلال أحداث بدر وأحد وسورتي الأنفال وآل عمران، قوانين النصر والهزيمة، وهذه القوانيں قد بيّنتها الآيات الكريمة ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

**أ-** النصر ابتداء وانتهاء، بيد الله عز وجل، وليس ملكاً لأحد من الخلق، يهبه الله لمن يشاء ويصرفه عمن يشاء، مثله مثل الرزق، والأجل، والعمل: (وَمَا حَعْلَةُ اللَّهِ إِلَّا يُشَرِّى وَلَتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأفال: 10].

**ب-** وحين يقدر الله تعالى النصر، فلن تستطيع قوى الأرض كلها الحيلولة دونه، وإن يقدر الهزيمة، فلن تستطيع قوى الأرض أن تحول بينه وبين الأمة، قال تعالى: (إِنِّي نَصِّرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لِكُمْ وَإِنْ يَحْذِلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ وَغَلَى اللَّهُ فَلَيَسْتَوْكُلِ الْمُؤْمِنُونَ) [آل عمران: 160].

**ج-** ولكن هذا النصر له نواميس ثابتة عند الله عز وجل، نحن بحاجة إلى فقهها، فلا بد أن تكون الرأي خالصة لله سبحانه عند الذين يمثلون جنده، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُبَيِّثُ أَفْدَامَكُمْ) [محمد: 7]. ونصر الله في الاستجابة له، والاستقامة على منهجه والجهاد في سبيله.

**د-** ووحدة الصيف ووحدة الكلمة أساس في النصر، وتفريق الكلمة والاختلاف في الرأي دمار وهزيمة، قال تعالى: (وَأَطْبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَّعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاضْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأفال: 46]..

**ه-** وطاعة أمر الله تعالى ورسوله وعدم الخروج عليها أساس في النصر، أما المعصية فتقود إلى الهزيمة قال تعالى: (وَأَطْبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَّعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاضْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأفال: 46].

**و-** وحب الدنيا والتهاافت عليها يفقد الأمة عون الله ونصره، قال تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا فَتَشَلُّمْ وَتَنَازَّعُتْ فِي الْأُمُرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ يَعْدُ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ مِنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) [آل عمران: 152].

**ز-** ونقص العدد والعدة ليس هو سبب الهزيمة، قال تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ يَبْدِرُ وَأَنْتُمْ أَذْلَهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

ح- ولكن لا بد من الاعداد المادي والمعنوي لمواجهة العدو<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ( وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا أُسْتَطِعُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطٍ الْخَيْلُ تُرْهِبُونَ بِهِ عَذَّوَ اللَّهُ وَعَذَّوْكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ ذُو نِعْمَةٍ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا يَنْفَعُو مِنْ شَيْءٍ فِي سَيِّلِ اللَّهِ يُوقِّفُ إِلَيْكُمْ وَإِنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ) [الأنفال: 60].

ط- والثبات عند المواجهة، والصبر عند اللقاء من العوامل الرئيسية في النصر، قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً فَاثْبُتوهَا وَإِذَا كَرِرُوا إِلَيْهِمْ لَعْلَكُمْ تُفْلِحُونَ ) [الأنفال: 45]. وقال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْقًا فَلَا تُؤْلُهُمْ لَأَذْبَارَ ) [الأنفال: 15].

ي- ولا شيء يعين على الثبات والصبر عند اللقاء مثل ذكر الله الكبير، باتجاه القلب إلى الله وحده منزل النصر، وطلب العون منه، والتوكّل عليه، وعدم الاعتماد على العدد أو العدة أو الذات، والتبرؤ من الجحول والقوة، هو عامل أساسى من عوامل النصر<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً فَاثْبُتوهَا وَإِذَا كَرِرُوا إِلَيْكُمْ تُفْلِحُونَ ) [الأنفال: 45].

ثاني عشر: فضل الشهداء وما أعده الله لهم من نعيم مقيم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتاوي إلى فناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم وملائكتهم وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا! لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكروا عن الحرب، فقال عز وجل: أنا أبلغهم عنكم» فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات<sup>(3)</sup>، قال تعالى: ( وَلَا تَخْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَخْيَاءً عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ ۝ فَيُرْجِيَنَّ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَتَسْبِيْشُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوْهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرِبُونَ ۝ يَسْبِيْشُرُونَ بِنِعْمَةِ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ) [آل عمران: 169-171].

وقد جاء في تفسير الآيات السابقة ما رواه الواحدي عن سعيد بن جبير أنه قال: لما أصيب حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير يوم أحد، ورأوا ما رزقا من الخير قالوا: ليت إخواننا يعلمون ما أصابنا من الخير كي يزدادوا في الجهاد رغبة، فقال الله تعالى:

1 (؟) انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان، ص 461، 462.

2 (؟) انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان، ص 463.

3 (؟) انظر: تفسير الطبرى (4/170).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

142

أنا أبلغهم عنكم، فلأنزل الله تعالى: (وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَخْيَاءً) إلى قوله: (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيقُ أَخْرَ الْمُؤْمِنِينَ)<sup>(1)</sup>. وروى مسلم بسنده عن مسروق، قال: سأله عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: (وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَخْيَاءً عِنْدَ رَبِّهِمْ يُزَرَّفُونَ). قال: أما أنا سأله عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة، حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعه فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتته؟! ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، فعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يترکوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى تُقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»<sup>(2)</sup>.

### ثالث عشر: الهجوم الإعلامي على المشركين:

كان الإعلام في العهد النبوى يقوم على الشعر، وكان شعراء المشركين في بدر في موقف الدفاع والرثاء، وفي أحد حاول شعراء قريش أن يضخموه هذا النصر، فجعلوا من الحبة قبة، وأمام هذه الكبراء المزيفة، انبرى حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة للرد على حملات المشركين الإعلامية التي قادها شعراً وهم كهيبة بن أبي وهب، وعبد الله الزبيرى وضرار بن الخطاب وعمرو بن العاص<sup>(3)</sup>.

وكانت قصائد حسان كالقنابل على المشركين، وقد أشاد بشجاعة المسلمين، حيث استطاعوا أن يقتلو حملة المشركين، ويوجه المشركين وبصفتهم بالجبن حينما لم يستطيعوا حماية لواههم حتى كان في النهاية بيد امرأة منهم، وولى أشرفهم وتركوه، وفي هذا الهجاء تذكر للمشركين بموافقي الذل والجبن التي تعرضوا لها في بداية المعركة، حتى لا يغتروا بما حصل في نهايتها من إصابة المسلمين.

ولقد أصاب حسان من المشركين مقتلاً حينما غيرهم بالتخلي عن اللواء وإقادام امرأة منهم على حمله، وهذا يتضمن وصفهم بالجبن الشديد حيث أقدمت امرأة على ما نكلوا عنه<sup>(4)</sup>. ومما قاله في شأن عمرة بنت علقمة الحارثية ورفعها اللواء:

1 (؟) انظر: أسباب النزول للواحدى، ص 125، تفسير الطبرى (4/269).

2 (؟) مسلم، كتاب الإمارة، باب أرواح الشهداء في الجنة (3/1887).

3 (؟) انظر: معين السيرة، ص 252، 253.

4 (؟) انظر: التاريخ الإسلامي (5/21).

+ 143 جدایة شرکٍ معلمات الحواجب<sup>(1)</sup>

وحزنهم بالضرب من كل جانب<sup>(2)</sup>

يباعون في الأسواق بيع الجنائين<sup>(3)</sup>

وعندما أخذ اللواء من الحارثية غلام حبشي لبني طلحة، كان لواء المشركين قد أخذه صوابٌ من الحارثية وقاتل به قتالاً عنيفاً قتل على أثره فرمى حسان بن ثابت أبياته في هذا الموضوع فقال:

لواء حين رد إلى صواب

إذا عَصَلْ سيقـت إلينـا كـأنـها

أقـمنـا لـهـمـ طـعـنـاـ مـيـرـاـ منـكـلاـ

فلـولاـ لـوـاءـ الـحـارـثـيـةـ أـصـبـحـواـ

وأـلـامـ منـ يـطـاـ عـفـرـ التـرـابـ

جـعـلـتـ فـخـرـكـمـ فـيهـ بـعـدـ

وـمـاـ إـنـ ذـاكـ مـنـ أـمـرـ الصـوابـ<sup>(4)</sup>

طـنـنـتـ،ـ وـالـسـفـيـهـ لـهـ طـنـونـ

ومن أعجب ما قرأت في المعركة الإعلامية بين المسلمين والمشركين محاولة ضرار بن الخطاب قبل إسلامه أن يفتخر بقدر على اعتبار النصر كان لرسول الله والمهاجرين وفي ذلك قوله: بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر

فـانـتـظـفـرـوـ فـيـ يـوـمـ بـدـرـ

يـحـامـونـ فـيـ الـلـوـاءـ وـالـمـوـتـ حـاـضـرـ

وـبـالـنـفـرـ الـأـخـيـارـ هـمـ أـلـيـأـوـهـ

وـبـدـعـ عنـ عـلـيـ وـسـطـ مـنـ أـنـتـ ذـاكـرـ

يـعـدـ أـبـوـ بـكـرـ وـحـمـزـةـ فـيـهـمـ

وـسـعـدـ إـذـاـ مـاـ كـانـ فـيـ الـحـرـبـ

وـيـدـعـىـ أـبـوـ حـفـصـ وـعـثـمـانـ

حـاـضـرـ بـنـ الـأـوـسـ وـالـنـجـارـ حـيـنـ تـفـاـخـرـ<sup>(5)</sup>

أـلـئـكـ لـاـ مـنـ نـتـجـتـ مـنـ دـيـارـهـ

وـهـكـذـاـ حـوـلـهـ إـلـىـ لـغـةـ قـبـلـيـةـ تـقـوـمـ عـلـىـ مـفـاهـيمـ جـاهـلـيـةـ وـلـقـدـ أـجـابـهـ

كـعبـ هـ:ـ وـفـيـنـاـ رـسـوـلـ اللـهـ وـالـأـوـسـ حـوـلـهـ

وـمـعـقـلـ مـنـهـمـ عـزـيزـ وـنـاصـرـ

1 (؟) عَصَلْ: اسْمَ قَبْيلَةِ ابْنِ خَرِيمَةَ، الْجَدَايَةُ: الصَّغِيرُ مِنْ أَوْلَادِ الظَّبَاءِ.

2 (؟) مَيْرَا: مَهْلِكًا، وَمِنْكَلًا: قَامِعًا لَهُمْ وَلَغِيرِهِمْ.

3 (؟) الجنائين: ما يجلب إلى الأسواق لبيع فيها.

4 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي هاشم (3/87).

5 (؟) انظر: معين السيرة، ص 252.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

+

وجمع بنى النجار تحت لوائه

إلى أن قال:

وكان رسول الله قد قال أقبلوا

لأمر أراد الله أن يهلكوا به

كما أجابه بقوله:

وب يوم بدر إذ نرد وجوههم

وهو أفحـر بـيت قـالـته العـرب كـما قـال صـاحـب العـقد الفـريـد<sup>(1)</sup>.

\* \* \*

---

<sup>1</sup> (?) انظر: معين السيرة، ص 252.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

+

## الفصل العاشر أهم الأحداث ما بين أحد والخندق

### المبحث الأول محاولات المشركين لزعزعة الدولة الإسلامية

كانت غزوة أحد مشجعة لأعداء الدولة الإسلامية على مواجهتها، وساد الشعور لدى الأعراب المشركين، بإمكان مناوشة المسلمين والتغلب عليهم، واتجهت أنظار المشركين من الأعراب إلى غزو المدينة لاستئصال شافتهم، وكسر شوكتهم، فطماعت بنو أسد في الدولة الإسلامية، وشرع خالد بن سفيان الهزلي لجمع الحشود لكي يهاجم بها المدينة، وتجربات عضل والقارة على خداع المسلمين، وقام عامر بن الطفيلي بقتل القراء الدعاة الأميين، وحاولت يهودبني النصير أن تغتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتصدى لهذه المحاولات الماكنة الحبيب المصطفى بشجاعة فائقة، وسياسة ماهرة، وتحطيم سليم، وتنفيذ دقيق.

#### أولاً: طمع بنى أسد في الدولة الإسلامية:

بلغت النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة عيونه المنبثة في الجزيرة العربية أخبار الاستعدادات التي قام بها بنو أسد بن خزيمة بقيادة طلحة الأسدي من أجل غزو المدينة طمعاً في خيراتها، وانتصاراً لشرکهم، ومظاهرة لقريش في عدوانها على المسلمين، فسارع النبي صلى الله عليه وسلم إلى تشكيل سرية في مائة وأخماسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وأمر عليهم أبي سلمة بن عبد الأسد<sup>(1)</sup>، المخزومي وعقد له لواء، وقال له: «سر حتى تنزل أرضبني أسد، فأغار عليهم قبل أن تلاقى عليك جموعهم»<sup>(2)</sup>. فسار إليهم أبو سلمة في المحرم<sup>(3)</sup> فأغار على أنعامهم، ففرروا من وجهه فأخذها، ولم يلق عناء في تشتت أعداء الإسلام، وعاد إلى المدينة مظفراً، وأبو سلمة يعد من السابقين إلى الأيمان ومن خيرة الرعيل الأول، وقد عاد من هذه الغزوة متبعاً، إذ تَعَرَّ جرحه الذي أصابه في (أحد) فلم يلبث حتى مات<sup>(4)</sup>. ونلحظ في هذه السرية عدة أمور منها: الدقة في التخطيط الحربي عند النبي صلى الله عليه وسلم حيث فرق أعدائه قبل أن يجتمعوا، فذهلوا لمجيء سرية أبي سلمة وهم يظنون أن المسلمين قد أضعفهم وقعة أحد وأذلتهم عن أنفسهم، فاصيب

<sup>1</sup> (?) انظر: نصرة النعيم (1/313).

<sup>2</sup> (?) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص 162، 163.

<sup>3</sup> (?) انظر: زاد المعاد (3/243). (4) فقه السيرة للغزالى، ص 274.

<sup>4</sup>

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العاشر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

المشروع بالرعب من المسلمين، ووهنت عزيمتهم، وانشغلوا بأنفسهم عن مهاجمة المدينة، وتظهر دقة المسلمين في الرصد العربي واختيارهم التوقيت الصحيح والطريق المناسب، حيث وصلوا إلى الأعداء قبل أن يعلموا عنهم أي شيء رغم بعد المسافة، وكان هذا هو أهم عوامل نجاح المسلمين في هذه السرية، وترك هذه السرية في نفوس الأعداء شعوراً مؤثراً على معنوياتهم، إلا وهو قناعتهم بقدرة المسلمين على الاستخفاء والقيام بالحروب الخاطفة المفاجئة يجعلهم يمتلئون رعباً منهم ويتوهون الإغارة في أي وقت، وهذا الشعور حملهم على الاعتراف بقوّة المسلمين، ومسالمتهم<sup>(1)</sup>.

**ثانياً: خالد بن سفيان الهذلي وتصدي عبد الله بن أبيس له:**

قام خالد بن سفيان الهذلي بجمع المقاتلة من هذيل وغيرها في عرفات، وكان يتهمها لغزو المسلمين في المدينة مظاهرة لقريش، وتقريراً إليها، ودفعاً عن عقائدهم الفاسدة، وطمماً في خيرات المدينة، فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابي عبد الله بن أبيس يحدثنا بنفسه قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح يجمع لي الناس ليغزوني» وهو بعرنة فاته فاقتلها، قال: قلت: يا رسول الله انتبه حتى أعرفه، قال: «إذا رأيته وجدت له قشعريرة».

قال: فخرجت متوضحاً بسيفي، حتى وقعت عليه بعرنة مع ظعن برتاب لهن منزلة، حين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيته أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلي عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه أوميء برأسى الركوع والسجود، فلما انتهيت إليه قال: من الرجل، قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لهذا، قال: أجل أنا في ذلك، قال: فمشيتك معه شيئاً، حتى إذا أمكنتني حملت عليه بالسيف حتى قتلتني، ثم خرجت وتركت طعائنه مكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأني فقال: «أفلح الوجه» قال: قلت: قتلتني يا رسول الله، قال: «صدقت»، قال: ثم قام معي رسول الله فدخل في بيته فأعطاني عصا، فقال: «امسك هذه عندك يا عبد الله بن أبيس».

قال: فخرجت بها على الناس فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمرني أن أمسكها، قالوا: أولاً ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله عن ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله لم أعطيتني

<sup>1</sup> (1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/23). (2) انظر: نظرية النعيم (1/313).

هذه العصا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيمة، إن أقل الناس المختصرون<sup>(1)</sup> يومئذ يوم القيمة» فقرنها عبد الله بسيفه فلم تنزل معه، حتى إذا مات أمر بها فضمت معه في كفنه، ثم دفنا جميغاً<sup>(2)</sup>.

**وفي هذا الخبر فوائد ودروس وعبر منها:**

**1- دقة الرصد الحربي:** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي للجانب الأمنية أهميته؛ ولذلك كان يتابع تحركات الأعداء، وبعد ذلك الحلول المناسبة للمشكلات والأزمات في وقتها الملائم، ولذلك لم يمهل خالد بن سفيان حتى يكتسب جمعه ويشتد ساعده، بل عمل على القضاء على الفتنة وهي في أيامها الأولى بحزم؛ وبذلك حق للأمة مكاسب كبيرة وقلل التضحيات المتوقعة من مجيء خالد بن سفيان بجيش لغزو المدينة، وهذا العمل يحتاج لقدرة في الرصد الحربي، وسرعة في اتخاذ القرار.

**2- فراسة النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار الرجال:** كان صلى الله عليه وسلم يتمتع بفراسة عظيمة في اختيار الرجال ومعرفة كبيرة لذوي الكفاءات من أصحابه، فكان يختار لكل مهمة من يناسبها، فيختار للقيادة من يجمع بين سداد الرأي وحسن التصرف والشجاعة، ويختار للدعوة والتعليم من يجمع بين غزاره العلم ودماثة الخلق والمهارة في اجتذاب الناس، ويختار للوفادة على الملوك والأمراء من يجمع بين حسن المظهر وفصاحة اللسان وسرعة البديهة، وفي الأعمال الفدائنية يختار من يجمع بين الشجاعة الفائقة وقوية القلب والمقدرة على التحكم في المشاعر<sup>(3)</sup>. فقد كان عبد الله بن أبي الجن<sup>(4)</sup> قوي القلب ثبت الجنان، راسخ اليقين، عظيم الإيمان<sup>(5)</sup>. وي جانب هذه الصفات العظيمة التي أهلته لهذه المهمة فهناك سبب آخر فقد كان يمتاز بمعرفة مواطن تلك القبائل لمحاورتها ديار قومه (جهينة)<sup>(5)</sup>.

**3- المكافأة على هذا العمل أخروية:** لم تكن المكافأة على هذا العمل العظيم الجريء مادية دنيوية كما يتمناه الكثير ممن يقوم بالمهام الشاقة في جيوش العالم قديماً وحديثاً، بل كانت أسمى من ذلك وأعظم فهي وسام شرف أخروي قليل من يناله<sup>(6)</sup>، فقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- وسائر المتقين لا ينتظرون جراء في الدنيا، ولو حصلوا على شيء من متع الدنيا فإنه لا يعتبر عندهم شيئاً كبيراً، وإنما ينتظرون جراءهم في الآخرة، ولهذا كانت مكافأة عبد الله بن

<sup>1</sup> (? ) المختصرون: أو المختصرون: والمراد هنا يأتون يوم القيمة ومعهم أعمال صالحة يتكلّون عليها.

<sup>2</sup> (? ) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 319. (2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/27).

<sup>4</sup> (? ) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (51، 4/50).

<sup>5</sup> (? ) انظر: غزوة أحد، محمد باشميل، ص 31. (5) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 159، 160.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

148

أنيس تلك العصا التي ستكون علامه بينه وبين رسول الله يوم القيمة، وهذا يدل على علو مكانته في الآخرة<sup>(1)</sup>.

**4- بعض الأحكام الفقهية:** تضمن هذا الخبر بعض الأحكام والفوائد منها (صلاة الطالب) قال الخطابي: واحتلقو في صلاة الطالب، فقال عوام أهل العلم: إذا كان مطلوبًا كان له أن يصلى إيماء، وإذا كان طالبًا نزل إن كان راكبًا وصلى بالأرض راكبًا وساجدًا<sup>(2)</sup>، وكذلك قال ابن المنذر<sup>(3)</sup>، أما الشافعي فشرط شرطاً لم يشترطه غيره، قال: إذا قل الطالبون عن المطلوبين، وانقطع الطالبون عن أصحابهم فيخافون عودة المطلوبين عليهم فإذا كان هكذا كان لهم أن يصلوا يومئون إيماء.

قال الخطابي: وبعض هذه المعاني موجودة في قصة عبد الله بن أنيس<sup>(4)</sup>، وقد ذكر بدر العيني في عمدة القاري مذهب الفقهاء في هذا الباب، فعند أبي حنيفة: إذا كان الرجل مطلوبًا فلا يأس بصلاته سائراً، وإن كان طالباً فلا، وقال مالك وجماعة من أصحابه: هما سواء، كل واحد منهم يصلى على ذاته.

وقال الأوزاعي والشافعي في آخرين كقول أبي حنيفة، وهو قول عطاء والحسن والثوري وأحمد وأبي ثور.

وعن الشافعي: إن خاف الطالب فوت المطلوب أوما وإلا فلا<sup>(5)</sup>.

**5- جواز الاجتهاد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم:** يجوز الاجتهاد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فعبد الله بن أنيس إذ أداه اجتهاده أن يصلى هذه الصلاة، ولم يذكر عليه صلى الله عليه وسلم, مما يدل على جواز الصلاة عند شدة الخوف بالإيماء<sup>(6)</sup>. وهذا الاستدلال صحيح لا شك فيه؛ لأن عبد الله بن أنيس فعل ذلك في حياة النبي وذلك زمن الوحي، ومحال أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطلع عليه<sup>(7)</sup>.

**6- من دلائل النبوة:** فقدم وصف صلى الله عليه وسلم خالد بن سفيان الهذلي لعبد الله بن أنيس وصفاً دقیقاً دون أن يراه حتى أن ابن أنيس عندما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجباً كما وقع في رواية الواقدي: (يا رسول الله ما فرقت من شيء قط، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بلى آية ما بيتي وبينه أن تجد له قشريرة إذا رأيته»<sup>(8)</sup>) وقد وجد عبد الله بن أنيس خالد

1 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/29).

2 (?) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 160.

3 (?) معلم السنن للخطابي (2/42) حاشية واحد على سنن أبي داود.

4 (?) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (6/263).

5 (?) انظر: السرايا والبعوث، ص 161.

6 (?) انظر: عون المعبود، العظيم آبادي (4/129).

7 (?) انظر: مغازي الواقدي (2/532).

8 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الهذلي على الصفة التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول عبد الله: فلما رأيته هبته وفرقته منه، فقلت: صدق الله رسوله<sup>(1)</sup>.

## 7- ما قاله عبد الله بن أبيس من الشعر في قتله لخالد الهذلي:

نواج تفري كل جيب مقدر	ترك ابن ثور كالحوار وحوله
بأيضاً من ماء الحديد المهند	تناولته والطعن خلفي وخلفه
أنا ابن أبيس فارساً غير قعد	أقول له والسيف يعجم رأسه
حنيف على دين النبي محمد	وقلت له خذها بصرية ماجد
سبقت إليه باللسان وباليد <sup>(2)</sup>	وكنت إذا هم النبي بكافر

## ثالثاً: غدر قبيلتي عضل والقارة، وفاجعة الرجيع:

اختل了一ت مرويات سرية الرجيع فيما بينها كثيراً حول السبب الذي من أجله بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الوقت الذي يورد البخاري بأنه إنما بعث علينا لتجمع المعلومات عن العدو<sup>(3)</sup>، فإن مرويات أخرى بأسانيد صحيحة ورد فيها أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رهط من قبيلتي عضل والقارة المصريتين إلى المدينة وقالوا: (إن فينا إسلاماً فابعث علينا نفرًا من أصحابك يفهمونا ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام)<sup>(4)</sup>، ويظهر أن قبيلة هذيل قد سعت للثأر من المسلمين لخالد بن سفيان الهذلي فلجان إلى الخديعة والغدر، وقد جزم الواقدي<sup>(5)</sup> بأن السبب هو أنبني لحيان وهو حي من هذيل، مشت إلى عضل والقارة، وجعلت لهم جعلاً ليخرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلبوا منه أن يخرج معهم من يدعوه إلى الإسلام ويفقههم في الدين، فيكتمنوا لهم وبأسرتهم ويصيروا بهم ثمناً في مكة<sup>(6)</sup>.

وهكذا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم هذه السرية التي تتالف من عشرة من الصحابة<sup>(7)</sup>، وجعل عليهم عاصم بن ثابت بن الأقلح أميراً، حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة أغار بنو لحيان، وهم قريب من مائتي مقاتل، فالجاوهم إلى تل مرتفع بعد أن أحاطوا بهم من كل

<sup>1</sup> (؟) انظر: البيهقي، دلائل النبوة (4/41) من روایة موسى بن عقبة.

<sup>2</sup> (؟) انظر: البداية والنهاية (4/143). (2) البخاري رقم 4086.

<sup>4</sup> (؟) انظر: معاذ الواقدي (1/354)، (355). (4) المصدر نفسه (1/354)، (355).

<sup>6</sup> (؟) انظر: نصرة النعيم (1/314). (6) البخاري رقم 4086.

<sup>5</sup> هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

جانب، ثم أعطوهما الأمان من القتل، ولكن قائد السرية أعلن رفضه أن ينزل في ذمة كافر<sup>(1)</sup>، وقال عاصم بن ثابت: إني نذرت لا أقبل جوارٌ مشرك أبداً، فجعل عاصم يقاتلهم وهو يقول: ما علّتني وأنا جلد نابل<sup>(2)</sup> والنبل والقوس لها بلال<sup>(2)</sup>

الموت حق والحياة باطل  
بالمرء والمرء إليه آثر  
هابل<sup>(3)</sup>

تزل عن صفحتها المعابر  
وكل ما حم الإله نازل

فرماهم بالنبل حتى فنيت نبله، ثم طاعنهم بالرمح حتى كسر رمحه، وبقي السيف فقال: اللهم حمي دينك أول نهاري فاحم لي لحمي آخره، وكانوا يجردون كل من قتل من أصحابه، فكسر غمد سيفه ثم قاتل حتى قُتل، وقد جرح رجلين وقتل واحداً وكان يقول وهو يقاتل: أنا أبو سليمان ومثلي رامي

ثم شرعوا فيه الأسنة حتى قتلوا، وكانت سلافة بنت سعد بن الشهيد قد قُتلت زوجها وبنوها أربعة، قد كان عاصم قتل منهن اثنين: الحارث، ومسافعًا، فنذرت لأن أمهكها الله منه أن تشرب في قحف<sup>(4)</sup> رأسه الخمر، وجعلت لمن جاء برأس عاصم مائة ناقة، قد علمت بذلك العرب وعلمته بنو لحيان، فأرادوا أن يحتزروا رأس عاصم ليذهبوا به إلى سلافة بنت سعد ليأخذوا منها مائة ناقة، فبعث الله تعالى عليهم الدبر فحملته، فلم يدُنْ إليه أحد إلا لدغت وجهه، وجاء منها شيء كثير لا طاقة لأحد به، فقالوا: دعوه إلى الليل، فإنه إذا جاء الليل ذهب عنه الدبر، فلما جاء الليل بعث الله عليه سيلًا ولم يكن في السماء سحاب في وجه من الوجوه، فاحتمله فذهب به فلم يصلوا إليه<sup>(5)</sup>.

لقد قتل عاصم في سبعة من أفراد السرية بالبالي، ثم أعطى الأعراب الأمان من جديد للثلاثة الباقين، فقبلوا غير أنهم سرعان ما غدروا بهم بعد ما تمكناوا منهم، وقد قاومهم عبد الله بن طارق فقتلوا واقتادوا الاثنين إلى مكة، وهما خبيب وزيد بن الدثنة فباعوهما لفريش<sup>(6)</sup>، وكان ذلك في صفر سنة 4 هـ<sup>(7)</sup>.

<sup>1</sup> (؟) انظر: نصرة النعيم (1/314). <sup>2</sup> (8) بلال: جمع بلبة وبلال، وهو شدة المهم.

<sup>3</sup> (؟) انظر: مغاري الواقدي (1/355). <sup>4</sup> (2) المصدر نفسه (1/355). <sup>5</sup> (?) المصدر نفسه (1/356). <sup>6</sup> (4) انظر: نصرة النعيم (1/314).

<sup>7</sup> (?) جوامع السير لابن حزم، ص 176.

فأما خبيب فقد اشتراه بنو الحارث بن عامر بن نوفل ليقتلوه بالحارث الذي كان خبيب قد قتله يوم يدر، فمكث عندهم أسبوعاً حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بنات الحارث، استجده بها فأغارته، وغفلت عن صبي لها فجلس على فخذها، ففرغت المرأة لئلا يقتله انتقاماً منه، فقال خبيب: أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى، فكانت تقول: ما رأيت أسبوعاً قط خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما يمكّه يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقاً رزقه الله، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف إليهم فقال: لو لا أن تروا ما بي حزن من الموت لزدت، فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو<sup>(1)</sup>، ثم قال: (اللهم أحصهم عدداً، واقتلمهم بددًا<sup>(2)</sup> ولا تبق منهم أحداً) ثم قال:

قبائلهم واستجمعوا كل مجمع  
عليَّ لأنني في وثاق بمضيع  
وقربت من جذع طويل ممنع  
وما أرصد الأحزاب لي عند  
فقد بُصَّعوا لحمي وقد ياس<sup>(3)</sup>  
فقد ذرفت عيناي من غير مجزع  
وإن إلى ربي إبابي ومرجعي  
على أي شق كان في الله  
بيبارك على أوصال شلوٍ ممزع  
ولا جزعاً إني إلى الله مرجعى<sup>(4)</sup>

قال له أبو سفيان: أيسرك أن محمداً عندنا يضرب عنقه وأنك في أهلك، فقال: لا والله، ما يسرني أني في أهلي، وأن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤديه<sup>(5)</sup>، ثم قُتل وصلبوه ووكلوا به من يحرس جثته، فجاء عمرو بن أمية الصنمي، فاحتمله بجذعه ليلًا، فذهب به ودفنه<sup>(6)</sup>. وأما زيد بن الدثنة فاشترأه صفوان بن أمية وقتلته

لقد أجمع الأحزاب حولي وألبوا  
وكلهم مبدي العداوة جاهد  
وقد قربوا أبناءهم ونساءهم  
إلى الله أشكوا غربتي بعد  
فذا العرش صبرني على ما  
وقد خيروني الكفر، والموت  
وما بي حذار الموت إني لميت  
ولست أبالي حين أُقتل مسلماً  
وذلك في ذات الإله وإن يشا  
فلست بمبِدٍ للعدو تخشعًا

1 (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/399).

2 (؟) أي متفرقين في القتل واحداً بعد واحد من التبديد.

3 (؟) ياس: لعنة في يتنس.

4 (4,5) انظر: زاد المعاد (3/245).

5 (6) المصدر السابق (3/246).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

بابيه (أمية بن خلف الذي قتل بيدر)، وقد سأله أبو سفيان قبل قتله: أتشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً الآن عندنا مكأنك تضرب عنقه وأنت في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإننيجالس في أهلي.

فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمد<sup>(1)</sup>.

وقد عرفت هذه الحادثة المفعمة بالرجيع نسبة إلى ماء الرجيع الذي حصلت عنده، وفي هذه الحادثة دروس وعبر وفوائد منها:

**1- فوائد ذكرها ابن حجر:** وفي الحديث أن للأسير أن يتمتع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن، قال الحسن البصري: لا بأس بذلك، وقال سفيان الثوري: أكره ذلك. وفيه الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله وإثبات كرامة الأولياء، والدعاء على المشركين بالتعيم، والصلة عند القتل وفيه إنشاد الشعر، وإن شاده عند القتل دلالة على قوة يقين خبيب وشدة في دينه.

وفيه أن الله يتلئ عبده المؤمن بما شاء كما سبق في علمه لشبيهه، ولو شاء ربك ما فعلوه، وفيه استجابة دعاء المسلم وإكرامه حياً وميتاً، وغير ذلك من الفوائد مما يظهر بالتأمل، وإنما استجابة الله له من حماية لحمه من المشركين، ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه<sup>(2)</sup>.

**2- بين التسليم والقتال حتى الموت:** يستدل مما سبق أن للأسير في يد العدو أن يتمتع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل، ترفعا عن أن يجري عليه حكم كافر، كما فعل عاصم، فإن أراد الترخيص، فله أن يستأمن متربقاً الفرصة مؤملاً الخلاص كما فعل خبيب وزيد، ولكن لو قدر الأسير على الهرب لزمه ذلك في الأصح، وإن أمكنه اظهار دينه بينهم، لأن الأسير في يد الكفار مقهور مهان، فكان من الواجب عليه تخليص نفسه من هوان الأسر ورقه<sup>(3)</sup>.

وهذا الحديث يفتح أمام المسلمين باباً واسعاً في التعامل مع الأحداث في اختيارهم الأسر إذا طلبو مظلومين، أو اختيارهم القتال حتى الموت، ما دام الطالب لا يطلبهم بعدل وما دامت السلطة غير إسلامية<sup>(4)</sup>.

**3- تعظيم سنة النبي صلى الله عليه وسلم:** وفي الحديث

1 (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/400).

2

3 (؟) انظر: فتح الباري (445, 7/444).

4

4 (؟) انظر: المسيرة للبوطي، ص 188, 189.

5

4 (؟) انظر: الأساس في السنة لسعيد حوى (2/622).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

يظهر تعظيم الصحابة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف أن خيباً مع أنه في أسر المشركين، ويعلم أنه سيقتل بين عشية أو صاحها، ومع ذلك كان حريصاً على سنة الاستhardad، واستعار الموسى لذلك، وفي هذا تذكير لمن يستهين بكثير من السنن، بل والواجبات بحجة أن لا ينبغي أن ينشغل المسلمون بذلك للظروف التي تمر بها الأمة، وفي الواقع لا منافاة بين تعظيم السنة والدخول في شرائع الإسلام كافة<sup>(1)</sup>.

**4- الإسلام ينتزع الغدر والأحقاد:** عندما استعار خبيب موسى من بعض بنات الحارت ليستجدها فأغارته، قالت المرأة: فغفلت عن صبي لي، تدرج إليه حتى أتاه، فوضعه على فخذه فلما رأته فزعت منه فزعه عرف ذلك مني، وفي يده الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله<sup>(2)</sup>.

إنه موقف رائع يدل على سمو الروح، وصفاء النفس، والإلتزام بالمنهج الإسلامي فقد قال تعالى: (وَلَا تُنْزِرُ وَارِزَةً وَرَأْيَ اخْرَى) [الإسراء: 15].

إنه الوفاء بتعلم الناس ممن غدر بهم، إن الاستقامة طبيعة سلوك المسلم في حالي الرخاء والشدة<sup>(3)</sup>.

وفي قول خبيب<sup>(4)</sup>: (ما كنت لأفعل إن شاء الله) يشير هذا الأسلوب في البيان العربي إلى أن هذا الفعل غير وارد ولا متصور ولا هو في الحسان، في هذا الطرف الحاسم، الذي قد يتعلق فيه الاستثناء، لموقع الضرورة، وإنقاد المهج، لكن المبدأ الأصلي، الوفاء والكف عن البراء، لا تنقض له هذه الاعتبارات الموهومة<sup>(4)</sup>. وهذا مثل من عظمة الصحابة رضي الله عنهم حين يطبقون أخلاق الإسلام على أنفسهم مع أعدائهم، وإن كانوا قد ظلموهم، وهذا دليل على وعيهم وكمال إيمانهم<sup>(5)</sup>.

**5- حب النبي صلى الله عليه وسلم عند الصحابة:** إن حظ الصحابة من حبه صلى الله عليه وسلم كان أتم وأوفر، ذلك أن المحبة ثمرة المعرفة وهم بقدره صلى الله عليه وسلم ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم، وبالتالي كان حبهم له صلى الله عليه وسلم أشد وأكبر<sup>(6)</sup>.

ففي حادثة الرجيع يظهر هذا الحب في الحوار الهدائى بين أبي

1 (?) انظر: وقوفات تربوية مع السيرة النبوية، أحمد فريد، ص 234.  
2 (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 320 رواية غريبة.  
3 (2) انظر: معين السيرة، ص 259.

4 (?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 153.  
5 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/38).

6 (?) انظر: حقوق النبي على أمته، د. محمد التميمي (1/314).

هديّة الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

<sup>154</sup> سفيان و بين زيد بن الدثنة، إذ قال له أبو سفيان: أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانته تضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحاب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة، وإنني جالس في أهلي<sup>(1)</sup>.

و هذا الحب من الإيمان فقد قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كُنَّ فيه وجد فيهن حلاوة الإيمان، من كان الله و رسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»<sup>(2)</sup>.

**6- مما قاله حسان في ذمبني لحيان:** تأثر المسلمين بمقتل أصحاب الرجيع تأثراً بالغاً، وكان حسان<sup>■</sup> بشعره يعبر عن حال المسلمين، فمن يستحق الهجاء هجاء، ومن يستحق المدح مدحه، فقال في هجاءبني لحيان:

أن سرك الغدر صرفاً لا مراج له  
لأنه  
فقال في هجاء بنى لحيان:  
فأت الرجيع فسل عن دار  
لحان  
فالكلب والقرد والإنسان مثلان  
قوم توافقوا بأكل الجار بينهم

لو ينطق التيس يوماً قام  
يخطفهم  
وكان ذا شرف فيهم وذا شأن<sup>(3)</sup>

**رابعاً:** طمع عامر بن الطفيلي في المسلمين و فاجعة بئر معونة (هـ 4):

عامر بن الطفيلي زعيم من زعماء بنى عامر كان متكتبراً متغطراً، طامعاً في الملك، وكان يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم سوف تكون له الغلبة على الحزيرة العربية؛ ولذلك جاءه هذا المشرك إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: أخيرك بين ثلات خصال: أن يكون لك السهل، ولي أهل المدر، أو أن تكون خليفتك من بعدي، أو أغزوك بعطفان بalf أشقر وألف شقراء<sup>(4)</sup>. فرفض صلى الله عليه وسلم تلك المطالب الجاهلية، وجاء إلى المدينة ملاعب الأسنة سيد بنى عامر عم عامر بن الطفيلي وقدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم هدية، فعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام فأبى أن يسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فإني لا أقبل هدية من مشرك، فقال ملاعب الأسنة: فابعث إلى أهل نجد من شئت فأنا لهم جار، فبعث إليهم بقوم منهم المنذر بن عمرو، وهو الذي يقال له المعتق لم يموت أو اعتق الموت، فاستجاش<sup>(5)</sup> عليهم عامر بن الطفيلي بنى عامر فابوا أن يطيعوه، وأبوا أن يخروا ملاعب الأسنة، فاستجاش

1 (؟) انظر: صور و عبر من الجهاد النبوى في المدينة، ص 154.  
2 (؟) البخارى، كتاب الإيمان (1/72) رقم 21.

3 (؟) البخارى، رقم 4091 يقصد بalf أشقر وألف شقراء الخيل.

4 (؟) استجاش: طلب لهم الجيش و جمعه.

5 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

عليهم بنى سليم فأطاعوه، فاتبعهم بقريب من مائة رجل رام فادر كهم بيئر معونة، فقتلواهم إلا عمرو بن أمية<sup>(1)</sup>. ومن حديث أنس قال: جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلمون القرآن والسنّة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء منهم خالي حرام، يقرأون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يحيّون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطّبون فيبيعونه، ويشتترون به الطعام لأهل الصفة وللقراء، فيبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فعرضوا لهم فقتلواهم، قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا، أنا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عننا، قال: وأتي رجل حراماً خال أنس، من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزت وربّ الكعبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا لللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك، فرضينا عنك ورضيت عننا»<sup>(2)</sup>.

**وفي هذه الحادثة المؤلمة، والفاجعة المفجعة دروس وعبر وفوائد منها:**

**1- لا بد للدعوة من تصحيات:**رأينا كيف غدر حلفاء هذيل بأصحاب الرجيع من القراء، الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم معلمين ومفهّمين في غزوة الرجيع، وهو هنا عامر بن الطفيلي يغدر بالسبعين القراء، الذين استنفروا للدعوة إلى الله، والتلقّي في دين الله في مجررة رهيبة دنيئة، وذلك في يوم بيئر معونة.

وقد تركت هذه المصائب في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أثراً غائراً، بعيدة الأعماق حتى إنه ليث شهراً يقتن في صلاة الفجر، داعياً على قبائل سليم التي عصت الله ورسوله<sup>(3)</sup>. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح، في دبر كل صلاة، إذا قال: (سمع الله لمن حمده) من الركعة الأخيرة، يدعوا على أحباء من بنى سليم، على رعل وذكوان وعصبة، ويؤمن من خلفه<sup>(4)</sup>، قال أنس بن مالك: وذلك بداء القنوت وما كنا نفنته<sup>(5)</sup>.

لكن ذلك لم يفت في عضد المسلمين، ولا فتر من حميتهم في الدعوة إلى الله، ولاكسر من عزّهم في مواصلة الدعوة وخدمة دين الله؛ لأن مصلحة الدعوة فوق الأنفاس والدماء، بل إن الدعوة لا يكتب لها النصر إذا لم تبذل في سبيلها الأرواح، ولا شيء يمكن للدعوة في الأرض مثل الصلاة في مواجهة الأحداث والأزمات واسترخاص

1 (؟) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 322.

2 (؟) مسلم في الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد رقم 677.

3 (؟) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة ص 151.

4 (؟) انظر: سنن أبي داود في الصلاة باب القنوت في الصلوات: 1443.

5 (؟) البخاري، رقم 4088.

التضحيات من أجلها.

إن الدعوات بدون قوى أو تضحيات، يوشك أن تكون بمثابة فلسفات وأخيلة للفها الكتب وتزورها الأساطير ثم تطوى مع الزمن. إن حادثتي الرجيع وبئر معونة تبصّرنا بالمسؤولية الضخمة عن دين الله، والدعوة إليه، ووضعت نصب أعيننا نماذج من التضحيات العظيمة التي قدمها الصحابة الكرام من أجل عقيدتهم ودينهن ومرضاة ربهم.

إن للسعادة ثمناً، وإن للراحة ثمناً، وإن للمجد والسلطان ثمناً، وثمن هذه الدعوة: دم ركي يهراق في سبيل الله من أجل تحقيق شرع الله ونظامه، وتشيّت معالم دينه على وجه البسيطة<sup>(1)</sup>.

**2- فزت ورب الكعبة:** صاحب الكلمة حرام بن ملحان □ فعندما اخترق الرمح ظهره حتى خرج من صدره، وأصبح يتلقى الدم بيديه، ويمسح به وجهه ورأسه ويقول: (فزت ورب الكعبة)<sup>(2)</sup>; إن هذا المشهد يجعل أقسى القلوب وأعظمها تحجرًا يتأثر، ويستصغر نفسه أمام هؤلاء العظماء الذين لا تتصفر وجوههم فزغاً من الموت، وإنما يعلوها البشر والسرور، وتغشاها السكينة والطمأنينة<sup>(3)</sup>. وهذا المنظر البديع الرائع الذي لا يتصوره العقل البشري المجرد عن الإيمان جعل جبار بن سلمى وهو الذي طعن حرام بن ملحان يتتساءل عن قول حرام: فزت ورب الكعبة، وهذا جبار يحدّثنا بنفسه فيقول: إن مما دعاني إلى الإسلام، أنني طعنت رجلاً منهم يومئذ برمج بين كتفيه فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعته يقول: فزت ورب الكعبة، فقلت في نفسي: ما فاز؟ ألسنت قد قتلت الرجل؟ حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: للشهادة قلت: فاز لعمّر الله، فكان سبيلاً لإسلامه<sup>(4)</sup>.

وهذا الموقف الخارق للعادة يدعونا للتساؤل: هل يتعرض الشهيد لألم الموت؟

وتأتينا الإحاجة الشافية من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى في قوله: «ما يجد الشهيد من مس القبرة إلا كما يجد أحدكم من مس القرضة»<sup>(5)</sup>.

فللشهيد منزلة خاصة عند الله، فجزاء الثمن الباهظ الذي يدفعه وهو روحه رخيصة في سبيل الله عز وجل، لم يبخسه أعدل العادلين حقه فكافأه مكافأة بست جوائز كل واحدة منها تعذر الدنيا بمن فيها،

1 (؟) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوى في المدينة، ص 152.  
2 (؟) البخارى في المغازى رقم 4091.  
3 (؟) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدى (6/50).

4 (؟) انظر: السيرة النبوية للندوى، ص 243، 244، وابن هشام (3/207).  
5 (؟) انظر: صحيح سنن الترمذى لللبانى (2/132).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

فعن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعه من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويختار من عذاب القبر، وبامن من الفزع الأكبر، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه»<sup>(1)</sup>.

هذا بالإضافة إلى الوسام المميز المشترف الذي يأتي به يوم القيمة، وجرحه كهيئة يوم جرح: اللون لون الدم، والريح ريح مسك<sup>(2)</sup>. كما أن حياة الشهداء لا تنتهي بمجرد موتهم، بل هم أحياً يرزقون ويستعمون عند ربهم<sup>(3)</sup>، قال تعالى: (وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَخْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [آل عمران: 169].

**3- عدم معرفة النبي صلى الله عليه وسلم للغيب:** إن حادثتي بئر معونة والرجيع وغيرهما تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، كما دلت على ذلك أدلة أخرى منها قوله عز وجل: (فَلَمَّا أَمْلَكَ لِتَنْفِيْسِيْ بَقِيَّاً وَلَا صَرِيْراً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ بِالْعَيْنَ لَأَسْتَكْثُرُ مِنْهُ الْخَيْرَ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا تَذَيِّرُ وَبَشِّيرُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [الأعراف: 188]. فالله عز وجل وحده عالم الغيب، وأرسل الملائكة لا يعلمون عن الغيب إلا ما علمهم ربهم عز وجل<sup>(4)</sup>: (عَالَمُ الْعَيْنِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى عَيْنِهِ أَحَدًا) [الجن: 26].

**4- الوفاء بالعهد:** وقع عمرو بن أمية الصمرى أسيراً في بئر معونة، ولما علم عامر ابن الطفيلي أنه من مصر أطلقه، وجز ناصيته، وأعتقده عن رقبة زعم أنها كانت على أخيه، فلما خرج عمرو قاصداً المدينة نزل في طريقه في ظلل والتقوى برجلين منبني عامر، وكان معهم عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار، لم يعلم به عمرو بن أمية، وقد سألهما حين نزل: ممن أنتما؟ فقال: منبني عامر، فامهلهما، حتى ناما، عدا عليهمما فقتلهمما وهو يرى أنه قد أصابهما ثورة منبني عامر، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله، فأخبره الخير، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد قتلت قتيلين لأدينتهما»<sup>(5)</sup>. وهذا موقف رفيع فقد ودى صلى الله عليه وسلم ذينك الرجلين العامريين الذين قتلهمما عمرو بن أمية الصمرى لكونهما يحملان عقداً منه صلى الله عليه وسلم، ولم يواخذهما بما فعل بعض

<sup>1</sup> (?) المصدر نفسه (2/129). <sup>2</sup> (?) المصدر السابق (2/128). <sup>3</sup> (?) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 245. <sup>4</sup> (2) انظر: وقفات تربوية مع السيرة النبوية، ص 237.

<sup>5</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/206). <sup>6</sup> (4) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/50).

أفراد قومهما، وهذا يمثل منتهى القمة في الوفاء بالعهود.

قد كان بإمكان النبي صلى الله عليه وسلم أن يعتبر عمل عمرو بن أمية جزءاً من الانتقام الذي ينبغي أن يواجه به المجرمون المعذبون، ولكن ما ذنب الأبرياء حتى يؤخذوا بجريمة المعتدين من قومهم؟

إن التوجيهات الإسلامية الرفيعة دفعت بال المسلمين ونبيهم صلى الله عليه وسلم إلى الرقي الأخلاقي الذي لا نظير له في دنيا الناس<sup>(1)</sup>.

**5- الصحابي الجليل عامر بن فهيرة :** لما قُتل الذين بيئ معونة وأسر عمرو ابن أمية الضرمي، قال له عامر بن الطفيلي: من هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: لقد رأيته يعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إني لانظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وضع<sup>(2)</sup>.

**6- حسان بن ثابت يحرض على قتل عامر بن الطفيلي:** كان حسان من رجالات المؤسسة الإعلامية، فكان يشن الحرب النفسية على الأعداء، وكان بجانبه كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة - رضي الله عنهم - فلم يتركوا حدثاً من أحداث السيرة إلا قالوا فيه شعرًا، وكل قصيدة للكافرين يردون عليها يقصدون، وقد علمنا ما أحدثه شعر حسان في طرد كعب بن الأشرف اليهودي، وكان صلى الله عليه وسلم يتهدى شعراء الدولة الإسلامية ويشجعون على خوض هذا الباب من jihad، فعلى المسلمين المعاصرين قادة وزعماء وعلماء وفقهاء وجماعات أن يرعوا شعراءهم ويشجعوهم لخوض هذا jihad العظيم<sup>(3)</sup>.

ولما بلغ حسان خبر أصحاب بيئ معونة نظم أبياًً تناقلتها الركيان يبحث فيها ربيعة بن عامر ملاعب الأسنة ويحرضه بعامر بن الطفيلي بإخفاره ذمة أبي براء:

فما أحدثت في الحادثان بعدى  
ألا من مبلغ عنى ربيعاً

وخلالك ما جد حكم بن سعد  
أبوك أبو الفعال أبو براء

وأنتم من ذوابب أهل نجد  
بني أم البنين ألم يرعنكم

ليخفره وما خطأ كعمد<sup>(4)</sup>  
تحكم عامر بأبي براء

فلما بلغ ربيعة بن أبي براء هذا الشعر، وكان الشعور عندهم أوجع

2 (؟) البخاري في المغازي رقم 4093.

3

4 (؟) انظر: الأساس في السنة وفقها - السيرة النبوية (2/656).

4

(?) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (4/64). (4) المصدر نفسه (4/64).

4

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

من رشق النيل، وقطع السيوف للرقب، وطعن النحور بالرماد، قام ربعة بأخذ ثار أبيه فضرب عامر بن الطفيلي ضربة أشواه بها -أي لم تصب منه مقتلا-. فوثب عليه قومه، وقالوا لعامر: اقتص، فقال: قد عفوت، وإن عشت فسأرني رأيي فيما أتي إلى<sup>(1)</sup>. ومما قاله حسان وهو يبكي قتلى بئر معونة، وبخصوص المنذر بن عمرو<sup>(2)</sup>:

على قتلى معونة فاستهلي  
بدمع العين سحّا غير نزر<sup>(2)</sup>

مناياهم ولاقتهم بقدر<sup>(3)</sup>

نُحُون عقد حبلهم بغدر<sup>(4)</sup>

وأعنق في منيته بصبر<sup>(5)</sup>

على خيل الرسول غداة لاقوا

أصابهم الفناه بعقد قوم

فيما لهفي لمنذر إذ تولى

#### 7- مصير عامر بن الطفيلي العامي: استحباب الله لدعائه

نبهه صلى الله عليه وسلم فقد دعا على عامر بن الطفيلي فقال: «اللهم اكفيني عامراً»<sup>(6)</sup> فأصيب الطاغية بمرض عضال وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله: «غدة كفدة البعير»<sup>(7)</sup> وسماه صلى الله عليه وسلم بـ«الطاعون»، وهو وصف دقيق للطاعون الدبلي الذي يتميز بارتفاع درجة الحرارة، وتضخم العقد الليمفاوية في منطقة الأرب وتحت الإبط، وكذا تضخم الطحال<sup>(8)</sup> وهو ما أصيب به عامر بن الطفيلي حتى أصبح حبيساً في بيت امرأة من قومه.

لقد أصيب عامر بن الطفيلي وتلاشت أحلامه بالتملك على أهل المدن في الجزيرة العربية، أو خلافة النبي صلى الله عليه وسلم، وأما تلك الجيوش التي هدد النبي صلى الله عليه وسلم بها، فقد تحولت إلى آلام تحبسه في بيت امرأة قد ولى عنه الناس ونفروا منه خشية العدو، ففقد صوابه، وصرخ بمن بقي حوله فقال: (غدة كفدة البكر في بيت امرأة منبني فلان، أئتوني بفرسي، فركبه فمات على ظهر فرسه)<sup>(9)</sup>. هلك ذلك الجبار العبيد كالمحبوس بعد أن تطاير الناس من حوله خوفاً على أنفسهم من العدو<sup>(10)</sup>.

\* \* \*

(?) استهلي: أسليلي، والنذر: القليل.

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/209). (7) تحون: تنقضي (بالبناء للمجهول).

(?) أعنق: أسرع، والعنق: ضرب من السير السريع، ابن هشام (3/209).

(?) انظر: الأساس في السنة وفقها السيرة النبوية (2/631).

(?) انظر: السيرة النبوية، محمد الصوباني، ص 130.

(?) انظر: تعليق الدكتور قلعجي على الدلائل (3/346).

(6,?) انظر: السيرة النبوية للصوباني، ص 131.

## المبحث الثاني

### زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم المساكين وأم سلمة وأحداث متفرقة

**أولاً:** زينب بنت خزيمة أم المساكين رضي الله عنها:

هي زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية، فهي من بنى عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة. وكانت تسمى في الجاهلية «أم المساكين» لاطعامها إياهم، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان على رأس واحد وثلاثين شهراً من الهجرة، فمكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت في حياته صلى الله عليه وسلم في آخر ربيع الأول على رأس تسعه وثلاثين شهراً، ودفنت في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>.

كانت زينب بنت خزيمة تحت عبد الله بن جحش بن رئاب الذي قتل في معركة أحد شهيداً في سبيل الله تعالى، فتزوجها صلى الله عليه وسلم إكراماً لها بعد أن فجعت بقتل زوجها في معركة أحد، ولم يتركها أرملة وحيدة، فكانه كافأها صلى الله عليه وسلم على فضائلها بعد مصاب زوجها<sup>(2)</sup>.

**ثانياً:** زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم سلمة رضي الله عنها:

هي هند بنت أبي أمية حذافة بن المغيرة القرشية المخزومية، كانت زوجة ابن عمها أبي عبد الله بن عبد الأسد، وزوجها هذا هو ابن عمّة الرسول صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب، وهو أيضاً أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، وقد هاجرت أم سلمة رضي الله عنها وزوجها أبو سلمة إلى الحبشة فراراً بدينهما من المشركين، ثم رجعاً إلى مكة وهاجرا إلى المدينة بعد أن هاجر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون<sup>(3)</sup>.

#### 1- حديث أم سلمة لأبي سلمة رضي الله عنهم:

قالت أم سلمة لأبي سلمة: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة، ثم لم تزوج إلا جمع الله بينهما في الجنة، فتعالى أعادك لا تزقّ بعدي ولا أتزوج بعدي. قال: أتطيعيني؟ قالت: نعم، قال: إذا مت تزوجي، اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يحزنها ولا يؤذيها، فلما مات قلت: من خير من أبي سلمة؟ فما لبث وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام على الباب فذكر الخطبة إلى ابن أخيها، أو ابنها فقالت: أرد على رسول الله صلى الله

1 (؟) انظر: تفسير القرطبي (14/166).

2 (؟) انظر: المفصل في أحكام المرأة، عبد الكريم زيدان (11/469).

3 (؟) انظر: سير أعلام النبلاء (2/202).

عليه وسلم، أو أتقدم عليه بعيالي، ثم جاء الغد فخطب<sup>(1)</sup>.

## 2- دعاء أم سلمة لما توفي زوجها:

لما توفي زوجها أبو سلمة من أثر جراحات أصابته في قتاله للمشركين، وكانت تحبه وتجله، فلما مات أبو سلمة جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن أبي سلمة قد مات قال: «قولي: اللهم اغفر لي وله وأعقبني<sup>(2)</sup> منه عقبى حسنة» قالت: فقلت، فأعقبني الله من هو خير لي منه محمداً صلى الله عليه وسلم<sup>(3)</sup>.

## 3- حوار رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم سلمة عندما خطبها:

قال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهم: إن أم سلمة لما انقضت عدتها خطبها أبو بكر فردها، ثم خطبها عمر فردها، فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(4)</sup> فقالت: مرحباً: أخبر رسول الله أنني غيري<sup>(4)</sup>، وأنني مُصبية<sup>(5)</sup>، وليس أحد من أوليائي شاهداً.

فبعث إليها: «أما قولك: إني مصبية، فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك: إني غيري فسادعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم إلا سيرضى بي»<sup>(6)</sup>.

وفي رواية: إني امرأة قد أدر من سببي، فكانت إجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها: «وأما السب فأنا أكبر منه»<sup>(7)</sup> وهكذا أحسن إليها صلى الله عليه وسلم الجواب، وما كان إلا محسناً<sup>(8)</sup>.

قالت أم سلمة: يا عمر (أي ابنها) قم فزِّح رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(9)</sup>، قال ابن كثير في تعليقه على قول أم سلمة: قم يا عمر فزوج النبي صلى الله عليه وسلم: تعني قد رضيت وأذنت، فتوهم بعض العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة، وقد كان ذاك صغيراً لا يلي مثله العقد، وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه الصواب في ذلك، ولله الحمد والمنة، وأن الذيولي عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة وهو أكبر<sup>(10)</sup> ولدتها.

<sup>1</sup> (؟) انظر: سير أعلام النبلاء (2/203) وقال المحقق: أخرجه ابن سعد ورجالة ثقات

<sup>2</sup> (؟) وأعقبني: أي يدلني وعوضني منه، أي في مقابلته عقبي حسنة أي بدلاً صالحاً.

<sup>3</sup> (؟) مسلم في الجنائز رقم 919. (3) غيري: كثيرة الغيرة.

<sup>4</sup> (؟) مصبية: أي ذات صبيان وأولاد صغار.

<sup>5</sup> (؟) انظر: سير أعلام النبلاء (2/203). (204) وإنسانه صحيح.

<sup>6</sup> (؟) انظر: الطبقات لأبن سعد (8/90) رجالة ثقات، لكنه مرسل.

<sup>7</sup> (؟) انظر: المفصل في أحكام المرأة (11/470).

<sup>8</sup> (؟) انظر: سير أعلام النبلاء (2/204) وإنسانه صحيح.

<sup>9</sup> (؟) انظر: البداية والنهاية (4/92).

<sup>10</sup> هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

#### 4- تأثيث رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيت زينب ومعاملته لها:

فلمَا وافقت على الزواج قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما أني لا أنقصك مما أعطيت فلانة رحرين وحرتين ووسادة من أدم حشوها ليف»<sup>(1)</sup>.

وكانت أم سلمة قد ولدت طفلة من زوجها أبي سلمة بعد موته، فعندما تزوجها صلى الله عليه وسلم جعل يأتيها، فإذا جاءأخذت زينب فوضعتها في حجرها لترضعها، وكان صلى الله عليه وسلم حيّاً كريماً يستحي فيرجع ففعل ذلك مراراً<sup>(2)</sup>، ففطن عمّار بن ياسير<sup>هـ</sup> وهو أخ لأم سلمة من أمها (سمية) الشهيدة التي قتلتها أبو جهل، فأطلق قدميه نحو بيت اخته أم سلمة، فأخذ ابنة اخته ليسترضعها في بيته أو عند إحدى النساء، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أين زناب؟» فقالت قريبة ابن أبي أمية ووافقتها عندها<sup>(3)</sup>: أخذها عمّار بن ياسر فقال صلى الله عليه وسلم: «إنّي أتكم الليلة».

قالت أم سلمة: فقمت فوضعت ثفالى<sup>(4)</sup>، وأخرجت حبات من شعير كانت في جرتى، وأخرجت شحّاماً فغصته، ثم بات، ثم أصبح، وقال حين أصبح: «إنّي على أهلك كرامة، فإنّ شئت سمعت<sup>(5)</sup> لك وإن أسيع لك أسبوع لنسائي<sup>(6)</sup>، وإن شئت ثلث تم درت» قال: ثلث<sup>(7)</sup>، فأقام النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام عند أم سلمة ثم قال صلى الله عليه وسلم: «للذكر سبع وللثيب ثلاث»<sup>(8)</sup> هي مدة إقامة المتزوج عند زوجته إذا كان عنده غيرها.

أقام صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة رضي الله عنها ثلاثة أيام سعيدة، ثم رتب لها يوماً كبقية زوجاته.

#### 5- تغيير اسم برة بنت أبي سلمة:

تقول تلك الطفلة اليتيمة -رضي الله عنها-: إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم سلمة حين تزوجها وأسمى برة، فسمعها تدعوني برة، فقال: «لا تزكوا أنفسكم، فإن الله هو أعلم بالبرة منكن والفارجة، سُمِّها زينب».

قالت أم سلمة: فهي زينب<sup>(9)</sup>.

وهذا من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان يحب الأسماء

(?) انظر: سير أعلام النبلاء (2/204). (2) المصدر نفسه (2/204).

(?) أي: توافق مجيء النبي (مع زيارة تلك المرأة لأم سلمة).

(?) هو ما يبسط تحت الرحمي عند الطحن.

(?) أي أقمت عندك سبعة أيام.

(?) حديث حسن رواه ابن سعد (8/93).

(?) انظر: السيرة النبوية كما جاءت من الأحاديث الصحيحة للصوibani (3/136).

(?) حديث صحيح، صحيح الجامع لللباني (2/919).

(?) سنته قوي رواه ابن إسحاق ومن طريقه البخاري في الأدب المفرد (821).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

الجميلة، ولم يكن **صلى الله عليه وسلم** يغير أسماء الأطفال فقط، بل كان للرجال والنساء والعجائز نصيب من ذلك الذوق الرفيع، فقد ذكر عند رسول الله **صلى الله عليه وسلم** رجل يقال له: شهاب، فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «**بل أنت هشام**»<sup>(1)</sup>.

وكان **صلى الله عليه وسلم** إذا أتاهم الرجل وله اسم لا يحبه حوله<sup>(2)</sup>، إلى اسم أجمل والطف، وكان يفعل ذلك مع العجائز **صلى الله عليه وسلم**. فهذه عائشة رضي الله عنها تحدثنا، حيث يقول رضي الله عنها: ( جاءت عجوز إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** وهو عندي فقال لها رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «**من أنت؟**» قالت: جثامة المزنية. فقال: «**بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كتم بعذنا؟**» قالت: بخير يا أبي أنت وأمي يا رسول الله. فقرب إليه لحم، فجعل يتناولها، فقلت: يا رسول الله لا تغمر يدك، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»<sup>(3)</sup>.

## 6- الحكمة في زواج أم سلمة:

والحكمة في هذا الزواج - كما يقول صاحب تفسير المinar-: ليس لأجل التمتع المباح له، وإنما كان لفضلها الذي يعرفه المتأمل بجودة رأيها يوم الحديبية، ولتعزتها أي بوفاة زوجها<sup>(4)</sup>، ولا ننسى كذلك أن أم سلمة من بنى مخزوم أعز بطون قريش، وهي التي كانت تحمل لواء الحرب والمواجهة لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** ووراء هذا الزواج تفتتت حقد هذه القبيلة وتقرّب قلوب أبنائها، وتحب إليهم ليدخلوا في الإسلام بعد أن صاروا أصهار رسول الله **صلى الله عليه وسلم**<sup>(5)</sup>.

وفي هذا الزواج فقه النبي **صلى الله عليه وسلم** في البناء الداخلي للأمة، وتأدية حق الشهداء في زوجاتهم، وحق هذه الزوجات من أن ينهلن من نور النبوة ما يشاء الله أن ينهلن لكي يبلغن عن رسول الله<sup>(6)</sup>.

وكانت أم سلمة آخر من مات من أمهات المؤمنين، وكانت وفاتها سنة أحدى وستين، وقد روت عن رسول الله أحاديث، يبلغ مسندها ثلاثة وثمانين حديثاً، واتفاق البخاري ومسلم على ثلاثة عشر، وانفرد البخاري بثلاثة و المسلم بثلاثة عشر<sup>(7)</sup>. لقد ساهمت في نشر العلم والحكمة عن رسول الله وبموتها انطفأ آخر مصباح من مصابيح أمهات المؤمنين طالما شع النور والهدى والعلم، فرضي الله

1 (?) سنته حسن رواه البخاري في الأدب المفرد (825).  
2 (?) حديث حسن رواه الطبراني (119/17).

3 (?) سنته قوي رواه الحاكم (62/1) والبيهقي في شعب الإيمان (517/6).

4 (?) انظر: تفسير المinar (372/4). (4) انظر: التربية القيادية (356/3).

5 (?) المصدر نفسه (357/3). (6) انظر: سير أعلام النبلاء (210/2).

هديّة الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

عنها وأرضاها<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: مولد الحسن بن علي رضي الله عنهم:

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: ولد الحسن في شعبان من السنة الرابعة وعلى هذا ولد الحسين قبل تمام السنة من ولادة الحسن، ويؤيد ما ذكره الواقدي أن فاطمة علقت بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة. وحزم التواوي في التهذيب أن الحسن ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة<sup>(2)</sup>.

يقول علي بن أبي طالب: لما ولد الحسن سميته حرّيَا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أروني ابني.. ما سميتموه؟» قلت: حرّيَا، قال صلى الله عليه وسلم: «بل هو حسن»<sup>(3)</sup>.

وهكذا غير صلى الله عليه وسلم ذلك الاسم الحاد باسم جميل يدخل السرور والفرحة على القلب.

فحمل المولود الجديد اسمه الجميل، وحمله صلى الله عليه وسلم بين يديه وقبله، وهذا أبو رافع يخبرنا عن ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أذن في أذني الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاحة<sup>(4)</sup>.

وحدثنا أبو رافع عن عقيقة الحسن فقال: لما ولدت فاطمة حسناً قالت: ألا أعق عن ابني بدم (بكشين؟) قال صلى الله عليه وسلم: «لا ولكن أحلقي رأسه وتصدقى بوزن شعره من فضة على المساكين والأوفاض» وكان الأوفاض ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجين في المسجد أو الصفة، ففعلت ذلك<sup>(5)</sup>.

وأحب صلى الله عليه وسلم أن يقدم عقيقة الحسن، فعمق عنه بكشين<sup>(6)</sup>.

وقد قال صلى الله عليه وسلم في العقيقة: «كل غلام مرتهن بعقيقته، يذبح عنه يوم سابعه، ويحلق رأسه ويسمى»<sup>(7)</sup>.

رابعاً: زيد بن ثابت ـ يتعلم لغة اليهود سنة 4هـ:

وفي هذه السنة تعلم زيد بن ثابت كتابة اليهود، فعن خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد بن ثابت: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتابة يهود ليقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم إذا كتبوا

(?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/248).  
 (?) انظر: شذرات الذهب لابن العماد الجنبي (1/10).  
 (?) البخاري في الأدب (286).  
 (3) أبو داود رقم 5105.  
 (?) رواه الطبراني (3/30) بسنده حسن.  
 (?) انظر: السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة للصوibani (3/106).  
 (?) انظر: صحيح الجامع (2/835).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

165

إليه<sup>(1)</sup>, فتعلمته في خمسة عشر يوماً, وفي رواية أخرى أن رسول الله لما قدم المدينة ذهب بزید إلى رسول الله, وقالوا: يا رسول الله, هذا غلام من بنى النجاشي معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة, فاعجب ذلك رسول الله وقال: «يا زید تعلم لي كتاب اليهود, فإني والله ما آمن اليهود على كتاب» قال زید: فتعلمت له كتابهم, ما مرت خمس عشرة ليلة حتى حذقته, وكنت أقرأ له كتابهم إذا كتبوا إليه, وأجيب عنه إذا كتب<sup>(2)</sup>.

وبهذا الخبر يتضح أن للترجمان مكانة رفيعة في الدولة، إذ هو الذي يطلع على أسرار الدولة وما يأتها من مراسلات، أو ما ترسله من مخاطبات، إذ لا يصح أن يطلع كل إنسان على تلك الكتب الصادرة والواردة لثلاث تختل الدولة وتكشف أسرارها؛ ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم زید بن ثابت بتعلم لغة اليهود<sup>(3)</sup>, وتعلم زید بن ثابت لغة اليهود في خمس عشرة يوماً يدل على ذكاء مفرط، وقوه حافظة، وقد كان من حفظ القرآن كله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أشهر كتاب الوحي بين يديه، وهو الذي تولى كتابة القرآن وحده في الصحف في عهد الصديق، وكان أحد كاتبي المصاحف في عهد عثمان<sup>١</sup>، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً بتعلم لغة اليهود وكتابتهم يدل على أن الإسلام يحب إلى المسلم أن يتعلم لغة غيره وكتابتهم، ويتعارف على علومهم ومعارفهم ولا سيما إذا دعت لذلك ضرورة<sup>(4)</sup>.

\* \* \*

1 (?) البخاري، كتاب الأحكام رقم 7195.  
2 (?) انظر: سير أعلام النبلاء (2/429).

3 (?) انظر: زيد بن ثابت، كاتب الوحي وجامع القرآن، صفوان داودي، ص 80، 81.  
4 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/249).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

## المبحث الثالث

### إجلاء يهودبني النصير

أصاب يهود المدينة، الخوف والرعب، طيلة الفترة التي تفصل بين مقتل كعب بن الأشرف، وبين معركة أحد التي جرت في شوال عام 3هـ، ولكن الهزيمة التي حلّت بال المسلمين في تلك المعركة، أحيطت في نفوس المشركين والمنافقين بالأمل من جديد، بتحقيق مطامعهم وأغراضهم، وأزالـتـ من قلوب اليهود الـهـلعـ عـلـىـ المصـيـرـ، وـمـاـ سـاـهـمـ فـيـ تـبـيـدـ هـذـاـ الـهـلـعـ عـنـهـمـ مـقـتـلـ اـصـحـابـ الرـجـيعـ، وـبـئـرـ مـعـونـةـ، وـبـذـلـكـ لـمـ يـدـمـ خـوـفـ الـيـهـودـ طـوـبـلـاـ وـعـادـواـ إـلـىـ أـسـالـيـبـ الدـسـ وـالـمـكـرـ وـالـخـدـاعـ، وـشـرـعـواـ فـيـ حـشـدـ حـصـونـهـمـ بـالـسـلاحـ وـالـعـنـادـ لـلـانـقـضـاـضـ عـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ وـدـوـلـتـهـمـ، ثـمـ صـمـمـوـاـ عـلـىـ قـتـلـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـالـغـدرـ بـهـ<sup>(1)</sup>.

#### أولاً: تاريخ الغزوة وأسبابها:

##### أ- تاريخ الغزوة:

يرى المحققون من المؤرخين أن غزوةبني النصير كانت بعد أحد في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة، وقد رد ابن القيم على من زعم أن غزوةبني النصير بعد بدر بستة أشهر بقوله: وزعم محمد بن شهاب الزهري أن غزوةبني النصير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه، أو غلط عليه، بل الذي لا شك فيه: أنها بعد أحد والذي كانت بعد بدر بستة أشهر، هي غزوةبني قينقاع، وقريطة بعد الخندق، وخbir بعد الحديبية<sup>(2)</sup>.

وقال ابن العربي: وال الصحيح أنها بعد أحد<sup>(3)</sup>. وإلى هذا الرأي ذهب ابن كثير<sup>(4)</sup>.

##### ب- أسباب الغزوة:

هناك مجموعة من الأسباب حملت النبي صلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ على غزوةبني النصير وإجلائهم من أهمها:

**1- تفاصـلـ بـنـيـ النـصـيرـ عـهـودـهـمـ التـيـ تـحـتـمـ عـلـيـهـمـ أـلـاـ يـؤـوـلـواـ عـدـواـ**  
للـمـسـلـمـيـنـ، وـلـمـ يـكـتـفـواـ بـهـذـاـ النـقـضـ، بل أـرـشـدـواـ الـأـعـدـاءـ إـلـىـ مواطن الضعف في المدينة.

وقد حصل ذلك في غزوـةـ السـوـيقـ<sup>(5)</sup> حيث نذر أبو سفيـانـ بنـ حـربـ

<sup>1</sup> (؟) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص 188.  
<sup>2</sup> (؟) انظر: زاد المعاد (3/249).  
<sup>3</sup> (3) انظر: أحكـامـ القرآنـ لـابـنـ العـرـبـيـ (4/1765).

<sup>4</sup> (؟) انظر: حديث القرآن عن الغزوات (1/254).  
<sup>5</sup> (؟) غزوـةـ السـوـيقـ كانت بعد بدر وقد تحدثت عنها.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ

حين رجع إلى مكة بعد غزوة بدر، نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو المدينة، فلما خرج في مائتى راكب قاصداً المدينة قام سيد بنى النصیر سلام بن مشكم بالوقوف معه وضيافته وأبطن له خبر الناس، ولم تكن مخابرات المدينة غافلة عن ذلك<sup>(1)</sup>.

قال موسى بن عقبة صاحب المغاربي: (كانت بنو النصیر قد دسوا إلى قريش وحصونهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولدوهم على العورة)<sup>(2)</sup>.

**2- محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم:** خرج النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه عن طريق قباء إلى دياربني النصیر يستعينهم في دية القتيلين العاشرين الذين ذهبا ضحية جهل عمرو بن أمية الضرمي بحوار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم؛ وذلك تنفيذاً للعهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بنى النصیر حول أداء الديات، وإقراراً لما كان يقوم بين بنى النصیر وبين بنى عامر من عقود وأحلاف.

استقبل بنو النصیر النبي صلى الله عليه وسلم بكثير من البشاشة والكياسة، ثم خلا بعضهم إلى بعض يتشاورون في قتله والغدر به، وبيدو أنهم اتفقوا على إلقاء صخرة عليه صلى الله عليه وسلم، من فوق جدار كان يجلس بالقرب منه، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان برعاية الله وحفظه أدرك مقاصد بنى النصیر، إذ جاءه الخبر من السماع بما عزموا عليه من شر، فنهض وانطلق بسرعة إلى المدينة، ثم تبعه أصحابه بعد قليل<sup>(3)</sup>.

لم تكن مؤامرة بنى النصیر، التي أفشلها الله سبحانه وتعالى تستهدف شخص النبي صلى الله عليه وسلم فحسب، بل كانت تستهدف كذلك دولة المدينة والدعوة الإسلامية برمتها؛ لذا صمم محمد صلى الله عليه وسلم على محاربة بنى النصیر، الذين نقضوا العهد والمواثيق معه وأمر أصحابه بالتهيؤ لقتالهم والسير إليهم<sup>(4)</sup>.

هذه الأسباب وغيرها أدت إلى غزوة بنى النصیر، وقد ذكر القرآن الكريم المؤمنين بهذه النعمة الجليلة وكيف نجى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من مكر يهود بنى النصیر، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَذَكُّرُوا نَعْمَتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَنْ دَيْهُمْ فَكَفَّ أَنْ دَيْهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ قُلْيَتُوكُلُّ الْمُؤْمِنُونَ) [المائدة: 11].

وقد أورد المفسرون في سبب نزول هذه الآية الكريمة روایات منها:

1 (؟) انظر: تاريخ الطبرى (2/284). (2) انظر: فتح البارى (7/332).

3 (؟) انظر: الواقدى (1/365) التاريخ السياسي والعسكري، ص 190.

4 (؟) انظر: التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة، ص 190.

هديه الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

أخرج الطبرى عن أبي زiad قال: جاء رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بني النصير ليستعينهم في عقل أصحابه ومعه أبو بكر وعمر وعلي فقايل: «أعینونی فی عقل أصابنی» فقالوا: نعم يا آبا القاسم قد إن لك أن تأتينا وتسالنا حاجة، اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسالنا، فجلس رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه ينتظرون وجاء رأس القوم، وهو الذي قال لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** ما قال، فقال لأصحابه: لا ترون أقرب منه الآن، اطروا عليه حجارة فاقتلوه، ولا ترون شرّاً أبداً. فجاءوا إلى رحى لهم عظيمة ليطرحوها عليه، فامسّك الله عنها أيديهم حتى جاء جبريل عليه السلام فأقامه من ثم، فأنزل الله عزوجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نَعْمَتُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يُسْطِلُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَغَلَى اللَّهُ فَلَيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ) فأخبر الله نبيه **صلى الله عليه وسلم** ما أرادوا به<sup>(1)</sup>.

وذكر محمد بن إسحاق ومجاهد وعكرمة وغير واحد<sup>(2)</sup> أنها نزلت في شأن بني النصير حين أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله **صلى الله عليه وسلم** الرحي لما حاعهم يسعيتهم في دية العاريين، ووكلا عمرو بن جحاش بذلك أن جلس النبي **صلى الله عليه وسلم** تحت الجدار، واجتمعوا عنده أن يلقي الرحي من فوقه، فأطلع الله النبي **صلى الله عليه وسلم** على ما تماروا عليه، فرجع إلى المدينة وتبعه أصحابه فأنزل الله في ذلك هذه الآية<sup>(3)</sup>.

وقد رجح ابن حir أن تكون الآية قد نزلت بسبب ما أضرمه بنو النصير من كيد وسوء للنبي **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه فقال: (وأولى الأقوال بالصحة في تأويل ذلك قول من قال: عنى الله بالنعة التي ذكر في هذه الآية نعمته على المؤمنين به ورسوله التي أنعم بها عليهم في استنقاده نبيهم **صلى الله عليه وسلم** مما كانت يهود النصير همت به من قتلها وقتل من معه، يوم سار إليهم في الدية التي تحملها عن قتيلي عمرو بن أمية، وإنما قلنا بالصحة في تأويل ذلك؛ لأن الله عقب ذلك برمي اليهود بسوء صنائعها وقبح فعلها، وخيانتها ربها وأنبياءها)<sup>(4)</sup>.

وقد وافق الدكتور محمد آل عايد ترجيح الطبرى، وقال: لا مانع أن تكون الآية الكريمة نزلت بعد تلك الحوادث مجتمعة، فقد تعددت الحوادث والمنزل واحد، كما قال العلماء<sup>(5)</sup>.

**معنى الآية الكريمة: أي اذكروا نعمة الله عليكم، التي من أكبر**

<sup>1</sup> (؟) انظر: تفسير ابن حir (6/144، 145).

<sup>2</sup> (؟) هذه الآثار وإن كان فيها ضعف يمكن أن تعضد لتصبح بمجموعها صالحة للاحتجاج بها. انظر: المجتمع المدني في عهد النبي، ص 145.

<sup>3</sup> (؟) انظر: تفسير ابن كثير (2/31). (4) انظر: تفسير الطبرى (6/144، 145).

<sup>5</sup> (؟) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوat الرسول (1/251). هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

مظاهرها كفه عنكم أيدي اليهود الذين هموا أن يمدوا أيديهم بالسوء إلى نبيكم، وشارفو أن ينفذوا مؤامرthem الخبيثة، ولكن الله أحبط مكرهم ونجى نبيكم **صلى الله عليه وسلم** من شرورهم. ثم أمر سبحانه- بتفواه والتوكيل عليه، فقال تعالى: (**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ**).<sup>1</sup>

أي اتقوا الله- أيها المؤمنون- في رعاية حقوق نعمته، ولا تخلوا بشكرها، فقد أراكم قدرته، وتوكلوا عليه وحده، فقد أراكم عنايته بكم، وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: إنذاربني النصير بالجلاء وحضارهم:

**أ- إنذاربني النصير:** سجلت معظم كتب السيرة النبوية خبر إنذار النبي **صلى الله عليه وسلم** لبني النصير بالجلاء خلال عشرة أيام، وقد أرسل صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة إليهم، وقال له: «اذهب إلى يهودبني النصير، وقل لهم: إن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أرسلني إليكم أن أخرجوا من بلادي، لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم مما هممت به من الغدر، وقد أحتجلكم عشراً، فمن رئي بعد منكم ضربت عنقه»<sup>(2)</sup>، ولم يجدوا جواباً يردون به سوى أن قالوا لمحمد بن مسلمة: يا محمد، ما كنا نظن أن يحيينا بهذا رجل من الأوس، فقال محمد: تغيرت القلوب، ومحا الإسلام العهود، فقالوا: نتحمل، فمكثوا أياماً يعودون العدة للرحيل<sup>(3)</sup>. وفي تلك المدة أرسل إليهم عبد الله بن أبي ابن سلول من يقول لهم: أتيتوا وتمنعوا فإننا لن نسلمكم، وإن قوتلتكم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم<sup>(4)</sup>، ولا تخرجوا فإن معي من العرب ومن من أنضوى إلى قومي الفين، فأقيموا، فهم يدخلون معكم حصونكم، ويموتون عن آخرهم قبل أن يصلوا إليكم<sup>(5)</sup>. فعادت لليهود بعض ثقتهم وتشجع كبارهم (حيي بن أخطب) وأرسل إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** جدي بن أخطب يقول له: إنا لن نريم -أي لن نريح- دارنا فاصنع ما بدا لك، فكثير رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وكثير المسلمين معه، وقال: «**حَارِبْتِ يَهُودَ**»<sup>(6)</sup>.

**ب- ضرب الحصار وإجلاؤهم:** وانقضت الأيام العشرة ولم يخرجوا من ديارهم، فتحركت جيوش المسلمين صوبهم، وضربت عليهم الحصار لمدة خمس عشرة ليلة. وأمر **صلى الله عليه وسلم** بحرق نخيلهم، وقضى بذلك على أسباب تعليقهم بأموالهم وزروعهم، وضعف حماستهم للقتال، وجزعوا وتصابحوا: يا محمد قد كنت تنهى

(?) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (1/252).  
 (?) انظر: طبقات ابن سعد الكبri (2/57)، مغارى الواقدي (1/363-370).  
 (?) انظر: تاريخ الطبرى (2/552). (4) انظر: سيرة ابن هشام (3/212).  
 (?) انظر: تاريخ الطبرى (2/553). (6) انظر: السيرة النبوية لأبن كثير (3/146).

عن الفساد وتعييه على من يفعله، فما بال قطع النخيل وتخريبيها؟ وألقى الله في قلوبهم الرعب، وأدرك بنو النضير أن لا مفر من جلائهم، ودب اليأس في قلوبهم وخاصة بعد أن أخلف ابن أبي وعده بنصرهم، وعجز إخوانهم أن يسوقوا إليهم خيراً أو يدفعوا عنهم شرّاً، فارسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسون منه أن يؤمنهم حتى يخرجو من ديارهم. فوافقهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لهم: «آخر جوا منها، ولكنكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة - وهي الدروع والسلاح - فرضوا بذلك»<sup>(1)</sup>. ونقض اليهود سقف بيوتهم وعمدتها وجدرانها لكي لا يتتفع منها المسلمون. وحملوا معهم كميات كبيرة من الذهب والفضة حتى أن سلام بن أبي الحقيق وحده حمل جلد ثور مملوءاً ذهباً وفضة، وكان يقول: هذا الذي أعدناه لرفع الأرض وخفضها، وإن كنا تركنا نخلا في خير النخل<sup>(2)</sup>. وحملوا أمتعتهم على ستمائة بعير، وخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفون من خلفهم، حتى لا يشمت بهم المسلمون، فقصد بعضهم خير وسار آخرون إلى أذرعات الشام<sup>(3)</sup>.

وقد تولى عملية إخراجهم من المدينة محمد بن مسلمة، بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(4)</sup>. وكان من أشرفهم الذين ساروا إلى خير: سلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن الريبع بن أبي الحقيق، فلما نزلوها دان لهم أهلها<sup>(5)</sup>.

### ثالثاً: الدروس والعبر في هذه الغزوة:

تحدث القرآن الكريم عن غزوةبني النضير في سورة كاملة وهي سورة الحشر، وقد سمي حبر الأمة عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- سورة الحشر بسورةبني النضير، وفي البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لأبي عباس رضي الله عنهما سورة الحشر، قال: سورةبني النضير<sup>(6)</sup>.

وقد بينت هذه السورة ملابسات هذه الغزوة، وفصلت القول فيها، وبينت أحكام الفيء، ومن هم المستحقون له؟ وأوضحت موقف المُنافقين من اليهود، كما كشفت عن حقائق نفسيات اليهود، وصررت الأمثال لعلاقة المُنافقين باليهود، وفي أثناء الحديث عن الغزوة وجه سبحانه خطابه إلى المؤمنين وأمرهم بتقواه وحذرهم من معصيته، ثم تحدث سبحانه عن القرآن الكريم، وأسمائه وصفاته، وهكذا كان المجتمع المسلم يتربى بالأحداث على التوحيد وتعظيم منهج الله، والاستعداد ليوم القيمة. وبالتالي في السورة يمكننا استخراج بعض

1 (؟) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (1/257).

2

3 (؟) انظر: السيرة الحلبية (2/566).

4

5 (؟) انظر: السيرة الحلبية (2/565)، حديث القرآن الكريم (1/257).

6

4 (؟) انظر: المغازي للواقدي (1/374)، اليهود في السنة المطهرة (1/321).

5 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي هشام (3/212).

6 (؟) البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بن النضير رقم 4029.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الدروس وال عبر من أهمها:

**أ- الثناء على الله وتمجيده:** ابتدأت السورة بالثناء على الله، وأن الكون كله بجميع ما فيه من مخلوقات من إنسان، وحيوان، ونبات، وحمد، ينزعه الله ويمجده ويشهد بوحدانيته وقدرته وجلاله، وناطق بعظمته وسلطانه<sup>(1)</sup>. قال تعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الحشر: 1].

كان استفتاح هذه السورة بالإخبار أن جميع من في السماوات والأرض، تسبح بحمد ربها، وتترزهه عما لا يليق بجلاله، وتعبده وتخضع لعظمته؛ لأنه العزيز، الذي قهر كل شيء، فلا يمتنع عليه شيء، ولا يستعصي عليه عسير.

الحكيم في خلقه وأمره، فلا يخلق شيئاً عيناً، ولا يشرع ما لا مصلحة فيه، ولا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته، ومن ذلك نصره لرسوله صلى الله عليه وسلم على الذين كفروا من أهل الكتاب، منبني النصير حين غدوا برسوله، فاخرجهم من ديارهم وأوطانهم، التي ألغوها وأحبواها<sup>(2)</sup>.

**ب- الرعب جند من جند الله:** قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوْلَى الْخَسْرَ مَا طَلَبُتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَطَلَبُوا أَنْهُمْ مَا يَنْتَهُمْ حُصُونُهُمْ مِنْ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدْفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَةُ بِيُخْرِجِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَنْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَرَفُوا بِأَوْلِ الْأَبْصَارِ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْحَلَاءَ لَعَذَّبُوهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَنَّهُمْ أَنْتَمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ سَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُسَاقُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [الحشر: 2-4].

إن المتأمل في هذه الآيات الكريمة يتبيّن له أن الله هو الذي أخرج يهودبني النصير من ديارهم إلى الشام، حيث أول الحشود في حين أن كل الأساليب المادية معهم حتى اعتقادوا أنه لا أحد يستطيع أن يخرجهم من حصونهم لمنانتها وقوتها.

لكن الله فاجأهم من حيث لم يحتسبوا، جاءهم من قلوبهم التي لم يتوقعوا أنهم يهزموها، فقد فيها الرعب فإذا بهم يهدمون بپوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، وهذا الأسلوب القرآني الفريد يربى الأمة بالأحداث والواقع، وهو يختلف تماماً عن طريقة أهل السير، ويمتاز بأنه يكشف الحقائق ويوضح الخفايا، ويربط الأحداث بفاعليها الحقيقي وهو رب العالمين، ومن ذلك أنها يبيّن أن الذي أخرجبني النصير هو الله جل جلاله: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ).

<sup>1</sup> (؟) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوat الرسول (1/327).

<sup>2</sup> (؟) انظر: تفسير السعدي (3/327).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

واستمرت الآية الكريمة تبين أن يهودبني النصير حسبيا كل شيء وأحاطوا بجميع الأسباب الأرضية، لكن جاءتهم الهزيمة من مكان أطمأنوا إليه وهو أنفسهم، فإذا الرعب يأتي من داخلهم، فإذا بهم ينهارون في أسرع لحظة، لذلك يجب على كل إنسان عاقل أن يعتبر بهذه الغزوة، وأن يعرف أن الله هو المتصرف في الأمور، وأنه لا تقف أمام قدرته العظيمة لا الأسباب ولا المسبيات، فهو القادر على كل شيء، فعلى الناس أن يؤمنوا به تعالى ويصلحوا أمرهم، فإذا اتبعوا أمر الله أصلح الله لهم كل شيء، وأخرج أعداءهم من حيث لم يحتسبوا.

إن هذه الغزوة درس للأمة في جميع عصورها تذكرهم أن طريق النصر قريب وهو الرجوع إلى الله والاعتماد عليه والتسليم لشريعته، وتقديره حق قدره، فإذا عرف ذلك المؤمنون نصرهم الله ولو كان عدوهم قوياً وكثيراً، فإن الله لا يعجزه شيء، وأقرب شاهد وأقعي بذلك هو إجلاءبني النصير، وهي عبرة فليعتبر بها، والسعيد من اعتبر بغيره.

ثم أوضح سجنه أنه لو لم يعايدهم بالجلاء لعذبهم في الدنيا بالقتل، أما في الآخرة فلهم عذاب النار<sup>(1)</sup>.

**ج- تخريب ممتلكات الأعداء:** لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه وحاصربني النصير تحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحرير فيها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقه؟<sup>(2)</sup> فأنزل الله عز وجل: ( مَا قَطَعْتُمْ مِّنْ لِبَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصْوَلَهَا فَيَأْذِنَ اللَّهُ وَلَيُخِرِّي الْفَاسِقِينَ )<sup>(3)</sup> وقد توسع الشيخ محمد أبو زهرة في شرح هذه الآية فقال ما ملخصه بعد أن ساق أراء الفقهاء في ذلك: والذى نتهى إليه بالنسبة لما يكون في الحرب من هدم وتحريق وتخريب أنه يستفاد من مصادر الشريعة وأعمال النبي صلى الله عليه وسلم في حربه: 1- أن الأصل هو عدم قطع الشجر وعدم تخريب البناء؛ لأن الهدف من الحرب ليس إيهاد الرعية، ولكن دفع أذى الراعي الظالم وبذلك وردت الآثار.

2- أنه إذا تبين أن قطع الشجر وهدم البناء توجيه ضرورة حربية لمناص منها كان يستتر العدو به ويتخذه وسيلة لإيهاد جيش المؤمنين، فإنه لا مناص من قطع الأشجار وهدم البناء، على أنه ضرورة من ضرورات القتال، كما فعل النبي صلى الله عليه

<sup>1</sup> (؟) انظر: حديث القرآن الكريم (270/1)، (271/1). <sup>2</sup> (؟) المصدر نفسه (274/1).

<sup>3</sup> (؟) انظر: تفسير الطبرى (34/28).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

**وسلم هنا وفي حصن ثقيف.**

3- أن كلام الفقهاء الذين أجازوا الهدم والقلع يجب أن يخرج على أساس هذه الضرورات، لا على أساس إيداء العدو والإفساد المجرد، فالعدو ليس الشعب، إنما العدو هم الذين يحملون السلاح ليقاتلوا<sup>(1)</sup>.

د- **تطوير السياسة المالية للدولة الإسلامية:** بين سبحانه وتعالى حكم الأموال التي أخذها المسلمين من بنى النصیر بعد أن تم إجلاؤهم، فقال تعالى: (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسْلِطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الحشر: 6].

وبين سبحانه وتعالى أن الأموال التي عادت إلى المسلمين من بنى النصیر قد تفضل بها عليهم بدون قتال شديد؛ وذلك لأن المسلمين مشوا إلى أعدائهم ولم يركبوا خيلاً ولا إبلًا وافتتحها صلي الله عليه وسلم صلحًا، وأجلائهم، وأخذ أموالهم وضعها حيث أمره الله، فقد كانت أموال بنى النصیر للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله<sup>(2)</sup>.

ثم بين المولى عز وجل أحكام الفيء في قرى الكفار عامه، فقال تعالى: (لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَنَعَّمُونَ فَصَلِّا مِنَ اللَّهِ وَرَضِّوْا إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحشر: 8].

فكانت هذه الغنيمة خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا تصرف فيه -أي الفيء- كما يشاء فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات. ولما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بنى النصیر، دعا ثابت بن قيس فقال: «ادع لي قومك»، قال ثابت: الخزرج؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «الأنصار كلها» فدعا له الأوس والخرز.

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وإنزالهم في منازلهم وأموالهم، وأثرتهم على أنفسهم ثم قال: «إن أحبتتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليّ من بنى النصیر، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازل لكم وأموالكم، وإن أحبتتم أعطيتهم وخرجو من دوركم».

فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ يا رسول الله، بل نقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا، وقالت الأنصار: رضينا

<sup>1</sup> (؟) انظر: خاتم النبيين للشيخ محمد أبو زهرة (2/265-269).

<sup>2</sup> (,?) مسلم، كتاب الجهاد بباب حكم الفيء (3/1376) رقم 1757.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

وسلمنا يا رسول الله<sup>(1)</sup>.

وقسم ما أفاء الله، وأعطى المهاجرين ولم يعط أحداً من الأنصار شيئاً، غير أبي دجانة، وسهل بن حنيف لحاجتهما<sup>(2)</sup>، ومع أنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن الفيء كان خاصاً له إلا أنه جمع الأنصار وسالهم عن قسمة الأموال لتطييب نفوسهم، وهذا من الهدى النبوى الكريم في سياسة الأمور. وكانت الغاية من هذا التوزيع تخفيف العبء عن الأنصار، وهكذا انتقل المهاجرون إلى دور بني النضير، وأعيدت دور الأنصار إلى أصحابها، واستغنى بعض المهاجرين مما يمكن أن يقال فيه: إن الازمة قد بدأت بالانفراج<sup>(3)</sup>.

إن قسمة أموال بني النضير أوجدت تطوراً كبيراً في السياسة المالية للدولة الإسلامية، فقد كانت الغنائم الحربية قبل هذه الغزوة تقسم بين المحاربين بعد أن تأخذ الدولة الإسلامية خمسها لتصرف في مصارف معينة حددها القرآن الكريم، وبعد غزوة بني النضير، أصبحت هناك سياسة مالية جديدة فيما يتعلق بالغنائم، وخلاصتها: أن الغنائم الحربية أصبحت حسب السياسة الجديدة على نوعين:

**1- غنائم استولى عليها المجاهدون بعد سيوفهم، وهذه الغنائم تقسم بين المجاهدين بعد أن تأخذ الدولة خمسها لتصرفه في مصارفه الخاصة.**

**2- غنائم يوقعها الله بأيدي المجاهدين دون قتال، وهذا النوع يختص رئيس الدولة الإسلامية بالتصرف فيه حسب ما يرى المصحة في ذلك، يعالج به الأوضاع الاقتصادية في البلاد؛ فينفذ الفقراء من فقرهم، أو يشتري به سلاحاً، أو يبني به مدينة أو يصلح به طرقاً أو... وهذا يعني أنه قد أصبح لرئيس الدولة الإسلامية ميزانية خاصة يتصرف فيها تصرفًا سريعاً حسب مقتضيات المصحة<sup>(4)</sup>، وقد ذكر سبحانه وتعالى في الآيتين اللتين أوضحتا سياسته عليه الصلاة والسلام في تفسيره فيء بني النضير إذ اختص به أنساً دون آخرين العلة في ذلك في قوله تعالى: **(مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيِ فَلَلَّهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالسَّامَّىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَئِنَّ السَّبِيلَ كُثُرٌ لَا يَكُونُ ذُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنَّا كُمْ الرَّسُولُ فِي حُدُودٍ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُمْ هُوَ أَنْتُمْ وَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)** [الحشر: 7]. أي لكي لا يكون تداول المال محصوراً فيما بين طبقة الأغنياء منكم فقط، والتعميل بهذه الغاية يؤذن بان سياسة الشريعة الإسلامية في شؤون المال، قائمة في جملتها على تحقيق هذا المبدأ، وأن كل ما تفيض به كتب**

<sup>1</sup> (3) انظر: شرح الزرقاني على المawahب (3/86). (4) انظر: السيرة النبوية لصالح الشامي ص 222.

<sup>2</sup> (?) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، ص 169.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الشريعة الإسلامية من الأحكام المتعلقة بمختلف شؤون الاقتصاد والمال يبغي من ورائه إقامة مجتمع عادل تقارب فيه طبقات الناس وفئاتهم ويقضى فيه على أسباب التغارات التي قد تظهر فيما بينها، والتي قد تؤثر على سير العدالة وتطبيقاتها.

ولو طبقت أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمتها الخاصة بشؤون المال من إحياء لشريعة الركوة ومنع للربا وقضاء على مختلف مظاهر الاحتكارات، لعاش الناس كلهم في بحبوحة من العيش قد يتفاوتون في الرزق، ولكنهم جميعاً مكتفون وليس فيهم كل على آخر، وإن كانوا جميعاً يتعاونون<sup>(1)</sup>. وبعد بيان العلة في توزيع أموال الفيء عقب سبحانه يأمر المسلمين بأن يأخذوا ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن ينتهوا عما نهاهم عنه، وأن هذا من لوازم الإيمان، وأمرهم بالتقواي، فإن عقابه شديد وأليم للعصاة. قال تعالى: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ فَلَلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْبَنَامِ وَالْمَسَاكِينَ وَإِنَّ السَّبِيلَ كَيْنَ لَا يَكُونُ حُرْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنَّا كُمْ الرَّسُولُ فَيُحْذِّرُهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَنْتُمُ الَّلَّهُ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [الحشر: 7]. أي: ما أمركم به الرسول صلى الله عليه وسلم فأ فعلوه، وما نهاكم عنه فاجتنبوا، فإنه إنما يأمركم بكل خير وصلاح، وينهى عن كل شر وفساد. قوله: (وَإِنَّهُمْ أَنْتُمُ الَّلَّهُ) خافوا ربكم بامتثال أوامرها، واجتناب نواهيه. قوله: (إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) أي فإن عقابه أليم وعداته شديد لمن عصاه وخالف ما أمره به، قال المفسرون: والآلية وإن نزلت في أموال الفيء إلا أنها عامة في كل ما أمر الله به النبي صلى الله عليه وسلم أو نهى عنه من واجب، أو مندوب، أو مستحب، أو محروم، فيدخل فيها الفيء وغيره<sup>(2)</sup>. وقد جاءت آيات كثيرة تربى الأمة على وجوب الانقياد لحكم الله تعالى، ولحكم رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك في كل الأمور. قال تعالى: (فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُ فِيمَا شَحَّرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحْذُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مَّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء: 65].

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوا، وما أمرتم به فأ فعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على آنبيائهم»<sup>(3)</sup>.

هـ- فضل المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان:

**1- فضل المهاجرين:** بينت الآيات الكريمة في سورة الحشر فضل المهاجرين على غيرهم، فهم لهم الدرجة الأولى، فقد اشتغلت الآيات على أوصافهم الجميلة، وشهد الله لهم بالصدق، قال تعالى: (

1 (؟) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 194.

2 (؟) انظر: تفسير الرازى (29/28)، صفوۃ التفاسیر (3/351).

3 (؟) مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله (4/1830).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ  
أَبْتَغُونَ فَصَلَا مِنْهُ اللَّهُ وَرَضُوا إِنَّمَا وَيَنْصُرُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**) [الحشر: 8].

**2- فضل الأنصار:** فقد وضحت الآيات فضل الأنصار، وقد وصفهم الله بهذه الصفات، قال تعالى: ( وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ  
وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْهَنَّمَ مِمَّا أَوْتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ  
بِهِمْ حَمْنَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَنُ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) [الحشر: 9].

**3- فضل التابعين لهم بإحسان:** وهم المتبوعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة، الداعون في السير والعلانية لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ( وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ  
يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا إِخْرَانَا إِنَّمَا سَيَقُولُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا  
يَجْعَلُ فِي قُلُوبِنَا غُلَالًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَوْفٌ رَّحِيمٌ ) [الحشر: 10]. وهكذا تحدث السورة الكريمة عن صور مشترفة للمهاجرين، والأنصار، والتابعين لهم بإحسان.

**4- موقف المنافقين في المدينة:** بينت الآيات الكريمة حالة المنافقين، ووضحت موقفهم وتحالفهم مع إخوانهم من اليهود، وكشفت أيضاً موقفهم من المسلمين، وموقف اليهود ونفسياتهم<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لَا خُوايْنَهُمْ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أَخْرَجْنَاهُمْ  
وَلَا نُطْبِعُ فِيهِمْ أَحَدًا إِنَّمَا وَإِنْ فَوْلَتْمُ لَتَنْصَرُوكُمْ وَاللَّهُ  
يَشْهُدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ) [الحشر: 11].

يخبرنا المولى عز وجل عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين يعنوا إلى اليهود ببني النضير يعدونهم بمناصرتهم، قوله: ( لَا خُوايْنَهُمْ ) أي الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر، وهو يعود ببني النضير، وجعلهم إخواناً له لكون الكفر قد جمعهم، وإن اختلف نوع كفرهم، فهم إخوان في الكفر.

**5- تحريم الخمر:** حرمت الخمر ليالي حصار بني النضير<sup>(3)</sup> في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة<sup>(4)</sup>، وقد خضع تحريم الخمر لسنة التدرج، وكان ذلك التحريم على مراحل معروفة في تاريخ التشريع الإسلامي، حتى نزلت الآيات الحاسمة في النهي عنها من سورة المائدة، وفي ختامها ( فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ) [المائدة: 91] قال

1 (؟) انظر: حديث القرآن الكريم (1/291).

2 (؟) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (1/264).

3 (؟) المصدر نفسه (1/253).

4 (؟) انظر تفسير القرطبي (18/10).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

المؤمنون في قوة وتصميمه قد انتهينا يا رب<sup>(1)</sup>. وفي قوله تعالى: (سَالُوكُمْ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَنِيرِ فُلْ قِيمًا أَكْثَرُ وَمَنَا فِي لِتَّاسِي وَأَنْمُهُمَا أَكْثَرُ مِنْ نَعْهُمَا وَسَالُوكُمْ مَادَا يَنْفَقُونَ فُلْ الْعَفْوُ كَذِلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَفَكُّرُونَ) [البقرة: 219].

يقول سيد قطب رحمة الله: وهذا النص الذي بين أيدينا كان أول خطوة من خطوات التحرير، فالأشياء والأعمال قد لا تكون شرّاً حالاً، فالخير يلتبس بالشر، والشر يلتبس بالخير في هذه الأرض، ولكن مدار الحل والجرمة هو غلبة الخير أو غلبة الشر، فإذا كان الإثم في الخمر والميسر أكبر من النفع، فتلك علة تحرير ومنع وإن لم يصرح هنا بالتحرير والمنع.

هنا يبدو لنا طرف من منهج التربية الإسلامية القرآنية الربانية الحكيمية، وهو المنهج الذي يمكن استقرأه في الكثير من شرائعه وفرائضه وتوجيهاته، ونحن نشير إلى قاعدة من قواعد هذا المنهج بمناسبة الحديث عن الخمر والميسر، عندما يتعلق الأمر أو النهي بقاعدة من قواعد التصور الإيماني أي بمسألة اعتمادية، فإن الإسلام يقضي فيها قضاء حاسماً منذ اللحظة الأولى. ولكن عندما يتعلق الأمر أو النهي بعيادة وتقليد، أو بوضع اجتماعي معقد، فإن الإسلام يتبرىء به ويأخذ المسألة باليسر والتدرج، وبهيئ الطروف الواقعية التي تيسّر التنفيذ والطاعة، فعندما كانت المسألة مسألة التوحيد أو الشرك أمضى أمره منذ اللحظة الأولى في ضربة حازمة جازمة لا تردد فيها ولا تلفت، ولا مجاملة فيها ولا مساومة، ولا لقاء في منتصف الطريق؛ لأن المسألة هنا مسألة أساسية للتصور، لا يصلح بدونها إيمان ولا يقام إسلام.

فاما الخمر والميسر، فقد كان الأمر أمر عادة وألفة، والعادة تحتاج إلى علاج، فبدأ بتحريك الوجدان الديني المنطقي التشريعي في نفوس المسلمين، بأن الإثم في الخمر والميسر أكبر من النفع، وفي هذا إيحاء بأن تبرّهـما هو الأولي ثم جاءت الخطوة الثانية بآية سورة النساء: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُنًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ حَاءَ أَحَدُ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامْسَتْمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَحْذُوا مَاءً فَتَيَّمُمُوا صَعِيدًا طَبِيعًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوا عَفُورًا) [النساء: 43]. والصلوة في خمسة أوقات، معظمها متقارب، لا يكفي ما بينها للسكر والإفقاء، وفي هذا تصبيق لفرض المزاولة العملية لعادة الشرب، وكسر لعادة الإدمان التي تتعلق بمواعيد التعاطي، إذ المعروف أن المدمن يشعر بال الحاجة إلى ما أدمـن عليه من مسكر أو مخدر في الموعد الذي اعتاد تناوله، فإذا تجاوز هذا

<sup>1</sup> (?) انظر: الخصائص العامة للإسلام، للقرضاوي، ص 181.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

الوقت وتكرر هذا التجاوز فترة حد العادة، أمكن التغلب عليها، حتى إذا تمت هاتان الخطوتان جاء النهي الحازم الأخير لتجريم الخمر والميسير<sup>(1)</sup>. ( إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوَقِّعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْصَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَبَصْدَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ) [المائدة: 91].

ح- لا يتحقق المكر السيئ إلا بأهله: كان مكر اليهود وتأمرهم على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والدولة الإسلامية في غاية الخسارة والوضاعة، وكانوا يريدون من مكرهم وغدرهم عزة ورفعة ومجدًا، ولعلهم سخر منهم، ونجى رسوله وال المسلمين من مكرهم وأذلهم وأخزاهم، فزال مجدهم، وكسر غلبتهم، وخرب بيوتهم، ورحلهم عن ديارهم، ولم يكلف ذلك المسلمين أصطدامًا مسلحًا، ولا قتالاً ضارياً، ولكن الله قدف في قلوبهم الرعب والفرج، فطلبو النجاة بأرواحهم في ذلة وخزي، مخلفين وراءهم ثروة وملكًا، حازه المسلمين غنيمة باردة، وقد قال تعالى في شأنهم: **أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوْلَى**  
**الْخَشِيرِ مَا طَلَبَتُمْ أَنْ يَحْرُجُوكُمْ وَطَلَبُوكُمْ أَنْ يَمْأُنَعُوكُمْ**  
**حُصُونُوكُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْسِبُوكُمْ**  
**وَقَدْ فَيَقِظَ فِي قُلُوبِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ بُخْرُوكُمْ يَأْتِيَهُمْ وَأَنْدِي**  
**الْمُؤْمِنِينَ فَاغْتَرِبُوكُمْ يَا أَوْلَى الْأَبْصَارِ** [الحشر: 2].

هذه عاقبة المكر السيئ، والغدر المتبين، وانظر بعد ذلك كيف أشار القرآن الكريم إلى مواطن العبرة في هذه الموقعة، وإلى هذا التهديد الذي أعلنه لكل من يسلك سبيل المكر المزري، والحد المستبد<sup>(2)</sup> وقال: **( فَاغْتَرِبُوكُمْ يَا أَوْلَى الْأَبْصَارِ** [الحشر: 2].

ويظهر لي من الآية الكريمة الاعتبار من وجوه:

1- إن الذي يقف في وجه الحق، ويصد الناس عنه، ويطارد دعاة الحق

منهم لا محالة، قال تعالى: **( قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُعَلَّمُونَ وَتُخَسَّرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَإِنَّهُمْ مِنَ الْمُهَادِ** ).

2- الصراع بين الحق والباطل لا يتوقف وبايق حتى يirth الله الأرض وما عليها، وستكون للباطل جولات للحق جولات، ولكن العاقبة لأهل الحق في نهاية المطاف.

3- الاعتبار يكون بتجنب ما ارتكبه اليهود من خيانة وغدر حتى لا يحدث نفس المصير الذي حدث لهم من الهزيمة والذل والهوان<sup>(3)</sup>.

1 (؟) انظر: في ظلال القرآن (1/229).

2 (؟) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 167، 168.

3 (؟) انظر: الصراع مع اليهود لابي فارس، ص 179.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**ط- لا إكراه في الدين:** كان فيبني النصير أناس من أبناء الأنصار قد تهودوا بسبب تربتهم بين ظهراني اليهود، فراراً أهلوهم المسلمين منهم من الرجيل معهم. فأنزل الله عز وجل: ( **لَا إِكْرَاهَ** فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فِيمَنْ يَكْفُرُ بِالْطَّاعُوتِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ أَسْتَمْسَكَ بِالْعُزُوهُ الْوُثْقَى لَا أَنْفَصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) [البقرة: 256].

روى أبو داود في سنته عن عبد الله بن عباس قال: كانت المرأة تكون مقللة<sup>(1)</sup> فتجعل على نفسها أن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أحليت بنو النصير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عز وجل: ( **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ) [البقرة: 256]<sup>(2)</sup>.

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) المقالة: التي لا يعيش لها ولد، سنن أبي داود (3/133).  
<sup>2</sup> (?) أبو داود، كتاب الجهاد، باب الأسير يكره على الإسلام (3/132) رقم 2682.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخيرة من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## المبحث الرابع غزوة ذات الرقاع

**أولاً: تاريخها وأسبابها، ولماذا سميت بذات الرقّاع؟:**

اختلف أهل المغازي والسير في تاريخ هذه الغزوّة، وقد ذهب البخاري<sup>(1)</sup> إلى أنها كانت بعد خير، وذهب ابن إسحاق<sup>(2)</sup> إلى أنها بعد غزوّةبني النضير، وقيل بعد الخندق سنة أربع، وعنده الواقدي<sup>(3)</sup> وأبن سعد<sup>(4)</sup> أنها كانت في المحرم سنة خمس.

وقد ذكر البوطي بأن تاريخ الغزوّة كان في السنة الرابعة للهجرة بعد مرور شهر ونصف تقريباً على إجلاء بنى النضير، وقال بأن هذا الرأي ذهب إليه أكثر علماء السير والمغازي<sup>(5)</sup>، وأليه ذهب.

وأما سبب الغزوّة ما ظهر من الغدر لدى كثيرون من قبائل نجد بال المسلمين، ذلك الغدر الذي تجلّى في مقتل أولئك الدعاة السبعين الذين خرّجوا يدعون إلى الله تعالى، فخرج صلی الله عليه وسلم قاصداً قبائل محارب وبني ثعلبة<sup>(6)</sup>. وقد ذكر الدكتور محمد أبو فارس أن قادماً قدم المدينة فأخبر المسلمين أن بنى محارب وبني ثعلبة من غطفان قد جمعوا الجموع لحرب رسول الله صلی الله عليه وسلم، فما كان منه صلی الله عليه وسلم إلا أن سار إليهم في عقر دارهم على رأس أربعين ألف مقاتل وقيل سبعين ألف مقاتل، ولما وصل رسول الله صلی الله عليه وسلم إلى ديارهم خافوا وهربوا إلى رؤوس الجبال، تاركين نسائهم وأطفالهم وأموالهم، وحضرت الصلاة فخاف المسلمون أن يتغيروا عليهم، فصلّى رسول الله صلی الله عليه وسلم صلاة الخوف، وعاد رسول الله إلى المدينة<sup>(7)</sup>.

وقد حققت هذه الحملة العسكرية أغراضها، وتمكنّت من تشتت الحشد الذي قام به غطفان لغزو المدينة فارهبت تلك القبائل وألقي عليها درساً بأن المسلمين ليسوا قادرين فقط على سحق من تحدّث نفسه بالاقتراب من المدينة، بل قادرين على نقل المعركة إلى أرض العدو نفسه وضربه في عقر داره<sup>(8)</sup>.

وسميت بذات الرقّاع: لأنّهم كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق والرقّاع أبقاء الحر، وقيل: لأنّهم رقعوا رأياً لهم، وقيل لشجرة كانت

1 (?) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقّاع (5/62) رقم 4128.  
2 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي هشام (3/225).

3 (?) انظر: المغازي للواقدي (1/395).

4 (?) انظر: الطبقات لأبي سعد (2/61).

5 (?) انظر: فقه السيرة النبوية، ص 194.

6 (?) نفس المصدر، ص 194، 195.

7 (?) انظر: غزوة الأحزاب لأبي فارس، ص 14.

8 (?) انظر: غزوة الأحزاب، محمد أحمد باشميل، ص 77، 78.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخيرة من رمضان وعيد الفطر 1426

اسمها ذات الرقاع<sup>(1)</sup>, وقيل: لأن المسلمين نزلوا في أرض كان فيها بقع بيض وسود مختلفة، فسميت لذلك<sup>(2)</sup>. وال الصحيح: أنهم كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق، فقد روى الشيخان بسنديهما عن أبي موسى الأشعري قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة ونحن ستة نفر بيننا يعبر تعقيبه فنقيت أقدامنا، ونقيت قدمائ، وسقطت أظفاري، وكنا نلتف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب بالخرق على أرجلنا<sup>(3)</sup>.

### ثانيًا: صلاة الخوف وحراسة الثغور:

**1- صلاة الخوف:** أنزل الله تعالى على نبيه صلی الله علیه وسلم صلاة الخوف في هذه الغزوة، وبين القرآن الكريم صفة الصلاة ساعة مواجهة العدو قال تعالى: **(وَإِذَا كَيْفَ فِيهِمْ فَاقْمَتْ لَهُمْ الصَّلَاةَ فَلَيَقْعُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكُمْ وَلَيَأْخُذُوا أَسْلَحَتَهُمْ فَإِنَّمَا سَيَحْدُوا فَلَيَكُونُوا مِنْهُمْ وَرَائِكُمْ وَلَيَأْتِ طَائِفَةٌ أَخْرَى لَمْ يُصْلِلُوا فَلَيُبَصِّلُوا مَعَكُمْ وَلَيَأْخُذُوا حَذْرَهُمْ وَأَسْلَحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفِلُونَ عَنْ أَسْلَحَتِكُمْ وَأَمْتَعْتُكُمْ فَيُمْلِئُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ يَكُمْ أَدْيِي مِنْ مَطْرَأً فَكُنُّمْ مَرْضَى أَنْ تَصْنَعُوا أَسْلَحَتِكُمْ وَحْدُدُوا حَذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا )** [النساء: 102]. فقد صلی المسلمون صلاة الخوف، وصفة هذه الصلاة أن طائفة صفت معه، وطائفة في وجه العدو، فصلی بالتي معه ركعة ثم ثبت قائماً، وأتموا لأنفسهم ثم انتصروا فصفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلی بهم الركعة التي بقيت في صلاته، ثم ثبت جالساً، وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم<sup>(4)</sup>.

وفي رواية: أنه صلی بطائفة ركعتين ثم تاخرىا، وصلی بالطائفة الأخرى ركعتين، فكانت لرسول الله صلی الله علیه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان<sup>(5)</sup>. قال الدكتور البوطني: ووجه التوفيق بين الحديثين أنه عليه الصلاة والسلام صلی بأصحابه صلاة الخوف أكثر من مرة فصلاها مرة على النحو الأول، وصلاها مرة أخرى على النحو التالي. وكانت هذه الصلاة بمنطقة نخل التي تبعد عن المدينة ببؤمين<sup>(6)</sup>، ودل تشريع صلاة الخوف على أهمية الصلاة حتى في قلب المعركة لا يمكن التساهل فيها، ولا يمكن التنازل عنها، مهما كانت الظروف؛ وبذلك تندمج الصلاة والعبادة بالجهاد وفق المنهاج النبوى في تربية الأمة الذي استمد من كتاب الله تعالى، فلا يوجد أي انفصال أو انقسام

1 (؟) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (1/309).

2

3 (؟) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوى في المدينة، ص 170.

4

5 (؟) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع (5/145).

6

4 (؟) انظر: السيرة في ضوء المصادر الأصلية، ص 425.

5

6 (؟) مسلم (2/576) رقم 311.

6

(؟) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص 207.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**2- حراسة التغور:** عندما رجع الجيش الإسلامي من غزوة ذات الرقاع سبوا امرأة من المشركين، فنذر زوجها ألا يرجع حتى يهريق دمًا في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فجاء ليلاً وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم رحيلين على الحراسة أثناء نومهم، وهم عباد بن بشر، وعمار بن ياسر، فضرب عبادًا بسهم وهو قائم يتصلي فنزعه، ولم يقطع صلاته، حتى رشقه بثلاثة سهام، فلم ينصرف منها حتى سلم، فـأيقظ صاحبه، فقال: سبحانه الله، هل نبهتني؟ فقال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها، فلما تابع على الرمي ركعت قاذتك، وأيم الله لو لا أن أضيع ثغرًا أمني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها<sup>(2)</sup>. ومن هذه الحادثة يمكننا أن نستخلص دروسًا وعبرًا منها:

- أ- اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمن الجنود، ويفظهر ذلك في اختياره رجلين من خيار الصحابة لحراسة الجيش ليلاً.**
- ب- تقسيم الحراسة، ونلاحظ أن الرجلين اللذين أنيطت بهما حراسة الجيش قد اقتسموا الليل نصفين، نصفاً للراحة ونصفاً للحراسة، إذ لا بد من راحة جسم الجندي بعض الوقت.**
- ج- التعلق بالقرآن الكريم وحب تلاوته: فقد كان حبه للتلاوة قد أنساه ألام السهام التي كانت تنغرس في جسمه وتشد الدم منه بغزاره<sup>(3)</sup>.**
- د- الشعور بمسؤولية الحراسة: فلم يقطع عباد صلاته لألم يشعر به وإنما قطعها استشعاراً بمسؤولية الحراسة التي كلف بها، وهذا درس بلغ في مفهوم العبادة والجهاد<sup>(4)</sup>.**
- هـ- مكان الحراسة استراتيجي: اختار النبي صلى الله عليه وسلم فم الشعب مكان إقامة الحرس، وكان هذا الاختيار في غاية التوفيق؛ لأنه المكان الذي يتوقع العدو منه لمهاجمة المعسكر.**
- وـ- قرب مهجع الحرس من الحارس: ولذلك استطاع الحارس أن يوقف أخاه النائم، ولو كان المهجع بعيداً عن الحارس لما تمكن من إيقاظ أخيه، وبالتالي يحدث ما لا تحمد عقباه<sup>(5)</sup>.**
- ثالثاً: شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاملته لجاير بن عبد الله:**

## 1- شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم:

<sup>1</sup> (?) انظر: التربية القيادية (3/303، 304). <sup>2</sup> انظر: السيرة في ضوء المصادر الأصلية، ص 427.

<sup>3</sup> (?) انظر: غزوة الأحزاب لأبي فارس، ص 30، 31. <sup>4</sup> (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 428.

<sup>5</sup> (?) انظر: غزوة الأحزاب لأبي فارس، ص 32.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

<sup>5</sup>

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

عندما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع أدركته القائلة في وادٍ كثیر العصابة، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون الشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه، قال جابر بن عبد الله: (فمننا نومة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا، فجئناه فإذا عنده أغرايى جالس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلّى الله عليه وسلم: «إن هذا يمنعك مني؟ فقلت له: الله» فها هو ذا جالس، لم يعاقيه رسول الله، واسم الأغرايى: غورث بن الحارث<sup>(1)</sup>). وقد عاهد غورث رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يقاتلنه، ولا يكون مع قوم يقاتلونه، فخلى سبيله، ف جاء إلى أصحابه فقال: (جئتم من عند خير الناس)<sup>(2)</sup>.

وفي هذه القصة دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفرط شجاعته وقوته يقينه وصبره على الأذى وحمله على الجهال، وفيها جواز تفرق العسكر في النزول ونومهم إذا لم يكن هناك ما يخافون منه<sup>(3)</sup>.

إن هذه القصة ثابتة وصحيحة وهي تكشف عن مدى رعاية الباري جل جلاله وحفظه لنبيه صلى الله عليه وسلم، ثم هي تزيدك يقيناً بالخوارق التي أخضعها الله جل جلاله له عليه الصلاة والسلام، مما يزيدك تبصاراً وبيانياً بشخصيته النبوية، فقد كان من السهل الطبيعي بالنسبة لذلك المشرك، وقد أخذ السيف ورفعه فوق النبي صلى الله عليه وسلم وهو أعزل غارقاً في غفلة النوم، أن يهوي به عليه فيقتله، وإنك لتلمس من ذلك المشرك هذا الاعتداد بنفسه والزهو بالفرصة الذهبية التي أمكنته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: من يمنعك مني؟ فما الذي طرأ بعد ذلك حتى عاشه عن القتل؟<sup>(4)</sup>.

ليس لهذا تفسير إلا العناية الإلهية، والإعجاز الإلهي، الذي يتحطى العادات والسنن، ويتجاوز قوى الناس، لنصرة نبيه، والذود عن دعوته<sup>(5)</sup>. فقد كانت العناية الإلهية كافية لأن تملأ قلب المشرك بالرعب وأن تقذف في ساعديه تياراً من الرجفة، فيسقط من يده السيف ثم يجلس متاداً مطرياً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما حدث مصدق لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ تَلْعَمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا تَلَعَّبْ رَسَالَتُهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [المائدة: 67]، فليست العصمة المقصودة في الآية أن لا يتعرض

<sup>1</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 426.

<sup>2</sup> (؟) المصدر نفسه، ص 427.

<sup>3</sup> (؟) انظر: فتح الباري (15/317) نخلا عن السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 427.

<sup>4</sup> (؟) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 200.

<sup>5</sup> (؟) انظر: دروس وعبر من الجهاد النبوى في المدينة، ص 178.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

الرسول صلى الله عليه وسلم لأذى أو محنـة من قومـه، إذ تلكـ هي سنة الله في عبادـه كما قد علمـتـ، وإنـما المرادـ من العصمةـ ألا تطولـ إليهـ أيـ يـد تحـاولـ اغـتيـالـهـ وـقتـلهـ لـتـعـتـالـ فـيـ الدـعـوـةـ الإـسـلامـيـةـ التـيـ بـعـثـ إـنـتـلـيـغـهـاـ<sup>(1)</sup>.

## 2- معاملته صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـجـابرـ بـنـ عـبـدـ اللهـ:

قالـ جـابرـ بـنـ عـبـدـ اللهـ: خـرـجـتـ مـعـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ إـلـىـ غـزـوـةـ ذاتـ الرـقـاعـ مـنـ نـخـلـ عـلـىـ جـمـلـ لـيـ ضـعـيفـ، فـلـمـ قـفـلـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ: جـعـلـتـ الرـفـاقـ تـمـضـيـ، وـجـعـلـتـ أـنـخـلـفـ، حـتـىـ أـدـرـكـنـيـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـقـالـ: «ـمـاـ لـكـ يـاـ جـابرـ؟ـ»ـ قـالـ: قـلـتـ: يـاـ رـسـوـلـ اللهـ أـبـطـانـيـ جـمـلـيـ هـذـاـ، قـالـ: «ـأـنـخـهـ»ـ فـأـنـخـتـهـ، وـأـنـاخـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، ثـمـ قـالـ: «ـأـعـطـنـيـ هـذـهـ الـعـصـاـ مـنـ يـدـكـ، أـوـ اـقـطـعـ لـيـ عـصـاـ مـنـ شـجـرـةـ»ـ قـالـ: فـفـعـلـتـ، قـالـ: فـأـخـذـهـ رـسـوـلـ اللهـ فـنـخـسـهـ بـهـ نـخـسـاتـ، ثـمـ قـالـ: «ـأـرـكـبـ»ـ فـرـكـبـتـ، فـخـرـجـ وـالـذـيـ بـعـثـهـ بـالـحـقـ يـوـاهـقـ نـاقـتـهـ موـاهـقـةـ (أـيـ يـسـابـقـهـ وـيـعـارـضـهـ فـيـ الـمـشـيـ لـسـرـعـتـهـ).

فيـ هـذـهـ القـصـةـ صـورـةـ جـمـيلـةـ وـرـفـيـعـةـ لـخـلـقـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـعـ أـصـحـابـهـ مـنـ حـيـثـ لـطـفـ الـحـدـيـثـ، وـالـتـواـضـعـ الرـفـيـعـ، الـلـوـقـوـفـ عـلـىـ أـحـوـالـهـ، فـقـدـ شـعـرـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـ سـبـبـ تـاـخـرـ جـابرـ عـنـ الرـكـبـ هـوـ ضـعـفـ جـمـلـهـ الـذـيـ لـاـ يـمـلـكـ غـيـرـهـ لـيـؤـسـ حـالـهـ، حـيـثـ إـنـ وـالـدـهـ مـاتـ شـهـيـداـ فـيـ أـحـدـ وـتـرـكـ لـهـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـبـنـاتـ وـالـأـوـلـادـ لـيـرـعـاهـمـ، وـهـوـ مـقـلـ فـيـ الرـزـقـ.

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص200.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## المبحث الخامس غزوة بدر الموعد، ودومة الجندي

### أولاً: غزوة بدر الموعد:

تنفيذًا للموعد الذي كان أبو سفيان قد اقترحه في أعقاب معركة أحد، والتزام الرسول **صلى الله عليه وسلم** بذلك، فقد خرج النبي **صلى الله عليه وسلم** من المدينة على رأس جيش من أصحابه قوامه ألف وخمسمائة مقاتل بينهم عشرة من الخيالة، وذلك في ذي القعدة سنة 4 هـ، وحمل لواء الجيش علي بن أبي طالب **ر**، فوصلوا بدراً فأقاموا فيها ثمانية أيام بانتظار وصول قوات المشركين من قريش بقيادة أبي سفيان بحسب الموعد بين الطرفين، غير أن أحداً من المشركين لم يصل إلى بدر، وكان أبو سفيان قد جمع قوات قريش وخلفائها التي تالفت من الفي مقاتل معهم خمسون فرساناً، فلما وصلوا إلى مر الظهران، نزلوا على مياه مجنحة على بعد أربعين ميلاً من مكة ثم عاد بهم أبو سفيان إلى مكة<sup>(1)</sup> بعد أن خطب فيهم وقال: يا معاشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعنون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب وإنني راجع فارجعوا<sup>(2)</sup>، وأقبل مخشي بن عمرو الضمرمي وهو الذي وادع رسول الله **صلى الله عليه وسلم** علىبني ضمرة في غزوة ودان، فالتفقى برسول الله **صلى الله عليه وسلم** في بدر وقال: يا محمد أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: «نعم، يا أبا بنى ضمرة، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك» قال: لا والله يا محمد ما لنا بذلك منك من حاجة<sup>(3)</sup>.

ففي هذا اللقاء أكد رسول الله **صلى الله عليه وسلم** على معنى كبير في إظهار قوة المسلمين، وأن العقد الذي كان بين الفريقين يستمر بعامل قوة المسلمين لا بعامل ضعفهم، وبناء على طلب الطرف الثاني، وفي هذا ما فيه من القوة للمسلمين والقاء الرعب في قلوب أعدائهم<sup>(4)</sup>. لقد كانت تحركات الجيش الإسلامي من المدينة حتى بدر مناورة رائعة ناجحة أثبت بها وجوده، وأعطى الدليل القاطع لأعداء الإسلام داخل المدينة وخارجها، أنه أصبح أقوى قوة مرهوبة في الجزيرة العربية كلها، ولا أدل على ذلك من أن جيش مكة وهو من أعظم الجيوش في الجزيرة من حيث كثرة العدد وقومة التنظيم وجودة التسلح قد هاب الجيش الإسلامي ونكل عن حربه بعد أن خرج للقاء

<sup>1</sup> (?) انظر: موسوعة نصرة النعيم (319, 1/318). (2) انظر: غزوة الأحزاب، محمد أحمد باشميل، ص 88.

<sup>3</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/232). (4) انظر: معين السيرة للشامي، ص 264، 265.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

بموجب ميعاد سابق حده (في أحد) قائد عام جيش مكة<sup>(1)</sup>. إن الحملة الإعلامية التي قام بها المشركون لإثبات انتصارهم في أحد وتفوقهم العربي قد انتكست على رؤوسهم، وأصبحوا مثار السخرية عند العرب، وثبت للناس أن ارتياك المسلمين للمفاجأة في أحد وسقوط القتلى منهم لا يعني انهزامهم ولا ضعفهم العسكري<sup>(2)</sup>، فقد ساهمت هذه الغزوة في المحافظة على السمعة العسكرية للMuslimين<sup>(3)</sup>، وكسبوا انتصاراً معنوياً عظيماً على أعدائهم بدون قتال، وشاركوا في الموسم التجاري بيدر وربحوا في تجارتهم ربيعاً طيباً<sup>(4)</sup>. لقد كان لخلاف قريش الموعد أثر في تقوية مكانة المسلمين وإعادة هيبتهم<sup>(5)</sup>.

### ثانياً: دومة الجندل:

كانت غزوة دومة الجندل من ضمن حركة تثبيت أركان الدولة الإسلامية، فبعد غزوة بدر الموعد، تحركت القوات الإسلامية بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو قصاعة التي كانت تنزل شمال قبائل أسد وغطfan، وفي حدود الغساسنة الموالين للدولة الرومية (بيزنطة) ولها إشراف على سوق (دومة الجندل) الشهير (على بعد 450 كيلومتراً شمال المدينة)، كانت هذه القبيلة أول من احتك بها المسلمين فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة المعروفة بغزوة دومة الجندل (ربيع الأول 5 هـ/ أغسطس 626 م)<sup>(6)</sup> فقد وصلت الأنبياء إلى المدينة بتجمع بعض القبائل عند دومة الجندل للإغارة على القوافل التي تمر بهم، والتعرض لمن في القافلة بالأذى والظلم، كما وردت الأنبياء بأنهم يفكرون في القرب من المدينة لعدم عودها<sup>(7)</sup>.

إن دومة الجندل تعتبر بلا شك نائية بالنسبة للمدينة المنورة؛ لأنها تقع على الحدود بين الحجاز والشام، وفي منتصف الطريق بين البحر الأحمر والخليج العربي، وهي على مسيرة ست عشرة ليلة من المدينة، ولو أن المسلمين أغفلوا أمرها، وسكتوا على وجود هذا التجمع فيها ما لامهم أحد ولا ضرهم هذا التجمع في شيء على المدى القريب، ولكن النظرة السياسية البعيدة والعقلية العسكرية الفذة أوجبت على المسلمين أن يتحركوا لفضح هذا التجمع<sup>(8)</sup> والقضاء عليه قبل أن يستفحـل شأنه للأسباب الآتية، وكذلك بغية تحقيق بعض الأهداف:

<sup>1</sup> (؟) انظر: غزوة الأحزاب، باشميل، ص 88، 89.  
<sup>2</sup> (؟) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/66).  
<sup>3</sup> (2) انظر: التربية القيادية

<sup>4</sup> (؟) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/67).

<sup>5</sup> (؟) انظر: المجتمع المدني في عهد النبي للعمري، ص 91.

<sup>6</sup> (؟) انظر: دراسات في عهد النبي والخلافة الراشدة للشجاع، ص 144.

<sup>7</sup> (؟) انظر: تأملات في سيرة الرسول لمحمد الوكيل، ص 169.

<sup>8</sup> (؟) المصدر نفسه، ص 169.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**1-** لأن السكوت على هذا التجمع وما شاكله يؤدي بلا شك إلى تطوره واستفحاله، ثم يؤدي بعد ذلك إلى إضعاف قوة المسلمين وإسقاط هيبتهم، وهو الأمر الذي يجاهدون من أجل استرداده.

**2-** وجود مثل هذا التجمع في الطريق إلى الشام قد يؤثّر على الوضع الاقتصادي للمسلمين، فلو أن المسلمين سكتوا على هذا التجمع لتعرضت قوافلهم أو قوافل القبائل التي تحتمي بهم للسلب والنهب، مما يضعف الاقتصاد، ويؤدي إلى حالة من التذمر والاضطراب.

**3-** وهناك أمر أهم من الأمرين السابقين وهو فرض نفوذ المسلمين على هذه المنطقة كلها، وإشعار سكانها بأنهم في حمايتهم وتحت مسؤوليتهم، لذلك فهم يؤمنون لهم الطرق، ويحمون لهم تجارتهم، ويحاربون كل إرهاب من شأنه أن يزعجهم أو يعرضهم للخطر<sup>(1)</sup>.

**4-** حرمان قريش من أي حلّيف تجاري قد يمدّها بما تحتاج من التجارة، وصرف انتظارهم عن هذه المنطقة التجارية الهامة؛ لأن ظهور الدولة الإسلامية بهذه القوة يؤثّر على نفسية قريش العدو الأول للدولة الإسلامية، يجعلها تخشى المسلمين على تجارتها<sup>(2)</sup>.

**5-** الحرص على إزالة الرهبة النفسية عند العرب الذين ما كانوا يحلمون بمواجهة الروم، والتاكيد عملياً للمسلمين بأن رسالتهم عالمية<sup>(3)</sup> وليس مقصورة على العرب. ورأى بعض المؤرخين كالذهبي، والواقدي، ومحمد أحمد باشميل، وغيرهم أن من أهداف تلك الغزوة إرهاب الروم الذين تقع المنطقة التي وصل إليها صلى الله عليه وسلم بجيشه على حدودهم وعلى مسافة خمس ليالٍ من عاصمة ملكهم الثانية دمشق<sup>(4)</sup>. لهذا ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين للخروج وخرج في ألف من أصحابه، وكان يسير الليل، ويكمّن النهار حتى يخفى مسيره<sup>(5)</sup>، ولا تشيع أخباره وتنقل أسراره، وتنعقبه عيون الأعداء<sup>(6)</sup>.

واتخذ له دليلاً منبني عذرة يسمى (مذكوراً)، وسار حتى دنا من القوم، عندئذ تفرقوا، ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أحداً فقد ولوا مدربين، وتركوا نعهم وماشيّتهم غنيمة باردة

<sup>1</sup> (1) تأملات في سيرة الرسول، ص 169.

<sup>2</sup> (2) انظر: دراسات في عهد النبي للشجاع، ص 144، 145.

<sup>3</sup> (3) المصدر نفسه، ص 144.

<sup>4</sup> (4) انظر: غزوة الأحزاب، باشميل، ص 93، تاريخ المغاربي للذهبي، ص 258.

<sup>5</sup> (5) انظر: تأملات في سيرة الرسول، ص 170.

<sup>6</sup> (6) انظر: غزوة الأحزاب لأبي فارس، ص 40.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

للMuslimين، وأسر المسلمين رجلاً منهم، وأحضاروه إلى الرسول فسأله عنهم، فقال: هربوا لما سمعوا بذلك أخذت نعمهم، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلم وفرق الجيش، فلم يصب منهم أحد، وعاد المسلمين إلى المدينة، وفي أثناء عودتهم وادع الرسول عبيدة بن حصن الفزارى واستاذن عبيدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن تردى إبله وغنمها في أرض قريبة من المدينة على ستة وثلاثين ميلاً منها.

إن وصول جيوش المسلمين إلى دومة الجندل، وهي على هذه المسافة بعيدة من المدينة وموادعة عبيدة بن حصن للMuslimين، واستئذانه في أن يرعى بإبله وغنمها في أرض بينها وبين المدينة ستة وثلاثون ميلاً، أي ما يقرب من خمسة وستين كيلومتراً، لدليل قاطع على ما وصلت إليه قوة المسلمين، وعلى شعورهم بالمسؤولية الكاملة تجاه تأمين الحياة للناس في هذه المنطقة، وأن هذه المناطق النائية كانت ضمن الدولة الإسلامية، وإن الدولة أصبحت منيعة، ليس في مقدور أحد أن يعتدي عليها، ولو كان ذلك في استطاعة أحد لكان هو عبيدة بن حصن الذي كان يغضب لغصبه عشرة آلاف فتى<sup>(1)</sup>.

كانت غزوة دومة الجندل بعيدة عن المدينة من جهة الشام، إذ بينها وبين دمشق ما لا يزيد عن خمس ليال، وقد كانت بمثابة إعلان عن دعوة الإسلام بين سكان البوادي الشمالية وأطراف الشام الجنوبية، وأحسوا بقوة الإسلام وسلطوته، كما كانت لقيصر وجنه، كما أن سير الجيش الإسلامي هذه المسافات الطويلة قد كان فيه تدريب له على السير إلى الجهات النائية، وفي أرض لم يعهد لها من قبل، ولذلك تعتبر هذه الغزوة فاتحة سير الجيوش الإسلامية للفتوحات العظيمة في بلاد آسيا وأفريقيا فيما بعد<sup>(2)</sup>.

كان خطط الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ترمي إلى أهداف عديدة، فهي غزوة، وحرب استطلاعية تمسح الجزيرة العربية، وتتعرف على مراكز القوى فيها، وهي حرب إعلامية تأتي على أعقاب بدر الموعد، وتستثمر انتصاراً لها، وهي حرب عسكرية تزيد أن تصد هجوماً محتملاً على المسلمين حيث ضوى إليها قوم من العرب كثير ي يريدون أن يدنو من المدينة، وهي حرب سياسية تزيد أن تجهض من تحركات القبائل المحتمل أن تتحرك بعد أنباء غزوة أحد لنقصد المدينة وتسببيها<sup>(3)</sup>.

كانت هذه الغزوة دورة تربوية رائعة وقادية و شاملة يقودها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه ألف من أصحابه، فيتلقون

1 (?) انظر: تأملات في سيرة الرسول، ص 170.

2 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة، ص 251، 252.

3 (?) انظر: التربية القيادية (3/372).

فيها كل لحظة دروساً في الطاعة والانضباط، ودروسًا في التدريب الجسدي والعسكري والتحمل لمشاكل الحياة وصعوباتها، وأحكاماً وفقهاً في الحلال والحرام، وعمليات صهر وتنزيل لقواعد الجيش الإسلامي في بوققة واحدة خارج إطار العشيرة، وخارج كيان القبيلة، حيث أخذت تفدى إلى المدينة عناصر كثيرة من أبناء القبائل المحاورة، والتخلّي عن الأطر القبلية وعصاياتها للانصهار في بوققة الأمة الواحدة التي تجعل الولاء لله ورسوله، وفوق هذا كله تتيح الفرصة لجيل بدر الرائد أن يقوم بمهمة التربية للوافدين الجدد وتعليمهم وتشقيفهم، كما تتيح الفرصة لكشف ضعاف النفوس، ومن له صلة بمعسكر النفاق من خلال مراقبة تصرفاته وسلوكه، إنها ليست ساعات محدودة أو أيامًا معدودة، بل هي دورة قرابة شهر، لا يمكن إلا أن تبرز فيها كل الطبائع وكل النوازع، فيتقاها عليه الصلاة والسلام ليصوغها على ضوء الإسلام ويعلم الجيل الرائد فن القيادة وعظمة السياسة.

كانت معركة صامتة، وتربية هادئة، وكان الجيش مع قائه يقطع ما ينوف عن ألف ميل في هذه الصحراء، يتربي ويتنقّل ويتدرب ويمتحن ويقوم، ليكون هذا استعداداً ل المعاركقادمة<sup>(1)</sup>. وفي غيابه في غزوة دومة الجندل عين **صلى الله عليه وسلم** سباع بن عرفة الغفارى والياً على المدينة في تجربة جديدة، فهو ليس أوسياً ولا خزر جيّاً ولا قرشياً، بل من غفار التي كانت تعتبر من سراق الحجيج عند العرب، فلا بد لهذا الجيل أن يتربى على الطاعة والانضباط للأمير أيا كان شأن هذا الأمير، وهذا يدل على عظمة المنهج النبوى في تربية الأمة والارتقاء بها، وعلى عظمة قيادة النبي **صلى الله عليه وسلم** وفراسته في اختياره وثقته فيهم ومعرفته لمواهبهم، فهو **صلى الله عليه وسلم** على معرفة بكفاءة سباع بن عرفة الغفارى وعيقريته وقدرته على الإداره الحازمة، فكان **صلى الله عليه وسلم** يربى أصحابه وهو غائب عن المدينة لكي يهيمن منهجه رب العالمين على المسلمين، ويصنع منها أمة واحدة تسمع وتطيع لكتاب ربها وسنة نبئها<sup>(2)</sup>.

\* \* \*

<sup>1</sup> (1) انظر: التربية القيادية (3/373).  
<sup>2</sup> (?) المصدر نفسه (3/374).

## المبحث السادس

# غزوة بنى المصطلق

**أولاً: من هم بنو المصطلق؟ ومتى وقعت الغزوة وأسبابها؟**

**1- بنو المصطلق:** هم بطن<sup>(1)</sup> من خزاعة، والمصطلق<sup>(2)</sup> جدهم، وهو جذيمة بن سعد ابن عمرو بن ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن عامر ماء السماء<sup>(3)</sup>.

**2- تاريخ الغزوة:** اختلف العلماء في ذلك، وانحصرت أقوالهم فيها في ثلاثة أقوال، فمن قائل إنها في شعبان سنة ست، قال بذلك ابن إسحاق وخليفة بن خياط، وأبن جرير الطبرى. ومن قال بأنها في شعبان من العام الرابع للهجرة، مثل المسعودي.

وذهب طائفة إلى أنها كانت في شعبان من السنة الخامسة، منهم موسى بن عقبة، وأبن سعد، وأبن قتبة، والبلاذرى، والذهبى، وأبن القيم، وأبن حجر العسقلانى، وأبن كثير -رحمهم الله- ومن المحدثين الخضرى بك، والغزالى، والبوطى.

وقد كانت وفاة سعد بن معاذ في أعقاب غزوة بنى قريطة، وغزوة بنى قريطة كانت في ذى القعدة من السنة الخامسة على القول الراجح، فيتعين أن تكون غزوة بنى المصطلق قبلها<sup>(4)</sup>.

**3- أسباب هذه الغزوة:** من أهم الأسباب لهذه الغزوة:-

**أ-** تأييد هذه القبيلة لقريش واشتراكها معها في معركة أحد ضد المسلمين، ضمن كتلة الأحابيش التي اشتراك في المعركة تأييداً لقريش.

**ب-** سيطرة هذه القبيلة على الخط الرئيسي المؤدي إلى مكة، فكانت حاجزاً منيعاً من نفوذ المسلمين إلى مكة<sup>(5)</sup>.

**ج-** أن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغم أن بنى المصطلق يجمعون له، وكان قائدهم الحارث بن أبي ضرار ينظم جموعهم، فلما سمع بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فهزّهم شر هزيمة<sup>(6)</sup>.

(?) فرع.

1

(2) المصطلق: يضم الميم وسكنون الصاد وفتح الطاء المهملتين وكسر اللام.

2

(?) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول (1/311).

3

(?) من أراد مزيداً من التفصيل فليرجع إلى مرويات غزوة بنى المصطلق، ص

4

97 (?) انظر: صحيح السيرة النبوية للعلى، ص 332.

5

(?) حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (1/315).

6

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

**4- أحداث غزوة بنى المصطلق:** عندما شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحركة بنى المصطلق المريمية أرسل بريدة بن الحصيبي الأسلمي لتأكد من نيتهم، وأظهر لهم بريدة أنه جاء لعونهم فتأكد من قصدتهم، فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك.

وفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة في سبعة مقاتل<sup>(1)</sup>، وثلاثين فارساً<sup>(2)</sup>، متوجهاً إلى بنى المصطلق، ولما كان بنو المصطلق ممن بلغتهم دعوة الإسلام، وأشتركوا مع الكفار في غزوة أحد، وكانوا يجمعون الجموع لحرب المسلمين، فقد روى البخاري<sup>(3)</sup> ومسلم<sup>(4)</sup> أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أغار عليهم وهو غارون -أي غافلون- وأنعامهم تُسقى على الماء، فقتل مقاتلهم وسيى ذرائهم، وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث<sup>(5)</sup>.

**ثانياً: زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها:**

قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق، وكان من بين الأسرى جويرية بنت الحارث، وكانت بررة على قومها، ولنسمع قصتها من السيدة عائشة رضي الله عنها حيث قالت: (لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في سهم لثابت بن قيس بن شمام، أو لابن عم له، فكتبتها على نفسها وكانت امرأة حلوة ملحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم لستعينه في كتابتها).

قالت: فوالله ما هو أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لا يخفى عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن شمام أو لابن عم له - فكتبتها على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: «فهل لك في خير من ذلك؟».

قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أقض عنك كتابك وأتزوجك». قالت: نعم يا رسول الله، قد فعلت. قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية بنت الحارث. فقال الناس: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فarsلوا ما بأيديهم. قالت: فلقد أعتقدت بتزويجه إياها

<sup>1</sup> (2) انظر: تاريخ الإسلام، المغازي للذهبي، ص 259.  
<sup>2</sup> انظر: الواقدي (1/405).

<sup>3</sup> (3) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 433.  
<sup>4</sup> (4) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الإغارة على الكفار، (3/1356) رقم 1730.

<sup>5</sup> (5) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 433.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مائة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها<sup>(1)</sup>. وجاء الحارث بن أبي ضرار بعد الواقعة، يفداء ابنته، إلى المدينة، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلم<sup>(2)</sup>.

تعتبر غزوة المريسيع من الغزوات الفريدة المباركة التي أسلمت عقها قبيلة بأسرها، وكان الحدث الذي أسلمت القبيلة من أجله هو أن الصحابة حرروا وردوا الأسرى الذين أصابوهم إلى ذويهم بعد أن تملقوهم باليمين في قسم الغنائم، واستثنوا على أنفسهم أن يتملکوا أصهار نبيهم عليه الصلاة والسلام، وحيال هذا العنق الجماعي، وإزاء هذه الأريحية الفذة، دخلت القبيلة كلها في دين الله.

إن مرد هذا الحدث التاريخي وسببه البعيد، هو حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم، وتكريرهم إياه، وإنكارهم شخصه العظيم، وكذلك يؤتي الحب النبوى هذه الثمار الطيبة، ويصنع هذه الماثر الفريدة في التاريخ.

لقد كان زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جويرية بنت الحارث له أبعاد، وتحقق ذلك الأبعد بإسلام قومها، فقد كان الزواج منها من أهدافه الطمع في إسلام قومها، وبذلك يكثر سواد المسلمين، ويعز الإسلام، وهذه مصلحة إسلامية بعيدة، يسر الله هذا الزواج، وباركه، وحقق الأمل البعيد المنشود من ورائه، فأسلمت القبيلة كلها بإسلام جويرية، وأسلام أبيها الحارث، فقد عاد هذا الزواج على المسلمين بالبركة والقوة، والدعم المادي والأدبي معًا للإسلام والمسلمين<sup>(3)</sup>.

أصبحت جويرية بنت الحارث زوجة لسيد المسلمين وأمًا للمؤمنين، فكانت رضي الله عنها عالمة بما تسمع، وعاملة بما تعلم، فقيهة عابدة، تقية ورعة، نقية الفؤاد، مصينة العقل، مشرقة الروح، تحب الله ورسوله، وتحب الخير للمسلمين.

وكانت رضي الله عنها تروي من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ناقلة لحقائق الدين من خزانتها عند من تنزلت عليه صلى الله عليه وسلم، يرويه عنها سدنة العلم من علماء الصحابة رضي الله عنهم، لينشروه في المجتمع المسلم عملاً وعملاً، وفي عامة المجتمع الإنساني دعوة وهداية<sup>(4)</sup>. فقد حدث عنها ابن عباس، وعبيد بن الأسباق، وكريب مولى ابن عباس ومجاهد، وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزدي. بلغ مسندها في كتاب بقى بن مخلد سبعة أحاديث<sup>(5)</sup>، منها أربعة في الكتب الستة، عند البخاري حديث، وعند مسلم حديثان، وقد

1

2

3

4

5

(?) انظر: البداية والنهاية (4/160, 161).

(?) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (1/317).

(?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوى في المدينة، ص 199, 200.

(?) انظر: محمد رسول الله، محمد صادق عرجون، (4/250).

(?) انظر: دور المرأة في خدمة الحديث، أمال فرداش، ص 88.

تضمنت مروياتها أحاديث في الصوم في عدم تخصيص يوم الجمعة بالصوم، وحديث في الدعوات في ثواب التسبيح، وفي الزكاة في إباحة الهدية للنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان المهدي ملكها بطريق الصدقة، كما روت في العنق، وبسبعة أحاديث شريفة خلدت أم المؤمنين حويرية بنت الحارث رضي الله عنها اسمها في عالم البرواة، لتضيف إلى شرف صحيتها للنبي صلى الله عليه وسلم وأمومتها للمسلمين، تبلغها الأمة سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم ما تيسر لها ذلك<sup>(1)</sup>.

وكانت أم المؤمنين حويرية بنت الحارث -رضي الله عنها- من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات والقانتات الصابرات في مجال مناجاة الله تعالى وتحميده وتقديسه وتسبيحه<sup>(2)</sup>، فهذه أم المؤمنين حويرية تحدثنا عن ذلك فتقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها<sup>(3)</sup>، ثم رجع بعد أن أضحي وهي جالسة، فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنهن، سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»<sup>(4)</sup>.

وقد توفيت رضي الله عنها سنة خمسين، وقيل: ست وخمسين<sup>(5)</sup>.

### ثالثاً: محاولة المنافقين في هذه الغزوة إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار:

خرج في غزوة بني المصطلق عدد كبير من المنافقين مع المسلمين، وكان يغلب عليهم التخلف في الغزوات السابقة، لكنهم لما رأوا اطراً النصر للMuslimين خرجو طمعاً في الغنيمة<sup>(6)</sup>. وعند ما أمريسbury كشف المنافقون عن الحقد الذي يضمروننه للإسلام والمسيحيين، فكلما كسب الإسلام نصراً جديداً ازدادوا غيطاً على عيظتهم، وقلوبيهم تتطلع إلى اليوم الذي يهزم فيه المسلمين لتشفي من الغل، فلما انتصر المسلمين في المريسيب في الغزوة سعي المنافقون إلى إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار، فلما أخفقت المحاولة سعوا إلى إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم في نفسه وأهل بيته، فشنوا حرباً نفسية مريرة من خلال حادثة الأفك التي اختلقوها، ولنترك الصحابي زيد بن أرقم وهو شاهد عيان ومشارك في الحادث الأول

1 (2) دور المرأة في خدمة الحديث، ص 88، 89. (2) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (4/250).

2 (3) مسجد: المكان الذي تصلي فيه في بيتها.

3 (4) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار، رقم 2726.

5 (5) انظر: الطبقات لأبن سعد (8/121) خليفة بن خياط تاريخه، ص 234.

6 (6) انظر: حديث القرآن الكريم (1/318). (7) انظر: السيرة الصحيحة للعمري (2/408).

يحكى خبر ذلك<sup>(1)</sup>, قال: (كنت في غزاة<sup>(2)</sup> فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تتفقوا على من عند رسول الله حتى ينفروا من حوله, ولئن رجعنا من عنده ليخرجنا الأعز منها الأذل, فذكرت ذلك لعمي<sup>(3)</sup>, فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فحدثته, فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه, فجلفو ما قالوا, فكذبوني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه, فأصابني هم إلم يصبني مثله قط, فجلست في البيت, فقال لي عمي: ما أردت إلا أن كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتله؟ فأنزل الله تعالى: (إذا جاءك المُنَافِقُونَ قَالُوا نَشَهِدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) [المنافقين: 1] فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ, فقال: «إن الله قد صدقك يا زيد»<sup>(4)</sup>.

ويحكى شاهد عيان آخر هو جابر بن عبد الله الأنباري ما حدث عند ماء المربيسيع, وأدى إلى كلام المنافقين لإثارة العصبية وتمزيق وحدة المسلمين, قال: (كنا في غزاة فكسع<sup>(5)</sup> رحل من المهاجرين رحلاً من الأنصار, فقال الأنصاري: يا للأنصار, وقال المهاجري: يا للمهاجرين, فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟».

قالوا: يا رسول الله, كسع رجل من المهاجرين رحلاً من الأنصار فقال: «عوها فإنها متنة» فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجون الأعز منها الأذل, فيبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعه, لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه»<sup>(6)</sup>.

وفي رواية قال عمر بن الخطاب: مُرْ به عياد بن بشر فليقتلته, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه, لا, ولكن أذن بالرحيل», وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها, فارتاح الناس<sup>(7)</sup>.

وقد مشى عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمعه منه, فلحف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به, فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوه في

2

3

4

5

6

7

(?) غزاة: صرحت الروايات الأخرى بأنها بني المصطلق.

(?) يزيد بعمه سعد بن عبادة وهو رأس الخزرج وليس عمه حقيقة.

(?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/408).

(2) كسع: ضربه برحله.

(4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/409).

لابن هشام (3/319).

حديثه. فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقيه أسيد بن حضير، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال: يا نبى الله لقد رحت في ساعة منكرة، ما كنت ترور في مثلها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو بلغك ما قال صاحبكم؟». قال: وأي صاحب يا رسول الله؟ قال: «عبد الله بن أبي؟». قال: وما قال؟ قال: «زعم إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل». قال: فانت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت، هو الذليل وأنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله، ارافق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه يرى أنك استلبت ملتهم. ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى أذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياً.

وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذي كان يالامس، من حديث عبد الله بن أبي، ونزلت السورة التي ذكر فيها المنافقون في ابن أبي ومن كان على مثل أمره، فلما نزلت أخذ رسول الله بأذن زيد بن أرقم، ثم قال: هذا الذي أوفى الله بأذنه<sup>(1)</sup>. إن هذه الحادثة من السيرة النبوية العطرة مليئة بالدروس وال عبر، فمن أهم تلك الدروس:

### 1- الحفاظ على السمعة السياسية ووحدة الصفة الداخلية:

وهذا الدرس يظهر في قوله صلى الله عليه وسلم: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه؟<sup>(2)</sup>.

إنها المحافظة التامة على السمعة السياسية، والفرق كبير جدًا بين أن يتحدث الناس عن حب أصحاب محمدًا، ويفكرون على ذلك بلسان قائدتهم الأكبر أبي سفيان: ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمدًا<sup>(3)</sup>، وبين أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل الدخول إلى الصفة الداخلية في المدينة من العدو، بينما هم يائسون الآن من قدرتهم على شيء أمام ذلك الحب وتلك التضحيات<sup>(4)</sup>.

ولم يقف النبي صلى الله عليه وسلم موقعاً سليباً حيال تلك المؤامرة التي تزعّمها ابن سلول لتصدير الصفة المسلم، وإحياء نعرات الجاهلية في وسطه، بل اتخذ إزاءها الخطوة الإيجابية التالية:

**أ-** سار رسول الله بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم الثاني حتى أذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا

1 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/319، 320).

2

2 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/409).

3

3 (?) انظر: التربية القيادية (3/463). (4) المصدر نفسه (3/463).

4

أَنْ وَجَدُوا مِنْ الْأَرْضِ فَوْقَعُوا نِياماً<sup>(1)</sup>.

وَبِهَذَا التَّصْرِيفُ الْبَالِغُ الْغَايَةُ فِي السِّيَاسَةِ الرَّشِيدَةِ قُضِيَ عَلَى  
الْفَتْنَةِ قَضَاءً مِبْرَغاً، وَلَمْ يَدْعُ مَجَالاً لِلْحَدِيثِ فِيمَا قَالَ أَبْنُ أَبِي.

**بـ-** لَمْ يَوْجَهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَ سَلَولَ وَمَؤَامِرَاتِهِ  
الْمَدِيرَةِ بِالْقُوَّةِ وَالْسَّعْدَةِ عَلَى وَحْدَةِ الصَّفِّ الْمُسْلِمِ،  
وَذَلِكَ لَأَنَّ لَابْنِ أَبِي أَبْيَانَ شِيعَةً مُسْلِمِينَ مُغَرَّبِينَ، وَلَوْ فَنَّكَ بِهِ  
لَأَرْعَدْتَ لَهُ أَنُوفَ، وَغَضِبَ لَهُ رِجَالٌ مُتَحَمِّسُونَ لَهُ، وَقَدْ يَدْفَعُهُمْ  
تَحْمِسَهُمْ لَهُ إِلَى تَقْطِيعِ الْوَحْدَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ أَيْ مُصْلَحةٍ  
لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا لِلْإِسْلَامِ، وَإِنَّهَا لِسِيَاسَةٍ شُرِعِيَّةٍ حَكِيمَةٍ رَشِيدَةٍ فِي  
مُعَالَجَةِ الْمُوَاقِفِ الْعَصَبِيَّةِ فِي حِزْمٍ وَقُوَّةِ أَعْصَابٍ وَبُعْدِ نَظَرٍ<sup>(2)</sup>. وَهَذِهِ  
الْبِرَاعَةُ فِي الْحِكْمَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَتَدْبِيرِ الْأُمُورِ مُتَفَرِّعَةٌ عَنْ كُونِهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَرَسُولًا إِلَى النَّاسِ<sup>(3)</sup> لَكِي تَقْتَدِيَ بِهِ الْأَمَّةُ فِي  
تَصْرِفَاتِهِ الْعَظِيمَةِ.

وَقَدْ كَانَ لِتِسَامِحِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ رَأْسِ  
الْمُنَافِقِينَ أَبَعَدَ الْآثَارَ فِيمَا بَعْدَ، فَقَدْ كَانَ ابْنُ سَلَولَ كُلَّمَا أَحَدَثَ  
حَدِيثًا كَانَ قَوْمُهُ هُمُ الَّذِينَ يَعَايُونَهُ وَيَأْخُذُونَهُ، وَيَعْنَفُونَهُ، وَيَعْرَضُونَ قَتْلَهُ  
عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالرَّسُولُ يَأْبَى وَيَصْفِحُ، فَأَرَادَ رَسُولُ  
اللَّهِ أَنْ يَكْشِفَ لِسَيْفَ الْحَقِّ عَنْ آثَارِ سِيَاسَتِهِ الْحَكِيمَةِ، فَقَالَ: «كَيْفَ  
يُتَرَى يَا عَمِّ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قُتِلَتِي يَوْمَ قَلَّتِي لِي لَأَرْعَدَتْ لَهُ أَنُوفَ لَوْ  
أَمْرَتَهَا الْيَوْمَ لِقْتَلَتِي» فَقَالَ عَمِّ: قَدْ - وَاللَّهُ - عَلِمْتُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ بُرْكَةً مِنْ أَمْرِي<sup>(4)</sup>.

## 2- (بَلْ تَنْتَرِفُ بِهِ، وَنَحْسِنُ صَحْبَتِهِ مَا بَقِيَ مَعْنَا):

كَانَ لَابْنِ أَبِي ابْنِ سَلَولٍ وَلَدٌ مُؤْمِنٌ مُخْلِصٌ يُسَمَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ  
اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلَولٍ، فَلَمَّا عَلِمْ بِالْأَحْدَاثِ وَنَزَولِ السُّورَةِ، أَتَى رَسُولُ  
اللَّهِ فَقَالَ لَهُ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِلْغَنِي أَنْكَ تَرِيدَ قَتْلَ أَبْنِي ابْنِ سَلَولِ فِيمَا  
بَلَغَكَ عَنْهُ، فَإِنْ كُنْتَ فَاعِلًا، فَمَرِنِي بِهِ، فَأَنَا أَحْمَلُ إِلَيْكَ رَأْسَهُ، فَوَاللَّهِ  
إِنَّمَا أَعْلَمُ بِالْخَرْجِ مَا كَانَ بِهَا مِنْ رَجُلٍ أَبْرُ بِوَالِدِهِ مِنِي، وَإِنِّي لَا خَشِّي  
أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيُقْتَلَهُ، فَلَا تَدْعُنِي نَفْسِي أَنْظَرْ إِلَيَّ قَاتِلَ أَبِي يَمْشِي  
بَيْنَ النَّاسِ، فَاقْتُلْهُ، فَاقْتُلْ رَجُلًا مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ فَادْخُلْ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ تَنْتَرِفُ بِهِ، وَنَحْسِنُ صَحْبَتِهِ مَا بَقِيَ  
مَعْنَا»<sup>(5)</sup>. وَلِمَا وَصَلَّى الْمُسْلِمُونَ مِشَارِفَ الْمَدِينَةِ تَصْدَى عَبْدُ اللَّهِ لِأَبِيهِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، وَقَالَ لَهُ: قَفْ فَوَاللَّهِ لَا تَدْخُلُهَا حَتَّى يَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

1 .(?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/255).

2 .(?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 202.

3 .(?) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص 409.

4 .(?) انظر: السيرة النبوية لأبن شهبة (2/257).

5 .(?) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام (3/321).

هديـة الشـبـكة الـلـبـيـة والـكـاتـب بـمـنـاسـبـة العـشـر الـأـوـاـخـر مـن رـمـضـان وـعـيدـ الفـطـر 1426

وسلم استأذنه في ذلك، فأذن له<sup>(1)</sup>.

### 3- مثل أعلى في الإيمان:

جسّده عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول في موقفه من والده، وتقديمه وإخلاصه لله ولرسوله، وتقديم محبتهما ومراضيهما على محبة ومرضى الأبوة<sup>(2)</sup>. لقد ضرب الابن أروع مثل في الإيمان والتضحية بعاطفة الأبوة، فقابلته صلی الله عليه وسلم صاحب القلب الكبير والخلق العظيم بمثل رفيع في العفو والرحمة وحسن الصحبة «بل تترفق به، وتحسن صحيته ما بقي معنا» يا لروعة العفو، ويا لجلال العطمة النبوية<sup>(3)</sup>، فقد تلطّف النبي صلی الله عليه وسلم بهذا الصحابي الجليل، وهدّاً من روعه، وأذهب هوا جسه<sup>(4)</sup>.

### 4- محاربة العصبية الجاهلية:

إن العصبية الممقوتة والتي نصفها بالجاهلية غير مقصورة على العصبية القبلية أي الاشتراك في النسب الواحد، نسب القبيلة التي يتّمون إليها، وإنما الاشتراك في معنى أو وصف معين يجعل المشتركين فيه يتعاونون ويتناصرون فيما بينهم بالحق وبالباطل، ويكون ولاؤهم فيما بينهم على أساس هذا المعنى أو الوصف المشترك، فعندما كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، قال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك النبي صلی الله عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار، فقال النبي صلی الله عليه وسلم: «دعوها فإنها متنة»<sup>(5)</sup>، ووجه الدلالة بهذا الخبر، أن النبي صلی الله عليه وسلم أنكر هذه المناداة لما تشعره من معنى العصبية، مع أن المنادي استعمل اسمًا استعمله القرآن وهو (المهاجرين) (والأنصار). فالمهاجري استنصر بالمهاجرين مع أنه هو الذي كسع، فكانه بندائه هذا يريد عونهم، لاشتراكه وإياهم بمعنى واحد وهو (المهاجرة)، وكذلك الأننصاري استنصر بالأنصار؛ لأنه منهم، ويشتراك وإياهم بوصف واحد ومعنى واحد وهو مدلول الكلمة (الأنصار)، وكان حق الاثنين -إذا كان لا بد من الاستنصر بالغير- أن يكون الاستنصر بال المسلمين جميعاً، وعلى هذا فالمطلوب من الدعاية التأكيد على نبذ العصبية بجميع أنواعها سواء كانت عصبية تقوم على أساس الاشتراك بالقبيلة الواحدة، أو على أي أساس آخر، من بلد، أو مذهب، أو حزب، أو عرق، أو لون، أو دم، أو جنس، وأن يكون الولاء والتناصر على أساس الاشتراك بالأخوة الإسلامية التي أقامها وأثبّتها وأعتبرها

<sup>1</sup> (؟) انظر: الولاء والبراء في الإسلام، ص 209 للفحطاوي.

<sup>2</sup> (؟) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون، (3/163).

<sup>3</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لابن شهبة (2/257).

<sup>4</sup> (؟) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (3/163).

<sup>5</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/209).

الله تعالى بين المسلمين بقوله تعالى: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**) [الحجرات: 10]. وأن يكون التناصر فيما بينهم تناصراً على الحق لا على الباطل بمعنى أن ينروا الحق، وأن يكونوا معه، لا مع المعتدي<sup>(1)</sup>.

لقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم أن العصبيات هي من دعوى الجاهلية، وقال: «لينصر الرجل أخيه طالماً أو مظلوماً، إن كان طالماً فليئنه فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره»<sup>(2)</sup> فجعل التناصر في طلب الحق والإنصاف وأبطل المفهوم الجاهلي: انصر أخيك طالماً أو مظلوماً<sup>(3)</sup>.

إن مهمة الدعاة وطلاب العلم والعلماء والفقهاء في التخلص من العصبية، ودعوة المسلمين إلى نبذها، كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمة صعبة، ولكنها ليست مستحيلة، ولا هميتها الكبيرة علينا أن نبذل ما في وسعنا لقلعها من النفوس<sup>(4)</sup>.

**رابعاً: توجيه القرآن الكريم للمجتمع الإسلامي في أعقاب غزوة بنى المصطلق:**

نزلت سورة (المنافقون) في أعقاب غزوة بنى المصطلق، حيث كان المسلمين راجعين إلى المدينة، وذلك بدليل رواية الإمام الترمذى (فلما أصبحنا فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقون)<sup>(5)</sup>. فقد تحدثت السورة بإسهاب عن المنافقين، وأشارت إلى بعض الجواهر والأقوال التي وقعت منهم ورويت عنهم وفضحت أكاذيبهم، إلا أنها في الختام حذرت المؤمنين من الانشغال بزينة الدنيا ومتاعها، وحثت على الإنفاق، ويمكن لدارس هذه السورة أن يلاحظ عدة محاور مهمة منها:

**1- تحدثت السورة الكريمة في البدء عن أخلاق المنافقين،** وفضحت كذبهم في أقوالهم ووصفت حالهم<sup>(6)</sup>: فابتدأت هذه السورة بأياد صفات المنافقين التي من أهمها الكذب في ادعاء الإيمان، وخلف الإيمان الكاذبة، وجبنهم وضعفهم وتأمرهم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين، وصيدهم الناس عن دين الله<sup>(7)</sup>، قال تعالى: (**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا تَشْهُدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ لَرَسُولُهُ وَإِنَّهُ يَشَهِّدُ أَنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ اتَّخِذُو أَيْمَانَهُمْ جُنَاحًا فَصَدُّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءُ مَا**

1 (؟) انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (2/302).  
2 (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/209).  
3 (5) المصدر نفسه (2/209).

4 (؟) انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (2/302).  
5 (?) انظر: سنن الترمذى، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة المنافقون» (5/415).

6 (؟) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (1/327).  
7 (؟) انظر: التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، (28/213).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**كَإِنْوَا يَعْمَلُونَ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ  
قُلُوبِهِمْ فِيهِمْ لَا يَقْعُدُونَ ۝ وَإِذَا رَأَيْتُهُمْ تَعْجِلُكَ أَحْسَامُهُمْ  
فَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِغَفْلَهُمْ كَانُوهُمْ حُشْبٌ مُّسْتَدَّةٌ يَخْسِبُونَ  
كُلُّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَأَخْذَرُهُمْ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنِّي  
يُؤْفِكُونَ<sup>(1)</sup> [المنافقون: 4-1].**

2- ثم بينت الآيات عنادهم وتصميمهم على الباطل، وعصيانهم لمن يدعوهם إلى الحق وبينت مقاالتهم الشنيعة بالتفصيل خاصة ما قالوه في غزوة بنى المصطلق من أنهم سيطردون الرسول والمؤمنين من المدينة، وأن العزة لهم، إلى غير ذلك من الأقوال العظيمة الفطيعة<sup>(1)</sup>.

**قال تعالى: ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَعْفِفُونَ لَكُمْ رَسُولُ  
اللهِ لَوْفَا رُؤُوسَهُمْ وَرَأْيَتُهُمْ يَصْدُونَ وَهُمْ مُسْتَكِبُرُونَ ۝  
سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَعْفِرُ لَهُمْ أُمْ لَمْ يَسْتَعْفِفُ لَهُمْ لَهُ يَغْفِرُ  
اللَّهُ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ هُمُ الَّذِينَ  
يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مِنْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْقُضُوا  
وَلَلَّهِ خَرَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا  
يَفْعَلُونَ ۝ يَقُولُونَ لَئِنْ رَحَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجُنَّ الْأَعْرَافَ  
مِنْهَا الْأَدَلُّ وَلَلَّهِ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ  
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ) [المنافقون: 8-5].**

وهكذا كان المجتمع المدني يتربى بالأحداث، والقرآن الكريم يقوم بتوجيهه وتعليمه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بالإشراف على ذلك.

**خامسًا: محاولة المنافقين الطعن في عرض النبي صلى الله عليه وسلم بالافتراء على عائشة- رضي الله عنها - بما يعرف بحديث الإفك:**

حاك المنافقون في هذه الغزوة حادثة الإفك، بعد أن فشل كيدهم في المحاولة الأولى لإثارة النعرة الجاهلية، فقد ألمت بالبيت النبوى هذه النازلة الشديدة وألمحته العظيمة التي كان القصد منها النيل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن أهل بيته الأطهار. هذا وقد أجمع أهل المغازي والسير<sup>(2)</sup> على أن حادثة الإفك كانت في أعقاب غزوة بنى المصطلق، وتابعهم في ذلك المفسرون<sup>(3)</sup>، والمحدثون<sup>(4)</sup>.

وقد أخرج البخاري ومسلم حديث الإفك في صحيحهما، وهذا

1 (؟) انظر: حديث القرآن الكريم (1/327).

2 (؟) كالواقدي، والذهبى، والطبرى، وابن سعد، وابن حزم

3 (؟) كابن كثير، والرازي، والطبرى وغيرهم.

4 (؟) كابن حجر، والنوى. هي غزوة بنى المصطلق.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

سياق القصة من صحيح البخاري: قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فما يتهم خرج سهيمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، قالت عائشة: فاقرع بيتنا في غزوة غزاه<sup>(1)</sup> فخرج سهيمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما نزل الحجاب فانا أحمل عليه وسلم من غزوهته تلك، ووقف دوننا من المدينة قافلين، اذن ليلة بالرحيل، فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شاني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي من حجز طفار<sup>(3)</sup> قد انقطع، فالتمس عقدي وحبستني أبتغاوه، وأقبل الرهط<sup>(4)</sup> الذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت، وهم يحسرون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم، إنما نأكل العلقة<sup>(5)</sup> من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهدوج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السنة فبعثوا الجمل، وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فاقامت منزلبي الذي كنت فيه، وطننت انهم سيفقدونني َغير جعون إلي، فيبينما أنا جالسة في منزلي غلبتي عيني فنممت، وكان صفوان بن المعطل السلمي<sup>(6)</sup> ثم الذكواي من وراء الجيش فادلح<sup>(7)</sup> فاصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فاتاني فعرفني حين رأني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاجاته<sup>(8)</sup> حين عرفني، فخمرت<sup>(9)</sup> وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاجه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركتها، فانطلق بقود بي الرحالة، حتى أتبنا الجيش بعدما نزلوا موغرين<sup>(10)</sup> في نحر الطهيرة<sup>(11)</sup>، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول.

## 1- انتشار الدعاية بالمدينة:

وقدمنا المدينة فاشتكى حين قدمت شهرًا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يرببني<sup>(12)</sup> إني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

- (?) الهدوج: محمل له قبة تستر بالثياب يوضع على ظهر البعير تركب فيه النساء. 2
- (?) حجز طفار: هو خرز معروف في سواده بياض كالعروق وهي مدينة باليمن. 3
- (?) الرهط: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة. (8) العلقة: اللغة من الطعام. 4
- (?) صحابي حليل كان صاحب ساقية رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته. 6
- (?) فادلح: بالتشديد سار آخر الليل. 7
- (?) أي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون. (2) فخمرت: أي غطيت. 8
- (?) موغرين: الوجه: شدة الحر. (4) نحر الطهر: أولها وهو وقت شدة الحر. 10
- (6) كيف تيكم: وهي للمؤمن مثل ذاكم للذكر. 12
- (?) يرببني: يشككني.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

فيسلم ثم يقول: «**كيف تيكم؟**<sup>(1)</sup> ثم ينصرف، وذلك الذي يربيني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدهما نهنت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع<sup>(2)</sup>، وهو متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف<sup>(3)</sup> قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتازى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف، وأمها بنت سخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة<sup>(4)</sup>، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها<sup>(5)</sup>، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت أتسبيين رحلاً شهد بدراً؟ قالت: أي هنـاه<sup>(6)</sup> أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وما قال؟ فأخبرتني بخبر أهل الإفك فازدادت مرضاناً على مرضي، قالت: فلما رجعت إلى بيتي ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم - تعني فسلام - ثم قال: «**كيف تيكم؟**<sup>(7)</sup>» قلت: أناذن لي أن أتي أبوئي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت أبوئي فقلت لأمي: يا أمي ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنيه هوني عليك، فهو الله لقلما كانت امرأة فقط وضيئه<sup>(8)</sup> عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها<sup>(9)</sup>، قالت: فقلت: سبحان الله لقد تحدث الناس بهذا؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقا لي دمع<sup>(10)</sup> ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي.

## 2- استشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه عند تأخر نزول الوحي:

فدعـا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليـ بن أبي طالـب وأسـامة بن زـيد رـضـي الله عـنـهـما حـينـ استـلـبـتـ<sup>(10)</sup> الـوـحـيـ يـسـتـأـمـرـهـماـ فيـ فـرـاقـ أـهـلـهـ، قـالـتـ: فـاماـ أـسـامـةـ فـأـشـارـ عـلـىـ رسـولـ اللهـ بـالـذـيـ يـعـلـمـ مـنـ بـرـاءـةـ أـهـلـهـ، وـبـالـذـيـ يـعـلـمـ لـهـمـ فـيـ نـفـسـهـ مـنـ الـودـ، فـقـالـ: يـاـ رسـولـ اللهـ أـهـلـكـ وـمـاـ نـعـلـمـ إـلـاـ خـيـرـاـ، وـأـمـاـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ فـقـالـ: يـاـ رسـولـ اللهـ لـمـ يـضـيقـ اللهـ عـلـيـكـ، وـأـنـسـاءـ سـوـاـهـاـ كـثـيرـ، وـإـنـ تـسـأـلـ الـجـارـيـةـ تـصـدـقـكـ. قـالـتـ: فـدـعـاـ رسـولـ اللهـ صلى الله عليه وسلم برـيرـةـ فـقـالـ: «**أـيـ بـرـيرـةـ هلـ رـأـيـتـ مـنـ شـيـءـ بـرـيرـكـ؟**<sup>(11)</sup>» قـالـتـ بـرـيرـةـ: لـاـ وـالـذـيـ بـعـثـكـ بـالـحـقـ، إـنـ رـأـيـتـ عـلـيـهـاـ أـمـاـ أـعـمـصـهـ<sup>(11)</sup> عـلـيـهـاـ أـكـثـرـ مـنـ أـنـهـ جـارـيـةـ حـدـيـثـ السـنـ تـنـامـ

(?) المناسع: المواقع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة. 2

(?) الكنف: جمع كنيف: المكان الساتر. 3

(?) مسطح بن أثاثة بن عياد بن المطلب، توفي في خلافة عثمان. 4

(?) فعثرت في مرطها: أي وطئته برحلاها فسقطت. 5

(?) هنـاهـ: يـاـ بـلـهـاءـ، كـانـهـ نـسـبـتـ إـلـىـ قـلـةـ الـمـعـرـفـةـ بـمـكـائـنـ النـاسـ وـشـرـورـهـمـ. 6

(?) وضيئه: الوضاءة: الحسن والبهجة. 7

(?) إلا أكثرن عليها: أي القول في عيدها. 8

(?) لا يرقا لي دمع: لا ينقطع ولا يسكت. 9

(?) استلبث: وهو الإبطاء والتاخر. 10

(?) أعمصه عليها: أي أغبىها به واطعن بها عليه. 11

عن عجين أهلها، فتأتي الداجن<sup>(1)</sup> فتأكله. فقام رسول الله فاستعذر<sup>(2)</sup> يومئذ من عبد الله بن أبي ابن سلول، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: «يا معاشر المسلمين، من يعتذرني من رجل قد بلغني أذاء في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً<sup>(3)</sup> ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معنى» فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أعتذر منه إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

### 3- آثار فتنة الإفك:

قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخرج - وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا ولكن احتملته الحمية<sup>(4)</sup>. فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المناقفين، فتناول الحيآن<sup>(5)</sup> الأوس والخرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فبكى يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكى ليتين ويوماً، لا أكتحل بنوم، ولا يرقا لي دمع، يطنان أن البكاء فالق كبيدي، قالت: فيبينما هما جالسانه عندي وأنا أبكي فاستاذت عليّ أمراً من الأنصار فاذنت لها، فجلست تبكي معي، قالت: في بينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها.

### 4- مفاتحة الرسول صلى الله عليه وسلم لعائشة وجوابها له:

وقد لبث الوحي شهراً<sup>(6)</sup> لا يوحى إليه في شأني قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال: «أما بعد: يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا<sup>(7)</sup>، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه» فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص<sup>(8)</sup> دمعي حتى ما أحسن منه قطرة،

<sup>1</sup> (?) الداجن: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم.  
<sup>2</sup> (?) فاستعذر: أي قال: من يقوم بعذري إن كفاته على سوء صنيعه.

<sup>3</sup> (?) هو صفوان بن المعطل السلمي.

<sup>4</sup> (?) احتملته الحمية: أي حملته الانفة والغضب على الجهل.

<sup>5</sup> (?) فتناول الحيآن: أي تناهضوا للنزاع والعصبية.

<sup>6</sup> (?) التقى بالشهر فهو المدة التي أولاها إثبات عائشة إلى بيت أبيها.

<sup>7</sup> (?) كناية عما رميته به من الإفك.

<sup>8</sup> (?) قلص دمعي: أي ارتفع وذهب.

فقلت لأبي: أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي فيما قال، قال: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: أحببي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: فقلت وأنا حاربة أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، إنني والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت إبني بريئة، والله يعلم أنني بريئة لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أنني منه بريئة لتصدقون، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف<sup>(١)</sup> قال: (فَصَنْرُ حَمِيلٍ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصْفَوْنَ) [يوسف: ١٨]. قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، ما كنت أظن أن الله منزل في شاني وحياناً يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤياً يبرئني الله بها.

## 5- نزول الوحي ببراءة عائشة:

قالت: فوالله ما رام<sup>(٢)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء<sup>(٣)</sup> حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان<sup>(٤)</sup> من العرق، وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه.

قالت: فلما سرّي<sup>(٥)</sup> عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: «يا عائشة، أما الله عز وجل فقد برأك» فقالت أمي: قومي إليه، قالت: والله لا أقوم إليه، ولا أح مد إلا الله عز وجل. وأنزل الله: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأَفْكَرِ عَصْبَيْةٌ مِّنْكُمْ لَا تَجِسِّعُوهُ شَرّاً لَّكُمْ تَلَهُ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَكُلُّ أَمْرٍ رَّبِّهِمْ مَا أَكْتَسَىَ مِنَ الْأَثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّ يَكْرَهُ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ طَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ يَأْنِسُهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا أَفْكَرُ مَيْنُ لَوْلَا خَيْرًا وَأَعْلَمُهُ بِأَنَّهُ شَهِدَأَهُ فَأَدَ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهِيدَأَهُ فَأَوْلَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَادِيُونَ لَوْلَا فَصَلُّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ فِي الدِّينِ وَالْآخِرَةِ لَمْسَكْمُ فِي مَا أَفْصَتُمُ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِذْ تَلْقَوْنَهُ بِالسَّيْكَمْ وَتَقُولُونَ يَا فَوَاهِكُمْ مَا لَنْسَ لَكُمْ يَهُ عَلَمُ وَتَحْسِيْنَهُ هَبَنَا وَهُوَ عَنْهُ اللَّهُ عَظِيمٌ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعْطِكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبْدًا إِنْ كُنْتُمْ

1

2

3

4

5

(?) هو يعقوب عليه السلام.

(?) ما رام: ما يرح وما فارق مجلسه.

(?) البرحاء: شدة الكرب من ثقل الوحي.

(?) الجمان: اللؤلؤ الصغار وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ.

(?) سري: انكشف عنه ما يجده من الهم والثقل.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

**مُؤْمِنِينَ ۖ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۚ إِنَّ  
الَّذِينَ يَجْحَدُونَ أَن تَبْيَسَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ  
وَلَوْلَا فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**)

[النور: 20-11].

## 6- موقف أبي بكر الصديق ممن تكلم في عائشة رضي الله عنها:

فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق - وكان ينفق على مسطح بن ثابتة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله ( **وَلَا يَأْتِيَ أَوْلُ  
الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَئِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ  
وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَيَعْفُوُا وَلَيَصْنَفُوُا أَلَا تُجْحِدُونَ  
أَن يَعْفُرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ** ) [النور: 22].

قال أبو بكر: بلى، والله إنني أحاب أن يغفر الله لي، فأرجع إلى مسطح النفقه التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش<sup>(1)</sup> عن أمري فقال: يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي<sup>(2)</sup> سمعي وبصري، وما علمت إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تسامي<sup>(3)</sup> من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعصمتها الله<sup>(4)</sup> بالورع<sup>(5)</sup> وطفقت<sup>(6)</sup> اختها حمنة<sup>(7)</sup> تحارب لها، فهلكت من هلك من أصحاب الإفك<sup>(8)</sup>.

كانت قصة الإفك حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعداء الدين، وكان من لطف الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين أن كشف الله زيفها وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفربية، لا سيما موقف أبي أيوب وأم أيوب، وهي مواقف يتناسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم في حياتهم مثل هذه الفربية، فقد انقطع الوحي، وبقيت الدروس لتكون عبرة وعظة للأجيال إلى أن يirth الله الأرض ومن عليها<sup>(9)</sup>.

(?) هي زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها وهي بنت عمته رضي الله عنها

(?) أحمي سمعي وبصري: أي أمنعهما من العذاب بسبب الكذب.

(?) تسامي: أي تعاليتني وتفاخرني، أي تطاولتني عنده صلى الله عليه وسلم.

(?) ومعنى عصمتها: حفظها ومنعها. (6) الورع: الكف عن المحaram والتحرج منها.

(?) طفت: شرعت.

(?) حمنة بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم وهي اخت زينب رضي الله عنها.

(?) البخاري، كتاب التفسير باب ( **لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ** ) رقم 4750.

(?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 440

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

سادسًا: أهم الآداب والأحكام التي تؤخذ من آيات الإفك:  
أخذ العلماء من الآيات التي نزلت في حادثة الإفك أحكاماً وأدلةً  
من أهمها ما يأتي:

1- تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها من الإفك بقرآن يتلى إلى آخر الزمان، قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عَصَبَةٌ مِّنْكُمْ)** [النور: 11].

2- أن حكمة الله تعالى اقتضت أن يبغى الخير من ثانيا الشر، فقد كان ابتلاء أسرة أبي بكر الصديق بحدث الإفك خيراً لهم، حيث كتب لهم الأجر العظيم على صبرهم وقوتهم إيمانهم، قال تعالى: **(لَا تَخْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)** [النور: 11].

3- الحرص على سمعة المؤمنين، وعلى حسن الظن فيما بينهم، قال تعالى: **(لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ طَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ يَأْتِسْهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ)** [النور: 12].

4- تكذيب القائلين بالإفك، قال تعالى: **(لَوْلَا حَاءُوا عَلَيْهِ يَأْرِبَعَةُ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَاءِ فَأَوْلَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ)** [النور: 13].

5- بيان فضل الله على المؤمنين ورأفته بهم، قال تعالى: **(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)** [النور: 14].

6- وجوب التشكي من الأقوال قبل نشرها، والتأكد من صحتها، قال تعالى: **(وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا كَوْنُ لَنَا أَنْ تَكْلِمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْنَانٌ عَظِيمٌ)** [النور: 16].

7- النهي عن اقتراف مثل هذا الذنب العظيم أو العودة إليه، قال تعالى: **(يَعْطِكُمُ اللَّهُ أَنْ يَغُوِّذُوا لِمَتْهِ أَنَّكُمْ مُّؤْمِنُونَ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)** [النور: 17, 18].

8- النهي عن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، قال تعالى: **(وَإِنَّ الَّذِينَ يُجْنِيُونَ أَنْ تَشْيَعَ الْفَاحشَةُ فِي الدُّنْيَا أَمْتُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)** [النور: 19].

9- بيان فضل الله سبحانه على عباده المؤمنين ورأفته بهم وكرر ذلك تأكيداً له، قال تعالى: **(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَوَّابٌ حَكِيمٌ)** [النور: 20].

10- النهي عن تتبع خطوات الشيطان التي تؤدي للهلاك، قال هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العاشر من رمضان وعيد الفطر 1426

تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبَعُوا حُطُّوَاتِ  
الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعُ حُطُّوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ  
بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ مَا  
رَّكَأَ مِنْكُمْ مِنْ أَخْدَأَتِهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرِكِي مَنْ يَشَاءُ  
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) [النور: 21].

11- الحث على النفقه على الأقرب وان أسعوا<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ( وَلَا يَأْتِلُ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى  
الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْنَقُحُوا إِلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَعْقِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ  
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ) [النور: 22].

12- غيره الله تعالى على عباده المؤمنين الصادقين، ودفاعه عنهم، وتهديده لهم برميهم بالفحشاء بالعن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ  
الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ  
عَذَابٌ أَعَظَّمٌ إِنَّمَا يَتَّهِمُهُمُ الْمُسْتَهْمِمُونَ وَأَيْدِيهِمْ  
وَأَزْرُخُلُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَوْمَهُمْ يُوَفَّهُمُ اللَّهُ  
دِيَنَّهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ) [النور:  
25-23].

**قال صاحب الكشاف عند تفسيره لهذه الآيات:**

ولو قلبت القرآن كله وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله قد غلط في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع، المشحونة بالوعيد الشديد، والعقوبات البليغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ارتكب من ذلك، واستفطاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة، كل واحد منها كاف في يابه، ولو لم ينزل إلا هذه الآيات للثلاث: ( إِنَّ الَّذِينَ  
يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ) إلى قوله: ( هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ) [النور: 23-  
25] لكفى بها حدباءً جعل القذفة معلومنين في الدارين جميعاً، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم يتشهد عليهم بما أفکوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جراءهم الحق الذي هم أهله<sup>(2)</sup>.

13- بيان سنة من سنن الله الجارية في الكون وهي أن الطيبين يجعلهم الله من نصيب الطيبات، والطيبات يجعلهن من نصيب الطيبين، قال تعالى: ( الْحَسَنَاتُ لِلْحَسَنَاتِ وَالْخَيْرَاتُ  
لِلْخَيْرَاتِ وَالطَّيْبَاتُ لِلطَّيْبَاتِ وَالطَّيْبُونَ لِلطَّيْبَاتِ  
أَوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

(?) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (386/1).  
(?) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (386/1) نقاً عن تفسير الكشاف (223/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

(النور: 26).

**14- والناس عندما رُميَت الصديقة بنت الصديق بالإفك كانوا على أربعة أقسام<sup>(1)</sup>:**

قال فضيلة الشيخ عبد القادر شيبة الحمد - عند تعليقه على حديث يتعلّق بقصة الإفك - إن الناس عندما رُميَت الصديقة بنت الصديق بالإفك كانوا أربعة أقسام:

**قسم:** وهو أكثر الناس، حمواً أسماعهم وألسنتهم فسكتوا، ولم ينطقوا إلا بخير ولم يصدقوا ولم يكذبوا، **قسم:** سارع إلى التكذيب، وهم أبو أيوب الانصاري وأم أيوب رضي الله عنهم، فقد وصفوه عند سماعه بأنه إفك وبرؤوا عائشة مما نسب إليها في الحال.

**أما القسم الثالث:** فكانوا جملة من المسلمين لم يصدقوا ولم يكذبوا ولم ينفوه، ولكنهم يتحدثون بما يقول أهل الإفك، وهم يحسبون أن الكلام بذلك أمر هين لا يعرضهم لعقوبة الله؛ لأن ناقل الكفر ليس بكافر، وحاكي الإفك ليس بقاذف، ومن هؤلاء حمنة بنت جحش وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة.

**أما القسم الرابع:** فهم الذين جاءوا بالإفك وعلى رأس هؤلاء عدو الله عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين لعنه الله وهو الذي تولى كبيره.

وقد أشار الله عز وجل إلى فضل القسم الثاني من هذه الأقسام، وأنه كان ينبغي لجميع المسلمين أن يقفوا هذا الموقف، فقال: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ طَرَأَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) [النور: 12].

**أما القسم الثالث:** فقد أشار الله عز وجل إلى أنه ما كان ينبغي لهم أن يتحدثوا بمثل هذا الحديث حيث يقول: (إِذْ تَلَقَّوْهُ يَالسَّيِّنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَبِخَسْوَتِهِمْ هَيْتَا وَهُوَ عَنِّيَ اللَّهُ عَطِيلٌ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قَلِيلٌ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَطِيلٌ) [النور: 15, 16].

وقد أثبت الله عز وجل لأهل هذا القسم فضائلهم التي عملوها حيث أثبت لمسطح هجرته وإيمانه عندما حلف أبو بكر أنه لن ينفق على مسطح ولو يتصدق عليه وهو من ذوي قرابته، فقال عز وجل: (وَلَا يَأْتِلُ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتِيَا أُولَئِي الْفُرَزَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَيَعْفُوا وَلَيَنْصُفُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ)

<sup>1</sup> (? ) انظر: حديث القرآن الكريم (1/387).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**أما القسم الرابع:** وهو جماعة عبد الله بن أبي الذين جاءوا بالإفك واخترعوا هذا الكذب، فقد أشار الله إلى موتهم على الكفر، وأنه لن يقبل منهم توبية، وأنه أنزل عليهم لعنته في الدنيا والآخرة<sup>(1)</sup>، حيث قال: **(إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِنَّمَا يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمُ الْبَيِّنُونَ وَأَنَّدِيهِمْ قَاتِلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَوْمَئِذٍ يُوقِيْهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ)** [النور: 23-25].

**سادعاً: فوائد وأحكام دروس من حادثة الإفك وغزوةبني المصطلق:**

### 1- بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم:

جاءت محنـة الإـفك منطـوية على حـكمة إـلهـيـة استـهدـفت إـبرـاز شخصـيـة النـبـي صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ وـاظـهـارـها صـافـيـة مـمـيـزة عنـ كلـ ما قد يـلـتبـسـ بهاـ، فـلـوـ كـانـ الـوـحـيـ أـمـرـاـ ذاتـيـاـ غـيرـ منـفـصـلـ عنـ شـخـصـيـة الرـسـوـلـ صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ، لـمـ عـاـشـ الرـسـوـلـ صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ تلكـ المـحـنـةـ بـكـلـ أـعـادـهـ شـهـرـاـ كـامـلاـ، وـلـكـنـ الـحـقـيقـةـ التـيـ تـجـلتـ لـلـنـاسـ بـهـذـهـ المـحـنـةـ أـنـ ظـهـرـتـ بـشـرـيـةـ الرـسـوـلـ صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ وـنـبـوـتـهـ، فـعـنـدـمـاـ حـسـمـ الـوـحـيـ الـلـغـطـ الـذـيـ دـارـ حـولـ أـمـ المؤـمـنـينـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ عـادـتـ الـمـيـاهـ إـلـىـ مـجـارـيـهـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ الرـسـوـلـ صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ، وـفـرـحـ الـجـمـعـ بـهـذـهـ النـتـيـجـةـ بـعـدـ تـلـكـ الـمـحـنـةـ الـقـاسـيـةـ، فـدـلـ ذـلـكـ عـلـىـ حـقـيـقـةـ الـوـحـيـ، وـأـنـ الـأـمـرـ لـوـ لـمـ يـكـنـ مـنـ عـنـدـ اللـهـ تـعـالـىـ لـبـقـيـتـ روـاـبـقـ المـحـنـةـ فـيـ نـفـسـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ بـصـفـةـ خـاصـةـ، وـلـاـعـكـسـ ذـلـكـ عـلـىـ تـصـرـفـاتـهـ مـعـ زـوـجـتـهـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ، وـهـكـذـاـ شـاءـ اللـهـ أـنـ تـكـوـنـ هـذـهـ المـحـنـةـ دـلـيـلـاـ كـبـيـراـ عـلـىـ نـبـوـةـ محمدـ صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ<sup>(2)</sup>.

### 2- حد القذف وأهميته في المحافظة على أعراض المسلمين:

كان المجتمع الإسلامي يتربى من خلال الأحداث، فعندما وقعت حادثة الإـفكـ أـرـادـ المـوـلـىـ عـزـ وـجـلــ أنـ يـشـرـعـ بـعـضـ الـأـحـكـامـ الـتـيـ تـسـاـهـمـ فـيـ الـمـحـافظـةـ عـلـىـ أـعـرـاضـ الـمـؤـمـنـينـ، وـلـذـلـكـ نـزـلـتـ سـوـرـةـ النـورـ، الـتـيـ تـحـدـثـتـ عـنـ حـكـمـ الزـانـيـ وـالـزـانـيـةـ وـعـنـ قـيـحـ فـاحـشـةـ الزـنـاـ، وـعـمـاـ يـجـبـ عـلـىـ الـحـاـكـمـ أـنـ يـفـعـلـهـ إـذـاـ مـاـ رـمـىـ أـحـدـ الـزـوـجـيـنـ صـاحـبـهـ، وـعـنـ الـعـقـوبـةـ الـتـيـ أـوـجـبـهـ اللـهـ عـلـىـ الـذـيـنـ يـرـمـونـ الـمـحـصـنـاتـ ثـمـ لـمـ

<sup>1</sup> (?) انظر: فقه الإسلام، شرح بلوغ المرام، لفضيلة الشيخ عبد القادر شيبة الحمد (9/5).

<sup>2</sup> (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 441.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

يأتوا بأربعة شهاء إلى غير ذلك من الأحكام<sup>(1)</sup>.

إن الإسلام حرم الزنا، وأوجب العقوبة على فاعله، فقد حرم أيضًا كل الأسباب المسببة له، وكل الطرق الموصولة إليه، ومنها إشاعة الفاحشة والقذف بها لتنزيه المجتمع من أن تسرى فيه الفاطمة الفاحشة والحديث عنها؛ لأن كثرة الحديث عن فاحشة الزنا وسهوه قوله في كل وقت يهون أمرها لدى ساميها، ويحرى ضعفاء النفوس على ارتگابها، لهذا حرم الشريعة الإسلامية القذف بالزنا، وأوجب على من قذف عفيفاً أو عفيفة، طاهراً أو طاهرة، بريئاً أو بريئة من الزنا حد القذف وهو الحلد ثمانيين جلدة وعدم قبول شهادته إلا بعد توبته توبة صادقة نصوحاً<sup>(2)</sup>.

هذا وقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حد القذف على مسطح وحسان وحمنة، وروى محمد بن إسحاق وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم حلد في الإفك رجلين وامرأة: مسطحاً وحساناً وحمنة، وذكره الترمذى<sup>(3)</sup> قال القرطبي: والمشهور من الأخبار والمعلوم عند العلماء أن الذي حُد حسان ومسطح وحمنة، ولم يسمع بحد عبد الله بن أبي<sup>(4)</sup>. وقد وردت آثار ضعيفة تدل على أن عبد الله بن أبي أقيم عليه الحد، ولكنها كلها ضعيفة لا تقوم بها حجة<sup>(5)</sup>.

**وقد ذكر ابن القيم وجه الحكمة في عدم حد عبد الله بن أبي فقال:**

**أ-** قيل: لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفاره، والخبيث ليس أهلاً لذلك، وقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة ويكفيه عن الحد.

**ب-** وقيل: كان يستوشى الحديث ويجمعه ويحكىه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه.

**ج-** وقيل: الحد لا يثبت إلا ببينة أو إقرار وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد، فإنه كان يذكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه، ولم يكن يذكره بين المؤمنين.

**د-** وقيل: بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته عليه، كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتکلمه بما يوجب قتله مراراً، وهي تأليف قومه وعدم تنفيتهم من الإسلام.

ثم قال في ختام كلامه ولعله ترك لهذه الوجوه كلها<sup>(6)</sup>.

1

2

3

4

5

6

).

(?) انظر: حديث القرآن الكريم (1/357).

(?) انظر: آثار تطبيق الشريعة، د. محمد الزاحم، ص 117.

(?) انظر: تفسير القرطبي (12/197).

(?) نفس المصدر (12/201). (4) انظر: مرويات غزوة بنى المصطلق، ص 242.

(?) انظر: زاد المعاد (3/263، 264). (6) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/263).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

### 3- اعتذار حسان للسيدة عائشة رضي الله عنها:

قد بينت الروايات أنَّ مَنْ خاصَ في الإِلْكَ قَدْ تَابَ مَا عَدَا إِبْنَ أَبِيٍّ، وقد اعتذر حسان عما كان منه، وقَالَ يمدح عائشة بما هي أهْلُ لَه<sup>(1)</sup>:  
 رأيتُكَ ولِيغُفرُ لكَ اللَّهُ حَرَةٌ  
 حسان رزان ما تزن برببة  
 وإنَّ الَّذِي قدْ قيلَ لِيَسْ بِلَاْئِقٌ  
 فإنَّ كُنْتَ أَهْجُوكُمْ كَمَا بَلَغُوكُمْ  
 فَكَيْفَ وَوْدِيَ مَا حَيَيْتَ  
 وإنَّ لَهُمْ عَزَّاً يَرِيَ النَّاسَ دُونَهُ

وَتَصْبِحُ غَرْثِيَّ مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ  
 بَكَ الدَّهْرِ بَلْ قَيْلَ امْرَئٌ مُتَنَاحِلٌ  
 فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِيَ إِلَيَّ أَنَامِلِيَّ  
 لَأَلَّا رَسُولُ اللَّهِ زَيْنُ الْمُحَافِلِ  
 قَصَارًاً، وَطَالَ العَزُّ كُلَّ التَّطاوِلِ<sup>(2)</sup>

### 4- من الأحكام المستنبطة من غزوة بنى المصطلق:

جواز الإغارة على من بلغتهم دعوة الإسلام دون إنذار، ومنها صحة جعل العتق صداقاً كما فعل صلى الله عليه وسلم مع حورية بنت الحارث في هذه الغزوة، ومنها مشروعيَّة القرعة بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن، ومنها جواز استرقاق العرب كما حدث في الغزوة وهو قول جمهور العلماء<sup>(3)</sup>، وقد أجمع العلماء قاطبة على أن من سب عائشة رضي الله عنها بعد براءتها برأءة قطعية بنص القرآن ورمها بما اتهمت به فإنه كافر؛ لأنَّه معاند للقرآن<sup>(4)</sup>. ومن الأحكام التي عرفت في هذه الغزوة حكم العزل عن النساء حيث سأله الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم عنه فاذن به وقال: «ما عليكم ألا تفعلوا، ما من نسمة كائنَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَهِيَ كَائِنَةٌ»<sup>(5)</sup>. فذهب الجمهور إلى جواز العزل عن الزوجة الحرَة بِإِذْنِهَا<sup>(6)</sup>، ونزلت آية التيمم في هذه الغزوة، تنويعاً بشأن الصلاة، وتنبيئاً على عظيم شأنها، وأنَّه لا يحول دون أدائها فقد الماء، وهو وسيلة الطهارة التي هي أعظم شروطها، كما لا يحول الخوف وفقد الأمان من إقامتها<sup>(7)</sup>.

\* \* \*

(?) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، المغاربي، ص 281.

2

3

(?) انظر: كتاب الأم للشافعي (186/4).

4

(?) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (5/643).

5

(?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (2/415).

6

(?) انظر: نيل الأوطار للشوكاني (224-6/222).

7

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

# الفصل الحادي عشر غزوة الأحزاب 5هـ

## المبحث الأول تاريخ الغزوة، وأسبابها، وأحداثها

أولاً: تاريخ الغزوة وأسبابها:

### 1- تاريخ الغزوة:

ذهب جمهور أهل السير والمغازي إلى أن غزوة الأحزاب كانت في شهر شوال من السنة الخامسة<sup>(1)</sup>، وقال الواقدي<sup>(2)</sup>: إنها وقعت في يوم الثلاثاء الثامن من ذي القعدة في العام الخامس الهجري، وقال ابن سعد<sup>(3)</sup>: إن الله أستحب لدعاء الرسول فهزم الأحزاب يوم الأربعاء من شهر ذي القعدة سنة خمس من مهاجره **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ونقل عن الزهرى، ومالك بن أنس، وموسى بن عقبة، أنها وقعت سنة أربع هجرية<sup>(4)</sup>.

ويرى العلماء أن القائلين بأنها وقعت سنة أربع كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة، ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول، وهو مخالف لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة<sup>(5)</sup> وجزم ابن حزم<sup>(6)</sup> أنها وقعت سنة أربع لقول ابن عمر إن **رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رده يوم أحد - وهي في السنة الثالثة باتفاق - وهو ابن أربع عشر سنة<sup>(7)</sup>، ولكن البيهقي<sup>(8)</sup>، وابن حجر<sup>(9)</sup>، وغيرهما فسروا ذلك بان ابن عمر كان يوم أحد في بداية الرابعة عشرة و يوم الخندق في نهاية الخامسة عشرة وهو الموفق لقول الجمهور<sup>(10)</sup>.

وإلى ما ذهب إليه الجمهور وهو الراجح لدى مال ابن القيم حيث قال: وكانت سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين، إذ لا خلاف أن أحداً كانت في شوال سنة ثلاث، وواعد المشركون رسول

- 1. (?). انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 443.
- 2. (?). انظر: المغازي (2/440) بدون إسناد.
- 3. (?). الطبقات (2/65)، (73) ياسناد متصل.
- 4. (?). انظر: البداية والنهاية (4/105).
- 5. (?). انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 443.
- 6. (?). انظر: جوامع السيرة، ص 185.
- 7. (?). انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 444.
- 8. (?). انظر: دلائل النبوة للبيهقي (3/396).
- 9. (?). انظر: الفتح (3/396).
- 10. (?). انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 444.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

212

الله صلى الله عليه وسلم في العام الم قبل وهو سنة أربع، ثم أخلفوه من أجل جدب تلك السنة، فرجعوا فلما كانت سنة خمس جاءوا لحربه<sup>(1)</sup>.

## 2- أسبابها:

إن يهودبني النصير بعد أن خرجموا من المدينة إلى خير خرجوا وهم يحملون معهم أحقادهم على المسلمين، فما أن استقرروا بخير حتى أخذوا يرسمون الخطط للانتقام من المسلمين، فاتفق كل متهم على التوجه إلى القبائل العربية المختلفة لتحريضها على حرب المسلمين، وكثروا لهذا الغرض الخبيث وفداً يتكون من سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكناة بن الربيع بن أبي الحقيق وهو دة بن قيس الوائلي وأبي عمار<sup>(2)</sup>.

وقد نجح الوفد نجاحاً كبيراً في مهمته، حيث وافقت قريش التي شعرت بمرارة الحصار الاقتصادي المضروب عليها من قبل المسلمين، ووافقت غطفان طمعاً في خيرات المدينة وفي السلب والنهب وتابعتهم قبائل أخرى.

وقد قال وفد اليهود لمشركي مكة: إن دينكم خير من دين محمد، وأنتم أولئك بالحق منه<sup>(3)</sup>، وعن ذلك يقول الله تعالى: (إِنَّمَا هُنَّ إِلَى الدِّينِ أُولَئِكَ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ بِؤْمِنُونَ بِالْجِنْسِ وَالْمَطَاعُوتِ وَبَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُوَلَاءِ أَهْمَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَيِّلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنْهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيبًا) [ النساء: 51، 52].

وحول هذه المقالة أشار الأستاذ ولفسون إلى الخطأ الكبير الذي وقع فيه هؤلاء اليهود بتفضيلهم دين قريش الوثنى على دين الإسلام الذي يدعى إلى عبادة الإله الواحد، فقال: (والذي يؤلم كل مؤمن بإله واحد من اليهود والمسلمين على السواء، إنما هو تلك المحادثة التي جرت بين نفر من اليهود وبين قريش الوثنين، حيث فضل هؤلاء النفر من اليهود أدياناً قريش على دين صاحب الرسالة الإسلامية)<sup>(4)</sup>، ولا ريب فإن قريشاً قد سرت بما سمعت من مدح لديها، فازدادت حماساً، وأصبحت أكثر تصميماً على حرب المسلمين، ثم أعلنت موافقتها على هذه الدعوة والاشتراك في الحملة التي ستهاجم المدينة، وضررت لها موعداً<sup>(5)</sup>.

وقد أبرم الوفد اليهودي مع زعماء أعراب غطفان اتفاقية الاتحاد العربي الوثني اليهودي العسكري ضد المسلمين، وكان أهم بنود هذا

<sup>1</sup> (؟) انظر: زاد المعاد (2/288).  
<sup>2</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/237).

<sup>3</sup> (؟) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، د. علي معطي، ص 310.  
<sup>4</sup> (؟) انظر: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ولفسون، ص 142.

<sup>5</sup> (؟) انظر: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ولفسون، ص 310.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

- أ- أن تكون قوة غطfan في جيش الاتحاد هذا ستة آلاف مقاتل.  
 بـ- أن يدفع اليهود لقبائل غطfan (مقابل ذلك) كل تمر خير لسنة واحدة<sup>(1)</sup>.

لقد استطاع وفد اليهود أن يرجع من رحلته إلى المدينة، ومعه عشرة آلاف مقاتل؛ أربعة آلاف من قريش وأحلافها، وستة آلاف من غطfan وأحلافها، وقد نزلت تلك الأعداد الهائلة بالقرب من المدينة.

### ثانياً: متابعة المسلمين للأحزاب:

كان جهاز أمن الدولة الإسلامية على حذر تام من أعدائه؛ لذا فقد كان يتتبع أخبار الأحزاب، ويرصد تحركاتهم، ويتبع حركة الوفد اليهودي منذ خرج من خير في اتجاه مكة، وكان على علم تام بكل ما يجري بين الوفد اليهودي وبين قريش أولاً، ثم غطfan ثانياً، وبمجرد حصول المدينة على هذه المعلومات عن العدو شرع الرسول صلى الله عليه وسلم في اتخاذ الإجراءات الدفاعية الازمة، ودعا إلى اجتماع عاجل حضره كبار قادة جيش المسلمين من المهاجرين والأنصار، بحث فيه معهم هذا الموقف الخطير الناجم عن مساعي اليهود الخبيثة<sup>(2)</sup>.

فأدلى سليمان الفارسي برأيه الذي يتضمن حفر خندق كبير لصد عدوan الأحزاب، فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، قال الواقدي -رحمه الله-: فقال سليمان: يا رسول الله، إنا إذا كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل، خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن تخندق؟ فاعجب رأي سليمان المسلمين<sup>(3)</sup>.

وعندما استقر الرأي -بعد المشاورات- على حفر الخندق، ذهب النبي صلى الله عليه وسلم هو وبعض أصحابه لتحديد مكانه واختار للمسلمين مكاناً توافر فيه الحماية للجيش.

فقد ذكر الواقدي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فرساً له ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار، فارتاد موضعًا ينزله، فكان أعجب المنازل إليه أن يجعل سلعاً خلف ظهره ويخندق من المذاد إلى ذباب<sup>(4)</sup> إلى راتج<sup>(5)</sup>، وقد استفاد صلى الله عليه وسلم من مناعة جبل سلع<sup>(6)</sup> في حماية ظهور الصحابة.

كان اختيار تلك المواقع موفقاً لأن شمال المدينة هو الجانب المكشوف أمام العدو والذي يستطيع منه دخول المدينة وتهديها، أما

1 (؟) انظر: غزوة الأحزاب، محمد احمد باشميل، ص 141.  
 2 (؟) المصدر نفسه، ص 144، 145.

3 (؟) انظر: مغاري الواقدي (2/444)، والطبقات الكبرى (2/66).

4 (؟) ذباب: أكمة صغيرة في المدينة يفصل بينها وبين جبل سلع ثنية الوداع.

5 (؟) راتج: حصن من حصون المدينة لإناس من اليهود.

6 (؟) جبل سلع: هو أشهر جبال المدينة، انظر: معجم البلدان (3/236).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الجوانب الأخرى فهي حصينة منيعة، تقف عقبة أمام أي هجوم يقوم به الأعداء، فكانت الدور من ناحية الجنوب متلاصقة عالية كالسور المنبع، وكانت حرة واقم<sup>(1)</sup> من جهة الشرق، وحررة الوبرة من جهة الغرب، تقومان كحصن طبيعي، وكانت اطامبني بني قريطة في الجنوب الشرقي كفيلة بتامين ظهر المسلمين، وكان بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبني قريطة عهد ألا يمأثوروا عليه أحداً، ولا ينادروا عدواً صده<sup>(2)</sup>.

ويستفاد من بحث الرسول صلى الله عليه وسلم عن مكان ملائم لنزول الجندي أهمية الموقع الذي ينزل فيه الجندي، وأنه ينبغي أن يتوافر فيه شرط أساسى وهو الحماية التامة للجندي؛ لأن ذلك له أثر واضح على سير المعركة ونتائجها<sup>(3)</sup>.

لقد كانت خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في الخندق متطورة، ومتقدمة، حيث شيع بالأخذ بالأساليب الجديدة في القتال، ولم يكن حفر الخندق من الأمور المعروفة لدى العرب في حروبهم، بل كان الأخذ بهذا الأسلوب غريباً عنهم، وبهذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من استعمل الخندق في الحروب في تاريخ العرب والمسلمين، فقد كان هذا الخندق مفاجأة مذهلة للأعداء الإسلام، وأبطل خطتهم التي رسموها، وكان من عوامل تحقيق هذه المفاجأة ما قام به المسلمون من إتقان رفع لسرية الخطة وسرعة إنجازها، وكان هذا الأسلوب الجديد في القتال له أثر في إضعاف معنويات الأحزاب وتشتيت قواتهم.

### ثالثاً: اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالجبهة الداخلية:

1- لما علم النبي صلى الله عليه وسلم بقدوم جيش الأحزاب وأراد الخروج إلى الخندق أمر بوضع ذراري المسلمين ونسائهم وصبيانهم في حصن بيبي حارثة، حتى يكونوا في مأمن من خطر الأعداء، وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم لأن حماية الذراري والنساء والصبيان لها أثر فعال على معنويات المقاتلين؛ لأن الجندي إذا اطمأن على زوجه وأبنائه يكون مرتاح الضمير هادئ الأعصاب، فلا يشغل تفكيره أمر من أمور الحياة، يسخر كل إمكاناته وقدراته العقلية والجسدية للإبداع في القتال، أما إذا كان الأمر يعكس ذلك فإن أمر الجندي يضطرب ومعنوياته تضعف ويستولى عليه القلق، مما يكون له أثر في تراجعه عن القتال؛ وبذلك تنزل الكارثة بالجميع<sup>(4)</sup>.

1 (؟) هي حرة المدينة الشرقية: انظر: معجم معالم الحجاز (283/2).

2 (؟) انظر: العبرية العسكرية في غزوات الرسول، ص 442.

3 (؟) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 426.

4 (؟) انظر: غزوة الأحزاب، د. محمد عبد القادر أبو فارس، ص 98.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

**2- ومن الأمور التي ساهمت في تقوية وتماسك الجبهة الداخلية**  
**مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم جنده أعباء العمل، فقد شارك**  
**الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة في العمل المضني، فأخذ**  
**يعمل بيده الشريفة، في حفر الخندق، فعن ابن إسحاق قال: سمعت**  
**البراء يحدث قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلى الله**  
**عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة**  
**بطنه، وكان كثير الشعر<sup>(1)</sup>.**

عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصحابة بهمة عالية لا  
 تعرف الكلل، فاعطى القدوة الحسنة لاصحابه حتى بذلوا ما في  
 وسعهم لإنجاز حفر ذلك الخندق.

**3- وكان صلى الله عليه وسلم يشارك الصحابة -رضي الله عنهم-**  
 في الاممهم وأمامهم، بل كان يستأثر بالمصابع الجمة دونهم، ففي  
 غزوة الأحزاب نجد أنه صلى الله عليه وسلم كان يعاني من ألم الجوع  
 كغيره، بل أشد، حيث وصل به الأمر إلى أن يربط حجرًا على بطنه  
 الشرييف من شدة الجوع<sup>(2)</sup>، ثم إنّه صلى الله عليه وسلم شاركهم في  
 أمالهم فحين وجد ما يسد رمقه بعد هذا الجوع الذي استمر ثلاثة أيام  
 يستأثر بذلك دونهم، وهذا ما سوف نعرفه بإذن الله عند الحديث عن  
 وليمة جابر بن عبد الله<sup>هـ</sup>.

**4- رفع معنويات الجنود وإدخال السرور عليهم: اقترن حفر**  
 الخندق بصعوبات جمة، فقد كان الجو بارداً، والريح شديدة والحالة  
 المعيشية صعبة، بالإضافة إلى الخوف من قدوم العدو الذي يتوقعونه  
 في كل لحظة، ويضاف إلى ذلك العمل المضني، حيث كان الصحابة  
 يحفرون بأيديهم وينقلون التراب على ظهورهم، ولا شك في أن هذا  
 الطرف بطبع الحال يحتاج إلى قدر كبير من الحزم والجد، ولكن  
 النبي صلى الله عليه وسلم لم ينسَ في هذا الطرف أن هؤلاء الجندي  
 إنما هم بشر كغيرهم، لهم نفسوس بحاجة إلى الراحة من عناء العمل،  
 كما أنها بحاجة إلى من يدخل السرور حتى تنسى تلك الآلام التي  
 تعانيها فوق معاشرة العمل الرئيسي. ولهذا نجد أن النبي صلى الله  
 عليه وسلم كان يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب:  
 اللهم لولا الله ما اهتدينا  
 ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا وإن أرادوا فتننا أبينا	إن الأعدادي قد بغوا علينا
--	---------------------------

<sup>1</sup> (? ) انظر: البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب، (5/57) رقم 4106.

<sup>2</sup> (? ) انظر: غزوة الأحزاب، د. محمد أبو فارس، ص 116، 117.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ثم يمد صوته بآخرها<sup>(3)</sup>.  
وعن أنس ـ أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون يوم الخندق:  
على الإسلام ما بقينا أبداً  
نحن الذين بايعوا محمدًا

فاغفر للأنصار والمهاجرة<sup>(2)</sup>

أو قال على الجهاد والنبي يقول:  
اللهم إن الخير خير الآخرة

لقد كان لهذا التبسيط والمرح في ذلك الوقت أثره في التخفيف عن الصحابة مما يعانونه نتيجة للظروف الصعبة التي يعيشونها، كما كان له أثره في بعث الهمة والنشاط بإجاز العمل الذي كلفوا بإتمامه، قبل وصول عدوهم<sup>(3)</sup>.

**5- تقدير ظروف الجند والإذن بالانصراف عند الحاجة:** كان الصحابة رضي الله عنهم على قدر كبير من الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا يستاذونه في الانصراف إذا عرضت لهم ضرورة، فيذهبون لقضاء حوائجهم، ثم يرجعون إلى ما كانوا فيه من العمل، رغبة في الخير واحتساباً له، فائزلا الله فيهم: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذْلَّ كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَفْرِ حَاجِمٍ لَمْ يَذْهُبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكُمْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ سُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكُمْ لَتَعْصِمُ شَأْنَهُمْ فَإِذَا لَمْنَ شَيْتُ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ) [النور: 62].

ومعنى الآية الكريمة: إذا استاذنك يا محمد الذين لا يذهبون عنك إلا بإذنك في هذه المواطن لقضاء بعض حاجاتهم التي تعرض لهم فإذا ذُنِّ لمن شئت منهم في الانصراف عنك لقضائهم، واستغفر لهم<sup>(4)</sup>، فكان النبي صلى الله عليه وسلم بالخيار، إن شاء ذُنِّ له إذا رأى ذلك ضرورة للمستاذن، ولم ير فيه مضره على الجماعة، فكان ياذن أو يمنع حسب ما تقتضيه المصلحة ويفقديه مقام الحال<sup>(5)</sup>.

**6- تقسيم الصحابة إلى دوريات للحراسة:** قسم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى مجموعات للحراسة ومقاومة كل من يريد أن يخترق الخندق، وقام المسلمون بواجبهم في حراسة الخندق وحراسة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وأستطاعوا أن يصدوا كل هجوم حاول المشركون شنه، وكانوا على أبهة الاستعداد جنوداً وقيادة، حتى أنهم

(?) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (5/57) رقم 4106.  
(?) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب (3/1432) رقم 129.  
(?) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 482.  
(?) انظر: صفوة التفاسير للصابوني (2/351).  
(?) أحكام القرآن لابن العربي (3/1410).

استمروا ذات يوم من السحر إلى جوف من الليل في اليوم الثاني، ويفوت المسلمين الصلوات الأربع، ويقصونها لعجزهم عن التوقف لحظة واحدة أثناء الاشتباك المباشر للقتال، واستطاع علي بن أبي طالب مع مجموعة من الصحابة أن يصدوا محاولة عكرمة ابن أبي جهل، بل تصدى علي لبطل قريش عمرو بن عبد ود وقتلته<sup>(1)</sup>، وكانت هناك مجموعة من الأنصار تقوم بحراسة النبي صلى الله عليه وسلم في كل ليلة على رأسهم عباد بن بشر، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو القائد الأعلى وهو المشرف المباشر على إدارة المعركة فهو الذي يرسم الخطط ويراقب تنفيذها فهو الذي:

**أ-** أمر بحفر الخندق بعد أن تمت المشاورة في ذلك، فاختار مكاناً مناسباً لذلك، وهي السهول الواقعة شمال المدينة، إذ كانت هي الجهة الوحيدة المكشوفة أمام الأعداء.

**ب-** قسم أعمال حفر الخندق بين الصحابة، كل أربعين ذراعاً لعشرة من الصحابة، ووكل بكل جانب جماعة يحفرون فيه.

**ج-** سيطر صلى الله عليه وسلم على العمل، فلا يستطيع أحد ترك عمله إلا بإذن منه صلى الله عليه وسلم.

**د-** قسم صلى الله عليه وسلم واجبات احتلال الموضوع بنفسه، بحيث تستمر الحراسة على كل شبر من الخندق ليلاً ونهاراً، ثم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقوم بمهمة الإشراف العام على الجندي بتشجيعهم ورفع معنوياتهم.

**ه-** استطاع صلى الله عليه وسلم لما يتمتع به من حنكة وبراعة سياسية مستمدة من شخصيته النبوية أن يمسك بزمام الأمور، وينفذ المؤمنين من الموقف الحرج الذي حدث لهم عندما وصلت الأحزاب إلى المدينة، وأصبح الخطر يهدد المدينة وما حولها<sup>(2)</sup>، فقد توحدت قيادة المسلمين تحت زعامته صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك من أسباب كسب المعركة والفوز بها.

\* \* \*

<sup>1</sup> (؟) انظر: فقه السيرة لمثير الغضبان، ص 504.

<sup>2</sup> (؟) انظر: القيادة العسكرية في عصر الرسول، ص 11.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

## المبحث الثاني

### اشتداد المحنـة بالـمـسـلـمـين

مع أن المسلمين أخذوا بكل الاحتياطات في تأمين حيواتهم الداخلية، ومحاولة الدفاع عن الإسلام والمدينة من جيش الأحزاب الزاحف، إلا أن سنة الله الماضية لا نصر إلا بعد شدة، ولا منحة إلا بعد محنـة، وكلما اقترب النصر زاد البلاء والامتحان، وقد ازدادت محنـة المسلمين في الخندق لأمور:

**أولاً: نقض اليهود من بني قريطة العهد ومحاولة ضرب المسلمين من الخلف:**

كان المسلمون يخشون غدر يهود ببني قريطة الذين يسكنون في جنوب المدينة فيقع المسلمون حينئذ بين نارين، اليهود خلف خطوطهم، والأحزاب بأعدادهم الهائلة من أمامهم، ونجح اليهودي زعيم بني النضير في استدراج كعب بن أسد زعيم بني قريطة لينضم مع الأحزاب لمحاربة المسلمين.

وسرت الشائعات بين المسلمين بأن قريطة قد نقضت عهدها معهم، وكان الرسول **صلى الله عليه وسلم** يخشي أن تنقض بني قريطة العهد الذي بينهم وبينه؛ لأن اليهود قوم لا عهد لهم ولا ذمة، ولذلك انتدب النبي **صلى الله عليه وسلم** الزبير بن العوام (رجل المهمات الصعبة) ليأتيه من أخبارهم فذهب الزبير، فنظر ثم رجع فقال: يا رسول الله: رأيتمهم يصلحون حصونهم ويدربون<sup>(1)</sup> طرقهم، وقد جمعوا ما شيتهم<sup>(2)</sup>. وبعد أن كثرت القرائن الدالة على نقض بني قريطة للعهد، أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبیر -رضي الله عنهم- وقال لهم: انطلقوا حتى تنتظروا حق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقا فالحنوا لي لحقا<sup>(3)</sup> أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس<sup>(4)</sup>. فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم قد نقضوا العهد، فرجعوا فسلموا على النبي **صلى الله عليه وسلم** وقالوا: عضل والقارة<sup>(5)</sup>، فعرف النبي **صلى الله عليه وسلم** مرادهم<sup>(6)</sup>.

واستقبل النبي **صلى الله عليه وسلم** غدر بني قريطة بالثبات والحزم واستخدام كل الوسائل التي من شأنها أن تقوى روح

1

2

3

4

5

6

(?) يدربون طرقهم: يسهّلون طرقهم من أجل البسيط إلى المسلمين.

(?) انظر: مغازي الواقدي (2/457). (3) لحنا: أي كلام لا يفهمه أحد سواي.

(?) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (3/199).

(?) قبيلتان من هذيل سبق منها الغدر باصحاب النبي **صلى الله عليه وسلم** في ذات الربيع.

(?) انظر: البداية والنهاية (4/95).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

المؤمنين وتصدع جبهات المع狄ين، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت نفسه (سلمة بن أسلم) في مائة رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثة رجال، بحرسون المدينة، وبظهور التكبير ليرهبا بنى قريطة، وفي هذه الأثناء استعدت بنو قريطة للمشاركة مع الأحزاب، فأرسلت إلى جيوشها عشرين بعيراً كانت محملة تمراً، وشعراً، وتبلاً لتمدهم بها وتقويهم على البقاء إلا أنها أصبحت غنيمة للMuslimين الذين استطاعوا مصادرتها وأتوا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: تشديد الحصار على المسلمين وانسحاب المنافقين ونشرهم الراجيف:

زادت جيوش الأحزاب في تشديد الحصار على المسلمين بعد انضمام بنى قريطة إليها، واحتدم الصراع على المسلمين، وتازم الموقف، وقد تحدث القرآن الكريم عن حالة الحرج والتدھور التي أصابت المسلمين ووصف ما وصل إليه المسلمين من جزع وخوف، وفرز في تلك المحنـة الرهيبة أصدق وصف، حيث قال تعالى: **(إذْ خَأْ وَكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَكُمْ مِّنْكُمْ وَإِذْ رَأَيْتَ الْأَنْصَارَ وَلَمَّا تَلَقَّبَ الْقُلُوبُ الْخَنَاجَرَ وَتَطَلَّبُونَ يَاللهِ الطَّلْبُونَا هُنَالِكَ ائْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَرُلَّرُوا زَلَّرُوا شَدِيدًا )** [الأحزاب: 11، 10].

وكان ظن المسلمين بالله قوياً، وقد سجله القرآن الكريم بقوله تعالى: **(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْرَابَ قَالُوا هَذَا هَمَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا رَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا )** [الأحزاب: 22].

ومما المنافقون فقد انسحبوا من الجيش، وزاد خوفهم حتى قال معتب بن قشير أخوبني عمرو بن عوف: كان محمد يعذنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يامن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وطلب البعض الآخر الإذن لهم بالرجوع إلى بيوتهم بحجة أنها عورة، فقد كان موقفهم يتسم بالجبن والإرجاف وتخذيل المؤمنين، وقد وردت روايات ضعيفة تحكي أقوالهم في السخرية والإجحاف والتخيذل<sup>(2)</sup>، ولكن القرآن الكريم يتكلف بتصوير ذلك أدق تصوير<sup>(3)</sup>، وللآيات هي: **(وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَأْهُلُ بَثْرَبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَازْجَعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ التَّيَّارَ يَقُولُونَ إِنْ يُؤْتَنَا عَوْرَةً وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ تُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا هُنَالِكُ دُخَلْتُ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُلِّلُوا الْغُنْتَةَ لَأَتُوْهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا سَيِّرًا هُنَالِكُ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلِنُونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْوُلًا هُنَالِكُ قُلْ لَنْ يَنْفَعُكُمْ**

1 (3) انظر: السيرة الحلبية (2/323).

2

3 (؟) انظر: المعجم الكبير للطبراني (11/376) مجمع الزوائد (6/131).

(؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/424).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**الْفَرَّارُ إِنْ فَرَزْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا يُمْتَعِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُلْ مَنِهِ ۚ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحْدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَا وَلَا نَصِيرًا ۝ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوْقِبَينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لَا حَوْانِبَمْ هَلَمَ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ أَشَحَّ عَلَيْنَكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْحَوْفَ وَأَنْتُمْ بَنْطَرُونَ إِلَيْكَ تَدْوَرُ أَعْنَتُهُمْ كَمَلَذِي يُعْشِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا دَهَبَ الْحَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّيْسَيَّةِ حَدَادَ أَشَحَّ عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ سَيِّرًا ۝ يَخْسِيُونَ الْأَخْرَابَ لَمْ يَدْهُبُوا وَإِنْ يَأْتُمْ بَادُونَ فِي الْأَغْرِبَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْتَنَكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيْكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۝** [الأحزاب: 20-13].

إن الآيات السابقة أشارت إلى النفاق وما تولد عنه من القلق في النفوس، والجبن في القلوب، وانعدام الثقة بالله عند تعاطم الخطوب والجرأة على الله تعالى بدل اللجوء إليه عند الامتحان، ولا يقف الأمر عند الاعتقاد بل يتبعه العمل المخذل المرجف، فهم يستاذنون الرسول صلى الله عليه وسلم للانصراف عن ميدان العمل، والقتال بحجج واهية؛ زاعمين أن بيوتهم مكشوفة للأعداء، وإنما يقصدون الفرار من الموت لضعف معتقدهم وللخوف المسيطر عليهم، بل ويبحثون الآخرين على ترك موقعهم والرجوع إلى بيوتهم، ولم يراعوا عقد الإيمان وعهود الإسلام<sup>(1)</sup>.

وتزايدت محاولات المشركين لاقتحام الخندق، وأصبحت خيل المشركين تطوف بأعداد كبيرة كل ليلة حول الخندق حتى الصباح، وحاول خالد بن الوليد مع مجموعة من فرسان قريش أن يقتحم الخندق على المسلمين في ناحية ضيق منه، وبأخذهم على حين غرة، لكن أسيد بن حضير في مائتين من الصحابة يرافقون تحركتهم، وقد حصلت مناورات استشهد فيها الطفيلي بن النعمان والذي قتله وحشى قاتل حمزة يوم أحد، رماه بحرية عبر الخندق فاصابت منه مقتلاً<sup>(2)</sup>، واستطاع حبان بن العرقة من المشركين أن يرمي سهماً أصاب سعد بن معاذ في أكحله<sup>(3)</sup>، وقال: خذها وأنا بن العرقة، وقد قال سعد بن معاذ عندما أصيب: اللهم إن كنت أقيمت من حرب قريش شيئاً فابقني لها، فإنه لا قوم أحب إليَّ أن أجاهدهم من قوم أذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فأاجعلها شهادة، ولا تمني حتى تقر عيني منبني قريطة<sup>(4)</sup>. وقد استجاب الله دعوة هذا العبد الصالح وهو الذي سيحكم فيهم، ثم

1 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/425).

2 (?) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (2/424).

3 (?) الأكحل: عرق في وسط الذراع في كل عضو منه شعبية إذا قطع لم يرقأ الدم.

4 (?) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود (3/1389) رقم 1769.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

وجه المشركون كتبية غليظة نحو مقر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتلهم المسلمون يوماً إلى الليل، فلما حانت صلاة العصر دنت كتبية، فلم يقدر النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا، وشغل بهم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصل العصر، ولم تصرف الكتبية إلا مع الليل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَيْوْتَهُمْ وَقَبُورَهُمْ نَارًا، كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوَسْطَىِ حَتَّىٰ غَابَتِ الشَّمْسُ»<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: محاولة النبي صلى الله عليه وسلم تخفيف حدة الحصار بعد صلح مع غطفان وبث الإشاعات في صفوف الأعداء:

#### ١- سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في المفاوضات مع غطفان:

ظهرت حنكته صلى الله عليه وسلم وحسن سياسته حين اختار قبيلة غطفان بالذات لمصالحتها على مال يدفعه إليها على أن تترك محاربتها وترجع إلى بلادها، فهو يعلم صلى الله عليه وسلم أن غطفان وقادتها ليس لهم من وراء الاشتراك في هذا الغزو أي هدف سياسي يريدون تحقيقه، أو باعث عقائدي يقاتلون تحت رايته، وإنما كان هدفهم الأول والأخير من الاشتراك في هذا الغزو الكبير هو الحصول على المال بالاستيلاء عليه من خيرات المدينة عند احتلالها؛ ولهذا لم يحاول الرسول صلى الله عليه وسلم الاتصال بقيادة الأحزاب من اليهود (كحبي بن أخطب، وكناة بن الربع) أو قادة قريش كأبي سفيان بن حرب، لأن هدف أولئك السياسي، لم يكن المال، وإنما كان هدفهم هدفاً سياسياً وعقائدياً يتوقف تحقيقه والوصول إليه على هدم الكيان الإسلامي من الأساس؛ لذا فقد كان اتصاله (فقط) بقيادة غطفان، الذين (فعلاً) لم يترددوا في قبول العرض الذي عرضه عليهم النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(2)</sup>، فقد استجاب القائدان الغطفانيان (عيينة بن حصن، والحارث بن عوف) لطلب النبي صلى الله عليه وسلم وحضرما مع بعض أعوانهما إلى مقر قيادة النبي صلى الله عليه وسلم واجتمعا به وراء الخندق مستخفين دون أن يعلم بهما أحد، وشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مفاوضتهم، وكانت تدور حول عرض تقدم به رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه فيه إلى عقد صلح منفرد بينه وبين غطفان، وأهم البنود التي جاءت في هذه الاتفاقية المقترحة:

- أ- عقد صلح منفرد بين المسلمين وغطفان الموجودة ضمن جيوش الأحزاب.**
- ب- توادع غطفان المسلمين وتتوقف عن القيام بأي عمل حربي**

<sup>1</sup> (?) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (5/58) رقم 4111.

<sup>2</sup> (?) انظر: غزوة الأحزاب، محمد أحمد باشميل، ص 201.

ضدهم (و خاصة في هذه الفترة).

ج- تفك غطfan الحصار عن المدينة وتنسحب بجيوشها عائدة إلى بلادها.

د- يدفع المسلمين لغطfan (مقابل ذلك) ثلت ثمار المدينة كلها من مختلف الانواع، ويظهر أن ذلك لسنة واحدة<sup>(1)</sup>، فقد ذكر الواقدي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقائدي غطfan: «أرأيت إن جعلت لكم ثلت تمر المدينة ترجعان بمن معكم وتخذلان بين الأعراب؟» قالا: تعطينا نصف تمر المدينة، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزيدهما على الثلث، فرضيا بذلك، وجاءا في عشرة من قومهما حين تقارب الأمر<sup>(2)</sup>.

ويعني قبول قائدي غطfan ما عرضه عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوجهة العسكرية، ووضح الهدف الذي خرجت غطfan من أجله، وهو الوقود الذي يشعل نفوس هؤلاء ويجعلها في جبهة القتال، ولا شك في أن احتفاء هذا الدافع يعني أن المحارب فقد ثلثي قدرته على القتال، وبذلك تضعف عنده الروح المعنوية التي تدفعه إلى الاستبسال في مواجهة خصمه؛ وبذلك استطاع صلى الله عليه وسلم أن يفتت ويضعف من قوة جبهة الأحزاب<sup>(3)</sup>.

فقد أبرز صلى الله عليه وسلم في هذه المفاوضات جانباً من جانب منهجه النبوة في التحرك لفك الأزمات عند استحکامها وتازمها، لتكون لأجيال المجتمع المسلم درساً تربويّاً من دروس التربية المنهجية عند اشتداد البلاء<sup>(4)</sup>، وقبل عقد الصلح مع غطfan شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة في هذا الامر، فكان رأيهم في عدم إعطاء غطfan شيئاً من ثمار المدينة وقال السعدان -سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة:- يا رسول الله أمراً تحبه، فنصنه، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصننه لنا؟ فقال: «بل شيء أصننه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة، وكاليوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما» فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قري أو بيعاً، أفجئن أكرمنا الله بالإسلام وهداانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت وذاك».

فتتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال:

1 (?) المصدر نفسه ص 202، 201.

2 (?) انظر: المغاربي للواقدي (2/477).

3 (?) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 413.

4 (?) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (4/176).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

لি�جهدوا علينا<sup>(1)</sup>. كان رد زعيمي الأنصار سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة في غاية الاستسلام لله تعالى والأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته، فقد جعلوا أمر المفاوضة مع غطفان ثلاثة أقسام: الأولى: أن يكون هذا الأمر من عند الله تعالى فلا مجال لإبداء الرأي بل لا بد من التسليم والرضا.

والثاني: أن يكون شيئاً يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، باعتباره رأيه الخاص، فرأيه مقدم وله الطاعة في ذلك.

الثالث: أن يكون شيئاً عمله الرسول صلى الله عليه وسلم لمصلحة المسلمين من باب الإرفاق بهم، فهذا هو الذي يكون مجالاً للرأي.

ولما تبين للسعدين من جواب الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أراد القسم الثالث، أجاب سعد بن معاذ بجواب قوي كتب به زعيمي غطفان حيث بين أن الأنصار لم يذلوا لأولئك المعتقدين في الجahليّة، فكيف وقد أعزهم الله تعالى بالإسلام، وقد أعجب النبي صلى الله عليه وسلم بجواب سعد، وتبين له منه ارتفاع معنوية الأنصار واحتفاظهم بالروح المعنوية العالية، فالغى بذلك ما بدأ به من الصلح مع غطفان<sup>(2)</sup>.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «إني قد علمت أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة»<sup>(3)</sup> دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستهدف من عمله إلا يحتمم الأعداء عليه صفاً واحداً، وهذا يرشد المسلمين إلى عدة أمور منها:

\* أن يحاول المسلمون التفتيش عن ثغرات القوى المعادية.

\* أن يكون الهدف الإستراتيجي للقيادة المسلمة تحديد من تستطيع تحبيده، ولا تنسي القيادة الفتوى والشوري والمصلحة الآنية والمستقبلية للإسلام<sup>(4)</sup>.

وفي استشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابية يبين لنا أسلوبه في القيادة، وحرصه على فرض الشوري في كل أمر عسكري يتصل بالجماعة، فالامر شوري ولا ينفرد به فرد حتى ولو كان هذا الفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما دام الأمر في دائرة الإجتهد ولم ينزل به وحي<sup>(5)</sup>. إن قبول الرسول صلى الله عليه وسلم رأي الصحابة في رفض هذا الصلح يدل على أن القائد الناجح هو الذي يربط بينه وبين حنته رباط الثقة، حيث يعرف قدرهم ويدركون قدره،

<sup>1</sup> (؟) انظر: البداية والنهاية (4/106).

<sup>2</sup> (1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/125).

<sup>3</sup> (2) انظر: البداية والنهاية (4/106).

<sup>4</sup> (3) انظر: الأساس في السنة (2/687).

<sup>5</sup> (?) انظر: العبرية العسكرية في غزوات الرسول، ص 414.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

ويحترم رأيهم ويحترمون رأيه، ومصالحة النبي صلى الله عليه وسلم مع قائدِي غطfan تعد من باب السياسة الشرعية التي تراعي فيها المصالح والمفاسد حسب ما تراه القيادة الرشيدة للأمة<sup>(1)</sup>.  
إن موقف الصحابة من هذا الصلح يحمل في طياته ثلاثة معانٍ:

أ- أنه يؤكّد شجاعة المسلمين الأدبية في إبداء الرأي، والمشورة في أي أمر يخص الجماعة، إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

ب- أنه يكشف عن جوهر المسلمين وعن حقيقة اتصالهم بالله ورسوله وبالإسلام.

ج- أنه يبيّن ما تملئ به الروح المعنوية لدى المسلمين من قدرة على مواجهة المواقف الحرجية بالصبر، والرغبة القوية في قهر العدو، مهما كثُر عدده وعتاده أو تعدد حلفاؤه<sup>(2)</sup>.

## 2- اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم ببيت الخذلان في صفو الأعداء:

استخدام النبي صلى الله عليه وسلم سلاح التشكيك والدعائية لتمزيق ما بين الأحزاب من ثقة وتضامن، فلقد كان يعلم صلى الله عليه وسلم أن هناك تصدعاً خفياً بين صفوف الأحزاب، فاجتهد أن يبرزه ويوسع شقته ويستغلّه في جانبه، فقد سبق أن أطمع غطfan ففكك عزّها، والآن ساق المولى عزّ وجلّ نعيم بن مسعود الغطافاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه، وقال له: يا رسول الله، إن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ فَخَذِلْ عَنِ اِنْ اسْتَطَعْتَ فِيَنَ الْحَرْبِ خَدْعَةً»<sup>(3)</sup>.

فقام نعيم بزرع الشك بين الأطراف المتحالفه بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأغرى اليهود بطلب رهائن من قريش لئلا تدعهم وتنصرف عن الحصار، وقال لقريش بأن اليهود إنما تطلب الرهائن لتسلیمها للمسلمین ثمّاً لعودتها إلى صلحهم، لقد اشتهرت قصة نعيم بن مسعود في أنها لا تتفاوت مع قواعد السياسة الشرعية، فالحرب خدعة<sup>(4)</sup>.

وقد نجحت دعائية نعيم بن مسعود أيا نجاح، فغرست روح التشكيك، وعدم الثقة بين قادة الأحزاب؛ مما أدى إلى كسر شوكتهم، وتهبيط عزّهم.

1 (؟) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 414.

2 (؟) المصدر نفسه، ص 415, 416.

3 (؟) انظر: البداية والنهاية (4/113).

4 (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/430).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**وكان من أسباب نجاح مهمة نعيم قيامها على الأسس التالية:**  
**أ-** أنه أخفى إسلامه عن كل الأطراف، بحيث وثق كل طرف فيما قدّمه له من نصّ.

**ب-** أنه ذكر بني قريطة بمصير بني قينقاع وبني النضير، وبصرهم بالمستقبل الذي ينتظرون أن هم استمرروا في حربهم للرسول **صلى الله عليه وسلم**، فكان هذا الأساس سبباً في تغيير أفكارهم وقلب مخططاتهم العدوانية.

**ج-** أنه نجح في إقناع كل الأطراف بأن يكتم كل طرف ما قال له، وفي استمرار هذا الكتمان نجاح في مهمته، فلو اكتشف أمره لدى أي طرف من الأطراف لفشلت مهمته. وهذا قام نعيم بن مسعود بدور عظيم في غزوة الأحزاب<sup>(1)</sup>.

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 477.  
 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

### المبحث الثالث

## مجيء نصر الله والوصف القرآني لغزو الأحزاب

**أولاً:** شدة تضرع الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول النصر:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير التضرع والدعاء والاستغاثة بالله، وخصوصاً في مغاريته، وعندما اشتد الكرب على المسلمين أكثر مما سبق حتى بلغت القلوب الحناجر وزلزلوا زلزالاً شديداً، فما كان من المسلمين إلا أن توجهوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر، فقال: نعم. اللهم استر عوراتنا، وأمن روعاتنا<sup>(1)</sup>. وجاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم<sup>(2)</sup>، فاستجاب الله سبحانه دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم، فاقيمت بشائر الفرج فقد صرفهم الله بحوله وقوته، وزلزل أبدانهم وقلوبهم، وشتت جمعهم بالخلاف، ثم أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة، وألقى الرعد في قلوبهم، وإنزل جنوداً من عنده سبحانه، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ خَأْتُمْ جُنُودًا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [الأحزاب: 9].

قال القرطبي -رحمه الله-: وكانت هذه الريح معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين كانوا قريباً منهم، ولم يكن بينهم إلا عرض الخندق، وكانوا في عافية منها ولا خير عندهم بها... وبعث الله عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط<sup>(3)</sup>، وأطافت النيران، وأكفت القدور، وجالت الخيول بعضها في بعض، وأرسل عليهم الرعب، وكثير تكبير الملائكة في جوانب المعسكر حتى كان سيد كل خباء يقول: يابني فلان هلم إلى إيه فإذا اجتمعوا قال لهم: النجاء النجاء، لما بعث الله عليهم الرعب<sup>(4)</sup>.

وحرص الرسول عليه الصلاة والسلام أن يؤكد لصحابه ثم للمسلمين في الأرض، أن هذه الأحزاب التي تجاوزت عشرة آلاف مقاتل لم تهزם بالقتال من المسلمين، رغم تصحياتهم، ولم تهزם بغيرية المواجهة، إنما هزمت بالله وحده: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ خَأْتُمْ جُنُودًا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ

1 (؟) مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري (4/18).

2 (؟) البخاري، كتاب المغاري، باب غزوة الأحزاب (5/59) رقم 4114.

3 (؟) الفساطيط: جمع فساطط نوع من الابنية في السفر وهو دون السرادق.

4 (؟) انظر: تفسير القرطبي (4/144).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ 5 ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

**رِبَّا وَجُنُودًا لَمْ تَرُوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**)  
[الأحزاب: 9]. وعن أبي هريرة رض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
كان يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَعْزُ جَنَدَهُ، وَنَصْرٌ عَبْدَهُ، وَغَلْبٌ  
الْأَحزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءٌ بَعْدَهُ»<sup>(1)</sup>.

ودعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه، واعتماده عليه وحده،  
لا يتناقض أبداً مع التماس الأسباب البشرية للنصر، فقد تعامل صل  
الله عليه وسلم في هذه الغزوة مع سنة الأخذ بالأسباب، فيبذل جهده  
لت分区 الأحزاب، وفك الحصار، وغير ذلك من الأمور التي ذكرناها<sup>(2)</sup>.  
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمـنا سنة الأخذ بالأسباب،  
وضرورة الالتجاء إلى الله وإخلاص العبودية له؛ لأنـه لا تجدي وسائل  
القوة كلـها إذا لم تتوافـر وسيلة التـضرـع إلى الله والإـكـثار من الإـقبال  
عليـه بالـدعـاء والـاستـغـاثـة، فقد كان الدـعـاء والتـضرـع إلى الله من  
الـأـعـمـالـ الـمـتـكـرـرـةـ الـدـائـمـةـ الـتـيـ فـزـ إـلـيـهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ  
وـسـلـمـ فـيـ حـيـاتـهـ كـلـهاـ<sup>(3)</sup>.

### ثانيًا: تحري انصراف الأحزاب:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع أمر الأحزاب، وأحب  
أن يتحرجـى عـما حـدـثـ عنـ قـرـبـ فـقـالـ: أـلـاـ رـجـلـ يـاتـيـنـاـ بـخـبـرـ الـقـوـمـ،ـ جـعـلـهـ  
الـلـهـ مـعـيـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ<sup>(4)</sup>. فـاسـتـعـملـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـسـلـوبـ  
الـتـرـغـيبـ،ـ وـكـرـهـ ثـلـاثـ مـرـاتـ،ـ وـعـنـدـمـاـ لـمـ يـجـدـ هـذـاـ أـسـلـوبـ لـجـأـ إـلـىـ  
أـسـلـوبـ الـجـزـمـ وـالـحـزـمـ فـيـ الـأـمـرـ،ـ فـعـيـنـ وـاحـدـاـ بـنـفـسـهـ فـقـالـ: قـمـ يـاـ  
حـذـيـفـةـ فـائـنـاـ بـخـبـرـ الـقـوـمـ،ـ وـلـاـ تـذـعـرـهـمـ عـلـيـّـ<sup>(5)</sup>.

وفي هذا معنى تربوي وهو أن القيادة الناجحة هي التي توجه  
جنودها إلى أهدافها عن طريق الترغيب والتشجيع، ولا تلـجـأـ إـلـىـ الـأـمـرـ  
والـحـزـمـ إـلـاـ عـنـ الـضـرـورةـ.

قال حذيفة رض: فمضيت كأنـماـ أـمـشـيـ فـيـ حـمـامـ،ـ فـإـذـاـ أـبـوـ سـفـيـانـ  
يـصـلـىـ ظـهـرـهـ بـالـنـارـ،ـ فـوـضـعـتـ سـهـمـاـ فـيـ كـبـدـ الـقـوـسـ،ـ وـأـرـدـتـ أـنـ أـرـمـيـهـ  
ثـمـ ذـكـرـتـ قـوـلـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: لـاـ تـذـعـرـهـمـ عـلـيـّـ،ـ وـلـوـ  
رـمـيـتـ لـأـصـبـتـهـ فـرـجـعـتـ كـأـنـمـاـ أـمـشـيـ فـيـ حـمـامـ،ـ فـأـتـيـتـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ  
الـلـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـأـصـابـنـيـ الـبـرـدـ حـيـنـ رـجـعـتـ وـقـرـرتـ،ـ فـأـخـبـرـتـ رـسـوـلـ  
الـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـالـبـسـيـنـ فـضـلـ عـبـاءـ كـانـتـ عـلـيـهـ يـصـلـيـ  
فـيـهـ،ـ فـلـمـ أـبـرـ نـائـمـاـ حـتـىـ الصـبـحـ فـلـمـ أـصـبـحـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ  
صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: قـمـ يـاـ نـوـمـاـ<sup>(6)</sup>.

1 (؟) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (59-5) رقم 4114.

2 (؟) انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان، ص 503.

3 (؟) انظر: فقه السيرة للوطبي، ص 222.

4 (؟) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب (3/1414) رقم 1788.

5 (؟) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب رقم 1788.

6 (؟) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، (3/1414) رقم 1788.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

## ويؤخذ من قصة حذيفة دروس وعبر منها:

1- معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعاذن الرجال، حيث اختار حذيفة ليقوم بمهمة التجسس على الأحزاب، وأن معدن حذيفة معدن ثمين فهو شجاع، ولا يقوم بهذه الأعمال إلا من كان ذا شجاعة نادرة، وهو بالإضافة إلى ذلك لبق ذكي خفيف الحركة، سريع التخلص من المأزق الحرج.

2- الانضباط العسكري الذي يتحلى به حذيفة: لقد مرت فرصة سانحة يقتل فيها قائد الأحزاب وهو بذلك، ولكنه ذكر أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لا يذع لهم، وأن مهمته الإثبات بخبرهم، فتنزع سهمه من قوسه<sup>(1)</sup>.

3- كرامات الأولياء: إن ما حدث لحذيفة بن اليمان عندما سار لمعرفة خبر الأحزاب في جو بارد ماطر شديد الريح، وإذا به لا يشعر بهذا الجو البارد، ويمشي وكأنما يمشي في حمام، وتلازمه هذه الحالة مدة بقائه بين الأحزاب وحتى عاد إلى معسكر المسلمين؛ لا شك هذه كرامة يمن الله بها على عباده المؤمنين<sup>(2)</sup>.

4- لطف النبي صلى الله عليه وسلم مع حذيفة عند رجوعه، فقد كان صلى الله عليه وسلم يترقق بأصحابه، ولم تمنعه صلاة الليل وحلوة المنجاة من التلطم بحذيفة الذي جاء بأحسن الأنباء وأصدق الأخبار وأهمها، فشمله بكسياته الذي يصلى فيه، ليدفعه، وتركه ملفوفاً به حتى أتم صلاته، بل حتى بعد أن أفضى إليه بالأهمية، فلما وجبت المكتوبة أيقظه بلطف وخفة ودعابة قائلاً: «قم يا نومان»، دعاية تقطر حلاوة، وتفيض بالحنان، وتسلل رقة، إنها صورة نموذجية للرأفة والرحمة اللتين تحلى بهما فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتطبيق فريدٍ رفيع لهما في أصحابه الكرام<sup>(3)</sup>، وصدق الله العظيم في قوله: (بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفُونَ رَّحِيمُونَ) [التوبه: 128].

5- ونستوقفنا سرعة البديهة لدى الصحابي الكريم، وقد دخل في القوم، كما في رواية الزرقاني، وقال أبو سفيان: ليأخذ كل رجل منكم بيده جليسه، قال حذيفة: فضررت بيدي على يد الذي على يميني فقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت؟ قال: عمرو بن العاص<sup>(4)</sup>. وهكذا بدرهم بالمسألة حتى لا يتيح لهم فرصة لبسالوه، وبهذا تخلص من هذا المأزق الحرج الذي ربما كان أودى بحياته<sup>(5)</sup>.

## ثالثاً: الوصف القرآني لغزو الأحزاب ونتائجها:

<sup>1</sup> (?): انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان، ص 505، السيرة النبوية لأبي فارس، ص 367.

<sup>2</sup> (?): انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 367.

<sup>3</sup> (?): انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 246.

<sup>4</sup> (?): انظر: شرح الزرقاني (2/120). (5) انظر: من معين السيرة، ص 293.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

تحدث القرآن الكريم عن غزوة الأحزاب ورد الأمر كله لله سبحانه، وقد سجل القرآن الكريم غزوتي الأحزاب وقريطة، والقرآن كعهدنا به يسجل الحالات التي تسع الزمان والمكان، فالمسلمون معرضون دائمًا لأن يغزوا في عقر دارهم وفي عواصم بلدانهم، ومعرضون لأن يتکالب عليهم الأعداء جميعاً، فإن يسجل القرآن حادثي الأحزاب وقريطة فذلك من سمة التكرار على مدى العصور<sup>(1)</sup>، لكي يستفيد المسلمين من الدروس وال عبر من الحوادث السابقة التي ذكرت في القرآن الكريم على وجه الخصوص. والذي يتذير حديث القرآن عن غزوة الأحزاب يراه قد اهتم ببيان أمور من أهمها ما يلي:

- 1- تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اذْ جَاءَكُمْ حَنُوْذٌ فَأَرْسَلَنَا عَلَيْهِمْ رِبِيعًا وَجْنُوْدًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ تَصِيرًا) [الأحزاب: 9].
- 2- التصوير البديع لما أصاب المسلمين من هم بسبب إحاطة الأحزاب بالمدينة: (اذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فُوقَكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَأَيْتَ الْأَنْصَارَ وَلَمْ يَلْعَبْنَ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَطْنَوْنَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) [الأحزاب: 10].
- 3- الكشف عن نوايا المنافقين السيئة، وأخلاقهم الذميمة، وجندهم الحال، ومعاذيرهم الباطلة، ونقضهم للعهود، قال تعالى: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) [الأحزاب: 12].
- 4- حض المؤمنين في كل زمان ومكان على التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله، وجهاده وكل أحواله استجابة لقوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَأُهُوَّةُ حَسَنَةٍ لَمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب: 21].
- 5- مدح المؤمنين على مواقفهم النبيلة وهم يواجهون جيوش الأحزاب بيمان صادق ووفاء بعهد الله تعالى، قال تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَصَى تَحْبَةً وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْسَطِرُ وَمَا يَدْلِوُ بِنَدِيلًا) [الأحزاب: 23].
- 6- بيان سنة من سنن الله التي لا تختلف، وهي جعل العاقبة للمؤمنين والهزيمة لأعدائهم، قال تعالى: (وَرَدَ اللَّهُ إِلَيْنَ كَفَرُوا بِعِظَمِهِمْ لَمْ يَتَالُوا حَنِيرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) [الأحزاب: 25].

<sup>1</sup> (?) انظر: الأساس في السنة (2/662)  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

7- امتنانه سبحانه على عباده المؤمنين حيث نصرهم على بني قريطة، وهم في حصنهم المنيعة بدون قتال يذكر، حيث أتى النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(1)</sup> سبحانه الرعب في قلوبهم فنزلوا على حكم الله ورسوله قال تعالى: ( وَأَنْزَلَ اللَّهُ الْرَّحْمَةَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَقَدَّرَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا مِّنْ قَاتِلِهِمْ وَأَنْسَرَهُمْ فَرِيقًا ۝ وَأَفْرَكَمُ أَرْضَهُمْ وَدَيَّارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ) [الأحزاب: 26, 27].

لقد كانت غزوة الأحزاب من الغزوات الهامة التي خاضها المسلمون ضد أعدائهم وحققوا فيها نتائج مهمة منها:

- \* انتصار المسلمين، وانهزام أعدائهم، وتفرقهم، ورجوعهم مدحورين بغيظهم قد خابت آمالهم وأمالهم.
- \* تغير الموقف لصالح المسلمين، فانقلبوا من موقف الدفاع إلى الهجوم، وقد أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «الآن نغزوهم، ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم» <sup>(2)</sup>.
- \* كشفت هذه الغزوة يهودبني قريطة وقادتهم على المسلمين وتربيص الدوائر بهم، فقد نقضوا عهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم في أحلك الظروف وأصعبها.
- \* كشفت غزوة الأحزاب حقيقة صدق إيمان المسلمين وحقيقة المنافقين وحقيقة يهودبني قريطة، فكان الابتلاء بغزوة الأحزاب تمحيصاً للMuslimين وإظهار حقيقة المنافقين واليهود.
- \* كانت غزوةبني قريطة نتيجة من نتائج غزوة الأحزاب، حيث تم فيها محاسبة يهودبني قريطة الذين نقضوا العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم في أحلك الظروف وأقساهما <sup>(3)</sup>.

#### رابعاً: التخلص من بنى قريطة:

بعد عودة النبي من الخندق ووضعه السلاح أمر الله تعالى نبيه بقتالبني قريطة، فأمرالحبيب صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتوجه إليهم، وقد أعلمهم بأن الله تعالى قد أرسل جبريل ليزلزل حصنهم ويقذف في قلوبهم الرعب وأوصاهم بأن: «لا يصلين أحد العصر إلا فيبني قريطة» <sup>(4)</sup>. وضرب المسلمين الحصار علىبني قريطة

1 (؟) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (491, 2/490).

2 (؟) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، (5/58) رقم 4110.

3 (؟) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (2/442).

4 (؟) البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب (5/60) رقم 4119.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

خمساً وعشرين ليلة<sup>(1)</sup>، ولما اشتد الحصار وعطل الماء على بنى قريطة، أرادوا الاستسلام والنزول على أن يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم سعد بن معاذ ونزلوا على حكمه، ورأوا أنه سيرأفهم بسبب الحلف بينهم وبين قومه الأوس، فقضى بسعد محمولاً لأنه كان قد أصبه سهم في ذراعه يوم الخندق، فقضى أن تُقتل المقاتلة، وأن تُنسى النساء والذرية، وأن تُقسم أموالهم، فاقرئه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: « قضيت بحکم الله »<sup>(2)</sup> ونفذ حكم الإعدام في أربعين نساء في سوق المدينة، حيث حفرت أخاديد وقتلوا فيها بشكل مجموعات، وقد نجا مجموعة قليلة جداً بسبب وفائها للعهد ودخولها في الإسلام، وقسمت أموالهم وذارتهم على المسلمين. وهذا جزء عادل نزل بمن أراد الغدر وتبرأ من حلفه المسلمين، وكان جزاؤهم من جنس عملهم، حين عرضوا بخيانتهم أرواح المسلمين للقتل، وأموالهم للنهب، ونساءهم وذارتهم للسببي، فكان أن عوقبوا بذلك جزاء وفاقاً<sup>(3)</sup>.

ولم تقتل من نساء بنى قريطة إلا واحدة، وترك السيدة عائشة - رضي الله عنها - تحدثنا عنها، قالت السيدة عائشة: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة قالت: والله إنها لعندى تتحدث معى تضحك ظهراً وبطناً<sup>(4)</sup>، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسوق إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت: ويلك وما لك؟ قالت: أقتل، قلت: ولم؟ قالت: حدثنا أحد شهاته<sup>(5)</sup> قالت: فانطلق إليها فضررت عنقها، وكانت عائشة رضي الله عنها تتقول: والله ما أنسى عجبي من طيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها قتلت<sup>(6)</sup>.

بالقضاء على بنى قريطة خلت المدينة تماماً من الوجود اليهودي، وصارت خالصة للمسلمين، وخلت الجبهة الداخلية من عنصر خطير لديه القدرة على المؤامرة والكيد والمكر، وأض migliori حل حلم قريش؛ لأنها كانت تعول، وتؤمل في يهود بأن يكون لهم موقف ضد المسلمين، وابعد خطر اليهود الذي كان يمد المنافقين بأسباب التحرير والقوة<sup>(7)</sup>.

## إن حماية الجبهة الداخلية للدولة الإسلامية من العابثين منهج نبوى

<sup>1</sup> (? ) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 373.

<sup>2</sup> (? ) البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع رسول الله من الأحزاب (5/61) رقم 4121.

<sup>3</sup> (? ) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (315-1).

<sup>4</sup> (? ) ظهراً وبطناً: لا يبدو على ملامحها أثر الحزن.

<sup>5</sup> (? ) طرحت الرحى على خالد بن سعيد فقتلته، فقتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم به.

<sup>6</sup> (? ) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 377.

<sup>7</sup> (? ) انظر: سيرة الرسول، دروزة (2/76) نقلًا عن دراسات في عهد النبوة للشجاع، ص 153.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

كريم رسمه الحبيب المصطفى للأمة المسلمة.  
\* \* \*

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

## المبحث الرابع

### فوائد و دروس و عبر

**أولاً: المعجزات الحسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم:**

ظهرت خلال مرحلة حفر الخندق معجزات حسية للنبي صلى الله عليه وسلم، منها تكثير الطعام الذي أعده جابر بن عبد الله، فعن جابر بن عبد الله قال: إنّ يوم الخندق مُحَفَّر<sup>(1)</sup>، فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا بازّل» ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبّثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول، فضرب في الكدية فعاد كثيّاً أهيل<sup>(2)</sup> أو أهيم<sup>(3)</sup>.

قال جابر: فقلت: يا رسول الله، أئذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق<sup>(4)</sup>، فذبحت العناق، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم بالبرمة<sup>(5)</sup> ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الأنافي<sup>(6)</sup>. قد كادت أن تنقض، فقلت: طعيمٌ لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: «كم هو؟» فذكرت له، فقال «كثير طيب»، قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخيز من التنور حتى آتي. فقال: «قوموا»، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال «ادخلوا ولا تضاغطوا»<sup>(7)</sup> فجعل يكثر الخيز ويجعل عليه اللحم ويخرم البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخيز ويعرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال: «كلي هذا وأهدى فإن الناس أصابتهم مجاعة»<sup>(8)</sup>.

وهذه ابنة بشير بن سعد تقول: دعنتي أمي عمرة بنت رواحة فأعطيتني حفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت: أي بنية، اذهبي إلى أبيك وحالك عبد الله بن رواحة بعدهما،

قالت: فأخذتها فانطلقت بها، فمررت بررسول الله صلى الله عليه

1 (?) مُحَفَّر: اسم فاعل من حَفَّرْ.

2 (?) أهيل: رملاً سائلاً. انظر: النهاية في غريب الحديث (5/289).

3 (?) أهيم: الرمل الذي لا يتمالك، انظر: لسان العرب (3/858).

4 (?) العناق: الأشي من أولاد الماعز، انظر: النهاية في غريب الحديث (3/310).

5 (?) البرمة: هي القدر مطلقاً، انظر: النهاية في غريب الحديث (1/121).

6 (?) الأنافي: الحجارة التي تنصب يجعل القدر عليها، انظر: القاموس المحيط (3/120).

7 (?) ولا تضاغطوا: أي لا تزاحموا. انظر: لسان العرب (2/537).

8 (?) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (5/55) رقم 4101 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**وسلم وأنا ألتمنس أبي وخالي، فقال: تعالى يا بنية ما هذا معك؟** فقلت: يا رسول الله، هذا تمر بعثني به أمي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبد الله بن رواحة يتغذيانه، قال: هاتيه، قالت: فصبيته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له ثم دعا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغذاء، فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب<sup>(1)</sup>.

**ففي هذين الخبرين معجزات حسية ظاهرة للرسول صلى الله عليه وسلم**، كما يظهر دور المرأة المسلمة في مشاركة المسلمين في جهادهم، فعندما استغل المسلمون بحفر الخندق تركوا أعمالهم، وبعدت عنهم أرزاقهم، وقل عنهم القوت، وأصاب الناس جوعاً وحرماناً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه يشدون على بطونهم الحجارة من شدة الجوع، فكانت المرأة المسلمة تعين المسلمين بإعداد ما قدرت عليه من الطعام<sup>(2)</sup>.

ومن دلائل النبوة أثناء حفر الخندق إخباره صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر- وهو يحفر معهم الخندق- بأن ستنقته الفئة البايعية، فقتل في صفين وكان في جيش علي<sup>(3)</sup>، وعندما اعترضت صخرة الصحابة لهم يحفرون، ضربها الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث ضربات فتفتت قال إثر الضربة الأولى: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة»، ثم ضربها الثانية فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض»، ثم ضرب الثالثة، وقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكانى هذه الساعة»<sup>(4)</sup>. وقد تحققت هذه البشارة التي أخبرت عن اتساع الفتوحات الإسلامية والإخبار عنها في وقت كان المسلمين فيه محصورين في المدينة يواجهون المشاق والخوف والجوع والبرد القارس<sup>(5)</sup>.

### ثانياً: بين التصور والواقع:

قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن الإمام: يا أبا عبد الله، أرأيت رسول الله وصحابته؟ قال: نعم، يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: فقال: والله لو أدركناه ما ترکناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا، فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالخندق<sup>(6)</sup>،

<sup>1</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/241). <sup>2</sup> انظر: المرأة في العهد النبوي، ص 175.

<sup>3</sup> (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 448. <sup>4</sup> (?) المصدر نفسه، ص 449. <sup>5</sup> (?) انظر: نصرة النعيم (1/325).

<sup>6</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/255).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ثم ذكر حديث تكليفه بمهمة الذهاب إلى معسكر المشركين.

هذا تابعي يلتقي بالصحابي حذيفة ويتخيل أنه لو وجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستطاع أن يفعل ما لم يفعله الصحابة الكرام، والخيال شيء الواقع شيء آخر، والصحابة رضي الله عنهم بشر، لهم طاقات البشر، وقدراتهم، وقد قدموها كل من يستطيعون، فلم يخلوا بأنفس فضلاً عن المال والجهد، وقد وضع صلى الله عليه وسلم الأمور في نصابها بقوله: «خير القرون قرني» فبین أن عملهم لا يعدله عمل.

إن الذين جاءوا من بعد، فوجدوا سلطان الإسلام ممتدًا، وعاشوا في ظل الأمان والرخاء والعدل، بعيدين عن الفتنة والابتلاء، هم بحاجة إلى نقلة بعيدة يستشعرون من خلالها أجواء الماضي بكل ما فيه من حالات وضلالات وكفر، وبعد ذلك يمكنهم تقدير الجهد المبذول من الصحابة حتى قام الإسلام في الأرض<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: سلمان من أهل البيت<sup>(2)</sup>:

قال المهاجرون يوم الخندق: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

سلمان من أهل البيت<sup>(3)</sup>، وهذا الوسام النبوى الخالد لسلمان يشعر بأن سلمان من المهاجرين؛ لأن أهل البيت من المهاجرين<sup>(4)</sup>.

### رابعاً: الصلاة الوسطى:

قال صلى الله عليه وسلم: «ملا الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»<sup>(5)</sup>.

وقد استدل طائفة من العلماء بهذا الحديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، كما هو منصوص عليه، وألزم القاضي الماوري مذهب الشافعى بهذا لصحة الحديث، وقد استدل طائفة من العلماء بهذا الصنبغ على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والأوزاعي<sup>(6)</sup>.

قال الدكتور البوطي: لقد فاتت النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العصر كما رأيت في هذه الموقعة، لشدة انشغاله، حتى صلاها قضاء بعدهما غربت الشمس. وفي روايات أخرى غير الصحيحين أن الذي فاته أكثر من صلاة واحدة، صلاها تباعاً بعد ما خرج وقتها وفرغ لأدائها، وهذا يدل على مشروعيّة قضاء الفائتة، ولا ينقض هذه الدلالة ما ذهب

<sup>1</sup> (؟) انظر: من معين السيرة للشامي، ص 291.  
<sup>2</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/247).

<sup>3</sup> (؟) المصدر نفسه (3/247) ضعفه الالباني في ضعيف الجامع الصغير.

<sup>4</sup> (؟) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/108).

<sup>5</sup> (؟) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق رقم 4111.

<sup>6</sup> (؟) انظر: الأساس في السنة (2/682).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

236

إليه البعض من أن تأخير الصلاة لمثل ذلك الانشغال كان جائزاً إذ ذاك ثم نسخ حينما شرعت صلاة الخوف لل المسلمين رجالاً وركاباً عند التحام القتال بينهم وبين المشركين، إذ النسخ على فرض صحته ليس وارداً على مشروعية القضاء وإنما هو وارد على صحة تأخير الصلاة بسبب الانشغال، أي أن نسخ صحة التأخير ليس سحراً لما كان قد ثبت من مشروعية القضاء أيضاً، بل هي مسكونة عنها، فتبقى على مشروعيتها السابقة<sup>(1)</sup>.

### خامساً: الحلال والحرام:

عرضت قريش فداء مقابل جثة عمرو بن ود، فقال صلى الله عليه وسلم: «ادفعوا إليهم حيفته، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الديمة فلم يقبل منهم شيئاً».

حدث هذا والمسلمون في ضنك من العيش، ومع ذلك فالحلال حلال والحرام حرام، إنها مقاييس الإسلام في الحلال والحرام، فain هذا من الناس المحسوبين على المسلمين الذين يحاولون إيجاد المبررات لأكل الربا وما شابهه؟<sup>(2)</sup>

### سادساً: شجاعة صفية عمة الرسول صلى الله عليه وسلم:

كان صلى الله عليه وسلم قد وضع النساء والأطفال في حصن فارع وهو حصن قوي، حماية لهم؛ لأن المسلمين في شغل عن حمايتهم لمواجعهم جيوش الأحزاب، فعندما نقض يهودبني قريطة عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت يهودياً ليستطلع وضع الحصن الذي فيه نساء المسلمين وأطفالهم، فأبصرته صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت عموداً ونزلت من الحصن فضررته بالعمود فقتلته، فكان هذا الفعل من صفية إرادةً لليهود من التحرش بها الحصن الذي ليس فيه إلا النساء والأطفال، حيث ظنت يهودبني قريطة أنه محمي من قبل الجيش الإسلامي، أو أن فيه على الأقل من يدافع عنه من الرجال<sup>(3)</sup>، ففي هذا الخبر دليل للمرأة في الدفاع عن نفسها إن لم تجد من يدافع عنها<sup>(4)</sup>.

### سابعاً: عدم صحة ما يروى عن جبن حسان ::

ففي قصة صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلها اليهودي جاء في رواية ضعيف<sup>(5)</sup> أن صفية -رضي الله عنها- قالت لحسان بن ثابت: إن هذا اليهودي يطيف بالحصن كما ترى، وأنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله

<sup>1</sup> (؟) انظر: فقه السيرة النبوية، ص 223. <sup>2</sup> (2) انظر: من معين السيرة، ص 294.

<sup>3</sup> (؟) انظر: الرحيق المختوم، ص 283، 284. <sup>4</sup>

<sup>5</sup> (؟) انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (2/246).

(?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 365. <sup>4</sup> (4) المصدر نفسه، ص 365.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل إليه فاقته، فقال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت صفيه: فلما قال ذلك، احتجزت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتله، ثم رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان انزل فاستله، فإنه لم يمنعني أن استله إلا أنه رجل، فقال: ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب<sup>(1)</sup>.

### وهذا الخبر لا يصح لأمور منها:

1- من حيث الإسناد فالخبر ليس مسندًا، وهو ساقط لا يصح ولا يجوز أن يروى، فيفاء إلى صاحبي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينافح عن الدعوة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمره كله.

2- لو كان حسان بن ثابت معروفاً بالجبن الذي ذكر عنه لهجاه أعداؤه ومحضوه بهذه الخصلة الذميمة، لا سيما الذين كان يهاجيمهم، فلم يسلم من هجائه أحد من زعماء الجاهلية، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يؤيده ويدعوه، ويشجعه على هجاء زعماء المشركين<sup>(2)</sup>.

### ثامناً: أول مستشفى إسلامي حربي:

أنشأ المسلمين أول مستشفى إسلامي حربي في غزوة الأحزاب، فقد ضرب الرسول صلوات الله وسلامه عليه خيمة في مسجده الشريف في المدينة، عندما دارت رحى غزوة الأحزاب، فأمر صلى الله عليه وسلم أن تكون رفيدة الأنصارية رئيسة ذلك المستشفى النبوية الحربية، وبذلك أصبحت أول مدرسة عسكرية في الإسلام<sup>(3)</sup>، وجاء في السيرة النبوية لابن هشام:.. وكان صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم، يقال لها رفيدة، في مسجده، كانت تداوى الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من به ضيعة من المسلمين، وكان صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصاب سعد بن معاذ السهم بالخندق: «اجعلوه في خيمة رفيدة، حتى أعوده من قريب»<sup>(4)</sup>.

ويفهم من النص السابق أن من أصيب من المسلمين إن كان له أهل أعتبرت به أهله، وإن لم يكن له أهل، جيء به إلى المسجد حيث ضربت خيمة فيه لمن كانت به ضيعة من المسلمين، وسعد بن معاذ الأوسي، ليس به ضيعة، ولكن لما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم الاطمئنان عليه باستمرار، جعله في تلك الخيمة التي أعدت لمن به ضيعة وليس له أهل، ذلك لأن هؤلاء هم في رعاية رسول الله صلى

<sup>1</sup> (1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 365. (2) انظر: غزوة الأحزاب، الدكتور أبو فارس.

<sup>3</sup> (3) انظر: المستشفيات الإسلامية، الدكتور عبد الله السعيد، ص 43.

<sup>4</sup> (4) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام (3/263).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الله عليه وسلم، وإلا فلم ضربت الخيمة في المسجد، وكان بالإمكان ضربها في أي مكان آخر؟

إن سعد بن معاذ يكرم لماتره وما بذله في سبيل الله تعالى، فيكون هذا التكريم أن يجعل في خيمة أعدت لمن به ضيافة، وهذا حينما يرتفع السادة يجعلون مع المغمورين الذين أخلصوا أعمالهم لله تعالى فاستحقوا أن يكونوا في رعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>، وهذا منهج نبوي كريم أصبح دستوراً للمسلمين على مدى الزمن.

### تاسعاً: المسلم يقع في الإنم ولكنه يسارع في التوبة:

أرسل بنو قريطة إلى أبي لبابة بن عبد المنذر -وكانوا حلفاء-، فإشتاروه في النزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إلى حلقة يعني الذبح، ثم ندم فتوجه إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فارتبط به حتى تاب الله عليه أمراته في وقت كل صلاة فتحله بالجذع في المسجد ست ليال تأتيه امراته في وقت كل صلاة فتحله للصلوة ثم يعود فيرتبط في الجذع<sup>(2)</sup>، وقد قال أبو لبابة: لا أربح مكاني هذا حتى يتوب الله عليه مما صنعت: قالت أم سلمة: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فقلت: مم تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنك. قال: تيب على أبي لبابة، قالت: قلت: أفلأبشره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت، فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب، فقالت: يا أبي لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك قالت: فثار الناس ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده. فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه<sup>(3)</sup>. وذلك في الاعتراف بالذنب والتوبة النصوح، وإن موطن العبرة في هذا الموقف يمكن في تصرف أبي لبابة بعدما وقعت منه هذه الزلة التي أفشى بها سرّاً حرّياً خطيراً، فأباو لبابة لم يحاول التكتم على ما بدر منه والظهور أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين بمظهر الرجل الذي أدى مهمته بنجاح، وأنه لم يحصل منه شيء من المخالفات، وكان بإمكانه أن يخفي هذا الأمر حيث لم يطلع عليه أحد من المسلمين، وأن يستكتم اليهود أمره، ولكنه تذكر رقابة الله عليه وعلمه بما يسر ويعلن، وتذكر حق رسول الله صلى الله عليه وسلم العظيم عليه وهو الذي ائتمنه على ذلك السر، ففرز لهذه الزلة فرعاً عظيماً<sup>(4)</sup>، وأقر بذنبه واعترف به ويدار إلى العقوبة الذاتية التلقائية، دون انتظار التحقيق وتوقيع العقوبة الواجبة، إنها صورة تطبيقية لقوله

<sup>1</sup> (؟) انظر: من معين السيرة، ص 294.  
<sup>2</sup> (2) انظر: المستفاد من قصص القرآن (2/286).

<sup>3</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/262).  
<sup>4</sup> (؟) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/165).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ

239

تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِحَمَالَةٍ  
تُمَمْ تَبُوُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ تَبُوُونَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ  
عَلَيْهِمَا حَكِيمًا) [النساء: 17].

إنها صورة فريدة لتوصيف العقوبة من الإنسان نفسه على نفسه... ولا يفعل ذلك إلا أهل الإيمان، وما ذلك إلا من آثار الإيمان العميق الراسخ، الذي لا يرضي لصاحبته أن يخالف طه إثم أو فسق. وقد فرّج الصحابة وفرح النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، بتوبة الله على أبي ليابة، وتسبّبوا إلى تهنتّه حتى كانت أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم هي التي بادرت بالتهنئة بعد الإنذن فيبشره بقبول الله توبته<sup>(1)</sup>. وقد أنزل الله تعالى في أبي ليابة قوله تعالى: (إِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُونَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحْمِلُونَا أَمَانَاتِكُمْ  
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [الأنفال: 27]. ونزل في توبته قوله تعالى: (وَآخَرُوْنَ اغْتَرُوْنَا بِذُنُوبِهِمْ حَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا  
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوَّبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [التوبه: 102]<sup>(2)</sup>.

### عاشرًا: من فضائل سعد بن معاذ

ظهرت لسعد بن معاذ في هذه الغزوة فضائل كثيرة تدل على فضلها ومنزلتها عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم منها:

- \* استجابة الله تعالى لدعائه عندما قال: (اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك صلى الله عليه وسلم وأخرجوه، اللهم فإن بقي من حرب قريش شيء فابقني له حتى أجاهدهم فيك)، وقد استجيب دعاؤه فتحجر جرمه، وتماثل للشفاء<sup>(3)</sup> حتى كانت غزوةبني قريطة، وكان سعد قد دعا أيضًا: (ولا تمني حتى تقر عيني من بني قريطة<sup>(4)</sup>، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم فيهم إليه، فحكم فيهم بالحق ولم تأخذه في الله لومة لائم، وهذا دليل على تجرد قلبه لله تعالى<sup>(5)</sup>).
- \* ومن إكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله للأنصار عندما جاء سعد للحكم في بني قريطة: «قوموا إلى سيدكم»<sup>(6)</sup>. وهذا تكريم لسعد، وتقدير لشجاعته حيث سماه سيدًا، وأمر بالقيام له<sup>(7)</sup>.
- \* وعندما نفذ حكم الله في يهودبني قريطة رفع سعد يده يدعوا الله ثانية يقول: اللهم إني أطلب أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم

1 (?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوى في المدينة، ص 261.  
2 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/262).

3 (?) انظر: فقه السيرة النبوية للوطي، ص 228.

4 (?) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود (3/1389) رقم 1769.

5 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/170).

6 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/263).

7 (?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوى في المدينة، ص 265.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

(يعني قريشاً والمرشكيين)، فإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها واجعل موتي فيها<sup>(1)</sup>، وقد استجيب دعاؤه فانفجر جرمه تلك الليلة ومات رحمه الله<sup>(2)</sup>. ومن خلال دعائه الأول والثاني، للاحظ هذا الدعاء العجيب، دعاء العظام الذين يعرفون أن رسالتهم في الحياة ليست الاستشهاد فقط، بل متابعة الجهاد إلى اللحظة الأخيرة، فهو المسؤول عن نصرة الإسلام في قومه وأمته<sup>(3)</sup>.

\* ونرى من سيرته أنه لو أقسم على الله لأبره، فهو وجيه في السماوات والأرض، فقد شاءت إرادة المولى تعالى أن يعيد الأمر فيبني قريطة كله إليه، وأن يطلب بنو قريطة أن يكون الحكم فيهم لسعد بن معاد.

\* إنه لم يحرص كثيراً على الحياة، بعد انتهاء الجهاد، وانتهاء المسئولية وتاذية الأمانة المناطة به في قيادة قومه لحرب الأحمر والأسود من الناس، فإذا انتهت الحروب ووضعت بين المسلمين وقريش، وشفى غيط قلبه في الحكم فيبني قريطة، وبدأ قطف الشمار للإسلام فلا ثمرة أشهى من الشهادة (فافجر جرحي واجعل موتي فيه)<sup>(4)</sup>. وقد تحققت أماله، فقد أصدر حكمه فيبني قريطة وشهد مصرع حلفاء الأمس أعداء اليوم،وها هو جرحي ينفجر<sup>(5)</sup>. وعندما انفجر جرمه نقله قومه فاحتملوه إلىبني عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل: انطلقوا فخرج وخرج معه الصحابة، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالهم، وسقطت أرديةتهم، فقال: إني أخاف أن تسيقنا الملائكة فتنسله كما غسلت حنطلة، فانتهى إلى البيت وهو يغسل، وأمه تبكيه وتقول: **ويل أم سعد سعداً حزامة وجداً**

قال: كل نائحة تكذب إلا أم سعد، ثم خرج به، وقال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخف علينا منه قال: «وما يمنعه أن يخف؟ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم قد حملوه معكم»<sup>(6)</sup>.

وقد جاء في النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما عدد الملائكة الذين شاركوا في تشبيع جنازة سعد فقد قال صلى الله عليه وسلم: «هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفتحت أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضم ضمة ثم أفرج عنه»<sup>(7)</sup> يعني سعداً.

1

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/275).

2

(?) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 228.

3

(2) انظر: التربية القيادية (3/70).

4

(?) انظر: التربية القيادية (4/71).

5

(4) المصدر نفسه (4/74).

6

(?) انظر: سير أعلام النبلاء (1/287).

7

(?) انظر: سير أعلام النبلاء (1/295) إسناد صحيح، أخرجه النسائي (4/100).

في الجنائز.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يodus سعداً كما روى عبد الله بن شداد: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكيد نفسه فقال: «جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد أنجزت ما وعدته، ولينجزك الله ما وعدك»<sup>(1)</sup>.

\* لقد أثني النبي صلى الله عليه وسلم على هذا العبد الصالح بعد موته كثيراً أمام الصحابة ليتعرف الناس على أعماله الصالحة فيتأسوا به<sup>(2)</sup>، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»<sup>(3)</sup> وفي حديث البراء بن عازب قال: أهدىت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل أصحابه يلمسوه ويعجبون من لينها، فقال: «أتعجبون من لين هذه؟ لمن اندليل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين»<sup>(4)</sup>.

ومع كل هذه المآثر والمحاسن والأعمال الجليلة التي قدمها لخدمة دين الله، فقد تعرض لضمة القبر: لما انتهوا إلى قبر سعد نزل فيه أربعة: الحارث بن أوس، وأسيد بن الحضرير، وأبو نائلة سلكان، وسلمة بن سلامة بن وقت، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف، فلما وضع في قبره، تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبح ثلثاً، فسبح المسلمون حتى ارتفع البقيع ثم كبر ثلثاً، وكثير المسلمين، فسئل عن ذلك فقال: «تضاريق على صاحبكم القبر، وضم ضمة لو نجا منها أحد لنجا هو، ثم فرج الله عنه»<sup>(5)</sup>.

إن هذا الصدّابي الحليل قد استشهد وهو في ريعان شبابه، فقد كان في السابعة والثلاثين من عمره، يوم وافته منيته، وهذا يعني أنه قاد قومه إلى الإسلام وهو في الثلاثين من عمره، فقد كانت هذه السيادة في العشرينات من عمره، وقبل أن يكون على مشارف الثلاثين، وإنما تنفجر الطاقات الكامنة والمواهب بعد سن الأربعين التي هي غالباً الرشد قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدِيهِ أَحْسَانًا حَمَلْنَاهُ أَمْهَ كَرْهًا وَوَصَّيْنَاهُ كَرْهًا وَحَمْلَهُ وَفَصَالَهُ ثَلَاثَوْنَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا أَلْعَنَ أَشْدَهُ وَتَلَعَّ أَرْبَعَنَ سَنَةً قَالَ رَبِّ لَفْزَغَنِي أَنْ أَشْكَرْ بِعْتَكَ النَّبِيِّ فِي ذِرَّيْتِي أَنِّي تُبْتِ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [الأحقاف: 15]. فـأـي طـراـز هـذـا الـذـي حـفـل تـارـيخـه بـهـذـه الـمـائـرـ، وـاستـبـشـر أـهـل السـيـاـواتـ بـقـدوـمـهـ، وـاهـتزـ عـرـشـ الـرـحـمـنـ فـرـجـأـ لـوـفـاتـهـ، مـنـ دونـ خـلـقـ اللـهـ أـجـمـعـينـ<sup>(6)</sup>. كان سعد بن معاذ، رجلاً أبيض، طوالاً، جميلاً، حسن الوجه، أعين، حسن

<sup>1</sup> (؟) انظر: سير أعلام النبلاء (1/288) رجاله ثقات. <sup>2</sup> (2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/171).

<sup>3</sup> (؟) مسلم، فضائل الصحابة رقم 2466. <sup>4</sup> (4) مسلم، فضائل الصحابة، رقم 2468.

<sup>5</sup> (؟) انظر: التربية القيادية (4/77)، نقل عن مسند الإمام أحمد (6/141).

<sup>6</sup> (؟) انظر: القيادة الربانية (4/78). <sup>6</sup> (6) انظر: سير النبلاء (1/290).

اللحية<sup>(1)</sup>, رحمة الله عليه ورضي عنه, وأعلى ذكره في المصلحين.  
حادي عشر: مقتل حبي بن أخطب وكتب بن أسد:  
**1- مقتل حبي بن أخطب النصري:**

روى عبد الرزاق في مصنفه بالسند إلى سعيد بن المسيب، فذكر بعض خبر الأحزاب وقريطة إلى أن قال: فلما فض الله جموع الأحزاب أنطلق -يعني حبي- حتى إذا كان بالرواء ذكر العهد والميثاق الذي أعطاهم، فرجع حتى دخل معهم، فلما أقبلت بنو قريطة أتي به مكتوفاً بعد، فقال حبي للنبي صلى الله عليه وسلم: أما والله ما لمني نفسني في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يُخذل، فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فضررت عنقه<sup>(2)</sup>. ثم أنه أقيل على الناس قبل تنفيذ حكم الإعدام وقال لهم: أيها الناس، إنه لا يأس بامر الله، كتاب وقدر ولهمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضررت عنقه<sup>(3)</sup>.

**وفي مقتل حبي بن أخطب دروس وعبر منها:**

**أ- لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله:** فقد ألب القبائل العربية واليهودية على محاربة الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، وأقنعبني قريطة بضرورة نقض العهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم وطغنه من الخلف، فجعل الله كيده في نحره وكنته، وفي النهاية قاده محاواته إلى حتفه. إن الله لا يحمل الطالمين، ولكن يمهلهم ويستدرجهم حتى إذا أخذهم أخذ عزيز مقتدر، فكان أخذه أليماً شديداً

قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليملأ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»<sup>(4)</sup> ثم تلا قوله تعالى: (وَكَذَّلَكَ أَخْذَ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْفَرِي وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ الْيَمْ شَدِيدٌ) [هود: 102].

**ب- التحلل في مواطن الشدة:** لقد تحمل حبي وقدم لتصرب عنقه حتى لا يشمت فيه شامت، وهو يعرف أنه على باطل، ظالم لنفسه، قد أوردها موارد الهلاك، ومع هذا يموت على ذلك، والعزة بالإثم تأخذه إلى جهنم وبئس المصير؛ لأنه يعبد هو واه ولا يعبد رباه، قال تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّجَدَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَحَتَّمَ عَلَى سَمْعَهُ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشاوةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [الجاثية: 23].

**ج- من يخذل الله يُخذل:** إن الله تعالى إذا خذل أحداً ليس له نصير يمنعه أو يدفع عنه، قال سبحانه: (إِنَّ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا عَالِبٌ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الِّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ

2 - (?) انظر: مصنف عبد الرزاق (5/371) رقم 9727.

3

(?) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام (3/265).

4

(?) انظر: الصراع مع اليهود لأبي فارس (2/112).

5

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

## وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْتَوْكُلِ الْمُؤْمِنُونَ ) [آل عمران: 160].

كما أن عداوة حبي للرسول صلى الله عليه وسلم باعثها الحسد والحقد؛ ولذلك عبر حبي صراحة أن الله لم يكن معه يوماً من الأيام، بل كان حبي في شق الشيطان عدواً لأولياء الرحمن، يشاقق الله، فالله خادله ومُسْلِمه لكل ما يؤذيه ويتعبه، ولا توجد فوهة في الأرض ولا في السماء تتصره وتحول بينه وبين الهزيمة؛ لأن إرادة الله هي النافذة، وقدره هو الكائن، لا راد لقضائه، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء<sup>(1)</sup>. قال تعالى: ( وَإِنِّي مُسَسِّنُ اللَّهُ يَصْنُرُ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنِّي مَسِّنْكَ بِحَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) [الأنعام: 17].

### 2- مقتل كعب بن أسد القرطي:

وجيء برئيس بني قريطة كعب بن أسد، وقبل أن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقه جرى بينه وبين كعب الحوار التالي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كعب بن أسد؟». قال كعب بن أسد: نعم يا أبي القاسم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم، وكان مصدقاً بي، أما أمركم باتباعي، وإن رأيتموني تقرئوني منه السلام؟». قال كعب: بلى والتوراة يا أبي القاسم، ولو لا أن تعيرني يهود بالجزع من السيف لاتبعتك، ولكنني على دين يهود. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه فضررت<sup>(2)</sup>.

ومما ترويه كتب السيرة النبوية عن يهود بني قريطة أنهما يرسلون طائفة تلو طائفة لتضرب أعناقهم، وقد سألوا زعيمهم كعب بن أسد فقالوا: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعلقون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل<sup>(3)</sup>.

ونلحظ خبر مقتل كعب بن أسد، أنه كان متعصباً ليهوديته وهو يعلم بطلانها، وأنه على علم بصدق رسالة رسولنا صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يؤمن ولم يدخل الإسلام خوفاً من أن تعيره يهود بأنه جزع من السيف، فعدم إيمانه وبقاوه على الكفر كان نتيجة رياه، وجبه للثناء وخوفه من ذمه وتعيره، وهذا دليل على السفه والحمق وخذلان الله لهذا اليهودي المخادع<sup>(4)</sup>.

**ثاني عشر: شفاعة ثابت بن قيس في الزبير بن باطأ، وسلمى بنت قيس في رفاعة بن سموأل:**

<sup>1</sup> (?) انظر: الصراع مع اليهود (2/113، 114). (2,3) انظر: اليهود في السنة المطهرة (1/368).

<sup>3</sup> (4) انظر: الصراع مع اليهود (2/115).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

<sup>5</sup>

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

## 1- شفاعة ثابت بن قيس في الزبير بن باطا:

أقبل ثابت بن قيس بن شماس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هب لي الزبير اليهودي أجزه، فقد كانت له عندي يد يوم بعث، فاعطاه إياها، فأقبل ثابت حتى أتاه فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ فقال: نعم، وهل ينكر الرجل أخيه، قال ثابت: أردت أن أجزيك اليوم يد لك عندي يوم بعث، قال: فافعل، فإن الكريم يجزي الكريم، قال: قد فعلت، قد سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبك لي، فأطلق عنه إساره، فقال الزبير: ليس لي قائد، وقد أخذتم امرأتي وأبني، فرجع ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوهبه امرأته وبنيه فوهبهم له، فرجع ثابت إلى الزبير فقال: رد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأتك وبنيك، فقال الزبير: حائط لك فيه أعدق، وليس لي ولا لأهلي عيش إلا به، فرجع ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبها له، فرجع ثابت إلى الزبير فقال: قد رد إليك رسول الله أهلك ومالك، فاسلم تسلم، قال: ما فعل الجليسان؟<sup>(1)</sup> وذكر رجال قومه، قال ثابت: قد قتلوا وفرغ منهم، ولعل الله تبارك وتعالى أن يكون أبقاءك لخير، قال الزبير: أسا لك بالله يا ثابت ونبيي التي عندك يوم بعث إلا الحقتي بهم، فليس في العيش خير بعدهم، فذكر ذلك ثابت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالزبير فقتل<sup>(2)</sup>.

## 2- شفاعة سلمى بنت قيس في رفاعة بن سموأل القرطي:

كانت سلمى بنت قيس وكنيتها أم المنذر أخت سليمان بن قيس، وكانت إحدى حالات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد صلت معه القبلتين، وبأيعته بيعة النساء، سأله رفاعة ابن سموأل القرطي، وكان رجلاً قد بلغ، فلاذ بها، وكان يعرفهم قبل ذلك فقالت: يا نبي الله، يا بي أنت وأمي، هب لي رفاعة، فإنه قد ذرعه أنه سيصلني ويأكل لحم الجمل، فوهبها لها، فاستحبته<sup>(3)</sup>. وفي هذا الخبر دليل على أن الإسلام يكرم المرأة ويعتبر شفاعتها، هذه هي معاملة المرأة في هذا الدين، إنه يكرّمها، ويساعدها ويشجعها على فعل الخير<sup>(4)</sup>.

### ثالث عشر: من أدب الخلاف:

في اختلاف الصحابة في فهم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يصلين أحد العصر إلا فيبني قربطة»<sup>(5)</sup>، فبعضهم فهم

<sup>1</sup> (2) انظر: اليهود في السنة المطهرة (1/372).  
<sup>2</sup> (3) المصدر نفسه (1/373).

<sup>3</sup> (4) انظر: الصراع مع اليهود (2/116).

<sup>4</sup> (5) البخاري، كتاب المغازي، (5/60) رقم 4119.  
<sup>5</sup> (6) انظر: فقه السيرة النبوية للبيوطي، ص 226.

هدية الشبكة الليبية والكتاب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

منه المراد الاستعجال، فصلى العصر لما دخل وقته، وبعضهم أخذ بالظاهر فلم يصل إلا في بني قريطة، ولم يعنف النبي ﷺ على أصل من الأصول أحداً منهم أو عاتبه، ففي ذلك دلالة هامة على أن الشرعية الكبرى وهو تقرير مبدأ الخلاف في مسائل الفروع، واعتبار كل من المتخالفين معذوراً ومثاباً، كما أن فيه تقريراً لمبدأ الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية، وفيه ما يدل على أن استنصال الخلاف في مسائل الفروع التي تبع من دلالات طنية أمر لا يمكن أن يتصور أو يتم<sup>(1)</sup>.

إن السعي في محاولة القضاء على الخلاف في مسائل الفروع، معاندة للحكمة الربانية والتدبیر الإلهي في تشريعه، عدا أنه ضرب من العبث الباطل، إذ كيف تضمن انتزاع الخلاف في مسألة ما دام دليلاً طنّياً محتملاً؟... ولو أمكن ذلك أن يتم في عصرنا، لكان أولى العصور به عصر رسول الله ﷺ، ولكن أولى الناس بألا يختلفوا هم أصحابه، فما بالهم اختلفوا مع ذلك كما رأيت؟<sup>(2)</sup> وفي الحديث السابق من الفقه أنه لا يعاب على من استبٰط من النص معنى يخصه، أو آية من كتاب الله، كما لا يعاب من استبٰط من المحتددين لا إثم على المخطئ، فقد قال ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فاختطا فله أجر واحد»<sup>(3)</sup>.

وحاصل ما وقع أن بعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته، ولم يبالوا بخروج الوقت وقت الصلاة توجيهًا لهذا النهي الخاص على النهي العام عن تأخير الصلاة عن وقتها<sup>(4)</sup>.

وقد علق الحافظ ابن حجر على هذه القصة فقال: ثم الاستدلال بهذه القصة على أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق ليس بواضح، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهاد، فيستفاد منه عدم تأييمه، وحاصل ما وقع في القصة أن بعض الصحابة حملوا النص على حقيقته، ولم يبالوا بخروج الوقت ترجيحاً للنهي الثاني على النهي الأول، وهو ترك تأخير الصلاة عن وقتها، واستدلوا بجواز التأخير لمن اشتغل بأمر الحرب بنظرير ما وقع في تلك الأيام بالخندق، والبعض الآخر حملوا النهي على غير الحقيقة، وأنه كنایة على الحث والاستعجال والإسراع إلى بني قريطة، وقد استدل به الجمهور على عدم تأييم من اجتهد؛ لأنه ﷺ لم يعنف أحداً من الطائفتين، فلو كان هناك إثم لعنف من إثم<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> (1) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص226.  
<sup>2</sup> (2) سنن أبي داود (3557).

<sup>3</sup> (?) المستفاد من قصص القرآن (2/286).  
<sup>4</sup> (4) اختصار من فتح الباري (7/473).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

#### رابع عشر: توزيع غنائمبني قريطة وإسلام ريحانة بنت عمرو:

1- جمع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم التي خلفها بنو قريطة، فكانت من السيف ألفاً وخمسمائة سيف، ومن الرماح ألفي رمح، ومن الدروع ثلاثة درع، ومن الترسوس ألفاً وخمسمائة ترس وجفة، كما تركوا عدداً كبيراً من الشياه والابل وأثناً كثيراً وأنية كثيرة، ووجد المسلمين دنائاً من الخمر، فوزعت الغنائم وهي الأموال المنقوله كالسلاح والاثاث وغيرها بين المحاربين من أنصار ومهاجرين من شهدوا الغزو، فاعطى أربعة أخماس الغنائم لهم، إذ جعل للفرسن سهemin، وللراجل سهماً، فالفارس يأخذ ثلاثة أسهم له ولفرسه، وغير الفارس يأخذ سهماً واحداً له، والخمس المتبقى هو سهم الله ورسوله المقرر في كتابه تعالى<sup>(1)</sup>.

وأما ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من الخمر عند بنبي قريطة فقد أرافقوه ولم يأخذوا منه شيئاً، ولم ينتفعوا به كذلك، وقد أسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لسويد بن خلاد الذي قتلت المرأة اليهودية بالرحي، وأعطي سهمه لورثته<sup>(2)</sup>، ولصحابي آخر مات أثناء حصار بنبي قريطة<sup>(3)</sup>، كما رضخ رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء اللواتي حضرن ولم يسهم لهن، منها: صفية بنت عبد المطلب، وأم عمارة، وأم سليمان، وأم العلاء، والسميراء بنت قيس، وأم سعد بن معاذ<sup>(4)</sup>، وأما الأموال غير المنقوله كالاراضي والديار فقد أعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمهاجرين دون الانصار، وأمر المهاجرين أن يردوا إلى الانصار ما يأخذوه منهم من نخيل وأرض، وكانت على سبيل العارية، ينتفعون بثمارها<sup>(5)</sup>، قال تعالى عن تلك الأرض والديار: ( وَأُورِكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارُهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطُوَّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ) [الأحزاب: 27].

قال الأستاذ محمد دروزة: أما عبارة «وارضا لم تطؤها» فقد قال المفسرون: إنها أرض خير، وإن الجملة يشري سابقة لفتحها، غير أن الذي تلهم روح الآية ومضمونها على ما يتبارد لنا أنها أرض لبني قريطة بعيدة عن مساكنهم، ألت إلى المسلمين دون حرب أو حصار، ونتيجة للمصير الذي صار إليه أصحابها<sup>(6)</sup>. هذا وقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة بالخمس من الذرية والنساء إلى الشام فباعها، واشترى بالثمن سلاحاً وخيلاً ليستعين به المسلمين

<sup>1</sup> (?). انظر: الصراع مع اليهود (2/96).

<sup>2</sup> (?). المصدر نفسه (2/97).

<sup>3</sup> (?). انظر: اليهود في السنة المطهرة (1/375).

<sup>4</sup> (?). انظر: الصراع مع اليهود (2/98). (4) انظر: سيرة الرسول لعزوة دروزة (2/202).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاخير من رمضان وعيد الفطر 1426

في معاركهم مع الأعداء من يهود ومشير كين، وكذلك بعث إلى نجد سعد بن زيد فباع سبياً واشتري سلاحاً<sup>(1)</sup>.

**2- إسلام ريحانة رضي الله عنها:** وكان من بين السبئي ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساءبني عمرو من بنى قريطة قد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها بعد أن تسلم، فترددت، وبقيت وقتاً على دينها، ثم شرح الله صدرها للإسلام فأسلمت، فبعثتها إلى بيت أم منذر بنت قيس حتى حاضت ثم طهرت، فجاءها خبرها: أيعتقها ويتزوجها أو تكون في ملكه صلى الله عليه وسلم؟ فاختارت أن تكون في ملكه رضي الله عنها<sup>(2)</sup>.

### خامس عشر: الإعلام الإسلامي في غزو الأحزاب:

قام شعراء الصحابة بدورهم الإجهادي، فقالوا قصائد رائعة وضحوا بها موقف المسلمين في غزو الأحزاب، نقتطف منها أبياتاً منها كنماذج لهذه القصائد، فمن ذلك قول كعب بن مالك، أخوبني سلمة: ولو شهدت رأتنا صابرينا

وسائل تسائل ما لقينا

صبرنا لا نرى لله عدلاً

وكان لنا النبي وزير صدقٍ

نقائلعشراً ظلموا وعقوباً

تعالجهم إذا نهضوا إلينا

ترانا في فضافض ساغفات

إلى أن قال:

لننصر أهmadًا والله، حتى

ويعلم أهل مكة حين ساروا

بأن الله ليس له شريك

فإما تقتلوا سعداً سفاهها

سيدخله جناناً طيبات

نكون عباد صدق مخلصينا  
وأحزاب أتوا متحزبينا  
وأن الله مولى المؤمنينا  
فإن الله خير القادرينا  
 تكون مقامة للصالحين

1 (؟) انظر: الصراع مع اليهود (2/98). 2 (6) المصدر نفسه (99/2).

3 (؟) المرصد: المعد للأمر عذنه.

4 (؟) متسريلينا: بلبسون الدروع

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

بغيطكم خزايا خائبينا  
وكدم أن تكونوا دامرينا  
فكتتم تحتها متكمهينا<sup>(3)</sup>

كما قد ردكم فلا شريداً  
خزايا لم تناعوا ثم خيراً  
بريج عاصف هبت عليكم

\* \* \*

---

<sup>3</sup> (?) متكمهينا: العمى الذين لا يبصرون.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

## الفصل الثاني عشر ما بين غزوة الأحزاب والحدبية من أحداث مهمة

### المبحث الأول

#### زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش رضي الله عنها

ومع استمرار حركة السرايا، وبناء الدولة، وبسط هيبيتها في الجزيرة العربية، كانت حركة البناء التشريعي والاجتماعي للامة الإسلامية تتکامل، فنظام التبني يهدم، والحجاج يفرض، وأدب الولائم يقرر، وضرورة الالتزام بطاعة الله ورسوله يؤكد على وجوبها، وتحارب الاعراف التي تعارض شرع الله تعالى، ففي زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيدة زینب بنت جحش حكّم دروسٌ وعبرٌ يقت خالدة على مر العصور وكر الدهور وتوالي الأزمان، وهذه قصة أم المؤمنين زینب بنت جحش رضي الله عنها.

##### أولاً: اسمها ونسبها:

هي زینب بنت جحش بن رباب بن يعمر الأسدية، أخت عبد الله بن جحش، وحمنة بنت جحش رضي الله عنها.  
أمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخت حمزة بن عبد المطلب<sup>(1)</sup>.

يقال كان اسمها برة، فسمّاها النبي صلى الله عليه وسلم زینب، وكانت تكنى أم الحكم<sup>(2)</sup>.

وكانت زینب رضي الله عنها من المهاجرات الأول، ورعة صوامة قوامة، كثيرة الخير والصدقة، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسرعken لحوقا بي أطولكن يدًا، قالت: فلن يتطلّاولن أيتها أطول يدًا، قالت: فكانت أطولةن يدًا زینب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق<sup>(3)</sup>.

وقد مدحتها السيدة عائشة رضي الله عنها كثيراً، وقالت في حقها: لم أر امرأة قط خيراً في الدين من زینب، وآتقى لله وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم وأعظم صدقة، وأشد أبتدالاً لنفسها في العمل الذي

<sup>1</sup> (?) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (1/372).

<sup>2</sup> (?) المصدر نفسه (4/1849).

<sup>3</sup> (?) مسلم في فضائل الصحابة (4/1907) رقم 2452.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى، ما عدا سورة من حدة كانت فيها تسريع منها الفيّة<sup>(1)</sup>.

### ثانيًا: زواجهها من زيد بن حارثة

أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحطم تلك الفوارق الطبقية الموروثة في الأمة المسلمة من عادات الجاهلية ليكون الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقى، وكان الموالى وهم الذي حررهم الرق ثم تحرروا طبقة أدنى من طبقة السادة، ومن الموالى كان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اعتقه ثم تباه، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوج زيدًا من شريقةبني أسد، وهي ابنة عمته زينب بنت جحش رضي الله عنها، ليبيطل تلك الفوارق الطبقية بنفسه في أسرته، وكانت هذه الفوارق من العمق والعنف بحيث لا يحطمها إلا فعل واقعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتنفذ منه الأمة المسلمة أسوة وقدوة، وتسير البشرية على هداه في هذا الطريق.

وأيضاً لعلَّ من الحكمة في هذا الزواج أنه كان مقدمة لتشريع آخر لا يقل أهمية في حفظ توازن المجتمع وحماية الأسرة عن الأول، وإن لم تظهر هذه الحكمة في بداية الأمر<sup>(2)</sup>.

انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخطب لفتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بلى فانكحيه»، قالت: يا رسول الله أؤامر في نفسي؟ فيبينما هما يتحادثان أنزل الله تعالى هذه الآية: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قُضِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [الأحزاب: 36].

فقالت: يا رسول الله قد رضيته لي زوجًا؟ قال: «نعم» قالت: لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد زوجته نفسي<sup>(3)</sup>.

وكان زيد بن حارثة إذ ذاك لا يزال يدعى زيد بن محمد، فتزوجها زيد، وأصدقها في هذا الزواج عشرة دنانير، وستين درهماً، وخماساً، وملحفة، ودرعًا، وخمسين معدلاً من طعام، وعشرة أمداد من تمر<sup>(4)</sup>.

### ثالثًا: طلاق زيد لزينب رضي الله عنها:

شاءت حكمة الله تعالى أن لا يتوافق زيد وزينب في زواجهما

<sup>1</sup> (؟) مسلم في فضائل الصحابة (4/1892) رقم 2442.

<sup>2</sup> (؟) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات، حفصة بنت عثمان الخلقي ص 205.

<sup>3</sup> (؟) انظر: جامع البيان للطبرى (22/11). (4) انظر: تفسير ابن كثير (3/489).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

وأصبحت حياة الزوجين لا تطاق، وصمم زيد على فراق زوجه زينب، وكان قبل ذلك يشتكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم استطاعته إبقاء مع زينب، ورسول الله يأمره بإمساك زوجه مع تقوى الله في شأنها، حتى أذن الله بالطلاق فطلقها زيد، وانفصمت العلاقة بينهما بعد أن قضى زيد وطره، وبعد أن مكث معها ما يقرب من سنة، قال ابن كثير: فمكثت عنده فريباً من سنة أو فوقها، ثم وقع بينهما (يعني الخلاف) فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: «أمسك عليك زوجك واتق الله»<sup>(1)</sup>.

لم يبق لزيد رغبة في إبقاء العلاقة الزوجية معها؛ لأنه كان كريم النفس لا يريد أن يبني سعادته وراحة على شقاء الآخرين وتعاستهم والإضرار بهم؛ ولهذا صمم على الفراق وعدم الإضرار بها؛ لأنها كانت تعيش في قلق وأضطراب، وانتهى زواج زيد بن حارثة بزينب بنت حخش على هذا الوضع دون أي تدخل خارجي بينهما، ووقع ذلك الطلاق بمحضر اختياره وإرادته، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن ذلك، ويأمره بتقوى الله وإمساك زوجته<sup>(2)</sup>. قال ابن كثير بعد أن ذكر هذا السبب: (ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير أثراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحبينا أن نضرب عنها صفحًا لعدم صحتها فلا نوردها)<sup>(3)</sup>.

**رابعاً: الحكمة من زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب:**

كانت عادة التبني متغلغلة في نفوس الناس ومشاعرهم، وليس من السهل التغلب عليها وإنفاذ الآثار المترتبة عليها، هذه العادة في صدر الإسلام في مكة وفي أول الهجرة إلى المدينة، ثم شاء الله تعالى فنزلت الآيات في نفي أن يكون الأدعية أبناء لمن آذعاهم في الحقيقة، وإنما ذلك حسب دعوى المدعي فقط، وذلك لا يغير من الواقع شيئاً، فقال تعالى: (مَا حَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبِينَ فِي حَوْفَهِ وَمَا حَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الْلَّائِي تُطَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أَمْهَاتُكُمْ وَمَا حَعَلَ أَذْعَيَاءَكُمْ أَنْبَاءَكُمْ ذَلَّكُمْ فَوْلَكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) [الأحزاب: 4].

ثم أمر تبارك وتعالى برد نسيهم إلى آبائهم في الحقيقة، فهذا من العدل والقسط والبر، فقال تعالى: (أَذْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا أَتَاءَهُمْ فَاحْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيْكُمْ وَلَنْ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ حُتَّاجَ فِيمَا أَخْطَلْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعْمَدُتُ فِلَوْكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا).

1 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم (3/491).

2 (?) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات، ص 209.

3 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم (3/491).

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهمما قال: (إن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن)<sup>(1)</sup>.

ولم يجعل الله سبحانه وتعالى عدم معرفتهم لآبائهم الحقيقين مبرراً لإبقاء تبنيهم لهم، بل حرم التبني في هذه الحالة، وأخبر أنهم حينئذ إخوانهم وموالיהם، فقال تعالى: (أَذْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا أَبَاءَهُمْ فَأَخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيْكُمْ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ حُنَاحٌ فِيمَا أَحْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكُنْ مَا تَعْمَدُتُ فُلُونِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوراً رَّحِيْمًا) [الأحزاب: 5]. أي فإن لم تعرفوا أباءهم فليس بينكم وبينهم إلا الأخوة في الدين وأمواله، وذلك عوضاً عما فاتهم من النسب، فيقال: قلان مولى قلان، أو مولىبني قلان<sup>(2)</sup>.

وهذه الأخوة في الدين وأمواله لها أهمية كبيرة، فهي ثابتة حتى للذين عرفوا أباًوهم، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة: «أنت أخونا ومولانا»<sup>(3)</sup> أي أخونا في الإسلام والولاية، كما قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الحجرات: 10]. وجاءت نصوص أخرى تعالج هذا الأمر من جهة أخرى، وهي جهة الآباء، فجاء تحرير الانتساب إلى غير الأب الحقيقي والمتنيب يعلم ذلك تحريراً ماقاطعاً لا شبهة فيه<sup>(4)</sup>، قال صلى الله عليه وسلم: «من ادعى إلى غير أبيه أو انتهى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً»<sup>(5)</sup>.

وقد جعل الشارع لنشوء النسب سبباً واضحاً هو الاتصال بالمرأة عن طريق الزواج أو ملك اليمين، وأبطل ما كان يجري عليه أهل الجاهلية من إلحاق الأولاد عن طريق العهر والزنا قال صلى الله عليه وسلم: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»<sup>(6)</sup> ومعناه أن من يجيء من الأولاد ثمرة لفراش صحيح قائم على عقد الزواج أو ملك اليمين يتحقق نسبه بابيه، وأن العهر والزنا لا يصلح أن يكون سبباً للنسب، وإنما يكون سبباً لشيء آخر هو الرجم والحجارة<sup>(8)</sup>. ثم إن الله سبحانه وتعالى بعد أن منع وحرم دعوة الآباء بنسبيته إلى من تبناه وأمر بدعوه

<sup>1</sup> (?) البخاري في التفسير باب (أَذْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ) (3/276) رقم 4782.  
<sup>2</sup> (?) انظر: تفسير السعدي (4/136). (2) البخاري في الصلح (2/267) رقم 2699.

<sup>4</sup> (?) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات، ص 189.  
<sup>5</sup> (?) صرفاً: توبية، وقيل: نافلة، عدلاً: أي فدية وقيل: فريضة.

<sup>6</sup> (?) البخاري في فضائل المدينة (2/411) رقم 3172.

<sup>7</sup> (?) البخاري في الحدود (4/254) رقم 6818.

<sup>8</sup> (?) انظر: علاقة الآباء بالبناء في الشريعة الإسلامية، د. سعاد الصانع، ص 52، 53.

منسوّاً إلى أبيه الحقيقى إن عرف، أو إلى الأخوة في الدين والموالاة بعد ذلك بين حكم من أخطأ أو تعمد مخالفته هذا التشريع الإلهي، قال تعالى: **(إِذْ عُوْهُمْ لَأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ فَانِ لَمْ تَعْلَمُوا أَبَاءَهُمْ فَإِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَا إِلَيْكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ حِنْاجٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكُنْ مَا تَعْمَدُتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)** [الأحزاب: 5].

فقد نفي الله سبحانه وتعالى الجناح (الإثم) عنمن أخطأ في نسبة الابن إلى غير أبيه في الحقيقة، وذلك بعد الاجتهاد واستفتاره الواسع أو نسي فنسب الابن إلى غير أبيه بجريان لسانه بذلك، وأثبت الحرج والإثم لمن تعمد الباطل وهو دعوه الرجل لغير أبيه بعد علمه بتحريم ذلك<sup>(1)</sup>.

كانت عادة النبي مستحكمة في نفوس الناس، وقد أخذت أبعادها مع مرور الزمن فكان زواج النبي صلي الله عليه وسلم بالسيدة زينب إلغاء عملياً وليس إلغاء ذهنياً فحسب<sup>(2)</sup>.

إن الحكمة في زواج رسول الله صلي الله عليه وسلم من السيدة زينب حكمة واضحة وظاهرة، وقد بينها الله تعالى بقوله عز وجل: **(لَكُنْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ فِي أَرْوَاحِ أَذْعَيَاهُمْ إِذَا قُضِيُوا مِنْهُنَّ وَطَرَا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً)** [الأحزاب: 37].

وقد ذكر المبطلون من الكفار وفروخهم ومقلدوهم بما ينعقدون به، ويرددون الجهل متلقيين بروايات مكذوبة خلاصتها كما يقترون أن النبي صلي الله عليه وسلم قد هو زينب بنت جحش بعد أن تزوجت بزيد بن حارثة، فلما علم زيد بذلك أراد طلاقها ليتزوجها النبي صلي الله عليه وسلم<sup>(3)</sup>، فهذا قول باطل، وقد نسف الإمام ابن العربي هذا القول من جذوره فقال: **فَامَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَاهَا إِيْ رَأَى زَيْنَبَ بَنْتَ جَحْشَ فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ، فَبَاطَلَ، فَبَاطَلَ، فَإِنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وَمَوْضِعٍ، وَلَمْ يَكُنْ حَيْنَيْدَ حِجَابًا، فَكَيْفَ تَنْشَا مَعَهَا وَيَنْشَا مَعَهَا، وَبِلَحْظَاتِهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلَا تَقَعُ فِي قَلْبِهِ إِلَّا كَانَ لَهَا زَوْجٌ؟ حَاشَا لَذَلِكَ الْقَلْبُ الْمَطْهُورُ مِنْ هَذِهِ الْعَلَاقَةِ الْفَلَاسِدَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: (وَلَا تَمُدِّنِي عَنْتَنِي إِلَى مَا مَغَّيَّبَنِي بِهِ أَرْوَاحًا مَنْهُمْ رَهْرَهَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِتَغْيِيْتُهُمْ فِيهِ)**

[طه: 131] والنساء أفتتن الزهرات فيخالفن هذا في المطالقات فكيف في المنحوتات؟ ثم إن قوله تعالى: **(وَتُنْخَفِي فِي تَفْسِيْلِ مَا اللَّهُ مُنْدِيْهِ)** [الأحزاب: 37] يعني من نكاحك لها وهو الذي أبداه لا سواه أقول: ولو كان الذي أخفاه رسول الله صلي الله عليه وسلم هو حبه لها لأبداه الله تعالى وأظهره فتيقنا أن الذي أخفاه رسول الله من أمر

<sup>1</sup> (?) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات، ص 191، 192.

<sup>2</sup> (?) انظر: من معن السيرة، ص 311.

<sup>3</sup> (?) انظر: المفصل في أحكام المرأة، عبد الكريم زيدان (475، 11/474).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

زينب هو نكاحه إياها وليس ما تخيله المبطلون من حبه لها<sup>(1)</sup>.

إن الشرع أراد تأكيد إبطال نظام التبني وإبطال كل نتائجه وتعزيز هذا الإبطال في النفوس وتأكيده بالتطبيق العملي، والقدوة والتأسى بهمن يقتدي به في تطبيق هذه الأحكام الجديدة التاسخة، وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بزواجه زينب بأمر من الله تعالى العزيز الحكيم<sup>(2)</sup>.

**خامسًا: قصة زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب وما فيها من دروس وعبر:**

لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد: اذهب فاذكرها على فانطلق قال: فلما رأيتها عظمت في صدري فقلت: يا زينب أبشرني أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك، قالت: ما أنا بصناعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليها بغير إذن<sup>(3)</sup>، وأصدقها أربعين درهم، وكان زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب في السنة الخامسة على المشهور، وقال الحافظ البيهقي: تزوجها بعدبني قريطة<sup>(4)</sup>.

وأولم الرسول صلى الله عليه وسلم في عرس زينب وليمة كبيرة، فأولم بشارة وقد دُعيَ إلى الوليمة كل من لقيه أنس بناء على أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن أنس قال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على امرأة من نسائه ما أولم على زينب، فإنه ذبح شاة<sup>(5)</sup>.

وهكذا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر ربه، زينب بنت جحش -رضي الله عنها- بعد طلاق زيد لها وأنقضاء عدتها، وفي زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب وما نزل فيه من القرآن وما وآكيه من أحداث عطاءات وعبر<sup>(6)</sup> وقفنا عند بعضها، ويجدونا أن تتأمل في بعض الدروس وال عبر التي نقف عليها منها:

**1- كان خاطب زينب للنبي صلى الله عليه وسلم هو زوجها الأول**  
زيد بن حارثة<sup>1</sup>، ولعل اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد مقصود لذاته، ليقطع بذلك البنية المتقولين وما قد يزعموه من أن طلاقها وقع بغير اختيار منه، وأنه قد بقي في نفسه من الرغبة فيها شيء، وفي هذا يقول ابن حجر: (هذا من أبلغ ما وقع في ذلك)، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً

1. (? ) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (1531/3).

2. (? ) انظر: المفصل في أحكام المرأة (11/476).

3. (? ) مسلم في النكاح (2/1048) رقم 1428.

4. (2) انظر: البداية والنهاية (4/147).

5. (? ) البخاري في النكاح باب من أولم على بعض نسائه (3/3870) رقم 5171.

6. (? ) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات، ص 312.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

255

غير رضاه، وفيه أيضا اختبار ما كان عنده منها هل بقي منه شيء أم لا؟<sup>(1)</sup>

وفي هذا من الحكمة أيضا أن ما يقع بين الزوجين من نفرة وخلاف ثم طلاق لا يجوز أن يكون مانعاً من نصح أحد الزوجين للآخر، وأن يراعي فيه حقوق الأخوة الإيمانية، فهذا زيد رغم ما وقع بينه وبين زينب، ورغم أن هذا كان بسببها إلا أنه ذهب يخطبها لرسول الله، بل ويقول لها: (يا زينب أبشر).

2- في الآية التي نزلت بشأن هذا الزواج عتاب للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه، إذ كان حين يأتيه زيد يشكو زينب ومعاملتها له ورغبتها في طلاقها يقول: (أمسك عليك زوجك واتق الله) أي اتق الله ودع طلاقها، أو اتق الله فيما تذكره من سوء عشرتها، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخفى في نفسه ما أبلغه الله به أن زيداً سيطلقها، وأنها ستكون زوجة له، ويخشى متى وقع هذا من كلام الناس في قوله: تزوج مطلقة من بناته وهو زيد بن حارثة. روى أنس بن مالك قال: (جاء زيد بن حارثة بشكوه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اتق الله وأمسك زوجك») قال أنس: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية<sup>(2)</sup>.

3- في قوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَى رَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجَنَاكَهَا) منقبة عظيمة لزيد بن حارثة فقد انفرد بهذا، إذ لم يسم القرآن أحداً من الصحابة غيره، قال السهيلي: (كان يقال: زيد بن محمد حتى نزل (اذْعُوهُمْ لابائِهِمْ) فقال: أنا زيد بن حارثة، وحرم عليه أن يقول: أنا زيد بن محمد، فلما نزع عنه هذا الشرف وهذا الفخر، وعلم الله وحشته من ذلك شرفه بخصيصة لم يكن يخص بها أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أنه سماه في القرآن، فقال تعالى: (فَلَمَّا قَضَى رَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا) يعني من زينب، ومن ذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرآنًا يتلى في المحاريب، نوه به غاية التنويه، فكان في هذا تأنيس له وعواض من الفخر بآبواه محمد صلى الله عليه وسلم له. إلا ترى إلى قول أبي بن كعب حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة كذا» فيكى، وقال: أو ذكرت هنالك؟ وكان بگاؤه من الفرح حين أخبر أن الله تعالى ذكره، فكيف يمن صار اسمه قرآنًا يتلى مخلداً لا يبيد، يتلوه أهل الدنيا إذا قرؤوا القرآن، وأهل الجنة أبداً، لا يزال على السنة المؤمنين، كما لا يزال مذكوراً على الخصوص عند رب العالمين، إذ القرآن كلام الله القويم وهو باقٍ لا يبيد، فاسم زيد هذا

<sup>1</sup> (؟) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (8/524).

<sup>2</sup> (؟) البخاري في التوحيد (4/388) رقم 7420.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة تذكره في التلاوة السفرة الكرام البررة، وليس ذلك لاسم من أسماء المؤمنين إلا النبي من الأنبياء ولزيد بن حارثة تعويضاً من الله تعالى له ما نزع منه<sup>(1)</sup>.

**4- زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش رضي الله عنها كان بأمر ربه، وهو الذي زوجه إياها، قال تعالى: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ عَلَيْكَ رِوْحَكَ وَأَنْقَلَ اللَّهُ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا أَلْلَهُ مَنْدِيهِ وَتَخْشِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى رَبِّهِ مِنْهَا وَمَلَرًا رَوْجَنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي ازْوَاجِ أَذْعَيَاهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً) [الأحزاب: 37].**

وفي هذا شرف عظيم ومنقبة حلية لزینب رضي الله عنها، كانت تفاخر بها وحق لها ذلك، فعن أنس قال: كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: زوجكن أهاليك وزوجني الله من فوق سبع سماوات، وفي رواية أخرى: (كانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تقول: إن الله أنكحني في السماء)<sup>(2)</sup>.

ولعل هذه المنقبة وهذا الشرف لزینب رضي الله عنها كان جزءاً لها حين أذعنـت وخضعت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرها بالزواج من مولاه زيد بن حارثة، وكانت لذلك كارهة، ثم لما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرها بذلك قبلت الزواج منه<sup>(3)</sup>.

**5- في وليمته صلى الله عليه وسلم على زینب علامـة من علامـات بيـوته دلالة من دلائـها، وهي تكثير الطعام بدعـونـه، وفي هذه الوـليـمة أيضاً كان نزولـ آية حـجـابـ نـسـاءـ النـبـيـ صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وماـ شـرـعـ منـ آـدـابـ الضـيـافـةـ<sup>(4)</sup>.**

فعن أنس بن مالك قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل باهله قال: فصنعت أمي أم سليم حيساً فجعلته في تور<sup>(5)</sup>، فقالت: يا أنس: اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل: بعثت بهذا إليك أمي، وهي تقرئك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله، قال: فذهبت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أمي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا منا قليل يا رسول الله، فقال: «ضـعـهـ»، ثم قال: «اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً، ومن لقيـتـ» وسمـىـ رجالـاـ، قال: فدعـوتـ منـ سـمـىـ ومنـ لـقـيـتـ قال: قـلتـ لأنـسـ، عـدـ كـمـ كـانـواـ؟ـ قالـ: زـهـاءـ ثـلـاثـمـائـةـ.ـ وـقـالـ لـيـ رسولـ اللهـ صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: «ياـ أـنـسـ: هـاتـ التـورـ»ـ قالـ: فـدـخلـواـ حتـىـ

<sup>1</sup> (؟) انظر: تفسير القرطبي (14/194).

<sup>2</sup> (؟) البخاري في التوحيد، باب وكان عرشـهـ علىـ المـاءـ (4/388) رقم 7421.

<sup>3</sup> (؟) انظر: قصـيـاـ نـسـاءـ النـبـيـ وـالـمـؤـمـنـاتـ، صـ218.

<sup>4</sup> (؟) المصدر نفسهـ، صـ218.

<sup>4</sup> (4) تور: الإناءـ.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

امتلأت الصفة والحجرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليتحقق عشرة عشرة، ولما كل كل إنسان مما يلبه» قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم، فقال لي: «يا أنس، ارفع» قال: فرفعت فما أدرى حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت، قال: وجلس طوائف منهم يتتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فتكلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه ثم رجع، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجع ظنوا أنهم قد أثقلوا عليه، قال: فابتدرروا الباب فخرجوه كلهم، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل، وأنا جالس في الحجرة، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عليّ، وأنزلت هذه الآيات، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأهن على الناس: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ تَاطِرِينَ أَنَّهُ وَلَكُنْ إِذَا دُعَيْتُمْ فَادْخُلُوهُ فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَأَتْسِنْحِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ إِذَا سَأَلَتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مَنْ وَرَاءَ حَجَابَ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقْلُوكُمْ وَقُلُوبُهُنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا) [الأحزاب: 53].

قال الجعد<sup>(1)</sup>: قال أنس بن مالك: أنا أحدث الناس عهداً بهذه الآيات، وحجبن نساء النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(2)</sup>. وقد حجب رسول الله صلى الله عليه وسلم نسائه لنزول آية الحجاب التي قال المولى عز وجل فيها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ...). وقد كان نزول آية الحجاب من موافقات عمر<sup>هـ</sup>، روى البخاري في صحيحه عن أنس قال: قال عمر<sup>هـ</sup>: قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاخر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب<sup>(3)</sup>.

وبنزول هذه الآية كان تشريع الحجاب في الإسلام بالنسبة لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، والمراد عدم إبداء شيء من أجسامهن للآجائب عنهن، وعدم محادثتهن أو طلب شيء منهم إلا من وراء حجاب، أي ستريكون بينهن وبين غيرهن، ولما نزلت قال الآباء والأبناء

1 (؟) الجعد بن دينار، أبو عثمان البشكري، البصري من أصحاب أنس.

2 (؟) البخاري في النكاح، باب (الهدية للعروس) (3/378) رقم 5163.

3 (؟) البخاري في التفسير (6/29) رقم 4790.

والأقارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ونحن أيضاً نكلمهم من وراء حجاب؟ فأنزل الله قوله: ( لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي أَبَائِهِنَّ وَلَا أَبَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُنَّ وَلَا تَقْيَنَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ) [الأحزاب: 55].

ونزل أيضاً في شأن نساء النبي في أدب الخطاب والإقامة في البيوت قوله تعالى: ( يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ تَقْيَنَ فَلَا تَحْصُنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْلَعُ الْذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ فَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْزُوفًا وَقَرْنَ فِي يُؤْوِتِكَنِّ وَلَا تَنْهَ حِنْ تَبَرَّحَ الْجَاهِلَةُ الْأَوْلَى وَاقْفَمَ الصَّلَاةَ وَاتَّبِعَ الرِّكَاةَ وَأَطْعَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَهِّبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَبِطْهَرَ كُمْ تَطْهِيرًا ) [الأحزاب: 32, 33].

وقد فصل سيدنا وتعالى في كتابه الكريم ما يتعلق بالنساء المسلمات: من غض البصر، وحفظ الفرج، وعدم إبداء مواضع الزينة من عنق وساقي وعنصد وساعد وشعر، ونحوها من العورة الظاهرة إلا للمحارم<sup>(1)</sup>. وقد جاء ذلك في سورة النور، وقد بيّنت السنة النبوية كل ما يتعلق بالنساء من احتجاب وتصون وتعفف، وعدم السفور والخلاعة والابتذال بما لا مزيد عليه<sup>(2)</sup>.

هذه بعض الدروس وال عبر استخرجت من قصة زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش، وما واكت ذلك الزواج من نزول آيات بيّنات في أحكام الحجاب، وما شرع من ادب الصيافة.

هذا وقد توفيت زينب بنت جحش رضي الله عنها سنة عشرين من الهجرة وعمرها ثلاثة وخمسون سنة، وكانت كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أول نسائه لحوًّا به<sup>(3)</sup>، وقد بلغت مروياتها عن النبي صلى الله عليه وسلم وفق كتاب بقى بن مخلد أحد عشر حديثاً<sup>(4)</sup> ولها في الكتب الستة خمسة أحاديث<sup>(5)</sup>، اتفق لها في البخاري ومسلم عن حديثين<sup>(6)</sup>، فقد تركت ذكرًا طيبًا في تاريخ الأمة الإسلامية<sup>(7)</sup>.

\* \* \*

1 (؟) انظر: السنة النبوية لأبي شهبة (2/312).  
2 (؟) المصدر نفسه (2/314).

3 (؟) انظر: الطبقات الكبرى (8/115).

4 (؟) انظر: تلقيح الفهوم لابن الجوزي، ص 370.

5 (؟) انظر: تحفة الأشراف للمزمي (21/11-323).

6 (؟) انظر: سير أعلام النبلاء (2/121).

7 (؟) انظر: دور المرأة في خدمة الحديث، ص 58.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الآن نغزوهم ولا يغزوننا<sup>(1)</sup>

كان صلى الله عليه وسلم يعلم حساب كل القوى المجاورة، ولا يغفل عن أي قوة منها، وقد صرخ بعد غزوة الخندق بأن الخطة القادمة هي عزو قريش، فقد تغيرت موازين القوى، وأصبح المسلمون لهم القدرة على الهجوم أكثر من قبل، فسعى صلى الله عليه وسلم لتبسيط سيادة الدولة على ما تبقى من قوى حول المدينة؛ لأن ذلك له صلة بالإعداد لغزو قريش في مرحلة لاحقة، فقد قام صلى الله عليه وسلم خلال عام واحد - العام السادس - بـ بغزوتين وأرسل أربع عشرة سربة غير ما قام به في نهاية العام الخامس الهجري، وهذه الأعمال والتحركات قصد منها المزيد من إنهاك قوى قريش وإحراكم الحصار، وتقليل أظفارها من خلال اقتطاع كل ما يمدّها بالقوة من حلفائها<sup>(2)</sup>، فقد استمر رسول الله وأصحابه ما حقوه من نجاح في ضد الأحزاب وإفشال خططهم، وردهم كيد يهود بنى قريطة في نجورهم، فباشروا نشاطاً واسع النطاق ضد خصومهم على جميع الجبهات، فقد ضيقوا الخناق الاقتصادي على قريش من جديد، كما نفذوا العديد من السرايا لمعاقبة المشركين في الأحزاب من جهة أو للثأر من القبائل التي كانت قد غدرت بالدعاة، أو ناصبت الإسلام العداء، وقد تمثل النشاط العسكري الإسلامي خلال هذه الفترة فيما يلي:

## أولاً: سرية محمد بن مسلمة إلى بنى القرطاء:

كانت العشائر النجدية من أجرأ العناصر البدوية الوثنية على المسلمين؛ لأن النجدين أهل قوة وبأس وعدد غامر، وقد رأينا كيف أن العمود الفقري لقوات الأحزاب الضاربة كان من هذه القبائل النجدية، حيث كان رجال هذه القبائل الشرسية يشكلون الأغلبية الساحقة من تلك القوة الضاربة، ستة آلاف مقاتل من غطfan وأشجع وأسلم وفزاره وأسد، كانت ضمن الجيوش التي قادها أبو سفيان لحرب المسلمين فحاصرهم أهل المدينة.

ولهذا فإن أول حملة عسكرية وجهها النبي صلى الله عليه وسلم لتأديب خصومة بعد غزوة الأحزاب هي تلك الحملة التي جردها على القبائل النجدية من بنى بكر بن كلاب الذين كانوا يقطنون القرطاء بناحية ضربة<sup>(3)</sup>، على مسافة سبع ليالٍ من المدينة، وفي أوائل شهر المحرم عام خمس للهجرة وبعد الانتهاء مباشرة من القضاء على يهود

<sup>1</sup> (?) البخاري في المغازي (5/58) رقم 4110.

<sup>2</sup> (?) انظر: دراسات في عهد النبي للشجاع، ص 139.

<sup>3</sup> (?) فربة عامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة من نجد. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخيرة من رمضان وعيد الفطر 1426

بني قريطة وجه **صلى الله عليه وسلم**<sup>(1)</sup> سرية من ثلاثين من أصحابه عليهم محمد بن مسلمة لشن الغارة على بنى القرطاء من قبيلة بكر بن كلاب، وذلك في العاشر من محرم سنة 6هـ<sup>(2)</sup>، وقد داهموهم على حين غرة فقتلوا منهم عشرة وفر إلى باقون، وغنم المسلمون إبلهم وماشيتهم<sup>(3)</sup>. وفي طريق عودتهم أسروا ثمامة بن أثال الحنفي سيد بنى حنيفة، وهم لا يعرفونه فقدموا به المدينة وربطوه بسارية من سورى المسجد، فخرج إليه النبي **صلى الله عليه وسلم** فقال: **ماذا عندك يا ثمامة؟** فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت ت يريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد فقال: **ما عندك يا ثمامة؟** فقال: عندي ما قلت لك. إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد فقال: **ما عندك يا ثمامة؟** فقال عندي ما قلت لك، فقال: **أطلقوه ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد** فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى الله من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى الله، والله ما كان دين أبغض إلى الله من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلى الله، والله ما كان بلد أبغض إلى الله من بلدك فأصبحت بلدك أحب البلاد إلى الله، وأن خيلك أخذتني وأنا أريد العمارة، فماذا ترى؟ فبشيره رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله ولكني أسلمت مع محمد رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، لا والله لا يأتيكم من اليهود حبة حنطة حتى ياذن فيها النبي **صلى الله عليه وسلم**<sup>(4)</sup>. وقد أبر بقسمه مما دفع وجده مكة إلى أن يكتبوا إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة ليخلع لهم حمل الطعام<sup>(5)</sup>، فاستجواب النبي **صلى الله عليه وسلم** لرجاء قومه بالرغم أنه في حالة حرب معهم، وكتب إلى سيد بنى حنيفة ثمامة: **أن حَلَّ بَيْنَ قَوْمِيْ وَبَيْنَ مَيْرَتَهُمْ**، فامتثل ثمامة أمر نبيه، وسمح لبني حنيفة باستئاف إرسال المحاصيل إلى مكة، فارتفع عن أهلها كابوس المجائعة<sup>(6)</sup>. وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

### 1- جواز ربط الكافر في المسجد.

2- جواز المن على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء، لأن ثمامة أقسم أن يغضنه انقلب حباً في ساعة واحدة لما أسداه النبي **صلى الله عليه وسلم** إليه من العفو والمن بغير مقابل.

1

2

3

4

5

6

(?) انظر: صلح الحدبية، باشميل، ص 24.

(?) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، المغاربي، ص 351.

(?) مسلم (3/1386) رقم 1764.

(?) انظر: نصرة النعيم (1/330). (5) المصدر نفسه (1/330).

(?) انظر: السيرة الحلبية (2/298)، الاستيعاب لابن عبد البر ترجمة ثمامة بن أثال الحنفي.

3- الاغتسال عند الإسلام كما فعل ثمامنة حين أسلم.  
4- الإحسان يزيل البغض وينبت الحب.

5- يشرع للكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم أن يستمر في عمل ذلك الخير.

6- الملاطفة لمن يرجي إسلامه من الأسرارى إذا كان في ذلك مصلحة ل الإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكبير من قومه<sup>(١)</sup>.

7- الإسلام يغير سلوك المؤمن حين يضع المسلم قدراته تحت إمرة الإسلام والمسلمين، كما فعل ثمامنة بعدم إرساله القمح لأهل مكة إلا بإذن من الرسول عليه السلام.

8- ينبغي أن يخلع المؤمن على عتبة الإيمان، وعند تركه للكفر، كل علاقاته السابقة، والتزامه بأوامر رب العالمين بعد إيمانه<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر:

تعتبر سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر، استمراً لسياسية النبي صلى الله عليه وسلم العسكرية لاضعاف قريش ومحاصرتهم اقتصادياً على المدى الطويل، فقد بعث صلى الله عليه وسلم أبا

عبيدة بن الجراح في ثلاثة راكتب قبل الساحل، ليفرضوا عبيراً لقريش، وعندما كانوا بعض الطريق فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزوال الجيش فجمع، فكان قدر مزود تمر، يقوتهم منه كل يوم قليلاً، حتى كان أخيراً نصيب الواحد منهم تمرة واحدة، وقد أدرك الجنود صعوبة الموقف فتقبلوا هذا الإجراء بصدور رحبة دون تذمر أو ضجر، بل إنهم ساهموا في خطة قائدهم التكتيقية، فصاروا يحاولون الإيقاء على التمرة أكبر وقت ممكن<sup>(٣)</sup>. يقول جابر<sup>٤</sup> أحد أفراد هذه السرية: (كنا ننصها كما ينص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل)<sup>(٤)</sup> وقد سأله وهب بن كيسان جابر<sup>٥</sup>: ما تغنى عنكم تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت<sup>(٦)</sup>.

وقد اضطر ذلك الجيش إلى أكل ورق الشجر، قال جابر<sup>٧</sup>: وكنا نضرب بعصينا الخبط<sup>(٨)</sup>، ثم نليله بالماء فناكله<sup>(٩)</sup> (فسمى ذلك الجيش جيش الخبط)<sup>(١٠)</sup>، وقد أثر هذا الموقف في قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما أحد جنود هذه السرية الشجاعية، وهو رجل من أهل بيت أشتهر بالكرم، فنحر للجيش ثلاث جزائر<sup>(١١)</sup>، ثم نحر ثلاث جزائر،

<sup>1</sup> (؟) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 386، 387. <sup>2</sup> (2) المصدر نفسه، ص 387.

<sup>3</sup> (؟) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 118. <sup>4</sup> (4) مسلم شرح النووي (13/84).

<sup>5</sup> (؟) فتح الباري (8/77).

<sup>6</sup> (؟) الخبط: ضرب الشجر بالعصا ليترن ورقها باسم الورق الساقط خبط.

<sup>7</sup> (؟) شرح النووي (13/84). <sup>8</sup> (8) فتح الباري (8/78).

<sup>9</sup> (؟) جمع جزور، والجزور: البعير، أو خاص بالناقة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ثم نحر ثلاث جزائر، ثم إن أبا عبيدة نهاد<sup>(1)</sup>.

فيبينما هم كذلك من الجوع والجهد الشديدين إذ زفر البحر رفرة أخرى الله فيها حوتاً ضخماً، فاللقاء على الشاطئ، ويصف لنا حابر بن عبد الله رضي الله عنهما مقدار ضخامة هذا الحوت العجيب فيقول: وانطلقنا على ساحل البحر، فرُفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم<sup>(2)</sup>، فأتيناها فإذا هي دابة تدعى العنبر<sup>(3)</sup>، قال: قال أبو عبيدة: ميّة، ثم قال: لا بل نحن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكّلوا، قال: فأقمنا عليها شهراً، ونحن ثلاثة حتى سمنا، قال: وقد رأيتنا نفترف من وقب<sup>(4)</sup> عينيه بالقلال<sup>(5)</sup> الدهن، ونقطع منه الفدر<sup>(6)</sup> كآلثور، أو قدر الثور، فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينيه، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فاقامها، ثم رحل أعظم بغير معنا فمر من تحتها<sup>(7)</sup>، وتزودنا من لحمه وسائلق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(8)</sup> فقال: «ما جبسك؟» قلنا: كنا نتبع عيرات قريش، وذكرنا له من أمر الدابة<sup>(9)</sup>، فقال: «هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتقطعمونا» قال: فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله<sup>(10)</sup>. كانت هذه السرية على الأرجح قبل صلح الحديبية، وليس في رجب سنة ثمان كما ذكر ابن سعد<sup>(11)</sup>، وذلك لسبعين: السبب الأول: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يغز ولم يبعث سرية في الشهر الحرام، والثاني: أن رجب سنة ثمان هو ضمن فترة سريان صلح الحديبية<sup>(12)</sup>.

وذكر ابن سعد والواقدي<sup>(13)</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثهم إلى حي من جهينة، وقال ابن حجر<sup>(14)</sup>: إن هذا لا يغاير ظاهره ما في الصحيح: لانه يمكن الجمع بين كونهم يتلقون عيراً لقريش ويقصدون حيًّا من جهينة، ويحتمل أن يكون تلقיהם للعيراً ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة، ويقوى هذا الجمع ما عند مسلم<sup>(15)</sup> أن البعث كان

1 (?) فتح الباري (8/78).

3 (?) العنبر: سمكة كبيرة يتخذ من جلدتها التراس.

4 (2) الكثيب: التل من الرمل.

5 (?) القلال: الجرة العظيمة.

7 (?) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 121.

8 (?) انظر: صحيح سنن النسائي للألباني (3/910).

9 (?) انظر: الطبقات لأبن سعد (2/132)، والذهب في المغارزي، ص 519.

11 (?) انظر: المجتمع المدني للعماري، ص 125.

13 (?) انظر: المغارزي (2/774)، السيرة النبوية على ضوء مصادرها الأصلية، ص 480.

14 (?) انظر: السيرة النبوية على ضوء مصادرها الأصلية، ص 480.

15 (?) مسلم (3/1537) رقم 1935.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**وفي هذه القصة دروس وعبر منها:**

**1- حكمة أبي عبيدة** حيث جمع الأزواد، وسوى بين المجاهدين في التوزيع ل يستطيع تجاوز الأزمة بهم، وذلك درس تعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم عملياً أكثر من مرة.

**2- كرم قيس بن سعد** بن عبادة رضي الله عنهم، في وقت عصيب، ليس بيده يومها ما يخفف عن الناس، ففي رواية الواقدي: «أن قيس بن سعد استدان هذه النوق من رجل جهني، وأن أبو عبيدة نهاد قائلًا: تريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك<sup>(2)</sup>، فارأ أبو عبيدة الرفق به<sup>(3)</sup>.»

وقد بدأ سعد بنحر وبنحر حتى نهاد أبو عبيدة، فقال له سعد: يا أبو عبيدة أترى أن أبو ثابت يقضى ديون الناس، ويحمل الكل، وبطاعم في المجاعة، لا يقضي عنى تمراً القوم مجاهدين في سبيل الله<sup>(4)</sup>، وقال ذلك قيس لأبي عبيدة: لأنك قد اتفق مع رجل من جهينة على أن يشتري منه نوقاً ينحرها للجيش على أن يعطيه بدل ذلك تمراً بالمدينة وقد وافق الجهني على تلك الصفقة.

وعندما علم سعد بن عبادة بنهي أبي عبيدة لقيس بحجة أنه لا مال له، وإنما المال لأبيه، وهب ابنه أربع حواتط أدناها يجذ منه خمسون وسقاً<sup>(5)</sup>.

**3- الحلال والحرام:** إن المسلمين في هذه السرية بلغ بهم الجوع غايتها، فكانت التمرة الواحدة طعام الرجل طوال يوم كامل في سفر ومشقة، ويمررون وهم على تلك الحال من فقد التمر وأكل الخبط على الجهني الذي اشتري منه قيس أو على قومه، فما يخطر ببالهم أن يغيروا عليهم ليتذمروا منهم طعامهم، كما كانت الحال في الجاهلية؛ لأنهم آليوم ينطلقون بدين الله الذي جاء ليحفظ على الناس أموالهم في جملة ما حفظ لهم اليوم يفرقون بين الحلال والحرام الذي تعلموه من منهج رب العالمين<sup>(6)</sup>.

**4- جواز أكل ميته البحر:** وتدل القصة على جواز أكل ميته البحر، وأنها لم تدخل في قوله عز وجل: (خُرِّمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ) [المائدة: ٣٣]، وقد قال تعالى: (أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَنَاعًا لَكُمْ وَلِلسيَّارَةِ) [المائدة: ٩٦]، وقد صح عن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عباس وجماعة من الصحابة (أن صيد البحر ما صيد منه،

1 (؟) انظر: السيرة النبوية على ضوء مصادرها الأصلية، ص 480.

2 (؟) انظر: معين السيرة، ص 323، السرايا والبعوث النبوية، ص 119.

3 (؟) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 119.

4 (؟) انظر: معين السيرة، ص 323 نقلًا عن الزرقاني في شرحه (2/282).

5 (؟) انظر: معين السيرة، ص 323.

6 (؟) المصدر نفسه، ص 324.

وطعامه ما مات فيه) وفي السنن عن ابن عمر مرفوعاً وموقوفاً: (أحلت لنا ميتتان ودمان، قاما الميتتان فالسمك والجراد، وأما الدمان فالكبش والطحال) حديث حسن. كما أن في أكل الرسول صلى الله عليه وسلم من لحم الحوت الذي تغذى منه المسلمين مدة دليل على مشروعيه أكل ميته البحر<sup>(1)</sup>.

**5- بعض الأحكام التي ذكرها الإمام النووي:** قال النووي: في هذا الحديث جواز صد أهل الحرب وأغتيالهم والخروج لأخذ مالهم وأغتنامه، وأن الجيوش لا بد لها من أمير يضبطها، وينقادون لأمره ونهيه، وأنه ينبغي أن يكون الأمير أفضلاً لهم، أو من أفضلاهم، ويستحب للرقة من الناس وإن قلوا أن يؤمروا بعضهم عليهم، وينقادوا له، قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: يستحب للرقة من المسافرين خلط أزوادهم ليكون أدرك، وأحسن في العشرة، وألا يختص بعضهم بأكل دون بعض، والله أعلم<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل:

كانت هذه السرية قد وجهت إلى أبي عبد الله وصلت إليه الجيوش النبوية في الجزيرة العربية، ودومة الجندل قرية من تخوم الشام، فهي بعد ثلاثة أضعاف عن المدينة بعدها عن دمشق، وهي تقع في قلب الصحراء العربية واسطة الصلة بين الروم في أرض الشام والعرب في الجزيرة، وسكانها من قبيلة كلب الكبرى، وقد دخلوا في النصرانية نتيجة حوارهم وتأثرهم بحوار الروم النصارى، وهذه السرية تدخل ضمن مخطط النبي صلى الله عليه وسلم في احتكاكه مع الإمبراطورية الرومانية.

وأما أمير السرية فهو عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن رجال الرعيل الأول، فقد كان إحدى الدعائم الكبرى للدعوة الإسلامية منذ دخوله فيها على يد الصديق<sup>ـ</sup>. وهذه السرية ذات جانبين: مهمّة دعوية، ومهمّة حربية؛ لذلك انتدب لها عبد الرحمن بن عوف الذي تربى على محض الإسلام منذ أيامه الأولى<sup>(3)</sup>.

وعن هذه السرية حدثنا عبد الله بن عمر فقال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف فقال: تجهز فإني باعثك في سرية في يومك هذا، أو من غد إن شاء الله، قال ابن عمر: فسمعت ذلك فقلت: لادخلن فلأكلين مع النبي الغداة، فلا سمعن وصيته لعبد الرحمن بن عوف.

قال: فغدوت فصليت فإذا أبو بكر وعمر، وناس من المهاجرين

1 (?) انظر: السيرة في ضوء مصادرها الأصلية، ص 480.

2 (?) شرح النووي على مسلم (13/86).

3 (?) انظر: التربية القيادية (4/167، 168).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

فيهم عبد الرحمن بن عوف، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان أمره أن يسير من الليل إلى دومة الجندل فيدعوهم إلى الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن: ما خلفك عن أصحابك؟ قال ابن عمر: وقد مضى أصحابه في السحر، فهم مُعسّرون بالجرف وكانوا سبعمائة رجل، فقال: أحببت يا رسول الله أن يكون آخر عهدي بك وعلى ثياب سفري.

قال: وعلى عبد الرحمن بن عوف عمامة قد لفها على رأسه، قال ابن عمر: قد عاه النبي صلى الله عليه وسلم فأقعده بين يديه فنقض عمانته بيده، ثم عممه بعمامة سوداء فارخي بين كتفيه منها، ثم قال: هكذا فاعتم يا ابن عوف. قال: وعلى ابن عوف السيف متتوشحه، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغْزِ بَاسِمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ فقاتل من كفر بالله لا تغل ولا تغدر ولا تقتل ولهم، قال ابن عمر: ثم بسط يده، فقال: يا أباها الناس، اتقوا خمساً قبل أن يحل بكم: ما نقص مكيال قوم إلا أخذهم الله بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون، وما نكث قوم عهدهم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما منع قوم الزكاة إلا أمسك الله عليهم قطر السماء، ولو لا البهائم لم يسقطوا، وما ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الطاعون، وما حكم قوم بغير آي القرآن إلا أليسهم الله شيئاً، وأذاق بعضهم باس بعض.

قال: فخرج عبد الرحمن حتى لحق أصحابه فسار حتى قدم دومة الجندل، فلما حل بها دعاهم إلى الإسلام فمكث بها ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، وقد كانوا أول ما قدم يعطونه إلا السيف، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصبع بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً وكان رأسهم، فكتب عبد الرحمن إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك، وبعث رجلاً من جهينة يقال له رافع بن مكيث، وكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد أراد أن يتزوج فيهم، فكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بنت الأصبع تماضر، فتزوجها عبد الرحمن وبنيها، ثم أقبل بها وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف. وذكر الواقدي أن هذه السرية في شعبان سنة ست<sup>(1)</sup>.

### وفي هذه السرية دروس وعبر منها:

1- تواضع النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وشفقته عليهم، حيث أليس عبد الرحمن بن عوف عمانته بيده، وهذا التواضع منه صلى الله عليه وسلم يرفع من معنويات الصحاوة رضي الله عنهم ويدفعهم إلىبذل المزيد من الطاقة في سبيل خدمة هذا الدين؛ لأن التلامح والمودة بين القائد وجنوده، من أهم عوامل نجاح العمل وتحقيق الأهداف<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> (؟) انظر: مغارزي الواقدي (561، 2/560).

<sup>2</sup> (؟) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/184).

**2-** كان جيش عبد الرحمن جيش مبادئ فتحرك ضارباً في هذه الصحراء المترامية يحمل شرع الله إلى خلقه، وهدى رسوله إلى أمه مستوعباً لمقاصد الجهاد وأحكامه، فالجهاد ليس باسم محمد صلى الله عليه وسلم فهو عبد الله ورسوله، ولا مكان لزعيم أو أمة أو قبيلة أو راية أو وطن أو جيش أو قومية بجوار هذه الراية الخفافة في هذا الوجود، راية الله تعالى: «أَعُرْ بِاسْمِ اللَّهِ» فحزب الله تعالى هو الذي يحيي هذه الصحراء الظماء بغيث العقيدة الخالصة عقيدة التوجيد<sup>(1)</sup>، وهدفهم من هذا التحرك في سبيل الله وحده قال تعالى: **قُلْ إِنَّ اللَّهَ وَنِسْكِي وَمَحْتَايِ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرُتُ وَإِنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** [الأعراف: 162، الأنعام: 163].

قتالهم لمن كفر بالله وليس القتال على المبدأ الجاهلي:  
وأحياناً على بكر أخينا إذا لم نجد إلا أخيانا

أما هذا الجيش القوي الفتى، فهو يمضي في الأرض قدماً ليقاتل من كفر بالله<sup>(2)</sup>.

**3-** ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف عن الغلول وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها، ونهاه عن الغدر في العهود وعن قتل الولدان، وتلك نماذج من الأدب الإسلامي في الجهاد، فالقتال نوع من العنف والقسوة، ولكنه بالنسبة للمسلمين الذين طهر الله تعالى قلوبهم من الغل والحسد أمر عارض لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وحماية المحققين من المبطلين وليس متاحلاً في نفوسهم؛ ولذلك كان محفوفاً بالأداب السامية التي تجعل الإنسان الواحد جاماً بين منتهى القوة والبطش ومتنهى الرحمة والعطف<sup>(3)</sup>.

**4-** كان عبد الرحمن بن عوف سيداً من سادات هذه الأمة، واحداً من أكبر دعاتها، فهو يملك من الحلم، والحكمة والثقافة، والتجربة والعيقية، والقدم في الإسلام، والبلاء فيه ما لا يملكه غيره، وبهذا بذل كل طاقته لتحقيق الهدف الرئيسي الأول، وهو الدخول في الإسلام، وكان متربطاً هادياً خيراً بالآفوس والقلوب، فشحن كل الإمكانيات الفكرية والحركية، لإنجاح هذه المهمة العظيم، وتکلل عمله بفضل الله تعالى بالنجاح الكبير، وخاصة أن الجهد انصب على إقناع الرئيس، حسب توجيهات المصطفى صلى الله عليه وسلم.

**5-** إن إسلام سيدبني كلب في دومة الجندي الأصيغ بن عمرو على يد عبد الرحمن بن عوف، يذكرنا بجعفر بن أبي طالب الذي

1 (?) انظر: التربية القيادية (4/171).

2 (?) المصدر نفسه (4/172).

3 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/184).

أسلم على يديه النجاشي ملك الحبشة، ومصعب بن عمير بالمدينة حيث استجاب له سادات الأوس والخزرج ورءامتهم للإسلام، وهذه الشخصيات العظمى الثلاثة هم من الرواد الأوائل، ومن المؤسسين في المدرسة الإسلامية الأولى بمكة المكرمة.

هذا عبد الرحمن بن عوف الذي أصبح بأحد عشر حرجاً أدى بعضها إلى أن يكون عنده عرق من شدتها، يصنع ركائز العقيدة الإسلامية بجيشه المظفر شمال الجزيرة العربية، وينضم الكثيرون إلى الإسلام، لتفوز دومة الجندي موقعاً جديداً من الواقع الإسلامي، في هذه الأطراف المتباينة، فلا غنى للمسلمين عن هذه القلعة، وعن هذه الموقعة للمستقبل القريب في المواجهة مع العرب والروم <sup>(1)</sup>.  
المناوئين للإسلام <sup>(2)</sup>.

وهذه أول مرة يحكم الإسلام خارج حدوده ويعيش المسلمين والنصارى في دولة واحدة، فالذين أسلمو تطبق عليهم أحكام الإسلام، والذين بقوا على نصرانيتهم تؤخذ منهم الجزية، وكان هذا الانفتاح تدريجاً جديداً للصحابة على المجتمعات الجديدة التي سيتقلون إليها فيما بعد، ويسافرون في العراق والشام وفي قلب فارس والروم، ليعلموا الناس أن العقيدة تبني من خلال الحوار لا من خلال السيف، وأن مبادئ الإسلام لها قوتها الذاتية التي تشع أنوارها على المجتمعات التي قد انغمست في الظلم البهيم <sup>(2)</sup>.

6- إن زواج عبد الرحمن بن عوف من ابنة سيدبني كلب زعيم دومة الجندي يقوى الروابط بين الزعيم المسلم الجديد بدومة الجندي وبين دولة الإسلام في المدينة، ويربط مصيره بمصير دولة الإسلام، ومصير الإسلام نفسه حين يشعر أن فلذة كبده مقيمة في العرين الإسلامي الذي أصبح يحن له حنينه لأرضه وبلده <sup>(3)</sup>.

وقد كان صلي الله عليه وسلم يحرص على أن يتزوج هو وقادته بنات سادة القبائل؛ لأن ذلك كسباً كبيراً للدعوة الإسلامية، حيث تكون المصاهرة سبيلاً في القرب وامتصاص أسباب العداء ثم الدخول في الإسلام <sup>(4)</sup>.

#### رابعاً: تأديب الغادرين: غزوةبني لحيان، وغزوة الغابة وغيرهما:

1- بعد رحيل الأحزاب انتقل المسلمون من دور الدفاع إلى دور الهجوم وأصبحوا يمسكون بأيديهم زمام المبادرة، وحان الوقت لتأديببني لحيان الذين غدروا بخبيب وأصحابه يوم الرجيع، وأخذ ثأر الشهداء، فخرج إليهم في مائتي صحابي، في ربيع الأول أو جمادى الأولى سنة ست من الهجرة <sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> (?) انظر: التربية القيادية (4/174). (2) المصدر نفسه (4/175).

<sup>3</sup> (?) انظر: التربية القيادية (4/174).

<sup>4</sup> (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/186).

<sup>5</sup> (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية، ص 468.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**أ- تضليل العدو:** كانت أرض بني لحيان من هذيل تبعد عن المدينة أكثر من مائتين من الأميال. وهي مسافة بعيدة، يلاقي مشاكل كبيرة كل من يريد قطعها، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريراً على الاقتصاد لأصحابه من الذين استشهدوا (غدراً) على يد هذه القبائل الهمجية التي لا قيمة للعهود عندها.

وكما هي عادة النبي صلى الله عليه وسلم في تضليل العدو الذي يريد مهاجمته اتجه بجيشه نحو الشمال، بينما تقع منازل بني لحيان في أقصى الجنوب.

وقد أعلن النبي صلى الله عليه وسلم قبل تحركه نحو الشمال: أنه يريد الإغارة على الشام، وحتى أصحابه لم يعلموا أنه يريد ببني لحيان إلا عندما انحرف بهم نحو الجنوب، بعد أن اتجه بهم متوجلاً نحو الشمال حوالي عشرين ميلاً.. في حركة تمويهية على العدو بارعة. وكان تغيير خط سيره من الشمال إلى الجنوب عند مكان يقال له (البتراء)، ففي ذلك المكان عطف بجيشه نحو الغرب حتى استقام على الجادة منصباً نحو الجنوب<sup>(1)</sup>.

**ب- فرار اللحيانيين قبل وصول النبي صلى الله عليه وسلم:** كانت بني لحيان على غاية التقط والانتباه، فقد بثت الأرصاد والجواسيس في الطرق ليتحسسوا لها ويتجسسوا لذلك، فما كاد النبي صلى الله عليه وسلم يقترب بجيشه من منازلهم حتى انسحبوا منها فارين، وهرروا في رؤوس الجبال، وذلك بعد أن نقلت إليهم عيونهم خبر اقتراب جيش المسلمين من ديارهم.

ولما وصل النبي صلى الله عليه وسلم بجيشه عسكراً في ديارهم ثم بث السرايا من رجاله ليتعقبوا هؤلاء الغادرين، ويأتون إليه بمن يقدرون عليه، واستمرت السرايا النبوية في البحث والمطاردة يومين كاملين إلا أنها لم تجد أي أثر لهذه القبائل التي تمنع في رؤوس تلك الجبال الشاهقة، وأقام صلى الله عليه وسلم في ديارهم يومين لارهابهم وتحديهم، وليظهر للأعداء مدى قوة المسلمين وتفهمهم بأنفسهم، وقدرتهم على الحركة حتى إلى قلب ديار العدو متى شاءوا<sup>(2)</sup>.

**ج- إرهاب المشركين بمكة:** رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يغتنم فرصة وجوده بجيشه قريباً من مكة فقرر أن يقوم بمناورة عسكرية يرهب بها المشركين في مكة، فتحرك بجيشه حتى نزل به وادي عسفان<sup>(3)</sup>، وهناك استدعي أبو بكر الصديق، وأعطاه عشرة فوارس من أصحابه وأمره بأن يتحرك بهم نحو مكة لبيث الذعر

<sup>1</sup> (?) انظر: صلح الحديبية باشميل، ص 34، 35. <sup>2</sup> المصادر نفسه، ص 36.

<sup>3</sup> (?) عسفان: قرية بين مكة والمدينة على نحو يومين من مكة. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

والفرع في نفوسهم، فاتجه الصديق بالفرسان العشرة نحو مكة حتى وصل بهم كراع الغميم<sup>(1)</sup>، وهو مكان قرب جدًا من مكة، فسمعت قريش بذلك فظننت أن النبي صلى الله عليه وسلم ينوي غزوها فانتابها الخوف والفرع والرعب، وساد صفوتها الذعر، هذا هو الذي هدف إليه النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الحركة التي كلف الصديق أن يقوم بها.

أما الصديق وفرسانه العشرة فبعد أن وصلوا كراع الغميم، وعلموا أنهم قد أحدثوا الذعر والفرع في نفوس أهل مكة عادوا سالمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتحرك بجيشه عائداً إلى المدينة<sup>(2)</sup>.

**د- الترحم على الشهداء:** عندما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى بطن (غران)<sup>(3)</sup> حيث لقي الشهداء من أصحابه مصرعهم على أيدي الخونة من هذيل، ترحم على هؤلاء الشهداء ودعى لهم<sup>(4)</sup>.

**2- غزوة الغابة<sup>(5)</sup>:** لم تكد تمضي ليال قلائل على عودة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهه لبني لحيان، حتى أغار عبيدة بن حصن الفزارى في خيل لغطfan كان عددها أربعين على لقاح (الإبل الحوامل ذات الأليان) لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغاية، وقتلوا ذر بن أبي ذر الغفارى، وأسرروا زوجته ليلي، واستاقوا الإبل التي كان عددها عشرين، ولما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بخبر عبيدة، خرج في خمسينية من أصحابه في إثره، بعد أن استخلف سعد بن عبادة في ثلاثة من قومه يحرسون المدينة<sup>(6)</sup>.

وعند جيل ذي قردا<sup>(7)</sup> أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم العدو، فقتل بعض أفراده واستنقذ الإبل<sup>(8)</sup>.

وقد أبدى سلمة بن الأكوع في هذه المعركة بطولة نادرة وخاصة قبل وصول كتبة الفرسان النبوية، حيث كان من ضمن الرعاة في منطقة الغابة، وظل بمفرده يشتغل المغيرةين ويراميهم بالنبل، وكان من أعظم الرماة في عصره، وقد استخلص مجموعة من الإبل المنهوبة قبل قدوم كتبة الفرسان<sup>(9)</sup>.

أما المرأة التي أسرها المغيرةون من غطfan وهي زوجة ابن أبي ذر الذي قتله المشركون أثناء الغارة في الغابة، فقد عادت سالمة إلى المدينة بعد أن تمكنت من الإفلات من القوم على ظهر ناقة تابعة

1 (?) كراع الغميم: موضع بناية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد.  
2 (?) انظر: صلح الحدبية، ص 37.  
3 (?) انظر: صلح الحدبية، ص 38.

4 (?) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة.  
5 (?) انظر: عيون الآخر، ابن سيد الناس (72/2, 73).

6 (?) ذو قردا: ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي غطfan.  
7 (?) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص 327.

8 (?) انظر: صلح الحدبية، ص 43.  
9 (?) انظر: صلح الحدبية، ص 45.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد نذرت إن نجاها الله عز وجل لتنحرن تلك الناقة، فلما أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم عن نذرها تبسم وقال: «بئسما جزيتها» (أي أنها حملتك ونجت بك من الأعداء فيكون جزاً لها النحر) ثم قال لها صلى الله عليه وسلم: «لا نذر في معصية الله، ولا فيما لا تملكون»<sup>(1)</sup>.

وقد عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن أمضى خمس ليالٍ خارجها<sup>(2)</sup>.

وهذه الغزوة من أكبر الغزوات التأديبية التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ضد أعراب نجد بعد غزوة الأحزاب وبني قريطة وقبل غزوة خيبر<sup>(3)</sup>، وتتابعت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة ذي قرداً لتآديب المشركين فنجحت بعض هذه السرايا، وتعذر بعضها الآخر، وكان أبرزها سرية عكاشة بن محسن الأسدى التي عرفت بسرية الغمر<sup>(4)</sup>، وقد بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة، إلىبني أسد، فوصلت إلى موضع يقال له الغمر، فوجدت القوم قد هربوا وتفرقوا في الجبال القريبة، فأغار عكاشة وأصحابه على نعم لهم فغنموا مائتي بعير، وعادوا إلى المدينة<sup>(5)</sup>.

ومن أبرزها أيضاً سرية محمد بن مسلمة الأنباري إلى ذي القصة<sup>(6)</sup> لإرهاب بني ثعلبة وغُوال ومنعهم من الإغارة على سرح المدينة، وفي شهر ربيع الثاني سنة ست من الهجرة خرج محمد بن مسلمة في عشرة من المسلمين حتى وردوا عليهم ليلاً فأخذق بهم الأعراب whom، فتراموا ساعة من الليل، ثم حملت عليهم الأسرى وهو مائة رجل، فقتلواهم، ووقع محمد بن مسلمة جريحاً، ولم يتمكن من العودة إلا بعد أن مرّ به رجل من المسلمين، فحمله حتى ورد به المدينة<sup>(7)</sup>.

وعلى الأثر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً إلى منازلهم، فلم يجدوا واحداً، ولكنهم غنموا بعض نعمهم فساقوها وعادوا بها إلى المدينة<sup>(8)</sup>.

وفي شهر جمادى الأولى من السنة نفسها، كانت سرية زيد بن حارثة الثانية إلى العيص<sup>(9)</sup> في سبعين ومائة راكب، لاعتراض قافلة لقريش كانت مقبلة من الشام فأدركها وأخذها وما فيها، وأسر بعض

<sup>2</sup> (?) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص 327.

<sup>3</sup> (?) انظر: صلح الحدبية، ص 45.

<sup>4</sup> (?) الغمر: مائة لبني أسد على ليلتين من فيد الذي هو قلعة بطريق مكة.

<sup>5</sup> (?) تاريخ الطبرى (2/640).

<sup>6</sup> (?) ذو القصبة، موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً في طريق الريدة.

<sup>7</sup> (?) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص 328.

<sup>8</sup> (?) الواقدي (1/551).

<sup>9</sup> (?) العicus: بينها وبين المدينة أربع ليال.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

أفرادها، كان منهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله، وأمه هالة بن خويلد أخت خديجة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمغيرة بن معاوية بن أبي العاص<sup>(1)</sup>. وفي شعبان سنة ست من الهجرة خرجت سرية بقيادة علي بن أبي طالب لتأديب بنى سعد بن بكر الذين جمعوا الناس لإمداد يهود خير، وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائة من المسلمين، فاغار عليهم، وغنم بعض نعمهم وعاد بها إلى المدينة<sup>(2)</sup>.

كانت هذه السرية تأدبياً لكل من تسول له نفسه مساعدة اليهود في بغيهم المتوقع، حيث علمت تلك القبائل أن عين المدينة نقطة لكل ما يدور حولها، وأن جميع التحرّكات كانت تحت المراقبة<sup>(3)</sup>. فقد تميزت الدولة الإسلامية بدقة رصدّها لأعدائها، وهكذا يكون التخطيط الحربي السليم، وذلك بقطع الطريق على تجمع الأعداد الكبيرة حتى بالإمدادات الصغيرة<sup>(4)</sup>.

إن حركة السرايا والبعوث التي كان يقودها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترشد المسلمين إلى أهمية متابعة أخبار الأعداء وجمع المعلومات عنهم، فقد كانت المعلومات تتجمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصادر متعددة عن طريق سراياه الاستطلاعية وال المسلمين المتخفين، والمعتاطفين مع المسلمين، المعاهدين، الفراسة واستكشاف ما وراء السطور، المهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يفاجأ بتامر داخلي أو تهديد خارجي، وهذا يجعل المسلمين في عصرنا أمام قضية يجب أن يعطوها كامل الاعتبار، مع ملاحظة الضوابط الشرعية<sup>(5)</sup>.

#### خامسًا: سرية كرز بن جابر الفهري إلى العربين:

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من عكل<sup>(6)</sup> وعرينة<sup>(7)</sup> في شوال من العام السادس الهجري<sup>(8)</sup>، وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخرموا المدينة، فامر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود<sup>(9)</sup> وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيسربوا من أبنائها ويتمسحوا بأبوالها، فانطلقو حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستافقوا الذود. فبلغ النبي صلى الله عليه

<sup>1</sup> (?) انظر: محمد رسول الله، محمد رضا، ص245، 246.

<sup>2</sup> (?) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص33.

<sup>3</sup> (?) انظر: من معن السيرة، ص325.

<sup>4</sup> (2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (6/189).

<sup>5</sup> (?) انظر: الأساس في السنة (2/712).

<sup>6</sup> (4) عكل: قبيلة من قوم الرياب.

<sup>7</sup> (?) عربنة: حي من بحيرة.

<sup>8</sup> (?) من رواية الواقدي (2/568) معلقة، وابن سعد (2/93) معلقة.

<sup>9</sup> (?) الذود: الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل ما بين الثنتين إلى التسعة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

وسلم خبرهم فبعث الطلب في آثارهم<sup>(1)</sup>، فقيضوا عليهم؛ فأمر بهم فسمرروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم، وترکوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم، قال قنادة راوي الحديث: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كان يبحث على الصدقة وينهى عن المثلة<sup>(2)</sup>.

وقال أبو قلابة في حديثه: (هؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا<sup>(3)</sup> الله رسوله).

قال الجمهور: إن الآية (إِنَّمَا جَزَاءَ الَّذِينَ تُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَسْعَونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصْلَبُوا أَوْ يُنْقَطَّ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلَافٍ لَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خَرِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [المائدة: 33] قد نزلت في هؤلاء العرنين<sup>(4)</sup>، وقيلت أسباب أخرى في نزولها<sup>(5)</sup>.

وعلى كل حال، فالعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، فهذا الحكم باق حتى يومنا هذا، وأدل دليل على ذلك، ما أجمع عليه المسلمون من وجود حكم الحرابة في الإسلام، سواء كانت الآية نزلت في الكفار أم في المسلمين، وهذه الآية نازلة في المشركين كما في البخاري، فدل ذلك على أن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

وكون المثلة منسوخة أو منها عنها، وأن النبي صلى الله عليه وسلم سمل أعين العرنين، لا يسند به في هذه القضية، لكون العرنين سملوا أعين الرعاة فصار سمل النبي صلى الله عليه وسلم لهم قصاصًا لا مثلاً<sup>(6)</sup>.

إن حادثة العرنين ترتب عليها تنفيذ حكم الحرابة، ونزول آيات بينات في هذا الحكم، فقد حصر المولى عز وجل جراء المحاربين في أربعة أمور، وكان ذلك الحصر باقوى أدوات الحصر.

ثم إنه وصف هؤلاء المحاربين بأوصاف يشتمز منها كل عاقل، ذلك أنه وصفهم بأنهم حرب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وأنهم يريدون إفساد الأرض بتخويف سكانها، وتقبيحهم وسلفهم ونهب ممتلكاتهم ظلماً وجوراً لا مستند لهم ولا باعث إلا الإفساد والطغيان، فكانت رحمة الله تعالى الرحيم بهم وغيرهم من خلقه مقتضية الحكم عليهم بوحد من أمور أربعة وهي: القتل، والصلب، وقطع الأيدي.

1 (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 478.  
2 (?)، (10) نفس المصدر، ص 478.

3 (1) انظر: سبل الهدى والرشاد للشامي (181/6-190) فيها تفصيل.

4 (2) انظر: تفسير الطبرى (242/10-244).

5 (3) انظر: علاج القرآن الكريم للجريمة، د. عبد الله الشنقيطى، ص 297، 298، 1426 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخيرة من رمضان وعيد الفطر

6 ـ

والأجل من خلاف، والإبعاد من مخالطة العامة، وعزلهم عنها بالنفي والتغريب حتى لا تتكرر منهم تلك الجرائم الشنيعة، وحتى يرتدع غيرهم من ارتكاب مثل هذا الجرم الشنيع، ولكي يطهرهم ما يوقع بهم من عقاب من الذنوب والآثام، إن هم تابوا ورجعوا إلى رشدهم وصوابهم.

ثم إن هؤلاء لهم ذلة ومهانة في الحياة الدنيا لأذنيهم المسلمين، وقد علل تعالى لحقوق تلك الرذيلة بهم مدة الحياة الدنيا بسبب ما اقترفوه من جريمة الحرابة، وباقية معهم إلى يوم القيمة، لكن الرب جل وعلا أعد لهؤلاء في الآخرة عذاباً عظيماً.

ثم استثنى جل وعلا من هؤلاء من أناب إليه ورجع في أسلوب حكيم مؤثر داع إلى رجوعهم وتوبتهم من هذه الجريمة المنكرة، فلقد عفا عنهم تعالى إذا ما رجعوا وجاءوا تائبين قبل القدرة عليهم، لكون تلك التوبة مطلنة لصدقهم في توبتهم ورجوعهم عن غيهم؛ لأنهم رجعوا قبل القدرة عليهم، ويتقييد العفو عنهم بتوبتهم قبل القدرة عليهم بفهم أنهم إن قدر عليهم قبل التوبة لا ينالون من العفو ما ينالونه لو تابوا قبل القدرة عليهم. وهذا نوع من العلاج في غاية الدقة والإنصاف، وفيه من الحفز على التقليل من هذه الجريمة وتركها ما لا يخفى على ذي عقل لبيب.

وكذلك الشأن في جميع أساليب القرآن الكريم العلاجية، كلها توافق الذوق السليم والعقل الراجح المترن المتمتع بصفاء الفطرة السليمة.

ثم ختم تعالى الآيتين الكريمتين بأنه غفور رحيم لمن تاب منهم وأصلاح، فلا يقتنط أحد من رحمته الواسعة، ولا يحول بين العبد ورحمة ربها ومعرفته عظيم ذنبه، وحسنه خطئه، ما لم يقارب شركاً. وفي الجملة فقد عالجت الآيات القرآنية الحرابة في المجتمع الإسلامي علاجاً لا مزيد عليه وذلك واضح مما يلي:

**1- وصف المحارب بأنه محارب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.**

**2- عظم الجزاء المترتب على الحرابة أيا كان هو.**

**3- مكانته الدينية في الدنيا والآخرة إن لم يتتب.**

**4- يظهر علاج القرآن الكريم لهذه الجريمة الشنعاء بفتحه باب التوبة لمعاطيها على مصراعيه حتى لا يكون سده في وجهه حافزاً له على التمادي في جرمها والاستمرار في عنته<sup>(1)</sup>.**

قال تعالى: **(إِنَّمَا حَرَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقْتَلُوا أَوْ يُضْلَلُوا أَوْ تُقْعَدُ**

<sup>1</sup> (?) انظر: علاج القرآن الكريم للجريمة، ص 313 - 315.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

+

274

أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ لَّوْ يُنفِقُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ  
 حَرْثٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ  
 تَابُوا مِنْ قَبْلٍ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاقْعُلُمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ  
 رَّحِيمٌ ([المائدة: 33]. [34])

وهكذا كانت حركة بناء المجتمع وإقامة الدولة متشابكة في  
 قضایاها العسكرية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية.

\* \* \*

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
 libya-web.net - info@libya-web.net

+

+

## المبحث الثالث

### تصفيه المحرضين على الدولة

**أولاً: سرية عبد الله بن عتيك لقتل سلام بن أبي الحقيق:**  
 كان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق من يهودبني النضير كثير التحريض على الدولة الإسلامية، حتى أنه جعل لغطfan ومن حولها من قبائل مشركي العرب يجعل العظيم إن هي قامت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشاء أمر أبي رافع وانتشر، وكان من الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصبح تحريضه على دولة الإسلام من الأخطار التي يجب أن يوضع لها الحد<sup>(1)</sup>.

#### 1- توجه السرية إلى خير ودخولها:

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الانصار فامر عليهم عبد الله بن عتيك.. وكان أبو رافع في حصن له فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرورهم. قال عبد الله بن عتيك لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبوا بعلى أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بشوبه كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهتف به الباب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت، فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم غلق الأغاليل على وتد. قال ابن عتيك: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب<sup>(2)</sup>.

#### 2- تنفيذ العقوبة بحق أبي رافع:

ولما دخل أبو عتيك ومن معه من أفراد سريته إلى داخل الحصن، وأخذوا يتظرون الفرصة المناسبة لقتل هذا اليهودي الخبيث أبي رافع.

وقد جاء في البخاري: أن عبد الله بن عتيك أدرك نفرًا من أصحاب أبي رافع يسمرون عنده، وكان في عاليٍ له، فكمن حتى ذهب عنه أهل سمره ثم صعد إليه، وكلما دخل باباً أغلقه عليه، من الداخل حتى لا يحول أحد بينه وبين تنفيذ العقوبة، بحق أبي رافع، فانتهى إلى أبي رافع فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا يدرى أين هو من البيت، قال ابن عتيك: فقلت: يا أبا رافع. قال: من هذا؟ قال ابن عتيك: فاهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف، وأنا دهش ما أعنيت شيئاً. وصاح، فخرجت من البيت، فمكثت غير بعيد ثم دخلت إليه. فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ قال: لأمك الويل إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف. قلت: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم

<sup>1</sup> (؟) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، ص 212.

<sup>2</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 465.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

وَضَعَتْ ظِلْبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهُورِهِ فَعْرَفَتْ أَنِّي قُتْلَتُهُ.  
فَجَعَلَتْ أَفْتَحَ الْأَبْوَابَ بَاًبًا بَاًبًا حَتَّى انتَهَيَتْ إِلَى دَرْجَةِ لَهُ، فَوَضَعَتْ رَجْلِي  
وَأَنَا أَرَى أَنِّي قَدْ انتَهَيَتْ إِلَى الْأَرْضِ، فَوَقَعَتْ فِي لَيْلَةِ مَقْمَرَةٍ،  
فَانْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبَتْهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى  
الْبَابِ فَقَلَتْ: لَا أَخْرُجُ الْلَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمُ أَقْتَلْتَهُ؟ فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ  
النَّاعِي عَلَى السُّورِ فَقَالَ: أَنْعِي أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلَ الْحَجَازِ، فَانْطَلَقْتُ  
إِلَى أَصْحَابِي فَقَلَتْ: النَّجَاءُ، فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيَتْ إِلَى النَّبِيِّ  
**صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَحَدَثَتْهُ فَقَالَ: أَبْسِطْ رَجْلَكَ، فَبَسَطَتْ رَجْلِي  
فَمَسَحَهَا فَكَانَهَا لَمْ أَشْتَكَهَا قَطُّ<sup>(1)</sup>.

وَقَدْ ذِكِرَتْ كَتَبُ السِّيرَةِ أَنَّ امْرَأَةَ أَبِي رَافِعٍ حِينَماً ضُرِبَ بِالسَّيْفِ  
صَاحَتْ فَارَادَ قَتْلَهَا، ثُمَّ كَفَ عَنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
**وَسَلَّمَ** قَدْ نَهَا هُنَّمْ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبَّانِ<sup>(2)</sup>، وَأَنَّ ابْنَ عَتِيقَ كَانَ يَرْطَنُ  
بِلْغَةِ الْيَهُودِ، وَأَنَّهُ اسْتَخْدَمَهَا مَعَ زَوْجِهِ أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

وَيُذَكَّرُ كِتَابُ السِّيرَةِ أَنَّ سَرِيَّةَ ابْنِ عَتِيقَ كُلُّهَا شَارَكَتْ فِي ضَرَبِ  
أَبِي رَافِعٍ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمْ ادْعَى أَنَّ ضَرِبَتْهُ كَانَتْ هِيَ الْقَاضِيَّةُ عَلَى  
أَبِي رَافِعٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «عَجَلُوا بِأَسْيَافِكُمْ»  
فَاتَّوْا بِأَسْيَافِهِمْ فَنَظَرُوا إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا قَتْلُهُ» وَهُوَ سَيْفُ عَبْدِ اللَّهِ  
بْنِ أَنَيْسٍ، هَذَا أَثْرُ الطَّعَامِ فِي سَيْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ<sup>(3)</sup>. وَقَدْ يَتَوَهَّمُ  
الْقَارئُ الْكَرِيمُ أَنَّ هَنَّاكَ تَناقِصًا بَيْنَ رَوَايَةِ الْبَخَارِيِّ، وَرَوَايَةِ كَتَبِ السِّيرَةِ  
الْأَخْرَى الَّتِي تَقُولُ: إِنَّ الْصَّرِيْحَةَ الْقَاضِيَّةَ كَانَتْ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ،  
وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيقَ يَخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ،  
وَأَنَّهُ غَلَبَ عَلَى طَنَهُ أَنَّهُ هُوَ الْقَاتِلُ، وَأَنَّهُ قَدْ حَكَى عَنْ دُورِهِ فِي ضَرَبِ  
الْيَهُودِيِّ أَبِي رَافِعٍ، وَلَا يَعْنِي هَذَا أَنَّ غَيْرَهُ لَمْ يَشَارِكْ فِي قَتْلِهِ، إِذَا لَمْ  
يَنْفُعْ هُوَ مُشَارِكَةُ غَيْرِهِ لَهُ فِي قَتْلِ أَبِي رَافِعٍ، وَالرَّوَايَاتِ يَفْسِرُ بَعْضُهَا  
بَعْضًا، وَيَشْرَحُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَالرَّوَايَاتِ تَذَكَّرُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْ أَفْرَادِ  
السِّيرَةِ كَانَ يَدْعُونَ أَنَّ ضَرِبَتْهُ هِيَ الْقَاضِيَّةُ وَالْمُمِيَّةُ لِأَبِي رَافِعٍ، وَقَدْ  
نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَوَاهُمْ وَفَحَصَ سَبُوفَهُمْ،  
وَحَكَمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَنَّ الصَّرِيْحَةَ الْقَاضِيَّةَ كَانَتْ بِسَيْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ<sup>١</sup>  
لَظَهُورِ أَثْرِ الطَّعَامِ عَلَيْهِ، أَيَّ أَنَّ هَذَا السَّيْفُ قَدْ دَخَلَ جَوْفَ أَبِي رَافِعٍ  
وَمَزَقَ أَحْشَاءَهُ، وَقَطَعَ أَمْعَاءَهُ، وَخَلَطَ غَذَاءَهُ فِي جَوْفِهِ<sup>(4)</sup>.

وَقَدْ ذِكِرَتْ كَتَبُ السِّيرَةِ أَسْمَاءَ سَرِيَّةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيقَ وَهُنْ:  
مَسْعُودُ بْنُ سَنَانٍ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ، أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثَ بْنَ رَبِيعٍ،

<sup>1</sup> (؟) الْبَخَارِيُّ، كِتَابُ الْمَغَازِيِّ، بَابُ قَتْلِ أَبِي رَافِعٍ (5/33) رَقْمُ 4039.

<sup>2</sup> (؟) اَنْظُرْ: شَرْحُ الْمَوَاهِبِ الْلَّدُنِيَّةِ (2/168).

<sup>3</sup> (؟) اَنْظُرْ: الْطَّبِيقَاتُ الْكَبِيرَى لِابْنِ سَعْدٍ (2/91)، (92) الْمَغَازِيُّ لِلْوَاقِدِيِّ (1/294).

<sup>4</sup> (؟) اَنْظُرْ: الصَّرَاعُ مَعَ الْيَهُودِ (1/189).

هَدِيَةُ الشِّبَكَةِ الْلَّبِيَّةِ وَالْكَاتِبِ بِمَنَاسِبِ الْعَشَرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَعِيدِ الْفَطَرِ 1426

خزاعي بن أسود<sup>(1)</sup>.

### وفي هذه السرية دروس وعبر كثيرة منها:

1- إن كل أعضاء هذه السرية كانوا من الخزرج فقد حرصوا على أن ينافسوا إخوانهم من الأوس، الذين قتلوا كعب بن الأشرف، فقد كانوا كفريسي رهان في المسابقة في الخيرات فهم لا يتنافسون على اغتنام مظاهر الحياة الدنيا من المال والمناصب، وإنما يتتسابقون إلى الفوز بمرضاة النبي صلى الله عليه وسلم التي مالها رضوان الله تعالى والسعادة الآخرية<sup>(2)</sup>.

قال كعب بن مالك: وكان مما صنع الله تعالى به لرسوله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحسين من الأنصار، الأوس والخرج، كانوا يتتساولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحليين؛ يعني يتتسابقان في خدمته، لا يصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناه إلا قالـت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام، قال: فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلـتـ الخـزـرجـ شيئاًـ قالـتـ الأـوسـ مثلـ ذـلـكـ<sup>(3)</sup>.

2- فائدة لغة العدو: فقد استطاع عبد الله بن عتيك أن يصدع إلى حصن أبي رافع وأن يخاطب أمرأته وأن يدخل بيته مطمئناً لأنـهـ خـاطـبـهـ بلـغـتـهـ، لـغـةـ الـيهـودـ فيـ ذـلـكـ الـوقـتـ، ويـؤـخذـ منـ ذـلـكـ استـحبـابـ تـعلـمـ لـغـةـ غـيـرـ الـمـسـلـمـينـ لاـ سـيـماـ الـأـعـدـاءـ مـنـهـمـ خـاصـةـ لأـوـلـئـكـ الـعـسـكـرـيـنـ الـذـيـنـ يـذـهـبـونـ لـمـهـمـاتـ اـسـتـطـلـاعـيـةـ تـجمـعـ أـخـبـارـ الـعـدـوـ وـتـزـوـدـ الـقـيـادـةـ بـهـاـ،ـ وـالـقـيـادـةـ تـرـسـمـ<sup>(4)</sup>.

3- عناصر نجاح خطة ابن عتيك في قتل أبي رافع اليهودي: ذهابه وحده، فقد فرر أن يذهب وحيداً إلى الحصن، ويحاول أن يدخله، ومن ثم يفتش عن طريقة يدخل بها أفراد سريته، تصرفه العادي الذي لم يلتفت أنتبه أحد من الحراس، قدرته على التمويه على الحراس، وإيهامه أنه يقضى حاجته، وهذا منع الحراس من النظر إليه وتفحصه وتفسره في وجهه، مراقبة حركة الحراس الدقيقة بعد دخول الحصن وأغلاقه، فقد كمن في مكان لم يشعر به الحراس، وراقب الحراس حتى وضع المفتاح وأصبح يستخدمه كيـفـماـ يـشـاءـ وـفيـ أيـ وقتـ يـشـاءـ<sup>(5)</sup>.

1 (؟) انظر: صلح الحديبية، باشميل، ص 91. (2) انظر: التاريخ الإسلامي (6/177).

3 (؟) انظر: السيرة لابن هشام (6/177). (4) انظر: الصراع مع اليهود (1/191).

4

5

(?) المصدر نفسه (192/1, 193).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

-

**4-** عنية الله عز وجل بأوليائه، فهذا الصحابي الجليل استمر يعون من الله تعالى يمشي ويبدل طاقته حتى بعد أن أصبت رجله، وكانه لا يشكوا من علة حتى إذا انتهت مهمته تماماً، وأصبح غير محتاج لبذل الجهد عاد إليه الألم، وحمله أصحابه، فلما حدث النبي **صلى الله عليه وسلم** خبره قال له: **ابسط رجلك**، قال: **فبسطت رجلي فمسحها فكانها لم اشتكتها قط<sup>(1)</sup>**.

**5-** فوائد من القصة استخرجها ابن حجر حيث قال: وفي هذا الحديث من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر وقتل من أغان على رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بيده أو ماله أو لسانه، وجواز التجسس على أهل الحرب، وتطلب غرتهم والأخذ بالشدة في محاربة المشركين، وجواز إيهام القوم للمصلحة، و تعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين، والحكم بالدليل والعبرة لاستدلال ابن عتik على أبي رافع بصوته واعتماده على صوت الناعي بموته، والله أعلم<sup>(2)</sup>.

**6-** وجود عبد الله بن أبيس حندياً في هذه السيرة، وليس أميراً فيها له دلالته الكبيرة في عملية التربية والتعليم، فهو العقبي البدرى المصلى للقبيلتين، فهو من السابقين الأولين من الأنصار، وليس عبد الله بن أبيس نكرة في مجال الجهاد والبطولات، فلا بد أن نذكر أنه وحده الذي ابتعثه رسول الله إلى اغتيال سفيان بن خالد الهمذاني في أطراف مكة، وهو الذي كان يعد العدة لغزو المدينة، وهو الذي نجح نجاحاً باهراً في مهمته تلك، وقتلها في فراشه وداخل خيمته، وأعجز قومه هرباً، وعاد منتصراً مظفراً، فهو مليء بالمجد، ومع ذلك فلم يكن أمير المجموعة، إنما كان أحد أفرادها، وهو يحمل هذا التاريخ المشرق في سجلاته عند ربه عز وجل قبل أن يكون عند الناس.

وهو درس تربوي خالد قد استوعبه أصحاب النبي **صلى الله عليه وسلم**، وهذا النوع من التربية لا مثيل له في عالم الأرض، فالذي يحكم في الجيوش تسلسل الرتب حتى أن الرتبة الواحدة يتحكم فيها المتقدم بالمستجد، وعلى المستجد السمع والطاعة للمتقدم ولو باشهر، وبهذا المنطق لا يجوز أن يتقدم على عبد الله بن أبيس أحد، ولكنها التربية النبوية العظيمة التي خطها النبي **صلى الله عليه وسلم** في أكثر من موقع، لتعلن هذا الجيل يتعلم من سابقه ويتدرب على يديه، فطالما أرسل عليه الصلاة والسلام سرايا فيها أبو بكر وعمر

<sup>1</sup> (?) البخاري، المغازي، رقم 4039.  
<sup>2</sup> (?) فتح الباري (7/345).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

**ثانياً: سرية عبد الله بن رواحة إلى اليسir بن رزام اليهودي:**  
 بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اليسيir بن رزام أمير اليهود بخبير بعد سلام بن أبي الحقيق، أخذ في جمع يهود الشمال وتحريضهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكتف بذلك بل بدأ بتالib قبائل غطفان وجمعها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحين علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبيته اليهود له من الخديعة والمكر رأى صلى الله عليه وسلم أن يتتأكد من ذلك قبل أن يقدم على أمر ما، فارسل عبد الله بن رواحة في نفر من المسلمين رواداً يكتشفون ما تخبيه يهود ومن لف لفها من مشركي العرب<sup>(2)</sup>.

وقد تأكّدت المخابرات النبوة من أمر اليسيir بن رزام، وكان هذا كافياً لقيام

النبي صلى الله عليه وسلم ببعث سرية في ثلاثين راكباً عليهم عبد الله بن رواحة، وفيهم عبد الله بن أنيس فاتوه فقالوا: أرسلنا إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعملك على خير، فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كل رجل منهم رديف من المسلمين، وكان هو رديف عبد الله بن أنيس على بعيره، حتى إذا كانوا بقرقرة ثياب على ستة أميال من خير، ندم اليسيir على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهوى بيده على سيف رديفه ابن أنيس، ففطن له، فاقتصر به، ثم ضربه بالسيف، فقطع رجله وضربه اليسيir بمخرش<sup>(3)</sup> في يده من شواحط<sup>(4)</sup> فضرب به وجه عبد الله فامه<sup>(5)</sup>، ومال كل رجل من المسلمين على رديفه من اليهود فقتله، إلا رجل واحد أفلت على رجليه، فلما قدم ابن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تقل على شجه، فلم تقع ولم تؤذه<sup>(6)</sup>. وكانت هذه السرية في شوال سنة ست من الهجرة<sup>(7)</sup>.

### وفي هذه السرية دروس وعبر منها:

1- كانت الخطة النبوية هي محاولة إيقاف نهر الدم بين اليهود وال المسلمين ابتداءً، فقد كان دور عبد الله بن رواحة في هذا الاتجاه، غير أن الحقد اليهودي الذي أشرب قلوبهم والسم الذي ينفثونه على المسلمين، هو الذي غالب آخر الأمر، وأفسد

(?) انظر: التربية القيادية (4/148).

(?) انظر: اليهود في السنة المطهرة (1/388، 389).

(?) المخرش: شبه المقرعة يضرب به، وهي معوجة الرأس.

(?) الشواحط: شجر ابن النبع، من أشجار الجبال التي يتخذ منها القسي والسهام.

(?) فامه: أي حرقه في رأسه، والشحة المأمورة هي التي تبلغ أتم الرأس.

(5, 6) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 477.

(7) هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الخطة كلها، فقد حاولوا الغدر بال المسلمين فوقعوا الدائرة عليهم.

**2-** إن الأئس في الحرب ما لم يكن غليظاً وشديداً، فلن تحيط كل المواجهة مع العدو، وستجعل الحرب تفني كل شيء وتأكل كل شيء، فلا بد من بث الرهبة والرعب في قلوب العدو، ولا بد من الشدة معه حين لا يجدي الحوار أو المناقشة، ولا بد من الغلطة التي تشعر العدو أن من يقاتلها لا يخشى في الله لومة لائم.

**3-** شهد العام السادس من الهجرة تصعيداً عنيفاً في عمليات المواجهة مع العدو، ولا يكاد يمر شهر دون سرية أو سريتين تضرب في الصحراء، وتفضي جمعاً أو تحطم عدواً أو تقتل طاغوتاً، فقد كان شعار المرحلة: الان غزوهم ولا يغزوننا، فقد كان حزب الله ينطلق في الآفاق باسم الله، يحمل المبادئ الخالدة، والقيم العليا يقدمها للخلق كافة، ويزكي كل طاغوت يحول دون وصول هذه المبادئ، ونشهد حزب الله في أفراده جميعاً، والذين تلقوا أعلى مستويات التربية الأخلاقية، والفكرية، والعسكرية، والسياسية، كيف ينفذون هذا المنهج وكيف يكون واقعهم ترجمة عملية وحية لمبادئهم، وكيف يتقدمون ليتصدروا مرحلة جديدة تبدأ معالمها وملامحها مع صلح الحديبية<sup>(1)</sup>.

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) انظر: التربية القيادية (189/4-192). هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## الفصل الثالث عشر الفتح المبين (صلح الحديبية)

### المبحث الأول

#### تاریخه وأسبابه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة

##### أولاً تاریخه وأسبابه:

في يوم الاثنين الأول من ذي القعدة سنة 6 هـ<sup>(1)</sup> خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة متوجهاً بأصحابه إلى مكة لأداء العمرة<sup>(2)</sup>، وسبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا في منامه وهو في المدينة، وتلخص هذه الرؤيا أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أنه قد دخل مكة مع أصحابه المسلمين محرماً مؤدياً للعمرمة، وقد ساق الهدي معظمًا للبيت مقدساً له، فبشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ففرحوا بها<sup>(3)</sup> فرحاً عظيمًا، فقد طال عهدهم بمكة والكعبة التي رضعوا بلبان حبها ودانوا بتعظيمها، وما زادهم الإسلام إلا ارتباطاً بها وشوقاً إليها، وقد تاقت نفوسهم إلى الطواف حولها، وتطلعت إليها تطلاعاً شديداً، وكان المهاجرون أشدهم حنيناً إلى مكة، فقد ولدوا ونشأوا فيها وأحبوها جنباً شديداً، وقد حيل بينهم وبينها، فلما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، تهياوا لتلك الزيارة العظيمة<sup>(4)</sup>، واستنفر صلى الله عليه وسلم أهل البوادي والأعراب ليخرجوها معه؛ لأنه كان يخشى أن تتصدّه قريش عن البيت الحرام، وكانت استخبارات المدينة قد علمت بأمر التحالف العسكري الذي عقد بين قريش في جنوب المدينة المنورة وخبير في شمالها، وكان هدف هذا التحالف جعل الدولة الإسلامية بين طرفي الكماشة، ثم اطباقياً فكيها عليها وأنهاء الوجود الإسلامي فيها، فقد حان الوقت لكسر ذلك التحالف سياسياً، فقد كانت الكعبة في نظر العرب قاطبة ليست ملكاً لقريش، بل هي تراث أبيهم إسماعيل، ولهذا فليس من حق قريش أن تمنع من زيارتها من تشاء، وتجيز من تشاء، فإذاً من حق محمد وأصحابه زيارة الكعبة<sup>(5)</sup>.

وانتشر خبر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قبائل العرب، وكان انتشار الخبر له أثر في الرأي العام، وخصوصاً بعدما أكد

1 (؟) أجمع أهل العلم على تاريχها بدون خلاف، انظر: المجموع للنووي (7/78).

2

3 (؟) انظر: نصرة النعيم (1/334).

4

4 (؟) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (2/495).

5

5 (؟) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 273.

5 (؟) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص 213، 214.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا يريد حرّاً، وإنّما يريد أن يعتمر وبعظام شعائر الله، وحقق هذا الفعل الكريم مكاسب إعلامية رفيعة المستوى، وقد كان هدف النبي صلى الله عليه وسلم معلناً ألا وهو زيارة بيت الله الحرام لأداء العمرة، فتجرد هو وأصحابه من المحيط، ولبسوا ثياب الاحرام، وأحرم بالعمرة من ذي الحليفة بعد أن قلد الهدي وأشعره<sup>(1)</sup>. وقد كان صلى الله عليه وسلم على جانب كبير من الحيطة والحذر، فقد أرسل بشر بن سفيان الخزاعي عيناً له<sup>(2)</sup>، وقدم بين يديه طليعة استكشافية مكونة من عشرين رجلاً، وفي ذلك يقول الواقعدي: (دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فقدمه أمامه طليعة في خيل المسلمين من عشرين فارساً، وكان فيها رجال من المهاجرين والأنصار)<sup>(3)</sup> وكان هدفه صلى الله عليه وسلم من ذلك الاستعداد للطوارئ التي يمكن أن يفاجأ بها، وأيضاً فقد كانت مهمة هذه الطليعة استكشاف خبر العدو<sup>(4)</sup>.

وأخذ صلى الله عليه وسلم بمشورة عمر في ذي الحليفة عندما قال له: يا رسول الله تدخل على قوم هم لك حرب بغير سلاح ولا كراع؟ فيبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من يحمل له الكراع والسلاح<sup>(5)</sup>، وكان قصده صلى الله عليه وسلم من ذلك: الاستعداد لهؤلاء الأعداء، الذين يملكون السلاح والعتاد ما يستطيعون به إلحاق الأذى بال المسلمين والنيل منهم<sup>(6)</sup>، وهذا التعامل مع سنة الأخذ بالأسباب من هديه الكريم الذي جعله لأمته لتقديري به من بعده صلى الله عليه وسلم، لما في ذلك من المصالح الكثيرة، ولما فيه من درء مكاييد الأعداء الذين يتربصون بال المسلمين الدوائر<sup>(7)</sup>.

### ثانياً: وصول النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان:

لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي الخزاعي، فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ومعها العوذ المطافيل<sup>(8)</sup>، قد لبسوا حلود النمور يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم عنوة أبداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ويح<sup>(9)</sup> قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس؟ فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله

1 (؟) أشعره: إشعار الدين أن يشق أحد جنبي سلام البدنة حتى يسيل دمه، مرويات الحديبية، ص 55.

2

3 (؟) انظر: مرويات غزوة الحديبية للحكمي، ص 58.

3

4 (؟) انظر: مغازي الواقعدي (2/974).

4

5 (؟) انظر: صلح الحديبية، محمد باشميل، ص 309.

5

6 (؟) انظر: تاريخ الطبرى (2/622).

6

7 (؟) المصدر نفسه، ص 489.

7

8 (؟) المراد: خرجوا ومعهم النساء والأولاد لئلا يفروا عنهم وهم على الاستعارة.

8

9 (؟) يا ويح: كلمة ترجم وتوجع، انظر: لسان العرب (3/996).

9

عليهم دخلوا في الإسلام وهم وافرون<sup>(1)</sup> ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فماذا تظن قريش؟ والله إني لا أزال أجاهدهم على الذي يعتني الله له حتى يظهر الله له أو تنفرد هذه السالفة»<sup>(2)</sup> . وقد استشار صلى الله عليه وسلم أصحابه لما بلغه خبر استعداد قريش لصدمة عن دخول البيت الحرام، وعرض صلى الله عليه وسلم على الصحابة - رضي الله عنهم- المنشورة في هذا الأمر على رأين يحملان العزم والتصميم:

**1- الميل إلى عيال وذاري الأحابيش الذين خرجو لمعاونة قريش على مقاتلة المسلمين وصدتهم عن البيت.**

**2- قصد البيت الحرام، فمن صد عنه قاتله حتى يتمكن من تحقيق هدفه<sup>(3)</sup> . ولما عرض صلى الله عليه وسلم المنشورة في هذا الأمر على الصحابة تقدم أبو بكر الصديق برأيه الذي تدعمه الحجة الواضحة، حيث أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك قتالهم والاستمرار على ما خرج له من أداء العمرة حتى يكون بدء القتال منهم، فاستحسن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الرأي، وأخذ به وأمر الناس أن يمضوا في هذا السبيل<sup>(4)</sup> . وعندما اقتربت خيل المشركين من المسلمين صلى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف بعسفان.**

**ثالثاً: الرسول صلى الله عليه وسلم يغير الطريق وينزل بالحديبية:**

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشاً قد خرجت تعرضاً طريقه وتتصبّ كميناً له ولأصحابه بقيادة خالد بن الوليد، وهو لم يقر المصادمة، رأى أن يغير طريق الجيش الإسلامي تفادياً للصطدام مع المشركين، فقال: «من رجل يخرجينا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟» فقال رجل من أسلم: أنا يا رسول الله، فسلك بهم طريقاً وعراً بين شعاب شق على المسلمين السير فيه حتى خرجو إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، وعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس: «قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه» فقالوا ذلك. فقال: «والله إنها الحطة التي عرضت علىبني إسرائيل فلم يقولوها»<sup>(5)</sup>.

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمىش في طريق تخرجه إلى ثنية المرار، مهبط الحديبية من أسفل مكة، فسلك الجيش ذلك الطريق بخفة ودون أن

1 (?) وافرون: جمع وافر وهو الذي لم ينقص منه شيء، لسان العرب (3/958).

2 (?) البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (3/237) رقم 2732.

3 (?) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ص 489.

4 (?) انظر: ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية للشيخ عدنان النحوي، ص 160.

5 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي هشام (3/338). (5) قترة: غبار.

يشعر به أحد، فما نظر خالد إلا وفترة<sup>(1)</sup> جيش المسلمين قد ثارت، فعاد مسرعاً هو ومن معه إلى مكة يحذر أهلها، ويأمرهم بالاستعداد لهذا الحدث المفاجئ<sup>(2)</sup>، وقد أصاب الذعر المشركين وفوجئوا بنزول الجيش الإسلامي بالحديبية حيث تعرضت مكة للخطر، وأصبحت مهددة من المسلمين تهديداً مباشراً<sup>(3)</sup>.

### يقول اللواء محمود شيت في هذا الدرس الرائع:

لم تكن حركة المسلمين على هذا الطريق خوفاً من قوات الجيش، فالذى يخاف من عدو لا يقترب من قاعده<sup>(4)</sup> الأصلية، وهى مركز قواته، بل يحاول الابتعاد عن قاعدة العدو الأصلية حتى يتطلب خط مواصلات العدو، وبذلك يزيد من صعوباته ومشاكله، ويجعل فرصة النصر أمامه أقل من حالة الاقتراب من قاعده<sup>(5)</sup> الأصلية.

وقد جاء في كتاب (اقتباس النظام العسكري في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم) ما بين الحكمة من تغيير الطرق ما نصه: ويؤخذ من اتخاذ الأدلة والتحول إلى الطريق الآمنة أن القيادة الوعية البصيرة، تسلك في سيرها بالجيش طرفاً بعيدة عن المحاطة والمهالك وتجنب الدروب التي يجعل الجيش خاضعاً تحت تصرفات العدو وهجماته<sup>(6)</sup>.

**رابعاً: ما خلأ القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن جسها حابس الفيل:**

وعندما اقترب الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية، بركت ناقته القصواء، فقال الصحابة رضي الله عنهم: خلات القصواء<sup>(7)</sup>، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خلأ القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن جسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطientهم إياها»<sup>(8)</sup> ثم زجرها فوثبت ثم عدل عن دخول مكة، وسام حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد -بئر- قليل الماء، ما لبثوا أن نزحوه ثم اشتكوا إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم العطش، فانتزع سهماً من كناته ثم أمرهم أن يجعلوه فيها، فجاش لهم بالري فارتوا جميعاً<sup>(9)</sup>، وفي رواية أنه

1

(6) غزوة الحديبية لأبي فارس، ص 39.

2

(?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 374.

3

(?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 374.

4

(?) انظر: الرسول القائد، بشيت خطاب، ص 186، 187.

5

(?) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 374 نقاً عن اقتباس النظم العسكرية، ص 258.

6

(?) بركت من غير علة ظاهرة، فلم تبرح مكانها.

7

(?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 484.

8

(?) نفس المصدر، ص 484.

9

(8) الفتح (14/758) رقم 3577.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

جلس على شفة البئر فدعا يماء فمضمض ومج في البئر<sup>(1)</sup>. ويمكن الجمع بأن يكون الأمران معاً وقعا، كما ذكر ابن حجر<sup>(2)</sup>، ويؤيده ما ذكره الوادعي<sup>(3)</sup>، وعروة<sup>(4)</sup> من أن الرسول صلى الله عليه وسلم تمضمض في دلو وصبه في البئر، ونزع سهماً من كنانته فألقاها فيها ودعا ففارت<sup>(5)</sup>.

### وفي بروك ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمه بعد ذلك دروس وعبر منها:

1- كل شيء في هذا الكون يسير بأمر الله ومشيئته، ولا يخرج في سيره عن مشيئته وإرادته، فتأمل في ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أين بركت، وكيف كره الصحابة بروكها وحاولوا إنهاضها لتستمر في سيرها فيستمروا في سيرهم إلى البيت العتيق مهما كانت النتائج، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد غير ذلك<sup>(6)</sup>.

2- وقد استنبط ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- فائدة جليلة من قوله صلى الله عليه وسلم: «حبسها حabis الفيل»<sup>(7)</sup> فقال: وفي هذه القصة جواز التشبيه من الجهة العامة وإن اختلفت الجهة الخاصة؛ لأن أصحاب الفيل كانوا على باطل محض، وأصحاب هذه الناقة كانوا على حق محض، لكن جاء التشبيه من جهة إرادة الله من الحرم مطلقاً، أما من أهل الباطل فواضح، وأما من أهل الحق فللمعنى الذي تقدم ذكره<sup>(8)</sup>.

3- ومن الفوائد أن المشركين وأهل البدع والفحور، والبغاء، والظلمة إذا طلبوا أمراً يعظمون فيه حرمة من حرمات الله تعالى، أجيروا إليه وأعطوه، وأعينوا عليه، وإن منعوا غيره، فيعانون على ما فيه تعظيم حرمات الله تعالى، لا على كفرهم وبغيهم، وبمنعون مما سوى ذلك، فكل من التمس المعاونة على محبوب لله تعالى مُرض له، أجيب إلى ذلك كائناً من كان، ما لا يترتب على إعانته على ذلك المحبوب مبغوض لله أعظم منه، وهذا من أدق المواضيع وأصعبها، وأشقيها على النفوس<sup>(9)</sup>.

4- إن الله سبحانه وتعالى، جلت قدرته، وعزت عظمته، قضى ألا يكون قتال بين المسلمين والمشركين من أهل مكة في هذه الغزوة بالذات؛ لحكم ظهرت فيما بعد منها:

1

(?) الفتح (11/164) رقم 2732، 2731. (10) المغاربي (2/588).

2

(?) من رواية أبي الأسود عنه كما ذكر ابن حجر في الفتح (11/164).

3

(?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 484.

4

(?) انظر: صلح الحديبية لأبي فارس، ص 43.

5

(?) انظر: فتح الباري لابن حجر (6/260). (4) المصدر نفسه (6/61).

6

(?) انظر: صلح الحديبية لأبي فارس، ص 47.

7

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

8

**أ-** دخول المسلمين بالقوة يعني أن تحدث مذابح، وتزهق أرواح كثيرة، وتسفك دماء غزيرة من الطرفين، وهذا أمر لم يرده الباري سبحانه، وكان لمصلحة الفريقين المؤمنين والمشركين.

**ب-** إن من المحتمل أن ينال الأذى والقتل والتشريد على أيدي المؤمنين بعض المستضعفين من إخوانهم من المسلمين في مكة، وهذا فيه ما فيه من المعاشرة التي لا يليق، ب المسلم أن يقع فيها، قال سبحانه: ( هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِلَهَذِي مَغْكُوفًا أَن يَنْتَلِعَ مَحْلَةً وَلَوْلَا رَجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٍ لَمْ يَعْلَمُوهُمْ أَن تَطْلُو وَهُمْ فَتُصْبَكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَضًا بَعْيَرٌ عَلَمَ لَيْذَلِّ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَرَلَوْ لَعْذَبَنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ) [الفتح: 25].

**ج-** لقد سبق في علم الله عز وجل أن هؤلاء الذين يقفون اليوم صادين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم عن المسجد الحرام، هم الذين سيفتح قلوبهم إلى الإسلام، ويستفتح الله على أيديهم بلاً كثيرة، حين يحملون هذه الرسالة للناس، وينيرون ظلمة الطريق للمدلجين<sup>(1)</sup>.

### خامسًا: السفاراة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش:

بذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في وسعه لإفهام قريش أنه لا يريد حرثاً معهم، وإنما يريد زيارة البيت الحرام وتعظيمه وهو حق للمسلمين، كما هو حق لغيرهم، وعندما تأكدت قريش من ذلك أرسلت إليه من يفاوضه، ويتعرف على قوة المسلمين ومدى عزمهم على القتال إذا أطلقوا عليه، وطمئناً في صد المسلمين عن البيت بالطرق السلمية من جهة ثالثة<sup>(2)</sup>.

### 1- ركب من خزاعة بقيادة بُدَيْل بن ورقاء:

جاء بُدَيْل بن ورقاء في رجال من خزاعة، وكانت خزاعة عيبة<sup>(3)</sup> نص رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة، وبينوا أن قريشاً تعتمد صد المسلمين عن دخول مكة، فأوضح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم سبب مجئه، وذكر لهم الضرر الذي وقع على قريش من استمرار الحرب، واقتصر عليهم أن تكون بينهم هدنة إلى وقت معلوم حتى يتضح لهم الأمر، وإن أبووا فلا مناص من الحرب، ولو كان في ذلك هلاكه، فنقلوا ذلك إلى قريش<sup>(4)</sup>، وقالوا لهم: يا عشر قريش إنكم

1. (?) صلح الحديبية لأبي فارس، ص 45.

2. (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 485.

3. (?) أي خاصته وأصحاب سره.

4. (?) البخاري، كتاب الشروط رقم 2732، 2731.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ 5 ـ

تعجلون على محمد، إن محمدًا لم يأت لقتال، وإنما جاء زائرًا هذا البيت، فاتهموهن وحاطبوا بهن بما يكرهون، وقالوا: وإن كان إنما جاء ذلك فلا والله لا يدخلها علينا عنوةً أبداً ولا تتحدى بذلك العرب<sup>(1)</sup>. وقد ظهرت براعة النبي صلى الله عليه وسلم السياسية في عرضه على مشركي مكة الهدنة والصلاح؛ لأن في ذلك فوائد كثيرة منها:

**أ-** فبالهدنة يضمن حياد قريش ويعزلها عن أي صراع يحدث في الجزيرة العربية، سواءً كان هذا الصراع مع القبائل العربية الأخرى، أم مع اليهود ذلك العدو اللئيم الغادر الذي يتربص بال المسلمين الدوائر.

**بـ-** حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يبقى الاتصال مفتوحاً بينه وبين قريش، ليسمع منهم ويسمعوا منه بواسطة الرسل، والسفراء، وفي هذا تقريب للنفوس وتبريد لجو الحرب، وإضعاف لحماسهم نحو القتال.

**جـ-** حرص صلى الله عليه وسلم على أن تدرك خزاعة بقيادة بديل والركب الذي معه أن حليفهم قوي، فتنداد ثقتهم به وحلفهم له ولبني هاشم من قبل الإسلام، فقد بقي ولم يُلْعَنْ، وتأكد في صلح الحديبية.

**دـ-** إن العلاء الذين يفكرون بعقولهم حين يسمعون كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه جاء معلمًا للبيت، والمشركون يردونه، وهو يصر على تعظيمه، سيف هؤلاء بجانبه ويتعاطفون معه فيقوى مركزه، ويضعف مركز قريش الإعلامي والديني في نفوس الناس.

**هـ-** إن مشركي مكة لم يطمئنوا إلى كلام بديل الذي نقله إليهم؛ ذلك لأنهم يعلمون أن خزاعة كانت عيبة نصخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويشعرون بود خزاعة للرسول والمسلمين<sup>(2)</sup>.

**وـ-** ويؤخذ من جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبديل بن ورقاء حسن التلطيف في الوصول إلى الطاعات، وإن كانت غير واجبة، ما لم يكن ذلك من نوعاً شرعاً؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجاب المشركين لما طلبوا منه، ولم يظهر لهم ما في النفوس من البغض لهم والكراهة فيهما لهم طفأ منه عليه السلام فيما يؤمن من البلوغ إلى الطاعة التي خرج إليها<sup>(3)</sup>.

## 2- سفاره عروة بن مسعود الثقفي:

لم تقبل قريش ما نقله بديل بن ورقاء الخزاعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء زائراً للبيت ولم يأت مقاتلًا، واتهمتهم بـ بل وأسمعتهم ما يكرهون، فاقتصر عليهم عروة بن مسعود الثقفي أن يقابل الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمع منه، ثم يأتيهم بالخبر

<sup>1</sup> (? ) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام (3/340).

<sup>2</sup> (? ) انظر: صلح الحديبية لأبي فارس، ص 67.

<sup>3</sup> (? , 3) المصدر نفسه، ص 68.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

البيهقيين<sup>(1)</sup>. وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه فقال: ... فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم، ألسنت بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: ألسنت بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهمنوني؟ قالوا: لا، قال: ألسنت تعلمون أني إستنفرت أهل عكاظ<sup>(2)</sup>، قلما بلحوا<sup>(3)</sup> على جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعوني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلاها، ودعوني أتيه، قالوا: أئته فاتاه فعل كلم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوً من قوله لم يدل<sup>(4)</sup>: فقام عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمير قومك، هل سمعت بأحد من العرب احتاج أهله قيلك؟ وإن تكن الأخرى فإنني والله لا أرى وجوهاً، وإنني لأرى أشواياً<sup>(5)</sup> من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك، فقال أبو بكر: أقصد بظر<sup>(6)</sup> الآلات، إنحن نفر عنه وندعه؟<sup>(7)</sup> فقال: من ذاك؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لاجتك.

لقد حاول عروة بن مسعود أن يشنّ على المسلمين حرّياً نفسية حتى يهزّهم معنوياً، فاستخدم عنصر الإشاعة، وبظهر ذلك عندما لوح بقوة قريش العسكرية، معتمداً على المبالغة في تصوير الموقف بأنه سيؤول لصالح قريش لا محالة، وذلك لأنّ يوقع الفتنة والإرباك في صفوف المسلمين، وذلك حينما حاول إضعاف الثقة بين القائد وجنوده عندما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إنّي لأرى أشواياً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك، حاول ذلك من أجل التأثير على نفسيات المسلمين ولخدمة أهداف قريش العسكرية والإعلامية، وحاول أيضاً أن يفتعل أزمة عسكرية كبيرة بين النبي صلى الله عليه وسلم وجنوده من أجل التأثير على معنوياتهم وتحطيم عزائمهم، وهذا من أقوى أساليب الحرب النفسية التي استخدمت ضد المسلمين، أثناء تلك المفاوضات. وحاول عروة أن يثير الرعب وذلك بتخويف المسلمين من قوة قريش التي لا تقهـر، وتصویر المعركة بأنـها في غير صالحهم، لقد مارس عروة بن مسعود في مفاوضته عناصر الحرب النفسية من إشاعة وافتـعال الأزمـات وإثارة الرـعب<sup>(8)</sup>، إلا أن تلك العناصر تحطمت أمام الإيمان العميق والتـكوين الدقيق والصف الإسلامي المرصوص. ومن المفارقات الرايـعة التي حصلـت أثناء المفاوضـات مع عروة بن مسعود وهي من عجائب الأحداث التي يستشف منها الدليل القاطـع على قـوة الإيمـان التي كان يـتمتع بها

<sup>1</sup> (4) اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية في شمال الطائف، يعقد كل عام.  
<sup>2</sup> (5) بلحوا على: أبو، كانهم أعيوا عن الخروج معه وإعانته.

<sup>3</sup> (1) البخاري، كتاب الشروط في الجهاد (3/236) رقم 2732.

<sup>4</sup> (2) أشوايا: أي أخلاطاً من قبائل شرق<sup>5</sup>

<sup>6</sup> (?) البطر: ما تقطعه الحائنة من بضم المرأة عند ختانها<sup>7</sup>

<sup>7</sup> (?) البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (3/237) رقم 2732.

<sup>8</sup> (?) انظر: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديثة، سليم حجازي، ص 131، 132.

أصحاب النبي **صلى الله عليه وسلم**، وعلى قدرة هذا الدين في تحويل الإنسان من شيطان مريد إلى إنسان فاضل نبيل، حيث كان أحد الذين يتولون حراسة النبي **صلى الله عليه وسلم** أثناء مجاداته مع عروة بن مسعود التقي في الحديبية هو المغيرة بن شعبة<sup>(1)</sup> - ابن أخي عروة بن مسعود نفسه - وكان المغيرة هذا قبل أن يهديه الله للإسلام شاباً فاتكاً سكيراً، قاطعاً للطريق غير أن دخوله للإسلام حوله إلى إنسان آخر، وقد أصبح بفضل الله تعالى من الصفوة المؤمنة، وقد وقع عليه الاختيار ليقوم بهمّ حراسته النبي **صلى الله عليه وسلم** في ذلك الجو الملبد بغيم الحرب، وكان من عادة الجاهلية في المفاوضات، أن يمسك المفاوض بلحية الذي يراه نذراً له أثناء الحديث، وعلى هذه القاعدة كان عروة بن مسعود يمسك بلحية رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أثناء المناقشة، الأمر الذي أغضب المغيرة بن شعبة الذي كان قائماً على رأس رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بالسيف يحرسه وعلى وجهه المغفر فانتهت عمته وقرع يده بقائم السيوف قائلاً له: أكفر يدك عن مس لحية رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قبل أن لا تصل إليك، وكان النبي **صلى الله عليه وسلم** يبتسم للذي يجري بين عروة المشرك وبين ابن أخيه المؤمن، ولما كان المغيرة بن شعبة يقف بلباسه الحربي متتوشاً بسيفه ودرعه وعلى وجهه المغفر، فإن عمه عروة لم يكن باستطاعته معرفته، فقال للنبي **صلى الله عليه وسلم** وهو في أشد الغضب، ليت شعري من أنت يا محمد؟ من هذا الذي أرى من بين أصحابك؟ فقال له رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، فقال له عمه: وأنت بذلك يا عذر؟ لقد أورتنا العداوة من ثيق أبي الدهر، والله ما غسلت غدرتك إلا بالأمس. كان المغيرة صحب قوماً في الجahلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي **صلى الله عليه وسلم**: أما الإسلام فاًقبل، وأما المال فلست منه في شيء<sup>(2)</sup>.

لقد فشل عروة في مفاوضاته، ورجع محذراً قريشاً من أن تدخل في صراع مسلح مع النبي **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه وقال لهم: يا قوم، والله لقد وفدت على الملوك؛ وفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، وإنني والله ما رأيت ملكاً قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيه من محمد وأصحابه، والله ما يشدون إليه النظر، وما يرتفعون عنده الصوت، وما يكفيه إلا أن يشير إلى أمر فيُفعل، وما يتنخم وما يبصق إلا وقعت في يدي رجل منهم يمسح بها جلده، وما يتوضأ إلا ازدحموا عليه أيهم يظفر منه بشيء، وقد حزرت القوم، وأعلموا إنكم أن أردتم السيف، يذلوه لكم، وقد رأيت قوماً ما يبالون ما يصنع بهم، إذا منعوا أصحابهم، والله لقد رأيت نسيات معه، وإن كن ليسلم منه أبداً على حال،

<sup>1</sup> (?) أسلم قبل عمرة الحديبية وشهادها، وشهد بيعة الرضوان، أصبحت عينه في البرموك، وكان رسول سعد بن أبي وفاص إلى رستم، الإصابة (3/452).

<sup>2</sup> (?) البخاري، كتاب في الشروط (3/238) رقم 2732.

فروا رأيكم، وإياكم وإضجاع<sup>(1)</sup> الرأي، فمادوه يا قوم، اقبلوا ما عرض  
إني لكم ناصح مع أبا يعقوب لا تنتصروا عليه؛ رجل أتى هذا البيت  
معظماً له، معه الهدي، ينحره وينصرف، فقالت قريش: لا تكلم بهذا يا  
أبا يعقوب<sup>(2)</sup>، لو غيرك تكلم بها للمناه، ولكن نرده عن البيت في عامنا  
هذا ويرجع قابل<sup>(3)</sup>.

لقد انتقلت الحرب النفسية وتأثيرها في صفوف المسلمين لتعمل  
داخل جبهة قريش وفي نفوسهم، فقد كان تصوير عروة لمارأه  
صادقاً، حيث بين لقريش وضع المسلمين في الحديبية، من طاعتهم  
لنبيهم الكريم وحدهم له وتفانيهم بالدفاع عنه، وبما يتمتعون به من  
معنويات عالية جداً، واستعداد عسكري ونفسي يفوق الوصف، فكان  
ذلك بمثابة التحذير الفعلى لقريش بعدم التعجيل والدخول في حرب  
مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، مما قد تكون نتائج هذه  
المعركة لصالح المسلمين، الأمر الذي أسقط في أيدي زعمائهم، ولم  
تكن قريش تتوقعه أبداً في تقويمها للأمور، لقد كان وقع كل كلمة  
قالها سيد ثقيف كالصاعقة على مسامع نفوس زعماء قريش، لقد  
كان صلى الله عليه وسلم موفقاً من قبل الله تعالى، ولذلك نجد أثره  
على عروة بن مسعود، مما جعل الانشقاق يدب في معسكر قريش،  
وأخذت جبهة قريش تتداعى أمام قوة الحق الصامدة، وكذلك فقد  
انهارت حجة قريش في جمعها للعرب ضد النبي صلى الله عليه  
وسلم.

لقد نجح النبي صلى الله عليه وسلم بحكمته وذكائه نجاحاً عظيماً،  
باستخدام الأساليب الإعلامية والدبلوماسية المتعددة للحصول على  
الغاية المنشودة، وهي تفتيت جبهة قريش الداخلية، وإيقاع الهزيمة  
في نفوسهم، وإبعاد حلفائهم عنهم وإن هذه النتيجة لن تعد بحق نصراً  
ساحقاً حققه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجبهات  
السياسية والإعلامية والعسكرية<sup>(4)</sup>.

### 3- سفارة الحلس بن علقة:

ثم بعثوا الحلس بن علقة الكناني سيد الأحابيش، فلما رأه رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا من قوم يتألهون، فابعثوا  
الهدي في وجهه حتى يراه وأمر برفع الصوت في التلبية، فلما رأى  
الحلس الهدي يرسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، رجع إلى  
قريش قبل أن يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك

<sup>1</sup> (?) إضجاع الرأي: أي الوهن في الرأي.  
<sup>2</sup> (3) أبا يعقوب: كنية عروة بن مسعود التقفي.

<sup>3</sup> (?) انظر: مغازي الواقدي (2/598).

<sup>4</sup> (?) انظر: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص 145.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

<sup>5</sup>

اعظاماً لما رأى<sup>(1)</sup> فقد كان الوادي مجدباً لا ماء فيه ولا مرعى، وقد أكل الهدى أوباره من طول الحبس عن محله، ورأى المسلمين وقد استقبلوه رافعين أصواتهم بالتلبية وهم في زي الإحرام، وقد شعروا من طول المكوث على إحرامهم.. ولذلك استنكر تصرف قريش بشدة، وانصرف سيدبني كنانة عائداً من حيث أتي دون أن يفاتح النبي صلى الله عليه وسلم بشيء، أو أن يفاوضه كما كان مقرراً من قبل، واعتبر عمل قريش عدواً ضد زوار بيت الله الحرام، ولا يجوز لأحد أن يؤيدوها أو أن يناصرها على ذلك<sup>(2)</sup>، فرجع محتاجاً على قريش التي أعلنت غضبها لصراحة الحلس، وحاولت أن تلافى هذا الموقف الذي يهدد بانقسام خطير في جبهة قريش العسكرية، ونصف الحلف المعقود بين قريش والأحابيش، وقالوا لزعيم الأحابيش: إنما كل ما رأيت هو مكيدة من محمد وأصحابه، فاكفف عننا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به<sup>(3)</sup>.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم عالماً ومستوعباً لشخصية الحلس ونفسيته، ويظهر ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: هذا من قوم يتالهون. فالواضح من هذه المعلومة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على معرفة تامة بهذا الرجل، وبحكم هذه المعرفة قد درس شخصيته دراسة موضوعية وذلك بما كان عنده من حب شديد من التعظيم للحرمات والمقدسات والعمل على الاستفادة الكاملة من هذا الجانب في كسب المعركة، وعلى هذا الأساس فقد قام صلى الله عليه وسلم بوضع خطة محكمة مناسبة تقضي بوضع الحقائق كاملة أمام هذا الرجل وإظهار موقف المسلمين أو على الأقل وقوفه على الحياد في هذا الصراع.

والجدير بالذكر أن الحلس كان يتمتع بسمعة طيبة بين العرب جميعاً؛ وذلك لما يتميز به من رجاحة العقل، ولما يتمتع به من مركز ممتاز بوصفه زعيماً وقائداً لقوات الأحابيش، كما كان يتمتع باحترام وتقدير من جانب النبي صلى الله عليه وسلم وقريش على حد سواء، لهذا فإنه إذا ما تبين له أن الحق والعدل في جانب المسلمين فإنه يستطيع أن يقوم بدور مهم في إحلال السلام بين الطرفين المتنازعين والعمل على كبح جماح قريش، وإنقاذهما بالعدول عن موقفها العدائي ضد المسلمين وصدتهم عن المسجد الحرام، ومن هنا فقد كانت الدراسة النفسية التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم للشخصية الحلس تتناسب كلتاً مع المبادئ التي يؤمن بها، وعلى ذلك فقد كانت درجة التأثير والاستجابة الناتجة عن هذه العملية إيجابية تماماً<sup>(4)</sup> ومرضية، وهكذا استطاع صلى الله عليه وسلم أن يؤثر على

<sup>1</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 488.

<sup>2</sup> (؟) انظر: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص 108.

<sup>3</sup> (؟) الواقدي، المغاربي (2/600).

<sup>4</sup> (؟) انظر: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص 111.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

عروة بن مسعود والحلس بن علقمة؛ مما جعل الانشقاق يدب في صفوف مشركي مكة.

## يقول الأستاذ العقاد عن قدرة الرسول في توظيف الطاقات وإدارة المصالح:

الله صلى الله عليه وسلم الخبر يتجنيد بعوות الحرب وبعووت الاستطلاع، وكان خبيراً كذلك بتجنيد كل قوة في يده متى وجب القتال، إن كانت قوة رأي أو قوة لسان أو قوة نفوذ، فما نعرف أن أحداً وجه قوة الدعوة توجيهها أشد ولا أفع في بلوغ الغاية من توجيهه عليه السلام. ثم يضيف الكاتب قائلاً: والدعوة في الحرب، كما لا يخفى، لها غرضان أصيلان من بين أغراضها العديدة، أحدهما: إقناع خصمك والناس بحقك، وثانيهما: إضعافه عن قتالك بإضعاف عزمه وإيقاع الشتات بين صفوفه، ثم يقول: وربما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم برجل واحد في هذا الغرض ما لم تبلغه الدول بالفرق المنظمة<sup>(1)</sup>.

### 4- سفارة مكرز بن حفص:

وكان من سفراء قريش يوم الحديبية مكرز بن حفص، وقد روى البخاري ذلك فقال: فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا مكرز وهو رجل فاجر، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو، قال عمر: فأخبرني أبيو عن عكرمة، أنه لما جاء سهيل بن عمرو، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد سهل لكم من أمركم»<sup>(2)</sup> ولنا حديث مع سهيل بإذن الله تعالى.

### سادساً: الوفود النبوية إلى قريش ووقوع بعض الأسرى في يد المسلمين:

رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن من الضرورة إرسال مبعوث خاص من جاتيه إلى قريش يبلغهم نواياه السلمية بعدم الرغبة في القتال، واحترام المقدسات، ومن ثم أداء مناسك العمرة، والعودة إلى المدينة، فوقع الاختيار على أن يكون مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قريش (خراس بن أمية الخزاعي) وحمله على جمل يقال له (التعلب)، فلما دخل مكة عقرت به قريش وأرادوا قتل خراس فمنعهم الأحباب، فعاد خراس بن أمية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما صنعت قريش، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسل سفيراً آخر بتليين قريش رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووقع اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم في

<sup>1</sup> (? ) انظر: عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، ص 49.

<sup>2</sup> (? ) البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، (3/239) رقم 2732.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

بداية الأمر على عمر بن الخطاب<sup>(1)</sup>, فاعتذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذهاب إليهم، وأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث عثمان مكانه<sup>(2)</sup>, وعرض عمر رأيه هذا معززاً بالحججة الواضحة، وهي ضرورة توافر الحماية لمن يخالط هؤلاء الأعداء، ويحيث إن هذا الأمر لم يكن متحققاً بالنسبة لعمر، فقد أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بعثمان، لأن له قبيلة تحميه من أذى المشركين حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(3)</sup>, وقال رسول الله: إني أخاف قريشاً على نفسي، قد عرفت عداوتي لها، وليس بها منبني عدي من يمنعني، وإن أحبيت يا رسول الله دخلت عليهم<sup>(4)</sup>, فلم يقل رسول الله شيئاً، قال عمر: ولكن أذلك يا رسول الله على رجل أعز بمكة مني، وأكثر عشيره وأمنع، عثمان بن عفان، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فقال: «اذهب إلى قريش فخبرهم أنا لم نات لقتال أحد، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت، معظمين لحرمته، معنا الهدي، ننحره وننصرف» فخرج عثمان بن عفان حتى أتى بلد<sup>(5)</sup>, فوجد قريشاً هناك فقالوا: أين تريد؟ قال: يعنينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم يدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، تدخلون في الدين كافة، فإن الله مظهر دينه ومعزز نبيه، وأخرى تكفون ويلي هذا منه غيركم، فإن ظفروا بمحمد فذلك ما أردتم، وإن ظفر محمد كنتم بالختار أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس أو تقاتلوا وأنتم وافرون جامون، إن الحرب قد نهكتكم، وأذهبت بالأمثال منكم.. فجعل عثمان يكلمهم فيأتיהם بما لا يريدون ويقولون: قد سمعنا ما تقول ولا كان هذا أبداً، ولا دخلها علينا عنوة، فارجع إلى صاحبك فأخبره أنه لا يصل إلينا.

فقام إليه أبان بن سعد بن العاص فرحب به وأجاره، وقال: لا تقصر عن حاجتك، ثم نزل عن فرس كان عليه، فحمل عثمان على السرج وردهه وراءه، فدخل عثمان مكة، فأتى أشرفهم رجلاً رجلاً، أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وغيرهما، منهم من لقي ببلد، ومنهم من لقي بمكة، فجعلوا يردون عليه: إن محمدًا لا يدخلها علينا أبداً<sup>(6)</sup>.

وعرض المشركون على عثمان أن يطوف بالبيت فأبى<sup>(7)</sup>, وقام عثمان بتلبيغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المستضعفين بمكة، وبشرهم بقرب الفرج والمخرج<sup>(8)</sup>, وأخذ منهم

<sup>1</sup> (؟) انظر: غزوة الحديبية لأبي فارس، ص83.  
<sup>2</sup> (3) انظر: المغاربي للواقدي (2/600).

<sup>3</sup> (?) نفس المصدر (600).  
<sup>5</sup> (5) انظر: المغاربي للواقدي (2/600).

<sup>6</sup> (?) مكان قريب من مكة.  
<sup>7</sup> (?) زاد المعاد (3/290), السيرة النبوية لابن هشام (3/344).  
<sup>7</sup> (3) انظر: زاد المعاد (3/290).

رسالة شفهية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فيها: أقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منا السلام، إن الذي أنزله بالحديبية قادر على أن يدخله بطن مكة<sup>(1)</sup>.

وأختلط المسلمين بالمشركين في أمر الصلح، فرمي رجل من أحد الفريقين رجلاً من الفريق الآخر، وكانت معركة، وتراموا بالنبل والحرارة، وصاح الفريقان كلاهما، وارتئن كل واحد من الفريقين بمن فيه<sup>(2)</sup>. وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي كَفَ أَنْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَنْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطْنَ مَكَةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَطْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) [الفتح: 24].

وقد روى مسلم سبب نزول الآية السابقة: أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلين، يريدون غرة<sup>(3)</sup> النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأخذهم سلماً<sup>(4)</sup> فاستحياهم<sup>(5)</sup>، فأنزل الله عز وجل الآية المذكورة<sup>(6)</sup>.

وهذا سلمة بن الأكوع يحدثنا عما حدث: قال: ثم إن المشركين راسلوا الصلح حتى مشى بعضنا في بعض، وأصطلحنا قال: وكنت تبعاً<sup>(7)</sup> لطلحة بن عبد الله، أسيقي فرسه، وأحسنه<sup>(8)</sup> وأخدمه وأكل من طعامه، وترك أهلي ومالي، مهاجراً إلى الله ورسوله، قال: فلما أصطلحنا نحن وأهل مكة، وأختلط بعضنا بعض، أتيت شجرة فكسحت شوكها<sup>(9)</sup> فاضطجعت في أصلها، قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فابغضتهم فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم وأضطجعوا، فيبينما هم كذلك إذ نادى منادٍ من أسفل الوادي: يا للمهاجرين قتل ابن زريم، قال: فاختلطت سيفي<sup>(10)</sup> ثم شددت على أولئك الأربعه وهو رقود، فأخذت سلاحهم فجعلت ضغتاً<sup>(11)</sup> في يدي قال: ثم قلت: والذى كرم وجه محمد ما يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه<sup>(12)</sup>، قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(?) انظر: غزوة الحديبية لأبي فارس، ص 85.

1 (5) انظر: زاد المعاد (3/291).

2 (?) (غرة) الغرة هي الغفلة: أي يريدون غفلته (شرح النووي 187/12).

3 (?) سلماً: المراد به الاستسلام والإذعان (شرح النووي 187/12).

4 (?) فاستحياهم: فاستيقاهم (المفردات للرازي، ص 140).

5 (?) مسلم، كتاب الجهاد والسير (3/1442). (10) تبعاً: خادماً أتبعه (شرح النووي 176/12).

6 (?) وأخيه: أي أخ ظهره بالمحسنة لأربيل عنه الغبار، (شرح مسلم، النووي 176/12).

7 (?) فكسحت شوكتها: أي كنت ما تحتها من الشوك (شرح مسلم، النووي 176/12).

8 (?) فاختلطت سيفي: أي سللت (شرح مسلم، النووي 176/12).

9 (?) ضغتاً: الضفت: الحزمة (شرح مسلم، النووي 176/12).

10 (?) الذي فيه عيناه: يريد رأسه.

11 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

وجاء عمي عامر برجل من العيلات<sup>(1)</sup> يقال له مكرز يقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس مجفف<sup>(2)</sup> في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناء»<sup>(3)</sup>، فعفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله: «وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَنْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بَسْطَنْ مَكَةً مِنْ بَعْدِ أَنْ أَطْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا»<sup>(4)</sup> [الفتح: 24]

قال ابن كثير: هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين حيث كف أيدي المشركين عنهم، فلم يصل إليهم منهم سوء، وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عن المسجد الحرام، بل صان كلا من الفريقين وأوجد بينهم صلحًا فيه خير للمؤمنين وعافية في الدنيا والآخرة<sup>(5)</sup>.

### سابقاً: بيعة الرضوان:

لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عثماناً قُتل، دعا رسول الله أصحابه إلى مبايعته على قتال المشركين ومناجرتهم، فاستجابوا الصحابة وباباعوه على الموت<sup>(6)</sup>، سوى الجد بن قيس، وذلك لتفاقه<sup>(7)</sup>. وفي رواية أن البيعة كانت على الصبر<sup>(8)</sup>، وفي رواية على عدم الفرار<sup>(9)</sup>، ولا تعارض في ذلك؛ لأن المبايعة على الموت تعني الصبر وعدم الفرار<sup>(10)</sup>.

وكان أول من بايعه على ذلك سنان عبد الله بن وهب الأنصري<sup>(11)</sup> فخرج الناس بعده ببايعون على بيعته<sup>(12)</sup>، وباباعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات، في أول الناس، وأوسطهم، وأخرهم<sup>(13)</sup>. وقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى: «هذا يد عثمان» فضرب بها على يده<sup>(14)</sup>، وكان عدد الصحابة الذين أخذ منهم الرسول صلى الله عليه وسلم المبايعة تحت الشجرة القاً وأربعين صاحبها<sup>(15)</sup>، وقد تحدث القرآن الكريم عن أهل بيعة الرضوان وورد ذكرهم في نصوص كثيرة من

<sup>1</sup> (؟) العيلات: قوم من قريش نسبوا إلىأهم عبلة بنت عبد (شرح مسلم، النwoوي 12/177).

<sup>2</sup> (؟) مجفف: أي عليه تجاف وهو ثوب كالجليل يلبسه الفرس ليقيمه من السلاح.

<sup>3</sup> (؟) (وثناه) أي عودة ثانية (شرح مسلم للنwoوي 12/176).

<sup>4</sup> (؟) مسلم، كتاب الجهاد والسيير (3/1432).

<sup>5</sup> (؟) تفسير ابن كثير (4/192).

<sup>6</sup> (11) البخاري رقم الحديث 4169.

<sup>7</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 486.

<sup>8</sup> (؟) البخاري، رقم 4169.

<sup>9</sup> (4, 5, 6) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 486.

<sup>10</sup> (؟) انظر: زاد المعاد (3/291).

<sup>11</sup> (؟) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 404.

<sup>12</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 482.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية منها:

**قال تعالى: ( إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ بَدْءُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَتَّفَ فَإِنَّمَا يَنْكِتُ عَلَىٰ نُفْسِيهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ) [الفتح: 10].**

وهذه الآية فيها ثناءً ومدح عظيم لأهل بيعة الرضوان فقد جعل الله مبايعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم مبايعة له، وفي هذا غاية التشريف والتكرير لهم رضي الله عنهم<sup>(1)</sup>.

### **وقد ورد الثناء عليهم في السنة المطهرة في أحاديث كثيرة ومن ذلك ما يلي:**

أ- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض». وكنا ألقاً وأربعمائة ولو كنت أبصر لاريكم موضع الشجرة<sup>(2)</sup>.

ب- وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أخبرتني أم مبشر: أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها» قال: بلى يا رسول الله، فانتهرا، فقالت حفصة: ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارْدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَنِّمَا مَقْصِيَا ۖ ثُمَّ تُنْجِي الَّذِينَ اتَّقُوا ۖ وَتَنْذِرُ الطَّالِمِينَ فِيهَا حِثِّيَا ) [مريم: 71, 72].

قال النووي رحمه الله تعالى: قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها» قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعاً، وإنما قال إن شاء الله للتبرك لا للشك، وأما قول حفصة بلى، وانتهار النبي صلى الله عليه وسلم لها فقالت: ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارْدُهَا ) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وقد قال: ( ثُمَّ تُنْجِي الَّذِينَ اتَّقُوا ) فيه دليل للمناظرة والحواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود حفصة لا أنها أرادت رد مقالته صلى الله عليه وسلم.

والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون<sup>(3)</sup>.  
وحيث نمعن النظر في هذا الجيل الفريد مقارنة مع أهل بدر نلاحظ ارتفاع عدد المهاجرين إلى النصف من الجيش، وهذا الارتفاع الهائل في عدد المهاجرين من ثلاثة وثمانين في بدر إلى ثمانمائة كان معظمهم من القبائل العربية المجاورة، وهي قبائل صغيرة، إذا قيس

1 (؟) انظر: عقيدة أهل السنة في الصحابة، د. ناصر حسن الشيخ (1/205).  
2 (؟) مسلم (3/1485).  
3 (؟) شرح النووي على صحيح مسلم (16/85).

بالقبائل الكبرى، لكن شبابها كانوا يفدون إلى المدينة ينضوون تحت لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتلقون التربية اليومية في المسجد، والتربية العملية في المعارك والغزوات، فيتدربون على الجنديـةـ الـخـالـصـةـ وـيـفـقـهـونـ دـيـنـهـمـ مـبـاـشـرـةـ منـ رـسـولـ ربـ العـالـمـينـ،ـ وـيـنـشـئـونـ فـيـ طـلـالـ الـقـدـوـةـ الـعـلـيـاـ لـهـمـ مـنـ السـابـقـينـ الـأـوـلـيـنـ مـنـ الـمـهـاجـرـيـنـ وـالـأـنـصـارـ،ـ وـيـتـنـافـسـونـ فـيـ الطـاعـةـ وـالـامـتـالـ لـأـمـرـ اللـهـ وـرـسـولـهـ،ـ فـنـالـتـ قـبـائـلـهـمـ بـذـلـكـ شـرـقاـ رـبـاـ عـلـىـ الـقـبـائـلـ الـكـبـرـىـ التـيـ تـخـالـلـتـ فـيـ الـانـضـامـ لـلـإـسـلـامـ،ـ فـقـبـيلـةـ أـسـلـمـ وـغـفـارـ كـانـتـ عـلـىـ رـأـسـ هـذـهـ الـقـبـائـلـ،ـ وـيـعـودـ الـفـضـلـ بـعـدـ اللـهـ فـيـ ذـلـكـ إـلـىـ الرـعـيلـ الـأـوـلـ مـنـهـمـ،ـ وـالـلـبـنـاتـ الـأـوـلـىـ التـيـ اـنـضـمـتـ إـلـىـ الدـعـوـةـ إـلـىـ أـبـيـ ذـرـ الـغـفارـيـ الـذـيـ كـانـ مـنـ السـابـقـينـ فـيـ إـسـلـامـهـ بـمـكـةـ وـمـضـيـ دـاعـيـاـ فـيـ قـوـمـهـ حـتـىـ جـاءـهـ سـبـعـونـ بـيـنـاـ مـنـ غـفـارـ يـؤـمـ بـهـمـ الـمـدـيـنـةـ بـعـدـ أـحـدـ،ـ وـالـىـ بـرـيـدةـ بـنـ الـحـصـيـبـ الـأـسـلـمـيـ،ـ الـذـيـ تـلـقـىـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـبـلـ (1)ـ دـخـولـهـ الـمـدـيـنـةـ،ـ فـأـسـلـمـ وـمـعـهـ سـبـعـونـ مـنـ قـوـمـهـ كـذـلـكـ (2).

أما القبائل الأخرى من مزينة وجهينة، وأشجع، وحزاعة، فقد بدأ شبابها يفدون إلى المدينة، لكن بأعداد ضئيلة، ويفقد كيان القبيلة على الشرك، وبقي أعرابياً بعيداً عن محضن التربية العظيم داخل المدينة، فلم يتح له هذا الفضل، والاعتراف من رحيم النبوة؛ ولهذا كانت الآيات التي نزلت في المخلفين من الأعراب كالصوابق على رؤوسهم، لتختلفم عن الانضمام إلى الجيش الإسلامي الماضي إلى الحديبية (2).

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) انظر: التربية القيادية (4/214).  
<sup>2</sup> (?) المصدر نفسه (4/216).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

## المبحث الثاني

### صلح الحديبية وما ترتب عليه من أحداث

**أولاً: مفاوضة سهيل بن عمرو لرسول الله صلى الله عليه وسلم:**

لما بلغ قريشاً أمر بيعة الرضوان، وأدرك زعماً ها تصميم الرسول صلى الله عليه وسلم على القتال أوفدوا سهيل بن عمرو في نفر من رجالهم لمفاوضة النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>، ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلاً قال: «لقد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل»<sup>(2)</sup>.

كان سهيل بن عمرو أحد زعماء قريش البارزين الذين كانوا يعرفون بالحنكة السياسية والدهاء، فهو خطيب ماهر، ذو عقل راجح، ورزانة، وأصالة في الرأي.

شرع الفريقان المتفاوضان في بحث بنود الصلح، وذلك بعد رجوع عثمان بن عفان، وقد استعرض الفريقان النقاط التي يجب أن تتضمنها معاهدة الصلح، واستعرضنا في مباحثاتهما مختلف القضايا التي كانت تشكل مثار الخلاف بينهما. هذا وقد اتفق الفريقان من حيث المبدأ على بعض النقاط، واختلفا على البعض الآخر، وقد طال البحث والجدل والأخذ والرد حول هذه البنود، وبعد المراجعات والمفاوضات تقارب وجهات النظر بين الفريقين، وعند الشروع في وضع الصيغة النهائية للمعاهدة وكتابتها تكون نافذة المفعول رسميًا حدث خلاف بين الوفدين على بعض النقاط كاد أن يتعذر سير هذه الاتفاقية، فعندما شرع النبي صلى الله عليه وسلم في إملاء صيغة المعاهدة المتفق عليها، أمر الكاتب وهو سيدنا علي بن أبي طالب، بأن يبدأ المعاهدة بكلمة: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وهنا اعترض رئيس الوفد القرشي سهيل بن عمرو قائلاً: لا أعرف الرحمن، اكتب (باسمك اللهم)، فضح الصحابة على هذا الاعتراف، قائلاً: هو الرحمن، ولا نكتب إلا الرحمن، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم تمثيلًا مع سياسة الحكم والمرونة والحل، قال للكاتب: «اكتب باسمك اللهم»<sup>(3)</sup> واستمر في إملاء صيغة المعاهدة بهذه، فأمر الكاتب أن يكتب «هذا ما اصطلح عليه رسول الله»، وقبل أن يكمل الجملة اعترض رئيس الوفد القرشي على كلمة رسول الله قائلاً: لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك، واتبعتك، أفترغب عن اسمك

1 (؟) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، ص 339، 340.

2 (؟) انظر: مغازي الواقدي (2/602، 604، 605).

3 (؟، 4) المصدر نفسه (2/610).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

واسم أبيك محمد بن عبد الله؟ اكتب اسمك واسم أبيك<sup>(1)</sup>.

واعتراض المسلمين على ذلك، ولكن رسول الله بحكمته وتسامحه وُعد نظره حسم الخلاف وأمر الكاتب بأن يشطب كلمة رسول الله من الوثيقة فالتزم الصحابة الصمت والهدوء.

إن النبي صلى الله عليه وسلم وافق المشركين على ترك كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) وكتابه (باسمك اللهم) بدلاً عنها، وكذا وافقهم في كتابة محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذا وافقهم في رد من جاء منهم إلى المسلمين دون من ذهب منهم إليهم، وإنما وافقهم في هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور، أما البسمة وباسمك اللهم فمعناهما واحد، وكذا قوله (محمد بن عبد الله) هو أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس في ترك وصف الله سبحانه وتعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك، ولا في ترك وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة ما ينفيها، فلا مفسدة فيما طلبوه، وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم أهتم ونحو ذلك.

وأما شرط رد من جاء منهم وعدم رد من ذهب إليهم، فقد بينَ النبي صلى الله عليه وسلم تعليل ذلك والحكمة فيه في هذا الحديث بقوله: «من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم س يجعل الله له فرجاً ومخرجاً ثم كان كما قال صلى الله عليه وسلم»<sup>(2)</sup>.

### وتم عقد هذه المعاهدة وكانت صياغتها من عشرة بنود جاءت على الشكل التالي:

- 1- باسمك اللهم.
- 2- هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو.
- 3- واصطلحا على وضع الحرب على الناس عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكتف بعضهم عن بعض.
- 4- على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجاً أو معتمراً أو يتغى من فضل الله فهو أمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش محتاراً إلى مصر أو إلى الشام، يتغى من فضل الله فهو أمن على دمه وماله.
- 5- على أنه من أتي محمدًا من قريش بغير إذن ولية رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه.
- 6- وأن بيننا عيبة مكتوفة، وأنه لا أسلال ولا أغلال<sup>(3)</sup>.

<sup>2</sup> (؟) انظر: المستفاد من فصص القرآن للدعوة والدعاة (2/342).

<sup>3</sup> (؟) العيبة هنا مثل: والمعنى أن بينما صدوراً سليمة في المحافظة على العهد الذي عقدناه بينما، وقد يشبه صدر الإنسان الذي هو مستودع سره، وقوله: لا هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

**7-** وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخله، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه (فتوايثت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتوثيت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم).

**8-** وأنت ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها باصحابك، فأقمت بها ثلاثة معك سلاح الراكب، السيف في القرب، ولا تدخلها بغيرها.

**9-** وعلى أن هذا الهدي ما جئناه ومحله فلا تقدمه علينا.

**10-** أشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين.

فمن المسلمين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن سلمة، وعلي بن أبي طالب كاتب المعاهدة رضي الله عنهم أجمعين.

ومن المشركين: مكرز بن حفص، وسهيل بن عمرو<sup>(1)</sup>.

تعتبر هذه المعاهدة أساساً للمعاهدات الإسلامية ونموذجًا فريداً للمعاهدات الدولية، بما سبقها من مفاوضات، وما حوتة من شروط، وما تمثل بها من خلق النبي صلى الله عليه وسلم في النزول عند رضا الطرف الآخر، وفي كيفية الصياغة والالتزام، هذه المعاهدة سبقها مفاوضات من قبل المشركين والمسلمين، وفشل بعض الممثلين في الوصول إلى اتفاق، ودارت مشاورات شتى من الجانبين قبل الوصول إليه، حتى توصل الفريقان إلى اتفاق عن طريق ممثل المشركين (سهيل بن عمرو) ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ملا المسلمين.

عقدت هذه المعاهدة في الوقت الذي كان فيه المسلمون بمركز القوة لا الضعف، وكان باستطاعتهم إلا يقلوا شرطها التي اغتناط منها كثير من الصحابة، ولكن ما كان لهم أن يخرجوا عن طوع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، وقد تمادي رسول قريش على رسول الله في مفاوضته، وكان فرداً بين حيش المسلمين، فلم يتله أذى، ولم يتمادى عليه المسلمون بالقتل (لأن السفراء لا تقتل) ولكن رسول الله يرضيه، ويسعه بالحلم واللين، حتى يصل إلى الغاية التي ينشدها الإسلام، وهي حقن الدماء، وإحلال السلام، ورجاء أن يعقل القوم الحق، وأن يراجعوا المواقف، ويسمعوا

أislال ولا أغلال؛ تعني الأislال من السلة وهي السرقة، والأغلال أي الخيانة.  
والمعنى العام: أن بعضنا يامن بعضنا في نفسه وما له فلا يتعرض لدمه ولا لماله.  
<sup>1</sup> (?) المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، د. محمد الديك، ص 270، 271.

كلام الله<sup>(1)</sup>، وتدخل الدعوة الإسلامية طوراً جديداً بصور أخرى في الانتشار والاتصال بالناس عندما تتأمل نصوص المعاهدة التي تمت في الحديبية فإننا نأخذ منها الآتي:

- 1-** إن دبياجة المعاهدات الإسلامية كانت تبدأ باسم الله، أو باسمك اللهم، والقانون الدولي في صياغة المعاهدات يقول: (تبدأ كتابة المعاهدات بدبياجة يتفق عليها طرفا التعاقد). والذى يجب أن نلاحظه أن المعاهدات في الإسلام تستند إلى الله الذي تبدأ باسمه سبحانه، حيث هو الرقيب والحسيب على ما في التواب والقلوب، واسم الله مقدس في كل قلب يؤمن به، حتى أولئك الذين فسّدت عقائدهم، فإنهم لا ينكرون الله، ولكنهم أفسدوا تصوّرهم لذات الله، وقد حررت أعراف بعض الذين يستهونون قلوب العامة بالشعارات الجوفاء أن يقولوا بدل اسم الله: باسم الشعب، أو باسم الأمة، باعتبار قدسيّة ما يبدّأون به كما يزعمون، ولكن الذي يؤمن بالله لا يعدل عن قدسيّة الله في اعتقاده، ولذلك كانت البداية (باسمك اللهم).
- 2-** ذكر في المعاهدة طرفا التعاقد بعد (الدبياجة) كما يسمّيها القانون الدولي، وهذا ما عليه القانون الدولي العام من أنه يذكر بعد الدبياجة أسماء الممثلين أو الدول التي هي أطراف في عقد المعاهدة.
- 3-** بواضع المعاهدة، فقد جاء في بداية هذه المعاهدة ذكر الصلح لأجل وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس، ويُكفّ بعضهم عن بعض، وهذا ما عليه القانون الدولي العام كذلك.
- 4-** الدخول في صلب المعاهدة وشروطها، حيث ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المعاهدة الشروط المتفق عليها بين الطرفين، وهذا ما عليه القانون الدولي العام.
- 5-** في معاهدة صلح الحديبية جواز ابتداء الإمام (رئيس الدولة الإسلامية) بطلب صلح العدو إذا رأى المصلحة للمسلمين فيه، ولا يتوقف ذلك على أن يكون ابتداء الطلب منهم<sup>(2)</sup>.
- 6-** إن مصالحة المشركيين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائز للصالحة الراجحة ودفع ما هو شر منه، وفيه دفع أعلى المفسدين باحتمال أدناهما<sup>(3)</sup>.
- 7-** إن صلح الحديبية سماه الله فتحاً؛ لأن الفتح في اللغة هو فتح المغلق، والصلح الذي حصل مع المشركيين بالحديبية كان مسدوداً مغلقاً ففتحه الله، والصلح كذلك يفتح القلوب المغلقة

<sup>1</sup> (?) انظر: المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، ص 268، 269.

<sup>2</sup> (?) انظر: زاد المعاذ لابن القيم (3/306). (2) المصدر نفسه (3/306).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

لقد كانت الصورة الظاهرة في شروط الحديبية فيها ضيم للMuslimين، وهي في باطنها عز وفتح ونصر، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى ما وراء المعاهدة من الفتح العظيم من وراء ستار رقيق، وكان يعطي المشركين كل ما سأله من الشروط التي لم يتحملها أكثر أصحابه ورؤوسهم، وهو صلى الله عليه وسلم يعلم ما في ضمن هذا المكرور من محظوظ<sup>(1)</sup>.

**8-** إن المعاهدة قد تكون مفتوحة لمن يحب أن يدخل فيها من الأطراف أو الدول الأخرى، وهذا ما عليه القانون الدولي، حيث أجاز أن تكون المعاهدة مفتوحة لمن يحب الدخول فيها من الأطراف الأخرى، فقد دخلت خزاعة وكتانة في الصلح الذي أنهى حالة الحرب القائمة بين هاتين القبيلتين والتي امتدت سنوات عديدة<sup>(2)</sup>.

**9-** إن المعاهدة لا بد لها من توقيع الأطراف والإشهاد عليها، وتوقيع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإشهاد أصحابه إنما هو بمثابة التوقيع على المعاهدة والتصديق عليها، كما هو في القانون الدولي العام.

**10-** إن المعاهدة يجوز أن يكون الوسيط فيها طرفاً محايدها، أو طرفاً يقرب بين وجهات النظر كوساطة سيد الأحابيـش (الحلس بن علقمة) حليف قريش الأكبر، وطلبت منه قريش أن يكون وسيطاً بينهم وبين المسلمين، وكان الحلـس ذا عقل راجح وبصيرة نافذة، وكان سيـداً مطاعـاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فيه التـالـه الشـدـيدـ والـتعـظـيمـ للـحرـمـ.

وعندما اختارتـهـ قـريـشـ كـانـتـ تـطـمـعـ فـيـ أـنـ يـكـونـ لـمـرـكـزـهـ المـمـتـازـ بـيـنـ الـعـرـبـ،ـ وـلـمـ يـنـتـمـيـ بـهـ مـنـ تـقـدـيرـ لـدـيـ النـبـيـ صلى الله عليه وسلمـ،ـ تـأـثـيرـ عـلـىـ الرـسـوـلـ وـأـصـاحـابـهـ<sup>(3)</sup>.

وهذا ما يقرهـ القانونـ الدوليـ،ـ حيثـ إنـ المعـاهـدةـ قدـ تـعـقدـ بـوـسـاطـةـ دـوـلـةـ أـخـرـىـ لـيـسـ طـرـفـاـ فـيـ النـزـاعـ،ـ أوـ أـحـدـ الـمـيـعـوـثـينـ الـذـيـ لـاـ عـلـاقـةـ لـهـ أـوـ لـدـوـلـتـهـ فـيـ النـزـاعـ الـقـائـمـ بـيـنـ طـرـفـيـ الـتـعـاـقـدـ.

**11-** إنـ المعـاهـدةـ تـعـتـبـرـ نـافـذـةـ المـفـعـولـ بـمـجـرـدـ الـاتـفـاقـ عـلـىـ الـمـعـاهـدةـ وـشـرـوـطـهـاـ،ـ حـتـىـ وـلـوـ لـمـ تـكـتـبـ وـلـمـ يـوـقـعـ عـلـيـهاـ الـطـرـفـانـ،ـ وـذـلـكـ كـمـاـ حـدـثـ لـأـبـيـ جـنـدـلـ بـنـ سـهـيلـ بـنـ عـمـرـوـ الـذـيـ

1) انظر: المعاهدات في الشريعة الإسلامية، ص 272.  
الحدبية، باشميل، ص 280.

2) المـصـدرـ نـفـسـهـ،ـ صـ 199ـ،ـ 200ـ.

3) هـدـيـةـ الشـبـكـةـ الـلـيـبـيـةـ وـالـكـاتـبـ بـمـنـاسـبـةـ الـعـشـرـ الـأـخـرـ مـنـ رـمـضـانـ وـعـيـدـ الـفـطـرـ 1426ـ.

رده الرسول **صلى الله عليه وسلم** بموجب قوله عليه السلام بالبند الخامس من المعايدة، والذي يقول: (على أنه من أتي محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم...) فمنذ أعلان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** التزامه بهذا الشرط أجراه ولو لم تكن المعايدة قد كتبت بعد، ولم يوقع عليها الطرفان.

**12- إن المعايدة تكتب من نسختين، وبأخذ كل طرف نسخة طبق الأصل من المعايدة، حيث إنه بعد أن تمت إجراءات الصلح النهائية في الحديبية أخذ كل من الفريقين نسخة من وثيقة الصلح التاريخية، وانصرف الوفد القرشي راجعاً إلى مكة<sup>(1)</sup>.**

### ثانياً: موقف أبي جندل والوفاء بالعهد:

إن من أبلغ دروس صلح الحديبية درس الوفاء بالعهد، والتقييد بما يفرضه شرف الكلمة من الوفاء بالالتزامات التي يقطعها المسلم على نفسه، وقد ضرب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بنفسه أعلى مثل في التاريخ القديم والحديث، لاحترام كلمة لم تكتب، واحترام كلمة تكتب كذلك، وفي الحد في عهوده، وجبه للصرامة والواقعية، وبغضنه التحاليل والالتواء والكيد، وذلك حينما كان يفاوضن (سهيل بن عمرو) في الحديبية، حيث جاءه ابن سهيل يرسف في الأغلال، وقد فر من مشركي مكة، وكان آنذاك يتفاوض مع الرسول **صلى الله عليه وسلم**، وكان هذا الابن من أمنوا بالإسلام جاء مسترحاً بالمسلمين، وقد انفلت من أيدي المشركين، فلما رأى سهيل ابنه قام إليه وأخذ بتلبيبه، وقال: يا محمد لقد لجت القضية بيني وبينك، أي فرغنا من المناقشة قبل أن يأتيك هذا، فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: صدقت، فقال أبو جندل: يا عشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتونني في ديني؟! فلم يغن عنه ذلك شيئاً، ورده رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وقال لأبي جندل: إننا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهداً، وإننا لا نغدر بهم، غير أن النبي **صلى الله عليه وسلم** إزاء هذه المأساة التي حالت بينه وبينه وبين أن يجد مخرجاً منها لأبي جندل المسلم، طمأن أبي جندل وبشره بقرب الفرج له ولمن على شاكلته من المسلمين، وقال له وهو يواسيه: «يا أبي جندل، أصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً»<sup>(2)</sup>. وفي هذه الكلمات النبوية المشرقة العظيمة دلالة ليس فوقها دلالة على مقدار حرص رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وتمسكه بفضيلة الوفاء بالعهد مهما كانت نتائجه

<sup>1</sup> (1) انظر: المعايدات في الشريعة الإسلامية، ص 273.

<sup>2</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/347).

وعواقبه فيما يبدو للناس<sup>(1)</sup>. لقد كان درس أبي جندل امتحاناً قاسياً ورهيباً لهذا الوفاء بالعهد أثبت فيه الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون نجاحاً عظيماً في كبت عواطفهم وحبس مشاعرهم، وقد صبروا لمنظر أخيهم أبي جندل وتأثروا من ذلك المشهد عندما كان أبوه يجتذبه من تلاييه، والدماء تنزف منه، مما زاد في إيلامهم حتى أن الكثرين منهم أخذوا يبكون بمرارة إشفاقاً منهم على أخيهم في العقيدة، وهم ينظرون إلى أبيه المشرك وهو يسحبه بفطاظة الوثنية الجلف ليعود به مرة أخرى إلى سجنه الرهيب في مكة.

وقد صبر أبو جندل واحتسب لمصابه في سبيل دينه وعقيدته، وتحقق فيه قول الله تعالى: ( ... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَحْرَجاً وَيَنْرُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَخْتَسِعُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْأَمْرِ أَكْبَرٌ فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ) [الطلاق: 2].

فلم تمر أقل من سنة حتىتمكن مع إخوانه المسلمين المستضعفين بمكة من الإفلات من سجون مكة، وأصبحوا قوة صار كفار مكة يخشونها، بعد أن انضموا إلى أبي بصير، وسيطروا على طرق قوافل المشركين الآتية من الشام<sup>(2)</sup>. وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً بإذن الله تعالى.

### ثالثاً: احترام المعارضة النزية:

بعد الاتفاق على معايدة الصلح وقبل تسجيل وثائقها ظهرت بين المسلمين معارضة شديدة وقوية لهذه الاتفاقية، وخاصة في البندين اللذين يتلزم النبي صلى الله عليه وسلم بموجبهما برد من جاءه من المسلمين لاجئاً، وللتلزم قريش برد من جاءها من المسلمين مرتدًا، وبالبند الذي يقضي بأن يعود المسلمين من الحديبية إلى المدينة دون أن يدخلوا مكة ذلك العام، وقد كان أشد الناس معارضه لهذه الاتفاقية وانتقاداً لها، عمر بن الخطاب، وأبي سعيد الخدري، وسعد بن عبادة سيد الخرج.

وقد ذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله معلناً معارضته لهذه الاتفاقية، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ألسنت برسول الله؟ قال: «بلى» قال: ألسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى» قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى» قال: فعلام نعطي الدينية في ديننا؟ قال: «إني رسول الله ولست أعصيه»<sup>(3)</sup>. وفي رواية: «أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني»<sup>(4)</sup>. قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك

<sup>1</sup> (?). انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (4/275).

<sup>2</sup> (?). انظر: صلح الحديبية، باشميل، ص 322-325.

<sup>3</sup> (?). انظر: من معن السيرة، ص 333. (3) انظر: تاريخ الطبرى (2/634).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

أبا ناتيه العام؟» قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوف به». قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت له: يا أبا بكر، أليبيس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدينية في ديننا؟ فقال أبو بكر ناصحاً الفاروق بأن يترك الاحتجاج والمعارضة: الزم غرزه، فإني أشهد أنه رسول الله، وأن الحق ما أمر به، ولكن يخالف أمر الله ولن يضيئه الله<sup>(1)</sup>.

وبعد حادثة أبي جندل المؤلمة المؤثرة عاد الصحابة إلى تجديد المعارضنة للصلح، وذهبت مجموعة منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم عمر بن الخطاب لمراجعته، وإعلان معارضتهم مجددًا للصلح إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم بما اعطاه الله من صبر وحكمة وحلم وقوة حجة استطاع أن يقنع المعارضين بوجاهة الصلح، وأنه في صالح المسلمين، وأنه نصر لهم<sup>(2)</sup> وأن الله سيجعل للمستضعفين من أمثال أبي جندل فرجاً ومحرجاً، وقد تحقق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم.

وبهذا يتبيّن أن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع قاعدة احترام المعارضنة النزيحة، حيث فرر ذلك بقوله وفعله، وهو -والله أعلم- إنما أراد بهذا الفعل إرشاد القادة من بعده إلى احترام المعارضنة النزيحة التي تصدر من أتباعهم، وذلك بتشجيع الأتباع على إبداء الآراء السليمة التي تخدم المصلحة العامة<sup>(3)</sup>.

وهذا الهدي النبوى الكريم بيّن أن حرية الرأي مكفولة في المجتمع الإسلامي، وأن للفرد في المجتمع المسلم حرية في التعبير عن رأيه، ولو كان هذا الرأي نقداً لموقف حاكم من الحكماء، أو خليفة من الخلفاء، فمن حق الفرد المسلم أن يبيّن وجهة نظره في جو من الأمان والأمان دون إرهاب أو تسلط يخنق حرية الكلمة والتفكير.

ونفهم من معارضته عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن المعارضنة لرئيس الدولة في رأي من الآراء، و موقف من المواقف ليست جريمة تستوجب العقاب، ويغيب صاحبها في غياب السجون<sup>(4)</sup>.

#### رابعاً: التحلل من العمرة ومشورة أم سلمة رضي الله عنها:

لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضية كتابة الصلح قال ل أصحابه: «قوموا فانحرروا ثم احلقوا» حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعوه حالتك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك

<sup>1</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/346).

<sup>2</sup> (؟) انظر: صلح الحديبية، باشميل، ص 270.

<sup>3</sup> (؟) انظر: القيادة العسكرية في عهد رسول الله، ص 495.

<sup>4</sup> (؟) انظر: غزوة الحديبية لابي قارس، ص 134، 135.

قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كان بعضهم يقتل بعضاً<sup>(1)</sup>.

وقد حلق رجال يوم الحديبية، وقصر آخرون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يرحم الله المحلقين» قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلقين» قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلقين» قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «والمقصرين»<sup>(2)</sup>.

وكان في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية جمل لأبي جهل في رأسه برة<sup>(3)</sup> من فضة، يغيط بذلك المشركين<sup>(4)</sup>.

### **وفي هذه الحادثة تستوقفنا أمور فيها دروس وعبر منها:**

1- كان رأي أم سلمة سديداً ومباركاً، حيث فهمت رضي الله عنها وعن الصحابة أنه وقع في أنفسهم أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتحلل أخذًا بالرخصة في حقهم، وأنه يستمر على الإحرام أخذًا بالعزيزية، في حق نفسه، فأشارت على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي صلى الله عليه وسلم صواب ما أشارت به ففعله، فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به، فلم يبق بعد ذلك غاية تنتظر، فكان ذلك رأياً سديداً ومشورةً مباركةً، وفي ذلك دليل على استحسان مشورة المرأة الفاضلة ما دامت ذات فكرة صائبة ورأياً سديداً<sup>(5)</sup> كما أنه لا فرق في الإسلام بين أن تأتي المشورة من رجل أو امرأة طالما أنها مشورة صائبة، وهذا عين التكريم للمرأة التي يزعم أعداء الإسلام أنه غمطها حقها وتجاهل وجودها، وهل هناك اعتراف واحترام لرأي المرأة أكثر من أن تشير على النبي مرسلاً ويعمل النبي صلى الله عليه وسلم بمشورتها لحل مشكلة أصطدم بها وأغضبتها<sup>(6)</sup>.

2- أهمية القدوة العملية، فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمر وكراهه ثلاث مرات، وفيهم كبار الصحابة وشيوخهم، ومع ذلك لم يستجب أحد لدعوته، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخطوة العملية التي أشارت بها أم سلمة تحقق المراد، فالقدوة العملية في مثل هذه

(?) البخاري، كتاب الشروط (3/240) رقم 2732.

1

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/348).

2

(?) البرة: حلقة تحفل في أنف البعير ليذل ويرتابض.

3

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/349).

4

(?) انظر: ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، ص 161.

5

(?) انظر: المعاهدات في الشريعة الإسلامية، ص 273.

6

## المواقف أجدى وأنفع<sup>(1)</sup>.

**3- حكم الإحصار في العمرة والحج:** دلّ عمل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من أمر الصلح، من التحلل والنحر والحلق، على أن المحصر يجوز له أن يتحلل، وذلك بأن يذبح شاة، حيث أحصر أو ما يقوم مقامها، ويحلق ثم ينوي التحلل مما كان قد أهل به، سواء كان حجاً أو عمرة، كما دل على أن المتخلل لا يلزم بقضاء الحج أو العمرة إذا كان متطوعاً، وخالف الحنفية فرأوا أن القضاء بعد المباشرة واجب، بدليل أن جميع الذين خرجوا معه صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية خرجوا معه في عمرة القضاء إلا من توفي أو استشهد منهم في غزوة خيبر<sup>(2)</sup>.

### خامسًا: العودة إلى المدينة ونزول سورة الفتح:

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية قاصداً المدينة حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح قال تعالى: (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخْلِقُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْتَنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلَوْنَا فَاسْتَغْفِرُ لَنَا يَقُولُونَ بِالسَّيْئَمِ مَا لَنَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادُوكُمْ ضَرًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ تَفْعَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا) [الفتح: 11].

وقد عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عظيم فرحته بنزولها وقال: أنزلت على الليلة سورة لها أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس<sup>(3)</sup> ثم قال: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فِتْحًا مُبِينًا) [الفتح: 1]، فقال أصحاب رسول الله: هنيئاً مريئاً، فما لنا؟ فأنزل الله: (لِلْذِخْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) [الفتح: 4]<sup>(4)</sup>.

وقد أسرع الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته بكراع العميم فقرأ عليهم (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فِتْحًا مُبِينًا). فقال رجل: يا رسول الله، أفتح هو؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح<sup>(5)</sup>، فانقلبت كابة المسلمين وحزنهم إلى فرح غامر، وأدركوا أنهم لا يمكن أن يحيطوا بالأسباب والنتائج، وأن التسليم لأمر الله ورسوله فيه كل الخير لهم ولدعوة الإسلام<sup>(6)</sup>.

كان حديث القرآن الكريم عن هذا الحدث العظيم في سورة

1 (؟) انظر: تأملات في السيرة النبوية لمحمد السيد الوكيل، ص 211.

2 (؟) انظر: فقه السيرة للوطني، ص 243.

3 (؟) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (5/80) رقم 4177.

4 (؟) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (5/78) رقم 4172.

5 (؟) سنن أبي داود، معالم السنن، كتاب الجهاد رقم 2736.

6 (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/449).

الفتح، وكان القرآن الكريم له منهجه الخاص في عرضه لغزوة الحديبية، فنجد في حديثه عن هذه الغزوة أنه سمي الصلح الذي وقع بين الفريقيين مع عدم وقوع القتال فتحًا مبيناً.

إننا بالتأمل في أسباب النزول نجد أن سورة الفتح نزلت بعد انتهاء النبي **صلى الله عليه وسلم** من الصلح وهو عائد إلى المدينة النبوية، وبعد أن خاض النبي **صلى الله عليه وسلم** والمؤمنون تلك التجارب العظيمة من الأمل في العمرة، إلى مواجهة المشركين، إلى بيعة الرضوان، إلى الصلح الذي لم يكن بعض الصحابة راضين عنه ودارت في أنفسهم أشياء كثيرة حول هذه الأحداث الجسام.

ينزل القرآن الكريم ويبيّن للمسلمين بأن هذا الصلح هو فتح مبين، ويؤكد أن النبي **صلى الله عليه وسلم** كان على صواب في قبول الصلح، بل لترداد ثقة المؤمنين برسول الله **صلى الله عليه وسلم** حين يبشره الله على الملا من الدنيا بان الله تعالى فتح بالصلح ليغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كرامة منه سبحانه لرسوله؛ ليزداد المسلمون ثقة واطمئناناً بأنهم على الصواب، وأن ما فعلوه هو الحق وأماله السعادة، ثم بين سبحانه أن توفيق الله كان مع المؤمنين فهو الذي وفقهم للصبر مع رسوله، وموافقتهم أخيراً على ما جنح له من أمر الصلح، وأن ذلك كان بسبب إنزال السكينة على قلوبهم حتى على قلوب من أنكر بعض شروط الصلح، واستسلام للأمر على مضض، فلم يحصل رفض لهذا الصلح بل كلهم نزلوا على أمر رسوله **صلى الله عليه وسلم** بفضل السكينة التي إنزلها عليهم، قال تعالى: (**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلَلَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهَا حَكِيمًا**) [الفتح: 4].

فالقرآن الكريم يبيّن أن الله هو الذي أنزل السكينة عليهم ليذكروا فضلها، ويداوموا على شكره، وهذا الإعلام بإنزال السكينة مما يتميز به حديث القرآن الكريم عن هذه الغزوة، إذ السكينة أمر معنوي لا يعلم نزوله إلا الله، وأشار القرآن الكريم إلى بيعة الرضوان وهي مبايعة الصحابة للنبي **صلى الله عليه وسلم** على الموت، فانتهى الله سبحانه وتعالى على هذه البيعة، وكتب لها الخلود في القرآن، وقرر أنها مبايعة لله عز وجل، فقال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَتَابُعُونَ أَنَّمَا يُتَابِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَنْدِيَمْ فَمَنْ تَكَبَّ فَإِنَّمَا يُنْكَبُ عَلَى تَفْسِيهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**) [الفتح: 10].

وبهذا نرى ما يتميز به القرآن الكريم في حديثه عن الغزوات فهو يبيّن الحقائق ويصحح العقائد، ويرسي النفوس، ويفضح المنافقين، ويشر المسلمين بعثائهم قربة تحقت في خير، وبين أصحاب الأعذار، فليس كل من تخلف عن الجهاد يعاتب وإنما هناك استثناء،

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

وهذا من كمال رحمته الإلهية، ثم لما تم صلح الحديبية وعاد المسلمين إلى المدينة ولم يتحقق ما قصدهم من دخول مكة أشار سبحانه وتعالى إلى الرؤيا التي سبقت أن رأها النبي صلى الله عليه وسلم ونشر بها أصحابه وبين أنها رؤيا صدق، وأنها ستحققت، قال تعالى: **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَذَكَّرُنَّ**  
**الْمَسْجَدُ الْحَرَامُ أَنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ مُحَلَّقِينَ رُؤُوسَكُمْ**  
**وَمُقْصِرِينَ لَا تَحَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ ذُونَ**  
**ذِلِّكَ فَتْحًا قَرِيبًا** ) [الفتح: 27].

ثم اختتمت السورة الجليلة بصفات مدح للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه الكرام.

قال تعالى: **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ**  
**لِيُطَهِّرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَلَّهُ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ بِتَهْمِيدِهِ مُحَمَّدٌ**  
**رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ**  
**تَرَاهُمْ رُكُعاً سُجَّداً يَتَسْعَوْنَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرَضِوْا إِنَّا سَيَمَاهُمْ**  
**فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثْرِ السَّحُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التُّورَاةِ**  
**وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرْزُعَ أَخْرَجَ شَطَاهُ فَازْرَهُ فَإِنْ يَسْتَعْلَمْ**  
**فَاسْتَوْى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الرَّاعِي لِتَغْيِطَ بَهُمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ**  
**اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةٌ وَآخِرًا**  
**عَظِيمًا** ) [الفتح: 28, 29].

لقد أبى نبئ الصحابة الكرام أن الدعوة قد دخلت في طور جديد وفتح أكيد، وأفاق أوسع، وامتداد أرجبي، وأن من طبيعة هذا الدين أن ينمو ويعيش في أجواء السلم والأمن أكثر منه وقت الحرب، ولمسواع الأيام نتائج صلح الحديبية التي كان من أهمها:

1- اعترفت قريش في هذه المعاهدة بكيان الدولة المسلمة، فالمعاهدة دائمًا لا تكون إلا بين ندين، وكان لهذا الاعتراف أثره في نفوس القبائل المتأثرة بموقف قريش الجحودي، حيث كانوا يرون أنها الإمام والقدوة.

2- دخلت المهابة في قلوب المشركين والمنافقين، وتيقن الكثير منهم بغلبة الإسلام، وقد تجلت بعض مظاهر ذلك في مبادرة كثير من صناديد قريش إلى الإسلام، مثل: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، كما تجلت في مسارعة الأعراب المجاورين للمدينة إلى الاعتذار عن تخلفهم.

3- أعطت الهدنة فرصة لنشر الإسلام وتعريف الناس به؛ مما أدى إلى دخول كثير من القبائل فيه، يقول الإمام الزهرى: (فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضًا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم

310

يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك  
الستين مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر<sup>(1)</sup>.

وعقب عليه ابن هشام بقوله: والدليل على قول الزهري: أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف  
وأربعينات في قول حابر بن عبد الله، ثم خرج في عام الفتح بعد ذلك  
بستين في عشرة آلاف<sup>(2)</sup>.

**4-** أمن المسلمين جانب قريش فحولوا ثقلهم على اليهود، ومن  
كان ينأوئهم من القبائل الأخرى، فكانت غزوة خير بعد صلح  
الحديبية.

**5-** مفاوضات الصلح جعلت حلفاء قريش يفهمون موقف  
المسلمين ويميلون إليه، فهذا الحلس بن علقة عندما رأى  
المسلمين يلبون رجع إلى أصحابه، قال: لقد رأيت البدن قد  
قلدت وأشعرت، مما أرى أن يصدوا عن البيت.

**6-** مكن صلح الحديبية النبي صلى الله عليه وسلم من تجهيز  
غزوة مؤتة، فكانت خطوة جديدة لنقل الدعوة الإسلامية  
بأسلوب آخر خارج الجزيرة العربية.

**7-** ساعد صلح الحديبية النبي صلى الله عليه وسلم على إرسال  
رسائل إلى ملوك الفرس والروم والقبط يدعوهم إلى الإسلام.

**8-** كان صلح الحديبية سبباً ومقدمة لفتح مكة: يقول ابن القيم:  
كانت الهدنة مقدمة بين يدي الفتح الأعظم، الذي أعز الله به  
رسوله وجنته، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، فكانت  
هذه الهدنة باباً له ومفتاحاً ومؤذناً بين يديه، وهذه عادة الله في  
الأمور العظام التي يقضيها قدرًا وشرقاً أن يوطئ لها بين يديها  
بمقدمات وتوطئات تؤذن لها وتدل عليها<sup>(3)</sup>.

**سادساً:** أبو بصير في المدينة وقيادته لحرب العصابات:

في أعقاب صلح الحديبية مباشرة استطاع أبو بصير عتبة بن أبي  
أن يفر بدينه من سجون الشرك في مكة المكرمة، وأن يلتحق  
برسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة فبعثت قريش في إثره  
اثنين من رجالها إلى رسول الله، ليرجعاً به، تنفيذاً لشرط المعاهدة،  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير: يا أبا بصير، إنا قد  
أعطيتنا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله  
جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومحرجاً، فانطلق إلى  
قومك، فقال أبو بصير: يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يقتلونني  
في ديني؟ قال: يا أبا بصير، انطلق فإن الله سيجعل لك ولمن معك

1 (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/351).

2 (؟) المصدر نفسه (3/351, 352).

3 (؟) انظر: زاد المعاد (3/309).

من المستضعفين فرجاً ومخرجاً<sup>(1)</sup>. فانطلق معهما، وقد شق ذلك على المسلمين وهم ينظرون بحزن إلى أخيهم في العقيقة، وهو يعود إلى سجنه بمكة بعد أن استطاع أن يفلت من ظلم قريش، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهتم بالوفاء بالعهود والمواثيق، ولم يكن عنده مجرد نظرية مكتوبة على الورق، ولكنه كان سلوكاً عملياً في حياته وفي علاقته الدولة، فقد أوصى الله سبحانه وتعالى بالوفاء بالعهود، وحذر من نقض الآيمان بعد توكيدها في كثير من الآيات القرآنية، قال تعالى: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ تَعْدِي تَوْكِيدَهَا وَقَدْ حَلَّتُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) [الحل: 91].

وقال جل وعلا: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا) [الإسراء: 34].

وبهذا يكون الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامي التي يجب على كل مسلم أن يتلزم بها<sup>(2)</sup>.

لقد التزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعهده مع قريش، وسلم أبا بصير إلها (القرشيين) وانطلق معهما، فلما كانا بذى الحليفة، قال لأحد صاحبيه: أصارم سيفك هذا يا أبا بنى عامر؟ فقال: نعم، قال: انظر إليه؟ قال: انظر إن شئت، فاستله أبو بصير، ثم علاه به حتى قتله، ففر الآخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قتل صاحبكم صاحبى، فما ليث أبو بصير أن حضر متوضحاً السيف، وقال: يا رسول الله وفت ذمتك، وأدى الله عنك، أسلمتني بيده القوم، وقد امتنعت بيديني أن أفتحن فيه، أو يعيث بي<sup>(3)</sup>، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَبِلَ أَمَهْ مِسْعَرْ حَرْبِ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ»<sup>(4)</sup>، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده عليهم فخرج حتى أتى سيف البحر<sup>(5)</sup>، وقد فهم المستضعفون بمكة من عبارة الرسول صلى الله عليه وسلم أن أبا بصير بحاجة إلى الرجال، فأخذوا يفرون من مكة إلى أبي بصير في سيف البحر، فلحق به أبو جندل بن سهيل بن عمرو وغيره حتى اجتمع عند أبي بصير عصبة قوية، مما يسمعون بعيم لقريش خرجت إلى الشام إلا اعتراضوا طريقها وقتلوا من فيها، وأخذوا الأموال التي كانوا يتجررون بها، فارسل المشركون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينادونه بالله والرحم لما أرسل إلى أبي بصير ومن معه، ومن أتاهم منهم فهو آمن، وتخلوا في ذلك عن أقسى شروطهم التي صبوا فيها كؤوس كبرائهم، فذلت قريش من حيث طلبت العز<sup>(6)</sup>.

1

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/352).

2

(?) انظر: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحدبية، ص 329.

3

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/353).

4

(?) البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (3/241) رقم 4732.

5

(?) البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (3/241) رقم 4732.

6

(?) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (4/281).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

فأرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(7)</sup> وهم بناحية العيص، فقدموا عليه وكانوا قريباً من الستين أو السبعين<sup>(8)</sup>، فاوي النبي صلى الله عليه وسلم تلك العصبة المؤمنة التي أقضت مضاجع قريش، وأرغمتها على إسقاط شرطها التعسفي، فزادت بهم قوة المسلمين وقويت بهم شوكتهم، واشتد بأسهم.

غير أن أبي بصير، رأس تلك العصابة ومؤسسها، لم يقدر له أن يكون معها، فقد وافاه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بالعودة إلى المدينة، وهو على فراش الموت، فلطف أنفاسه حيث كان في الثغر، وهوأه في قلب المجتمع النبوي في المدينة<sup>(3)</sup>.

إن قصة أبي جندل وأبي بصير وما احتملاه في سبيل العقيدة، وما أدياهم من الثبات والإخلاص والعزيمة والجهاد حتى مرغوا رؤوس المشركين بالتراب، وجعلوهم يتسلون بال المسلمين لترك ما اشتراكوه عليهم في الحديبية، هذه القصة نموذج يقتدى به في الثبات على العقيدة وبذل الجهد في نصرتها، وفيها ما يشير إلى مبدأ (قد يسع الفرد ما لا يسع الجماعة) فقد الحق أبو بصير وجماعته الضرار بالمشركين في وقت كانت فيه دولة الإسلام لا تستطيع ذلك وفاء بالصلح، لكن أبي بصير وأصحابه خارج سلطة الدولة، ولو في ظاهر الحال، ولم يكن ما قام به أبو بصير والمستضعفون بمكة مجرد اجتياح فردي لم يحظ باقرار الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأمر أبي بصير بالكف عن قوافل المشركين ابتداء أو بالعودة إلى مكة، لكن ذلك لم يحدث، فكان إقراراً له، إذ كان موقف أبي بصير وأصحابه في غاية الحكمة حيث لم يستكينوا لطغاة مكة يفتونهم عن دينهم وينعنونهم من اللحاق بالمدينة، فاختاروا موقعاً فيه خلاصهم وإسناد دولتهم بأعمال تضعف اقتصاد مكة وتزعزع احساسهم بالأمن في وقت الصلح، بل يمكن القول بأن اتخاذ هذا الموقف كان باشارة وتشجيع من النبي صلى الله عليه وسلم حين وصف أبي بصير<sup>(4)</sup> بأنه: «مسعر حرب لو كان معه أحد»<sup>(5)</sup>.

### سابعاً: امتناع النبي صلى الله عليه وسلم عن رد المهاجرات:

صممت مجموعة من النساء المستضعفات في مكة على الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وفي مقدمة هؤلاء النساء أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، فقد هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية، فأراد كفار مكة أن يردوهن فأنزل الله تعالى في حقهن: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُهُنَّ إِذَا أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ

7 (?) البخاري، كتاب الشروط (3/241) رقم 4732.  
8 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/451).

3 (?) انظر: صور وغير من الجهاد النبوي في المدينة، ص 296.

4 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/452).

5 (?) البخاري، كتاب الشروط (3/241) رقم 4732.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ 5 ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

313

**مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ جُلُّ لَهُمْ وَلَا هُنَّ**  
**يَحْلُونَ لَهُنَّ وَأَنْوَهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا خُنَاحٌ عَلَيْكُمْ أَنْ**  
**تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُخْرَاهُنَّ وَلَا تُمْسِكُو بِعِصْمٍ**  
**الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقُتُمْ وَلَيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا دَلِيلُكُمْ حُكْمٌ**  
**اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ) [المتحنة: 10].

قال الأستاذ محمد الغزالي: ( وقد أبي المسلمين عقب صلح الحديبية أن يردوا النساء المهاجرات بدينهن إلى أوليائهن، إما لأنهم فهموا أن المعاهدة خاصة بالرجال فحسب، أو لأنهم خشوا على النساء اللاتي أسلمن، أن يضعفن أمام التعذيب والإهانة، وهن لا يستطيعن ضرباً في الأرض، ورداً للkickd كما فعل أبو جندل وأبو بصير وأضرابهما، وأيا كان الأمر فإن احتجاز من أسلم من النساء تم بتعليم القرآن)<sup>(1)</sup>.

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) انظر: فقه السيرة للغزالى، ص 367.  
 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426ھ

## المبحث الثالث

### دروس وعبر وفوائد

كانت غزوة الحديبية غنية بالدروس العقائدية، والفقهية، والأصولية والتربوية.. إلخ، وسوف أذكر منها بعض الدروس على سبيل المثال لا الحصر:

**أولاً: أحكام تتعلق بالعقيدة:**

**1- حكم القيام على رأس الكبير وهو جالس:**

في قيام المغيرة بن شعبية على رأس النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف، ولم يكن من عادته أن يقام على رأسه وهو قاعد، وهذه سنة يقتدى بها عند قدوم رسول العدو من إظهار العز والفتور والتعظيم للإمام وطاعته ووقايته بالنفوس، وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسول المؤمنين على الكافرين وقدوم رسول الكافرين على المؤمنين، وليس هذا من النوع الذي ذمه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «من أحب أن يتمثل له الرجل قياماً فليتبواً مقعده من النار»<sup>(1)</sup>.

كما أن الفخر والخيلاء في الحرب ليسا من هذا النوع المذموم في غيره<sup>(2)</sup>، وبshire هذا ما فعله أبو دجانة في غزوة أحد، فكل ما يدل على التكبر أو التجبر في المشي ممنوع شرعاً، ولكنه جائز في حالة الحرب بخصوصها، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم عن مشية أبي دجانة: «إنها مشية يكرهها الله إلا في هذا الموضوع»<sup>(3)</sup>.

**2- استحباب الفأل وأنه مغایر للطيرية:**

لما جاء سهيل بن عمرو لمفاؤضة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله: «سهل أمركم»<sup>(4)</sup> ففي الحديث استحباب التفاؤل، وأنه ليس من الطيرة المكرورة<sup>(5)</sup>.

وقد جاءت أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين معنى الفأل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا طيرة وخيرها<sup>(6)</sup> الفأل» قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»<sup>(7)</sup> والفرق بين الفأل والطيرية: أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرية لا تكون إلا في السوء فلذلك كرهت<sup>(8)</sup>.

وقد ذكرت الطيرية عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أحسنتها الفأل ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم

(?) أخرجه أبو داود في الأدب (5229): باب قيام الرجل للرجل.  
1  
(?) انظر: زاد المعاد (3/304).  
2  
(3) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 241.

(?), (5) انظر: زاد المعاد (3/305).  
4  
(?) انظر: غزوة الحديبية للحكمي، ص 303.  
6  
(?) صحيح البخاري مع الفتح، 5754. (8) فتح الباري (10/215).

7 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»<sup>(1)</sup>

### 3- بيان كفر من اعتقد أن للكوكب تأثيراً في إيجاد المطر:

قال خالد الجهنمي صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحدبية - على إثر سماء<sup>(2)</sup> كانت من الليلة- فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدركون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فاما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء<sup>(3)</sup> كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»<sup>(4)</sup>.

وقد حمل العلماء الكفر المذكور في الحديث على أحد نوعيه الاعتقادي أو كفر النعمة بحسب حال القائل.

فمن قال: مطرنا بنوء كذا معتقداً أن للكوكب فاعليه وتأثيراً في إيجاد المطر فهو كافر كفراً مخرجاً من الملة، قال الشافعي: من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان أهل الجاهلية يعنون من إضافة المطر إلى أنه بنوء كذا فذلك كفر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً، ومن قال مطرنا بنوء كذا على معنى مطرنا في وقت كذا فلا يكون كفراً وغيره من الكلام أحب إلى منه<sup>(5)</sup>. فالشافعي يقصد هنا الكفر الاعتقادي<sup>(6)</sup>.

### 4- هل يجوز التبرك بفضلات الصالحين وأثارهم:

ففي حديث عروة بن مسعود وهو يصف أصحاب رسول الله حوله قال: فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجده.. وإذا توضاً كادوا يقتلون على وضوئه<sup>(7)</sup>.

وقد علق الشاطبي على هذا الحديث وأحاديث أخرى تماثله فقال: فالظاهر في مثل هذا النوع أن يكون مشروعاً في حق من ثبت ولاته واتباعه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتبرك بفضل وضوئه، ويتدخل بني خامته ويشتشفى بأثاره كلها، ويرجى نحو مما كان في آثار المتبع الأصل<sup>(8)</sup> صلى الله عليه وسلم إلا أنه عارضنا في ذلك أصل مقطوع به في متنه مشكل في تنزيله، وهو أن الصحابة رضي الله عنهم بعد موته عليه السلام لم يقع من أحد منهم في شيء من

1 (؟) سنن أبي داود مع معالم السنن، كتاب الطب: 3919.  
2 (؟) إثر سماء: المقصود المطر.

3 (؟) الانواء: ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة في منزلة.

4 (؟) البخاري، كتاب الأذان، 846. 5 (؟) الام (1/252).

6 (؟) انظر: غزوة الحديبية للحكمي، ص 304.

7 (؟) البخاري مع الفتح، كتاب الشروط رقم 2732، 2731.

8 (؟) قال محقق كتاب الاعتصام: يظهر أن الجملة محرفة.

ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذ لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته أفضل من أبي بكر الصديق ف فهو كان خليفته، ولم يفعل به شيء من ذلك، ولا عمر وهو كان أفضل أئمة بعده، ثم كذلك عثمان ثم علي ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركاً تبرك على أحد تلك الوجوه أو نحوها، بل افتصروا على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي أتبعوا فيها النبي صلى الله عليه وسلم، فهو إذن إجماع منهم على ترك تلك الأشياء<sup>(1)</sup>.

وقد أخرج ابن وهب في جامعه من حديث يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال: حدثني رجل<sup>(2)</sup> من الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ أو تنحى ابتدر من حوله من المسلمين وضوءه ونجامته فشربوا ومسحوا به حلودهم، فلما رأهم يصنعون ذلك سالم: «لم تفعلون هذا؟» قالوا: نلتمس الطهور والبركة بذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان منكم يحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث، ولويؤد الأمانة، ولا يؤذ جاره»<sup>(3)</sup>.

وهذا الحديث أفاد أن الأولى ترك التبرك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعل سكتوت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك يوم الحديبية ليرى عروة بن مسعود رسول قريش مدى تعلق الصحابة رضوان الله عليهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وحبهم له، لا سيما وقد قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك<sup>(4)</sup>. هذه بعض المسائل العقائدية.

### ثانياً: أحكام فقهية وأصولية:

#### 1- قصة كعب بن عجرة ونزوول آية الفدية:

قال كعب بن عجرة: وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ورأسي يتهافت<sup>(5)</sup> فملاً فقال: «أيؤذيك هوماك»<sup>(6)</sup> قلت: نعم، قال: «فالحق رأسك» أو قال: «الحق» قال: فنزلت هذه الآية: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُّرِيضًا أَوْ بَهْ أَذْيَ مِنْ رَأْسِهِ فَفَدْعُهُ مِنْ صَيَامٍ أَوْ صَدَقَةً أَوْ سُكُنًا) [البقرة: 196] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صم ثلاثة أيام، أو تصدق بفرق بين ستة أو أنسك<sup>(7)</sup> بما تيسر»<sup>(8)</sup> وفي رواية مسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر به

1 (?) انظر: غزوة الحديبية للحكمي، ص 305.

2 (?) هو عبد الرحمن بن أبي قرق، الترغيب والترهيب (3/589).

3 (?) هذا الحديث قال عنه اللبناني: هو حديث ثابت له طرق وشواهد في معجمي الطبراني وغيرها، السلسلة الصحيحة رقم 2998.

4 (?) البخاري، كتاب الشروط رقم 2732.

5 (?) يتهافت: يتتساقط، النهاية (5/266).

6 (?) الهوم: جمع هامة وهي ما يدب من الأخشاش، والمراد القمل.

7 (?) أنسك: أذبح، النهاية (5/48).

8 (?) صحيح البخاري مع الفتح كتاب المحصر: 1815.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ 5 ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

وهو بالحدبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم وهو يوقد تحت قدر والقمل يتهاافت على وجهه فقال: **أيُؤذِيكَ هُوَمَكَ هَذَا؟** قال نعم، قال: **فاحلِقْ رَأْسَكَ وَأطْعِمْ فَرْقَانَ بَيْنَ سَتَةِ مِسَاكِينِ** (والفرق ثلاث أضعاف) **أو صم ثلاثة أيام أو انسك شبّكَ<sup>(1)</sup>**, وأية البقرة المذكورة تبيّن حكم من كان محروماً وبه أذى من رأسه، وهي نزلت في كعب بن عجرة خاصة، وأصبحت لكل مسلم يمر بنفس الحالة.

## 2- مشروعية الصلاة في الرحال:

روى ابن ماجة عن أبي الملجم بن أسامه قال: خرجت إلى المسجد في ليلة مطيرة قليماً رجعت واستفتحت فقال أبي<sup>(2)</sup>: من هذا؟ قال: أبو الملجم، قال: لقد رأينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وأصابتنا سماء لم تبل أسفال نعالنا، فنادي منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: صلوا في رحالكم<sup>(3)</sup>. وهذا الحديث صحيح فسنه متصل برواية الثقات، وقد صححه ابن حجر<sup>(4)</sup>.

## 3- انصراف المسلمين من الحديبية ونومهم عن صلاة الصبح:

كانت مدة إقامة المسلمين بالحدبية بضعة عشر يوماً، ويقال: عشرين ليلة على قول الواقدي<sup>(5)</sup> وابن سعد<sup>(6)</sup>.

وعن ابن عائذ: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام في غزوه هذه شهراً ونصفاً)<sup>(7)</sup>.

والذي يبدو أن الواقدي وابن سعد أرادا تحديد مدة إقامته صلى الله عليه وسلم في الحديبية، أما ابن عائذ فقد ذكر ذلك استغرقه غيبة النبي صلى الله عليه وسلم منذ خروجه من المدينة إلى عودته إليها.

وبعد أن تحلل المسلمون من عمرتهم تلك قفلوا راجعين إلى المدينة، فلما كان من الليل عدلوا عن الطريق للنوم و وكلوا بلا بحراستهم، فنام بلال ولم يوقظهم إلا حر الشمس<sup>(8)</sup>، كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود<sup>هـ</sup> حيث قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يكلؤنا؟»<sup>(9)</sup> فقال بلال: أنا. فناموا حتى طلعت الشمس، واستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «افعلوا كما كنتم

<sup>1</sup> (؟) مسلم، كتاب الحج: 1201.

<sup>2</sup> (؟) أسامي بن عمير الهدلي البصري، صحابي تفرد ولده عنه.

<sup>3</sup> (؟) سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة: 936.

<sup>4</sup> (؟) فتح الباري (2/113) غزوة الحديبية للحكمي، ص 221.

<sup>5</sup> (؟) انظر: مغازي الواقدي (2/616).

<sup>6</sup> (؟) انظر: الطبقات الكبرى (2/98).

<sup>7</sup> (؟) انظر: شرح الزرقاني على المواهب (2/210).

<sup>8</sup> (؟) انظر: غزوة الحديبية، ص 251.

<sup>9</sup> (؟) يكلؤنا: يحرسنا.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

تفعلون» قال: ففعلنا، قال: «ف كذلك فافعلوا لمن نام أو نسي»<sup>(1)</sup> وقد وردت أحاديث أخرى تفيد أن قصة نومهم عن صلاة الصبح وقت في غير الحديبية، وحاول بعض العلماء التوفيق بين هذه النصوص، وذهب الدكتور حافظ الحكمي إلى أن ما ورد من اختلاف بين حديث عبد الله بن مسعود في قصة الحديبية وغيره محمول على تعدد القصة كما رجح ذلك النووي<sup>(2)</sup>، وجنه إلينه ابن كثير<sup>(3)</sup> وابن حجر<sup>(4)</sup> والزرقاني، بل قال السيوطي: لا يجمع إلا بتعدد القصة<sup>(5)</sup>.

#### 4- مشروعية الهدنة بين المسلمين وأعدائهم ومقدار المدة التي تجوز المهادنة عليها:

استدل العلماء والأئمة بصلاح الحديبية على جواز عقد هدنة بين المسلمين وإهل الحرب من أعدائهم إلى مدة معلومة، سواءً أكان ذلك بعوض يأخذونه منهم أم بغير عوض، أما بدون عوض فلأن هدنة المدينة كانت كذلك، وأما بعوض فيقياس الأولى؛ لأنها إذا جازت بدون عوض، فلأن تجوز بعوض أقرب وأوسع.

وأما إذا كانت المصالحة على مال يبذل المسلمون فهو غير جائز عند جمهور المسلمين، لما فيه من الصغار لهم، ولأنه لم يثبت دليل من الكتاب أو السنة على جواز ذلك، قالوا: إلا إن دعت إليه ضرورة لا محض عنها، وهو أن يخاف المسلمين الهلاك أو الأسر فيجوز كما يجوز للأسير فداء نفسه بالمال.

وقد ذهب الشافعي وأحمد -رحمهما الله- وكثير من الأئمة إلى أن الصلح لا ينبغي أن يكون إلا إلى مدة معلومة، وأنه لا يجوز أن تزيد المدة على عشر سنوات مهما طالت؛ لأنها هي المدة التي صالح النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً عليها عام الحديبية<sup>(6)</sup>. وذهب آخرون إلى جواز الهدنة أكثر من عشر سنين على ما يراه الإمام من المصلحة وهو قول أبي حنيفة<sup>(7)</sup>.

والتحقيق: أن القول الأول هو الراجح لظاهر الحديث، وإن وجدت مصلحة في الزيادة على العشر جدد العقد، كما قال الشافعي<sup>(8)</sup>.

وقال بعض المتأخرین<sup>(9)</sup>: يجوز عقد صلح مؤبد غير مؤقت بمدة معينة، واستدل بقوله تعالى: **(إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ)**

1. (?). انظر: سنن أبي داود مع معالم السنن، كتاب الصلاة: 447.  
2. (?). انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (5/181, 182)، غزوة الحديبية، ص 258.

3. (?). انظر: البداية والنهاية (4/213).

4. (?). فتح الباري (1/449)، شرح الزرقاني على الموطأ (1/47).

5. (?). انظر: تنوير الحوالك (1/33).

6. (?). انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص 242.

7. (?). انظر: فتح القدير (5/546)، غزوة الحديبية، ص 294.

8. (?). انظر: غزوة الحديبية، ص 295.

9. (?). آثار الحرب في الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي، ص 680.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

<sup>319</sup> وَسَيَّهُمْ مِيَّاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِيرٌ صُدُورُهُمْ أَوْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ فَإِنْ اعْتَرَلُوكُمْ فَلِمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقُوَّا إِلَيْكُمُ السَّلَامُ فَمَا حَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَيِّلاً) [النساء: 90]. وهذا قول مبني على أن الأصل في علاقة المسلمين بالكافار هي السلم لا الحرب<sup>(1)</sup>، وأن الجهاد إنما شرع لمجرد الدفاع عن المسلمين فحسب<sup>(2)</sup>.

### وهذا القول مردود لما يلي:

أ- أن صاحب هذا القول قد خرق الاتفاق بعد أن حكاه بنفسه، حيث قال: اتفق الفقهاء على أن عقد الصلح مع العدو لا بد من أن يكون مقدراً بمدة معينة، فلا تصح المهادنة مطلقة إلى الأبد من غير تقدير بمدة<sup>(3)</sup>.

ب- الآية التي استدل بها منسوخة بقوله تعالى: (فَإِذَا انسَلَّمَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدُوكُمْ وَحُذْوُهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْفُورُ رَحِيمٌ) [التوبه: 5] فقد نقل ذلك ابن جرير<sup>(4)</sup> عن عكرمة والحسن وقتادة وابن زيد، وحكاه القرطبي<sup>(5)</sup> عن مجاهد، ثم قال: وهو أصح شيء في معنى الآية.

ج- الأصل الذي انبني عليه هذا القول: مردود بأية براءة السابقة وب الواقع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه مع أعدائهم.

د- أما فكرة أن الجهاد إنما شرع للدفاع عن المسلمين، فهي فكرة دخيصة، وقد تصدى لها سيد قطب<sup>(6)</sup> -رحمه الله- ففندها، وبين أن سبب نشوئها هو الانهزام أمام هجمات المستشرقين، وعدم الفهم لمرحلة الدعوة<sup>(7)</sup>.

## 5- المطلق يجري على إطلاقه:

هذه قاعدة أصولية يؤيدتها ما رواه ابن هشام عن أبي عبيد أنه قال: عن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة: ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة أميناً؟ قال: «بلى، أفلت لكم من عامي هذا؟» قالوا: لا، قال: « فهو كما قال لي جبريل عليه السلام»<sup>(8)</sup>. وفي هذا الأثر، تيشير المؤمنين بفتح مكة في المستقبل، وإيماء بالوحى الصادق إلى ذلك النصر، ولفت لهم إلى وجوب التسلیم لأمره، بإطلاق، كما ورد مطلقاً، دون تحميشه زيادات

(3, 4, ?) المصادر نفسه، ص 675.

(?) انظر: تفسير الطبرى (9/24: 26).

(?) المصادر نفسه (5/308).

(?) في ظلال القرآن (3/1433) وما بعدها.

(?) انظر: غزوة الحديبية للحكمى، ص 296.

(?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوى في المدينة، ص 297.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

وقيوداً تصرفه عن إطلاقه<sup>(1)</sup>.

## 6- وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم والانقياد لأمره وإن خالف ظاهر ذلك القياس أو كراحته النفوس:

جاء في قصة الحديبية أن عمر بن الخطاب وبعض الصحابة -رضي الله عنهم- كرهوا الصلح مع قريش<sup>(2)</sup>، لما رأوا في شروطها من الظلم والإجحاف في حقهم، لكنهم ندموا بعد ذلك على صنيعهم، ورأوا أنهم وقعوا في حرج، إذ كيف يكرهون شيئاً رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلت تلك الحادثة درساً لهم فيما استقبلوا من حياتهم، وكانت يذرون غيرهم من الواقع فيما وقعوا فيه من الاعتماد على الرأي<sup>(3)</sup>: فكان عمر بن الخطاب يقول: (إيها الناس اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأي اجتهاداً، فوالله ما ألو عن الحق وذلك يوم أبي جندل)<sup>(4)</sup>. وكان سهل بن حنيف يقول: اتهموا رأيكم، رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته<sup>(5)</sup>. ولقد بقي عمر بن الخطاب ببرهة من الزمن متخوفاً أن ينزل الله به عقاباً للذي صنع يوم الحديبية. فكان يتحدث عن قصته تلك ويقول: مما زلت أصوم وأتصدق وأعتقد من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً<sup>(6)</sup>.

قال ابن الدبيع الشيباني تعليقاً على هذه الحادثة: قال العلماء: لا يخفى ما في هذه القصة من وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم والانقياد لأمره، وإن خالف ظاهر ذلك مقتضي القياس أو كراحته النفوس، فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن الخير فيما أمر به، وأنه عين الصلاح المتضمن لسعادة الدنيا والآخرة، وأنه جاء على أتم الوجوه وأكملها غير أن أكثر العقول قصرت عن إدراك غايته وعاقبة أمره<sup>(7)</sup>.

### ثالثاً: أنموذج من التربية النبوية:

في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يصعد الشنية، ثانية المرار، فإنه يحط عنه ما حط عنبني إسرائيل»<sup>(8)</sup>. يظهر في هذا الحديث جانب عظيم من جوانب التربية النبوية يستحق التأمل

1 (?) انظر: غزوة الحديبية للحكمي، ص 313.

2 (?) نفس المصدر، ص 313.

3 (?) انظر: غزوة الحديبية، للحكمي، ص 313.

4 (2) المصدر نفسه، ص 179.

5 (?) المصدر السابق، ص 313.

6 (?) انظر: حدائق الأنوار ومطالع الأسوار (2/622).

7 (?) انظر: مرويات غزوة الحديبية، ص 315.

8 (?) مسلم، كتاب صفات المناقفين رقم 2780.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

والتدبر، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يشجع أصحابه على صعود الثنية، ثم يخبرهم أن الذي يختارها سينال مغفرة من الله تعالى، وحين تتأمل هذا الحديث تبرز لنا معانٍ عظيمة منها:

- 1- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يربط قلوب أصحابه باليوم الآخر في كل لحظة من لحظات حياتهم.
- 2- أنه يريد لفت أنظارهم إلى أن كل حركة يتحركونها وكل عمل يقومون به حتى ما يرون أنه من العادات أو من دواعي الغريرة، يجب استغلاله للتزوّد لذلك اليوم، وكان صلى الله عليه وسلم يسعى دائمًا لترسيخ تلك المعاني في نفوس الصحابة فنراه يقول في موطن آخر: «وفي بعض أحاديث صدقة» قالوا: يا رسول الله أياتي أحدنا شهوة ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ كذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»<sup>(1)</sup>.

ويقول في موطن ثالث: « وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك»<sup>(2)</sup>.

إن تلك المعانى إذا تمكنت في قلب المسلم لكفيلة بأن تصبّح حياته كلها بصبغة العبودية لله وحده، وإذا شملت العبادة كل نواحي حياة المسلم فإن لهذا الشمول أناً مباركة سوف يشعر بها الفرد في نفسه ثم يلمسها فيمن حوله<sup>(3)</sup>.

### ومن أبرز تلك الآثار أمراً:

A- أن يصبح حياة المسلم وأعماله بالصبغة الربانية ويجعله مشدوّداً إلى الله في كل ما يؤديه، فهو يقوم به بنية العайд الخاشع، وروح القانِت المختبٍ، وهذا يدفعه إلى الاستكثار من كل عمل نافع، وكل إنتاج صالح، وكل ما ييسر له ولابناء نوعه الارتفاع بالحياة، على أمثل وجوهها، فإن ذلك يزيد رصيده من الحسنات والقربات عند الله تعالى، كما يدعوه هذا المعنى إلى إحسان عمله الدنيوي وتوجيهه وإتقانه ما دام يقدمه إلى ربه سبحانه ابتغاء رضوانه وحسن مثوبته.

B- أنه يمنح المسلم وحدة الوجهة ووحدة الغاية في حياته كلها، فهو يرضي ربياً واحداً في كل ما يأتي ويدع، ويتجه إلى هذا الرب بسعيه كله الديني والدنيوي، لا انقسام ولا صراع، ولا ازدواج في شخصيته ولا في حياته<sup>(4)</sup>.

1) مسلم، كتاب الزكاة: 53.

2) البخاري، مع الفتح كتاب الوصايا: 2742.

3) انظر: مرويات غزوة الحديبية للحكمي، ص 315.

4) انظر: العبادة في الإسلام للقرضاوي، ص 66.

ولقد عاش الصحابة الكرام تلك المعاني وحولوها إلى حقائق ملموسة في حياتهم كلها، وما حفظ الله سيرتهم إلا لكي نقتدي بهم في حياتنا وتكون حجة على كل من جاء بعدهم<sup>(5)</sup>.

\* \* \*

<sup>5</sup> (?) انظر: مرويات غزوة الحديبية للحكمي، ص 316، لقد استفدت في فصل غزوة الحديبية استفادة كبيرة من كتاب مرويات غزوة الحديبية، للحكمي، وصلح الحديبية، باشميل، غزوة الحديبية لأبي فارس. وكانت هذه الكتب هي العمدة في هذا الفصل كما استفدت من غيرها كمراجعة ومصادر.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

# الفصل الرابع عشر

## أهم الأحداث ما بين الحديبية وفتح مكة

### المبحث الأول

### غزوة خيبر

**أولاً: تاريخها وأسبابها:**

ذكر ابن إسحاق<sup>(1)</sup> أنها كانت في المحرم من السنة السابعة للهجرة، وذكر الواقدي<sup>(2)</sup> أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة، بعد العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد<sup>(3)</sup> إلى أنها في جمادى الأولى سنة سبع، وقال الإمامان الزهري ومالك: إنها في محرم من السنة السادسة<sup>(4)</sup>، وقد رجح ابن حجر<sup>(5)</sup> قول ابن إسحاق على قول الواقدي<sup>(6)</sup>.

لم يُظهر يهود خيبر العداء للمسلمين حتى نزل فيهم زعماء بنى النضير، الذي حَرَّ في نفوسيهم إجلاؤهم عن ديارهم، ولم يكن الإجلاء كافياً لكسر شوكتهم، فقد غادروا المدينة ومعهم النساء والبناء والأموال، وخلفهم القيان يضربن الدفوف والمزامير بزهاء وفخر ما رئي مثله في حي من الناس في زمانهم<sup>(7)</sup>.

وكان من أبرز زعماء بنى النضير الذين نزلوا في خيبر سلام بن أبي الحقيق وكناة بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب فلما نزلوا دان لهم أهلها<sup>(8)</sup>.

وكان تزعم هؤلاء ليهود خيبر كافياً في جرها إلى الصراع والتصدي والانتقام من المسلمين، فقد كان يدفعهم حقد دفين ورغبة قوية في العودة إلى ديارهم داخل المدينة، وكان أول تحرك قوي ما حدث في غزوة الأحزاب، حيث كان لخيبر وعلى رأسها زعماء بنى النضير دور كبير في حشد قريش والأعراب ضد المسلمين وتسيير أموالهم في ذلك، ثم سعى لهم في إقناع بنى قريطة بالغدر والتعاون مع الأحزاب<sup>(9)</sup>.

1 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/455)، معلقاً.  
2 (?) انظر: المغازى (2/634).

3 (?) انظر: الطبقات لابن سعد (2/106).

4 (?) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (1/33).

5 (?) انظر: الفتح (16/41)، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 500.

6 (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 500.

7 (?) انظر: السيرة النبوية الأصلية، (1/319).

8 (?) المصدر نفسه (1/319).

9 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/319).  
2,3 (?) انظر: نصرة النعيم (1/349).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

أجل إنهم أنفقوا أموالهم واستغلوا علاقاتهم مع يهودبني قريطة من خير مصدر خطر كبير على المسلمين ودولتهم النامية.

تفرغ المسلمون بعد صلح الحديبية لتصفية خطر يهود خير الذي أصبح يهدد أمن المسلمين، ولقد تضمنت سورة الفتح التي نزلت بعد الحديبية وعدا إلهاً بفتح خير وحصاره أموالها غنيمة<sup>(1)</sup>، قال تعالى: (وَعَدْكُمُ اللَّهُ مَعَافِيمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُوهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّرَ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ وَلَتَكُونُ أَيْهَا لِلْمُؤْمِنِينَ وَتَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَأَخْرَى لَمْ تَعْدُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) [الفتح: 20, 21].

ثانياً: مسيرة الجيش الإسلامي إلى خير:

سار الجيش إلى خير بروح إيمانية عالية على الرغم من علمهم بمنع حصيون خير وشدة باس رجالها وعتادها الحربي، وكانوا يكترون ويهللون بأصوات مرتفعة، فطلب منهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفقوه بأنفسهم قائلاً: «أيها الناس.. إنكم تدعون سماعاً قريباً وهو معكم»<sup>(3)</sup>.

وكان سيره صلى الله عليه وسلم بالجنود ليلاً، فقد قال سلمة بن الأكوع<sup>(4)</sup>: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خير فسرنا ليلاً، وكان عامر بن الأكوع يحدو بالقوم ويقول:

اللهم لولا الله ما اهتدينا  
ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك<sup>(5)</sup> ما اتقينا  
وألقين سكينة علينا

إنا إذا صبح بنا أتينا

وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من هذا السائق؟»  
قالوا: عامر بن الأكوع.<sup>(6)</sup>

قال: «يرحمه الله».

قال رجل - وهو عمر بن الخطاب<sup>(6)</sup> - من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا متعتننا به<sup>(7)</sup>.

<sup>2</sup> (4) البخاري، كتاب الدعوات رقم 4196. (5, 6) البخاري، كتاب المغاري رقم 6384.

<sup>4</sup> (?) انظر: فتح الباري (7/466). (8) البخاري، كتاب المغاري، رقم 4196.  
<sup>6</sup> هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426  
ـ هـ

و عندما وصل الجيش الإسلامي بالصهباء، وهي من أدنى خير، صلى العصر ثم دعا بالأزواد، فلم يؤت إلا السويق، فأمر به فثري، فأكل وأكل معه الصحابة، ثم قام إلى المغرب فمضمض ثم صلى بالصحابة ولم يتوضأ<sup>(8)</sup>.

و كان صلى الله عليه وسلم قد بعث عباد بن بشر في سرية استطلاعية يتلقط أخبار العدو، ويستطيع إن كان هناك كمائن، فلقي في الطريق عيناً لليهود من أشجع فقال: من أنت؟ قال: ياغ ابتنى أبعرة ضلت لي، أنا على إثرها، قال عباد: ألك علم بخير؟ قال: عهدي بها حديث، فيما تسألني عنه؟ قال: عن اليهود؟ قال: نعم، كان كانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس ساروا في حلفائهم من غطفان، فاستنفروهم وجعلوا لهم ثمر خير سنة، فجاءوا معدين مؤبدين بالكراع والسلاح يقودهم عتبة بن بدر، ودخلوا معهم في حصونهم، وفيهم عشرة آلاف مقاتل، وهم أهل الحصون التي لا ترام، وسلاح وطعام كثير لو حصروا لسنين لكفاهم، وماء وأنى يشربون في حصونهم، ما أرى لأحد بهم طاقة، فرفع عباد بن بشر السوط فضربه ضربات، وقال: ما أنت إلا عين لهم، أصدقني وإنما ضربت عنقك. فقال الأعرابي: القوم مرعوبون منكم خائفون، وجلون لما صنعتم بمن كان يشرب من اليهود، وقال لي كنانة: اذهب معترضاً للطريق فإنهم لا يستنكرون مكانك واحذرهم لنا، وادن منهم كالسائل لهم ما تقوى به، ثم ألق إليهم كثرة عدتنا وما دتنا، فإنهم لن يدعوا سؤلك، وعجل الرجعة إلينا بخبرهم<sup>(2)</sup>.

و عندما وصل جيش المسلمين إلى مشارف خير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابيه: قفووا. ثم قال: «الله رب السموات وأظللن، رب الأرضين وما أقللن، رب الشياطين وما أضللن، رب الرياح وما ذرلن، فإننا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها وخير ما فيها، وننعواذ بك من شرها وشر أهلها، وشر ما فيها»، اقدموا باسم الله، وكان يقولها لكل قرية دخلها<sup>(3)</sup>.

ولما أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم الليل أمر الجيش بالنوم على مشارف خير، ثم استيقظوا مبكرين، وضربوا خيامهم ومعسركهم بوادي الرجيع، وهو وادي يقع بين خير وغطفان، حتى يقطعوا المدد عن يهود خير من قبيلة غطفان<sup>(4)</sup>.

ولما أصبح الصبح خرجت اليهود بمساحيهم<sup>(5)</sup> ومكاثلهم<sup>(6)</sup>، فلما رأوا جيش المسلمين قالوا: محمد والله، محمد والخميس، فقال

<sup>8</sup> (؟) انظر: الصراع مع اليهود (2/30). (2) انظر: المغارزي للواقدي (2/640).  
<sup>641</sup>

<sup>3</sup> (؟) انظر: المستدرك (2/100) قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

<sup>4</sup> (؟) انظر: الصراع مع اليهود (2/45).

<sup>5</sup> (؟) المساحي: جمع ومفردها مسحاة، والمسحاة: المحرفة من الحديد.

<sup>6</sup> (؟) المكاثل: جمع مكثل، وهو المقطف الكبير.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

النبي صلى الله عليه وسلم: «الله أكبير، خربت خير، إنا إذا نزلنا  
بساحة قوم فساء صباح المنذرين»<sup>(1)</sup>.  
**ثالثاً: وصف تساقط حصون خير:**

Herb اليهود إلى حصونهم وحاصرهم المسلمون، وأخذوا في فتح حصونهم واحداً تلو الآخر، وكان أول ما سقط من حصونهم ناعم والصعب بمنطقة النطاهة، وأبى النزار بمنطقة الشق، وكانت هاتان المنقطتان في الشمال الشرقي من خير، ثم حصن القموص المنبع في منطقة الكتبية، وهو حصن ابن أبي الحقيق، ثم أسقطوا حصني منطقة الوطيط والسلام<sup>(2)</sup>.

وقد واجه المسلمون مقاومة شديدة وصعوبة كبيرة عند فتح بعض هذه الحصون، منها حصن ناعم الذي استشهد تحته محمود بن مسلمة الانصاري، حيث القى عليه مرحباً رحى من أعلى الحصن<sup>(3)</sup>، والذي استغرق فتحه عشرة أيام<sup>(4)</sup>، فقد حمل راية المسلمين عند حصاره أبو بكر الصديق، ولم يفتح الله عليه، وعندما جهد الناس، قال رسول الله صلی الله عليه وسلم انه سيدفع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح له، فطابت نفوس المسلمين، فلما صلی فجر اليوم الثالث دعا علي بن أبي طالب 『 ودفع إليه اللواء فحمله فتم فتح الحصن على يديه<sup>(5)</sup>، وكان علي بشتكى من رمد في عينيه عندما دعاه الرسول صلی الله عليه وسلم فبصدق رسول الله صلی الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ<sup>(6)</sup>، ولقد أوصى الرسول صلی الله عليه وسلم علياً بأن يدعوا اليهود إلى الإسلام قبل أن يدهمهم، وقال له: «فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن تكون لك حمر النعم»<sup>(7)</sup>، وعندما سأله علي: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك منعوا منكم دماءهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله»<sup>(8)</sup>.

وعندما حاصر المسلمون هذا الحصن برز لهم سيده وبطلهم مرحباً وكان سبباً في استشهاد عامر بن الأكوع، ثم يارزه علي فقتله<sup>(9)</sup>، مما أثر سلبياً في معنويات اليهود ومن ثم هزيمتهم<sup>(10)</sup>.

**وردت مجموعة من روایات تخبر بأن علياً 『 ترس بباب عظيم**

(?) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4210.

1

(?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 501.

2

(?) نفس المصدر، ص 501.

3

(3) انظر: الواقدي (2/657).

4

(?) انظر: المستدرك (3/37) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

5

(?) مسلم (4/1872) رقم 2406. (6) مسلم (2/1872) رقم 2406.

6

(?) مسلم (2/1872) رقم 2405.

7

(?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، 502.

8

(9, 10) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/324).

9

(11) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/324).

10

كان عند حصن ناعم بعد أن أسقط يهودي ترسه من يده، وكلها روايات ضعيفة<sup>(1)</sup>، وعدم الاعتماد عليها لا ينفي قوة علي وشجاعته، فيكتفيه ما ثبت في ذلك وهو كثير<sup>(2)</sup>.

توجه المسلمون إلى حصن الصعب بن معاذ بعد فتح حصن ناعم، وأبلى حامل رايتهم الحباب بن المنذر بلاء حسناً حتى افتتحوه بعد ثلاثة أيام، ووجدوا فيه الكثير من الطعام والماء، يوم كانوا في صائمة من قلة الطعام، ثم توجهوا بعده إلى حصن قلعة الزبير الذي آجتمع فيه الفارون من حصن ناعم والصعب وبقية ما فتح من حصون يهود، فحاصروه وقطعوا عنه مجرى الماء الذي يغذيه، فاضطربوهم إلى النزول للقتال، فهزموهم بعد ثلاثة أيام، وبذلك تمت السيطرة على آخر حصون منطقة النطأة التي كان فيها أشد اليهود، ثم توجهوا إلى حصون منطقة الشق وبدعوا بحصن أبي فاقتحموه، وأفلت بعض مقاتلاته إلى حصن نزار، وتوجه إليهم المسلمون فحاصروه ثم افتتحوا الحصن، وفر بقية أهل الشق من حصونهم وتجمعوا في حصن القموص المنبع وجصن الوطيط وجصن السالم، فحاصرهم المسلمين لمدة أربعة عشر يوماً حتى طلبوا الصلح<sup>(3)</sup>.

وهكذا فتحت خير عنوة<sup>(4)</sup> استناداً إلى النظر في مجريات الأحداث التي سبقتها، وما روى البخاري<sup>(5)</sup> ومسلم<sup>(6)</sup>، وأبو داود<sup>(7)</sup> من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خير وافتتحها عنوة<sup>(8)</sup>.

وبذلك سقطت سائر خير بيد المسلمين، وسارع أهل فدك في شمالي خير إلى طلب الصلح، وأن يسيرهم ويحقن دماءهم، وبذلكوا له الأموال فوافق على طلبهم<sup>(9)</sup>، فكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا يوجدف عليها بخيل ولا ركاب، وحاصر المسلمين وادي القرى، وهي مجموعة قرى بين خير وتيماء ليالي<sup>(10)</sup>، ثم استسلمت، فغنم المسلمون أموالاً كثيرة وتركوا الأرض والنخل بيد اليهود وعاملهم عليها مثل خير وصالحت تيماء على مثل صلح خير ووادي القرى<sup>(11)</sup>. وبذلك تساقطت سائر حصون اليهودية أمام قوات المسلمين وقد بلغ قتل اليهود في معارك خير ثلاثة وتسعين رجلاً<sup>(12)</sup>، وسبت النساء والذراري منهن صفية بنت حبي بن أخطب فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها<sup>(13)</sup>.

3

4

5

7

8

10

11

12

(?) انظر: الواقدي (671-2/658).  
 (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 504.  
 (?) نفس المصدر، ص 504. (4) مسلم (3/1427) رقم 1365.  
 (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 504.  
 (?) نفس المصدر، ص 504. (7) انظر: مغازي الواقدي (2/699).  
 (?) انظر: تاريخ خليفة 85 نقلًا عن ابن إسحاق. (9) زاد المعاد (3/354). (355).

(?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 504.  
 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الآخر من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

واستشهد من المسلمين عشرون رجلاً فيما ذكر ابن إسحاق<sup>(1)</sup>، وخمسة عشر فيما ذكر الواقدى<sup>(2)</sup>.

### رابعاً: الأعرابي الشهيد، والراعي الأسود، وبطل إلى النار:

**1- الأعرابي الشهيد:** جاء رجل من الأعراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فامن به، واتبعه، فقال: أهاجر معك؟ فأوصى به بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خير، غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقسمه، وقسم للأعرابي فاعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه فجاء به للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «قسم قسمته لك» قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمي هاهنا، وأشار إلى حلقه، بسهم، فاموت فأدخل الجنة، فقال: إن تصدق الله يصدقك، ثم نهض إلى قتال العدو، فاتني به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مقتول، فقال: «أهو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقه». فكفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبته، ثم قدمه، فصلى عليه، وكان من دعائه له: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك، قُتل شهيداً، وأنا عليه شهيد»<sup>(3)</sup>.

**2- الراعي الأسود:** وجاء عبد أسود حبشي من أهل خير، كان في غنم لسيده، فلما رأى أهل خير قد أخذوا السلاح، سالمهم: ما تريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الذي يزعم أنهنبي، فوقع في نفسه ذكر النبي، فأقبل بgunمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ماذا تقول؟ وما تدعوه إليه؟ قال: «أدعو إلى الإسلام، وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، وألا تعبد إلا الله» قال العبد: فما لي إن شهدت وأمنت بالله عز وجل، قال: «لك الجنة إن مت على ذلك».

فأسلم ثم قال: يا نبي الله، إن هذه الغنم عندي أمانة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آخر جها من عندك وارمهها بـ (الحصباء) فإن الله سيؤدي عنك أمانتك» ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها، فعلم اليهودي أن علامه قد أسلم، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، فوعظهم وحضهم على الجهاد، فلما التقى المسلمين واليهود قتل فيمن قتل العبد الأسود واحتمله المسلمون إلى معسكرهم فأدخل في الفسطاط فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع في الفسطاط، ثم أقبل على أصحابه، وقال: «لقد أكرم الله هذا العبد، وساقه إلى خير، ولقد رأيت عند رأسه

<sup>13</sup> (?). مسلم، كتاب النكاح (2/1045). (12) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/327).

<sup>2</sup> (?). انظر: المغازي (2/700).

<sup>3</sup> (?). آخر جه النسائي (4/60)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (1/291)، والحاكم (3/595)، والبيهقي (4/15)، وإسناده صحيح نقل عن زاد المعاد (3/324).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

اثنتين من الحور العين، ولم يصل لله سجدة قط»<sup>(1)</sup>.

**3- بطل لكنه إلى النار:** كان في جيش المسلمين بخيبر رجل لا يدع للمشركين شأدة ولا فاذة<sup>(2)</sup> إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنه من أهل النار» فقالوا: أينا من أهل الجنة إن كان من أهل النار؟ فقال رجل: والله لا يموت على هذه الحال أبداً، فاتبعه حتى جرح، فاشتدت جراحته واستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذباه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء رجل إلى رسول الله فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «وما ذاك» فأخبره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، وإنه ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه لمن أهل الجنة»<sup>(3)</sup>.

#### خامسًا: قدم جعفر بن أبي طالب ومن معه من الحبشة:

قدم جعفر بن أبي طالب وصحبه من مهاجري الحبشة على رسول الله يوم فتح خير، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه والترممه وقال: «ما أدرى بأيهمَا أنا أسر بفتح خير أم بقدوم جعفر»، وكان صلى الله عليه وسلم قد أرسل في طلتهم من النجاشي، عمرو بن أمية الصمرى، فحملهم في سفينتين ووافق قدوتهم عليه يوم فتح خير، وقد رافق جعفر في قدوته أبو موسى الأشعري ومن كان بصحبته من الأشعرىين<sup>(4)</sup>، فعن أبي موسى الأشعري قال: بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن، فخرجنَا مهاجرين إلينا أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهم أبو بردة، والآخر أبو رهم، أما قال: في بعض، وأما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا السفينة، فالقلتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا جميعاً، فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خير<sup>(5)</sup>.

لقد مكث جعفر وأخوانه في الحبشة بضعة عشر عاماً، نزل خلالها قرآن كثير، ودارت معاركٌ شتى مع الكفار، وتقلب المسلمون قبل الهجرة العامة وبعدها في أطوار متباعدة، حتى ظن البعض أن مهاجري الحبشة - وقد فاتهم هذا كله - أقل قدراً من غيرهم<sup>(6)</sup>.

فعن أبي موسى: كان أناس يقولون لنا سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس على حصة زوج النبي زائرة - وكانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر - فدخل عمر على حصة وأسماء عندها، فقال

1 (؟) انظر: زاد المعاد (3/323، 3/324)، السيرة الحلبية (3/39).

2 (؟) الشاذ: الذي يفارق الجماعة، الفاذ: الذي لم يختلط بالجماعة.

3 (؟) البخاري، كتاب المغاري، باب عزوة خير 4207.

4 (؟) انظر: معين السيرة، ص 253.

5 (؟) البخاري، كتاب المغاري، باب عزوة خير، رقم 4230، 4231.

6 (؟) انظر: فقه السيرة للغزالى، ص 350.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت أسماء: ابنة عميس، قال عمر: الحبسية هذه؟ البحريه هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال عمر: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم، فغضبت، وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعط جاهلكم، وكنا في أرض البعداء البغضاة بالحبشة، وذلك في الله وفي رسول الله، وایم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيد عليه، فلما جاءت النبي صلى الله عليه وسلم قال: كذا وكذا، قال: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان»<sup>(1)</sup>. فأخذت أسماء هذا الوسام وزعّته على جميع أعضاء الوفد حيث كانوا<sup>(2)</sup>، كما قالت: يأتون أرسالاً يسألونني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في نفوسهم مما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(3)</sup>. وقد أشركهم النبي صلى الله عليه وسلم في معانيم خير بعد أن استاذن من الصحابة رضي الله عنهم الذين شاركوا في فتحها<sup>(4)</sup>.

#### سادساً: تقسيم الغنائم:

1- كانت غزوة خير من أكثر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم غنية، من حيث الأراضي والنخيل والثياب والأطعمة وغير ذلك، ومن خلال وصف كتب السيرة تلاحظ أن الغنائم تتكون من:

أ- الطعام: فقد غنم المسلمون كثيراً من الأطعمة من حصون خير، فقد وجدوا فيها الشحم والزيت والعسل والسمن، وغير ذلك، فاباح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأكل من تلك الأطعمة، ولم يخمسها<sup>(5)</sup>.

ب- الثياب والأثاث والإبل والبقر والغنم، لقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسها ووضعه فيما وضعه الله فيه، وزع أربعة أخماسها على المحاربين.

ج- النبي: لقد سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً من نساء اليهود، وزع النبي على المسلمين، فهو غنيمة ويأخذ حكم الغنيمة.

د- أما الأراضي والنخيل فقد قسمها النبي إلى ستة وثلاثين سهماً، وجمع كل سهم مائة سهم، وكانت ثلاثة آلاف وستمائة سهم، فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين النصف من ذلك، وهو ألف وثمانمائة سهم، وزرع النصف الآخر، وهو

<sup>1</sup> (?) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خير، رقم 4231.

<sup>2</sup> (?) انظر: فقه السيرة للغصبان، ص 535. (4) مسلم، فضل الصحابة، رقم 2502.

<sup>3</sup> (?) انظر: الصراع مع اليهود لأبي فارس، (3/96).

<sup>4</sup> (?) المصدر نفسه (3/140). (6) المصدر نفسه (3/141، 142).

<sup>5</sup> هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ألف وثمانمائة سهم لنوابيه، وما ينزل به من أمور المسلمين<sup>(1)</sup>.

هـ- وكان من بين ما غنم المسلمين من يهود خير عدة صحف من التوراة فطلب اليهود ردها، فأمر بتسليمها إليهم، ولم يصنع **صلى الله عليه وسلم** ما صنع الرومان حينما فتحوا أورشليم وأحرقوا الكتب المقدسة، وداسوها بارجلهم، ولا ما صنع النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الأندلس حين أحرقوا كذلك صحف التوراة<sup>(2)</sup>.

وقد أبقى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يهود خير فيها على أن يعملوا في زراعتها وينفقوا عليها من أموالهم، ولهم نصف ثمارها، على أن للمسلمين حق إخراجهم منها متى أرادوا، وكان اليهود قد بادروا بعرض ذلك على النبي **صلى الله عليه وسلم** وقالوا: نحن أعلم بالارض منكم فوافق على ذلك بعد أن هم بإخراجهم منها<sup>(3)</sup>.

وقد اشترط عليهم أن يجعلهم عنها متى شاء، وهنا تظهر براعة سياسة جديدة في عقد الشروط، فإن بقاء اليهود في الأرض يفلحونها بوفر للمسلمين الجنود المجاهدين في سبيل الله، ومن جهة أخرى فإن اليهود هم أصحاب الأرض وهم أدري بفلاحتها من غيرهم، فبقوتهم فيها يعطي ثمرة أكثر وأجود وبخاصة أنهم لن يأخذوا أجراً، ولكنهم سياخذون نصف ما يخرج من الأرض قل أو كثر.

وقد ضمن الرسول -بشرط إجلائهم متى شاء المسلمين- إخضاعهم وكسر شوكتهم؛ لأنهم يعلمون إذا فعلوا شيئاً يضر بالمسلمين سيطردونهم منها، ولا يعودون إليها أبداً.

وقد حدث ذلك فعلاً في عهد سيدنا عمر بن الخطاب ـ حيث اعتدوا على عبد الله ابن عمر فقدعوا يديه من المرافقين، وكانوا قبل ذلك في عهد الرسول **صلى الله عليه وسلم** اعتدوا على عبد الله بن سهل فقتلوه، فلما تحقق عمر من غدرهم وخيانتهم أمر باجلائهم<sup>(4)</sup>، وحاول يهود خير أن يخفوا الفضة والذهب وغيروا مسماً<sup>(5)</sup> لحيي بن أخطب، وكان قد قتل معبني قريظة، وكان احتمله معه يومبني النضير حين أجليت النضير، فسأل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** سعية عم حبي بن أخطب: أين مسك حبي بن أخطب؟ قال: أذهبته الحروب والنفقات<sup>(6)</sup>.

فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: العهد قريب والمآل أكثر من ذلك، فدفعه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** إلى الزبير بن العوام، فمسنه بعذاب، وقد كان حبي قبل ذلك دخل خربة، فقال عمه:

(?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/419).

2

3

(?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/328).

4

(?) انظر: تأملات في سيرة الرسول، لمحمد سيد الوكيل، ص 228، 229.

5

(?) المسك: الجلد عامّة أو جلد السلخة خاصة (السلخة ولد الشاة).

6

(?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (1/326).

قد رأيت حبيباً يطوف في خربة ها هنا، فذهبوا فطاووا، فوجدوا المسك في الخربة<sup>(1)</sup>. وبعد الاتفاق الذي تم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهود خير على إصلاح الأرض جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة ياتيهم كل عام فيخرصها عليهم ثم يضمنهم البشطر، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه<sup>(2)</sup>، وأرادوا أن يرشوه فقال: يا أعداء الله تطعوني السحت؟ والله لقد جئتم من عند أحب الناس إلىَّ، ولأنتم أبغض الناس إلىَّ من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم. فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض<sup>(3)</sup>.

لقد أصبحت خير ملكاً للمسلمين وصارت مورداً مهمّاً لهم، قال ابن عمر: ما شبعنا حتى فتحت خير<sup>(4)</sup>، وقد تحسّن الوضع الاقتصادي بعد خير، ورد المهاجرون المنائح التي أعطاهم إياها الأنصار<sup>(5)</sup> من النخل.

### سابعاً زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفية بنت حبي بن أخطب:

لما فتح المسلمون القموص - حصنبني أبي الحقيق - كانت صفية في السبي فأعطيتها دحية الكلبي، فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم: فقال يا رسول الله، أعطيت دحية صفية بنت حبي سيدة قومها، وهي ما تصلح إلا لك، فاستحسن النبي صلى الله عليه وسلم ما أشار به الرجل، وقال لدحية، حد جارية من السبي غيرها<sup>(6)</sup>، ثم أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقها وجعل عتقها صداقها<sup>(7)</sup>، ثم تزوجها بعد أن ظهرت من حيضتها<sup>(8)</sup>، وبعد أن أسلمت. ولم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم من خير حتى ظهرت صفية من حيضها، فحملها وراءه فلما صار إلى منزل على ستة أميال من خير مال يريد أن يعرض بها، فأبىت عليه، فوجد في نفسه، فلما كان بالصهباء نزل بها هناك فمشطتها أم سليم، وعطرتها، وزفتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبنى بها، فسألاه: «ما حملك على الامتناع من النزول أولاً» فقلت: خشيت عليك من قرب اليهود، فعظمت في نفسه، ومكت رسول الله بالصهباء ثلاثة أيام، وأولم عليها ودعا المسلمين، وما كان فيها من لحم وإنما التمر والأقط والسمن، فقال المسلمين:

<sup>1</sup> (؟) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (المغاربي)، ص 424.

<sup>2</sup> (؟) الخرس: الحرز والحدس والتلخمين، وخرص العدد: قدره تقديرًا بطن لا أحاطة.

<sup>3</sup> (؟) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (المغاربي)، ص 424.

<sup>4</sup> (؟) البخاري، كتاب المغازي، غزوة خير رقم 4243.

<sup>5</sup> (؟) انظر: معين السيرة، ص 352.

<sup>6</sup> (؟، 5) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/383).

<sup>7</sup> (؟) انظر: الصراع مع اليهود (3/101).

<sup>8</sup> هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه، فلما ارتحل وطأ له خلفه  
ومد عليها الحجاب، فايقنوا أنها إحدى أمهات المؤمنين<sup>(1)</sup>.

وقد كانت أم المؤمنين صفية بنت حبي قد رأت رؤية، فقد روى  
البيهقي -رحمه الله- بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما في  
حديث طويل قال: ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين صفية  
حضره، فقال: «يا صفية ما هذه الخضراء؟» فقالت: كان رأسى في  
حجر ابن حقيق، وأنا نائمة، فرأيت كأن قمراً وقع في حجري، فأخبرته  
 بذلك فلطماني، وقال: تمرين ملك يثرب<sup>(2)</sup>.

وهكذا صدق الله رؤيا صفية رضي الله عنها، وأكرمتها بالزواج من  
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعتقها من النار، وجعلها أمّاً  
للمؤمنين، وزوجاً في الجنة لخاتم الأنبياء والمرسلين<sup>(3)</sup>، وقد أكرمتها  
رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الإكرام، وكان يجلس عند بيته  
فيفضع ركبته لتضع صفية رجلها على ركبته حتى ترکب، وقد بلغ من  
أدبها أنها كانت تابي أن تصفع رجلها على ركبته، فكانت تصفع ركبتها على  
ركبته وترکب<sup>(4)</sup>.

وهذه صفية رضي الله عنها تحدثنا عن خلق رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فتقول: ما رأيت أحداً قط أحسن خلقاً من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم، لقد رأيته ركب بي في خير، وأنا على عجر  
نافته ليلاً، فجعلت أنعس، فتضرب رأسى مؤخرة الرجل، فيمسني  
بيده، ويقول: «يا هذه مهلاً»<sup>(5)</sup>. وعن صفية رضي الله عنها أنها بلغها  
عن عائشة وحفصة أنهما قالا: نحن أكرم على رسول الله صلى الله  
عليه وسلم من صفية، نحن أزواجه وبنات عمّه، فدخل عليها صلى الله  
عليه وسلم فأخبرته فقال: «الآن قلت: وكيف تكونان خير مني وزوجي  
محمد وأبي هارون، وعمي موسى»<sup>(6)</sup>.

لقد تأثرت صفية بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصبح  
صلى الله عليه وسلم أحب إليها من أبيها وزوجها والناس أجمعين، بل  
أصبح أحب إليها من نفسها، تفديه بكل ما تملك حتى نفسها، وإذا ألم  
به مرض تمنت أن يكون فيها، وأن يكون رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم سليمًا معافي، فقد أخرج ابن سعد -رحمه الله- بإسناد حسن  
عن زيد بن أسلم قال: اجتمع نساؤه صلى الله عليه وسلم في  
مرضه الذي توفي فيه، فقالت صفية رضي الله عنها: إني والله يا نببي  
الله لوددت أن الذي بك بي، فغمز بها أزواجه، فأبصرهن رسول الله

1 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/384).  
2 (؟) انظر: السنن الكبرى (9/138) نقلًا عن الصراع مع اليهود (3/103).  
3 (؟) انظر: الصراع مع اليهود (3/122).

4 (2) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/384).  
5 (؟) انظر: السيرة الحلبية (3/45). (4, 5) انظر: شرح المواهب اللدنية (2/233).

334

صلى الله عليه وسلم فقال: «مضمضن»، فقلن: من أي شيء فقال: «من تغامزKen بها، والله إنها لصادقة»<sup>(١)</sup>.

ومما له صلة بزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حبي، حراسة أبي أيوب الانصاري لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أن دخل بصفية، فعن ابن إسحاق أنه قال: ولما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بخير، أو بعض الطريق.. فبات بها رسول الله في قبة له، وبات أبو أيوب خالد بن زيد أخوبني النجار متتوشحاً سيفه، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وبطيف بالقبة، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأى مكانه قال: «ما لك يا أبا أيوب؟» قال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بکفر، فخفتها عليك<sup>(٢)</sup>، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمله الذي ينبع على غاية الحب، والإيمان، وقال: «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحرسني»<sup>(٣)</sup>.

وكان زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية فيه حكمة عظيمة، فهو لم يرد بزواجه منها قضاء شهوة، أو إشباعاً لغريرة، كما يزعم الأفاكون، وإنما أراد إعزازها وتكريمها، وصيانتها من أن تفترش لرجل لا يعرف لها شرفها ونسبها في قومها، وهذا إلى ما فيه من العزاء لها، قد قتل أبوها من قبل، وزوجها وكثير من قومها، ولم يكن هناك أجمل مما صنعه الرسول معها، كما أن فيه رباط المصاهرة بين النبي واليهود عسى أن يكون هذا ما يخفف من عدائهم للإسلام والأنصواء تحت لوائه والحد من مكرهم وسعيهم بالفساد<sup>(٤)</sup>، وكانت أم المؤمنين صافية عاقلة وحليمة، وصادقة، يروى أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب<sup>٥</sup> فقالت: إن صافية تحب السبب، وتصل اليهود، فبعث إليها فسألها عن ذلك، فقالت: أما السبب فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فانا أصلها، فقبل منها، ثم قالت للجارية: ما حملك على هذا؟ قالت: الشيطان، فقالت لها: اذهبي فأنت حرة.

وكانت وفاتها في رمضان سنة خمسين للهجرة في زمان معاوية، وقيل سنة اثنين وخمسين رضي الله عنها وأرضها<sup>(5)</sup>.

### ثامناً: محاولة أثيمة لليهود.. الشاة المسمومة:

قال أبو هريرة<sup>٦</sup>: لما فتحت خير أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجمعوا لي من كان هاهنا من اليهود» فجمعوا له، فقال لهم رسول

<sup>1</sup> (6) انظر: زاد المعاد (3/328).

<sup>3</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/385).

<sup>5</sup> (2, ?) المصدر نفسه (2/385).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

الله صلى الله عليه وسلم: «إنني سألكم عن شيء فهل أنت صادقي عنه؟». فقالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أبوكم؟». قالوا: أبونا فلان. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذبتم بل أبوكم فلان». فقالوا: صدقت وبررت. فقال: «هل أنت صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا. قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أهل النار؟». فقالوا: نكون فيها يسيّرا ثم تخلفوننا. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخسّوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبداً». ثم قال لهم: «فهل أنت صادقي عن شيء إن سألكم عنه؟». قالوا: نعم. فقال: «هل جعلتم في الشاة سماً». فقالوا: نعم. فقال: «ما حملكم على ذلك؟». فقالوا: أردنا إن كنّت كاذبًا نستريح منك، وإن كنّت نبيّاً لم يضرك<sup>(1)</sup>.

قال صاحب بلوغ الأمانة عن الشاة المسمومة: أهدتها إليه زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم، وكانت سالت أي عضو من الشاة أحب إليه؟ فقيل: الذراع، فاكتثرت فيها من السم، فلما تناول الذراع لاك منها مصافة، ولم يسعها، وأكل منها معه بشر بن البراء فأساغ لقمة ومات منها<sup>(2)</sup>.

وفي مغاري عروة: فتناول الذراع فانتهش منها، وتناول بشر عظيماً آخر، فانتهش منه، فلما أرغم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أرغم بشر ما في فيه، فقال رسول الله: ارفعوا أيديكم، فإن كتف الشاة تخبرني أني قد بغيت فيها، فقال بشر بن البراء: والذي أكرمه لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت، ولم يمنعني أن أفطها إلا أنني كرهت أن أغتص طعامك، فلما أكلت ما في فيك لم أرغب بنفسي عن نفسك، ورجوت أن لا أكون رغمتها وفيها بغي<sup>(3)</sup>.

وقال ابن القيم: وهي بالمرأة إلى رسول الله فقالت: أردت قتلك، فقال: «ما كان الله ليسلطك علي» قالوا: ألا تقتلها؟ قال: «لا» ولم يتعرض لها، ولم يعاقبها، واحتجم على الكاهل، وأمر من أكل منها فاحتجم، فمات بعضهم<sup>(4)</sup>.

وقد اختلف في قتل المرأة وال الصحيح أنه لما مات بشر قتلها<sup>(5)</sup>، ولقد كان السم الذي وضعته اليهودية قويًا جدًا إذ مات بشر بن البراء فورًا، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاوده ألم السم حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى بعد أن بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها<sup>(6)</sup>. وقد روى الإمام البخاري رحمة الله في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان

<sup>1</sup> (?) البخاري، كتاب الجهاد والسير (4/79) رقم 3169.

<sup>2</sup> (?) انظر: بلوغ الأمانة بحاشية الفتح الرياني (21/123).

<sup>3</sup> (?) انظر: مغاري رسول الله، لعروة بن الزبير، ص 198.

<sup>4</sup> (4,?) زاد المعاد (3/336).

<sup>6</sup> (?) انظر: الصراع مع اليهود (3/121).

النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرض موته الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري<sup>(1)</sup> من ذلك السم»<sup>(2)</sup>.

**تاسعاً: الحاج بن علاط السلمي وإرجاع أمواله من مكة:**  
 عن أنس بن مالك قال: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قال الحاج بن علاط: يا رسول الله إن لي بمكة مالاً، وإن لي بها أهلاً، وإنني أريد أن أكتابهم، فانا في حل إن أنا نلت منك، وقلت شيئاً؟ فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ما يشاء فأتي امرأته حين قدم، فقال: اجمعوا لي ما كان عندك، فلنني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه، فإنهم قد استيحوها، أو أصبت أموالهم، قال: فتشا ذلك في مكة فانقمع المسلمين، وأظهر المشركون فرحاً وسروراً، قال: وبلغ الخبر العباس فقعد، وجعل لا يستطيع أن يقوم.

قال معمر: فأخبرني عثمان الجزري عن مقسم قال: فأخذ ابنا له يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له، قثم، فاستلقى فوضعه على صدره وهو يقول:

شبيه ذي الأنف الأشم	حبي قثم، حبي قثم
برغم أنف من رغم	نبي رب ذي النعم

قال ثابت بن أنس: ثم أرسل غلاماً له إلى الحاج فقال: وبلك ما جئت به؟ وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به، قال: فقال الحاج بن علاط لغلامه: اقرأ على أبي الفضل السلام، وقل له: فيدخل لي في بعض بيته لآتيه، فإن الخبر على ما يسره، فجاءه غلامه، فلما بلغ باب الدار قال: أبشر يا آبا الفضل، قال: فوتب العباس فرحاً، حتى قبل بين عينيه، فأخبره بما قال الحاج، فأعتقده، قال: ثم جاء الحاج فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افتتح خير، وغمم أموالهم، وحررت سهام الله في أموالهم، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حبي، فأخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها، وتكون زوجته<sup>(3)</sup>، ولكنني جئت لمالك، وإنني استاذنت النبي صلى الله عليه وسلم فاذن لي، فأخذ على يا آبا الفضل ثلاثة، ثم اذكر ما شئت<sup>(4)</sup>، فجمعت امرأته ما كان عندها من حل ومتاع فجمعه، فدفعته إليه، ثم انشمر به، فلما كان بعد ثلاثة أيام العباس امرأة الحاج فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا، وقالت: لا يخزيك الله يا آبا الفضل،

<sup>1</sup> (؟) أبهري: عرق مستوطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه.

<sup>2</sup> (؟) صحيح البخاري بشرح فتح الباري (159/159-9) طبعة الحلب.

<sup>3</sup> (؟) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 459. (2) انظر: تاريخ الذهبي (المغاربي)، ص 439.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

لقد شق علينا الذي بلغك، قال: أجل، لا يخزبني الله، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا، فتح الله خير على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجرت فيها سهام الله، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صافية بنت حبي لنفسه، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به، قالت: أطنك والله صادقاً، قال فإني صادق، الأمر على ما أخبرتك، فقال: ثم ذهب حتى أتي مجالس قريش، وهم يقولون إذ مر بهم: لا يصيبك إلا خيراً يا أبا الفضل، قال لهم: لم يصني إلا خير بحمد الله، قد أخبرني الحاج بن علاط أن خير قد فتحها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وجرت فيها سهام الله، واصطفى صافية لنفسه، وقد سألني أن أخفي عليه ثلاثاً، وإنما جاء ليأخذ ماله، وما كان له من شيء هنا، ثم يذهب، قال: فرد الله الكآبة التي كانت بال المسلمين على المشركين، وخرج المسلمين ومن كان دخل بيته مكتيناً حتى أتوا العباس، فأخبرهم الخبر، وسر المسلمين ورد الله تبارك وتعالى ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين<sup>(1)</sup>. وفي هذا الخبر فقه غزير منه: جواز كذب الإنسان على نفسه وعلى غيره، إذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير إذا كان يتوصل بالكذب إلى حقه، كما كذب الحاج بن علاط على المسلمين، حتى أخذ ماله من مكة من غير مضرة لحقت المسلمين من ذلك الكذب، وأما ما نال من بمكة من المسلمين من الأذى والحزن، بمحضه بسيرة في جنب المصلحة التي حصلت بالكذب، ولا سيما تكميل الفرح والسرور، وزيادة الإيمان الذي حصل بالخبر الصادق بعد هذا الكذب، فكان الكذب سبباً في حصول هذه المصلحة الراجحة.

#### **عاشرًا: بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالغزوة:**

وردت في غزوة خير أحكام شرعية كثيرة منها:

**1- تحريم أكل لحوم الحمر الأنثوية:** عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خير عن لحوم الحمر الأهلية<sup>(2)</sup>.

**2- حرمة وطء السبايا الحوامل:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسوق ماءه زرع غيره»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> (؟) أخرجه أحمد في المسند (138/3, 139) عبد الرزاق في المصنف رقم 9771، وأبو يعلى برقم 3479، والبيهقي في السنن (9/151)، والدلال (4/5266, 4/5267) وقال الهيثمي في المجمع (6/154) رواه أحمد، وأبو يعلي، والبزار والطبراني، ورجاله رجال الصحيح، وقال ابن كثير في البداية (4/23) عن سند أحمد: وهذا الإسناد على شرط الشعبيين، نقلًا عن صحيح السيرة النبوية، ص 460.

<sup>2</sup> (؟) انظر: زاد المعاد (122/4, 123) البخاري، كتاب المغازي رقم 4215.

<sup>3</sup> (؟) انظر: الطبقات (2/113). (2) انظر: الروض الأنف (4/41).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**3- حرمة وطء السبايا غير الحوامل قبل استبراء الرحم:**  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يقع على امرأة من النبي حتى يستبرئها»<sup>(1)</sup>.

والاستبراء إنما يكون بأن تظهر من حيضة واحدة فقط، ولا تجب عليها العدة وإن كانت متزوجة من كافر سواء مات أو بقي حيًا؛ لأن العدة وفاة الزوج الميت وحداد عليه، ولا يحد على الكافر كما علمت<sup>(2)</sup>.

**4- حرمة ربا الفضل:** عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعمل رجلاً على خير، فجاءه بتمر جنبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل تمر خير هكذا؟» فقال: لا والله يا رسول الله، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالدرارهم جنبياً<sup>(3)</sup>. فالتفاصل مع اتحاد الجنس هو ربا الفضل، إذ يشتري صاعاً بأكثر من صاع، فالزيادة هنا هي الربا، وهذا محرم، كما رأيت إذ نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأرشد إلى الحل السليم بأن يبيع ما لديه من تمر ثم يشتري بما لديه من نقود ما يشتهي من تمر؛ لأن الحاجة قد تدفع صاحبها إلى قبول الربا<sup>(4)</sup>.

**5- حرمة بيع الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق العين:** روى عن عبادة بن الصامت أنه قال: نهانا رسول الله يوم خير أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق العين، وقال «ابتاعوا تبر الذهب بالورق والعين، وتبر الفضة بالذهب والعين»<sup>(5)</sup>. والمراد من الحديث: أن بيع الذهب بالذهب مثلًا بمثل والفضة بالفضة مثلًا بمثل، بلا زيادة ولا نقص، وعندما يقابل الذهب بالفضة لا تشرط المماثلة، كما هو معلوم وثبت في الصحاح<sup>(6)</sup>.

**6- مشروعية المساقاة والمزارعة:** عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهمما قال: أعطى النبي صلى الله عليه وسلم خير لليهود أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها<sup>(7)</sup>.

وقد تسأله بعض الباحثين: لم جاءت أحكام هذه البيوع في خير وما الحكمة من ذلك؟ وأجاب الشیخ محمد أبو زهرة على هذا فقال: إن فتح خير كان فتحاً جديداً بالنسبة للعلاقات المالية التي يجري في ظلها التبادل المالي، فكانت فيها شرعية المزارعة والمساقاة ولم

(?) انظر: الصراع مع اليهود (3/134). 2

(?) البخاري كتاب المغازي رقم 4244. 3

(?) انظر: الصراع مع اليهود (3/134). 4

(?) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام مع الروض الأنف (4/41). 5

(?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوى في المدينة، ص 321. 6

(?) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4248. 7

ت肯 تجري كثيراً في يثرب<sup>(1)</sup>.

**7- حل أكل لحوم الخيل:** عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خير عن أكل لحوم الحمر، ورخص في الخيل<sup>(2)</sup>.

**8- تحريم المتعة:** عن علي قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خير، وعن أكل لحوم الحمر الأنسيية<sup>(3)</sup>.

**9- مشاركة المرأة في غزوة خير:** روت أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بني غفار قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من بني غفار فقلن: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معلك إلى وجهك هذا - وهو السير إلى خير - فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: على بركة الله، قالت: فخرجنا معه، قالت: فوالله لننزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله، قالت: وإذا بها دم مني وكانت أول حيضة حضرتها، قالت: فتنبصت إلى الناقة واستحببت، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ورأى الدم قال: «ما لك؟ لعلك نفست؟» قالت: قلت: نعم؟ قال: «فاصحبي من نفسك ثم خذ إماء من ماء فاطرحي فيه ملحًا ثم اغسلي ما أصاب الحقيقة من الدم، ثم عودي لمركبك» قالت: فلما فتح الله خير رضخ لنا من الفيء، وأخذ هذه القلادة التي تربين في عنقي فأعططانيها وعلقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني أبداً<sup>(4)</sup>، وكانت في عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تدفن معها، قالت: وكانت لا تظهر من حيضها، إلا جعلت في طهرها ملحًا، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت<sup>(5)</sup>. وهي صورة حية أمام كل فتاة مسلمة، تحرص على أن تشارك في أجر الجهاد مع المسلمين<sup>(6)</sup>.

وهكذا كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تعليماً وتربيتاً للأمة في السلم وال الحرب على معانى العقيدة وحقيقة العبادة، وهذا غيض من فيض وجزء من كل.

هذا وقد أحدث فتح خير وفدى ووادي القرى وتيماء دويًا هائلاً في الجزيرة العربية بين مختلف القبائل، وقد أصيبت قريش بالغيظ والكابة إذ لم تكن تتوقع ذلك، وهي تعلم مدى حصانة قلاع يهود خير،

1 (؟) انظر: خاتم النبيين (4/1104)، الصراع مع اليهود (3/136).

2 (؟) البخاري، كتاب المغازى، رقم 4219.

3 (؟) البخاري، كتاب المغازى، رقم 4216.

4 (؟) انظر: البداية والنهاية (4/205).

5 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام (3/372).

6 (؟) انظر: فقه السيرة لمنير الغضبان، ص 534.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

وكثرة مقاتليهم ووفرة سلاحهم ومؤوئلتهم ومتاعهم<sup>(1)</sup>، أما القبائل العربية الأخرى المناصرة لقريش فقد أدهشها خبر هزيمة يهود خير وخذلها انتصار المسلمين الساحق؛ ولذلك فإنها جنحت إلى مسالمة المسلمين وموادعتهم بعد أن أدركت عدم جدوا استمرارها في عدائهم، مما فتح الباب واسعًا لنشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، بعد أن تعززت مكانة المسلمين في أعين أعدائهم إلى جانب ما تحقق له من خير وتعزيز لوضعهم الاقتصادي<sup>(2)</sup>.

واستمرت حركة السرايا بعد خير، وكانت كثيرة، وأمر عليها صلى الله عليه وسلم كبار الصحابة، وكان في بعضها قتال، ولم يكن في بعضها قتال<sup>(3)</sup>.

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) انظر: نصرة النعيم، (1/353).

<sup>2</sup> (?) المصدر نفسه، (1/353).

<sup>3</sup> (?) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 221.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

## المبحث الثاني

### دعوة الملوك والأمراء

**أولاً: كان صلح الحديبية إيداعاً ببداية المد الإسلامي:**

فقد انساح هذا المد إلى أطراف الجزيرة العربية بل تجاوزها إلى ما وراء حدود الجزيرة العربية فمنذ (أن عقد الرسول صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية مع قريش وما تلا ذلك من إخضاع يهود شمال الحجاز في خيبر ووادي القرى وتيماء وفدرك إلى سيادة الإسلام، فإن الرسول لم يال جهدا لنشر الإسلام خارج حدود الحجاز، وكذلك خارج حدود الجزيرة العربية، وقد عبر عليه الصلاة والسلام عن هذا المنهج قوله وعملاً من خلال إرساله عدداً من الرسل والمع尤ثين إلى أمراء الجزيرة العربية وإلى ملوك العالم المعاصر خارج الجزيرة العربية.

وتعد هذه الخطوة نقطة تحول هامة في تاريخ العرب والإسلام ليس لأن الرسول سوف يوحد عرب الجزيرة العربية تحت رأية الإسلام فحسب، ولكن لأن هؤلاء العرب بعد أن اعتنقا الإسلام وتمثلوا رسالة السماء أنيط بهم حمل الدعوة الإسلامية إلى البشرية كافة<sup>(1)</sup>.

ويشير المنهج النبوي في دعوة الزعماء والملوك إلى ما يجب أن تكون عليه وسائل الدعوة، فإلى جانب دعوة الأمراء والشعوب، اختار الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوباً جديداً من أساليب الدعوة وهو مراسلة الملوك ورؤساء القبائل، وكان لأسلوب إرسال الرسائل إلى الملوك والأمراء اثر بارز في دخول بعضهم الإسلام وإظهار الود من البعض الآخر، كما كشفت هذه الرسائل مواقف بعض الملوك والأمراء من الدعوة الإسلامية ودولتها في المدينة؛ وبذلك حققت هذه الرسائل نتائج كثيرة، واستطاعت الدولة الإسلامية من خلال ردود الفعل المختلفة تجاه الرسائل أن تنتهي نهجاً سياسياً وعسكرياً واضحاً ومتميناً<sup>(2)</sup>، وإليك أهم هذه الرسائل:

**1-** فقد وردت رواية صحيحة<sup>(3)</sup> تضمنت نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعثه مع دحية الكلبي إلى هرقل عظيم الروم<sup>(4)</sup>، وذلك في مدة هدنة الحديبية وهو كما يلي:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَى هَرْقُلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتَى بِهِ الْهُدَىٰ: أَمَا بَعْدَ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدُعَائِي إِلَيْهِ إِلَّا إِنَّمَا أَنْتَ مُسْلِمٌ تَسْلِمُ يَؤْتَكَ اللَّهُ أَجْرُكَ مَرْتَبْكَ، فَإِنْ تُولِّتْ عَلَيْكَ إِثْمُ

1 (؟) انظر: السفارات النبوية، د. محمد العقيلي، ص 15.

2 (؟) انظر: العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، د. سعيد المهرج، ص 112.

3 (؟) مسلم (1393-3/1397) رقم 1773.

4 (؟) انظر: نصرة النعيم (1/344) اعتمدت عليه في توثيق مصادر الرسائل.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

الأربيسين، (فُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ يَسَّأَءُونَ بَنِيَّا  
وَبَيْتَكُمْ إِلَّا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا تَتَّخِذُ  
بَعْضًا أَزْبَانًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا  
مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 64]<sup>(1)</sup>».

ولقد تسلم هرقل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ودقق في الأمر كما في الحديث الطويل المشهور بين أبي سفيان وهرقل المروي في الصحيحين حين سأله عن أحوال النبي، وقال بعد ذلك لابي سفيان: (إن كان ما تقول فيه حقا فإنهنبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أنني أعلم أنني أخلص إليه لتجسمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه)<sup>(2)</sup>.

2- أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب إلى كسرى ملك الإمبراطورية الفارسية، مع عبد الله بن حداقة السهمي، (أمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين<sup>(3)</sup> فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزقوه كل ممزق)<sup>(4)</sup>، ونص الرسالة كما أوردت الطبرى كالتالى:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كَسْرَى  
عَظِيمِ فَارسٍ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتَى بِهِ الْهُدَى، وَامْنَى بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَهَدَ  
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَى النَّاسِ كُلَّهُ، لِيَنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا،  
أَسْلِمْ تَسْلِمْ، فَإِنْ أَبْيَتْ عَلَيْكَ إِثْمَ الْمُجْوَسِ»<sup>(5)</sup>.

3- أما كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة فقد أرسله مع عمرو بن أمية الصمرى وقد جاء في الكتاب:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدِ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَى النَّجَاشِي  
مَلِكِ الْحَبْشَةِ، أَسْلَمْ أَنْتَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ  
الْقَدُوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمَهِيمُ وَأَشْهُدُ أَنْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رُوحُ  
اللَّهِ وَكَلْمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةَ الْحَصِينَةَ، فَحَمِلَتْ بِهِ  
فَخَلْقَهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفْخَهُ، كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ  
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْمَوَالَةُ عَنْ طَاعَتِهِ، وَأَنْ تَتَبَعَنِي وَتَؤْمِنَ بِالَّذِي  
جَاءَنِي إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ  
بَلَغَ وَنَصَحَّتْ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتَى بِهِ الْهُدَى»<sup>(6)</sup>.

1 (؟) مسلم شرح النووي، كتاب الجهاد، كتب النبي (12/107).

2

3 (؟) مسلم (3/1393) رقم 1773.

4

5 (؟) شرح المawahib الدنية (3/341).

6

6 (؟) البخاري مع فتح الباري (8/26) رقم 4424، وكانت الرسالة في محرم سنة 7هـ، كما في زاد المعاد.

7

5 (؟) انظر: تاريخ الطبرى (2/654)، (655).

6

6 (؟) انظر: نصب الرأبة للزبيعى (4/421) نقلاً عن نصرة النعيم (1/346).

هديه الشبكه الليبيه والكاتب بمناسبة العشرين الاخير من رمضان وعيد الفطر 1426

4- أما كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس حاكم مصر<sup>(7)</sup>, وكذلك رد المقوقس إليه<sup>(8)</sup>, فلم ثبت من طرق صحية, ولا يعني ذلك نفي إرسال الكتاب إليه, كما أن ذلك لا يعني الطعن بصحة النصوص من الناحية التاريخية, فربما تكون صحيحة من حيث الشكل والمضمون غير أنها لا يمكن أن يتحقق بها في السياسة الشرعية<sup>(9)</sup>. فلقد أورد محمد بن سعد في طبقاته<sup>(10)</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى المقوقس جريح بن مينا ملك الإسكندرية وعظيم القبط, كتاباً مع جاطب بن أبي بلترة اللخمي, وأنه قال خيراً وقارب الأمر, غير أنه لم يسلم وأهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم عدة هدايا كان بينها مارية القبطية, وأنه لما ورد جواب المقوقس إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ضن الخبيث بملكه, ولا بقاء لملكه»<sup>(11)</sup>.

5- وبعث رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب أخيبني أسد بن خزيمة, برسالة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق<sup>(6)</sup>, حين عودته وال المسلمين من الحديبية, وقد تضمن نص الرسالة قوله: سلام على من أتي بالهدى, وأمن به, إني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يُبقي لك ملوك<sup>(7)</sup>.

6- وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سليم بن عمرو العامري بكتاب إلى هودة بن علي الحنفي<sup>(8)</sup> عند مقدمه من الحديبية, وقد اشترط هودة الحنفي على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد قراءته رسالته إليه أن يجعل له بعض الأمر معه, فرفض النبي صلى الله عليه وسلم أن يقبل ذلك<sup>(9)</sup>.

7- وأرسل صلى الله عليه وسلم أبي العلاء الحضرمي<sup>(10)</sup> بكتابه إلى المنذر بن ساوي العبدى أمير البحرين بعد انصرافه من الحديبية, ونقلت المصادر التاريخية أن المنذر قد استجاب لكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلم معه جميع العرب بالبحرين, فاما أهل البلاد من اليهود والمجوس فانهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية من كل حالم دينار<sup>(11)</sup>, ونقل أبو عبيد القاسم بن سلام نص كتاب النبي صلى الله عليه

7

9

11

8

9

10

11

(7) ، (8) انظر: نصرة النعيم (1/346).

(?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/459).

(2) انظر: الطبقات الكبرى (1/260، 2/261).

(?) البداية والنهاية (5/340).

(4) ، (5) انظر: تاريخ الطبرى (2/652).

(?) كان صاحب اليمامة, ومات بعد فتح مكة بقليل.

(?) انظر: نصب البراءة (4/425)، إعلام السائلين، ابن طولون، ص 105، 107.

(?) انظر: صبح الأعشى للقلقشندى (6/368).

(?) الزيلعي تخريج أحاديث الهدایة (420، 4/419).

هديۃ الشیکۃ الالبیۃ والکاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426ھ

**وسلم إلى المنذر بن ساوي برواية عروة بن الزبير، وجاء فيه:**  
**«سلام أنت، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن**  
**من صلّى صلاتنا، وأستقبل قبرتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المُسلِّم الذي له**  
**ذمة الله، وذمة الرسول، فمن أحب ذلك من المُجوس فإنه آمن ومن**  
**أبى فإن الجزية عليه»<sup>(1)</sup>.**

**وفي ذي القعدة سنة 8هـ بعث النبي صلى الله عليه وسلم عمرو**  
**بن العاص بكتابه إلى حيفر وعبد ابني الجلendi الأزديين بعمان<sup>(2)</sup>، وقد**  
**جاء فيه: «من محمد النبي رسول الله لعباد الله الأسيذين ملوك**  
**عمان، وأسد عمان، ومن كان منهم بالبحرين إنهم إن أمنوا وأقاموا**  
**الصلوة وأتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا حق النبي صلى الله**  
**عليه وسلم، ونسقوا نسك المؤمنين، فإنهم أمنون وإن لهم ما أسلموا**  
**عليه، غير أن مال بيت النار ثانياً لله ورسوله، وأن عشر التمر صدقة،**  
**ونصف عشر التمر صدقة، وأن للمسلمين نصرهم ونصحهم، وأن لهم على**  
**المسلمين مثل ذلك، وأن لهم أرحاءهم يطحون بها ما شاءوا»<sup>(3)</sup>.**  
**أوردت المصادر بعد ذلك عدداً كبيراً من المرويات عن رسائل**  
**أخرى لم تثبت من الناحية الحديثية<sup>(4)</sup>.**

### ثانيًا: دروس وعبر وفوائد:

#### 1- الأريسيون:

وردت كلمة (الأريسيون) أو (اليريسين) -على اختلاف الروايات- في الكتاب الذي وجه إلى هرقل وحده، ولم ترد في كتاب من الكتب التي أرسلت إلى غيره، واختلف علماء الحديث واللغة من مدلول هذه الكلمة، فالقول المشهور أن (الأريسيون) جمع (أريسي) وهو الخول، والخدم والأكارون<sup>(5)</sup>.

وذهب العلامة أبو الحسن الندوبي إلى أن المراد بالأريسيين هم أتباع (أريوس) المصري وهو مؤسس فرقه مسيحية كان لها دور كبير في تاريخ العقائد المسيحية والإصلاح الديني، وقد شغلت الدولة البيزنطية والكنيسة المسيحية زمناً طويلاً، (أريوس) هو الذي نادى بالتوحيد، والتمييز بين الخالق والمخلوق والاب والابن على حد تعبير المسيحيين، لعدة قرون<sup>(6)</sup>.

وأدامت عقيدة (أريوس) ودعوته تصارعان الدعوة المكشوفة إلى تأليه المسيح وتسويته بالإله الواحد الصمد، وكانت الحرب سجالاً، وقد دان بهذه العقيدة عدد كبير من النصارى في الولايات الشرقية من المملكة البيزنطية إلى أن عقد تيوسorus الكبير مجمعاً مسيحياً في

1 (؟) الأموال لأبي عبد، ص 28. (2) انظر: صبح الأعشى (6/376).  
 2 (؟) انظر: الأموال لأبي عبد، ص 28، 29. (4) انظر: نصرة النعيم (1/348).  
 3 (؟) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 304. (6)المصدر نفسه، ص 305.  
 5 (5)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

القسطنطينية قضى بألوهية المسيح وابنته، وقضى هذا الإعلان على العقيدة التي دعا إليها (أريوس) وأخافت، ولكنها عاشت بعد ذلك، ودانت بها طائفة من النصارى، اشتهرت بالفرقة الأريسية أو الأريسين، فمن المرجح المعقول أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عنى هذه الفرق بقوله: «**فَإِنْ تُولِيهَا إِنَّمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَزَعَّمُوهُمْ**» فإنها هي القائمة بالتوحيد النسيبي في العالم المسيحي الذي تزعّمه الدولة البيزنطية العظمى، التي كان على رأسها (هرقل)<sup>(1)</sup>.

وقد تحدث الإمام أبو جعفر الطحاوي عن هذه الفرق فقال: وقد ذكر بعض أهل المعرفة بهذه المعانى أن في رهط هرقل فرق تعرف بالأروسية، توحد الله، وتعترف بعیودية المسيح له عز وجل، ولا تقول شيئاً مما يقول النصارى في ربوبته وتؤمن بنبوته، فإنها تمسك بدين المسيح مؤمنة بما في إنجيله، واحدة لما ي قوله النصارى سوى ذلك، وإذا كان ذلك كذلك جاز أن يقال لهذه الفرق (الأريسين) في الرفع، (الأريسين) في النصب والجر، كما ذهب إليه أصحاب الحديث<sup>(2)</sup>.

## 2- اعتبارات حكيمية خاصة بالملوك:

في رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم للملوك فوارق دقيقة مؤسسة على حكمـة الدعـوة، روـعـي فيها ما يـمتازـ به هـؤـلـاءـ الـمـلـوكـ فيـ العـقـائـدـ الـتـيـ يـدـيـنـونـ بـهـاـ،ـ (ـوـالـخـلـفـيـاتـ)ـ الـتـيـ يـمـتـازـونـ بـهـاـ،ـ فـلـمـاـ كـانـ هـرـقـلـ وـالـمـقـوـقـسـ يـدـيـنـانـ بـالـأـلـهـيـةـ الـمـسـيـحـ كـلـيـاـ أوـ جـزـئـيـاـ،ـ وـكـوـنـهـ اـبـنـ اللهـ،ـ جـاءـتـ فـيـ الـكـتـابـيـنـ الـلـذـيـنـ وـجـهـاـ إـلـيـهـمـاـ كـلـمـةـ (ـعـبـدـ اللـهـ)ـ مـعـ اـسـمـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ صـاحـبـ هـاتـيـنـ الرـسـالـتـيـنـ،ـ فـيـتـدـيـ أـلـكـتـابـانـ بـعـدـ الـتـسـمـيـةـ بـقـوـلـهـ:ـ (ـمـنـ مـحـمـدـ عـبـدـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ إـلـىـ هـرـقـلـ عـظـيمـ الـرـوـمـ)ـ وـبـقـوـلـهـ:ـ (ـمـنـ مـحـمـدـ عـبـدـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ إـلـىـ الـمـقـوـقـسـ عـظـيمـ الـقـبـطـ)ـ بـخـلـافـ ماـ جـاءـ فـيـ كـتـابـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ إـلـىـ كـسـرـىـ أـبـرـوـيـزـ،ـ فـاـكـتـفـيـ بـقـوـلـهـ:ـ (ـمـنـ رـسـوـلـ اللـهـ إـلـىـ عـظـيمـ الـفـرـسـ)ـ.ـ وـجـاءـتـ كـذـلـكـ آيـةـ (ـقـلـ يـاـ أـهـلـ الـكـتـابـ تـعـالـوـاـ إـلـىـ كـلـمـةـ سـوـاءـ بـتـبـيـأـ وـتـبـتـكـمـ أـلـاـ تـعـنـدـ إـلـاـ اللـهـ وـلـاـ تـشـرـكـ بـهـ شـيـئـاـ وـلـاـ تـتـخـدـ بـعـضـنـاـ بـعـصـاـ أـرـبـاـيـاـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ فـإـنـ تـوـلـوـاـ فـقـولـواـ أـشـهـدـوـاـ بـأـنـ مـسـلـمـوـنـ)ـ [ـآـلـ عـمـرـانـ:ـ 64ـ]ـ فـيـ هـذـيـنـ الـكـتـابـيـنـ،ـ وـمـاـ جـاءـتـ فـيـ كـتـابـهـ إـلـىـ كـسـرـىـ أـبـرـوـيـزـ لـأـنـ الـآـيـةـ تـخـاطـبـ أـهـلـ الـكـتـابـ الـذـيـنـ دـانـوـاـ بـالـأـلـهـيـةـ الـمـسـيـحـ،ـ وـاتـخـذـوـاـ أـحـيـارـهـ وـرـهـبـانـهـمـ أـرـبـاـيـاـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ وـالـمـسـيـحـ أـبـنـ مـرـيمـ،ـ وـقـدـ كـانـ هـرـقـلـ إـمـپـرـاطـورـ الـدـوـلـةـ الـبـيـزـنـطـيـةـ وـالـمـقـوـقـسـ حـاـكـمـ مـصـرـ قـائـدـنـ سـيـاسـيـنـ،ـ وـزـعـيمـيـنـ دـيـنـيـنـ كـبـيرـيـنـ لـلـعـالـمـ الـمـسـيـحـيـ،ـ مـعـ

<sup>1</sup> (؟) وقد ذهب إلى ما ذهب إليه العلامة الندوى، الدكتور معروف الدوالibi في الأريسين، ويؤيد ما قاله الندوى أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما يعني بقوله: «إن توليت عليك إثم (الأريسين)» أتباع أريوس الفرق المسيحية الوحيدة القائلة ببشرية المسيح النافية لألوهيته وقد جاء هذا البحث القيم في رسالة نظرات إسلامية، ص 68-83، انظر: السيرة النبوية، ص 307.

<sup>2</sup> (؟) انظر: مشكل الآثار (3/399)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

اختلاف يسير في الاعتقاد في المسيح هل له طبيعة أم طبيعتان<sup>(1)</sup>. ولما كان كسرى أبوريز وقومه يعبدون الشمس والنار، ويدينون بوجود إلهين، أحدهما يمثل الخير وهو يزدان، والثاني يمثل الشر وهو أهرمن، وكانتوا بعيدين عن مفهوم النبوة والتصور الصحيح للرسالة السماوية، جاءت في الكتاب الذي وجه إلى الإمبراطور الإيرلندي عبارة: «وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيّا»<sup>(2)</sup>.

وقد كان تلقي الملوك لهذه الرسائل مختلفاً، فأما هرقل والنجاشي والمقوقس، فتأذيا، وتلطقا في جوابهم وأكرم (النجاشي والمقوقس) رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرسل المقوقس هدايا منها جاريستان كانت أحدهما مارية أم إبراهيم ابن رسول الله، وأما كسرى أبوريز فلما قرأ عليه الكتاب مزقه وقال: (يكتب إلى هذا وهو عبدي؟) فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مزق الله ملكه»<sup>(3)</sup>.

وأمر كسرى باذان وهو حاكمه على اليمن بإحضاره، فأرسل بابوته يقول له: إن ملك الملوك قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد يعتني إليك لتنطلق معه، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله سلط على كسرى ابنه شIROYAH فقتله<sup>(4)</sup>.

وقد تحقق ما أنبأ به رسول الله بكل دقة، فقد استولى على عرشه ابنه (قباذ) الملقب بـ(شIROYAH) وقتل كسرى ذليلاً مهاناً بإيعاز منه سنة 628م، وقد تمرق ملكه بعد وفاته، وأصبح لعبة في أيدي أبناء الأسرة الحاكمة، فلم يعش (شIROYAH) إلا ستة أشهر، وتولى على عرشه مدة أربع سنوات عشرة ملوك، وأضطرب حبل الدولة إلى أن اجتمع الناس على (يزدجر) وهو آخر ملوك بنى ساسان، وهو الذي واجه الزحف الإسلامي الذي ادى إلى انقراض الدولة الساسانية التي دامت وأزدهرت أكثر من أربعة قرون انقرضاً كلّياً، وكان ذلك في سنة 637م، وهكذا تحققت هذه النبوة في طرف ثماني سنين<sup>(5)</sup>.

### 3- الوصف العام لرسائل الرسول:

ويلاحظ الباحث أن الوصف العام لكتب الرسول إلى الملوك والأمراء يكاد يكون واحداً، ويمكننا أن نستخرج منها الأمور التالية:

**أ-** نلاحظ أن جميع كتب الرسول صلى الله عليه وسلم التي أرسلها إلى الملوك والرؤساء يفتحها صلى الله عليه وسلم بالبسملة، والبسملة آية من كتاب الله تبارك وتعالى، وفي تصدير الكتاب بها

1 (؟) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوة، ص 38، 39.

2 (؟) انظر: السيرة النبوية للندوى، ص 290.

3 (؟) انظر: تاريخ الطبرى (3/90).

4 (؟) انظر: تاريخ الطبرى (91، 3/90).

5 (؟) انظر: السيرة النبوية للندوى، ص 300.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

أمور مهمة، كاستحباب بدء الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم اقتداء برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد واظب عليها في كتبه صلى الله عليه وسلم، كما فيها جواز كتابة آية من القرآن الكريم في كتاب، وإن كان هذا الكتاب موجهاً إلى الكافرين، وفيها جواز قراءة الكافر لآلية أو أكثر من القرآن الكريم؛ لأن كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمنت البسمة وغيرها، وفيها جواز قراءة الحنف لآلية أو أكثر من القرآن الكريم؛ لأن هذا الكافر الذي أرسلت إليه الرسالة تضمنت البسمة وغيرها لا يحترز من الجنابة والنحافة، فيقرأ الرسالة التي اشتتملت على آيات من القرآن الكريم وهو جنف.

### **بـ ونستنبط من رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء الآتي:**

\* مشروعيّة إرسال السفراء المسلمين إلى زعماء الكفر؛ لأن كل كتاب كان يكتبه الرسول صلى الله عليه وسلم يكلف رجلاً من المسلمين يحمله إلى المرسل إليه.

\* مشروعيّة الكتابة إلى الكفار في أمر الدين والدنيا.

\* ينبغي أن يكتب في الكتاب اسم المرسل والمُرسَل إليه موضوع الكتاب وهو واحد في جميع الكتب ويتلخص في دعوتهم إلى الإسلام.

\* عدم بدء الكافر بتحية الإسلام، وهي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطرح السلام في كتبه على ملك من ملوك الكفر بل كان يصدر كتبه بقوله: السلام على من اتبع الهدى، أي آمن بالإسلام، ويؤخذ من هذا عدم جواز مخاطبة الكافر بتحية الإسلام.

\* اتخاذ الخاتم: فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختتم رسائله بعد كتابته بخاتمه، وقد كتب عليه ثلاث كلمات: الله

رسول  
(1)  
محمد

فعن أنس قال: لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، فكان يأنطر إلى بياضه في يده، ونقش فيه محمد رسول الله<sup>(2)</sup>.

### **4- تقدير الرجال:**

لما أسلم باذان بن ساسان وكان أميراً على اليمن لم يعزله رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل أبقاء أميراً عليها بعد إسلامه، حين رأى

<sup>1</sup> (?) انظر: غزوة الحديبية لأبي فارس، ص 239، 240.

<sup>2</sup> (?) البخاري، باب دعوة اليهود والنصارى، فتح الباري (6/108).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

فيه الإداري الناجح والحاكم المناسب، مما يدلل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقدر الكفاءات في الرجال ويضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ومن الجدير بالذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ولد شهراً أميراً على اليمن بعد موته<sup>(1)</sup>.

#### 5- جواز أخذ الجزية من المجرم:

وهذا الحكم استخرج من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي أرسله إلى المنذر بن ساوي يحدد فيه الموقف من اليهود والمجرم، إذ ورد فيه: (ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية)<sup>(2)</sup>.

وقد ذهب ابن القيم مع طائفة من العلماء إلى جواز أخذ الجزية من كل إنسان يبذلها سواء أكان كتابياً أم غير كتابي كعبدة الأواثان من العرب وغيرهم، فقد جاء في زاد المعاد (وقد قالت طائفة في الأمم كلها إذا بذلوا الجزية، قبلت منهم، أهل الكتابين بالقرآن، والمحوس بالسنة، ومن عداهم ملحق بهم؛ لأن المحوس أهل شرك لا كتاب لهم، فأخذها منهم دليل على أخذها من عبدة الأواثان من العرب؛ لأنهم أسلموا قبل نزول آية الجزية، فإنها نزلت بعد تبوك)<sup>(3)</sup>.

#### 6- جواز أخذ هدية الكافر:

فقد أرسل المقوقيس عظيم القبط حاكم مصر -مع سفير رسول الله حاطب بن أبي بلتعة- وهو كافر هدية تشمل على جاريتين وكسوة للرسول صلى الله عليه وسلم وبغلة يركها، فقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد هاتين الجاريتين مارية القبطية<sup>(4)</sup>.

#### 7- من نتائج إرسال الكتب إلى الملوك والأمراء:

أظهر الرسول صلى الله عليه وسلم في سياساته الخارجية دراية سياسية فاقت التصور، وأصبحت مثلاً لمن جاء بعده من الخلفاء، كما أظهر صلى الله عليه وسلم قوة وشجاعة فائقتين، فلو كان غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لخشى عاقبة ذلك الأمر، لا سيما أن بعض هذه الكتب قد أرسلت إلى ملوك أقوباء على تخوم بلاده كهرقل وكسرى والمقوقيس، ولكن حرص رسول الله وعزيمته على إبلاغ دعوة الله، وإيمانه المطلق بتاييد الله سبحانه وتعالى، كل ذلك دفعه لأن يقدم على ما أقدم عليه وقد حققت هذه السياسة النتائج الآتية:

**أ- وطد الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه السياسة أسلوبًا جديداً في التعامل الدولي لم تكن تعرفه البشرية من قبل.**

1. (?) غزوة الحديبية لأبي فارس، ص 242.

2. (?) نفس المصدر، ص 242.

3. (3) انظر: زاد المعاد (5/91).

4. (?) انظر: غزوة الحديبية لأبي فارس، ص 243.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

**ب-** أصبحت الدولة الإسلامية لها مكانتها وقوتها وفرضت وجودها على الخريطة الدولية لذلـك الزمان.

**ج-** كشف للرسول **صلى الله عليه وسلم** نوايا الملوك والأمراء وسياستهم نحوه وحكمهم على دعوته.

**د-** كانت مكاتبـة الملوك خارج جزيرة العرب تعيـر عمليـاً على عالمـية الدعـوة إسلامـية، تلك العـالمـية التـمـ أوضـحتـها آيات نـزلـتـ في العـهد المـكـي مثل قوله تعالى: **( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمـةً لـلـعـالـمـينـ )** [الأنـبيـاءـ: 107].

وهـكـذا، فإن رسـائلـ النبي **صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ** إلى أمرـاءـ العـربـ والـملـوكـ الـمـجاـورـينـ لـبـلـادـهـ تـعـتـبرـ نـقـطـةـ تحـولـ فيـ سـيـاسـةـ دـوـلـةـ الرـسـولـ الـخـارـجـيةـ، فـعـظـمـ شـانـهـ، وأـصـحـتـ لـهـ مـكـانـةـ دـيـنـيـةـ وـسـيـاسـيـةـ بـيـنـ الدـوـلـ، وـذـلـكـ قـبـلـ فـتـحـ مـكـةـ، كـمـاـ أنـ هـذـهـ السـيـاسـةـ مـهـدـتـ لـتـوـجـيدـ الرـسـولـ **صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ** لـسـائـرـ أـنـحـاءـ بـلـادـ الـعـربـ فـيـ عـامـ الـوـفـودـ<sup>(1)</sup>.

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) انظر: التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة، ص 351.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## المبحث الثالث

### عمررة القضاء

وفي ذي القعدة في السنة السابعة من الهجرة خرج الرسول **صلى الله عليه وسلم** إلى مكة قاصداً العمرة، كما اتفق مع قريش في صلح الحديبية، وقد بلغ عدد من شهد عمرة القضاء ألفين سوی النساء والصبيان، ولم يختلف من أهل الحديبية إلا من استشهد في خير أو مات قبل عمرة القضاء<sup>(1)</sup>.

وقد اتجه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأصحابه الكرام من المدينة باتجاه مكة المكرمة في موكب مهيب يشق طريقه عبر القرى والبواقي، وكان كلما مر الموكب النبوي يمنازل قوم من الذين يسكنون على جانبي الطريق بين مكة والمدينة خرجوا وشاهدوا منظراً لم يالفوه من قبل، حيث المسلمين بزي واحد من الإحرام، وهم يرفعون أصواتهم بالتلبية، ويسوقون هديهم في علاماته وقلائده، في مظهر بهي لم تشهد المنطقة له مثيلاً<sup>(2)</sup>.

#### أولاً: الحيطة والحذر من غدر قريش:

اصطحب النبي **صلى الله عليه وسلم** معه السلاح الكامل، ولم يقتصر على السيف تحسباً لكل طارئ قد يقع، خاصة أن المشركين في الغالب لا يحافظون على عهد قطعوه، ولا عقد عقدوه<sup>(3)</sup>.

وما إن وصل خبر مسيرة النبي **صلى الله عليه وسلم** ومعه هذا العدد الضخم، وهذه الأسلحة المتنوعة، وفي مقدمة القافلة مائتا فارس بقيادة محمد بن مسلمة حتى أرسلت قريش إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** مكرز بن حفص<sup>(4)</sup> في نفر من قريش، ليستوضعواحقيقة الأمر، فقابلواه في بطن ياجج<sup>(4)</sup> بمر الظهران فقالوا له: يا محمد والله ما عرفناك صغيراً ولا كبيراً بالغدر، تدخل بالسلاح الحرام على قومك، وقد شرطت إلا تدخل على العهد، وأنه لن يدخل الحرم غير السيف في أغمامها، فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «لا ندخلها إلا كذلك» ثم رجع مكرز مسرعاً بأصحابه إلى مكة فقال: إن محمدًا لا يدخل بسلاح وهو على الشرط الذي شرط لكم<sup>(5)</sup>.  
ووضع رسول الله **صلى الله عليه وسلم** السلاح خارج الحرم فربما منه تحسباً لكل طارئ، وأبقى عنده مائتي فارس بقيادة محمد بن مسلمة يحرسونه، وينتظرون أمر الرسول ليتحرروا في أي جهة

<sup>1</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، ص 464.

<sup>2</sup> (؟) انظر: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص 310.

<sup>3</sup> (؟) صلح الحديبية لأبي فارس، ص 267.

<sup>4</sup> (؟) موضع قرب مكة على ثمانية أميال منها.

<sup>5</sup> (؟) انظر: مغازي الواقدي (3/734)، طبقات ابن سعد (2/121).

وينفذوا أي أمر، ويقاتلوا متى دعت الضرورة لذلك<sup>(1)</sup>.  
 إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمن غدر مثيركي قريش وخيانتهم، فقد تسلل لهم أنفسهم هجوماً مباغتاً؛ ولذلك احتاط وأخذ الحذر ووفى بعهده ووعده لقريش، وعلم الأمة لكي تحذر من أعدائها<sup>(2)</sup>، وفي بقاء كوكبة من الصحابة في حراسة الأسلحة والعتاد لكي يراقبوا الموقف بدقة وتحفز معنى من معاني العبادة في هذا الدين<sup>(3)</sup>.

### ثانياً: دخول مكة والطواف والسعى:

ومن بطن ياجج تابع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيره نحو مكة على راحلته القصواء، فدخلها من الثنية التي تطلعه على الحجون، والمسلمون حوله متوضئون سيفهم محددون به كل جانب، يسترونوه من المشركين مخافة أن يؤذوه بشيء، وأصواتهم تعج بالتلبية لله العلي الكبير<sup>(4)</sup>.

هذه التلبية الجماعية التي تعج أصوات المسلمين بها، والتي لم تقطع منذ أن أحربوا واستمرت حتى دخلوا مكة، فقد كان للتلبية مغزى ومعنى، فهي تعلن التوحيد وترفع شعاره، وتعني إبطال الشرك وإسقاط رايته، وتعلن الحمد والثناء على الله الذي مكّنهم من أداء هذا النسك<sup>(5)</sup>.. فهذه بعض معانى تلبية المسلم بقوله: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

وكان عبد الله بن رواحة آخذاً بزمام راحلته وهو يرتجز بشعره:

خلوا فكل الخير في  
رسوله،  
خلوا بني الكفار عن سبيله

يا رب إني مؤمن بقيمه  
أعرف حق الله في قبولي

ضربياً يزيل الهم عن خليله<sup>(6)</sup>

وكان مظهراً دعوياً مؤثراً عندما يبدأ الموكب النبوى الكريم يقترب من بيوت مكة المكرمة، وأنبيتها شاقاً طريقه باتجاه الكعبة المشرفة، وهم في مظهرهم المهيب، وأصواتهم تشق عنان السماء بالتلبية، فقد ذكرت معظم كتب السير والمغارزي أن قسماً من أهالي مكة خرج إلى رءوس الجبال لينظر إلى المسلمين من الأماكن العالية، والقسم

<sup>1</sup> (؟) انظر: صلح الحديبية لأبي فارس، ص268.  
<sup>2</sup> 275.

<sup>3</sup> (؟) المصادر السابق، ص277.  
<sup>4</sup> (؟) المصادر السياسي والعسكري، ص353.

<sup>5</sup> (؟) انظر: صلح الحديبية، ص277. (6) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص481.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426  
هـ

الأكبر وقف عند دار الندوة المحاورة للكعبة الشريفة آنذاك، ليشاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام أثناء دخولهم مكة المكرمة، وبيت الله الحرام<sup>(1)</sup>.

وكان المشركون قد أطلقوا شائعة ضد المسلمين مفادها أنهم وهنتم<sup>(2)</sup> حمئٍ يترب، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يرملوا في الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين<sup>(3)</sup>، لكي يرى المشركون قوتهم، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت الحرام وأضطط<sup>(4)</sup> بردائه فأخرج عضده اليمنى وشرع في الطواف، وأصحابه يتبعونه ويقتدون به. ولما رأى المشركون ذلك قالوا: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا<sup>(5)</sup>.

وقد قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة التي فعلها عند دخوله المسجد الحرام وهي الأضطباط والهرولة، ورفع الأصوات بالتلبية، أن يرهب قريشاً، وأن يظهر لها قوة المسلمين وعزيمتهم وتمسكهم بدينهم، ومناعة جيئتهم، وقد أثر هذا الأسلوب في نفوس المشركين<sup>(6)</sup>. وبهذا الأسلوب النبوى الكريم أغاظ الرسول صلى الله عليه وسلم المشركين وكايدهم، فقد كان صلى الله عليه وسلم يتقرب إلى الله بمكاييدهم وإغاظتهم، ففي غزوة أحد أذن صلى الله عليه وسلم لأبي دجانة أن يمشي متباخراً أمام المشركين لإظهار عزة المؤمن؛ ولأن ذلك يغيظ المشركين، وزيادة في إغاظتهم كان يليس العصابة الحمراء دون أن يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك. وفي غزوة الحديبية ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهدى جمل أبي جهل الذي غنمته في بدر، ليراه المشركون فيزدادوا غيطاً حين يذكرون مصارع قتلاهم وذل أسراهم، وهذا هو ذا صلى الله عليه وسلم يأمر المسلمين في عمرة القضاء بإظهار التجلد والهرولة لإغاظتهم ومكاييدهم ورد كيدهم في نحورهم<sup>(7)</sup>، وقد ذكر ابن القيم: (بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكيد المشركين بكل ما يستطيع)<sup>(8)</sup>.

فهذه حرب نفسية شنها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين وقد أكلتها، ولقد أقام الرسول في مكة ثلاثة أيام، ومعه المسلمون يرفعون راية التوحيد، ويطوفون بالبيت العتيق، ويرفعون الأذان ويفيمون الصلاة ويصلّي بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

(?) انظر: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص 314.

1

2

3

4

5

6

7

8

(?) أضعفتهم، كتاب المغازى، (5/6)، رقم 4256.

(?) الأضطباط: هو أن يدخل بعض رداءه تحت عضده اليمنى و يجعل طرفه على منكبه.

(?) صحيح السيرة النبوية، ص 481.

(?) انظر: منهج الإعلام، ص 315.

(?) انظر: صلح الحديبية لأبي فارس، ص 282.

(?) انظر: زاد المعا德 (3/371).

الصلوات الخمس في جماعة، وكان بلال بن رياح بصوته الندي يرفع الأذان من على ظهر الكعبة، فكان وقوعه على المشركين كالصاعقة<sup>(1)</sup>.

ولم ينس **صلى الله عليه وسلم** مجموعة الحراسة التي كانت تحرس الأسلحة والإعتاد بأن يرسل من يقوم بهمهمتهم ممن طاف وسعى مكانهم، وبأتي هؤلاء ليؤدوا النسك، فقد كان **صلى الله عليه وسلم** يتعامل مع نفوس يدرك حقيقة شوتها لبيت الله الحرام، وما جاءت للمرة الثانية وقطعت هذه المسافة الشاسعة إلا لتثال هذا الشرف، وتبل هذا الطما، فتتطوف مع الطائفين وتسعى مع الساعين، فعمل **صلى الله عليه وسلم** على مرأءة النفوس، وساعدها ولبى مطالبها من أجل إصلاحها والرقي بها، إنه من منهج النبوة في التربية<sup>(2)</sup>.

### **ثالثاً: زواجه من أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث:**

كانت ميمونة، أخت أم الفضل، زوجة العباس بن عبد المطلب فتاة في السادسة والعشرين، قد جعلت أمر زواجها بعد وفاة زوجها أبو رهم بن عبد العزى إلى اختها أم الفضل، فجعلته أم الفضل إلى زوجها العباس، فزوجها العباس من ابن أخيه النبي **صلى الله عليه وسلم** وأصدقها عنه أربعيناء درهم<sup>(3)</sup>، وهي حالة عبد الله بن عباس، وخالد بن الوليد، ولما انقضت ثلاثة أيام، التي نص عليها عهد الحديبية، أراد النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يتزوج من زواجه من ميمونة وسيلة لزيادة التفاهم بينه وبين قريش، فجاءه سهيل بن عمرو، وحيط了 بن عبد العزى، موذفين من نفر من قريش فقالوا: إنه قد انقضى أجلك، فاخرج علينا، فقال النبي **صلى الله عليه وسلم** كما ذكر ابن إسحاق: «**وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعوا لكم طعاماً فحضرتموه؟».**

قالوا: لا حاجة لنا في طعامك فاخرج علينا<sup>(4)</sup>.

فخرج، وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة حتى أتاها بها في بسرف (موقع قرب التنعيم) فبني بها هناك<sup>(5)</sup>، وهي آخر من تزوج الرسول **صلى الله عليه وسلم** من نسائه، وأخر من مات من نسائه بعده، وأنها ماتت ودفنت بسرف، فمكان عرسها هو مكان دفنها، فرضي الله عنها وأرضها<sup>(6)</sup>.

وفي زواج رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بميمونة مسألة فقهية اختلف الفقهاء فيها وهي هل تزوج **صلى الله عليه وسلم** بميمونة وهو

1 (؟) انظر: صلح الحديبية لأبي فارس، ص 270.  
2 (؟) صلح الحديبية لأبي فارس، ص 277.

3 (؟) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 326.

4 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام، (4/19).

5 (؟) نفس المصدر (4/19).

6 (؟) انظر: هذا الحبيب محمد يا محب، للجزائري، ص 375.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

محرم (عقد نكاحها عليها فقط) أو عقد عليها بعد التحلل<sup>(1)</sup>, وقد أجاد الفقهاء في تفصيلها.

#### رابعاً: التحاق بنت حمزة بن عبد المطلب بركب المسلمين:

لقد تغيرت النقوص والعقود بتأثير الإسلام تغيراً عظيماً، فعادت البنت -التي كان يتعير بها أشراف العرب، وجرت عادة وأدتها في بعض القبائل فرأوا من العار، وزهدوا في البنات- حبيبة يتناقض في ترتيبها المسلمين، وكانوا سواسية، لا يرجع بعضهم على بعض إلا بفضل أو حق<sup>(2)</sup>, فلما أراد النبي صلى الله عليه وسلم الخروج من مكة، تبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم، يا عم، فتناولها علي فأخذ بيدها، وقال لفاطمة -رضي الله عنها:- دونك ابنة عمك، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر.

قال علي: أنا أخذتها وهي بنت عمي، وقال جعفر: هي ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لحالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم»، وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك» وقال لجعفر: «أشبهت حلقتي وحلقتي» وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا» وقال علي لزيد: ألا تتزوج بنت حمزة، قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة<sup>(3)</sup>.

#### وفي هذه القصة دروس وعبر وأحكام وفوائد منها:

- 1- الخالة بمنزلة الأم.
- 2- الخالة تقدم على غيرها في الحضانة إذا لم يوجد الأبوان.
- 3- تزكية رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعفر بن أبي طالب ووصفه له بقوله: أشبهت حلقتي وحلقتي.
- 4- منقبة علي: تأمل قوله صلى الله عليه وسلم: أنت مني وأنا منك، والمعنى أنت مني وأنا منك في النسب والصهر والسابقة والمحبة.
- 5- منقبة زيد بن حارثة: يقول له الرسول: أنت أخونا ومولانا؛ لأنه كان أخاً لحمزة بن عبد المطلب، فقد أخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينهما، وهو باجتهاده يريد أن يكون عليه ما على الأخ الشقيق من واجبات، والواجب هنا يكون ولائياً على بنت حمزة<sup>١</sup>.
- 6- الخالة تقدم على العمدة في الحضانة: لقد حكم النبي صلى الله عليه وسلم إلى زوجة جعفر بالحضانة وعمتها صفية بنت عبد المطلب حية موجودة.
- 7- زواج المرأة لا يسقط حقها في الحضانة: فقد حكم الرسول

<sup>1</sup> (؟) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص 258.

<sup>2</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 321.

<sup>3</sup> (؟) البخاري، كتاب المغازي (5/100)، رقم 4215.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

**صلى الله عليه وسلم** بالحضانة لخالة بنت حمزة وهي متزوجة من جعفر بن أبي طالب<sup>١</sup>.

8- لا بد من موافقة الزوج على حضانة زوجته لابنة اختها؛ لأن الزوجة محتسبة لمصلحته ومنفعته، والحضانة قد تفوت هذه المصلحة جزئياً، فلا بد من استئذانه، وللاحظ هنا أن جعفر بن أبي طالب قد طالب بحضانة بنت عمه حمزة لخالتها وهي زوجة له، فدل على رضاه بذلك.

9- إن الطفل إذا رضع مع عمه يصبح أخاً له في الرضاعة، وتصبح بناته كلها بنات أخيه في الرضاعة، فيحرم عليه نكاحهن<sup>(١)</sup>.

**خامسًا: أثر عمرة القضاء على الجزيرة وإسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة:**

لقد كان تأثير هذه العمرة على قريش وعلى عرب الجزيرة تأثيراً بالغاً، فقد حملت في مضمونها مهمة دعوية عظيمة، ولقد تأثر أهل مكة من هذه العمرة السلمية.

يقول اللواء محمود شيت خطاب: (أثرت عمرة القضاء في هذه الفترة على معنويات قريش تأثيراً كبيراً، فقد وقف الكثير من قريش عند دار الندوة بمكة، كما عسّر آخرون فوق الهضاب المحيطة بها ليشهدوا دخول الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال: «رحم الله امراً أراهم اليوم من نفسه قوة»، ثم استلم الركن وأخذ يهرب وأصحابه معه، فلم يكدر يترك الرسول صلى الله عليه وسلم مكة، حتى وقف خالد ابن الوليد يقول في جمع من قريش: لقد أستبان لكل ذي عقل أن محمداً ليس بساجر ولا شاعر، وإن كلامه من كلام رب العالمين، فحق كل ذي لب أن يتبعه، وسمع أبو سفيان بما كان من قول خالد بن الوليد، فبعث في طلبه، وسأله عن صحة ما سمع، فاكد له خالد صحته، فاندفع أبو سفيان إلى خالد في غضبه، فحجز عنه عكرمة وكان حاضراً، وقال: مهلاً يا أبو سفيان، فوالله خفت للذى خفت أن أقول مثل ما قال خالد وأكون على دينه، أنتم تقتلون خالداً على رأي راه، وهذه قريش كلها تباعيتك عليه، والله لقد خفت إلا يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلهم.

وأسلم من بعد خالد بن الوليد عمرو بن العاص، وحارس الكعبة نفسها عثمان بن طلحة، بل وظهر الإسلام في كل بيت من قريش سراً وعلانية، وبهذه النتيجة الطيبة يمكينا القول بأن عمرة القضاء هذه قد فتحت أبواب قلوب أهل مكة قبل أن يفتح المسلمون أبواب مكة نفسها)<sup>(٢)</sup>.

<sup>1</sup> (?) انظر: زاد المعاد فيه تفصيل كثير (3/374، 375)، صلح الحديبية لأبي فارس، 286، 287.

<sup>2</sup> (?) انظر: الرسول القائد، ص 209، 210. (3) انظر: عبقرية محمد، ص 69. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

ويقول الأستاذ عباس العقاد: (... وحسبك أن عمرة القضاء هذه قد جمعت في أثارها من أسباب الإقناع بالدعوة المحمدية ما أقنع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وهما في رجاحة العقل والخلق مثلان متكافئان يحتذى بهما<sup>(1)</sup>).

### 1- إسلام عمرو بن العاص ::

وينترك عمرو بن العاص يحدثنا عن إسلامه، حيث قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور على منكراً، وإنني قد رأيت أمراً، مما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنحاشي، فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النحاشي، فإننا أن تكون تحت يديه أحب إلينا من أن تكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خيراً، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجتمعوا لنا ما نهديء له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم<sup>(2)</sup>، فجمعنا له أدمًا كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنما لعنهه إذ جاءه عمرو بن أمية الصمرى، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الصمرى، لو دخلت على النحاشي، وسألته إيه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني أجزأت عنها<sup>(3)</sup>، حيث قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً صديقي، أهديت إلى من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدمًا كثيراً، قال: ثم قررته إليه فأعجبه وأشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك إنني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطيته لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة طننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سالتكم، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل ياتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لقتله قال: قلت: أيها الملك أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله على الحق، ولبيظeren على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبأيعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت على أصحابي إسلامي ثم خرجت عامداً إلى رسول الله لاسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم<sup>(4)</sup>، وإن

2 (؟) الأدم: الجلد.  
3 (؟) أجزاء عنها: كفيتها.  
4 (3) استقام المنسم: تبيان الطريق ووضع.

الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم، قال: فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد، فأسلم، وبابع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أبابيعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عمرو، بابع فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها» قال: فبأياعته ثم انصرفت<sup>(1)</sup>. وفي رواية قال: فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: أبسط يمينك فلأبابيعك، فببسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «مالك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أنأشترط، قال: «تشترط بمماد؟» قلت: أن يغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»<sup>(2)</sup>.

## 2- إسلام خالد بن الوليد :

وهذا خالد بن الوليد يحدثنا عن قصة إسلامه فيقول: .. لما أراد الله بي من الخير ما أراد قذف في قلبي حب الإسلام وحضرني رشدي، وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد، فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيء وأن محمداً سيظهر، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية خرجت في خيل المشركين فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بعسفان، فقمت بإزاره وتعرضت له، وكانت فيه خيرة- فاطلعت على ما في أنفسنا من الهموم فقلت: بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف، فوقع ذلك مبني موقعاً وقلت: الرجل ممنوع، وافترقنا وعدل عن سنن خيلنا وأخذ ذات اليمين، فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعته قريش بالروح قلت في نفسي: أي شيء بقي؟ أين المذهب إلى النجاشي؟ فقد اتبع محمداً، وأصحابه أمنون عنده، فاخرج إلى هرقل؟ فاخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية، فأقيم مع عجم تابعاً، أو أقيم في داري فيمن بقي؟ فانا على ذلك أذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضية، فتغييت فلم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد قد دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية، فطلبني فلم يجدني فكتب إلى كتاباً فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فاني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلتك عقلك، ومثل الإسلام جهله أحد؟ وقد سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك فقال: أين خالد؟ فقلت: يأتي الله به؟ فقال: ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته

<sup>1</sup> (؟) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 494.

<sup>2</sup> (؟) مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، رقم 121.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

**وَجَدَهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَقَدْ مَنَاهُ عَلَى  
غَيْرِهِ، فَاسْتَدِرَكَ يَا أخِي مَا فَاتَكَ، فَقَدْ فَاتَكَ مَوَاطِنَ صَالِحةَ.**

قال: فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج، وزادنى رغبة في الإسلام وسرني مقالة رسول الله، قال خالد: وأرى في النوم كاني في بلاد ضيقه جديبة، فخرجت إلى بلد أخضر واسع، فقلت: إن هذه لرؤيا.. فلما قدمت المدينة قلت: لأذكرنها لابي بكر، قال: فذكرتها فقال: هو مخرجك الذي هداك الله للإسلام، والضيق الذي كنت فيه من الشرك، فلما أجمعت للخروج إلى رسول الله قلت: من أصحاب إلى رسول الله؟ فلقيت صفوان بن أمية فقلت: يا أبا وهب، أما ترى ما نحن فيه؟ إنما نحن أكلة رأس<sup>(1)</sup>، وقد ظهر محمد على العرب والعجم، فلو قدمنا على محمد فاتبعناه فإن شرف محمد على العرب، فابن أشد الإباء، وقال: لو لم يبق غيري من قريش ما اتبعته أبداً، فافتقرنا، وقلت: هذا رجل موتوه يطلب وترأ، قد قتل أبوه وأخوه بيدر، فلقيت عكرمة بن أبي حهل فقلت له مثل الذي قلت لصفوان، فقال لي مثل ما قال صفوان، فلقيت عثمان بن طلحة، قلت: فاطوا ما ذكرت من قُتل من آبائه فكرهت ذكره، ثم قلت: وما عليّ واني راحل من ساعتي، فذكرت له ما صار الأمر إليه فقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في حجر، لو صب عليه ذنب<sup>(2)</sup> من ماء لخرج، قال: وقلت له نحو ما قلت لصاحبيه، فاسرع في الإجابة، وقال: لقد غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو، وهذه راحلتي بضم مناخة، قال: فاتعدت أنا وهو بياجح، إن سبقني أقام وإن سبقته أقمت عليه، قال: فأدخلنا سحرًا فلم يطلع الفجر حتى التقينا بياجح، فعدونا حتى انتهينا إلى الهدة، فنجد عمرو بن العاص بها، فقال: مرحبا بالقوم، فقلنا: وبك، قال: مسيركم؟ قلنا: ما أخرجك؟ قال: فما الذي أخرجكم؟ قلنا: الدخول في الإسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم قال: وذلك الذي أقدمني.

قال: فاصطحبنا جميعاً حتى قدمنا المدينة فأنخنا بظاهر الحرة ركابنا، فأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بنا، فلبست من صالح ثيابي، ثم عمدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيت أخي فقال: أسرع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر بك فسر بقدومك وهو ينتظركم، فاسرعت المشي فطلعت عليه، فما زال يتبسّم إلى حتى وقف عليه، فسلمت عليه بالتيبة فرد على السلام بوجه طلق، فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقال: «الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقولاً رجوبًا  
يسلّمك إلا إلى خير» قلت: يا رسول الله قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً عن الحق، فادع الله أن يغفرها لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام يجب ما كان قبله» قلت:

<sup>1</sup> (؟) أي هم قليل يشبعهم رأس واحد، وهو جمع أكل. (2) الذنب: الدلو العظيمة.

يا رسول الله، على ذلك؟ فقال: «اللهم اغفر لخالد كل ما أ وضع فيه من صد عن سبيلك» قال خالد: وتقدم عمرو، وعثمان فبایعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قدومنا في صفر سنة ثمان، فوالله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم أسلمت يعدل بي أحد من أصحابه فيما حزبه<sup>(1)</sup>.

### وفي إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما دروس ولطائف وعبر منها:

أ- غضبة النجاشي تدل على صدق إيمانه وحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحبه للمسلمين، وصدق النجاشي كان له أثر في إيمان عمرو بن العاص، ودخوله في الإسلام، وبذلك نال النجاشي أجراً عظيماً حيث جذب إلى الإسلام رجلاً من عظماء قريش<sup>(2)</sup>.

ب- كان إسلام عمرو بن العاص نصراً كبيراً للإسلام، والمسلمين فقد سخر عقله الكبير ودهاءه العظيم لصالح دعوة الإسلام، وخسر الكفار بإسلامه خسارة كبيرة؛ لأنهم كانوا يعودونه لعطائمن الأمور التي تحتاج إلى دهاء ومقدرة على التأثير وخاصة فيما يتعلق بعدائهم مع المسلمين<sup>(3)</sup>.

ج- أدرك خالد بن الوليد أن العاقبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمل قوله: لقد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أنني موضع في غير شيء، وأن محمدًا سيظهر<sup>(4)</sup>، وفي هذا عبرة لكل الذين يحاربون الإسلام<sup>(5)</sup>.

د- الاهتمام بالبشر طريق من طرق التأثير عليهم، وكسبهم إلى الصد المُؤمن ولذلك قال رسول الله للوليد بن الوليد: ما مثل خالد يجهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ولقدمناه على غيره<sup>(6)</sup>، وكانت لهذه الكلمات البليغة أعظم الأثر في تحول قلب خالد وتوجهه نحو الإسلام، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّاً في مخاطبة النفوس والتأثير عليها، فلقد أدرك مواهب خالد في القيادة والزعامة فوعد بتمكينه من ذلك وتقديمه على غيره في هذا المضمار، ومدح صلى الله عليه وسلم سداد رأيه ورحمة عقله، ونصح فكره، فانتزع صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمات كل الجوانب التي تجعل خالداً يظل على الشرك الذي

1

2

3

4

5

(?) انظر: البداية والنهاية (240، 4/239)، التاريخ الإسلامي، (7/95).

(?) انظر: التاريخ الإسلامي (90/7).

(3) نفس المصدر (91/7).

263

(?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (7/95). (5) نفس المصدر، (7/95).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

لم يكن مقتنعاً به إلا بمقدار ما حصل له فيه من قيادة وتصدر، فلما كان ما هيأه له المشركون سيحصل له إذا دخل في الإسلام، واطمأن بأنه لو أسلم لن يكون في آخر القائمة، ولن يكون مهملاً، يشجعه ذلك على التغلب على وساوس إبليس، ورجح ما اطمأن إليه نفسه من الميل إلى الإسلام فعمز على الدخول فيه. لقد كان إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد قوة للإسلام وضعفاً للشرك، وكتب الله على أيديهما صفحات مبشرقة من تاريخ المسلمين الجهادي أصبحت باقية في ذاكرة الأمة وتاريخها المجيد على مر الدهور وكر العصور، توالى

\* \* \*

الأزمان<sup>(1)</sup>.

---

<sup>1</sup> (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (7/96).  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## المبحث الرابع سورية مؤتة (٨٥هـ)

### أولاً: أسبابها وتاريخها:

أشعل عرب الشام فتيل الصراع بين المسلمين والبيزنطيين، فقد دأبت قبيلة كلب من قبائل التي كانت تنزل على دومة الجندل على مضائق المسلمين، وحاولت أن تفرض عليهم نوعاً من الحصار الاقتصادي عن طريق إيقاعها للتجار الذين كانوا يحملون السلع الضرورية من الشام إلى المدينة، ولذلك غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيلة كلب بدومة الجندل سنة (٥٥هـ) لكنه وجدهم قد تفرقوا، كما أن رجالاً من جذام ولخم قطعوا الطريق على دحية بن خليفة الكلبي عند مروره بجسمى بعد إنحازه لمهمة أناطها به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستلبوه كل ما معه، فكانت سرية زيد بن حارثة إلى حسمى في سنة ٦٦هـ، وبصاف إلى ذلك أيضاً ما قامت به قبيلتنا مذحج وقبائلة من اعتداء على زيد بن حارثة وصحبه في العام المذكور (٦٦هـ)، وذلك عندما ذهبوا إلى وادي القرى في بغرة بغرض الدعوة إلى الله، وبعد صلح الحديبية أخذ هذا المسلك العدواني يأخذ منحنى أكثر خطورة<sup>(١)</sup>، بعد مقتل الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله إلى حاكم (بصرى) التابع لحاكم الروم، فقد قام شريحيل بن عمرو الغساني بضرب عنق رسول الله، ولم تجر العادة بقتل الرسل والسفراء، كما أن الحارث بن أبي شمر الغساني حاكم دمشق أساء استقبال مبعوث رسول الله وهدد بإعلان الحرب على المدينة، ثم حدث بعد ذلك بما يزيد قليلاً عن العام أن بعث رسول الله سرية بقيادة عمرو بن كعب الغفارى ليدعوه إلى الإسلام في مكان يقال له (ذات أطلاح) فلم يستجب أهل المنطقة إلى الإسلام وأحاطوا بالدعاة من كل مكان وقاتلوا حتى قتلوا هم جميعاً إلا أميرهم، كان جريحاً فتحامل على جرحه حتى وصل إلى المدينة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>، وقد قام نصارى الشام بزعامة الإمبراطورية الرومانية بالاعتداءات على من يعتنق الإسلام أو يفكر بذلك، فقد قتلوا والي معان حين أسلم، وقتل والي الشام من أسلم من عرب الشام<sup>(٣)</sup>.

كانت هذه الأحداث المؤلمة وبخاصة مقتل سفير رسول الله الحارث بن عمير الأزدي، محركة لنفوس المسلمين، وباعثة لি�ضعوا حداً لهذه التصرفات النصرانية العدوانية، ويتشاروا لإخوانهم في العقيدة

1. (?) انظر: المسلمين والروم في عصر النبوة، عبد الرحمن أحمد سالم، ص 87.

2. (?) انظر: تاريخ الطبرى (٣/١٠٣).

3. (?) انظر: خاتم النبيين (٢/١١٣٩) نقل عن الصراع مع الصليبيين لأبي فارس، ص 20.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الذين سُفِّكَت دمائُهُم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ونبينا محمد رسول الله<sup>(1)</sup>. كما أن تأديب عرب الشام التابعين للدولة الرومانية والذين أبوا على استفزاز المسلمين وتحديهم وارتکاب الجرائم ضد دعاتهم أصبح هدفاً مهماً، لأن تحقيق هذا الهدف معناه فرض هيبة الدولة الإسلامية في تلك المناطق بحيث لا تتكرر مثل هذه الجرائم في المستقبل، وبحيث يأمن الدعاة المسلمين على أنفسهم ويأمن التجار المتعددون بين الشام والمدينة من كل أذى يحول دون وصول السلع الضرورية إلى المدينة<sup>(2)</sup>.

وفي سنة 8هـ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهز للقتال، فاستجابوا للأمر النبوى وحشدوا حشوداً لم يحشدوها من قبل، إذ بلغ عدد المقاتلين في هذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل، واختار النبي صلى الله عليه وسلم للقيادة ثلاثة أمراء على التوالي: زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله بن رواحة<sup>(3)</sup>، فقد روى البخاري في صحيحه بإسناده إلى عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن قتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة<sup>(4)</sup>.

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش الإسلامي أن يأتوا المكان الذي قتل فيه الحارث بن عمير الأزدي وأن يدعوا من كان هناك إلى الإسلام فإن أجابوا فبها ونعمت، وإن أبوا استعينوا بالله عليهم وقاتلواهم<sup>(5)</sup>.

وقد زود الرسول صلى الله عليه وسلم الجيش في هذه السرية وغيرها من السرايا بوصايا تتضمن آداب القتال في الإسلام<sup>(6)</sup>، فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بقوله: «أوصيكم بتقوى الله وبيمن معكم من المسلمين خيراً، اغزوا باسم الله، في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدوا ولا تقتلوا وليداً، ولا امرأة ولا كبراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقربوا نخلاً، ولا تقطعوا شجرًا، ولا تهدموا بناء، وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوههم إلى إحدى ثلاث: إما الإسلام، وإما الجزية، وإما الحرب...»<sup>(7)</sup>.

## ثانيًا: وداع الجيش الإسلامي:

- 
- (?) انظر: الصراع مع الصليبيين لأبي فارس، ص 20.  
 (?) انظر: المسلمين والروم في عصر النبوة، ص 89.  
 (3) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 20.  
 (?) البخاري، كتاب المغازى (5/102) رقم 4261. (5) انظر: السيرة الخلية (2/787).  
 (?) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 21. (7) انظر: المغازى (7/757,75).  
 (8)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

لما تجهز الجيش الإسلامي وأتم استعداده، توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يودعون الجيش، ويرفعون أكف الصراعة لله عز وجل أن ينصر إخوانهم المجاهدين، لقد سلموا عليهم وودعوهم بهذا الدعاء: دفع الله عنكم وردمكم صالحين<sup>(1)</sup>.

ولما ودع الناس عبد الله بن رواحة وسلموا عليه بكى وانهمرت الدموع من عينيه ساخنة غزيرة، فتعجب الناس من ذلك، وقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: والله ما بي حب الدنيا وصباية، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار (إِنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارْدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتَّمًا مَفْصِّلًا) [مريم: 71]، فلست أدرى كيف بي بالصدر بعهد الورود، فقال لهم المسلمين: صحبكم الله ودفع عنكم، وردمكم إلينا صالحين، فقال عبد الله بن رواحة:

وضربة ذات فراغ تقذف بحربة تنفذ الأحشاء والكبد	لكني أسأل الرحمن مغفرة أو طعنة بيدي حران مجهرة
رشدا <sup>(2)</sup>	حتى يقولوا إذا مروا على

وودع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة، فقال ابن رواحة يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم:	يثبت الله ما آتاك من حسن
تشبيت موسى ونصراً كالذي	إني تفرست فيك الخير
فراسة خالفتهم في الذي	إذاً أنت الرسول فمن يحرم
القدر <sup>(3)</sup>	

### ثالثاً: الجيش يصل إلى معان واستشهاد الأمراء الثلاثة:

لما وصل الجيش الإسلامي إلى معان من أرض الشام - وهي الآن محافظة من محافظات الأردن - بلغه أن النصارى الصليبيين من عرب وعجم قد حشدوا حشوداً ضخمة لقتالهم، إذ حشدت القبائل العربية مائة ألف صليبي من لخم وحذام وبهراء ويلى، وعينت لهم قائداً هو مالك بن رافلة، وحشد هرقل مائة ألف نصراني صليبي من الروم فبلغ الجيش مائتي ألف مقاتل، مزودين بالسلاح الكافي يرفلون في الدبياج ليتباه المسلمون بهم وبقوتهم<sup>(4)</sup>، ولقد قام المسلمون في معان يومين يتشارون في التصدي لهذا الحشد الضخم فقال بعضهم: نرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة نخبره

<sup>1</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/21).

<sup>2</sup> (؟) انظر: مغاربي رسول الله لعروة بن الزبير، ص 204، 205.

<sup>3</sup> (؟) انظر: شرح المواهب اللدنية (2/271). <sup>4</sup> (5) انظر: زاد المعاد (3/382).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

بحشود العدو، فإن شاء أمدنا بالمدد، وإن شاء أمرنا بالقتال<sup>(1)</sup>، وقال بعضهم لزيد بن حارثة قائد الجيش: وقد وطئت البلاد وأخفت أهلها، فانصرف فإنه لا يعدل العافية شيء<sup>(2)</sup>، ولكن عبد الله بن رواحة حسم الموقف بقوله: (يا قوم، والله إن الذي تكرهون للذى خرجم تطلبون؛ الشهادة! وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقو فائما هي أحدي الحسينين: أما طهور، وأاما شهادة، فاللهبت كلماته مشاعر المجاهدين، وإندفع زيد بن حارثة بالناس إلى منطقة مؤتة جنوب الكرك يسير حيث أثر الاصطدام بالروم هناك، فكانت ملحمة سحل فيها القادة الثلاثة بطولة عظيمة انتهت باستشهادهم<sup>(3)</sup>، فقد استبسّل زيد بن حارثة وتوجّل في صفوف الأعداء وهو يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاطئ في رماح القوم<sup>(4)</sup>.

ثم أخذ الراية جعفر وابنبرى يتصدى لجموع المشركين الصليبيين، فكثفوا حملاتهم عليه، وأحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم، فلم تلن له قناة، ولم تهن له عزيمة، بل استمر في القتال، وزيادة في الإقدام ونزل عن فرسه وعقرها، وأخذ ينشد:

يا حبذا الجنة واقترباها  
طيبة وباردا شرابها

والروم روم قد دنا عذابها  
كافرة بعيدة أنسابها

عليّ إذا لقيتها ضرابها<sup>(5)</sup>

لقد أخذ اللواء بيده اليمنى فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه وانحنى عليه حتى استشهد وهو ابن ثلات وثلاثين سنة، ولقد أثخن بالجراح إذ بلغ عدد جراحه تسعين بين طعنة برم أو ضربة بسيف أو رمية بسهم، وليس من بينها جرح في ظهره بل كلها في صدره<sup>(6)</sup>.

روى الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه بإسناده إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - قال: كنت في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضمعاً وتسعين من طعنة أو رمية<sup>(7)</sup>.

(?) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (1/396). 2

(?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/468). 3

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/25). 4

(3) المصدر نفسه (4/26). 5

(?) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 58. (5) البخاري، كتاب المغاربي (4/102 رقم 4261). 6

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ولقد عوض اللهم -تبارك وتعالى- جعفر بن أبي طالب ﷺ وأكرمه على شجاعته وتضحيته بأن جعل له جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء، فقد روى البخاري في صحيحه بأسناده إلى عامر قال: كان ابن عمر إذا حيا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين<sup>(8)</sup>.

وبعد استشهاد جعفر بن أبي طالب استسلم الراية عبد الله بن رواحة الأنصاري ﷺ وامتنطى جواده، وهو يقول:  
أقسمت يا نفس لتنزله لتنزلن أو لتكرهنه

ما لي أراك تكرهين الجنة  
الرنة<sup>(3)</sup>

هل أنت إلا نطفة في شنة  
قد طال ما قد كنت مطمئنة

هذا حمام الموت قد صليت  
يا نفس إلا تقتلني تموتي

إن تفعلي فعلهما هديت<sup>(4)</sup>  
وما تمنيت فقد أعطيت

ويذكر أن ابن عم عبد الله بن رواحة قد قدم له قطعة من لجم وقال له: شد بهذا صلبك، فإنك لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذها من يده ثم انتهى منه نهساً، ثم سمع جلبة وزخاماً في جبهة القتال، فقال يخاطب نفسه: وانت في الدنيا؟ ثم ألقى قطعة اللحم من يده وتقى يقاتل العدو حتى استشهد ﷺ، وكان ذلك في آخر النهار<sup>(5)</sup>.

#### رابعاً: المسلمين يختارون خالد بن الوليد قائداً:

ولما استشهد عبد الله بن رواحة ﷺ، وسقطت الراية من يده فالتحق بها ثابت بن أقمر بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي الأنصاري، وقال: يا معاشر المسلمين اصطلحوا على خالد بن الوليد<sup>(6)</sup>. قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد<sup>(6)</sup>. وجاء في إمتناع الأسماع أن ثابت بن أقمر نظر إلى خالد بن الوليد فقال: خذ اللواء يا أبا سليمان، فقال: لا أخذمه، أنت أحق به، أنت رجل لك سن، فقد شهدت بدرًا، فقال ثابت: خذه أيها الرجل، فوالله ما أخذته إلا لك، فأخذه خالد بن الوليد<sup>(7)</sup>. وأصبحت الخطة الأساسية المنوطة بخالد في تلك الساعة العصبية من القتال، أن ينقد المسلمين من الهلاك الجماعي، وبعد أن قدر الموقف واحتتمالاته المختلفة قدرًا دقيقًا، ودرس ظروف المعركة درسًا وافيًا وتوقع

8 (?) البخاري، كتاب المعازى، 5/103 (5) رقم 4264.  
2 (?) إن أجلب الناس: صاحوا واجتمعوا. (2) الرنة: صوت تربيع شبه الكاء.

4 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (27)، (4) انظر: الصرع مع الصليبيين، ص 61.

6 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، (4/27). (6) انظر: إمتناع الأسماع (349، 1/348).

هديّة الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

نتائجها، اقتنع بأن الانسحاب بأقل خسارة ممكنة هو الحل الأفضل، فقوة العدو تبلغ (66) ضعفًا لقوة المسلمين، فلم يبق أمامه هؤلاء إلا الانسحاب المنظم وعلى هذا الأساس وضع خالد الخطة التالية:

**أ-** الحيلولة بين جيش الروم وجيش المسلمين، ليضمن لهذا الأخير سلامة الانسحاب.

**ب-** لبلوغ هذا الهدف، لا بد من تصليل العدو بإيهامه أن مدداً ورد إلى جيش المسلمين فيخفف من ضغطه وهجماته، ويتمكن المسلمون من الانسحاب، وصمد خالد حتى المساء عملاً بهذه الخطة، وغير في ظلام الليل مراكز المقاتلين في جيشه، فاستبدل الميمنة باليسرة، ومقعدة القلب بالمؤخرة، وفي أثناء عملية الاستبدال أصطنع صحة صاحبة وجلبة قوية، ثم حمل على العدو، عند الفجر، بهجمات سريعة متتالية وقوية ليدخل في روعه إن إمدادات كثيرة وصلت إلى المسلمين<sup>(1)</sup>.

ونجحت الخطة؛ إذ بدا للعدو صياغاً أن الوجوه والرایات التي تواجهه جديدة لم يرها من قبل، وأن المسلمين يقومون بهجمات عنيفة، فأيقن أنهم تلقوا إمدادات، وأن جيشاً جديداً نزل إلى الميدان، وكان البلاء الحسن الذي أبلاه المسلمين قد فت في عضد الروم وخلفائهم، فأدركوا أن أحراز نصر حاسم ونهائي على المسلمين أمر مستحيل، فتخاذلوا وتقاعسوا عن متابعة الهجوم، وضعف نشاطهم واندفعهم، فخف الضغط عن جيش المسلمين، وانتهز خالد الفرصة فباشر الانسحاب، وكانت عملية التراجع التي قام بها خالد في أثناء معركة (مؤته) من أكثر العمليات في التاريخ العسكري مهارة ونجاحاً، بل إنها تتفق وتتلاءم مع التكتيك الحديث للانسحاب، فقد عمد خالد إلى سحب الجنادين بحماية القلب، ولما أصبح الجناديان يمنى عن العدو، وفي مأمن منه، عمد إلى سحب القلب بحماية الجنادين، إلى أن تمكن وضمن سلامة الانسحاب كلّياً<sup>(2)</sup>، ويقول المؤرخون: إن خسارة المسلمين لم ت تعد الثانية عشر قتيلاً في هذه المعركة، وأن خالداً قال: (لقد انقطع في يدي يوم مؤته تسعة أسياف، مما بقي إلا صفيحة يمانية)<sup>(3)</sup>.

ويمكن القول إن خالداً بخطته تلك، قد أنقذ الله المسلمين به من هزيمة ماحقة وقتل محقق، وأن انسحابه كان قمة النصر بالنسبة إلى طروف المعركة، حيث يكون الانسحاب في ظروف مماثلة أصعب حركات القتال، بل أجدها وانفعها<sup>(4)</sup>.

### خامسًا: معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم وموقف أهل

1 (?) البداية والنهاية (4/247)، الواقدي (2/764).

2 (?) انظر: معارك خالد بن الوليد، د. ياسين سويد، ص 173.

3 (?) البخاري، كتاب المعازى (5/103) رقم 4266. (4) انظر: معارك خالد بن الوليد، ص 175.

4 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ظهرت معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم في أمر هذه السرية، فقد نهى المسلمين في المدينة زيداً وجعفرًا وابن أبي رواحة قبل أن يصل إليه خبرهم، وحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقع للسرية وذرفت عيناه الدموع، ثم أخبرهم بتسلمه خالد الراية، ويشيرهم بالفتح على يديه وأسماه سيف الله<sup>(1)</sup>، وبعد ذلك قدم من أخبرهم بأخبار السرية، ولم يزد عمّا أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(2)</sup>.

ولما دنا الجيش من حول المدينة، تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، ولقيهم الصبيان ينشدون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة فقال: خذوا الصبيان وأحملوهم، وأعطوني ابن جعفر، فاتي بعيد الله، فأخذه فحمله على يديه، وجعل الناس يحتون على الجيش التراب ويقولون: يا فرار، أفررتם في سبيل الله، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليسوا بالفرار، ولكنهم الكلّار إن شاء الله تعالى<sup>(3)</sup>.

وإن الإنسان ليتعجب من هذه التربية النبوية التي صنعت من الأطفال الصغار، رجالاً وأبطالاً، يرون العودة من المعركة دون شهادة في سبيل الله، فراراً من سبيل الله، لا يكادون عليه إلا بحثو التراب في وجوههم، فأين شبابنا المتسلكون في الشوارع، من هذه النماذج الرفيعة من الرجولة الفذة المبكرة؟ ولن تستطيع الأمة أن ترتفع إلى هذه الأهداف النبيلة والقمم الشوامخ إلا بال التربية الإسلامية الجادة القائمة على المنهاج النبوى الكريم<sup>(4)</sup>.

### سادساً: دروس وعبر وفوائد:

في هذه الغزوة دروس وعبر كثيرة منها:

**1- أهمية هذه المعركة:** تعتبر هذه المعركة من أهم المعارك التي وقعت بين المسلمين وبين النصارى الصليبيين من عرب وعجم؛ لأنها أول صدام مسلح ذي بال بين الفريقين، وأثرت تلك المعركة على مستقبل الدولة الرومانية، فقد كانت مقدمة لفتح بلاد الشام وتحريرها من الرومان. ونستطيع أن نقول إن تلك الغزوة هي خطوة عملية قام بها النبي صلى الله عليه وسلم للقضاء على دولة الروم المتغيرة في بلاد الشام، فقد هز هيبتها من قلوب العرب، وأعطت فكرة عن الروح المعنوية العالية عند المسلمين، كما أظهرت ضعف الروح المعنوية في القتال عند الجندي الصليبي النصراني<sup>(5)</sup>.

1 (؟) انظر: نصرة النعيم (1/360). (6) انظر: البداية والنهاية (4/255).

3 (？) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 328، تاريخ الذهبي، ص 491.

4 (？) انظر: دروس وعبر من الجهاد النبوى، ص 358.

5 (？) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 64.

هديّة الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

وأعطت فرصة للمسلمين للتعرف على حقيقة قوات الروم، ومعرفة أساليبهم في القتال.

**2- حب الشهادة باعت للضحية:** إن الصبر والثبات والتضحية التي تجلت في كل واحد من الأمراء الثلاثة وسائر الجندي كان مبعثها الحرص على ثواب المجاهدين، والرغبة في نيل الشهادة لكي يكرمهم الله برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ويدخلوا جنات الله الواسعة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

**3- تميز هذه المعركة عن سائر المعارك:** فهي الوحيدة التي جاء خيرها من السماء، إذ نعى النبي صلى الله عليه وسلم ابنته شهاد الأبطال الثلاثة قبل أن يصل الخبر من أرض المعركة، بل وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أحداها، وتمتاز أيضاً عن غيرها بأنها الواقعة الوحيدة التي اختار النبي صلى الله عليه وسلم لها ثلاثة أمراء على الترتيب: زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن رواحة<sup>(1)</sup>.

**4- إكرام النبي صلى الله عليه وسلم لآل جعفر:** لما أصيب جعفر دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسماء بنت عميس فقال: «أئتيني ببني جعفر» فأتت بهم فتشمهم وقبلهم وذرفت عيناه، فقالت أسماء: أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «نعم أصيّبوا هذا اليوم»، فجعلت تصيح وتولول، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تغفلوا عن آل جعفر لأن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم»<sup>(2)</sup>.

وتلحظ في هذا الخبر عدة أمور منها:

**أ- جواز بكاء المرأة على زوجها المتوفى:** أخذ هذا من فعل أسماء بنت عميس رضي الله عنها حينما نعى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها ومن معه، فبكت وصاحت، فلم يذكر عليها النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينهها عن ذلك، ولو كان ممنوعاً ل نهاها عن ذلك، والبكاء الذي نهى عنه الإسلام هو ما كان سائداً عند أهل الجاهلية من النواح واللطم وشق الجيوب، والتبرم بقضاء الله وقدره، وما إلى ذلك مما يكون سبباً في معصية الخالق سبحانه.

**ب- استحباب صنع الطعام لأهل الميت:** وقد ندب الرسول صلى الله عليه وسلم الناس أن يصنعوا طعاماً لآل جعفر، وهذا فيه مواساة لأهل المتوفى وتحفيظ مصابهم، وفي الوقت نفسه تكافل بينهم وهذه السنة خالفتها بعض الشعوب الإسلامية، وأصبح أهل الميت يصنعون الطعام للقادمين، وهذا أمر قبيح ينبغي أن يتبعه عنه

<sup>1</sup> (?) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 66. <sup>(2)</sup> انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/28).

هذا وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البكاء بعد ثلاث، فقد دخل على أسماء وقال لها: «لَا تبكون على أخي بعد اليوم، ادعوا لي بني أخي» فجيء بهم كأنهم أفرخ، فدعا بالحلاق فحلق لهم رؤوسهم ثم قال: «أَمَا مُحَمَّدٌ فِتْنَبِيهِ عَمَّا أَبَي طَالِبٌ، وَأَمَا عَبْدُ اللَّهِ فِتْنَبِيهِ خَلْقِي وَخَلْقِي»، ثم أخذ بيدين عبد الله وقال: «اللَّهُمَّ أَخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ» قالها ثلاثة<sup>(2)</sup>. ولما ذكرت له أمهم يتهمهم وضعفهم قال لها: «الْعِيلَةُ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّا وَلِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»<sup>(3)</sup>. وهذا منهج نبوي كريم خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لرعايته وتكريمه أبناء الشهداء لكي تسير الأمة على نهجه الميمون<sup>(4)</sup>.

**ج- زواج أبي بكر الصديق من أسماء بنت عميس:** وبعد أن انقضت عدة أيام بنت عميس خطبها أبو بكر الصديق فتزوجها، وولدت له محمد بن أبي بكر، وبعدما توفي الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب، وولدت له أولاداً<sup>(5)</sup> وعنها وعنهم أجمعين. وقد ذكر ابن كثير أن أسماء بنت عميس رشت زوجها جعفر بن أبي طالب بقصيدة تقول فيها:

عليك ولا ينفك جلدي أغبرا	فالليلت لا تنفك نفسي حزينة
وأصبرا <sup>(6)</sup>	فلله عينا من رأى مثله فتى

**5- من فقه القيادة:** إن درس عظيم يقدمه لنا الصحابي الجليل ثابت بن قرم العجلاني، عندما أخذ اللواء بعد استشهاد عبد الله بن رواحة آخر الأمراء، وذلك أداء منه للواجب؛ لأن وقوع الرایة معناه هزيمة الجيش، ثم نادى المسلمين أن يختاروا لهم قائداً، وفي زحمة الأحداث قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل.. فاصطلح الناس على خالد، وفي رواية أن ثابتاً مشي باللواء إلى خالد، فقال خالد: لا آخذه منه، أنت أحق به فقال: والله ما أخذته إلا لك.

إن مضمون كلتا الروايتين واحد، أن ثابتاً جمع المسلمين أو لاً وأعطى القوس باريها، فأعطى الرایة أبا سليمان خالد بن الوليد<sup>(7)</sup> ولم يقبل قول المسلمين: أنت أميرنا، ذلك أنه يرى فيهم من هو أكفاء منه لهذا العمل، وحينما يتولى العمل من ليس له باهل، فإن الفساد متوقع، والعمل حينما يكون لله تعالى، لا يكون فيه أثر لحب الشهرة،

<sup>1</sup> (؟) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 68.  
<sup>2</sup> (4,5) انظر: البداية والنهاية (4/25).

<sup>3</sup> (6) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/430).

<sup>4</sup> (?) انظر: البداية والنهاية (4/353). (2) المصدر نفسه (4/352).

<sup>5</sup> (7) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (7/124).

<sup>6</sup> هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

أو حظ النفس.

إن ثابتاً لم يكن عاجزاً عن قيادة المسلمين، وهو من حضر بدرًا، ولكنه رأى من الظلم أن يتولى عملاً وفي المسلمين من هو أحدر به منه، حتى ولو لم يمض على إسلامه أكثر من ثلاثة أشهر، لأن الغاية هي السعي لتنفيذ أوامر الله على الوجه الأحسن والطريقة الأمثل<sup>(1)</sup>.

إن كثيراً ممن يترعّمون قيادة الدعوة الإسلامية اليوم يضعون العرّاقيل أمام الطاقات الجديدة، والقدرات الفذة خوفاً على مكانتهم القيادية، وامتيازاتهم الشخصية، واطماعهم الدنيوية، فعلى أولئك القادة أن يتعظوا من هذا الدرس البليغ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

**6- درس نبوي في احترام القيادة:** قال عوف بن مالك الأشجعي<sup>(2)</sup>: خرجت مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة ورافقني مددى من اليمن<sup>(3)</sup> ... ومضينا فلقينا جموع الروم، فيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وله سلاح مذهب، فجعل الرومي يضرب بال المسلمين، فقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقب فرسه بسيفه، وفر الرومي، فعلاه بسيفه فقتله وحاير فرسه وسلاحه، فلما فتح الله للمسلمين، بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ منه بعض السلب، قال عوف: فاقتت خالداً، وقلت له: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالسلب للقاتل؟ قال: بل، ولكنني استكثرته قلت: لتردناها إليه أو لا عرفنها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبى أن يرد عليه. قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا خالد ما حملك على ما صنعت؟» قال: استكثرته فقال: «رد عليه الذي أخذت منه». قال عوف: فقلت: دونكها يا خالد، ألم أوف لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما ذلك؟» فأخبرته قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «يا خالد لا ترد عليه، هل أنتم تاركون لي أمرائي، لكم صفة أمرهم وعليهم كدره»<sup>(3)</sup>.

هذا موقف عظيم من النبي صلى الله عليه وسلم في حماية القيادة والأمراء من أن يتعرضوا للإهانة بسبب الأخطاء التي قد تقع منهم، فهم بشر معرضون للخطأ، فينبغي السعي في إصلاح خطئهم من غير تنقص ولا إهانة، فخالد حين يمنع ذلك المجاهد سلبه لم يقصد الإساءة إليه، وإنما اجتهد فغلب جانب المصلحة العامة، حيث استكثر ذلك السلب على فرد واحد، ورأى أنه إذا دخل في الغنيمة العامة نفع عدداً أكبر من المجاهدين، وعوف بن مالك أدى مهمته في الإنكار على

1 (?) انظر: من معين السيرة للشامي، ص 376.

2 (?) مددى أي جاء مددى، وفي رواية: رجل من حمير

3 (?) مسلم، كتاب الجهاد، ص 1373، رقم 1753.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

خالد، ثم رفع الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما لم يقبل خالد قوله، وكان المفترض أن تكون مهمته قد انتهت بذلك؛ لأنه الحال هذه قد دخل في أمر من أوامر الإصلاح، وقد تم الإصلاح على يديه، ولكنه تجاوز هذه المهمة حيث حول القضية من قضية إصلاحية إلى قضية شخصية، فاظهر شيئاً من التشفي من خالد، ولم يقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، بل انكر عليه إنكاراً شديداً وبين حق الولاة على جنودهم، وكون النبي صلى الله عليه وسلم أمراً خالداً بعدم رد السلب على صاحبه لا يعني أن حق ذلك المجاهد قد ضاع؛ لأنه لا يمكن أن يأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنساناً بجريدة غيره، فلا بد أن ذلك المجاهد قد حصل منه الرضا، أما بتعويض عن ذلك السلب أو بتنازل منه أو غير ذلك فيما لا يذكر تفصيله في الخبر<sup>(1)</sup>.

إن الأمة التي لا تقدر رجالها ولا تحترمهم لا يمكن أن يقوم فيها نظام، إن التربية النبوية استطاعت بناء هذه الأمة بناء سليماً، وما أحرى المسلمين اليوم أن يكون كل إنسان في مكانه، وأن يحترم ويقدر بمقدار ما يقدم لهذا الدين، ويبقى الجميع بعد ذلك في الإطار العام الذي وصف الله به المؤمنين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرِثُنَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَإِسْوَافٌ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْهُمْ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُحَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَائِمَّ ذَلِكَ فَصَلَّى اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْمٌ) [المائدة: 54].

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «هل أنتم تاركون لي أمرائي» وسام آخر يضاف إلى خالد حيث عد من أمراء الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا من المنهاج النبوي الكريم في تقدير الرجال<sup>(2)</sup>.

## 7- مقاييس الإيمان وأثرها في المعارك:

توقف الجيش الإسلامي في معان ينافق كثرة جيش العدو، وكانت المقاييس المادية لا تشجعهم على خوض المعركة، ومع ذلك تابعوا طريقهم ودخلوا بمقاييس إيمانية، فهم خرجوا يطلبون الشهادة فلماذا إذن يفرون مما خرجوه لطلبه.

قال زيد بن أرقم: كنت يتيمًا لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله، فوالله إنه ليسير لليلة إذ سمعته ينشد أبياتاً منها:

وجاء المسلمين وغادروني      بأرض الشام مشتهي التواء

فلما سمعتها منه بكيت، قال: فخفقني بالدرة، وقال: وما عليك يا

<sup>1</sup> (؟) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي، (7/130).

<sup>2</sup> (؟) انظر: معين السيرة، ص 378.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

لку أَن يَرْزُقَنِي اللَّهُ الشَّهادَةَ وَتَرْجِعَ بَيْنَ شَعْبَتِي الرَّحْلِ<sup>(١)</sup>.

إن التأمل بعمق في غزوة مؤتة يساعدنا في معالجة الهزيمة النفسية والروحية التي تمر بها الأمة، وإقامة الحاجة على القائلين بأن سبب هزيمتنا التفوق التكنولوجي لدى الأعداء. لقد سجل ابن كثير رأيه في هذه المعركة وقال: (... هذَا عظِيم جَدًا إِن يَقَاتِلُ حِيشَانٌ مَتَعَادِيَانِ فِي الدِّينِ، أَحَدُهُمَا وَهُوَ الْفَتَّةُ الَّتِي تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَدَتْهَا ثَلَاثَةَ الْأَلْفِ، وَأَخْرَى كَافِرَةً وَعَدَتْهَا مائَةً أَلْفَ مَقَاوِلَ، مِنَ الرُّومِ مائَةً أَلْفَ، وَمِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ مائَةً أَلْفَ، يَتَبَارِزُونَ وَيَتَصَارِلُونَ ثُمَّ مَعَ هَذَا كُلُّهُ لَا يُقْتَلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رِجْلًا، وَقَدْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، هَذَا خَالِدٌ وَحْدَهُ يَقُولُ: لَقَدْ أَنْدَقْتُ فِي يَدِي يَوْمَ مَؤْتَةٍ تَسْعَةَ أَسِيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيفَةٌ يَمَانِيَّةٌ، فَمَاذَا تَرَى قَدْ قُتِلَ بِهِذِهِ الْأَسِيَافِ كُلُّهَا؟ دَعَ عَيْرَهُ مِنَ الْأَبْطَالِ وَالشَّجَاعَانِ مِنْ حَمْلَةِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ تَحْكَمُوا فِي عِبَدَةِ الصَّلَبَانِ عَلَيْهِمْ لِعَائِنَ الرَّحْمَنِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَفِي كُلِّ أَوَانِ...)<sup>(٢)</sup>.

## 8- من شعر كعب بن مالك في بكاء قتل موتة: حيث قال:

طُورًا أَحْنَ<sup>(٣)</sup> وَتَارَةً أَتَمْلَمْ<sup>(٤)</sup>  
بِنَاتٍ نَعْشِ<sup>(٥)</sup> وَالسَّمَاكِ مُوكَلٌ  
مَا تَأْوِينِي شَهَابٌ مَدْخُلٌ<sup>(٦)</sup>  
يَوْمًا بِمَؤْتَةٍ أَسَنَدُوا لَمْ يَنْقُلُوا  
الْمَسِيلَ<sup>(٧)</sup>  
حَذَرَ الرَّدِيٌّ وَمَخَافَةٌ أَنْ يَنْكُلُوا<sup>(٨)</sup>  
الْمَرْفَلَ<sup>(٩)</sup>

فِي لَيْلَةٍ وَرَدَتْ عَلَيَّ هَمُومَهَا  
وَاعْتَادَنِي حَزَنٌ فَبَتَ كَأْنِي  
وَكَأْنِي بَيْنَ الْجَوَانِ وَالْحَشْنِ  
وَجَدَاهُ عَلَى النَّفَرِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا  
صَلَى إِلَهٌ عَلَيْهِمْ مِنْ فَتِيَّةٍ  
صَبَرُوا بِمَؤْتَةٍ لِلْإِلَهِ نَفُوسَهُمْ  
فَمَضَوْا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُمْ

1 (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/24، 25).

2 (؟) انظر: البداية والنهاية (4/259).

3 (؟) أَحْنَ: مِنْ الْحَنَنِ، وَفِي رَوْاْيَةِ أَخْنَ: صَوْتٌ يَخْرُجُ مِنَ الْأَنْفِ عَنْدَ الْبَكَاءِ.

4 (؟) أَتَمْلَمْ: أَتَقْلِبُ مُتَبَرِّئًا بِمَضْجُوعِي.

5 (؟) يَرِيدُ أَنْهُ يَاتِي يَرْعِي النَّجُومَ طَوْلَ لَيْلَهُ مِنْ طَوْلِ السَّهَادِ.

6 (؟) الْمَدْخُلُ: النَّافِذَ إِلَى الدَّاخِلِ.

7 (؟) الْمَسِيلُ: الْمَمْطَرُ.

8 (؟) صَبَرُوا نَفُوسَهُمْ: جَسَوْهَا عَلَى مَا يَرِيدُونَ، يَنْكُلُوا: يَرْجِعُوا هَائِبِينَ.

9 (؟) فَنَقُ: الْفَحْولُ مِنَ الْأَيْلِ.

10 (؟) الْمَرْفَلُ: الَّذِي تَنْجُرُ أَطْرَافُهُ عَلَى الْأَرْضِ، يَرِيدُ أَنْ درُوعَهُمْ سَابِغَةً.

قدام أولهم فنعم الأول  
إذ يهتدون بجعفر ولوائه  
حيث التقى وعث الصفوف  
حتى تفرجت الصفوف وجعفر  
تأفل<sup>(11)</sup> فتغير القمر المنير لفقده

هذه بعض الأبيات التي بكى بها كعب بن مالك شهداء مؤتة، ولم  
يتعجب حسان بن ثابت عن نظم القصائد في بكاء قتلى مؤتة، وبكاء  
جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، فقد كانت  
المؤسسة الإعلامية تقوم دورها بتغطية وجدارة وتبعد المولى عز  
وجل بما أخصها به من ملوكاً وموهباً شعرية فذة.

\* \* \*

<sup>11</sup> (?) تألف: تغيب، السيرة النبوية لابن هشام (34، 33/4).  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## المبحث الخامس سérie ذات السلاسل

لم تمض سوى أيام على عودة الجيش من مؤتة إلى المدينة حتى جهز النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جيشاً بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، وذلك لتأديب قضاة التي غرها ما حادث في مؤتة التي اشتركت فيها إلى جانب الروم، فتجمعت تربيد الدنو من المدينة، فتقدم عمرو بن العاص في ديارها ومعه ثلاثة مئات من المهاجرين والأنصار، ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعاً كثيرة، فأرسل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطلب المدد وجاءه مدد بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح<sup>(1)</sup>، وقاتل المسلمون الكفار وتغلب عمرو في ديار قضاة التي هربت وتفرقت وأنهزمت، ونجح عمرو في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أخلف المسلمين لصداقتهم الأولى، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين، وإسلام الكثيرين منبني عيسى، وبني مرة وبني ذبيان، وكذلك فزارة وسيدها عبيدة بن حصن في حلف مع المسلمين، وتبعها بنو سليم، وعلى رأسهم العباس بن مرداوس، وبنو أشعج، وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال بلاد العرب، وإن لم يكن في بلاد العرب جميعاً<sup>(2)</sup>.

**وفي هذه السérie دروس وعبر وحكم منها:**

### 1- إخلاص عمرو بن العاص ::

قال عمرو بن العاص: بعث إليَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: خذ عليك ثيابك، وسلامك ثم ائتيه، وهو يتوضأ، فصعد في النظر، ثم طاطأ، فقال: إني أريد أن أبعثك على جيش<sup>(3)</sup> فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة، قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكنني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح»<sup>(4)</sup>.

فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام وحرصه على ملازمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد بين له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المال الحال نعمة إذا وقع بيد الرجل الصالح؛ لأنَّه يبتغي به وجه الله ويصرفه في

<sup>1</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/471).  
<sup>2</sup> (؟) لابي شهبة (2/433).

<sup>3</sup> (؟) جيش سérie ذات السلاسل.  
<sup>4</sup> (؟) رواه ابن حبان كما في الموارد 2277، صحيح السيرة، ص 508، صحيح الابناني رحمة الله في صحيح الأدب المفرد.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

وجوه الخير ويعف به نفسه وأسرته<sup>(1)</sup>.

## 2- الاتحاد قوة والتنازع ضعف:

عندما وصل المدد الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيادة أبي عبيدة بن الجراح لجيش عمرو في ذات السلاسل، أراد أبو عبيدة أن يوم الناس يتقدم عمرو، فقال له عمرو: إنما قدمت على مددًا لي، وليس لك أن تؤمنني، وأنا الأمير، وإنما أرسلك النبي صلى الله عليه وسلم إلى مددًا، فقال المهاجرون كلا، بل أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه، فقال عمرو: لا، بل أنت مدد لنا، فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف، وكان حسن الخلق، لين الطبيع، قال: لطمئن يا عمرو، وتعلمن أن آخر ما عهد إلى رسول الله أن قال: إذا قدمت على أصحابك فتطاوا ولا تختلفا، وأنك والله إن عصيتنى لأطيعنك، فأطاع أبو عبيدة، فكان عمرو يصلب الناس<sup>(2)</sup>.

لقد أدرك أبو عبيدة أن أي اختلاف بين المسلمين في سرية ذات السلاسل يؤدي إلى الفشل، ومن ثم تغلب العدو عليهم، ولهذا سارع إلى قطع النزاع، وانضم جندًا تحت إمرة عمرو بن العاص امتنالاً لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم «لا تختلفا»<sup>(3)</sup>.

## 3- حرص عمرو بن العاص على سلامه قواته:

ظهرت عبرية عمرو العسكرية في ذات السلاسل في حرصه على وحدة الصد، وفي حرصه على سلامه قوته ويتجلّى ذلك في عدة صور منها:

**أ- أنه كان يسير ليلاً ويختفي نهاراً:** كان عمرو يدرك بشاقب بصره، وبعد نظره أن العدو يمكن أن يسعى إلى معرفة أخباره قبل اللقاء بينهما، فيستعد للقاء جيش المسلمين؛ ولهذا رأى عمرو أن السير ليلاً والإختفاء نهاراً هو أفضل أسلوب للمحافظة على قواته وحقق بذلك أمرين مهمين:

\* إخفاء تحركاته عن عدوه وبذلك يضمن سلامه قواته.

\* حماية الجند من شدة الحر وحتى يبقى لهم نشاطهم فيصلون إلى مكان المواجهة، وهم أقوباء على مواجهة أعدائهم.

**ب- عدم السماح للحند بابقاد النار:** عندما طلب الجنود من عمرو أن يسمح لهم بابقاد النار لاحتاجتهم الماسة إلى التدفئة منعهم من ذلك معتمداً في ذلك على خبرته الحربية وعمق فكره العسكري وخوفاً من وقوع مفسدة أعظم من تلك المصلحة وهي أن يمتد الضوء فيكشف المسلمين، وهم قلة لاعدائهم فيهجموا عليهم، ويتجلّى هذا

1 (?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (7/133).

2 (?) انظر: مغازي رسول الله لعروة، ص 207، وأسانيدها ضعيفة.

3 (?) انظر: غزوة الحديبية لأبي فارس، ص 209.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الفقه في حزمه الشديد مع أصحابه عندما كلمه أبو بكر في ذلك فقال: لا يوقد أحد منهم ناراً إلا قذفته فيها، فلما رجعوا إلى المدينة ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كرهت أن أذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم<sup>(1)</sup>, فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على فعله.

**ج- من الحند من مطاردة أعدائهم:** عندما هزم المسلمين أعداءهم طمعوا فيهم، فارادوا مطاردتهم وتتبع فلولهم، ولكن قائد السرية منع جنده من ذلك لئلا يترب على هذه المطاردة مفسدة أعظم منها، وهي أن يقع المسلمون في كمين. ويتجلّى هذا الفقه في قول عمرو بن العاص للرسول صلى الله عليه وسلم: وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد<sup>(2)</sup>, فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على هذا التصرف الحكيم الذي حقق للجيش الأمان والحماية<sup>(3)</sup>.

#### 4- من فقه عمرو بن العاص :

قال عمرو بن العاص: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات الأسلاسل، فأشفقت إن أغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: **(وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)** [النساء: 29]. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً<sup>(4)</sup>, ولقد استُبط بعض الأحكام من هذه القصة:

**أ-** التيمم يقوم مقام الغسل بالنسبة للجنب مع وجود الماء إذا خشي أن يؤدي استخدام الماء إلى الضرر، فلقد تيمم عمرو بن العاص لما أصبح جنباً مع وجود الماء عنده وصلى وأقره الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يذكر عليه.

**ب-** يجوز الاجتهاد في عهده صلى الله عليه وسلم: فقد اجتهد عمرو بن العاص فتيمم وصلى وقد احتلم في تلك الليلة الباردة اعتماداً على قوله تعالى **(وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)** [النساء: 29] فلم يذكر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم اجتهاده بل أقره على أمرين: الأول: جواز الاجتهاد، والثاني تصريح اجتهاده.

**ج-** من الأسباب المبيحة للتيمم تعذر استخدام الماء وإن وجد كالبرد الشديد.

**د-** تجوز إماماة المتيمم بالمتوضئ: فقد صلى عمرو بن العاص وهو

<sup>1</sup> (?) انظر: صحيح السيرة النبوة، ص 509. <sup>2</sup> (2) نفس المصدر، 509.

<sup>3</sup> (?) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 540.

<sup>4</sup> (?) انظر: صحيح السيرة النبوة، ص 509، قال إبراهيم العلي: الحديث إسناده صحيح.

متيمم إماماً بخمسة مائة صحابي قد توضأوا، وأقره الرسول على ذلك ولم ينكر عليه.

**٥- احتجاد عمرو بن العاص يدل على فقهه ووفر عقله، ودقة استنباطه الحكم**

من دليله<sup>(١)</sup>. ولئن وقف الفقهاء عند هذه الحادثة بفرعون عليها الأحكام فإن الذي يستوقفنا<sup>(٢)</sup> في السيرة منها تلك السرعة فيأخذ عمرو للقرآن وصلته به حتى يات قادرًا على فقه الأمور من خلال الآيات وهو لم يمض على إسلامه أربعة أشهر، إنه الحرص على الفقه في دين الله، وقد يكون عمرو - وهذا احتمال وارد - على صلة بالقرآن قبل إسلامه يتبع ما يستطيع الوصول إليه، وحينئذ تكون أمام مثال آخر من عظمة هذا القرآن الذي لوى أعناق الكافرين وجعلهم وهم في أشد حالات العداوة لهذا الدين يحاولون استعماله هذا القرآن، كما رأينا ذلك في العهد المكسي، ويفيد هذا ما رأينا من معرفته بالقرآن حينما طلب من النجاشي أن يسأل مهاجري الحبشة عن رأيهما في عيسى عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

**٥- من نتائج سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشمال:**

اتجهت حملات المسلمين العسكرية بعد صلح الحديبية نحو الشمال، وأصبح غرب الجزيرة وجنوبها الغربي حيث تقع مكة آمنة في ظلال الصلح<sup>(٤)</sup>، وحققت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدافها ومقاصدها في شمال الجزيرة، فوصلت إلى حدود الروم، فامنت حدود الدولة الإسلامية، وبسطت هيمنتها وأفشلت محاولات الإغارة على المدينة، وبذلك حققت سياسية النبي صلى الله عليه وسلم في حركة السرايا هدفين عظيمين هما:

**١- تأمين حماية الدين الإسلامي في الداخل.**

**٢- حمايته في الخارج<sup>(٥)</sup>.**

وما من شك أن المتتبع لأحداث السيرة النبوية الشريفة والمطلع على تفاصيلها ودقائقها بامعان يجد بحق أن صلح الحديبية هو من أهم المكاسب السياسية، والعسكرية، والإعلامية، بل هو حصيلة كسب لاعظم معركة دارت بين الإسلام والوثنية في العهد النبوي، من حيث النتائج الإيجابية التي رسخت دعائم الإسلام، من جهة، وصدعت بفعلها قواعد الشرك والوثنية من جهة أخرى، وما حدث في خير من فتوح، وفي مؤنة من نصر، وفي ذات السلسل من توسيع هيبة الدولة

<sup>1</sup> (?) انظر: غزوة الحديبية لأبي فارس، ص 210.

<sup>2</sup> (?) القائل هو صالح أحمد الشامي صاحب معين السيرة، ص 381.

<sup>3</sup> (?) انظر: معين السيرة، ص 381. (4) انظر: المجتمع المدني للعمري، ص 170.

<sup>5</sup> (?) الإعلام في صدر الإسلام، د. عبد اللطيف حمزة، ص 173.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

+

378

الإسلامية إلا نتائج تابعة لصلاح الحديبية<sup>(1)</sup> وبسبب القدرة الفائقة في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع سُنن الله في المجتمعات والشعوب، وبناء الدول.

\* \* \*

+

---

<sup>1</sup> (?) انظر: منهج الإعلام الإسلامي، ص 337.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

# الفصل الخامس عشر غزوة فتح مكة (8هـ)

## المبحث الأول أسبابها، والاستعداد للخروج والشرع فيه أولاً: أسبابها:

1- ارتكبت قريش خطأ فادحًا عندما أعادت حلفاءها بكر على خزاعة حليفة المسلمين بالخيل والسلاح والرجال، وهاجم بنو بكر وحلفاؤهم قبيلة خزاعة عند ماء يقال له الوتير، وقتلوا أكثر من عشرين من رجالها<sup>(1)</sup>، ولما لجأت خزاعة إلى الحرم الآمن - ولم تكن متجهة للقتال - لتمتنع بني بكر منه، قالت لقائدهم: يا نوافل، إنا قد دخلنا حرم إلهك! فقال نوافل: لا إله اليوم، يا بني بكر أصيروا ثاركم<sup>(2)</sup>، عندئذ خرج عمرو بن سالم الخزاعي، في أربعين من خزاعة، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، وأخبروه بما كان من بني بكر، وبمن أصيب منهم، وبمناصرة قريش بني بكر عليهم، ووقف عمرو بن سالم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال:

حلف أبينا وأبيه الأتلدا	يا رب إني ناشدُ محمداً
ثُمتَّ أسلمنا فلم تنزع يداً <sup>(3)</sup>	قد كنتمْ ولدًا، وكنا والدًا
وادع عباد الله يأتوا مددًا	فانصر - هداك الله - نصراً أعتدا
إن سيم خسفاً وجهه تربدا	فيهم رسول الله قد تجردا
إن قريشًا أخلفوك الموعدا	في فيلق كالبحر يجري مزبدًا
وجعلوا لي في (كَدَاءٍ) رُضَّدا	ونقضوا ميثاقيك المؤكدا
وهم أذل وأقل عددا	وزعموا أن لست أدعوا أحدا
وقتلوا ركعاً وسجداً	هم بيتوна بالوتير هجداً

1 (؟) انظر: الواقدي (781-2/784).

2 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام (4/39).

3 (؟) يريد أن أم عبد مناف وأم قصير خزاعيان.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

**فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نصرت يا عمرو بن سالم! لا نصرني الله إن لم أنصربني كعب» ولما عرض السحاب من السماء قال: إن هذه السحابة لتسهل بنصربني كعب<sup>(5)</sup>.**

وجاء في رواية: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن سمع وتأكد من الخبر أرسل إلى قريش فقال لهم: «أما بعد، فإنكم إن تبرؤوا من حلفبني بكر، أثدوا خزاعة<sup>(3)</sup>، وإلا أوذنكم بحرب» فقال قرطبة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف صهر معاوية: إنبني بكر قوم مشائيم، فلا ندい ما قتلوا لنا سيد، ولا لبد<sup>(4)</sup>، ولا نبرا من حلفهم فلم يبق على ديننا أحد غيرهم، ولكن نؤذنه بحرب<sup>(5)</sup>.

وفي هذا دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفاجئ قريشا بالحرب وإنما خيرهم بين هذه الحالات فاختاروا الحرب<sup>(6)</sup>.

## 2- أبو سفيان يحاول تلافي حماقة قريش:

بعثت قريش أبي سفيان إلى المدينة لتمكين الصلح وإطالة أمده، وعندها وصل إلى المدينة ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض حاجته، أعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجبه، فاستعان بكبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلى حتى يتوصلوا بينه وبين رسول الله، فابدا جميعاً، فعاد أبو سفيان إلى مكة من غير أن يحظى بأي اتفاق أو عهد<sup>(7)</sup>، ومما يذكر عند نزوله في المدينة أنه دخل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين، وأراد أن يجلس على فراش رسول الله طوته عنه، فقال: يا بنيه، ما أدرى، أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عنى؟! قالت: بل هذا فراشي رسول الله، وأنت مشرك نجس، قال: والله لقد أصابك بعدي شر<sup>(8)</sup>.

وهذا الموقف لا يستغرب من أم حبيبة، فهي ممن هاجر الهجرتين وقد قطعت صلاتها بالجاهلية منذ أمد بعيد، إنها لم تر أباها منذ ست عشرة سنة، فلما رأته لم تر فيه الوالد الذي ينبغي أن يقدر ويحترم، وإنما رأت فيه رأس الكفر الذي وقف في وجه الإسلام وحارب رسوله تلك السنوات الطويلة<sup>(9)</sup>، وهذا ما كان يتصف به الصحابة رضي الله عنهم من تطبيق أحكام الإسلام في الولاء والبراء وإعزاز الإسلام

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/44). 4

(?) المصدر نفسه (4/44)، البداية والنهاية (4/278). 5

(?) أي تدفعوا دية قتلامهم. 3

(?) السيد: الشعر واللبى: الصوف، يعني إن فعلنا ذلك لم يبق لنا شيء. 4

(?) انظر: المطالب العالية (4/243) رقم 4361، قال ابن حجر: مرسل صحيح الأسناد. 5

(?) انظر: التاريخ الإسلامي (7/164). 6

(?) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، د. علي معطي، ص 365. 7

(?) انظر: البداية والنهاية (4/479). 8

(?) انظر: معين السيرة، ص 395. 9

وال المسلمين. وفي مخاطبة أم حبيبة لأبيها بهذا الأسلوب - مع كونه أباها ومع مكانته العالية في قومه وعند العرب - دليل على قوة إيمانها ورسوخ يقينها، لقد كان في سلوك أم حبيبة مظهر من اجتهد الصحابة البالغ في إظهار أمر له أهميته البالغة في المحافظة على شخصية المسلم ودفع معنوياته إلى النماء والحيوية<sup>(1)</sup>.

وأمام نقض قريش للعهود والمواثيق مع المسلمين فقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة وتأديب كفارها، وقد ساعده على ذلك العزم - بعد توفيق الله - عدة أسباب منها:

**أ-** قوة جبهة المسلمين الداخلية في المدينة وتماسكها: فقد تخلصت الدولة الإسلامية من غدر اليهود، وتم القضاء على يهودبني قينقاع، وبني النضير، وبني قريطة، ويهود خير.

**ب-** ضعف جبهة الأعداء في الداخل: وفي مقدمة هؤلاء المنافقون الذين فقدوا الركن الركيـن لهم - وهو يهود المدينة - فهم أساتذتهم الذين يوجهونهم ويشيرون عليهم.

**ج-** اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتطوير القوة العسكرية، وإرسال السرايا في فترة الصلح؛ وبذلك أصبحت متفوقة على قوة مشركي قريش حيث العدد والعدة والروح المعنوية.

**د-** كانت الغزوة بعد أن ضعفت قريش اقتصادياً وبعد أن قويت الدولة الإسلامية اقتصادياً، فقد فتح المسلمون خير وغنموا منها أموالاً كثيرة.

**ه-** انتشار الإسلام في القبائل المجاورة للمدينة، وهذا يطمئن القيادة حين تتخذ قرارها العسكري بنقل قواتها ومهاجمة أعدائها.

**و-** قيام السبب الجوهرى والإلـقـانـونـى لـغـزوـ مـكـةـ، وـهـوـ نـقـضـ قـرـيـشـ للـعـهـدـ وـالـعـقـدـ<sup>(2)</sup>. وـتـلـحظـ أـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـمـ يـضـعـ قـانـونـ الـفـرـصـةـ وـتـعـاـمـلـ مـعـهـ بـحـكـمـةـ بـالـغـةـ، فـكـانـ فـتـحـ خـيـرـ، وـذـلـكـ بـعـدـ صـلـحـ الـحـدـيـبـيـةـ، وـالـآنـ تـتـاحـ فـرـصـةـ أـخـرىـ بـعـدـ أـنـ نـقـضـتـ قـرـيـشـ عـهـدـهـاـ، وـتـغـيـرـتـ مـواـزـيـنـ الـقـوـىـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ، فـكـانـ لـاـ بـدـ مـنـ الـاستـفـادـةـ مـنـ الـمـعـطـيـاتـ الـجـدـيـدةـ، فـأـعـدـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ جـيـشـاـ لـمـ تـتـشـهـدـ لـهـ الـحـجـازـ مـثـيـلاـ مـنـ قـبـلـ، فـقـدـ وـصـلتـ عـدـتـهـ إـلـىـ عـشـرـ أـلـافـ رـجـلـ<sup>(3)</sup>.

### ثانيًا: الاستعداد للخروج:

إن حركة النبي صلى الله عليه وسلم في بناء الدولة وتربيـةـ

<sup>1</sup> (?) انظر: التاريخ الإسلامي (170/7).

<sup>2</sup> (?) انظر: السيرة لأبي فارس، ص 401.

<sup>3</sup> (?) انظر: الكامل في التاريخ (2/244)، التاريخ السياسي والعسكري ص 366. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأول من رمضان وعيد الفطر 1426

المجتمع وإرسال السرايا، وخروجه في الغزوات، تعلمنا كيفية التعامل مع سنة الأخذ بالأسباب، سواء كانت تلك الأسباب مادية أو معنوية، ففي غزوة الفتح نلاحظ هذه السنة واضحة في هديه **صلى الله عليه وسلم**؛ فعندما قرر **صلى الله عليه وسلم** السير لفتح مكة، حرص على كتمان هذا الأمر؛ حتى لا يصل الخبر إلى قريش فتعد العدة لمجاهاته، وتتصدّه قبل أن يبدأ في تنفيذ هدفه، وشرع في الأخذ بالأسباب الآتية لتحقيق مبدأ المباغة:

### 1- أنه كتم أمره حتى عن أقرب الناس إليه:

فقد أخذ النبي **صلى الله عليه وسلم** بمبدأ السرية المطلقة والكتمان الشديد حتى عن أقرب الناس إليه وهو أبو بكر **أقرب** أصحابه إلى نفسه، وزوجته عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه، فلم يعرف أحد شيئاً عن أهدافه الحقيقة، ولا باتجاه حركته، ولا بال العدو الذي ينوي قتاله؛ بدليل أن أبي بكر الصديق **ع** عندما سأله ابنه عائشة رضي الله عنها عن مقصد الرسول **صلى الله عليه وسلم** قال له: ما سمي لنا شيئاً. وكانت أحياناً تصمت، وكلا الأمرين يدل على أنها لم تعلم شيئاً عن مقصده **صلى الله عليه وسلم**<sup>(1)</sup>.

ويستبسط من هذا المنهج النبوي الحكيم أنه ينبغي للقادرة العسكريين أن يخفوا خططهم عن زوجاتهم؛ لأنهن ربما يذعنن شيئاً من هذه الأسرار -عن حسن نية- فتنقلها الألسن حتى تصير شيئاً في حدوث كارثة عظيمة<sup>(2)</sup>.

### 2- أنه بعث سرية بقيادة أبي قتادة إلى بطن إضم:

بعث النبي **صلى الله عليه وسلم** قبل مسيرة مكة سرية مكونة من ثمانية رجال؛ وذلك لإسدال الستار على نياته الحقيقة، وفي ذلك يقول ابن سعد: (لما هم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بغزو أهل مكة بعث أبي قتادة بن ربيع في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم<sup>(3)</sup> ليطعن ظان أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** توجه إلى تلك الناحية؛ وأن تذهب بذلك الأخبار، فمضوا ولم يلقو جمعاً، فانصرفوا حتى انتهوا إلى ذي خُتبَة<sup>(4)</sup> فبلغهم أن رسول الله قد توجه إلى مكة، فأخذوا على (بيبين) حتى لقوا النبي **صلى الله عليه وسلم** بالسقيا<sup>(5)</sup>)<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> (؟) انظر: البداية والنهاية (4/282)، الرسول القائد، شيت خطاب، ص333، 334.

<sup>2</sup> (؟) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص395، 396.

<sup>3</sup> (؟) بطن إضم: وادي المدينة الذي يجتمع فيه الوديان الثلاثة، بطحان، وقناة، والعقيق.

<sup>4</sup> (؟) ذو خشب: هو موضع على مرحلة من المدينة إلى الشام يبعد عن المدينة 35 ميلاً.

<sup>5</sup> (؟) السقيا: موضع يقع في وادي القرى، معجم البلدان (3/288).

<sup>6</sup> (؟) انظر: الطبقات الكبرى لأبن سعد (2/132).

وهذا منهج نبوي حكيم في توجيهه القادة من بعده إلى وجوبأخذ الحذر وسلوك ما يمكن من أساليب التضليل على الأعداء والإيهام التي من شأنها صرف أنظار الناس عن معرفة مقاصد الجيوش الإسلامية التي تخرج من أجل الجهاد في سبيل الله حتى تتحقق أهدافها وتسلم من كيد أعدائها<sup>(1)</sup>.

### 3- أنه بعث العيون لمنع وصول المعلومات إلى الأعداء:

بـث صلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ رـجـال اـسـتـخـبـارـات الـدـوـلـة إـلـيـنـاـسـة دـاـخـلـ الـمـدـيـنـة وـخـارـجـهـا حـتـى لاـ تـتـقـلـ أـخـيـارـهـ إـلـى قـرـيـشـ، وـأـخـذـ رـسـولـ اللـهـ صـلـى اللهـ عـلـيـه وـسـلـمـ بـالـأـنـقـابـ<sup>(2)</sup>، فـكـانـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ يـطـوـفـ عـلـى الـأـنـقـابـ قـيـمـاـ بـهـمـ فـيـقـوـلـ: لـاـ تـدـعـواـ أـحـدـاـ يـمـرـ بـكـمـ تـنـكـرـوـنـهـ إـلـاـ رـدـتـمـوـهـ.. إـلـاـ مـنـ سـلـكـ إـلـى مـكـةـ فـإـنـهـ يـتـحـفـظـ بـهـ وـيـسـأـلـ عـنـهـ أـوـ نـاحـيـةـ مـكـةـ<sup>(3)</sup>.

إن جمع المعلومات سلاح ذو حدين، وقد استفاد الرسول صلـى اللهـ عـلـيـه وـسـلـمـ مـنـ حـدـهـ النـافـعـ لـصـالـحـ الـمـسـلـمـينـ، وـأـبـطـلـ مـفـعـولـ الـحـدـ الآخرـ بـاتـبـاعـهـ السـرـيـةـ وـاتـخـاذـهـ أـسـاسـاـ لـتـحـرـكـاتـهـ وـاستـعـدـادـهـ؛ لـيـحرـمـ عـدـوـهـ مـنـ الـحـصـولـ عـلـى الـمـعـلـومـاتـ الـتـيـ تـفـيـدـهـ فـيـ الـاسـتـعـدـادـ لـمـجـابـهـهـ هـذـاـ جـيـشـ بـالـقـوـةـ الـمـنـاسـبـةـ<sup>(4)</sup>.

### 4- دعاؤه صلـى اللهـ عـلـيـه وـسـلـمـ بـأـخـذـ الـعـيـونـ وـالـأـخـبـارـ عـنـ قـرـيـشـ:

وـبـعـدـ أـخـذـ رـسـولـ اللـهـ صـلـى اللهـ عـلـيـه وـسـلـمـ بـالـأـسـبـابـ الـبـشـرـيـةـ الـتـيـ فـيـ اـسـتـطـاعـتـهـ تـوـجـهـ إـلـى اللـهـ عـزـ وـجـلـ بـالـدـعـاءـ وـالـتـضـرـعـ قـائـلاـ: «اللـهـمـ خـذـ عـلـى أـسـمـاـهـمـ وـأـبـصـارـهـمـ فـلـاـ يـرـوـنـ إـلـاـ بـغـتـةـ وـلـاـ يـسـمـعـوـنـ إـلـاـ فـجـأـةـ»<sup>(5)</sup>.

وهـذـاـ شـأـنـ النـبـيـ صـلـى اللهـ عـلـيـه وـسـلـمـ فـيـ أـمـورـهـ؛ يـأـخـذـ بـجـمـيعـ الـأـسـبـابـ الـبـشـرـيـةـ، وـلـاـ يـنـسـىـ التـضـرـعـ وـالـدـعـاءـ لـرـبـ الـبـرـيـةـ لـيـسـتمـدـ مـنـهـ التـوـفـيقـ وـالـسـدـادـ.

### 5- إـحـبـاطـ مـحاـولةـ تـجـسـسـ حـاطـبـ لـصـالـحـ قـرـيـشـ:

عـنـدـمـاـ أـكـمـلـ النـبـيـ صـلـى اللهـ عـلـيـه وـسـلـمـ اـسـتـعـدـادـهـ لـلـسـيـرـ إـلـىـ فـتـحـ مـكـةـ، كـتـبـ حـاطـبـ بـنـ أـبـيـ بـلـقـعـةـ كـتـابـاـ إـلـىـ أـهـلـ مـكـةـ يـخـبـرـهـمـ فـيـهـ نـبـاـ تـحـرـكـ النـبـيـ صـلـى اللهـ عـلـيـه وـسـلـمـ إـلـيـهـمـ، وـأـرـسـلـهـ مـعـ اـمـرـأـةـ مـسـافـرـةـ إـلـىـ مـكـةـ، وـلـكـنـ اللـهـ -ـسـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ -ـأـطـلـعـ نـبـيـهـ صـلـى اللهـ عـلـيـه وـسـلـمـ

1 (؟) انظر: القيادة العسكرية، ص 498.

2 (؟) الانقاب: جمع نقب، وهو كالغريف على القوم.

3 (؟) التحفظ: هو الاحتراز والتقيظ، مجازي الواقدي (2/796).

4 (؟) انظر: القيادة العسكرية، ص 365.

5 (؟) انظر: البداية والنهاية (4/282).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

عن طريق الوحي على هذه الرسالة، فقضى **صلى الله عليه وسلم** على هذه المحاولة وهي في مهدها، فأرسل النبي **صلى الله عليه وسلم** علیاً والزبير والمقداد فامسكوا بالمرأة في روضة خاخ على بعد اثني عشر ميلاً من المدينة، وهددوها أن يفتشوهَا إن لم تخرج الكتاب فسلمته لهم، ثم استدعى حاطب للتحقيق، فقال: يا رسول الله، لا يعقل علي، إني كنت أمرًا ملصقاً في قريش - يقول: كنت حليقاً - ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فانتي ذلك من النسب فيهم أن أخذ عندهم يدًا يحمون قرابتى، ولم أفعله ارتداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «أما إنه قد صدقكم».

قال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال **صلى الله عليه وسلم**: إنه قد شهد بدرًا، وما يدرك لعل الله أطلع على من شهد بدرًا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم<sup>(1)</sup>، فأنزل الله تعالى: (بَأَيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْجُودُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أَوْلَيَاءُ لِلَّهِمَّ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ هُنَّا حَمْدٌ لِلَّهِ رَبِّكُمْ إِنَّمَا كَفَرُوا بِمَا حَانَ كُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَتَّىٰ جُنُّمٍ حَمَادًا فِي سَيْلٍ وَإِنْتَعَاءَ مَرْضَانِي تُسِرُّونَ إِنَّهُمْ بِالْمَوْدَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَحْقَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمُ بِمَنْ يَفْعَلُهُمْ فَقَدْ صَلَ سَوَاءُ السَّبِيلِ) [المتحنة: 1].

ويقول الأستاذ سيد قطب: على الرغم من كل ما ذاق المهاجرون من العناء والأذى من قريش فقط ظلت بعض النفوس تود لو وقعت بينهم وبين أهل مكة المحاسنة والمودة، وأن لو انتهت هذه الخصومة القاسية التي تكلفهم قتال أهليهم وذوي قرائبهم، وتقطع ما بينهم وبينهم من صلات، وكان الله يريد استقصاء هذه النفوس واستخلاصها من كل هذه الوسائل، وتجريدها لدينه وعقيدته ومنهجه... فكان يأخذهم يوماً بعد يوم بعالجه الناجع البالغ، بالأحداث والتعقيب على الأحداث ليكون العلاج على مسرح الأحداث، ولتكون الطرق والحديد ساخن<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: الشروع في الخروج وأحداث في الطريق:

1- خرج رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قاصداً مكة في العاشر من رمضان من العام الثامن للهجرة<sup>(3)</sup> واستخلف على المدينة أبا رهم، كليبوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري<sup>(4)</sup> وكان عدد الجيش عشرة آلاف فيهم المهاجرون والأنصار الذين لم يتختلف منهم أحد،

<sup>1</sup> (?) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، (5/105) رقم 4274.

<sup>2</sup> (?) في طلال القرآن (6/358).

<sup>3</sup> (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 560، 561.

<sup>4</sup> (?) المصدر نفسه، ص 561.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

فسيار هو ومن معه إلى مكة يصوم ويصومون، فلما وصل الجيش الك狄د (الماء الذي بين قديد وسعفان) أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفطر الناس معه<sup>(1)</sup> وفي الحجفة لقيه العباس بن عبد المطلب عمه وقد خرج مهاجرًا بعياله، فسر صلى الله عليه وسلم<sup>(2)</sup>. وفي خروج العباس باهله وأولاده من مكة - وكان بها بمثابة المراسيل العسكري أو مدير الاستخبارات هناك- إشارة إلى أن مهمته فيها قد انتهت، وخاصة إذا لاحظنا أن بقاءه في مكة كان بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(3)</sup>.

## 2- إسلام أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أمية:

خرج أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أمية بن المغيرة من مكة، فلقيا رسول الله بشبة العقاب فيما بين مكة والمدينة، فالتمسوا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فقالت: يا رسول الله ابن عمك، وابن عمتك وصهرك، فقال: لا حاجة لي فيهما: أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال، فلما خرج الخير إليهما بذلك - ومع أبي سفيان بن الحارث ابن له- فقال: والله لياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لاخذن بيد ابني هذا، ثم لنذهب في الأرض حتى نموت عطشاً أو جوعًا، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رقّ لهما، فدخلتا عليه، فأنشدته أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره عما كان مضى فيه فقال:

لغلب خيل الات خيل محمد	لعمرك إني يوم أحمل راية
فهذا أوان الحق أهدي وأهتدى	لكالمدلخ الحيران أظلم ليه
وقل لثيق تلك عندي فأوعدي	فقل لثيق لا أريد قتالكم
إلى الله من طرّدت كل مطرد	هداني هاد غير نفسي ودلني
وأدعى وإن لم أنتسب لمحمد	أفر سريعاً جاهداً عن محمد
وإن كان ذا رأي يلّم ويفند	هم عصبة من لم يقل بهواهم
مع القوم ما لم أهد في كل مقعد	أريد لأرضيهم ولست بلاقط
وما كان عن غير لساني ولا يدي	فما كنت في الجيش الذي نال

<sup>1</sup> (?) البخاري، كتاب المغازي (5/106) رقم 4276.

<sup>2</sup> (?) انظر: البداية والنهاية (4/286)، السيرة النبوية لأبي فارس، ص 406.

<sup>3</sup> (?) انظر: تأملات في السيرة النبوية، محمد السيد الوكيل، ص 254.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

تواتع جاءت من سهام وسردد

سيسعى لكم امرؤ غير مقدر<sup>(1)</sup>

قبائل جاءت من بلاد بعيدة  
وإن الذي أخرجتم وشتمتم

قال: فلما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم (إلى الله من طردت كل مطرد)، ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره، فقال: «أنت طردتني كل مطرد»<sup>(2)</sup>.

كان أبو سفيان بن الحارث يهجو بشعره رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً، وأما عبد الله بن أمية فقد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (فوالله لا أؤمن بك حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي بصك معه أربعة من الملائكة يشهدون لك كما تقول، ثم وايم الله لو فعلت ذلك ما طننت أني أصدقك)<sup>(3)</sup>.

ومع فداحة جرمهما فإن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنهما وقبل عذرهما، وهذا مثال عالٍ في الرحمة والعفو والتسامح، ولقد كفر أبو سفيان بن الحارث عن أشعاره السابقة بهذه القصيدة البليغة التي قالها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وبيان اهتدائه به، ولقد حسن إسلامه، وكان له موقف مشرف في الجهاد مع رسول الله في معركة حنين<sup>(4)</sup>.

### 3- النزول بمر الطهران وإسلام أبي سفيان بن حرب سيد قريش:

وتتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيره حتى أتى مبر الطهران<sup>(5)</sup> فنزل فيه عشاء، فأمر الجيش فأوددوا النيران، فأوقدت عشرة آلاف نار، وجعل رسول الله على الحرس عمر بن الخطاب<sup>(6)</sup>.

قال العباس: فقلت: واصبح قريش! والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر، وركب بغلة رسول الله وخرج يلتمس من يوصل الخبر إلى مكة ليخرجوا إلى رسول الله فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة، وكان أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قد خرجموا يلتمسون الأخبار، فلما رأوا النيران قال أبو سفيان: ما رأيت كالليلة نيراً قط ولا عسكراً، فقال بديل: هذه والله خزانة حمشتها

1

2

3

4

5

6

(?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 517.

(?) أخرجه الحاكم في المستدرك (45-3/43) ومجمع الزوائد (167-6/164).

(?) انظر: ابن هشام (1/295-300).

(?) انظر: التاريخ الإسلامي (7/182).

(?) من الطهران: واد من أودية الحجاز شمال مكة بـ 22 كم.

(?) انظر: معين السيرة، ص 387، الطبقات لابن سعد (2/135).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

الحرب<sup>(7)</sup>, فقال أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.. وسمع العباس أصواتهم فعرفهم فقال: يا أبا حنطلة، فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم، قال: ما لك، فداك أبي وأمي؟! قال العباس: قلت: وبِحَكْ يَا أَبَا سَفِيَّانَ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ وَاصْبَاحَ قَرِيشَ وَاللَّهِ! قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟! قَالَ: قَلْتَ: وَاللَّهِ لَئِنْ طَغَرْ بِكَ لِيَضْرِبَنِي عَنْكَ، فَارْكَبْ فِي عَجَزِ هَذِهِ الْبَغْلَةِ حَتَّى أَتِيَ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ فَاسْتَامِنَهُ لَكَ، قَالَ: فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ، فَجَئَتْ بِهِ، كَلَّمَ مَرْتَ بَنَارَ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عَلَيْهَا قَالُوا: عَمْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى بَغْلَتِهِ، حَتَّى مَرْتَ بَنَارَ عَمَرَ بْنَ الدَّخْلَابِ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ وَقَامَ إِلَيْ فِلَمَا رَأَى أَبَا سَفِيَّانَ عَلَى عَجَزِ الدَّابَّةِ قَالَ: أَبُو سَفِيَّانَ عَدُوُ اللَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمْكَنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَدْ وَلَا عَهْدٍ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ عَمَرَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو سَفِيَّانَ قَدْ أَمْكَنَ اللَّهَ مِنْهُ بِغَيْرِ عَدْ وَلَا عَهْدٍ، فَدَعَنِي فَلَاضْرَبَ عَنْقَهُ، قَالَ: قَلْتَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ أَجْرَتْهُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَمَرَ فِي شَانَهُ قَلْتَ: مَهْلَا يَا عُمَرَ، فَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ مَا قَلْتَ هَذَا، وَلَكِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، فَقَالَ: مَهْلَا يَا عَبَاسَ، فَوَاللَّهِ لِإِسْلَامِكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَ إِلَيْ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَابِ لَوْ أَسْلَمَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذْهَبْ بِهِ يَا عَبَاسَ إِلَى رَحْلَكَ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأَنْتِ بِهِ»، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدُوتَ بِهِ، فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَبِحَكْ يَا أَبَا سَفِيَّانَ، أَلَمْ يَأْنَ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: بَأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمُكَ وَأَكْرَمُكَ وَأَوْصَلُكَ! وَأَغْنَى عَنِّي بَعْدَ، قَالَ: «وَبِحَكْ يَا أَبَا سَفِيَّانَ، أَلَمْ يَأْنَ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ؟» قَالَ: بَأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمُكَ وَأَكْرَمُكَ وَأَوْصَلُكَ! أَمَا هَذِهِ وَاللَّهِ إِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا حَتَّى الآنِ شَيْئًا، فَقَالَ لِهِ الْعَبَاسُ: وَبِحَكْ أَسْلَمَ قَبْلَ أَنْ نَضْرِبَ عَنْكَ، قَالَ: فَشَهَدَ شَهَادَةُ الْحَقِّ فَأَسْلَمَ، قَالَ الْعَبَاسُ: قَلْتَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سَفِيَّانَ رَجُلٌ يَحِبُّ الْفَخْرِ فَأَجْعَلْ لَهُ شَيْئًا، قَالَ: «نَعَمْ، مِنْ دَخْلِ دَارِ أَبِي سَفِيَّانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ» فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْصِرُفَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «يَا عَبَاسَ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِيِّ عَنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ، حَتَّى تَمْرَ بِهِ جَنُودُ اللَّهِ فِي رَاهِهِ» قَالَ: فَخَرَجَتْ حَتَّى حَبَسَتْهُ حَيْثُ أَمْرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَرَتْ الْقَبَائِلَ عَلَى رَايَاتِهِ، كَلَّمَ مَرَتْ قَبِيلَةً قَالَ: يَا عَبَاسَ مَنْ هَذِهِ؟ فَأَقُولُ: سَلِيمٌ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلَسِيمٌ، ثُمَّ تَمَرَّ بِهِ الْقَبِيلَةُ فَيَقُولُ: يَا عَبَاسَ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَأَقُولُ: مَزِينَةٌ،

<sup>7</sup> (?) حَمَشْتَهَا الْحَرْبُ: أَحْرَقْتَهَا.

هَدِيَةُ الشِّبَكَةِ الْلِّيَبِيَّةِ وَالْكَاتِبُ بِمِنَاسِبَةِ الْعَشَرِ الْأَوَّلِ مِنْ رَمَضَانَ وَعِيدِ الْفَطَرِ 1426

فيفقول: ما لي ولمزينة.. حتى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: سبحان الله يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، ثم قال: والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً. قال: قلت: يا أبا سفيان: إنها النبوة، قال: فنعم إذن، قال: قلت: النجاء إلى قومك<sup>(1)</sup>.

### إن في هذه القصة دروساً وعبرًا وحكمة في كيفية معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم للنفوس البشرية ومن أهم هذه الدروس:

1- عندما أصبح أبو سفيان رهينة بيد المسلمين، وأصبح رهن إشارة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو به عمر، وأجاره العباس، ثم جاء في صيحة اليوم الثاني لممثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت المفاجأة الصاعقة له بدل التوبية والتهديد والإذلال أن يدعى إلى الإسلام، فتاثر بهذا الموقف واهتز كيانه؛ فلم يملك إلا أن يقول: بأبي أنت وأمي يا محمد، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! إنه يغدو رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبيه وأمه، ويشتري عليه الخير كله: ما أحلمك وأكرمك وأوصلك!<sup>(2)</sup> وعندما قال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أبي سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، ففي تخصيص بيت أبي سفيان شيئاً يشعـع ما تتطلع إليه نفس أبي سفيان، وفي هذا تثبت له على الإسلام وتقواه لإيمانه<sup>(3)</sup> وكان هذا الأسلوب النبوي الكريم عاملاً على امتصاص الحقد من قلب أبي سفيان، وبرهن له بأن المكانة التي كانت له عند قريش، لن تتنقص شيئاً في الإسلام، إن هو أخلص له وبذل في سبيله<sup>(4)</sup> وهذا منهج نبوي كريم على العلماء والدعاة إلى الله أن يستوعبوا ويعملوا به في تعاملهم مع الناس.

2- وفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس عن أبي سفيان: «أحبسه بمضيق الوادي، حتى تمر به جنود الله فيراها»<sup>(5)</sup> ففعل العباس، وكان صلى الله عليه وسلم يريد أن

1

2

3

4

5

(?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 518-520.

(?) انظر: فقه السيرة النبوية للغضيان، ص 564.

(?) انظر: المستفاد من فحص القرآن (2/403).

(?) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد رواس، ص 245.

(?) انظر: سيرة ابن هشام (4/52).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

يشن حرباً نفسية للتأثير على معنويات قريش حتى يتسينى له القضاء على روح المقاومة عند زعيم مكة، وحتى يرى أبو سفيان بعيني رأسه مدى قوة ما وصل إليه الجيش الإسلامي من تسليح وتنظيم وحسن طاعة وانضباط؛ وبذلك تحطم أي فكرة في نفوس المكيين يمكن أن تحملهم على مقاومة هذا الجيش المبارك إذا دخل مكة لتحريرها من براثن الشرك والوثنية<sup>(1)</sup>، وبالفعل تم ما رسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدرك أبو سفيان قوة المسلمين، وأنه لا قبل لقريش بهم، حتى إذا مرت به كتيبة المهاجرين والأنصار قال أبو سفيان: سبحان الله! يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك العدة عظيماً، قال: قلت: يا أبو سفيان، إنها النبوة، قال: نعم إذا....<sup>(2)</sup>.

«إنها النبوة»؛ تلك هي الكلمة التي أدارتها الحكمة الإلهية على لسان العباس، حتى تصبح الرد الباقى إلى يوم القيمة على كل من يتوهם أو يوهم أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إنما كانت ابتعاء ملك أو زعامة، أو إحياء قومية أو عصبية، وهي كلمة جاءت عنواناً لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها، فقد كانت ساعات عمره ومراحلها كلها دليلاً ناطقاً على أنه يبعث لتبلوغ رسالة الله إلى الناس، لا لإشادة ملك لنفسه في الأرض<sup>(3)</sup>.

لقد تعمد النبي صلى الله عليه وسلم شن الحرب النفسية على أعدائه أثناء سيره لفتح مكة، حيث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بياقاد النيران فاوقدوا عشرة آلاف نار في ليلة واحدة حتى ملأت الأفق، فكان لمعس克هم منظر مهيب كادت تنخلع قلوب القرشيين من شدة هوله<sup>(4)</sup>، وقد قصد النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك تحطيم نفسيات أعدائه والقضاء على معنوياتهم حتى لا يفكروا في أية مقاومة، وإجبارهم على الاستسلام لكي يتم له تحقيق هدفه دون إراقة دماء، ويتطبق هذا الأسلوب تم له صلى الله عليه وسلم ما أراد، ولقد كان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بمعنويات المقاتل ونفسيته سبباً عسكرياً؛ بدليل أن المدارس العسكرية التي جاءت فيما بعد جعلت هذا الأمر موضع العناية والاهتمام من الناحية العسكرية<sup>(5)</sup>.

\* \* \*

1 (?) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 447.  
2 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/52).

3 (?) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص 275.

4 (?) انظر: الطبقات لابن سعد (2/135).

5 (?) انظر: العبرية العسكرية وغزوات الرسول، اللواء محمد فرج، ص 565.  
هديّة الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

## خطة النبي صلى الله عليه وسلم لدخول مكة وفتحها

### أولاً: توزيع المهام بين قادة الصحابة:

عندما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوى<sup>(1)</sup> وزع المهام، فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى، وجعل أبي عبدة على البيادقة<sup>(2)</sup> وبطن الوادي، فقال: «يا أبا هريرة ادع لي الأنصار» فدعاهم فجاءوا يهربون، فقال: «يا معاشر الأنصار، هل ترون أوياسن قريش؟» قالوا: نعم، قال: «أنظروا إذا لقيتموهم غدًا أن تحصدوهم حصدًا» وأخفى بيده ووضع يمينه على شماله وقال: «موعدكم الصفا»<sup>(3)</sup>.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخليفتهم، وأمره أن يدخل من كداء من أعلى مكة وأمره أن يغزو رايته بالحجون، ولا يربح حتى يأتيه، وبعث خالد بن الوليد في قبائل قصاعة وسليم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة، وأن يغزو رايته عند أدنى البيوت، وبعث سعد بن عبادة في كتبية الأنصار في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم<sup>(4)</sup>. وبهذا كانت المسؤوليات واضحة، وكل قد عرف ما أSEND إليه من مهام والطريق الذي ينبغي أن يسير فيه<sup>(5)</sup>.

ودخلت قوات المسلمين مكة من جهاتها الأربع في آن واحد، ولم تلق تلك القوات مقاومة، وكان في دخول جيش المسلمين من الجهات الأربع ضربة قاضية لفلول المشركين، حيث عجزت عن التجمع، وضاعت منها فرصة المقاومة، وهذا من التدابير الحربية الحكيمية التي لجأ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أصبح في مركز القوة في العدد والعتاد، ونجحت خطة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يستطع المشركون المقاومة، ولا الصمود أمام الجيش الزاحف إلى أم القرى، فاحتل كل فيلق منطقته التي وجه إليها، في سلم واستسلام، إلا ما كان من المنطقة التي توجه إليها خالد<sup>(6)</sup>، فقد تجمع متطرفو قريش ومنهم صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو وغيرهم مع بعض حلفائهم في مكان اسمه (الخندمة) وتصدوا للقوات المتقدمة بالسهام، وصمموا على القتال، فأصدر خالد بن الوليد أوامره بالانقضاض عليهم، وما هي إلا لحظات حتى قضى على تلك القوة الضعيفة وشتت شمل أفرادها،

1 (?) انظر: معين السيرة، ص 389. 2) البيادقة: الرجال.  
3 (?) مسلم، باب فتح مكة. 4,5) انظر: معين السيرة، ص 390.

6) (?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوى في المدينة، ص 397.  
هديّة الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأوائل من رمضان وعيد الفطر 1426

391

وبذلك أكمل الجيش السيطرة على مكة المكرمة<sup>(1)</sup>. وقد حدثنا كتب السيرة والتاريخ عن قصة حماس بن خالد من قبيلةبني بكر، فقد أعد سلاحاً لمقاتلة المسلمين، وكانت امرأته إذا رأته يصلحه ويعهد له تسأله: لماذا تعدد ما أرى؟ فيقول: لمحمد وأصحابه، وقالت امرأته له يوماً: والله ما أرى أنه يقوم لمحمد و أصحابه شيء، فقال: إني والله لا أرجو أن أخدمك بعضهم.. ثم قال:

هذا سلاح كامل وألة<sup>(2)</sup>  
إن يقبلوا اليوم فما لي علة

وذو غرارين سريع السلة

فلما جاء يوم الفتح ناوش حماس هذا شيئاً من قتال مع رجال عكرمة، ثم أحس بالمشرين يتطايرون من حوله أمام جيش خالد، فخرج منهزمًا حتى بلغ بيته فقال لأمرأته: أغلقي عليّ الباب... فقالت المرأة لفارسها المعلم: فأين ما كنت تقول؟

قال يعتذر لها:

إذ فر صفوان وفر واستقبلتهم بالسيوف ضرباً فلا تسمع إلا غمغمة	إنك لو شهدت يوم الخروبة وأبو يزيد قائم كالمؤتمة <sup>(3)</sup>
كلمة <sup>(5)</sup>	يقطعن كل ساعد لهم نهيت <sup>(4)</sup> خلفنا وهممة

لقد أعلن في مكة قبيل دخول جيش المسلمين أسلوب منع التحول؛ لكي يتمكنوا من دخول مكة بأقل قدر من الاشتباكات والاستفزازات، وإراقة الدماء، وكان الشعار المرفوع: «من دخل دار أبي سفيان فهو أمان، ومن أغلق بابه فهو أمان، ومن دخل المسجد فهو أمان»، وجعل **صلى الله عليه وسلم** لدار أبي سفيان مكانة خاصة كي يكون أبو سفيان ساعده في إقناع المكينين بالسلام والهدوء، ويستخدمه كمفتاح أمان يفتح أمامه الطريق إلى مكة دون إراقة دماء، ويبشّع في نفسه عاطفة الفخر التي يحبها أبو سفيان حتى يتمكن الإيمان من قلبه<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> (?) انظر: قيادة الرسول **صلى الله عليه وسلم** السياسية والعسكرية، ص 122.

<sup>2</sup> (?) آلة: حرية.  
<sup>3</sup> (3) المؤتمة: الأسطوانة، وأبو يزيد: سهيل بن عمرو.

<sup>4</sup> (?) النهيت: صوت الصدر.  
<sup>5</sup> (?) انظر: البداية والنهاية (4/295).

<sup>6</sup> (?) انظر: دراسة في السيرة، د. عماد الدين خليل، ص 245.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

لقد دخل أبو سفيان إلى مكة مسرّغاً ونادى بأعلى صوته:

يا معاشر قريش، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو أمن، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس -تشبّهه بالزرق لسمّنه-، قبح من طليعة قوم. قال: ويلكم! لا تغرنكم هذه من أنفسكم؛ فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو أمن، قالوا: قاتلك الله! وما تغنى عنا دارك؟! قال: ومن أغلق عليه بابه فهو أمن، ومن دخل المسجد فهو أمن. وتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد<sup>(1)</sup>.

وحرص النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل الكداء التي بأعلى مكة<sup>(2)</sup> تجثيقاً لقول صاحبه الشاعر المبدع حسان بن ثابت، حين هجا قريشا وأخبرهم بأن خيل الله تعالى ستدخل من كداء، وتعد هذه القصيدة من أروع ما قال حسان، حيث قال:

تثير النقع <sup>(3)</sup> موعدها كداء	عدمنا خيلنا إن لم تروها
على أكتافها الأسل الظماء	ينازعن الأعناء مصغيرات
يلطمنهن بالحُمْر النساء	تظل جيادنا متطرّرات
وكان الفتح وانكشف	فإما تعرضوا عنا اعتمنا
يعز <sup>(4)</sup> الله فيه من يشاء	وإلا فاصبروا لجلاد يوم
وروح القدس ليس له كفاء	وجبريل رسول الله فينا
يقول الحق إن نفع البلاء	وقال الله قد أرسلت عبدا
فقلتم لا نقوم ولا نشاء	شهدت به فقوموا صدقوه
هم الأنصار عرصتها اللقاء	وقال الله قد سيرت جنداً
سياب أو قتال أو هجاء	لنا في كل يوم من معد
ونضرب حين تختلط الدماء	فنحكم بالقوافي من هجانا
مغلولة <sup>(5)</sup> فقد برح الخفاء	ألا أبلغ أبا سفيان عنني

(?) انظر: البداية والنهاية (4/290). (2) انظر: صحيح السيرة البوية، ص 524.

(?) النقع: موضع قرب مكة، أو العبار. (4) انظر: البداية والنهاية (4/309).

(5) مغلولة: رسالة محمولة من بلد إلى بلد.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

وعبد الدار سادتها الإمام  
وعند الله في ذاك الجزاء  
فيشر كما لخير كما الفداء  
أمين الله شيمته الوفاء  
ويحمده وينصره سواء  
لعرض محمد منكم وقاء  
وبحرى لا تقدره الدلاء<sup>(1)</sup>

بأن سيوفنا تركتك عبّداً  
هجوت محمداً فأجبت عنه  
أتهجوه ولست له بكافء؟!  
هجوت مباركاً بِّـ حنيقاً  
أمن يهجو رسول الله منكم  
فإن أبي ووالده وعرضي  
لساني صارم لا عيب فيه

ومما يؤيد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على دخوله من  
كداء ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما دخل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل  
بالخمر<sup>(2)</sup>; فتبسم إلى أبي بكر فقال: «يا أبي بكر، كيف قال حسان؟»  
فأنشدته قوله:

تلطمنهن بالخمر النساء<sup>(3)</sup>

تظل جيادنا متطرّات

### ثانياً: دخول خاشع متواضع، لا دخول فاتح متعالٍ:

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعليه عمامة سوداء  
بغير احرام<sup>(4)</sup>، وهو واضع رأسه تواضعاً لله، حين رأى ما أكرمه الله به  
من الفتح، حتى إن ذقنه ليكاد يمس واسطة الرجل، ودخل وهو يقرأ  
سورة الفتح<sup>(5)</sup> مستشعراً بنعمة الفتح وغفران الذنوب، وإفاضة النصر  
العزيز<sup>(6)</sup>، وعندما دخل مكة فاتحاً - وهي قلب جزيرة العرب ومركزها  
الروحي والسياسي - رفع كل شعار من شعائر العدل والمساوة،  
والتواضع والخضوع، فاردف أسامة بن زيد<sup>(7)</sup> - وهو ابن مولى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم - ولم يردف أحداً من أبناءبني هاشم وأبناء  
أشراف قريش وهم كثير، وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين ليلة  
خلت من رمضان، سنة ثمانٍ من الهجرة<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> (2) انظر: البداية والنهاية (4/309).  
<sup>2</sup> (?) الخمر جمع خمار، ماخوذ من الخمر وهو الستر وهو ما تستر به النساء  
ووجههن.

<sup>3</sup> (?) انظر: مغارزي الواقدي (2/831). (4) مسلم رقم 1358.

<sup>5</sup> (?) البخاري، كتاب المغارزي (5/108) رقم 4281.

<sup>6</sup> (?) انظر: صور وغير من الجهاد النبوى في المدينة، ص 396.

<sup>7</sup> (?) البخاري، كتاب المغارزي رقم 4289.

<sup>8</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوى، ص 337.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

يقول محمد الغزالى في وصف دخول النبي صلى الله عليه وسلم مكة:

على حين كان الجيش الزاحف يتقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته تتوج هامته عمامة دسماء، ورأسه خفيض من شدة التخشع لله، لقد انحنى على رحله وبدا عليه التواضع الجم.. إن الموكب الفخم المهيب الذي ينساب به حثيثا إلى جوف الحرم، والفيлик الدارع الذى يحف به ينتظر إشارة منه فلا يبقى بمكة شيء أمن، إن هذا الفتح المبين ليذكره بماض طوبل الفصول: كيف خرج مطاردا؟ وكيف يعود اليوم منصوراً مؤيداً؟ وأي كرامة عظمى حفه الله بها هذا الصباح الميمون؟ وكلما استشعر هذه النعماء ازداد لله على راحلته خشوعاً وانحناء...<sup>(١)</sup>.

هذا وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تأمين الجبهة الداخلية في مكة عند دخوله يوم الفتح؛ ولذلك عندما بلغته مقوله سعد بن عبادة لأبي سفيان: اليوم يوم الملحة، اليوم نستحل الكعبه، قال صلى الله عليه وسلم: «هذا يوم يعظم الله فيه الكعبه، ويوم تكسى فيه الكعبه»<sup>(٢)</sup>، وأخذ الراية من سعد بن عبادة وسلمها لابنه قيس بن سعد؛ وبهذا التصرف الحكيم حال دون أي احتمال لمعركة جانبية هم في غنى عنها، وفي نفس الوقت لم يتره، ولا آثار الأنصارى، فهو لم يأخذ الراية من أنصارى ويسلمها لهماجر، بل أخذها من أنصارى وسلمها لابنه، ومن طبيعة البشر لا يرضى الإنسان بان يكون أحد أفضل منه إلا ابنه<sup>(٣)</sup>.

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به، وفي يده قوس، وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بالقوس، ويقول: (جاء الحقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ رَهْوَقاً) [الإسراء: 81] (جاء الحقُّ وَمَا يَنْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) [سبأ: 49] والأصنام تتساقط على وجوهها<sup>(٤)</sup> وأنه لمظهر رائع لنصر الله وعظيم تأيده لرسوله، إذ كان يطعن تلك الآلهة الزائفه المنتورة حول الكعبه بعضا معه، فما يكاد يطعن الواحد منها بعضا حتى ينكفئ على وجهه أو ينقلب على ظهره جذاذا<sup>(٥)</sup>، ورأى في الكعبه الصور والتمايل فامر بالصور وبالتماثيل فكسرت<sup>(٦)</sup> وأبى أن يدخل جوف الكعبه حتى أخرجت الصور، وكان فيها صورة يزعمون أنها صورة إبراهيم وإسماعيل وفي يديهما من

<sup>1</sup> (؟) انظر: فقه السيرة للغزالى، ص 379. <sup>2</sup> (؟) البخارى، كتاب المغارى، باب أين رکز النبي الراية يوم الفتح (5/108) رقم 4280.

<sup>3</sup> (؟) انظر: قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية والعسكرية، ص 196. <sup>4</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية للندوى، ص 339. <sup>5</sup> (؟) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 282.

<sup>6</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية للندوى، ص 339. <sup>7</sup> (؟) البخارى، كتاب المغارى، (5/110) رقم 4288.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

الأزلام فقال النبي صلی الله عليه وسلم: «قاتلهم الله؛ لقد علموا ما استقساها بها قط...»<sup>(1)</sup>

ثم دخل البيت وكثّر في نواحيه ثم صلى، فقد روى ابن عمر أن رسول الله صلی الله عليه وسلم دخل الكعبة هو وأسامة وبلال وعثمان بن طلحة، فأغلقها عليه ثم مكث فيها، قال ابن عمر: فسألت بلالاً حين خرج: ما صنع رسول الله؟ قال: جعل عمودين عن يساره وعموداً عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه - وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة - ثم صلى<sup>(2)</sup>.

وكان مفتاح الكعبة مع عثمان بن طلحة، قبل أن يسلم، فأراد علي أن يكون المفتاح له مع السقاية، لكن النبي صلی الله عليه وسلم دفعه إلى عثمان بعد أن خرج من الكعبة ورده إليه قائلاً: اليوم يوم بر ووفاء<sup>(3)</sup>، وكان صلی الله عليه وسلم قد طلب من عثمان بن طلحة المفتاح قبل أن يهاجر إلى المدينة، فأغلظ له القول ونال منه، فحلم عنه، وقال: «يا عثمان، لعلك ترى هذا المفتاح يوماً بيدي، أضمه حيث شئت» فقال: لقد هلكت قريش يومئذ وذلت، فقال: «بل عمرت وعزت يومئذ»، ووَقَعَتْ كُلْمَتَهُ مِنْ عَثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ مَوْقَعاً، وَظَنَّ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَصِيرُ إِلَى مَا قَالَ<sup>(4)</sup>، ولقد أعطى له رسول الله صلی الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة قائلاً له: «هَلَكَ مَفْتَاحُكَ يَا عَثْمَانَ، يَوْمَ يَوْمٍ بِرٌّ وَوَفَاءٌ<sup>(5)</sup>، خَذُوهَا حَالَدَةً لَا يَنْزَعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا طَالِمٌ»<sup>(6)</sup> وهكذا لم يشأ النبي صلی الله عليه وسلم أن يستبدل بمفتاح الكعبة، بل لم يشأ أن يضعه في أحد من بني هاشم، وقد تطاول لا يخذه رجال منهم، لما في ذلك من الإثارة، ولما به من مظاهر السيطرة وبسط النفوذ، وليس هذه من مهام النبي بأطلاق... هذا مفهوم الفتح الأعظم في شرعة رسول الله صلی الله عليه وسلم: البر والوفاء حتى للذين غدروا ومكرروا، وتطاولوا<sup>(7)</sup>.

هذا، وقد أمر النبي صلی الله عليه وسلم بلالاً أن يصعد فوق ظهر الكعبة فيؤذن للصلوة، فصعد بلال وأذن للصلوة، وأنصت أهل مكة للنداء الجديد على آذانهم كأنهم في حلم، إن هذه الكلمات تقصف في الجو فتقذف بالرعب في أفندة الشياطين؛ فلا يملكون أمام دويها إلا أن يولوا هاربين، أو يعودوا مؤمنين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر<sup>(8)</sup>.

ذلك الصوت الذي كان يهمس يوماً ما تحت أسواط العذاب: أحد،

2

3

4

5

6

7

8

9

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/61, 62).

(?) المصدر نفسه (4/61).

(3) انظر: المغازي، (2/838).

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/62).

(?) انظر: المغازي (2/838).

(?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 401.

(?) انظر: فقه السيرة للفزالي، ص 383.

(8) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 269.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

أحد، أحد.. ها هو اليوم يجلجل فوق كعبة الله تعالى قائلا: لا إله إلا لله، محمد رسول الله، والكل خاشع من صلت خاصعا<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: إعلان العفو العام:

1- نال أهل مكة عفواً عاماً رغم أنواع الأذى التي أحقوها بالرسول صلى الله عليه وسلم ودعوه، ورغم قدرة الجيش الإسلامي على إبادتهم، وقد جاء إعلان العفو عنهم وهو مجتمعون قرب الكعبة يتنترون حكم الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم، فقال: «ما تظنون أني فاعلّ بكم؟» فقالوا: خيراً أخ كريمٌ وأبن أخ كريمٍ، فقال: (لَا تُثْرِبُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) [يوسف: 92]<sup>(2)</sup>.

وقد ارتقى على هذا العفو العام حفظ الأنفس من القتل أو السبي، وإبقاء الأموال المنقوله والأراضي بيد أصحابها، وعدم فرض الخراج عليها، فلم تعامل مكة كما عوملت المناطق الأخرى المفتوحة عنوة؛ لقدسيتها وحرمتها، فإنها دار النسك، ومتعبد الخلق، وحرم رب تعالى، لذلك ذهب جمهور الأئمة من السلف والخلف إلى أنه لا يجوز بيع أراضي مكة ولا إجارة بيوتها؛ فهي مناخ لمن سبق، يسكن أهلها فيما يحتاجون إلى سكناه من دورها، وما فضل عن حاجتهم فهو لإقامة الحجاج والمعتمرين والعباد القاصدين، وذهب آخرون إلى جواز بيع أراضي مكة وإجارة بيوتها، وأدلة لهم قوية في حين أن أدلة المانعين مرسلة وموقوفة<sup>(3)</sup>.

### 2- إهدار النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الدماء:

إلى جانب ذلك الصفح الجميل كان هناك الحزم الأصيل، الذي لا بد أن تتصف به القيادة الحكيمة الرشيدة، ولذلك استثنى قرار العفو الشامل بضعة عشر رجلاً أمر بقتلهم، وإن وجدوا متعلقين بأسنان الكعبة؛ لأنهم عظمت جرائمهم في حق الله ورسوله، وحق الإسلام، ولما كان يخشى منهم من إثارة الفتنة بين الناس بعد الفتح<sup>(4)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وقد جمعت أسماءهم من مفترقات الأخبار، وهم: عبد العزى بن خطل، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل، والحويرث بن نقيد - مصغراً - ومقيس بن حبابة، وهبار بن الأسود، وقيتان كانتا لابن خطل: فرنسي وقريبة، وسارة مولاةبني عبد المطلب، وذكر أبو معشر فيمن أهدر دمه الحارث بن طلال الخزاعي، وذكر الحاكم أن فيمن أهدر دمه كعب بن زهير، ووحشى بن حرب، وهند بنت عتبة<sup>(5)</sup>.

ومن هؤلاء من قُتل، ومنهم من جاء مسلماً تائباً فعفا عنه الرسول،

(?) انظر: المجتمع المدني للعمري، ص 179.

2

3

(?) المصدر نفسه، ص 180.

4

(?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/451) تأملات في السيرة، ص 262.

5

(?) فتح الباري (7/9).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

### 3- خطبة النبي صلى الله عليه وسلم غداة الفتح وإسلام أهل مكة:

وفي غداة الفتح بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن خزاعة حلفاءه عدت على رجل من هذيل فقتلوا - وهو مشرك - برجل قتل في الجاهلية، فغضب وقام بين الناس خطيباً فقال: «يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيمة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا، ولا يعتصد - يقطع - فيها شجرًا، لم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم العائب، فمن قال لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم».

يا معشر خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتل، فلقد كثر أن يقع، لقد قتلتكم قتلاً لأدينته، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهلته بخير النظرين، إن شاءوا فدم قاتله، وإن شاءوا فعقله»<sup>(1)</sup>.

كان من أثر عفو النبي صلى الله عليه وسلم الشامل عن أهل مكة، والعفو عن بعض من أهدر دماءهم، أن دخل أهل مكة - رجالاً ونساء وأحراراً وموالياً - في دين الله طواعية واختياراً، ويدخلون مكة تحت راية الإسلام دخل الناس في دين الله أزواجاً، وتمت النعمة، ووجب الشكر<sup>(2)</sup> وبابع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس جميعاً الرجال والنساء، والكبار والصغار، وبدء بمباغة الرجال، فقد جلس لهم على الصفا، فأخذ عليهم البيعة على الإسلام والسمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، وجاء مجاشع بن مسعود باخيه مجالد بعد يوم الفتح فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: جئتك باخبي لتباعيه على الهجرة، فقال عليه الصلاة والسلام: «ذهب أهل الهجرة بما فيها» فقال: على أي شيء تباعيه؟ قال: «أباعه على الإسلام والإيمان والجهاد»<sup>(3)</sup>.

وقد روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح: «لَا هجْرَةٌ بَعْدَ فَتْحِ الْمَكَّةِ وَلَكُنْ جَهَادُ وَنَوْيَةٍ»<sup>(4)</sup> وإذا استنفرتم فانفروا» والمراد أن الهجرة التي كانت واجبة من مكة قد انتهت بفتح مكة، فقد عز الإسلام، وثبت أركانه ودعائمه، ودخل الناس فيه أزواجاً، أما الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، أو من بلد لا يقدر أن يقيم فيه

6 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/451).

1 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/451)، وعلمه: دينه.

2 (؟) المصدر نفسه (2/456).

3 (؟) البخاري، كتاب المغازي رقم 4305 (5/114).

4 (؟) البخاري، كتاب الجهاد والسير، رقم 2783.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

دينه ويظهر شعائره، إلى بلد يتمكن فيه من ذلك، فهي باقية إلى يوم القيمة، ولكن هذه دون تلك، فقد تكون واجبة، وقد تكون غير واجبة، كما أن الجهاد والإنفاق في سبيل الله مشروع وباق إلى يوم القيمة، ولكنه ليس كالإنفاق ولا الجهاد قبل فتح مكة، قال عز شأنه<sup>(1)</sup>: ( **وَمَا لِكُمْ أَلَا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ فِيلٍ فَقْتَحَ وَفَاتَلَ أَوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَفَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَيْرٌ ) [الحديد: 10].**

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال بائع النساء، وفيهن هند بنت عتبة متنكرة، على الإيشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن، ولا يزنبن، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين بهتان يفترنه بين أيديهن وأرجلهن، ولا يعصين في معروف، ولما قال النبي: «**وَلَا يَسْرُقُنَّ**» قالت هند: يا رسول الله، إن أبي سفيان رجل شحيح لا يعطيوني ما يكفيه ويكتفي بي فهل عليّ من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال لها صلى الله عليه وسلم: «**خَذْهِ مِنْ مَالِهِ مَا يَكْفِيكَ وَبِنِيكَ بِالْمَعْرُوفِ**»، ولما قال: «**وَلَا يَزْنِنَنَّ**» قالت هند: وهل تنزني الحرّة؟ ولما عرفها رسول الله قال لها: «**وَإِنَّكَ لِهَنْدَ بَنْتَ عَتَبَةَ**؟» قالت: نعم، فاعف عما سلف عفا الله عنك.

وقد بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير مصافحة، فقد كان لا يصافح النساء، ولا يمس يد امرأة إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (لا والله، ما مست يد رسول الله يد امرأة قط) وفي رواية: ما كان يبايعهن إلا كلاماً ويقول: «**إِنَّمَا قُولِي لِأَمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ كَقُولِي لِمَائَةِ اِمْرَأَةٍ**»<sup>(2)</sup>.

#### **رابعاً: بعث خالد بن الوليد إلىبني جذيمة:**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلىبني جذيمة داعياً إلى الإسلام، وكان ذلك في شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة<sup>(3)</sup> قبل حنين، ومعه حنود منبني سليم ومدلج والأنصار والمهاجرين، كان تعدادهم حوالي ثلاثة وخمسين رجلاً، فلما رأى بنو جذيمة الجيش بقيادة خالد أخذوا السلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلمو، فقام رجل منهم يسمى جحدرا فقال: وبلكم يابني جذيمة! إنه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعنق، والله لا أضع سلاحي أبداً. فلم يزروا به حتى وضع سلاحه، فلما وضع السلاح أمر بهم خالد فكتفوا، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون صبانا

<sup>1</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي شعيبة (2/257).

<sup>2</sup> (؟) انظر: البداية والنهاية (4/319). (2) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 248.

صيّاناً، وخالد يأخذ فيهم أسرًا وقتلا، فأنكر عليه بعض أصحابه ذلك، ثم دفع الأسرى إلى من كان معه، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل واحد أسيره، فامتنع البعض، وامتنع عبد الله بن عمر وامتنع معه آخرون من قتل أسراه، فلما قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم أخبروه، فغضب ورفع يديه إلى السماء قائلاً: «اللهم إني أبراً إليك مما صنع خالد»<sup>(1)</sup>.

ودار كلام بين خالد وعبد الرحمن بن عوف حول هذا الموضوع حتى كان بينهما شر، فقد خشي ابن عوف أن يكون ما صدر عن خالد ثأراً لعمه الفاكه بن المغيرة الذي قتله جذيمة في الجاهلية، ولعل هذا الذي وقع بينهما هو ما أشار إليه الحديث المروي عند مسلم<sup>(2)</sup> وغيره: كان بين ابن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيءٌ فسَبَّ خالد، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»<sup>(3)</sup>، وبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلم علينا فودي لهم قتلهم وزادهم فيها تطبيقاً لنفوسهم وبراءة من دمائهم<sup>(4)</sup>، وبهذا التصرف النبوى الحكيم وأسى النبي صلّى الله عليه وسلم بني جذيمة، وأزال ما في نفوسهم من أسى وحزن<sup>(5)</sup> وكان قتل خالد لبني جذيمة تاؤلاً منه واجتهاداً خطأً، وذلك بدليل أن الرسول صلّى الله عليه وسلم لم يعاقبه على فعله<sup>(6)</sup>.

#### خامسًا: هدم بيوت الأوثان:

بعد أن طهر البيت الحرام من الأوثان التي كانت فيه، كان لا بد من هدم البيوت التي أقيمت للأوثان، فكانت معالم للجاهلية ردحاً طويلاً من الزمن<sup>(7)</sup>. فكانت سرايا رسول الله ترى لتطهير الجزيرة منها:

#### 1- سرية خالد بن الوليد إلى العزى:

توجهت سرية قوتها ثلاثون فارساً بقيادة خالد بن الوليد إلى الطاغوت الأعظم منزلة ومكانة عند قريش وسائر العرب (العزى) لإزالته من الوجود نهائياً، وعندما وصلت السرية إلى العزى بمنطقة نخلة قام إليها خالد فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليه<sup>(8)</sup> وهو يردد: كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك<sup>(9)</sup>، ثم رجع خالد

<sup>1</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/464). <sup>4</sup> مسلم (4/1967-4/1968 رقم 2541).

<sup>3</sup> (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 579.

<sup>4</sup> (?) في إسناده ضعف. المصدر السابق، ص 579.

<sup>5</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/465).

<sup>6</sup> (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 579.

<sup>7</sup> (?) انظر: معين السيرة، ص 394. <sup>6</sup> (?) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 282.

<sup>9</sup> (?) المصدر نفسه، ص 282. <sup>8</sup> (?) انظر: المغاربي (2/874).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

وأصحابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقريره بإنجاز المهمة، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم استدرك على قائد السرية وقال له: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا<sup>(1)</sup> فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً»<sup>(2)</sup> فرجع خالد وهو مغيظ حنق على عدم إنتهاء مهمته على الوجه المطلوب، فلما وصل إليها ونظرت السيدة إليه عرفوا أنه جاء هذه المرة ليكمل ما فاته في المرة السابقة، فهربوا إلى الجبل وهم يصيحون: يا عزي خليله، يا عزي عوريه، فاتاه خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحتو الترات على رأسها، فتقدم إليها خالد<sup>هـ</sup> بشجاعته المعروفة وضربها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال: «تلك هي العزى»<sup>(3)</sup>.

## 2- سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة:

مناة اسم صنم وكانت على ساحل البحر الأحمر مما يلي قدیدا<sup>(4)</sup> في منطقة تعرف بالمشلل<sup>(5)</sup>، وكانت للأوس والخزرج وغسان ومن دان بدينهم يعبدونها ويعظمونها في الجاهلية ويهلوون منها للحج، وقد بلغ من تعظيمهم إياها أنهم كانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة تحرجاً وتعظيمها لها حيث كان ذلك سنة في أيامهم من أحرم لمناة لم يطف بين الصفا والمروة<sup>(6)</sup>. ولم تزل هذه عادتهم حتى أسلموا، فلما قدموا مع النبي صلى الله عليه وسلم للحج ذكروا ذلك له فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(7)</sup> قال تعالى: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ أَعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ نَطَّقَ حَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِمْ) [آل عمران: 158].

وقد كان أول من نصبها لهم مؤسس الشرك في الجزيرة العربية ومبتدع الأوثان محرف الحنفية دين إبراهيم عليه السلام، عمرو بن لحي الخزاعي<sup>(8)</sup>، فلما فتح الله على المسلمين مكة بعث رسول الله إلى مناة رجلاً من أهلها سابقاً الذين كانوا يعظمونها في الجاهلية وهو سعد بن زيد الأشهلي<sup>هـ</sup> على رأس سرية قوتها عشرون فارساً، وكان واجب السرية هو إزاله مناة من الوجود نهايأيا<sup>(9)</sup>.

انطلق سعد بن زيد ومن معه في مسيرة اقترابي سريع لإنجاز المهمة المحددة حتى وصل إليها، فقابلها سادنها متسائلاً: ما تزيد؟ قال: هدم مناة، قال: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج

2 (?) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 282. (10) المصدر نفسه، ص 283.

3

5

(1) ما بين مكة والمدينة.

(?) المشلل من قدید وبالمشلل كانت مناة. (3) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 286.

3

(?) شرح النووي على مسلم، (9/22). (5) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 287.

7

(?) المصدر نفسه، ص 287. (7) انظر: الطبقات (2/146).

9

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعوه بالوبل وتضرب صدرها<sup>(1)</sup>. فصاحت بها السادن صيحة الوايق: مناة دونك بعض عصاتك<sup>(2)</sup> ولكن صيحته ذهبت أدراج الرياح، فلم يأبه سعد<sup>هـ</sup> بكل ذلك وضربها ضربة قاتلة قضت عليها، ثم أقبل مع أصحابه على الصنم فهدموه، ولم يجدوا في خزانتها شيئاً، وانصرف راجعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(3)</sup>.

### 3- سرية عمرو بن العاص إلى سواع:

قال تعالى مخبراً عن قوم نوح: ( وَقَالُوا لَا تَذَرْنَ آلَهَتَكُمْ وَلَا تَذَرْنَ وَدًا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَعْوَتْ وَسَرْتَمْ ) [نوح: 23].

سواع المذكور ضمن هذه الأصنام: هو اسم صنم كان لقوم نوح عليه السلام، ثم صار بعد ذلك لقبيلة هذيل المضدية<sup>(4)</sup> وظل هذا الوثن منصوباً تعبده هذيل وتعظمه حتى إنهم كانوا يحجون إليه<sup>(5)</sup> حتى فتحت مكة ودخلت هذيل فيما دخل في دين الله أزواجاً، فيبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة عمرو بن العاص<sup>هـ</sup> لتطهير سواع، ويحدثنا قائد السرية عن مهمته، فيقول: فانتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما ت يريد؟ قلت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه، قال: لا تقدر على ذلك، قلت: لم؟ قال: تمنع، قلت: حتى الآن أنت في الباطل، وبحدك! هل يسمع أو يبصر؟! قال: فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا شيئاً، ثم قلت للсадن: كيف رأيت؟ قال: أسلمنت لله<sup>(6)</sup>.

ونستفيد من حركة السرايا التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم للقضاء على الأصنام والأوثان أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة أبداً.

وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواقيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والذذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة

<sup>2</sup> (?). المصدر نفسه (2/146).

<sup>3</sup> (?). انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 288، قال مؤلف الكتاب الدكتور بريك العمري: الخبر ضعيف من الناحية الحديثية، ويمكن الاستئناس به تاريخياً، حيث ذكر أهل المغاربي أن رسول الله أرسل بعض السرايا لتطهير الأصنام في الجزيرة العربية، ولا يمكن استثناء منها من ذلك لكونها أحد أكبر الطواغيت في التي أشرف عليها الدكتور أكرم العمري.

<sup>4</sup> (?). انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 292. (2) انظر: سبل الرشاد للشامي (6/303).

<sup>5</sup> (?). انظر: مغاري الواقدي (2/870). (4) انظر: السرايا والبعوث النبوية، ص 302.

<sup>6</sup> هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

+

على إزالتها، وكثير منها يمنزلة اللات والعزى ومناه الثالثة الأخرى أو  
أعظم شركاً عندها وبها<sup>(1)</sup>.

\* \* \*

+

---

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

+

## المبحث الثالث

### دروس وعبر وفوائد

**أولاً: مواقف دعوية وقدرة رفيعة في التعامل مع النفوس:**

#### 1- إسلام سهيل بن عمرو:

قال سهيل بن عمرو: لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وظهر، انقضت بيتي وأغلقت عليّ بابي، وأرسلت إلى أبيه عبد الله بن سهيل أن اطلب لي جوازاً من محمد، وإنني لا أأمن من أن أقتل، وجعلت أتذكر أثري عند محمد وأصحابه فليس أحد أسوأ أثراً مني، وإنني لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية بما لم يلحظه أحد، وكنت الذي كاتبته، مع حضوري بدراً وأحداً، وكلما تحركت قريش كنت فيها، فذهب عبد الله بن سهيل إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، تؤمن به؟ فقال: «نعم»، هو أمن بامان الله، فليظهره، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله: «من لقي سهيل بن عمرو فلا يشد النظر إليه، فليخرج، فلعمري إن سهيل له عقل وشرف، وما مثل سهيل يجهل الإسلام، ولقد رأى ما كان يوضع فيه أنه لم يكن له بنافع» فخرج عبد الله إلى أبيه، فقال سهيل: كان والله براً، صغيراً وكبيراً. فكان سهيل يقبل ويذير، وخرج إلى حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة<sup>(2)</sup>.

لقد كان لهذه الكلمات التربوية الأثر الكبير على سهيل بن عمرو، حيث أثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبر طوال عمره، ثم دخل في الإسلام بعد ذلك، وقد حسن إسلامه وكان مكثراً من الأعمال الصالحة<sup>(3)</sup> يقول الزبير بن بكار: كان سهيل بعد كثير الصلاة والصوم والصدقة، خرج بجماعته إلى الشام مجاهداً، ويقال: إنه صام وتهجد حتى شحب لونه وتغير، وكان كثير البكاء إذا سمع القرآن، وكان أميراً على كردوس<sup>(4)</sup> يوم اليرموك<sup>(5)</sup>.

#### 2- إسلام صفوان بن أمية:

قال عبد الله بن الزبير<sup>(6)</sup>... وأما صفوان بن أمية فهرب حتى أتى الشعيبة<sup>(6)</sup> وجعل يقول لغلامه يسار وليس معه غيره: ويهلك، انظر من ترى، قال: هذا عمير بن وهب، قال صفوان: ما أصنع بعمير؟ والله

1 (؟) أي رميته بنفسه.

2 (؟) انظر: مغاربي الواقدي (2/846)، المستدرك للحاكم (3/381).

3 (؟) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (216/7).

4 (؟) كردوس: فرقة كبيرة.

5 (؟) انظر: سير أعلام النبلاء (2/195).

6 (؟) الشعيبة: مرفا السفن من ساحل بحر الحجاز، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة. معجم البلدان (5/276).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

ما جاء إلا ي يريد قتلي، قد ظاهر محمدًا علىَّ. فللحقة فقال: يا عمير، ما كفاك ما صنعت بي؟ حملتني دينك وعيالك، ثم جئت ت يريد قتلي، قال: أبا وهب جعلت فداك، جتنك من عند أب الناس وأوصل الناس. وقد كان عمير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، سيد قومي خرج هاربًا ليقذف نفسه في البحر، وخاف الا تؤمنه فداك أبي وأمي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد أمنت»، فخرج في اثره فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنك، فقال صفوان: لا والله، لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، جئت صفوان هاربًا ي يريد أن يقتل نفسه فأخبرته بما أمنته فقال: لا أرجع حتى تأتي بعلامة أعرفها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذ عمامتي».

قال: فرجع عمير إليها، وهو البر الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ معتجراً<sup>(1)</sup> به، بُرد حيرة<sup>(2)</sup> فخرج عمير في طلبه الثانية، حتى جاء بالبُرد فقال: أبا وهب جتنك من عند خير الناس، وأوصل الناس، وأب الناس، وأحلم الناس، مجده مجدك، وعزه عزك، وملكه ملكك، ابن أمك وأبيك، اذكر الله في نفسك، قال له: أخاف أن أقتل، قال: قد دعاك إلى أن تدخل في الإسلام، فإن رضيت وإن سيرك شهرين، فهو أوفي الناس وأب لهم، وقد بعث إليك ببرده الذي دخل فيه معتجراً، تعرفه؟ قال: نعم، فآخرجه، فقال: نعم، هو هو، فرجع صفوان حتى انتهى إلى رسول الله، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بال المسلمين العصر بالمسجد، فوقفا، فقال صفوان: كم تتصلون في اليوم والليلة؟ قال: خمس صلوات، قال: يصلي بهم محمد؟ قال: نعم، فلما سلم صاح صفوان: يا محمد، إن عمير بن وهب جاءني ببردك، وزعم أنك دعوتني إلى القدومن عليك، فإن رضيت أمراً وإن سيرتني شهرين، قال: «انزل أبا وهب» قال: لا والله حتى تبين لي، قال: «بل تسير أربعة أشهر» فنزل صفوان.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هوازن وخرج معه صفوان وهو كافر، وأرسل إليه يستعيره سلاحه، فأغاره سلاحه مائة درع باداتها، فقال: طوغاً أو كره؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عارية مؤداة» فأغاره، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملها إلى حنين، فشهد حنيناً، وألطفائف ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة، وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في الغنائم ينظر إليها ومعه صفوان بن أمية جعل صفوان ينظر إلى شعب مليء نعماً وشاء ورعاً فادام إليه النظر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرمقه، فقال: «أبا وهب، يعجبك هذا الشعب؟»

<sup>1</sup> (?) الاعتجار بالعمامة: هو أن يلفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه. (النهاية 3/69).

<sup>2</sup> (?) الحبرة: ضرب من ثياب اليمن.

قال: نعم، قال: «**هو لك وما فيه**»، فقال صفوان عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفسنبي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأسلم مكانه<sup>(1)</sup>.

ونلاحظ في هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم حاول أن يتألف صفوان بن أمية إلى الإسلام حتى أسلم، وذلك باعطائه الأمان ثم بتخييره في الأمر أربعة أشهر، ثم باعطائه من مال العطايا الكبيرة التي لا تصدر من إنسان عادي، فأعطاه أولاً مائة من الإبل مع عدد من زعماء مكة، ثم أعطاه ثانية من الإبل والغنم فقال: ما طابت نفس أحد بهذا إلا نفسنبي. ثم أسلم مكانه<sup>(2)</sup>، وقد وصف لنا صفوان بن أمية عطاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (وأله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيوني حتى إنه لأحب الناس إليّ)<sup>(3)</sup>.

### 3- إسلام عكرمة بن أبي جهل:

قال عبد الله بن الزبير: قالت أم حكيم امرأة عكرمة بن أبي جهل: يا رسول الله، قد هرب عكرمة منك إلى اليمن، وخاف أن تقتله فأممه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**هو أمن**»، فخرجت أم حكيم في طلبه ومعها غلام لها وومني، فراودها عن نفسها، فجعلت تمنيه حتى قدمت على حيٍّ من عك<sup>(4)</sup> فاستغاثتهم عليه فاوتفوه رياطاً، وأدركت عكرمة، وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة فركب البحر، فجعل نُوتيَ السفينة يقول له: أخلص، فقال: أي شيء أقول؟ قال: قل لا إله إلا الله، قال عكرمة: ما هربت إلا من هذا، فجاءت أم حكيم على هذا الكلام، فجعلت تلح عليه وتقول: يا ابن عم، جئتكم من عند أوصل الناس، وأبِر الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك. فوقف لها حتى ادركته فقالت: إنني قد استأمنت لك محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: أنت قلت؟ قالت: نعم، أنا كلمنه فامنك. فرجع معها وقال: ما لقيت من غلامك الرومي؟ فخبرته خبره فقتله عكرمة، وهو يومئذ لم يسلم، فلما دنا من مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه: « **يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً فلا تسبوا آباء، فإن سب الميت يؤذى الحي ولا يبلغ الميت**».

قال: وجعل عكرمة يطلب أمراته يجامعها، فتابيبي عليه، وتقول: إنك كافر وأنا مسلمة، فيقول: إن أمراً منعك مني لأمر كبير، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عكرمة وثب إليه -وما على النبي صلى الله عليه وسلم رداء- فرحاً بعكرمة، ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف بين يديه، وزوجته متقدبة، فقال: يا محمد إن هذه

<sup>1</sup> (?) انظر: مغاربي الواقدي (853-2/855).

<sup>2</sup> (?) انظر: التاريخ الإسلامي (7/220).

<sup>3</sup> (?) مسلم، كتاب الفضائل، رقم 2313، 1806، ص 223.

<sup>4</sup> (?) عك: مخلاف من مخاليف مكة التهامية، معجم ما استجم، ص 223.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

أخبرتني أنك أمنتني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدقت، فأنت أمن» فقال عكرمة: «إلام تدعوا يا محمد؟ قال: «أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتفعل وتفعل» حتى عد خصال الإسلام، فقال عكرمة: والله ما دعوت إلا إلى الحق وأمر حسن جميل، قد كنت والله فيما قبل أن تدعوني إلى ما دعوت إليه وأنت أصدقنا حديثاً وأبرنا برأ، ثم قال عكرمة: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده رسوله، فسُرّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا رسول الله علمني خير شيء أقوله، قال: «تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده رسوله» قال عكرمة: ثم ماذا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تقول: أشهد الله وأشهد من حضر أني مسلم مهاجر ومجاهد» فقال عكرمة ذلك.

قال رسول الله: «لا تسألني اليوم شيئاً أعطيه أحداً إلا أعطيته» فقال عكرمة: فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتها، أو مسيرة وضعت فيه، أو مقام لقيتك فيه، أو كلام قلته في وجهك أو وأنت غائب عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها، وكل مسيرة سار فيه إلى موضع يريده بذلك المسير إطفاء نورك، فاغفر له ما نال مني من عرض، في وجهي أو وأنا غائب عنه» فقال عكرمة: رضيت يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الإسلام إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً كنت أقاتل في صد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله، ثم اجتهد في القتال حتى قتل شهيداً<sup>(1)</sup>. وبعد أن أسلم رَّسول الله صلى الله عليه وسلم أمراته له بذلك النكاح الأول<sup>(2)</sup>.

كان سلوك النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع عكرمة لطيفاً حانياً يكفي وحده لاجتذابه إلى الإسلام، فقد أوجل نفسه عن ليس ردائه، وايتسم له ورحبه، وفي رواية قال له: «مرحبا بالراكب المهاجر»<sup>(3)</sup> فتأثير عكرمة من ذلك الموقف فاھترت مشاعره وتحركت أحاسيسه، فاسلم، كما كان لموقف أم حكيم بنت الحارث بن هشام أثر في إسلام زوجها، فقد أخذت له الأمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغامرت بنفسها تبحث عنه لعل الله يهديه إلى الإسلام كما هداها إليه، وعندما أرادها زوجها امتنعت عنه وأعللت ذلك بأنه كافر وهي مسلمة، فعظم الإسلام في عينه وأدرك أنه أمام دين عظيم، وهكذا خطت أم حكيم في فكر عكرمة بدأيه التفكير في

<sup>1</sup> (?). يعني يوم اليرموك.  
<sup>2</sup> (2) انظر: مغارزي الواقدي (2/851-853).

<sup>3</sup> (?). انظر: مجمع الزوائد (9/385) مرسل ورجاله رجال الصحيح في إحدى سنديه، وأما الإسناد الآخر من رواية الطبراني فرجاله رجال الصحيح إلا مصعب بن سعد لم يسمع من عكرمة.

الإسلام ثم توج بإسلامه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن صادقاً في إسلامه، فلم يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم دنيا، وإنما سأله أن يغفر الله تعالى له كل ما وقع فيه من ذنوب ماضية، ثم أقسم أمام النبي صلى الله عليه وسلم بأن يحمل نفسه على الإنفاق في سبيل الله تعالى بضعف ما كان ينفق في الجاهلية، وأن يبللي في الجهاد في سبيل الله بضعف ما كان يبذله في الجاهلية، ولقد بر بو عده فكان من أشجع المجاهدين والقادة في سبيل الله تعالى في حروب الردة ثم في فتوح الشام حتى وقع شهيداً في معركة اليرموك بعد أن بذل نفسه وماليه في سبيل الله<sup>(1)</sup>.

#### 4- مثل من تواضع النبي صلى الله عليه وسلم: إسلام والد أبي بكر:

قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهمما: لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رأه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا أتيه فيه؟» قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت، قالت: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «أسلم» فاسلم، قالت: فدخل به أبو بكر وكان رأسه ثغامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غيروا هذا من شعره»<sup>(2)</sup> ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا أبا بكر بإسلام أبيه<sup>(3)</sup>.

وفي هذا الخبر منهج نبوي كريم سنه النبي صلى الله عليه وسلم في توقير كبار السن وأحترامهم، ويؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يوقر كبارنا ويرحم صغيرنا»<sup>(4)</sup> وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلمين»<sup>(5)</sup> كما أنه صلى الله عليه وسلم سن إكرام أقارب ذوي البلاء والبذل والعطاء والسباق في الإسلام؛ تقديراً لهم على ما يبذلوه من الخدمة للإسلام والمسلمين ونصر دعوة الله تعالى<sup>(6)</sup>.

#### 5- مثل من عفو النبي صلى الله عليه وسلم وحلمه: إسلام فضالة بن عمير:

أراد فضالة بن عمير بن الملوح الليبي قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله

(?) انظر: التاريخ الإسلامي (7/223-225).<sup>1</sup>

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/54، 55).<sup>2</sup>

(?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 577.<sup>3</sup>

(?) انظر: سنن الترمذى، كتاب اليم، باب 15 رقم 1986.<sup>4</sup>

(?) انظر: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب 20، رقم 4843.<sup>5</sup>

(6) انظر: التاريخ الإسلامي للحمidi (7/195).<sup>6</sup>

صلى الله عليه وسلم: «أفضاله؟» قال: نعم، فضالة يا رسول الله، قال: «ماذا كنت تحدث به نفسك؟» قال: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: «استغفر الله»، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحبه إلى منه، قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث، فقلت: لا، وابعث فضالة يقول: قالت هلم إلى الحديث  
يأبى عليك الله والإسلام  
فقلت لا

لو ما رأيت محمداً وقبيله  
لرأيت دين الله أضحت بينا  
بالفتح يوم تكسر الأصنام  
الإظلام<sup>(1)</sup>

### ثانيًا: أتكلمني في حد من حدود الله؟

قال عروة بن الزبير: إن امرأة سرقت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح، ففرغ قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلآن وجه رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله خطيباً فأشنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها.

فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت، قالت عائشة: فكانت تأتيني بعد ذلك فارفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(2)</sup>.

وهكذا يستمر البناء التربوي للأمة، ونرى العدل في إقامة شرع الله على القريب والبعيد على حد سواء، ووجدت قريش نفسها أمام تشريع رباني لا يفرق بين الناس، فهم كلهم أمام رب العالمين سواء، وأصبحت معايير الشرف هي الالتزام بأوامر الله تعالى، وفي هذا الموقف الذي أثار غضب رسول الله الشديد واهتمامه الكبير، عبرة للMuslimين حتى لا يتهاونوا في تنفيذ أحكام الله تعالى، أو يشفعوا لدى الحاكم، من أجل تعطيل الحدود الإسلامية<sup>(3)</sup>.

### ثالثًا: أجرنا من أجرت يا أم هانئ:

قالت أم هانئ بنت أبي طالب: لما نزل رسول الله صلى الله عليه

<sup>1</sup> (?) التاريخ الإسلامي للحميدي (7/213). <sup>2</sup> (2) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4304.

<sup>3</sup> (?) انظر: معين السيرة، ص 402، التاريخ الإسلامي، (7/233).  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

**وسلم** بأعلى مكة فر إلى رجال من أحماقي، منبني مخزوم، وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل علي بن أبي طالب أخي، فقال: والله لا أقتلهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله **صلي الله عليه وسلم** وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بشوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلي ثمانى ركعات من الصحنى، ثم انصرف إلى فقال: «مرحباً وأهلاً يا أم هانئ، ما جاء بك؟» فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي، فقال: «قد أجزنا من أجرت وأمنا من أمنت، فلا يقتلهما»<sup>(1)</sup>.  
رابعاً: إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين:

كان عبد الله بن سعد بن أبي السرح قد أسلم وكتب الوجي ثم ارتد، فلما دخل رسول الله **صلي الله عليه وسلم** مكة - وقد أهدر دمه - فر إلى عثمان - وكان أخاه من الرضاعة - فلما جاء به ليستامن له صمت عنه رسول الله **صلي الله عليه وسلم** طويلاً ثم قال: «نعم»، فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله **صلي الله عليه وسلم** لمن حوله: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأني قد صمت فيقتله؟» فقالوا: يا رسول الله، هلا أومات إلينا؟ فقال: «إن النبي لا يقتل بإشارة»<sup>(2)</sup>، وفي رواية: «إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين»<sup>(3)</sup>.

قال ابن هشام: وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه عثمان<sup>(4)</sup>.

وقال ابن كثير: ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها في بيته<sup>(5)</sup>.

#### خامسًا: المحيا محاكم والممات مماتكم:

قال أبو هريرة: ... أتى رسول الله **صلي الله عليه وسلم** الصفا، فعلاه حيث ينظر إلى البيت، فرفع يديه، فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره، ويدعوه، قال: والأنصار تحته، قال: يقول بعضهم لبعض: أما الرجل فأداركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته. قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء لم يخف علينا فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله **صلي الله عليه وسلم** حتى يقضى، قال: فلما قضى الوحي رفع رأسه ثم قال: يا مبشر الأنصار قلتم أما الرجل فأداركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته؟ قالوا: قلنا ذلك يا رسول الله، قال: فما اسمي إذن؟ كلا، إنني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محاكم، والممات مماتكم، قال: فأقبلوا إليه يبكون، ويقولون:

1 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/59)، صحيح السيرة، ص 527.  
 2 (?) انظر: البداية والنهاية، (4/296).  
 3 (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 528.  
 4 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/58).  
 4 (4/296).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

410

والله ما قلنا الذي قلنا إلا الظن بالله ورسوله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لِيَصْدِقَاكُمْ وَلِيَعْذِرَاكُمْ»<sup>(1)</sup>.

**سادساً: إسلام عبد الله بن الزبيري شاعر قريش:**

لما فتحت مكة فر عبد الله بن الزبيري السهمي إلى نجران فلحقته قوافي حسان، فقد كان خصماً عنيداً للإسلام، فراح يعيده بالجبن والفرار فقال له:

لا تعد من رجلًا أحلك بغضه      نجران من عيش أحدّ لئيم<sup>(2)</sup>

أي فليبق الله لنا محمداً صلى الله عليه وسلم هذا الرجل العظيم الذي أحملتك بغضه ديار نجران، وليدم الله عليك ابن الزبيري عيشاً ذليلاً مهيناً أشاماً.

ثم راح حسان يستنزل غضب الله ومقته على ابن الزبيري، وعلى نجله ويسأله الله تعالى أن يخلده في سوء العذاب واليمه<sup>(3)</sup>:

غضب الإله على الزبيري      وعذاب سوء في الحياة  
وابنه      مقيم

فتطايرت تلك الأبيات ووصلت إلى ابن الزبيري، فقام وقعد وقلب أمره، ثم أراد الله به الخير فعزم على الدخول في الإسلام، ثم توجه إلى مكة وقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلن إسلامه، وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له كل عداوة له وللإسلام، فقال له رسول الله: «إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجْبُ مَا قَبْلَهِ»<sup>(4)</sup> ثم أدنى رسول الله منه وأنسه، ثم خلع عليه حلة<sup>(5)</sup> وقد أجمع الرواة أن ابن الزبيري قال بعد إسلامه شعراً كثيراً حسناً يعتذر فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(6)</sup>. قال ابن عبد البر رحمه الله: ولو - ابن الزبيري - في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أشعار كثيرة، ينسخ بها ما قد مضى من شعره في كفره<sup>(7)</sup>.

وكذا نص ابن حجر في الإصابة: ثم أسلم ومدح النبي صلى الله عليه وسلم فامر له بحلة<sup>(8)</sup>، وقال القرطبي: (وكان شاعراً مجيداً، ولو في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، أشعار كثيرة، ينسخ بها ما قد

1 (؟) انظر: صحيح السيرة النبوة، ص 529، 530.  
2 (4/307)

3 (؟) الصحابي الشاعر عبد الله بن الزبيري، محمد كابتى، ص 92.  
4 (؟) المغازي (2/848).

5 (؟) الزركلى: الأعلام (4/84)، الإصابة لابن حجر (2/308) نقاً عن المرجع الذى  
6 (؟) انظر: الصحابي الشاعر عبد الله بن الزبيري، ص 97.  
7 (؟) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، (2/310). (6) انظر: الإصابة (2/308).

مضى في كفره<sup>(1)</sup>...) وقال ابن كثير: كان من أكبر أعداء الإسلام ومن الشعراة الذين استعملوا قواهم في هجاء المسلمين، ثم من الله عليه بالتوبية والإنبابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذب عنه<sup>(2)</sup>.  
سابعاً: من الأحكام الشرعية التي تؤخذ من الغزوة، ومكان نزول الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة:

### ١- اتضحت كثير من الأحكام الشرعية خلال فتح مكة منها:

- أ- جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية؛ حيث صام الرسول في مسيرة الجيش من المدينة حتى بلغ كديداً فأفطر<sup>(3)</sup>.
- ب- صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى ثمانين ركعات خفيفة<sup>(4)</sup> وأستدل قوم بهذا على أنها سنة مؤكدة<sup>(5)</sup>.
- ج- قصر الصلاة الرباعية للمسافر، فقد أقام النبي بمكة تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة<sup>(6)</sup>.
- د- تحريم نكاح المتعة إلى الأبد بعد إياحته لمدة ثلاثة أيام<sup>(7)</sup>. ويرى الإمام النووي<sup>(8)</sup> أنه وقع تحريمه وإياحته مرتين؛ إذ كان حلالاً قبل غزوة خيبر، فحرم يومها، ثم أصبح يوم الفتح، ثم حرم للمرة الثانية إلى الأبد. ويرى ابن القيم<sup>(9)</sup> أن المتعة لم تحرم يوم خيبر، وإنما كان تحريمهما فقط يوم الفتح، ولو في هذا مناقشة طويلة عند كلامه عن الأحكام الفقهية المستنبطة من أحداث غزوة خيبر وغزوة الفتح، والمتفق عليه أنها حرمت إلى الأبد بعد الفتح<sup>(10)</sup>.

هـ- قرر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش وللعاهر الحجر كما جاء ذلك في حديث ابن وليدة بن زمعة، فقد تنازع فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن زمعة، فقضى فيه رسول الله لعبد الله بن زمعة لأنه ولد على فراش أبيه<sup>(11)</sup>.

و- عدم جواز الوصية بأكثر من ثلث المال، كما في قصة سعد بن

(?) انظر: تفسير القرطبي، (6/407). (8) البداية والنهاية (4/308).

(?) انظر: السيرة النبوية، في ضوء المصادر الأصلية، ص 574.

(?) المصدر نفسه، 574.

(?) السيرة النبوية، في ضوء المصادر الأصلية، ص 574.

(2) انظر: المجتمع المدني، ص 185.

(?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 575.

(?) النووي على شرح مسلم (9/181)، اعتمدت على فقه الأحكام على ما استخرجته الدكتور العمري في المجتمع المدني، والدكتور مهدي رزق الله في

السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية.

(?) انظر: زاد المعاد (3/343): 345 - 459 - 464.

(?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 575.

(?) البخاري، كتاب المغازي رقم 4303.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

أبي وقاص حين مرضه بمكة واستشارة الرسول صلى الله عليه وسلم في أن يوصي بأكثر من الثالث<sup>(1)</sup>. هذه بعض الأحكام الفقهية المستنبطة من أحداث الغزوة والفتح العظيم.

## 2- مكان نزول الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة:

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون في المكان الذي تعاقدت فيه قريش على مقاطعةبني هاشم والمسلمين، وقال عندما سأله أسامة بن زيد إن كان سينزل في بيته: «وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور؟» مبينا أنه لا يرث المسلم الكافر<sup>(2)</sup>. وكان عقيل قد ورث أبا طالب هو وطالب أخوه وباع الدور كلها، وأما علي وجعفر فلم يرثاه؛ لأنهما مسلمان وأبو طالب مات كافراً<sup>(3)</sup>.

ثامنًا: من نتائج فتح مكة:

كان لفتح مكة نتائج كثيرة منها:

1- دخلت مكة تحت نفوذ المسلمين، وزالت دولة الكفر منها، وحان وقت الفرصة للقضاء على جيوب الشرك في حنين والطائف، ومن ثم إلى العالم أجمع.

2- أصبح المسلمون قوى عظمى في جزيرة العرب. وبعد فتح مكة، تحققت أمنية الرسول صلى الله عليه وسلم بدخول قريش في الإسلام، ويرزت قوة كبرى في الجزيرة العربية لا يستطيع أي تجمع قبلى الوقوف في وجهها، وهي مؤهلة لتوحيد العرب تحت راية الإسلام ثم الانطلاق إلى الأقطار المجاورة، لإزالة حكومات الظلم والطغيان، وتأمين الحرية لخلق الله لكي يدخلوا في دين الله، ويعبدوه وحده من دون سواه<sup>(4)</sup>.

3- كان لهذا الفتح آثار عظيمة دينية وسياسية واجتماعية، وقد بدأت هذه الآثار بصورة يلمسها كل من يمعن النظر في هذا الفتح المبارك، فاما الآثار الاجتماعية فتمثلت في رفقه صلى الله عليه وسلم بالناس وحرصه على الأخذ بأيديهم ليعيد إليهم ثقفهم بأنفسهم، وبالوضع الجديد الذي سيطر على بلدتهم، وتعين من يعلمهم، ويفقههم في دينهم، فقد أبقى معاذ بن جبل في مكة بعد انصرافه عنها ليصلب الناس، ويفقههم في دينهم، وأما الآثار السياسية فقد عين عتاب بن أبيد أميراً على مكة، يحكم في الناس بكتاب الله، فياخذ لضعيفهم، وينتصر

1 (?) المجتمع المدني للعمري، ص 186، سنن الترمذى (3/291).

2 (?)، (10) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (2/482).

3 (?) انظر: قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية والعسكرية، أحمد عرموش، ص 129.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

للمظلوم من الظالم<sup>(1)</sup>، وأما الآثار الدينية فإن فتح مكة وخطبها لسلطان الإسلام، قد أقنع العرب جميًعاً بأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده فدخلوا فيه أفواجاً<sup>(2)</sup>.

-4 تحقق وعد الله بالتمكين للمؤمنين الصادقين بعد ما صحوا بالغالي والنفيس، وحققوا شروط التمكين وأخذوا بأسبابه، وقطعوا مراحله وتعاملوا مع سنته كسنة الابتلاء، والتدافع، والتدريج، وتغير النفوس، والأخذ بالأسباب، ولا ننسى تلك الصورة الرائعة وهي وقوف بلال فوق الكعبة مؤذنًا للصلوة بعد أن عذب في بطحاء مكة وهو يردد: «أحد أحد» في أغلاله وحديده، ها هواليوم قد صعد فوق الكعبة، ويرفع صوته الجميل بالأذان وهو في نوبة الإيمان.

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) انظر: تأملات في سيرة الرسول، ص 266.  
<sup>2</sup> (?) المصدر نفسه، ص 267.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

## الفصل السادس عشر غزوة حنين والطائف (٨هـ)

### المبحث الأول أسبابها وأحداث المعركة

لما فتح الله مكة على رسوله والمؤمنين، وخصبت له قريش، خافت هوازن وثقيف وقالوا: قد فرغ محمد لقتالنا، فلن fugze قبل أن يغزونا، وأجمعوا أمرهم على هذا، وولوا عليهم مالك بن عوف النصري، فاجتمع إليه هوازن، وثقيف وبنو هلال، ولم يحضرها من هوازن كعب وكلب، وكان معهم دريد بن الصمة، وكان معروفاً بشدة البأس في الحرب وأصالة الرأي، إلا أنه كان كبيراً فلم يكن له إلا الرأي والمشورة.

وكان رأي مالك بن عوف أن يخرجوا وراءهم النساء والذراري والأموال حتى لا يفروا، فلما علم بذلك دريد سالم: لم ذلك؟ فقال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وما له ليقاتل عنهم، فقال دريد: رأعي ضان والله، وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فصحت في أهلك ومالك، ولكنه لم يستمع لمشرعته<sup>(١)</sup>.

#### أولاً: أهم أحداث غزوة حنين:

تحرك المسلمين باتجاه حنين في اليوم الخامس من شوال ووصلوا حنين في مساء العاشر من شوال<sup>(٢)</sup> وقد استخلف الرسول صلى الله عليه وسلم عتاب بن أبي سعيد على مكة عند خروجه، وكان عدد جيش المسلمين اثنى عشر ألفاً من المسلمين، أما عدد هوازن وثقيف فكانوا ضعف عدد المسلمين أو أكثر، ولما رأى بعض الطلقاء جيش المسلمين قالوا: لن نغلب اليوم من قلة، ودخل الإعجاب في التفوس<sup>(٣)</sup>.

**أ- التعبئة التي اتخذها مالك بن عوف زعيم هوازن وثقيف:**

اتخذ مالك بن عوف زعيم قبائل هوازن وثقيف تعبئة مرت بمراحل:

**1- رفع الروح المعنوية لدى جنوده: وقف مالك خطيباً في**

<sup>1</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/467)، السيرة النبوية لابن هشام (4/88).

<sup>2</sup> (؟) انظر: طبقات ابن سعد (2/150).

<sup>3</sup> (2/497) هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

حيشه وحثهم على الثبات والاستبسال، ومما قال في هذا الجمع الحاشد: إن محمدًا لم يقاتل قط قبل هذه المرة، وإنما كان يلقى قوماً أعماراً<sup>(1)</sup> لا علم لهم بالحرب فينصر عليهم<sup>(2)</sup>.

## **2- حشر ذراري المقاتلين وأموالهم خلف الجيش: أمر**

قائد هوازن بحشد نساء المقاتلين وأطفالهم وأموالهم خلفهم، وقد قصد من وراء هذا التصرف، دفع المقاتلين إلى الاستبسال والثبات أمام أعدائهم؛ لأن المقاتل -من وجهة نظره- إذا شعر أن أعز ما يملك وراءه في المعركة صعب عليه أن يلوذ بالفرار مخلفاً ما وراءه في ميدان المعركة، عن أنس بن مالك قال: افتحنا مكة، ثم غزونا حيناً، فجاء المشركون بحنين باحسن صفوف رأيت، قال: فصفت الخيل ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك ثم صفت الغنم ثم صفت النعم<sup>(3)</sup>.

## **3- تجريد السيف وكسر أجنانها: حررت عادة العرب في**

حروبهم أن يكسرنوا أجنان سيفوفهم قبل بدء القتال، وهذا التصرف يؤذن بإصرار المقاتل على الثبات أمام الخصم حتى النصر أو الموت، وقد أمر مالك جنده بذلك تحقيقاً لهذا، بدليل قولهم: إذا أتم رأيتم القوم فاكسروا جفون سيفوكم وشدوا شدة رجل واحد عليهم<sup>(4)</sup>.

## **4- وضع الكمائن لمباغة جيش المسلمين والانقضاض عليهم: كانت عند مالك بن عوف النصري معلومات وافية عن الأرض**

التي ستدور عليها المعركة، ولهذا رأى أن يستغل هذه الظروف الطبيعية لصالح جيشه، فعمل -بمشورة الفارس المحنك دريد بن الصمة- في نصب الكمائن لجيوش المسلمين، وقد كادت هذه الخطة تقضي على قوات المسلمين لو لطف الله سبحانه وتعالى وعنائه.

## **5- الأخذ بزمام المبادرة في الهجوم على المسلمين:**

كان ضمن الخطة التي رسماها القائد الهوازني، الأخذ بزمام المبادرة ومحاجمة المسلمين؛ لأن النصر في الغالب يكون للمهاجم، أما المدافع فغالباً ما يكون في مركز الضعف، ولهذا اتبt هذه الخطة ثمارها بعض الوقت، ثم انقلبت موازين القوى بفضل الله تعالى ثم ثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كسب المسلمون الجولة وانتصروا على أعدائهم<sup>(5)</sup>.

## **6- شن الحرب النفسية ضد المسلمين: كان من ضمن بنود**

الخطة الحربية التي رسماها القائد مالك بن عوف الهوازني، استعمال سلاح معنوي له تأثير كبير في النفوس، فقد شن الحرب النفسية ضد

1 (؟) أعمار: جمع عمر، يضم الغين واسكان الميم، وهو الذي لا يجرب الأمور.

2 (؟) انظر: مغازي الواقدي (3/893).

3 (؟) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (2/736) رقم 1059.

4 (؟) انظر: مجمع الزائد (180، 6/179)، المستدرك للحاكم (48، 3/48)، صحيح الإسناد

5 (؟) انظر: القيادة العسكرية على عهد رسول الله، ص 252.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ال المسلمين من أجل القاء الخوف في نفوسهم، وذلك بأن عمد إلى عشرات الآلاف من الجمال التي صحبها معه في الميدان فجعلها وراء جيشه ثم أركب عليها النساء، فكان لذلك المشهد منظر مهيب يحسب من يراه أن هذا الجيش مائة ألف مقاتل، وهو ليس كذلك<sup>(1)</sup>.

## بـ- خطوات الرسول صلى الله عليه وسلم لصد هذه الحشود:

لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم عزم هوازن على حربه بعد أن تم له فتح مكة -شرفها الله- قام بالآتي:

### 1- أرسل عبد الله بن أبي حدرد الإسلامي حتى يوافيء بخبر هوازن:

فذهب <sup>١</sup> ومكث بينهم يوماً أو يومين ثم عاد وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما رأى<sup>(2)</sup>.

ولقد ذهب عبد الله إلى حيث أمره الرسول صلى الله عليه وسلم وعاد على وجه السرعة بخبر هؤلاء الأعداء، إلا أنه قصر <sup>٢</sup> في أداء هذا الواجب حيث لم يختلط بهوازن اختلاطاً كاملاً بحيث يسمع ويرى ما يدور ضد المسلمين هناك، وكان من أهم ما يجب أن يعني به معرفة موقع المشركين التي احتلوها، وقد فوجئ المسلمون باختفاء تلك الكمائن التي نصبها الأعداء في منحنيات الوادي حتى استطاعوا أن يمطروا المسلمين بوابل من سهامهم فانهزموا في الجولة الأولى، فكان الجهل بهذه الكمائن أحد الأسباب الرئيسية وراء هزيمة

المسلمين في أول المعركة، وما حدث نتيجة لهذا الخطأ لا يقتدح في العصمة الثابتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذا الأمر ليس وحيًا من الله سبحانه وتعالى، وإنما هو من باب الاجتهاد في الأمور العسكرية، وقد يذل النبي صلى الله عليه وسلم جهده في سبيل الحصول على أدق المعلومات وأوافاها لكي يضع على ضوئها الخطة العسكرية المناسبة لمحابهة العدو<sup>(3)</sup>.

### 2- عدة الجيش واستعارة الدروع والرماح:

أعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً قوامه عشرة آلاف -  
وهم من خرجوا معه من المدينة- والثانى من مسلمة الفتاح؛ فكان عدد من خرج في تلك الغزوة اثنى عشر ألفاً، عن أنس بن مالك <sup>٤</sup> قال: لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان بذراريهم وتعهم ومع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عشرة آلاف ومعه الطلاقاء <sup>(4)</sup> وهم

<sup>1</sup> (؟) انظر: غزوة حنين للشيخ محمد أحمد باشميل، ص 128-131.

<sup>2</sup> (؟) انظر: تاريخ الطبرى (3/73).

<sup>3</sup> (؟) انظر: القيادة العسكرية على عهد رسول الله، ص 369.

<sup>4</sup> (؟) الطلاقاء: هم الذين أطلقهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة وخلى سبيلهم.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**ألفان<sup>(1)</sup>**, وسعي صلى الله عليه وسلم لتأمين عدة الجيش فطلب من ابن عمه نوبل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح إعارة، وطلب من صفووان بن أمية دروغاً, وتكلف صلى الله عليه وسلم بالضمان، وكان نوبل وصفوان لا يزالان على شركهما، عن صفووان بن يعلى بن أمية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتيك رسلي فأعطيهم - أو قال فادفع إليهم - ثلاثة درعاً وثلاثين بعيراً، أو أقل من ذلك» فقال له: العارية مودأة يا رسول الله، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم»<sup>(2)</sup> وفي رواية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار منه يوم حنين دروعاً فقال: أغصباً يا محمد؟ قال: «لا، بل عارية مضمونة» قال: فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضعها له، فقال: أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أراغب، قال أبو داود: وكان أغاره قبل أن يسلم ثم أسلم<sup>(3)</sup>.

### 3- ثباته صلى الله عليه وسلم وأثره في كسب المعركة:

سبقت هوازن المسلمين إلى وادي حنين، واختاروا مواقعهم، وتشروا كتائبهم في شعابه ومنعطفاته وأشجاره، وكانت خطتهم تمثل في مياغة المسلمين بالسهام أثناء تقدمهم في وادي حنين المنحدر.

لقد باغت المشركون المسلمين وأمطّرهم الأعداء من جميع الجهات، فاضطربت صفوفهم، وماج بعضهم في بعض، وتبيّحة لهول هذا الموقف انهزم معظم الجيش ولاذوا بالفرار، كل يطلب النجاة لنفسه، وبقي الرسول صلى الله عليه وسلم ونفر قليل في الميدان يتصدون لهجمات المشركين، وترك العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم يصف لنا ذلك المشهد المهيب حيث يقول: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء، فلما التقى المسلمون والكافر ولـى المسلمين مدربين، فطفرق رسول الله صلـى الله عليه وسلم يركض بغلته قـتـلـ الكـفـارـ، قال العباس: وأنا أخذ بلجام بـغلـةـ رسول الله صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ علىـ بـغـلـةـ لـهـ بـيـضـاءـ إـرـادـةـ أـلـاـ تـسـرعـ، فقال رسول الله صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: «أـيـ عـيـاسـ، نـادـ أـصـحـابـ السـمـرـةـ»<sup>(4)</sup> فقال العباس - وكان رجلاً صيـتاًـ: فقلـتـ بـأـعـلـىـ صـوـتـيـ: أـيـنـ أـصـحـابـ السـمـرـةـ؟ـ قالـ:ـ فـوـالـلـهـ لـكـانـ عـطـفـتـهـ حـيـنـ سـمـعـواـ صـوـتـيـ عـطـقـةـ الـبـقـرـ عـلـىـ أـلـاـدـهـاـ،ـ فـقـالـواـ:ـ يـاـ لـبـيـكـ يـاـ لـبـيـكـ!ـ قـالـ:ـ فـاقـتـلـواـ الـكـفـارـ،ـ وـالـدـعـوـةـ فـيـ الـأـنـصـارـ،ـ يـقـولـونـ:ـ يـاـ مـعـشـرـ الـأـنـصـارـ،ـ يـاـ مـعـشـرـ الـأـنـصـارـ،ـ قـالـ:ـ ثـمـ قـصـرـتـ الدـعـوـةـ عـلـىـ بـنـيـ الـحـارـثـ مـنـ الـخـزـرـ،ـ فـنـظـرـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـهـوـ عـلـىـ بـغـلـةـ كـالـمـطـاـوـلـ عـلـيـهـ إـلـىـ قـتـالـهـ فـقـالـهـمـ هـدـيـةـ الشـيـكـةـ الـلـبـيـةـ وـالـكـاتـبـ بـمـنـاسـبـ الـعـشـرـ الـأـوـاـخـرـ مـنـ رـمـضـانـ وـعـيـدـ الـفـطـرـ 1426

1 (؟) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبيهم (2/735) رقم 1059.

2 (؟) أبو داود، كتاب البيوع، باب تضمين العارية، (3/826) رقم 8566.

3 (؟) أبو داود، كتاب الجهاد والإجرارات، باب تضمين العارية (3/823) رقم 8562.

4 (؟) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين (3/1398) رقم 1775.

الله صلى الله عليه وسلم: «هذا حين حمي الوطيس»<sup>(1)</sup>.  
**لقد أيد الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين بأمور منها:**

- \* نزول الملائكة من السماء.
- \* سلاح الرعب<sup>(2)</sup>.

**تأثير قبضتي الحصى والتراب في أعين الأعداء:**  
 من الأسلحة المادية التي أيد الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين تأثير قبضتي الحصى والتراب اللتين رمي بهما وجوه المشركين، حيث دخل في أعينهم كلام من ذلك الحصى والتراب فصار كل واحد يجد لها في عينيه أثراً، فكان من أسباب هزيمتهم<sup>(3)</sup> قال العباس ﷺ: ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمي بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورَبُّ محمد» قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته مما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً<sup>(4)</sup>.

**ثانياً: مطاردة فلول الفارين إلى أوطاس والطائف:**

**أ- قال أبو موسى الأشعري** ﷺ: لما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دريد بن الصمة، فقتل دريد، وهزم الله أصحابه، قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرمي أبو عامر في ركبته، رماه جسمي بسهم فاثبته في ركبته، فاتجهت إليه فقالت: يا عم، من رماك؟ فأشار إلى فقل: ذاك قاتلي الذي رماني، فقصدت له، فلحقته، فلما رأني ولی فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي؟ ألا تثبت؟ فكف، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك، قال: فائز هذا السهم، فنزعته فنزا منه الماء.  
 قال: يا ابن أخي أقرئ النبي صلى الله عليه وسلم السلام وقل له: استغفر لي، واستخلصني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً ثم مات، فرجعت فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم في بيته على سرير مُرمل<sup>(5)</sup> وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، و قوله: قل له استغفر لي، فدعا بماء فتوضاً، ثم رفع يديه فقال: «اللهم اغفر لعبدك أبي عامر» ورأيت بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيمة فوق كثير من خلقك من الناس» فقلت:ولي فاستغفر، فقال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيمة مدخلاً كريماً».

1 (?) المصدر نفسه (3/1399) رقم 1772.  
 2 (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 599.

3 (?) انظر: القيادة العسكرية في عهد رسول الله، ص 259.

4 (?) مسلم، كتاب الجهاد والسيير، باب غزوة حنين (3/1399) رقم 1775.  
 5 (?) أي معمول بالرجال وهي حبائل الحصر.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

قال أبو بردة<sup>(6)</sup>: إحداهما لأبي عامر، والأخرى لأبي موسى<sup>(7)</sup>.

**بـ- محاصرة الفارين إلى الطائف:** حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف، واستخدم أساليب متنوعة في القتال، والمحاصر، ومارس التهويدي، واختار المكان المناسب عند الحصار، واستخدم الحرب النفسية والدعائية في صفوف الأعداء.. ومن هذه الأساليب:

**1- استخدامه صلى الله عليه وسلم أسلوباً جديداً في القتال:** استعمل النبي صلى الله عليه وسلم في حصاره للطائف أسلحة جديدة لم يسبق لها أن استعملها من قبل، وهذه الأسلحة هي:

\* **المنجنيق:** فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل هذا السلاح عند حصاره لحصن ثقيف بالطائف، فعن مكحول<sup>(3)</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على أهل الطائف<sup>(3)</sup>. والمنجنيق من أسلحة الحصار الثقيلة ذات التأثير الفعال على من وجهت إليه، فبحجارته تهدم الحصون والأبراج، وبقنابله تحرق الدور والمعسكرات، وهذا النوع يحتاج إلى عدد من الجنود في إدارته واستخدامه عند القتال<sup>(4)</sup>.

\* **الدبابة:** ومن أسلحة الحصار الثقيلة التي استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم لأول مرة في حصار الطائف: الدبابة؛ والإدبارية على شكل بيت صغير تعمل من الخشب وتتحذ للاوقاية من سهام الأعداء، عندما يراد نقض حصار الحصن، بحيث إذا دخلها الجنود كان سقفها حرراً لهم من الرمي<sup>(5)</sup>.

\* **الحسك الشائك:** من الأسلحة الجديدة التي استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم في حصاره لأهل الطائف: الحسك الشائك؛ وهو من وسائل الدفاع الثابتة، ويعمل من خشبيتين تسمران على هيئة الصليب، حتى تتألف منهما أربع شعب مدبية، وإذا رمى في الأرض يقيت شعبة منه بارزة تتعثر بها أقدام الخيل والم马上، فتتعطل حركة السير السريعة المطلوبة في ميدان القتال<sup>(6)</sup>.

وقد ذكر أصحاب المغازي والسير أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل هذا السلاح في حصاره لأهل الطائف، حيث أمر جنده بتثبيت الحسك الشائك حول حصن ثقيف<sup>(7)</sup>، وفي هذا إشارة إلى قادة الأمة خصوصاً، وال المسلمين عموماً، لا يعطوا عقولهم وتفكيرهم من

(?) أبو بردة هو ابن أبي موسى الأشعري راوي الحديث عن أبيه. 6  
 (?) البخاري، المغازي، (5/120) رقم 4323. 7

(?) أبو داود، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، ح (35) مراسيل أبي داود، ص 183. 3  
 (?) انظر: المدرسة العسكرية الإسلامية، اللواء محمد فرج، ص 407. 4

(?) انظر: القيادة في عهد الرسول، ص 405. 5

(?) انظر: الفن الحربي في صدر الإسلام، اللواء عبد الرءوف عون، ص 195. 6

(?) انظر: الطبقات الكبرى (2/214). 7

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

أجل الاستفادة من النافع والجديد الذي يحقق للأمة مصلحة الدارين،  
ويدفع عنها شرور أعدائها.

## 2- اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم مكاناً مناسباً

**عند القتال:** نزل الجيش في مكان مكشوف قرب من الحصن، وما كاد الجنديون يضعون رحالهم حتى أمطرهم الأعداء بوايل من السهام؛ فأصيب من جراء ذلك ناس كثيرون، وحينئذ عرض الحباب بن المنذر على الرسول صلى الله عليه وسلم فكرة التحول من هذا الموقع إلى مكان آمن من سهام أهل الطائف، فقبل صلى الله عليه وسلم هذه المنشورة وكلف الحباب -لكونه من ذوي الخبرات الحربية الواسعة في هذا المجال- بالبحث عن موقع ملائم لنزول الجندي، فذهب ثم حدد المكان المناسب، وعاد فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم جيشه بالتحول إلى المكان الجديد، وهذا شاهد عيان يحذثنا عما رأى؛ قال عمرو بن أمية الضمري <sup>1</sup>: لقد أطلع علينا من قبلهم ساعة نزلنا شيئاً الله به عليم بأنه رجل حزاد، وترسانا لهم حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة، ودعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحباب فقال: «انظر مكاناً مرتفعاً مستاخراً عن القوم» فخرج الحباب حتى انتهى إلى موضع مسجد الطائف<sup>(1)</sup> خارج من القرية، ف جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخلووا<sup>(2)</sup>.

**3- استخدام الحرب النفسية والدعاية:** لما اشتدت مقاومة أهل الطائف وقتلوا مجموعة من المسلمين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتحريق بساتين العنب والنخل في ضواحي الطائف للضغط على ثقيف، ثم أوقف هذا العمل بعد أثره في معنوباتهم واضعافه روح المقاومة، وبعد أن ناشدته ثقيف بالله والرحم أن يترك هذا العمل، ووجه النبي صلى الله عليه وسلم نداء لعبد الطائف أن من ينزل من الحصن ويخرج إلى المسلمين فهو حر، فخرج ثلاثة وعشرون من العبيد منهم أبو بكرة الثقيفي فأسلموا، فأعتقدوا ولم يعدهم إلى ثقيف بعد إسلامهم<sup>(3)</sup>.

**4- الحكم من رفع الحصار:** كانت حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رفع الحصار واضحة؛ فالمنطقة المحاطة بها لم تعد تابعة لها، بل صارت ضمن سيادة الدولة الإسلامية، ولم تعد تستمد قوتها إلا من امتناع حصونها، فحضارها ورفعه سواء أمام القائد المحنك، وقد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوله في عملية الحصار<sup>(4)</sup> فقال نوبل بن معاوية الديلي: ثعلب في حرج إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك، فأمر رسول الله صلى الله

<sup>1</sup> (?) مسجد الطائف: هو المسجد المعروف الآن بمسجد ابن عباس.

<sup>2</sup> (?) انظر: مغاري الواقدي (1/416). (3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/510).

<sup>4</sup> (?) انظر: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، للشجاع، ص 206.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ.

421

عليه وسلم ابن الخطاب فأذن في الناس بالرحيل، فضج الناس من ذلك وقالوا: نرحل، ولم يفتح علينا الطائف؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فاغدوا على القتال» فغدوا، فاصلت المسلمين جراحات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنا قافلون غدا إن شاء الله»، فسروا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصحّ <sup>(1)</sup>، فلما ارتحلوا واستقلوا، قال: «قولوا: آبيون، تائيون، عابدون، لربنا حامدون» <sup>(2)</sup>، وقيل: يا رسول الله، ادع الله على ثقيف، فقال: «اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم» <sup>(3)</sup>.

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين (3/1403) رقم 1778.  
<sup>2</sup> (?) انظر: زاد المعاد (3/497) المصدر نفسه،  
 صحيح السيرة النبوية، ص 566.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

## فقه الرسول صلى الله عليه وسلم في التعامل مع النفوس

ويظهر هذا الفقه في عدة مواقف من هذه الغزوة منها:

### أ- لا رجعة للوثنية:

خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين بعض حديثي العهد بالجاهلية، وكانت لبعض القبائل شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً، وبينما هم يسرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ وقع بصرهم على الشجرة، فتحلبت أفواههم على أعياد الجاهلية التي هجروها، ومشاهدتها طال عهدهم بها، فقالوا: يا رسول الله، أجعل لنا (ذات أنواط) كما لهم (ذات أنواط)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر! قلتم سواد ذي نفس محمد بيده - كما قال قوم موسى لموسى: (أجعل لـنـا إلـهـا كـمـا لـهـمـ إلـهـهـ) قال إنـكـم قـوـمـ تـجـهـلـونـ» (قبلكم)<sup>(1)</sup>

وهذا يعبر عن عدم وضوح تصورهم للتوحيد الخالص رغم إسلامهم، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أوضح لهم ما في طلبهم من معانٍ الشرك، وحذرهم من ذلك، ولم يعاقبهم أو يعنفهم؛ لعلمه بحداثة عهدهم بالإسلام<sup>(2)</sup>، وقد سمح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالمشاركة في الجهاد؛ لأنه لا يشترط فيمن يخرج للجهاد أن يكون قد صلح اعتقاده تماماً من عيش الجاهلية، وإنما الجهاد عمل صالح يثاب عليه فاعله، وإن قصر في بعض أمور الدين الأخرى، بل الإجهاد مدرسة تربوية تعليمية يتعلم فيه المجاهدون كثيراً من العقائد والاحكام وأ الأخلاق؛ وذلك لما يتضمنه من السفر وكثرة اللقاءات التي يحصل فيها تجاذب الأحاديث وتلاقي الأفكار<sup>(3)</sup>.

### ب- الإعجاب بالكثرة يحب نصر الله:

الإعجاب بالكثرة حجب عن المسلمين النصر في بداية المعركة، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله: (لَقَدْ نَصَرْتُكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَتَوْمَ حُبِينَ إِذْ أَغْبَيْتُكُمْ كَثِيرًا كُمْ فَلَمْ يُنْعِنْ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَاقْتُ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَ ثُمَّ وَلَيْتُمْ

<sup>1</sup> (?) انظر: السيرة النبوية للندوي ص 349، سنن الترمذى، الفتن (4/475) رقم 2180.

<sup>2</sup> (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/497).  
(3) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدى (8/62).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**مُذَبِّرِينَ )** [التوبة: 25].

وقد نبه إلى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أوضح أنه لا حول ولا قوة إلا بالله فيقول: «اللهم بك أحول وبك أصول، وبك أقاتل»<sup>(1)</sup>.

وهكذا أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يراقب المسلمين ويقوم ما يظهر من انحرافات في التصور والسلوك، حتى في أخطر ظروف المواجهة مع خصومه العتاة<sup>(2)</sup>.

وعلى الرغم من الهزيمة التي لحقت بال المسلمين في بداية غزوة حنين وفرار معظم المسلمين في ميدان المعركة؛ لأنهم فوجئوا بما لم يتوقعوه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعنف أحداً من فرّ عنه، حتى حينما طالبه بعض المسلمين بأن يقتل الطلاقاء لأنهم فروا، لم يوافق على هذا<sup>(3)</sup>.

#### ج- الغنائم وسيلة لتأليف القلوب:

رأى صلى الله عليه وسلم أن يتألف الطلاقاء والأعراب بالغنائم تأليفاً لقلوبهم لحداثة عهدهم بالإسلام، فأعطى لزعماء قريش وغطفان وتميم عطاء عظيماً، إذ كانت عطية الواحد منهم مائة من الإبل، ومن هؤلاء: أبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حرام، وصفوان بن أمية، وعبيدة بن حصن الفزارى، والاقرع بن حabis، ومعاوية ويزيد ابنا أبي سفيان، وقيس ابن عدي<sup>(4)</sup>. وكان الهدف من هذا العطاء المجزي هو تحويل قلوبهم من حب الدنيا إلى حب الإسلام، أو كما قال أنس بن مالك: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها<sup>(5)</sup>. وعبر عن هذا صفوان بن أمية يقوله: لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيوني حتى إنه لأحب الناس إليّ<sup>(6)</sup>.

وقد تأثر حدثاء الأنصار من هذا العطاء بحكم طبيعتهم البشرية، وترددت بينهم مقالةٌ فراغى صلى الله عليه وسلم هذا الاعتراض وعمل على إزالة التوتر، وبين لهم الحكمة في تقسيم الغنائم، وخاطب الأنصار خطاباً إيمانياً عقلياً عاطفياً وجداً، ما يملك القارئ المسلم على مر الدهور وكر العصور وتواتي الزمان إلا آلياء عندما يمر بهذا الحدث العظيم، فعندما دخل سعد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا

1

(?) سنن الدارمي (2/135)، المسند للإمام أحمد (4/333).

2

(?) انظر: المجتمع المدني في عهد النبوة للعمري، ص 199.

3

(?) المصدر نفسه، ص 204، 205. (3) انظر: معين السيرة، ص 421.

4

(?) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله شيئاً فقط (4/1806) رقم 23

5

12. (?) المصدر نفسه (4/1806) رقم 2313.

6

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: «فَأَيْنَ أَنْتُ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْد؟» قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، قال: «فَاجْمِعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَطِيرَةِ؟» قال: فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فرَدُّهُمْ، فلما اجتمعوا أتي سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأنا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يَا مَعْشِرَ الْأَنْصَارِ، هَا قَالَهُ لِعَنْتِي عَنْكُمْ، وَجَدَهُ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلِمْ آتَكُمْ ضُلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَأَعْدَاءَ فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟» قالوا: الله ورسوله أمن وأفضل، ثم قال: «أَلَا تَجِيئُونِي يَا مَعْشِرَ الْأَنْصَارِ؟» قالوا: يَمَادَا نَجِيَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَهُ وَلِرَسُولِهِ الْمُنْ وَالْفَضْلِ. قال: «أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شَئْتُمْ لِقْلَمَ فَلَصَدَّقْتُمْ وَلَصَدَّقْتُمْ: أَتَيْتُنَا مِكَذِّبًا فَصَدَقْنَاكُمْ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكُمْ، وَطَرِيدًا فَأَوْبَنَاكُمْ، وَعَائِلًا فَأَسْبَنَاكُمْ. أَوْجَدْتُمْ عَلَيَّ يَا مَعْشِرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لِعَانَةٍ مِنَ الدِّينِيَا تَأْلِفُتُ بِهَا قَوْمًا لِي سَلَمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، إِلَّا تَرْضُونَ يَا مَعْشِرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذَهَّبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ<sup>(1)</sup> وَالْبَعْرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رَحَالِكُمْ؟ فَوَاللَّهِيْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَّا تَنَقَّلُوْنَ بِهِ خَيْرٌ مَا يَنْقَلِيْوْنَ بِهِ، وَلَوْلَا الْهَجْرَةُ، لَكُنْتُ امْرَأًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْسَلَكَ النَّاسُ شَعْبًا وَوَادِيًا، وَسَلَكْتُ الْأَنْصَارَ شَعْبًا وَوَادِيًا لِسَلْكُتُ شَعْبَ الْأَنْصَارِ وَوَادِيَهَا، الْأَنْصَارَ شَعَابَ وَالنَّاسَ دَثَارَ<sup>(2)</sup>، اللَّهُمَّ ارْحِمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ»، قال: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لَحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِيَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْمًا وَحَظَا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ وَتَفَرَّقُوا<sup>(3)</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنْكُمْ سَتَلْقُونَ بَعْدِي أَثْرَةً فَاصْبِرُوْا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»<sup>(4)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن هذه المقالة لم تصدر من الأنصار كلهم، وإنما قالها حديثو السن منهم؛ بدليل ما ورد في الصحيحين، عن أنس بن مالك <sup>هـ</sup> أن ناساً من الأنصار قالوا يوم حنين: أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطافق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله! يعطي قريشاً ويتراكموا وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس بن مالك: فجحدت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله، فارسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما حدث بلغني عنكم؟» فقال له فقهاء الأنصار: أما ذور رأينا يا رسول

<sup>1</sup> (؟) بالشاء: أي الشياء وهي الأغنام. (2) دثار: هو الثوب الذي يكون فوق الشعار.

<sup>3</sup> (؟) انظر: زاد المعاد (3/474).

<sup>4</sup> (؟) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (2/738) رقم 1061.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الله فلم يقولوا شيئاً، وأما أناس منا حديثة أسنانهم قالوا: يغفر الله لرسول الله! يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطير من دمائهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بـ<sup>(1)</sup> بكفر أفالفهم».

ويرى الإمام ابن القيم -استدلاً بهذه الحادثة-: أنه قد يتبعن على الإمام أن يتالف أعداءه لاستجلابهم إليه، ودفع شرهم عن المسلمين فيقول: الإمام نائب عن المسلمين يتصرف لمصالحهم وقيام الدين، فإن تعين ذلك -أي التاليف- للدفع عن الإسلام والذب عن حوزته واستجلاب رءوس أعدائه إليه ليامن المسلمين شرهم، ساغ له ذلك، بل تعين عليه، فإنه وإن كان في الحرمان مفسدة، فالنفس المترقبة من فوائت تاليف هذا العدو أعظم، ومبني الشريعة على دفع على المفسدين باحتمال أدناهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين الأصلين<sup>(2)</sup>.

والتأليف لهذه الطائفة إنما هو من قبيل الإغراء والتسبيع في أول الأمر حتى يخالط الإيمان بشاشة القلب، ويتدوّق حلوته.

ويوضح الشيخ محمد الغزالى حقيقة هذا الأمر في مثال محسوس فيقول: ... إن في الدنيا أقواماً كثيرين يقادون إلى الحق من بطونهم لا من عقولهم، فكما تهدي الدواب إلى طريقها بحزمها برسيم تظل تمد إليها فمها، حتى تدخل حظيرتها آمنة، فكذلك هذه الأصناف من البشر تحتاج إلى فنون الإغراء حتى تستأنس بالإيمان وتهش له<sup>(3)</sup>.

إن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب للأنصار صورة مؤثرة: قوم يبشرون بالإيمان يقابلهم قوم يبشرن بالجمال، وقوم يصاحبهم رسول الله يقابلهم قوم يصاحبهم الشدة والبعير، لقد أيقظتهم تلك الصور، وأدركوا أنهم وقعوا في خطأ ما كان لأمثالهم أن يقع فيه، فانطلقت حناجرهم بالإكاء وما قيهم بالدموع، واستنتم لهم بالرضا، وبذلك طابت نفوسهم واطمأنت قلوبهم بفضل سياسة النبي صلى الله عليه وسلم الحكيمة في مخاطبة الانصار<sup>(4)</sup>.

#### د- الصبر على جفاء الأعراب:

لقد ظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير من الصبر على جفاء الأعراب، وطمعهم في الأموال، وحرصهم على المكاسب، فكان مثلاً للمريي الذي يدرك أحوالهم، وما جعلتهم عليه بيئتهم وطبيعة حياتهم من القساوة والفتاظة والروح الفردية، فكان بينهم وبين مصالحهم على قدر عقولهم، فكان بهم

1 (؟) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (2/734) رقم 1509.

2 (؟) انظر: زاد المعاد (3/486).

3 (2) انظر: فقه السيرة، ص 427.

4 (؟) انظر: المجتمع المدني في عهد النبوة، ص 219.

هديّة الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العاشر من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

رحيمًا ولهم مريًّا ومصلحًا، فلم يسلك معهم مسلك ملوك عصره مع رعياهم الذين كانوا يتحنون أمامهم أو يسجدون، وكانوا دونهم محظوظين، وإذا خاطبواهم التزموا بعبارات التعظيم والإجلال، كما يفعل العبد مع ربه، أما الرسول عليه الصلاة والسلام فكان كأحد هم يخاطبونه ويعاتبونه، ولا يحتجب عنهم قط، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يراعون التأدب بحضوره وخاطبواه بصوت خفيض، ويكنون له في أنفسهم المحبة العظيمة، وأما حفاة الأعراب فقد عنفهم القرآن على سوء أدبهم وجفائهم، وارتفاع أصواتهم وجرأتهم في طبيعة مخاطبهم للرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>، وهذه مواقف تدل على حسن معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعراب:

### **1- الأعرابي الذي رفض البشري:**

قال أبو موسى الأشعري: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه يلال، فاتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: «أبشر» فقال: قد أكثرت عليَّ من أبشر، فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: «رد البشري، فاقبلا أنتما» قالا: قبلنا. ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه، ومج فيه ثم قال: «أشريا منه، وأفرغا على وجهكما ونحوهما وأبشر» فأخذوا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكم، فأفضلا لها منه طائفة<sup>(2)</sup>.

### **2- مقوله الأعرابي: ما أريد بهذه القسمة وجه الله:**

قال عبد الله بن مسعود<sup>(3)</sup>: ... فلما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً في القسمة، فاعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عبيدة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب، وأثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله، قال: فقلت: والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأتيته فأخبرته بما قال، قال: فتغير وجهه حتى كان كالصرف، ثم قال: « فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله؟!» قال: ثم قال: «يرحم الله موسى؛ قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر» قال: قلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً<sup>(3)</sup>.

### **تعامله مع هوازن لما أسلمت:**

جاء وفده هوازن لرسول الله بالجعرانة وقد أسلموه، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا من الله عليك. وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله، إنما في الحطائر من السباب يا خالاتك وحواضنك

<sup>2</sup> (?) البخاري، كتاب المغازي رقم 4328.

<sup>3</sup> (?) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم، حديث 1062.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

اللّاتي كن يكفلنـك، ولو أنا ملحتـنا لـأين أبي شـمر أو النـعمـانـ بنـ المـنـذـر<sup>(1)</sup> ثم أصـابـناـ منـهـاـ مـثـلـ الـذـيـ أـصـابـنـاـ منـكـ رـجـونـاـ عـائـدـهـمـاـ وـعـطـفـهـمـاـ، وـأـنـتـ رـسـوـلـ اللـهـ خـيـرـ الـمـكـفـولـيـنـ، ثـمـ أـنـشـأـ يـقـوـلـ: فـإـنـكـ المـرـءـ نـرـجـوـهـ وـنـنـتـظـرـ<sup>(2)</sup>

امـنـ عـلـيـنـاـ رـسـوـلـ اللـهـ فـيـ كـدـمـ

إـلـىـ أـنـ قـالـ:

امـنـ عـلـىـ نـسـوـةـ قـدـ كـنـتـ  
إـذـ فـوـكـ يـمـلـئـهـ مـحـضـهـاـ  
وـإـذـ يـزـينـكـ مـاـ تـأـتـيـ وـمـاـ تـذـرـ

فـكـانـ هـذـاـ سـبـبـ إـعـتـاقـهـمـ عـنـ بـكـرـةـ أـبـيهـمـ، فـعـادـتـ فـوـاضـلـهـ عـلـيـهـ  
الـسـلـامـ عـلـيـهـمـ قـدـيـمـاـ وـحـدـيـثـاـ وـخـصـوصـاـ وـعـمـومـاـ<sup>(3)</sup>.

فـلـمـ سـمـعـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـ الـوـفـدـ قـالـ لـهـمـ:  
«نـسـاؤـكـمـ وـأـبـنـاؤـكـمـ أـحـبـ إـلـيـكـمـ أـمـ أـمـوـالـكـمـ؟» فـقـالـوـاـ: يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ  
خـيـرـتـنـاـ بـيـنـ أـحـسـابـنـاـ وـأـمـوـالـنـاـ؟ بـلـ أـبـنـاؤـنـاـ وـنـسـاءـنـاـ أـحـبـ إـلـيـنـاـ، فـقـالـ  
رـسـوـلـ اللـهـ: «أـمـاـ مـاـ كـانـ لـيـ وـلـبـنـيـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ فـهـوـ لـكـمـ، وـإـذـ أـنـاـ  
صـلـيـتـ بـالـنـاسـ فـقـوـمـواـ فـقـولـوـاـ: إـنـاـ نـسـتـشـفـعـ بـرـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ  
عـلـيـهـ وـسـلـمـ إـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ، وـبـالـمـسـلـمـيـنـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ  
عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ أـبـنـائـنـاـ وـنـسـائـنـاـ، فـإـنـيـ سـاعـطـيـكـمـ عـنـدـ ذـلـكـ وـأـسـالـ  
لـكـمـ» فـلـمـ صـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـالـنـاسـ الـظـهـرـ:  
قـامـوـاـ فـقـالـوـاـ مـاـ أـمـرـهـمـ بـهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، فـقـالـ:  
«أـمـاـ مـاـ كـانـ لـيـ وـلـبـنـيـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ فـهـوـ لـكـمـ» فـقـالـ الـمـهـاجـرـوـنـ: وـمـاـ  
كـانـ لـنـاـ فـهـوـ لـرـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، وـقـالـ الـأـنـصـارـ: وـمـاـ  
كـانـ لـنـاـ فـهـوـ لـرـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، وـقـالـ الـأـقـرـعـ بـنـ  
حـابـسـ: أـمـاـ أـنـاـ وـبـنـوـ تـمـيمـ فـلـاـ، وـقـالـ عـيـنـةـ: أـمـاـ أـنـاـ وـبـنـوـ فـزـارـةـ فـلـاـ،  
وـقـالـ الـعـبـاسـ بـنـ مـرـدـاسـ السـلـمـيـ: أـمـاـ أـنـاـ وـبـنـوـ سـلـيمـ فـلـاـ، فـقـالـتـ بـنـوـ  
سـلـيمـ: بـلـ مـاـ كـانـ لـنـاـ فـهـوـ لـرـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، قـالـ  
عـبـاسـ بـنـ مـرـدـاسـ لـبـنـيـ سـلـيمـ: وـهـنـتـمـوـنـيـ؟ فـقـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ  
الـلـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: «مـنـ أـمـسـكـ مـنـكـ بـحـقـهـ فـلـهـ بـكـلـ إـنـسـانـ سـتـةـ  
فـرـائـصـ مـنـ أـوـلـ فـيـءـ نـصـيـبـهـ، فـرـدـوـاـ إـلـىـ النـاسـ نـسـاءـهـمـ وـأـبـنـاءـهـمـ»<sup>(4)</sup>،  
وـفـيـ روـاـيـةـ... فـخـطـبـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ  
الـمـؤـمـنـيـنـ فـقـالـ: «إـنـ إـخـوـانـكـمـ هـؤـلـاءـ جـاءـوـنـاـ تـائـيـنـ، وـإـنـيـ أـرـدـتـ أـنـ أـرـدـ  
إـلـيـهـمـ سـبـبـهـمـ، فـمـنـ أـحـبـ مـنـكـ أـنـ يـطـبـ ذـلـكـ فـلـيـفـعـلـ، وـمـنـ أـحـبـ أـنـ  
يـكـوـنـ عـلـىـ حـطـهـ حـتـىـ نـعـطـيـهـ إـيـاهـ مـنـ أـوـلـ مـاـ يـفـيـءـ اللـهـ عـلـيـنـاـ

<sup>1</sup> (?) انظر: البداية والنهاية (4/352). <sup>2</sup> (4) المصدر نفسه (4/352).

<sup>3</sup> (?) انظر: البداية والنهاية (4/363). <sup>4</sup> (364).

<sup>3</sup> (?) المصدر نفسه (4/352). <sup>4</sup> (353).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426  
ـ٥ـ  
مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

فليفعل» فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال لهم: «إن لا ندري من أذن منكم في ذلك من لم ياذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاً لكم أمركم» فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم طيبوا وأذنوا<sup>(1)</sup> وقد سرّ الرسول صلى الله عليه وسلم بإسلام هوازن وسالم عن زعيمهم مالك بن عوف النصري، فأخبروه أنه في الطائف مع ثقيف، فوعدهم برد أهله وأمواله عليه، وإكرامه بمائة من الإبل إن قدم عليه مسلماً، فجاء مالك مسلماً فأكرمه وأمرره على قومه وبعض القبائل المجاورة. لقد تأثر مالك بن عوف وجادت قريحته لمدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله  
في الناس كلهم بمثل محمد  
ومني تشاء يخبر عما في غد  
بالسميري وضرب كل مهند  
مرصد<sup>(5)</sup>  
أوفي وأعطي للجزيل إذا  
إذني  
وإذا الكتبية عردت<sup>(2)</sup> أنيابها  
فكأنه ليث على أشباله

لقد كانت سياسته صلى الله عليه وسلم مع خصومه مرنة إلى أبعد الحدود؛ وبهذه السياسة الحكيمة استطاع صلى الله عليه وسلم أن يكسب هوازن وحلفاءه إلى صف الإسلام، واتخذ من هذه القبيلة القوية رأس حرية يضرب بها قوى الوثنية في المنطقة ويقودها زعيمهم مالك بن عوف الذي قاتل ثقيفاً في الطائف حتى ضيق عليهم، وقد فكر زعماء ثقيف في الخلاص من المأزق بعد أن أحاط الإسلام بالطائف من كل مكان فلا تستطيع تحركاً ولا تجارة، فمال بعض زعماء ثقيف إلى الإسلام مثل عروة بن مسعود الثقيفي الذي سارع إلى اللحاق برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى المدينة بعد أن قسم غنائم حنين واعتبر من العبرانة، فالتقى به قبل أن يصل إلى المدينة، وأعلن إسلامه وعاد إلى الطائف، وكان من زعماء ثقيف محبوّاً عندهم، فدعاهم إلى الإسلام وأذن في أعلى منزله فرماه بعضهم بسهام فأصابوه، فطلب من قومه أن يدفنوه مع شهداء المسلمين في حصار الطائف<sup>(6)</sup>.

إن الإنسان ليعجب من فقه النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة النفوس، ومن سعيه الحثيث لتمكين دين الله تعالى، لقد

1 (?) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4319.  
2 (?) عردت: اشتتدت وضررت، القاموس المحيط (1/313).

3 (?) الهاباء: غبار الحرب، مختار الصحاح، ص 689.

4 (?) الخادر: المقيم في عربته، والخدر ستر يمد للجارية من ناحية البيت.

5 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي هشام (4/144).

6 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي هشام (4/192).

+

429

استطاع **صلى الله عليه وسلم** أن يزيل معالم الوثنية، وبيوتات العبادة الكفرية من مكة وما حولها، ورتب **صلى الله عليه وسلم** الأمور التنظيمية للأراضي التي أضيفت للدولة الإسلامية، فعين عتاب بن أسيد أميراً على مكة، وجعل معاذ بن جبل مرشدًا وموجهاً ومعلماً ومربياً<sup>(1)</sup>، وعين على هوازن مالك بن عوف قائداً ومجاهداً، ثم اعتمر ورجع إلى المدينة **صلى الله عليه وسلم**.

\* \* \*

+

---

<sup>1</sup> (?) المصدر نفسه (4/153).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

+

## المبحث الثالث

### دروس وعبر وفوائد

**أولاً:** تفسير الآيات التي نزلت في غزوة حنين:

قال تعالى: (لَقَدْ بَصَرُوكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ خَنِينَ إِذْ أَغْخَتَكُمْ كَثُرَتُكُمْ فَلَمْ تُعْنِي عَنْكُمْ شَيْئاً وَصَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ لَمْ وَلِيْتُمْ مُذْبِرِينَ لَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لِمَ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الدِّينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ حَرَاءُ الْكَافِرِينَ لَمْ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: 27-25].

إن غزوة حنين سجلت في القرآن الكريم لكي تبقى درساً للأمة في كل زمان ومكان، ولقد عرضت في القرآن الكريم على منهجية ربانية كان من أهم معالمها الآتي<sup>(1)</sup>:

أ- بين القرآن الكريم أن المسلمين أصحابهم يكثرون عددهم، قال تعالى: (وَيَوْمَ خَنِينَ إِذْ أَغْخَتَكُمْ كَثُرَتُكُمْ) ثم بين القرآن أن هذه الكثرة لا تفيء (فَلَمْ تُعْنِي عَنْكُمْ شَيْئاً).

ب- بين القرآن الكريم أن المسلمين انهزموا وهردوا ما عدا النبي صلى الله عليه وسلم ونفر يسيراً من أصحابه، قال تعالى: (وَصَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ لَمْ وَلِيْتُمْ مُذْبِرِينَ).

ج- بين القرآن الكريم أن الله نصر رسوله صلى الله عليه وسلم في هذه المعركة وأكرمه بانزال السكينة عليه وعلى المؤمنين فقال تعالى: (لَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ).

د- بين القرآن الكريم أن الله أمد نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالملائكة في حنين قال تعالى: (وَأَنْزَلَهُ جُنُودًا لِمَ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الدِّينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ حَرَاءُ الْكَافِرِينَ). وأكد -سيحانه- على أنه يقبل التوبة من عباده ويوقف من شاء إليها، قال تعالى: (لَمْ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ).

ثانياً: أسباب الهزيمة وعوامل النصر في حنين:

أ- أسباب الهزيمة:

وقد وقعت الهزيمة في الجولة الأولى لعدة أسباب منها:

<sup>1</sup> (? ) انظر: حديث القرآن (602، 2/602).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

- 1- أن شيئاً من العجب تسرب إلى قلوب المسلمين، لما رأوا عددهم، فقد قال رجل منهم: لن نغلباليوم من قلة، فشق ذلك على النبي **صلى الله عليه وسلم** فكانت الهزيمة.
- 2- خروج شبان ليس لديهم سلاح أو سلاح كافٍ، وإنما عندهم حماس وتسرع.
- 3- أن عدد المشركين كان كثيراً بلغ أكثر من ضعفي عدد المسلمين.
- 4- أن مالك بن عوف سبق بجيشه إلى حنين فتهيأ هنالك ووضع الكمامـن والرمـة في مضائق الوادي وعلى جوانبه، وفاجأوا المسلمين، برميـهم بالنبـال وبالهـجوم المـباغـتـ.
- 5- كان العدو مهـياً ومنظـماً ومستعدـاً للقتـال حال موـاجـهـته لـجيـشـ المسلمينـ، فقد جاء المـشـرـكـونـ بـاحـسـنـ صـفـوفـ رـئـيـتـ: صـفـ الخـيلـ ثمـ المـقاـتـلـةـ ثمـ النـسـاءـ منـ وـرـاءـ ذـلـكـ ثـمـ الغـنـمـ ثـمـ النـعـمـ.
- 6- وجود ضعـافـ الإيمـانـ الـذـيـنـ أـسـلـمـواـ حـدـثـاـ فيـ مـكـةـ، فـفـرـوـاـ فـانـقـلـبـتـ أـوـلـاهـمـ عـلـىـ أـخـرـاهـمـ، فـكـانـ ذـلـكـ سـبـباـ لـوقـوعـ الـخـللـ وـهـزـيـمةـ غـيرـهـمـ<sup>(1)</sup>.

## **بـ- عـوـامـلـ النـصـرـ:**

### **كـانـتـ عـوـامـلـ النـصـرـ فـيـ حـنـينـ عـدـةـ أـسـبـابـ مـنـهـاـ:**

- 1- ثبات الرسـولـ فـيـ القـتـالـ وـعـدـمـ تـرـاجـعـهـ، مما جـعـلـ الجـنـودـ يـثـبـتوـنـ وـيـسـجـبـيوـنـ لـنـداءـ القـائـدـ الثـابـتـ.
- 2- شجـاعـةـ القـائـدـ، فالـرـسـولـ القـائـدـ لمـ يـثـبـتـ فـيـ مـكـانـهـ فـحـسـبـ، بل تـقـدـمـ نحوـ عـدوـهـ رـاكـبـاـ بـغـلـتـهـ، فـطـفـقـ يـرـكـضـ بـبـغـلـتـهـ قـبـلـ الـكـفـارـ وـالـعـبـاسـ أـخـذـ بـلـجـامـ الـبـغـلـةـ يـكـفـهـاـ أـلـاتـسـرعـ.
- 3- ثبات قـلـةـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ مـعـهـ وـحـولـهـ حـتـىـ جـاءـ الـذـيـنـ تـولـواـ وـأـكـمـلـواـ الـمـسـيـرـ؛ مـسـيـرـةـ الـثـابـتـ وـالـبـرـ وـالـقـتـالـ حـتـىـ النـصـرـ.
- 4- سـرـعةـ اـسـتـجـابـةـ الـفـارـّـينـ وـالـتـحـاقـهـمـ بـالـقـتـالـ.
- 5- وـقـوعـ الـجـيـشـ الـمـعـادـيـ فـيـ خـطـأـ عـسـكـريـ قـاتـلـ، وـهـوـ عـدـمـ إـلـاستـمـارـ فـيـ مـطـارـدـةـ الـجـيـشـ الـإـسـلـامـيـ بـعـدـ فـرـارـهـ، مما أـعـطـيـ فـرـصـةـ ثـمـيـةـ لـلـجـيـشـ الـإـسـلـامـيـ لـلـيـتـقـطـ أـنـفـاسـهـ وـيـعـودـ إـلـىـ سـاحـةـ الـقـتـالـ وـيـسـتـأـنـفـ الـقـتـالـ مـنـ جـدـيدـ بـقـيـادـةـ القـائـدـ الثـابـتـ الشـجـاعـ رـسـولـ اللـهـ **صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ**.
- 6- رـمـيـةـ الحـصـىـ، فقد أـخـذـ النـبـيـ **صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ** حـصـيـاتـ<sup>(2)</sup>. فـرـمـيـ بـهـنـ وـجـوـهـ الـكـفـارـ، ثـمـ قـالـ: «ـاـنـهـزـمـواـ وـرـبـ مـحـمـدـ».

¹) انظر: المستفاد من قصص القرآن (2/409). (2) مسلم بشرح النووي (116/117).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

432

7- الاستعانة والاستغاثة بالله عزوجل، فقد كان الرسول يلح على الله في الدعاء بالنصر على الأعداء.

8- إنزال الملائكة في الغزو ومشاركتهم فيها، وقد سجل الله هذه المشاركة في كتابه الكريم في سورة التوبية<sup>(1)</sup>: (وَأَنْزَلَ جِئْدِيْدًا لِمَ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَرَاءَ الْكَافِرِينَ).

ثالثاً: الأحكام المستنبطة من غزوة حنين والطائف:

1- نزول الآية الكريمة (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَ أَيْمَانُكُمْ) [النساء: 24] في يوم أوطاس لبيان حكم

المسيحيات المتزوجات، وقد فرق النبي بينهن وبين أزواجهن، فأوضحت الآية جواز وطئهن إذا انقضت عدتهن، لأن الفرقة تقع بينهن وبين أزواجهن الكفار بالنبي وتنقضي العدة بالوضع للحاصل وبالحيض لغير الحاصل<sup>(2)</sup>.

2- منع المختين خلقة من الدخول على النساء

**الأجنبيات:** وكان ذلك مباحاً إذ لا حاجة للمختن النساء، وكان سبب المنع ما رواه البخاري عن زينب بنت أبي سلمة عن أمها أم سلمة، دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعندي مختن فسمعته يقول لعبد الله بن أمية: يا عبد الله، أرأيت أن فتح الله عليك الطائف غداً، فعليك بابنة غيلان؛ فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يدخلن هؤلاء عليكم»<sup>(3)</sup>.

وفي هذا المنع حرص النبي صلى الله عليه وسلم على سلامة أخلاق المجتمع الإسلامي.

3- النهي عن قصد قتل النساء والأطفال والشيوخ

**والإجراءات من لا يشترون في القتال ضد المسلمين:** وقد ذكر ابن كثير أن رسول الله من يوم حنين بأمرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصرون<sup>(4)</sup> عليها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما كانت هذه لتقاتل» وقال لأحدهم: «الحق خالداً فقل له لا يقتلن ذرية ولا عسيقاً»<sup>(5)</sup>، وفي رواية: «فقل له إن رسول الله ي نهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيقاً»<sup>(6)</sup>.

4- تشريع العمرة من الجعرانة: أحرم النبي صلى الله عليه وسلم بعمره من الجعرانة، وكان داخلاً إلى مكة وهذه هي السنة لمن دخلها من طريق الطائف وما يليه، وأما ما يفعله

1 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 423. 2 (؟) انظر: السيرة النبوية الصححية (2/520).

3 (؟) البخاري، كتاب المغازي، (5/120) رقم 4324. 4 (؟) متقصرون: مجتمعون.

5 (؟) انظر: البداية والنهاية (4/336). 6 (؟) المصدر نفسه (4/335).

هديه الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

كثير مما لا علم عندهم من الخروج من مكة إلى الجعرانة ليحرم منها بعمره ثم يرجع إليها فهذا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا استحبه أحد من أهل العلم، وإنما بفعله عوام الناس زعموا أنه اقتداء بالنبي وغلطوا، فإنه إنما أحجم منها داخلاً إلى مكة ولم يخرج منها إلى الجعرانة ليحرم منها<sup>(١)</sup>.

## 5- إرشاده للأعرابي بأن يصنع في العمرة ما يصنع في الحج:

قال يعلى بن منبه: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة وعليه جبة، وعليها خلوق<sup>(٢)</sup> - أو قال: أثر صفرة - فقال: كيف تأمرني أصنع في عمرتي؟ قال: وأنزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي، فستر ثوبه، وكان يعلى يقول: وددت أنني أرى النبي صلى الله عليه وسلم وقد أنزل الوحي عليه، قال: فرفع عمر طرف الثوب عنه فنظرت إليه، فإذا له غطيط (فَالْ) فلما سري عنه قال: «أين السائل عن العمرة؟ اغسل عنك الصفرة» - أو قال: أثر الخلوق - واخلع عنك جبتك، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجتك»<sup>(٣)</sup>.

**6- من قتل قتيلاً فله سليه:** قال أبو قتادة: لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين، وأخر من المشركين يختله من ورائه ليقتلته، فاسرعت إلى الذي يختله فرفع ليضربني وأضرب بيده فقطعتها، ثم أخذني فضماني ضمًا شديداً حتى تخوفت، ثم ترك فتحلل ودفعته ثم قتلتة، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله، ثم تراجع الناس إلى رسول الله، فقال رسول الله: «من أقام بينة على قتيل قتله، فله سليه»، فقمت لأليمس بينة قتيلي فلم أر أحداً يشهد لي فجلسست، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل من جلسايه: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي، فارضه منه، فقال أبو بكر: كلا لا يعطيه<sup>(٤)</sup> أصيغ من قريش وبعد<sup>(٥)</sup> أسدًا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله، قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاداه إلى فاشترىت منه خرافاً<sup>(٦)</sup>، فكان أول مال تأثنته في الإسلام<sup>(٧)</sup>.

ونلحظ في هذا الخبر أن أبا قتادة الأنباري حرص على سلامه

(?) انظر: زاد المعاد (3/504). 1

(?) خلوق: طيب. 2

3

(?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 578. 4

5

(?) لا يعطيه: أي لا يعطي رسول الله، وقوله أصيغ: نوع من الطيور شبه له لعجزه وضعفه. 6

7

(?) يدع: يترك. 5

6

(?) خراف: أي يستانا أقام الشمر مقام الأصل. 7

(?) البخاري، كتاب المغازي (5/119) رقم 4322.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

أخيه المسلم، وقتل ذلك الكافر بعد جهد عظيم، كما أن موقف الصديق <sup>t</sup> فيه دلاله على حرصه على إحقاق الحق، والدفاع عنه، ودليل على رسوخ إيمانه وعمق يقينه وتقديره لرابطة الأخوة الإسلامية وأنها بمنزلة رفيعة بالنسبة له<sup>(1)</sup>.

**7- النهي عن الغلول:** أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين وبرة من سنام بغير من الغنائم، فجعلها بين إصبعيه ثم قال: «أيها الناس إنما لا يحل لكي مما أفاء الله عليكم قدر هذه، إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فادوا الخياط والمحيط، وأياكم وأغلول، فإن الغلول عار، ونار، وشنار على أهله في الدنيا والآخرة»<sup>(2)</sup>.

ولما سمع الناس هذا الزوج بما فيه من وعيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أشقووا على أنفسهم وخافوا خوفا شديداً فجاء أنصاري يكبة خيط من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الوبيرة لأخيط بها برذعة بغير لي دير، فقال له صلى الله عليه وسلم: «أما حقي منها، وما كان لبني عبد المطلب فهو لك»، فقال الانصاري: أما إذا بلغ الأمر فيها ذلك فلا حاجة لي بها، فرمى بها من بدنه<sup>(3)</sup>.

وأما عقيل بن أبي طالب فقد دخل على امرأته فاطمة بنت شيبة يوم حنين، وسيقه ملطفاً، فقال لها: دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك، فدفعها إليها، فسمع المنادي يقول: من أخذ شيئاً فليرد، حتى الخياط والمحيط، فرجع عقيل فأخذ الإبرة من امرأته، فألقاها في الغنائم<sup>(4)</sup>.

وهذا التشديد في النهي عن الغلول، وتبنيه بهذه الصورة الشائهة المرعبة، ولو كان في شيء تافه لا يلتفت إليه، يمثل معلما من أهم معالم المنهج النبوى في تربية الأفراد على ما ينبغي أن يكون عليه الفرد المسلم في حياته العملية، إيماناً وأمانة، وفي التزام الأفراد بهذا التوجيه يتظهر المجتمع المسلم من رذيلة الخيانة، لأن التساهل في صغيرها يقود إلى كبرها، والخيانة من أرذل الأخلاق الإنسانية التي لا تليق بالمجتمع المسلم<sup>(5)</sup>.

## 8- وفاء نذر كان في الجاهلية:

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهم: لما قفلنا من حنين سأل عمر النبي صلى الله عليه وسلم عن نذر كان نذره في الجاهلية اعتقاداً فامرء النبي صلى الله عليه وسلم بوفائه<sup>(6)</sup>.

**رابعاً: موافق لبعض الصحابة والصحابيات:**

(?) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي، (8/26).  
1  
2

(?) انظر: البداية والنهاية (4/353).  
3  
4

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/145).  
5  
6

(?) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (4/387).  
388  
4320

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

## 1- أنس بن أبي مرثد الغنوبي وحراسة المسلمين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اندلاع معركة حنين: «من يحرسنا الليلة؟» قال أنس بن أبي مرثد: أنا يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: «فاركب» فركب ابن أبي مرثد فرسا له، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم: «استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلىه وتعزّز من قبلك الليلة».

قال سهيل بن الحنظلي: فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصلاه، فركع ركعتين، ثم قال: «هل أحسستم فارسكم؟» قالوا: ما أحسستاه، فيثوب بالصلوة، فجعل صلى الله عليه وسلم يصلي، وهو يلتفت إلى الشعب، حتى إذا قضى صلاته، قال: «أبشروا فقد جاءكم فارسكم»، فجعل ينظر إلى خلال الشجر في الشعب، فإذا هو قد جاء حتى وقف عليه فقال: إني انطلقت حتى إذا كنت في أعلى الشعب حيث أمرني صلى الله عليه وسلم، فلما أصبحت طلعت الشعيبين كليهما فنظرت فلم أر أحدا، فقال صلى الله عليه وسلم: «هل نزلت الليلة؟» فقال: لا، إلا مصليا أو قاضي حاجة، فقال له صلى الله عليه وسلم: «قد أوجبت، فلا عليك أن تعمل بعدها»<sup>(1)</sup> وفي هذا الخبر يظهر لنا المنهج النبوى الكريم في الاهتمام بالأفراد، فقد ظهر اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بطبيعة القوم حتى جعل يلتفت في صلاته، وما كان ذلك ليحدث إلا لأمر مهم، ثم إنه صلى الله عليه وسلم قال: «أبشروا فقد جاء فارسكم»، إنها الكلمة التي يستعملها صلى الله عليه وسلم في إخبارهم بما يسرهم من الأمور العظيمة، تلك هي أهمية الفرد في المجتمع الإسلامي، إنه ليس كما مهماً، ولا رقماً في سجل ولا بزاً في آلة، يستغنى عنه عند الضرورة ليؤتي بغيره، إنها بعض التفسير للمنهج الإلهي<sup>(2)</sup> في قوله: (وَلَقَدْ كَرِمَنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَفَصَلَّنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْصِيلًا) [الإسراء: 70].

كما أن في هذه القصة معلماً من معالم المنهج النبوى الكريم في وجوب اليقظة وتعرف أحوال العدو، ومراقبة حركته، ومعرفة ما عنده من القوة عدداً وعدة، وما رسمه من خطط حربية، وهي سياسة مهمة بالنسبة للقادة الذين يسعون لإعلاء كلمة الله في الأرض<sup>(3)</sup>.  
وأما قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «قد أوجبت فلا عليك أن تعمل بعدها» فهذا محمول على التوافل التي يكفر الله بها السينات، ويرفع بها الدرجات، والمقصود أنه عمل عملاً صالحاً كبيراً يكفي لتكفير ما قد يقع منه من سينات في المستقبل، ويرفع الله به درجاته

<sup>1</sup> (؟) أبو داود في الجهد رقم 2501، صحيح السيرة النبوية، ص 550.

<sup>2</sup> (؟) انظر: معين السيرة، ص 429.

<sup>3</sup> (؟) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (4/366).

في الجنة، وليس المقصود أن هذا العمل يكفيه عن أداء الواجبات<sup>(1)</sup>.

## 2- شجاعة أم سليم يوم حنين:

قال أنس: إن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا<sup>(2)</sup> فكان معها، فرأها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذا الخنجر» قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقررت به بطنه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، قالت: يا رسول الله، أقتل من بعدي<sup>(3)</sup> من الطلقاء<sup>(4)</sup> انهزموا بك<sup>(5)</sup>، فقال رسول الله: «يا أم سليم، إن الله قد كفى وأحسن»<sup>(6)</sup>.

## 3- الشيماء بنت الحارث أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة:

كان المسلمون قد ساقوا فيمن ساقوه إلى رسول الله الشيماء بنت الحارث، وبنت حليمة السعدية، أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، وعنفوا عليها في السوق، وهم لا يدرون، فقالت للMuslimين: تعلمون والله أني لأخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله، ولما انتهت الشيماء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله إني أختك من الرضاعة، قال: «ما علامة ذلك؟» قالت: عضة عضتها في ظهري، وأنا متوركتك<sup>(7)</sup>، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة، وبسط لها رداءه وأجلسها عليه، وخيرها، وقال: «إن أحببت فعندي محببة مكرمة، وإن أحببت أن أمتلكك وترجعي إلى قومك فعلت»<sup>(8)</sup> فقالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي<sup>(8)</sup>. ومتعمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت، وأعطتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أبد وحارية ونعماء وشاء<sup>(9)</sup>.

## خامسًا: إسلام كعب بن زهير -الشاعر- والهيمنة الإعلامية على الجزيرة-

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف، جاءه كعب بن زهير -الشاعر ابن الشاعر- وكان قد هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضاقت به الأرض، وضاقت عليه نفسه، وحثه أخوه (بجير) على أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبا مسلما، وحذره من سوء

1 (?) انظر: التاريخ الإسلامي (14/8). (5) خنجرًا: سكين كبير ذو حدين.

2 (?) من بعدي: من سوانا.

3 (?) الطلقاء: هم الذين أسلموا يوم الفتح وكانوا سبب الانهزام في المرة الأولى.

4 (?) انهزموا بك: انهزموا عنك.

5 (?) مسلم، رقم 1809، 1809، صحيح السيرة النبوية، 563.

6 (?) متوركتك: يعني حامتلك على وركي.

7 (?) انظر: البداية والنهاية (4/363) السيرة النبوية الصحيحة (2/506).

8 (?) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 358. (8) متبول: مفرم، مكبول: مقيد.

9 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

العاقبة إن لم يفعل ذلك، فقال قصيده التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي اشتهرت بـ (قصيدة بانت سعاد)، فقدم المدينة، وغدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح، ثم جلس إليه، ووضع يده في يده، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كعب بن زهير جاء يستأذنك تائياً مسلماً، فهل أنت قابل منه؟ فوثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، دعني وعدو الله، أضرب عنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعه عنك فقد جاء تائباً نازغاً»، وأنشد كعب قصيده اللامية التي قال فيها:

متيم إثراها لم يفد مكبول<sup>(1)</sup>

إلا أغنى قرير العين مكحول<sup>(2)</sup> وما سعاد غداة الطرف إذ

ومنها:

مهند من سيف الله بيطون مكة لما أسلموا: سرابيل <sup>(3)</sup>	إن الرسول لنور يستضاء به في عصبة من قريش قال شم العرانيين أبطال لبوسهم
--	--

ويقال إنه لما أنسد رسول الله قصيده أعطاه بردته، وهي التي صارت إلى الخلفاء<sup>(4)</sup>. قال ابن كثير: هذا من الأمور المشهورة جداً، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتبته، فالله أعلم<sup>(5)</sup>.

ويقال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له بعد ذلك: «لولا ذكر الأنصار بخير فإن الأنصار لذلك أهل!»<sup>(6)</sup>، فقال: الأنصار<sup>(7)</sup>

إن الخيار هم بنو الخيارات قصر <sup>(8)</sup> كالجم، غير كليلة الأبصار	من سره كرم الحياة فلا يزال ورثوا المكارم كابرًا عن كابر المكرهين السمهريّ بأذرع والناظرين بأعين محمرة
---	--

2 (?) أغنى: صفة للغزال الذي في صوته غنة.

3 (?) انظر: البداية والنهاية 4/369-4/371. (2) انظر: السيرة النبوية لأبي شهيبة (2/487).

5 (?) انظر: البداية والنهاية (374). (4) المصدر نفسه (4/373).

7 (?) المقتنب: الجماعة من الخيل، يربى به القوم على ظهور جيادهم.

8 (?) السمهري: الرمح، سوالف الهندي: حواشي السيف.

للموت يوم تعانق وقرار  
بالمشرفي وبالقنا الخطار<sup>(1)</sup>  
بدماء من علقوا من الكفار

والبائعين نفوسهم لنبيهم  
والقائدين<sup>(2)</sup> الناس عن  
يتطهرون يرونه نسغاً لهم  
إلى أن قال:  
لو يعلم الأقوام علمي كله  
قوم إذا خوت النجوم فإنهم  
أماري<sup>(3)</sup>  
مقاري<sup>(5)</sup>

وباسلام كعب بن زهير نستطيع القول إن الشعراء المعارضين للدعوة الإسلامية قد انتهى دورهم، فقد أسلم ضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزبيري، وأبو سفيان بن الحارث بن هشام، والعباس بن مرداس، وتحولوا إلى الصف الإسلامي، واستظلوا بلوائه عن قناعة وايمان، ولم يكتف بعضهم بأن تكون كلمته في الدفاع عن الإسلام، بل كان سيفه إلى جانب كلمته، وهذا من بركات فتح مكة<sup>(6)</sup>.

#### سادساً: من نتائج غزوة حنين والطائف:

- 1- انتصار المسلمين على قبيلتي هوازن وثقيف في هذه الغزوة.
- 2- كانت غزوة حنين والطائف آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم لمنشري العرب.
- 3- رجوع كثير من أهل مكة والأعراب بغنائم إلى مواطنهم تأليفاً لهم لدخول الإسلام، وحصول الانصار على وسام عظيم وهو شهادة رسول الله لهم بالإيمان، والدعاء لهم ولأنائهم وأحفادهم، ورجوعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.
- 4- انضمام كوكبة مباركة من قيادة أهل مكة وهوازن إلى الإسلام وأصبحوا حرباً ضرورياً على الأوثان والأصنام والمعابد الجاهلية في الجزيرة العربية، كما كان لقبيلة هوازن دور كبير في مجاهدات أهل الطائف والتصديق عليهم حتى أسلموا.
- 5- توسيع الدولة الإسلامية وامتد نفوذها وأصبح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمراء بمكة وعلى قبيلة هوازن، وصارت

(?) المشرفي: السيف، والقنا، الرماح جمع قنا، والخطار: المهز.

(?) القائدين: المانعين الناس.

(?) أماري: أجادر.

(?) خوت النجوم: أي سقطت، الطارقين: الذين يأتون بالليل.

(?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام 4/167 (168).

(?) انظر: معين السيرة، ص 431-433.

تلك الأماكن جزءاً من الدولة الإسلامية التي عاصمتها المدينة النبوية، وأصبح بالإمكان أن يرسل رسول الله بعوثاً دعوية بدون خوف أو وجّل من أحد، وصارت المدينة بعد الفتح تستقبل وفود المستجبيين، وأخذت حركة السرايا تستهدف الأوثان والأصنام لتهديمها، فقد أصبح استئصال وجودها من الجزيرة سهلاً، ونظم رسول الله فريضة الزكاة فكلف من يقوم على جمعها من القبائل التابعة للدولة<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

<sup>1</sup> (?) انظر: الأساس في السنة وفقهها في السيرة النبوية (2/961).  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## المبحث الرابع أهم الأحداث ما بين حنين وتبوك

### أولاً: ترتيب استيفاء الصدقات:

شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عودته إلى المدينة - في أواخر ذي القعدة- في تنظيم الإدارية والجباية، وكان صلى الله عليه وسلم قد استخلف عتاب بن أسيد على مكة حين انتهت من أداء العمرة، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس ويعلّمهم القرآن، وكان هدي النبي صلى الله عليه وسلم عندما تدخل القبائل في الإسلام أن يحرص على تعليمها وتربيتها ويعين من يشرف على ذلك؛ لأن النفوس تحتاج إلى العناية والاهتمام وغرس العقائد الصحيحة والتصورات السليمة فيها، وفي مطلع المحرم من العام التاسع وجه الرسول صلى الله عليه وسلم عماله إلى المناطق المختلفة، فبعث بريدة بن الحصيب إلى أسلم وغفار، وعبد بن بشير الأشهلي إلى سليم ومنزنة، ورافع بن مكث إلى جهينة، وعمرو بن العاص إلى فزاره، والضحاك بن شعبان الكلابي إلىبني كلاب، وبسر بن سفيان الكعبي إلىبني كعب، وابن اللثبية الأزردي إلىبني ذبيان، ورجلًا منبني سعد بن هذيم إلىبني هذيم<sup>(1)</sup>، والمهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء، وزياد بن لبيد إلى حضرموت، والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم إلىبني سعد<sup>(2)</sup>، والعلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وعلى بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم، ويقدم عليهم بجزيئهم<sup>(3)</sup>.

وكان صلى الله عليه وسلم يستوفي الحساب على العمال، يحاسبهم على المستخرج والمصروف، كما فعل مع عامله ابن اللثبية بن الأزد حيث حاسبه عندما قال الرجل<sup>(4)</sup>: هذا لكم، وهذا أهدي لي، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «ما يآل عامل أبعته فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي لي، أفال قعد في بيت أبيه أو بيت أمه حتى ينظر أيهدي إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيمة يحمله على عنقه، إن كان بغيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر» ثم رفع يديه حتى رأينا عفري إبطيه ثم قال: «اللهم هل بلغت» مررتين<sup>(5)</sup> وكان يقول أيضًا: «أيما عامل استعملناه وفرضنا له رزقاً فما أصاب بعد رزقه فهو غلول»<sup>(6)</sup>.

1 (.) 2, 3) انظر: نصرة النعيم (1/384).

4 (.) انظر: الدولة العربية الإسلامية، منصور الحرabi، ص 43.

5 (.) مسلم، باب محاسبة الإمام عماله رقم 1832، صحيح السيرة، ص 579.

6 (.) انظر: التراخيص الإدارية للكتاني، (1/265).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

ثانيًا: أهم السرايا في هذه المرحلة:

#### أ- سرية الطفيلي بن عمرو إلى ذي الكفين:

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث الطفيلي بن عمرو من مقره في حنين وقبل أن يسير إلى الطائف، أمره بان يهدم (ذي الكفين) صنم عمرو بن حممة الدوسى، ثم يستمد قومه ويوافيه بعد المدد إلى الطائف، وقد نفذ الطفيلي بن عمرو أوامر النبي صلى الله عليه وسلم، فهدم ذي الكفين وحرقه، وقاد أربعينات من قومه ومعهم دبابة ومنجنون مدداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فوصلوا إليه بعد مقدمه الطائف باربعية أيام<sup>(1)</sup>.

#### ب- سرية عبد الله بن حذافة السهمي، ويقال إنها سرية الأنصار:

قال علي بن أبي طالب: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية فاستعمل عليها رجالاً من الأنصار وأمرهم أن يطهرون غضب، فقال: أليس أمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تطهرونني؟ قالوا: بل، قال: فاجمعوا لي حطباً، فجمعوا فقال: أوقفوا ناراً، فأوقدوها فقال: ادخلوها، فهموا وجعل بعضهم يمسك بعصاً ويقولون: فررنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من النار، فيما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيمة، الطاعة في المعروف»<sup>(2)</sup>.

#### ج- سرية علي بن أبي طالب لهدم صنم القليس في بلاد طيء:

وفي ربيع الآخر خرجت سرية علي بن أبي طالب إلى الفلس، صنم لطيف ليهدمه، وكان تعدادها خمسين ومائة رجل من الأنصار، على مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء، ولواء أبيض، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم - حاتم الطائي الذي ضرب المثل بجوده - مع الفجر فهدموا الفلس وخربوه، وملأوا أيديهم من النبي والنعم والشاء، وفي النبي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام<sup>(3)</sup>.

#### د- سرية جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الخلصة:

قال جرير بن عبد الله: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا تريني من ذي الخلصة؟» فقلت: بل، فانتقلت في خمسين ومائة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب يده على

1 (?) انظر: نصرة النعيم، (1/385).

2 (?) البخاري، كتاب المغاري (5/126) رقم 4340.

3 (?) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، المغاربي، ص 624.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

صدرى حتى رأيت أثر يده في صدرى فقال: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً» قال: فما وقعت عن فرسى بعد، قال: وكان ذو الجلصة بيّنا باليلمن لخشم وبحيلة، فيه نصب يقال له: الكعبة، قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها، قال: ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقيل له إن رسول الله عليه وسلم هاهنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فيبئما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال: لتكسرنها ولتشهدوا أن لا إله إلا الله أو لا إله إلا جرير. قال: فكسرها وشهد، ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يكتن أباً أرطاة إلى النبي عليه وسلم قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال: فبرأك النبي عليه وسلم على خيل أحمس ورجالها خمس مرات<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: إسلام عدي بن حاتم:

عندما وقعت أخت عدي بن حاتم في أسر المسلمين عاملها رسول الله معاملة كريمة، وبقيت معززة مكرمة، ثم كساها النبي صلى الله عليه وسلم وأعطتها ما تتبلغ به في سفرها، وعندما وصلت إلى أخيها في الشام شجعته على الذهاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتأثر بتصيحتها وقدم على المدينة<sup>(2)</sup>، وترك أبا عبيدة بن حذيفة يحدثنا عن قصة إسلام عدي:

قال أبو عبيدة بن حذيفة: كنت أحدث عن عدي بن حاتم فقلت: هذا عدي في ناحية الكوفة، فلو أتيته فكنت أنا الذي أسمع منه، فأتيته فقلت: أني كنت أحدث عنك حديثاً، فأردت أن أكون أنا الذي أسمع منه، قال: لما بعث الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم فررت منه حتى كنت في أقصى أرض المسلمين مما يلي الروم. قال: فكرهت مكانى الذي أنا فيه حتى كنت أشد كراهية له مني من حيث جئت، قال: قلت: لاتين هذا الرجل، فهو والله إن كان صادقاً فلأسمعن منه، وإن كان كاذباً ما هو بصائرى. قال: فأتيته واستشرفني الناس وقالوا: عدي ابن حاتم، عدي بن حاتم، قال: أطنه قال ثلاث مرار، قال: فقال لي: يا عدي بن حاتم، أسلم تسلّم، قال: قلت: أني من أهل دين، قال: يا عدي بن حاتم، أسلم تسلّم، قال: قلت: أني من أهل دين، قالها ثلاثة، قال: «أنا أعلم بدينك منك»، قال: قلت: أنت أعلم بيديني مني؟ قال: «نعم» قال: «اليس ترأس قومك؟» قال: قلت: بلى، قال: فذكر محمد الرکوسية<sup>(3)</sup> قال كلمة التمسها يقيمها فتركها قال: فإنه لا يحل في دينك المربع<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> (?) البخاري، المغازي، (5/132) رقم 4357.

<sup>2</sup> (?) انظر: التاريخ الإسلامي، (8/81).

<sup>3</sup> (?) قوم لهم دين بين النصارى والصائبية، النهاية (2/259).

<sup>4</sup> (?) المربع: هو ربع الغنية يأخذه سيد القوم قبل القسمة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

قال: فلما قالها، تواضع لها. قال: «وإني قد أرى أن مما يمنعك خصاصة تراها ممن حولي، وأن الناس علينا إلينا واحداً، هل تعرف مكان الحيرة؟» قال: قلت: قد سمعت بها ولم اتها، قال: «لتتوشكن الطعينة أن تخرج منها بغير جوار حتى تطوف بالكتيبة، ولتوشكن كنوز كسرى بن هرمز تفتح» قال: قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «كسرى بن هرمز -ثلاث مرات- وليوشكن أن يتعيني من يقبل ماله منه صدقة فلا يجد»، قال: فلقد رأيت اثنين، قد رأيت الطعينة تخرج من الحيرة بغير جوار حتى تطوف بالكتيبة، وكنت في الخيل التي أغارت على المداين، وایم الله لتكونن الثالثة: إنه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه<sup>(1)</sup>، وفي رواية جاء فيه.. فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فدخلت عليه، وهو في مسجده، فسلمت عليه، فقال: «من الرجل؟» فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق بي إلى بيته، وقال الله إنه لعامد بي إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك، قال: ثم مضى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من أدم<sup>(2)</sup> محسنة ليقاً فقذفها إلىي، فقال: «اجلس على هذه»، قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: «بل أنت» فجلست عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك<sup>(3)</sup>.

### وفي هذه القصة دروس وعبر كثيرة منها:

1- كان عدي وهو مقييل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل في تصوره أنه أحد رجلين: إما نبي، وإما ملك، فلما رأى وقوف رسول الله مع المرأة الضعيفة الكبيرة مدة طويلة شعر بخلق التواضع وانسلخ من ذهنه عامل الملك، واستقر في تصوره عامل النبوة.

2- كان النبي صلى الله عليه وسلم موفقاً حينما انتقد عديا في مخالفته للدين الذي يعتنقه، حيث حصل لعدي اليقين ببنوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يعلم من دينه ما لا يعلمه الناس من حوله.

3- لما ظهر للنبي صلى الله عليه وسلم أن عديا قد أيقن ببنوته تحدث عن العوائق التي تحول بين بعض الناس واتباع الحق، حتى مع معرفتهم بأنه حق، ومنها ضعف المسلمين وعدم اتساع دولتهم، وما هم فيه من الفقر، فأبان له النبي صلى الله عليه وسلم بأن الأمان سيشمل البلاد حتى تخرج المرأة من

1 (؟) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 580.  
2 (؟) أدم: هو يفتحترين: الجلد.  
3 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي هشام (4/236).

العراق إلى مكة من غير أن تحتاج إلى حماية أحد، وأن دولة الفرس ستقع تحت سلطان المسلمين، وأن المال سيغيب حتى لا يقبله أحد، فلما زالت عن عدي هذه المعوقات أسلم.

-4- كان النبي صلى الله عليه وسلم موفقاً في دعوته حيث كان خيراً باداء النفوس ودوائهما، ومواطن الضعف فيها، وأزمة قيادها، فكان يلائم كل إنسان بما يلائم علمه وفكره وما ينرسم مع مشاعره وأحساسه؛ ولذلك أثر في زعماء القبائل ودخل الناس في دين الله أفواجاً<sup>(1)</sup>.

-5- وجد عدي سمات النبوة الصادقة في مظاهر معيشته صلى الله عليه وسلم وحياته، ووجد هذه السمات أيضاً في لون حديثه وكلامه، ووجد مصداق ذلك فيما بعد، في وقائع الزمان والتاريخ، فكان ذلك سبباً في إسلامه، وزيادة يقينه وانخلاعه عن زخارف الحياة الدنيا ومظاهر الأبهة والترف التي كان قد أسبغها عليه قومه<sup>(2)</sup>.

#### رابعاً: أحداث متفرقة في سنة ثمان:

قال ابن كثير نقلًا عن الواقدي: ... وفي هذه السنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابني الأجلندي من الأزد، وأخذت الجزية من مجوس بلدها ومن حولها من الأعراب، وفيها تزوج رسول الله فاطمة بنت الصحاح بن سفيان الكلابي في ذي القعدة، فاستعاذت منه عليه السلام ففارقتها، وفي ذي الحجة منها ولد إبراهيم بن رسول الله من مارية القبطية فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً<sup>(3)</sup>.

وفي عام 8 هـ توفيت السيدة زينب بنت رسول الله وزوج أبي العاص بن الربيع، ولدت قبل المبعث بعشرين سنين، وكانت أكبر بناته صلى الله عليه وسلم تليها رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة رضي الله عنها، كان رسول الله محبًا لها، أسلمت قدماً ثم هاجرت قبل إسلام زوجها بست سنين، وكانت قد أحضرت في هجرتها ثم نزفت وصار المرض يعاودها حتى توفيت، ولما ماتت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اغسلنها وترأ: ثلاثة، أو خمساً، واجعلن في الآخر كافوراً»<sup>(4)</sup>.

\* \* \*

1

2

3

4

(?) انظر: التاريخ الإسلامي (8/58).

(?) انظر: فقه السيرة للوطني، ص 321.

(?) انظر: البداية والنهاية (4/374).

(?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/490)، الكافور: بيت طيب الراية وهو - فضلاً عن كونه يطيب الميت- يحفظ جسمه ويجعله صلباً متماسكاً، ويمنع إسراع الفساد إليه.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

# الفصل السابع عشر غزوة تبوك (٩٦)، وهي غزوة العسراة

## المبحث الأول تاريخ الغزوة، وأسماؤها وأسبابها

**أولاً: تاريخها وأسماؤها:**

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الغزوة في رجب من العام التاسع الهجري<sup>(١)</sup> بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر<sup>(٢)</sup>.

واشتهرت هذه الغزوة باسم غزوة تبوك، نسبة إلى مكان هو عين تبوك، التي انتهى إليها الجيش الإسلامي، وأصل هذه التسمية جاء في صحيح مسلم، فقد روى بسنده إلى معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائتها شيئاً حتى آتي»<sup>(٣)</sup>.

وللℊزوة اسم آخر، وهو: غزوة العسراة، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم حينما تحدث عن هذه الغزوة في سورة التوبية، قال تعالى: **(لَقَدْ نَاتَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ نَمَّ نَاتَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ يَهُمْ رَوْفُ رَحِيمٌ)** [التوبية: ١١]. وقد روى البخاري بسنده إلى أبي موسى الأشعري، قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسراة، وهي غزوة تبوك...، وعنون البخاري لهذه الغزوة بقوله: (باب غزوة تبوك وهي غزوة العسراة)<sup>(٤)</sup>. لقد سميت بهذا الاسم لشدة ما لاقى المسلمين فيها من الصنك، فقد كان الجو شديد الحرارة، والمسافة بعيدة، وإلى سفر شافا لقلة المؤونة وقلة الدواب التي تحمل المحاهدين إلى أرض المعركة، وقلة الماء في هذا السفر الطويل والحر الشديد، وكذلك قلة المال الذي يجهز به الجيش وينفق عليه<sup>(٥)</sup>، ففي تفسير عبد الرزاق عن معمر بن عفیل قال: خرجوا في قلة من الظهر، وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، فكان ذلك عسرا

<sup>1</sup> (؟) انظر: تفسير الطبرى (٥٤٢-١٤٥٤)، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٦١٤.

<sup>2</sup> (؟) انظر: فتح الباري (٢٣٧/١٦).

<sup>3</sup> (؟) صحيح مسلم (٤/١٧٨٤) رقم ٧٠٦.

<sup>4</sup> (؟) البخاري (٥/١٥٠) رقم ٤٤١٥.

<sup>5</sup> (؟) انظر: الصراع مع الصليبيين لأبي فارس، ص ٨٣.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر ١٤٢٦

من الماء<sup>(1)</sup>, وهذا الفاروق عمر بن الخطاب يحدثنا عن مدى ما بلغ العطش من المسلمين فيقول: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصاينا فيه عطش شديد حتى طئنا أن رقابنا يستنقطع، حتى إن كان أحدهنا يذهب يلتمس الخلاء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته تنقطع، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرسنه فيشربه وبضعه على بطنه<sup>(2)</sup>.

وللغزوة اسم ثالث هو: الفاضحة، ذكره الزرقاني -رحمه الله- في كتابه «شرح المواهب اللدنية»<sup>(3)</sup> وسميت بهذا الاسم لأن هذه الغزوة كشفت عن حقيقة المنافقين، وهتك ستارهم، وفضحت أسلاليهم العدائية الماكرة، وأحقادهم الدفينة، ونفوسهم الخبيثة، وجرائمهم البشعة بحق رسول الله والمسلمين<sup>(4)</sup>.

وأما موقع تبوك فيقع شمال الحجاز، يبعد عن المدينة 778 ميلًا حسب الطريق المعبدة في الوقت الحاضر، وكانت من ديار قباعة الخاصة لسلطان الروم آنذاك<sup>(5)</sup>.

#### ثانياً: أسبابها:

ذكر المؤرخون أسباب هذه الغزوة فقالوا: وصلت الأنبياء للنبي صلى الله عليه وسلم من الإنباط الذين يأتون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم جمعت جموعاً وأجلبت معهم لخدم وجذام وغيرهم من مستنصرة العرب، وجاءت في مقدمتهم إلى البلقاء<sup>(6)</sup> فراراً النبي صلى الله عليه وسلم أن يغزوهم قبل أن يغزووه<sup>(7)</sup>.

ويرى ابن كثير أن سبب الغزوة هو استجابة طبيعية لفريضة الجهاد؛ ولذلك عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقريهم إلى الإسلام وأهله، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتلُوا الَّذِينَ تَلَوَّنُكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ وَلَا يَحِدُّوْ فِي كُمْ عِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [التوبه: 123].

والذي قاله ابن كثير هو الأقرب للصواب، إضافة إلى أن الأمر الذي استقر عليه حكم الجهاد هو قتال المشركين كافة بمن فيهم أهل الكتاب، الذين وقفوا في طريق الدعوة وظهر تحرشهم بالمسلمين كما روى أهل السير<sup>(8)</sup>.

ولا يمنع ما ذكره المؤرخون بأن سبب الخروج هو عزم الروم على

1 (؟) فتح الباري (9/174). 2 (؟) انظر: مجمع الزوائد (6/194).

3 (؟) انظر: شرح المواهب اللدنية (3/62). 4 (؟) انظر: الصرع مع الصليبيين،

5 (؟) انظر: المجتمع الإسلامي للعمري، ص 229.

6 (؟) البلقاء: هي كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى عاصمتها عمان.

7 (؟) انظر: الطبقات الكبرى لأبن سعد (2/165).

8 (؟) انظر: البداية والنهاية (5/3).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

أغزو المسلمين في عقر دارهم أن يكون هذا حافزاً للخروج إليهم، لأن أصل الخروج كان وارداً.

لقد كان المسلمين على حذر من محيء غسان إليهم من الشام، ويظهر ذلك حلياً مما وقع لعمر بن الخطاب، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه شهراً فهجرهن، ففي صحيح البخاري: وكنا تحدثنا أن آل غسان تتعل النعال لغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته، فرجع عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً، وقال: أثمم هو؟ ففزعنا، فخرجت إليه، وقال: حدث عظيم، فقلت: ما هو؟ أجاءت غسان؟ قال: لا، بل أعظم منه وأطول، طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه...<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: الإنفاق في هذه الغزو وحرص المؤمنين على الجهاد:

حت رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة على الإنفاق في هذه الغزو لبعدها، وكثرة المشركين فيها، ووعد المنافقين بالأجر العظيم من الله، فأنفق كل حسب مقدرته، وكان عثمان ت صاحب القدر المعلى في الإنفاق في هذه الغزو<sup>(2)</sup>، فهذا عبد الرحمن بن حباب يحدثنا عن نفقة عثمان حيث قال: شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، على ثلاثة مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فانا رأيت رسول الله ينزل عن المنبر وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه<sup>(3)</sup> وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهما قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسلم بalf دينار في ثوبه حين جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة، قال: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها بيده ويقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم -يرددها مراراً-»<sup>(4)</sup>.

وأما عمر فقد تصدق بنصف ماله وظن أنه سيسيق أبا بكر بذلك، وهذا الفاروق يحدثنا بنفسه عن ذلك حيث قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت:اليوم أسيق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله، قال: وأتي أبو بكر ت بكل ما عنده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا

<sup>1</sup> (?) البخاري، كتاب النكاح، باب موعدة الرجل ابنته (180/6) رقم 5191.

<sup>2</sup> (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 615.

<sup>3</sup> (?) سنن الترمذى، مناقب (5/625)، رقم 3700.

<sup>4</sup> (?) مسند أحمد (5/63)، رقم 3700.

أسابيك إلى شيء أبداً<sup>(1)</sup>.

وروى أن عبد الرحمن بن عوف أنفق ألفي درهم وهي نصف  
أمواله لتجهيز جيش العسرة<sup>(2)</sup>.

وكانَت لبعض الصحابة نفقات عظيمة، كالعباس بن عبد المطلب،  
وطلحة بن عبيد الله، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن عدي رضي الله  
عنهم<sup>(3)</sup>.

وهكذا يفهم المسلمون أن المال وسيلة، واستطاع أغنياء الصحابة أن  
يبرهنوا أن مالهم في خدمة هذا الدين، يدفعونه عن طواعية ورغبة، وإن  
تاريخ الأغنياء المسلمين تاريخ مشرف؛ لأن تاريخ المال في يد الرجال لا  
تاريخ الرجال تحت سيطرة المال، وكما كان jihad بالنفس، فكذلك هو  
بالمال، وإن الذين ربو على أن يقدموا أنفسهم، تهون عليهم أموالهم في  
سبيل الله تعالى<sup>(4)</sup>.

إن في مسارعة الموسرين من الصحابة إلى البذل والإنفاق دليلاً  
على ما يفعله الإيمان في نفوس المؤمنين من مسارعة إلى فعل  
الخير، ومقاومة لأهواء النفس وغرائزها، مما تحتاج إليه كل أمة  
لضمان النصر على أعدائها، وغير ما يفعله المصلحون وزعماء  
النهضات هو غرس الدين في نفوس الناس غرساً كريماً<sup>(5)</sup>.

وقدم فقراء المسلمين جهدهم من النفقة على استحياء؛ ولذلك  
تعرضوا للسخرية وغمز ولمز المناققين، فقد جاء أبو عقيل بنصف صاع  
تمر، وجاء آخر بأكثر منه، فلمزوها قائلين: إن الله لعني عن صدقة  
هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رباء، فنزلت الآية: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ  
الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَحِدُونَ  
إِلَّا جُهْدَهُمْ) [آل التوبه: 79].

وقالوا: ما أعطي ابن عوف هذا إلا رباء، فكانوا يتهمون الأغنياء  
بالربا ويسخرون من صدقة الفقراء<sup>(6)</sup>.

لقد حزن الفقراء من المؤمنين؛ لأنهم لا يملكون نفقة الخروج إلى  
الجهاد، فهذا علبة بن زيد أحد البكائين صلى من الليل وبكي، وقال:  
اللهم إنك قد أمرت بالجهاد، ورغبت فيه، ولم تجعل عندي ما أتقى به  
مع رسولك، وإنني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في

1 (؟) سنن أبي داود، الزكاة (312، 2/312)، رقم 1678.  
2 (؟) انظر: السيرة في ضوء المصادر الأصلية، ص 616.

3 (؟) انظر: مغازي الواقدي، (3/391). (؟) انظر: معين السيرة، ص 449.

4 (؟) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، للسياعي، ص 161.

5 (؟) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 616.  
6 (؟) المصدر نفسه، ص 617.

7

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

449

جسد أو عرض، فأخبره النبي **صلى الله عليه وسلم** أنه قد غفر له<sup>(1)</sup>. وفي هذه القصة وما جرى فيها آيات من الإخلاص وحب الجهاد لنصرة دين الله وبث دعوته في الآفاق، وفيها من لطف الله بضعفاء المؤمنين الذين يعيشون في حياتهم<sup>(2)</sup>.

وهذا واثلة بن الأسعق نتركه يحدثنا عن قصته:... عندما نادى رسول الله في غزوة تبوك، خرجمت إلى أهلي فأقبلت وقد خرج أول صحابة رسول الله فطافت في المدينة أنادي: ألا من يحمل رحلاً له سهمه؟ فإذا شيخ من الأنصار، فقال: لنا سهمه على أن نحمله<sup>(3)</sup> عقبة، وطعامه معنا؟ فقلت: نعم، قال فسر على بركة الله، فخرجت مع خير صاحب حتى أفاء الله علينا<sup>(4)</sup>، فأصابني قلائص<sup>(5)</sup>، فسقطهن حتى أتيته فخرج، فقعد على حقيقة من حقائب إبله، ثم قال: سقطهن مدبرات، ثم قال: سقطهن مقبلات، فقال: ما أرى قلائصك إلا كراماً، إنما هي غنيمتك التي شرطت لك، قال: خذ قلائصك يا ابن أخي فغير سهمك أردننا<sup>(6)</sup>.

وهكذا تنازل واثلة في بداية الأمر عن غنيمته ليكتسب الغنيمة الأخروية، أجرًا وثوابًا يجده عند الله يوم لقائه، وتنازل الأنصاري عن قسم كبير من راحتته لتعاقب وواثلة على راحلته ويقدم له الطعام مقابل سهم آخر هو الأجر والثواب.

إنها مفاهيم تتبع من المجتمع الذي تربى على كتاب الله وسنة رسوله، لها نفس الخاصية في الإضاءة وتحمل نفس البريق، متتم بعضها البعض الآخر<sup>(7)</sup>.

وجاء الأشعريون يتقدّمهم أبو موسى الأشعري يطلبون من النبي **صلى الله عليه وسلم** أن يحملهم على إبل ليتمكنوا من الخروج للجهاد، فلم يجد ما يحملهم عليه حتى مضى بعض الوقت فحصل لهم على ثلاثة من الإبل<sup>(8)</sup>.

وبلغ الأمر بالضعفاء والعجزة من أقعدهم المرض أو النفقه عن الخروج إلى حد البكاء شوقاً للجهاد وتحرجاً من القعود حتى نزل فيهم قرآن: **(لَيْسَ عَلَى الصُّعَقَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى**

<sup>1</sup> (? ) وردت من طرق ضعيفة ولها شاهد صحيح وهي بالجملة تصلح للشاهد التاريخي، انظر: المجتمع المدني للعمري، ص 235.

<sup>2</sup> (? ) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون، (4/443).

<sup>3</sup> (? ) عقبة: أي بالتعاقب.

<sup>4</sup> (? ) كان واثلة بن الأسعق أحد أفراد سرية خالد بن الوليد في دومة الجندل.

<sup>5</sup> (? ) قلائص: إبل.

<sup>6</sup> (? ) انظر: جامع الأصول رقم 6188، معين السيرة، ص 453.

<sup>7</sup> (? ) انظر: معين السيرة، ص 453.

<sup>8</sup> (? ) انظر: المجتمع المدني، ص 236.

**الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِللهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَالْمُلْكُ عَلَيْهِ عَفْوٌ رَّحْمٌ ۚ وَلَا عَلَى  
الَّذِينَ إِذَا مَا أَنْوَكْتُ لِتَخْمِلُهُمْ قُلْتَ لَا أَحْدُمُ مَا أَحْمَلْكُمْ عَلَيْهِ  
تَوَلُّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيقُنَ مِنَ الدَّامِعِ حَرَنَا أَلَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ**

(التوبه: 91-92).

إنها صورة مؤثرة للرغبة الصحيحة في الجهاد على عهد رسول الله، وما كان يحسه صادقو الإيمان من ألم إذا ما حالت ظروفهم المادية بينهم وبين القيام بواجباتهم، وكان هؤلاء المعوزون وغيرهم من عذر الله لمرض أو بحرس أو غيرهما يسيرون بقلوبهم مع المجاهدين<sup>(1)</sup> وهم الذين عندهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سَرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًّا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ» قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ جَبَسْهُمُ الْعَذْرِ»<sup>(2)</sup>.

#### رابعاً: موقف المنافقين من غزوة تبوك:

عندما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم النفي ودعا إلى الإنفاق في تجهيز هذه الغزوة، أخذ المنافقون في تشبيط همم الناس قائلين لهم: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله تعالى فيهم: **فَرَحَ الْمُحْلَفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُخَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ فَلَمْ يَرْجِعُهُمْ أَسْدٌ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْعُهُونَ ۖ فَلَيَصْنَحُوكُوا قَلِيلًا وَلَيَكُوا كَثِيرًا جَرَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**

(التوبه: 81-82).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في جهازه لتبوك، للجد بن قيس: «يا جد، هل لك العام في جلد بني الأصرف؟» فقال: يا رسول الله أوتأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجبًا بالنساء مني وأني أخشى أن رأيت نساء بني الأصرف إلا أصبر، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «فَدَأْذِنْتَ لِكَ» ففيه نزلت الآية: **وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ لَيْ وَلَا يَقْتَيِي أَلَا فِي الْغِنَيَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمُحِيطَةِ الْكَافِرِينَ**

(التوبه: 49). وذهب بعضهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم مدينًا أعدادًا كافية لتأذن لهم بالخلاف، فأذن لهم، فعاتبه الله بقوله: **(عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَادِيَنَ**

(التوبه: 43).

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسًا منهم يجتمعون في بيت سويم اليهودي يشطرون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فارسل إليهم من أحرق عليهم بيت سويم<sup>(3)</sup>.

1 (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 618.

2 (?) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4423.

3 (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 618.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

وهذا يدل على مراقبة المسلمين الدقيقة ومعرفتهم بأحوال المنافقين واليهود، فقد كانت عيون المسلمين يقطنة تراقب تحركات اليهود والمنافقين، واجتماعاتهم وأوكارهم، بل كانوا يطلعون فيها على أدق أسرارهم واجتماعاتهم وما يدور فيها من حبك المؤامرات، وابتكر أساليب التشبيط، واحتلائق الأسباب الكاذبة لإقناع الناس بعدم الخروج للقتال، وقد كان علاج رسول الله لدعابة الفتنة وأوكارها حازما حاسما، إذ أمر بحرق البيت على من فيه من المنافقين، وأرسل من أصحابه من ينفذه، ونفذ بحزم، وهذا منهج نبوى كريم يتعلم منه كل مسئول في كل زمان ومكان كيف يقف من دعاة الفتنة ومراسك الشائعات المضللة التي تلحق الضرر بالأفراد والمجتمعات والدول؛ لأن التردد في مثل هذه الأمور يعرض الأمان والأمن إلى الخطر وينذر بزوالها<sup>(1)</sup>.

لقد تحدث القرآن الكريم عن موقف المنافقين قبل الغزوة وأثناءها وبعدها، ومما جاء من حديث القرآن الكريم عن موقف المنافقين قبل غزوة تبوك ما يتضمن استئذانهم، وتخلفهم عن الخروج، وكان من تخلف عبد الله بن أبي ابن سلول، وقد تحدث القرآن عنهم فقال تعالى: (لَوْ كَانُوا عَرَضًا قَرِيبًا وَسَقَرًا قَاصِدًا لَا يَتَّبِعُوكَ وَلَكِنْ بَعْدَتْ عَلَيْهِمُ السُّقْفَةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَخَرْجَنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَادِيُونَ) [التوبة: 42]. فقد بين - سبحانه وتعالى - موقف المنافقين وأنهم تخلفو بسبب بعد المسافة وشدةها، وأنه لو كان الذي دعوتهم إليه يا محمد عرضاً من أغراض الدنيا ونعيمها وكان السفر سهلاً لا يبعوك في الخروج، ولكنهم تخلفو ولم يخرجوا، فالآلية تشرح وتوضح ملابسات موقفهم قبل الخروج إلى الغزوة، وأسباب هذا الموقف، ثم حكى - سبحانه - ما سيقوله هؤلاء المنافقون بعد عودة المؤمنين من هذه الغزوة: (وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَخَرْجَنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَادِيُونَ). كان نزول هذه الآية قبل رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك. والمعني: وسيحلف هؤلاء المنافقون بالله - كذلك - وزوراً - قائلين: لو استطعنا - أيها المؤمنون - أن نخرج معكم للجهاد في تبوك لخرجنا، فإننا لم نتخلف عن الخروج معكم إلا مضطرين فقد كانت لنا أعدارنا القاهرة التي حملتنا على التخلف<sup>(2)</sup>.

وقوله - سبحانه -: (يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَادِيُونَ). قال ابن عاشور: أي يحلفون مهلكين أنفسهم - أي موقعينها في الهلاك، والهلاك: الفناء والموت - ويطلق على الإصرار الجسمية وهو المناسب هنا أي يتسببون في ضر أنفسهم بالآيمان الكاذبة وهو ضر الدنيا وعذاب الآخرة، وفي هذه الآية دلالة على أن

<sup>1</sup> (؟) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 121.

<sup>2</sup> (؟) انظر: حديث القرآن الكريم (2/647).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

يُفْضِي الْفَاجِرَةُ إِلَى الْهَلَالِ<sup>(1)</sup>.

**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لَمْ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبُونَ.**

قال مجاهد<sup>(2)</sup>: نزلت هذه الآية في أناس قالوا: استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا، وهؤلاء هم فريق من المنافقين، منهم عبد الله بن أبي ابن سلول، والجدع بن قيس، ورفاعة بن التابوت، وكانوا تسعًا وثلاثين واعتذرموا بأعذار كاذبة<sup>(3)</sup>.

والآية الكريمة عتاب لطيف من اللطيف الخبير - سبحانه - لحيبيه صلى الله عليه وسلم على ترك الأولى، وهو التوقف عن الإذن إلى انجلاء الأمر وانكشاف الحال<sup>(4)</sup> ثم قال تعالى: **إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يَعْاهِدُوكَ بِمَا مَوْلَاهُمْ وَأَنفَسُهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَإِذَا تَأْتَ فُلُوْبَهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ** [التوبه: 44-45].

هذه الآيات أول ما نزل في التفرقة بين المنافقين والمؤمنين في القتال<sup>(5)</sup>، فيبين - سبحانه - أنه ليس من شأن المؤمنين بالله واليوم الآخر الاستئذان وترك الجهاد في سبيل الله، وإنما هذا من صفات المنافقين الذين يستأذنون من غير عذر، وصفهم - سبحانه - بقوله: **وَإِذَا تَأْتَ فُلُوْبَهُمْ** أي: شكت في صحة ما جئتهم به، وقوله **(فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ)** أي: يتحيرون يقدمون رحلا ويؤخرن أخرى ولن يست لهم قدم ثابتة في شيء<sup>(6)</sup>.

لقد كانت غزوة تبوك منذ بداية الإعداد لها مناسبة للتمييز بين المؤمنين والمنافقين، وضحت فيها الحواجز بين الطرفين، ولم يعد هناك أي مجال للتستر على المنافقين أو محاملتهم، بل أصبحت مواجهتهم أمراً ملحاً بعد أن عملوا كل ما في وسعهم لمحابيته الرسول والدعوة، وتبين المسلمون عن الاستجابة للتفير الذي أعلنه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والذي نزل به القرآن الكريم، بل وأصبح الكشف عن نفاق المنافقين، وإيقافهم عند حدتهم واجباً شرعاً<sup>(7)</sup>.

#### خامساً: إعلان النفير وتعبئة الجيش:

(?) انظر: تفسير التحرير والتوبير (10/209).  
 (?) انظر: تفسير ابن كثير (2/360). (2) انظر: التحرير والتوبير (10/210).  
 (?) انظر: حديث القرآن الكريم (2/647).  
 (?) انظر: تفسير المراغي (4/127). (5) انظر: تفسير ابن كثير (2/361).  
 (?) انظر: نصرة النعيم (1/389).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

أعلن النفير العام للخروج لغزوة تبوك، حتى بلغ عدد من خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ثلاثة ألافاً، وقد عاتب القرآن الكريم الذين تباطأوا بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قُلْ لَكُمْ أَنْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا فَلَمْ يُمْكِنْ إِلَى الْآزْرِصِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا فَلَلِلَّهِ) [التوبه: 38].

وقد طالبهم القرآن الكريم بأن ينفروا شباباً وشيوخاً وأغنياء وفقراء بقوله تعالى: (أَنْفَرُوا حَفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفِسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [التوبه: 41].

لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحشد ثلاثة ألف مقاتل<sup>(1)</sup> من المهاجرين والانصار وأهل مكة والقبائل العربية الأخرى، ولقد أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم - على غير عادته في غزوته - هدفه ووجهته في القتال، إذ أعلن صراحة أنه يريد قتال بني الأصفر (الروم)، علماً بأن هدفيه في معظم غزوته أن يوري فيها<sup>(2)</sup>، ولا يصرح بهدفه وجهته وقصده، حفاظاً على سرية الحركة وبمايغنته العدو<sup>(3)</sup>.

وقد استدل بعض العلماء بهذا الفعل على جواز التصريح لجهة الغزو إذا لم تقتضي المصلحة ستره، وقد صرخ صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة - على غير العادة - بالجهة التي يريد غزوها وجلى هذا الأمر لل المسلمين لأسباب، منها:

**1-** بعد المسافة، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرك أن السير إلى بلاد الروم يعد أمراً صعباً؛ لأن التحرك سيتم في منطقة صحراوية ممتدة قليلة الماء والنبات، ولا بد - حينئذ - من إكمال المؤنة ووسائل النقل للمجاهدين قبل بدء الحركة؛ حتى لا يؤدي نقص هذه الأمور إلى الإخفاق في تحقيق الهدف المنشود.

**2-** كثرة عدد الروم، بالإضافة إلى أن مواجهتهم تتطلب إعداداً خاصاً، فهم عدو يختلف في طبيعته عن الأعداء الذين واجههم النبي صلى الله عليه وسلم من قبل، فأسلحتهم كثيرة، ودرأيتهم بالحرب كبيرة، وقدرتهم القتالية فائقة<sup>(4)</sup>.

**3-** شدة الزمان، وذلك لكي يقف كل امرئ على ظروفه، وبعد<sup>(5)</sup> النفقه الازمة له في هذا السفر الطويل لمن يعول وراءه.

1 (1), 2, 3) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 97.

4 (?) انظر: الرسول القائد، ص 398. 5 (5) انظر: البداية والنهاية (5/4).

**4-** أنه لم يعد مجال للكتمان في هذا الوقت، حيث لم يبق في جزيرة العرب قوة معادية لها خطرها تستدعي هذا الحشد الضخم سوى الرومان ونصارى العرب الموالين لهم في منطقة تبوك ودومة الجندي والعقبة<sup>(1)</sup>.

لقد شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا الأخذ بمبدأ المرونة عند رسم الخطط الحربية، ومراعاة المصلحة العامة في حالي الكتمان والتصريح، ويعرف ذلك من مقتضيات الأحوال<sup>(2)</sup>.

ولما علم المسلمون بجهة الغزو سارعوا إلى الخروج إليها، وحث الرسول صلى الله عليه وسلم على النفقة قائلاً: «من جهز جيش العسرا فله الجنة»<sup>(3)</sup>.

واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري، وخلف علي بن أبي طالب على أهله، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استشققا وتخففا منه، فأخذ علي ت سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالحرف<sup>(4)</sup> فقال: يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما خلقتني لأنك استشقلتني وتخففت مني، فقال: «كذبوا، ولكنني خلقتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلأ ترضى أن تكوني مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي»<sup>(5)</sup> فرجع علي إلى المدينة<sup>(6)</sup>.

وكان استخلاف علي ت في أهله باعتبار قرابته ومصاهرته، فكان استخلافه في أمر خاص، وهو القيام بشأن أهله، وكان استخلاف محمد بن مسلمة الانصاري في الغزو نفسها استخلافاً عاماً، فتعلق بعض الناس بأن استخلاف علي يشير إلى خلافته من بعده، ولا صحة لهذا القول؛ لأن خلافته كانت في أهله خاصة<sup>(7)</sup>.

وعندما تجمع المسلمون عند ثنية الوداع بقيادة رسول الله، اختار الأمراء والقادة وعقد الألوية والرايات لهم، فأعطى اللواء الأعظم إلى أبي بكر الصديق، ورأيته العظيم إلى الزبير بن العوام ت ودفع راية الأوس إلى أسيد بن حضير، وراية الخزرج إلى أبي دحانة، وأمر كل بطمن من الأنصار أن يتخد لواء<sup>(8)</sup>، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على حراسة تبوك من يوم قدم إلى أن رحل منها عباد بن بشر،

1 (?) انظر: غزوة تبوك، محمد أحمد ياشميل ص 57.  
2 (?) انظر: القيادة في عهد الرسول ﷺ، ص 510.

3 (?) البخاري، كتاب المنافقين، باب مناقب عثمان (4/243).

4 (?) انظر: زاد المعاد (3/529).

5 (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 589، البخاري، كتاب المغازي، رقم 4416.

6 (?) انظر: زاد المعاد، (3/530).

7 (?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 466، 467.

8 (?) انظر: المغازي (3/996)، الطبقات الكبرى لأبن سعد، (2/166).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

فكان <sup>١</sup> يطوف في أصحابه على العسكر <sup>(١)</sup>، وكان دليل رسول الله في هذه الغزوة علقة بن الفغواه الخزاعي، فقد كان من أصحاب الخبرة والكفاءة في معرفة طريق تبوك <sup>(٢)</sup>.

وقد انفرد الواقدي بالمعلومات عن طريق الجيش وتوزيع الرaiات، وهو متزوك، ولكنه غزي <sup>(٣)</sup> بالمعلومات في السيرة، وأخذ مثل هذه المعلومات منه لا يضر <sup>(٤)</sup>.

ويلاحظ الباحث التطور السريع لعدد المقاتلين بشكل عام، ولسلاح الفرسان بشكل خاص. إن الذي يدرس تاريخ الدعوة الإسلامية، ونشوء الدولة الإسلامية مؤسساتها العامة -وفي مقدمة هذه المؤسسات الجيش الإسلامي القوة الضاربة للدولة-. يلاحظ أن هناك تطويراً سريعاً جداً في مجال القوة العسكرية، إذ بلغ عدد المقاتلين في غزوة بدر الكبرى ثلاثة عشر مقاتلًا، وفي غزوة أحد بلغ سبعمائة مقاتل تقريباً، وفي غزوة الأحزاب ثلاثة آلاف مقاتل، وفي غزوة فتح مكة عشرة آلاف مقاتل، وفي غزوة حنين بلغ العدد اثنى عشر ألف مقاتل، وأخيراً بلغ عدد المقاتلين في تبوك ثلاثين ألف مقاتل أو يزيد.

وإن الدارس يلاحظ هذا التطور السريع اللافت للنظر في مجال سلاح الفرسان، ففي غزوة بدر كان عدد الفرسان فارسيين في بعض الروايات، وفي غزوة أحد لم يتجاوز عدد الفرسان ما كان في بدر، ويقفز العدد بعد ست سنوات فقط إلى عشرة آلاف فارس، وهذا يعود إلى انتشار الإسلام في الجزيرة العربية، وبخاصة في البداية، ذلك لأن أهلها يهتمون باقتناء الخيول وتربيتها أكثر من أبناء المدن <sup>(٤)</sup>.

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) انظر: سبل الهدى والرشاد (5/652)، الصراع مع الصليبيين، ص 99.

<sup>2</sup> (?) انظر: امتناع الأسماع (1/451)، شرح المواهب الالدية (3/72).

<sup>3</sup> (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/532).

<sup>4</sup> (?) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 100.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

## المبحث الثاني أحداث في الطريق والوصول إلى تبوك

وبعد تعبئة الجيش وتوزيع المهام والألوية والرايات، توجه الجيش الإسلامي بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، ولم يستطع أحداً قد تأخر، وقد تأخر نفر من المسلمين يظن فيهم خيراً، وكلما ذكر لرسول الله اسم رجل تأخر قال صلى الله عليه وسلم: «دعوه، إن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»<sup>(1)</sup>.

### أولاً: قصة أبي ذر الغفارى:

قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً، فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، حتى قيل: يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بيته. فقال: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه» وتلوم<sup>(2)</sup> أبو ذر على بيته، فلما أبطأ عليه، أخذ متعاه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً، ونزل رسول الله في بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كن أباً ذر»<sup>(3)</sup> فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»<sup>(4)</sup>، ومضى الزمان، وجاء عصر عثمان، ثم حدثت بعض الأمور وسُير أبو ذر إلى الريدة، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه: إذا مت فاغسلاني وكفاني ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر. فلما مات فعلوا به كذلك فطلع ركب بما علموا به حتى كادت ركابهم تطا سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة، فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر، فاستهل ابن مسعود يبكي، فقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»، فنزل فوليه بنفسه حتى دفنه<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> (؟) انظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، للكلاعي (2/276).

<sup>2</sup> (؟) تلوم على بيته: تمهل.

<sup>3</sup> (؟) كن أباً ذر: لفظه الأمر ومعناه الدعاء: أى أرجو الله أن تكون أباً ذر.

<sup>4</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام (4/178):

<sup>5</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام (4/178):

## وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

- 1- ما تعرض له أبو ذر الغفاري ت من الصعوبات والمخاطر التي نجاه الله منها وقوأه بالصبر عليها، لقد بذل أبو ذر جهداً كبيراً في المشي على قدميه وهو يحمل متابعته على ظهره حتى لحق بالنبي **صلى الله عليه وسلم** والمسلمين؛ لكي ينال شرف الجهاد في سبيل الله <sup>(1)</sup>.
- 2- وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»، دلالة واضحة -وضوح الشمس في رابعة النهار- على صدق نبوة الرسول **صلى الله عليه وسلم**: إذ الإخبار بأمور لا تقع ثم تقع بعد الإخبار يدل على معجزة وتكرير من الله لهذا الرسول **صلى الله عليه وسلم**، وهذه الوسيلة من إثبات النبوة كثيرة في السيرة النبوية الشريفة <sup>(2)</sup>.
- 3- كما أن في القصة دلالة على علم ابن مسعود ت وقوته ذاكرته وسرعة استحضاره لما حفظ، حيث تذكر بعد سنوات عديدة حديث رسول الله **صلى الله عليه وسلم** مما سيئول إليه أمر أبي ذر في آخر حياته <sup>(3)</sup>.

### ثانية: قصة أبي خيثمة:

قال ابن إسحاق:... ثم إن أبي خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أيامًا إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في جائطه <sup>(4)</sup> قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهياط له فيه طعامًا، فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأته، وما صنعت له، فقال: رسول الله **صلى الله عليه وسلم** في الضحى <sup>(5)</sup> والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهيا، وامرأة حسناء في ماله مقيم؟! ما هذا بالنصف، ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى الحق برسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فهينا لي زاداً، ففعلتا ثم قدم ناصحة <sup>(6)</sup> فارتاحله، ثم خرج في طلب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبي خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق، يطلب رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً، فلا عليك أن تخلف عنك حتى أتي رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، ففعل حتى إذا دنا من رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وهو نازل بتبوك، قال الناس:

1 (؟) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 129، التاريخ الإسلامي للحميدي (8/114).

2

3 (؟) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 129.

4

5 (؟) جائطه: أي بستانه.

6

(6) الضحى: أي في الشمس.

(?) ناصحة: أي جمله.

6

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كُن أَبَا خِيْثَمَةً**»، فقالوا: يا رسول الله، هو -والله- أبو خيثمة، فلما أanax أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أَوْلَى لَكَ يَا أَبَا خِيْثَمَةً**»، ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً، ودعا له بخير<sup>(2)</sup>.

قال ابن هشام: وقال أبو خيثمة في ذلك شعراً، واسمه مالك بن قيس:

أتيت التي كانت أعفّ وأكرمت فلم أكتسب إثما ولم أغش تحمما <sup>(6)</sup>	لما رأيت الناس في الدين وابايعت باليمني يدي محمد
حيث يمما <sup>(8)</sup>	العريش وصرمة <sup>(4)</sup> أسمحت <sup>(7)</sup>

وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

### 1- المسلم صاحب ضمير حي:

فقد رأى أبو خيثمة ما أعدت له زوجته من الماء البارد والطعام مع الظل المبرد والإقامة، فتذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو فيه من التعرض للشمس والريح والحر، فابصر وتنظر وتبين ضميره وحاسب نفسه، ثم عزم على الخروج، وخرج وحده يقطع الفيافي والقفار حتى التقى بعمير بن وهب الجمحي، ولعله كان قداما من مكة، فهذه الصورة تبين لنا مثلاً من سلوك المتقين الذين تمر عليهم لحظات ضعف يعودون بعدها أقوى إيماناً مما كانوا عليه إذا ذكروا وراجعوا أنفسهم، وفي بيان ذلك يقول الله تبارك وتعالى: **إِنَّ الَّذِينَ إِنْقَوْا إِذَا مَسْتَهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْنِصِرُونَ** (الأعراف: 201).

وقد تذكر سريعاً وخرج لعله يدرك ما فاته، وظل يشعر بالذنب حتى وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك وحصل على رضاه وسروره<sup>(9)</sup>.

### 2- معرفة الرسول بأصحابه وبمعادنهم:

- |   |                                   |
|---|-----------------------------------|
| (2) انظر: البداية والنهاية (5/8).         | (?) أحذر بك.                      |
| (4) صرمة: مخصوصة وهي المرأة.              | (?) خضبها: مخصوصة وهي المرأة.     |
| (6) تحمما: أخذ في الإرطاب فاسود.          | (?) صفايا: كثيرة الثمر.           |
| (8) أسمحت: انقادت                         | (?) أسمحت: انقادت                 |
| (?) انظر: التاريخ الإسلامي، (111/8, 112). | (?) انظر: البداية والنهاية (5/8). |

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العاشر من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ

إن قول الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قال له أصحابه: هذا راكب على الطريق مقبل: «**كن أبا خيثمة**»، فلما اقترب وعرفوه قالوا: يا رسول الله، هو -والله- أبو خيثمة، يدل على معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه وأنه أعرفهم بمعادن رجاله، يعرف المستجيب من غيره، ويعرف التائب المنيب إلى ربه إذ زلت قدمه بسرعة رجوعه، ومعرفة خصال الرجال ومعادنهم تدل على معرفة واسعة، وخبرة مستوعبة فاحصة نتيجة التعامل والاحتكاك في ميادين الحياة المختلفة، فقد كان يخالط الجميع، يسمع منهم ويسمعهم ويسيرون معه، ويجاهدون تحت رايته<sup>(1)</sup>.

### **3- حزم أبي خيثمة وصبره ونفذ عزيمته:**

تأمل هذا القرار الذي اتخذه أبو خيثمة أن يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وحده، في هذه الرحلة المصطنية، في هذه الصحراء القليلة الماء ذات الحر اللافح، لقد اتخذ هذا القرار الحازم ونفذه بدقة، فدل على قوة عزيمته وعنفوان إرادته وعلى جلده وصبره<sup>(2)</sup>.

### **4- عتاب القائد للجندي له أثره:**

وصل أبو خيثمة معترفاً بذنبه، يطرح السلاح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبه، صلى الله عليه وسلم معاقبة تحمل في طياتها اللوم والتأنيب والتهديد، إذ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أولى لك يا أبا خيثمة» فهي كلمة فيها معنى التهديد، ومعناها: دونت من الهركة.

إنه مما لا شك فيه أن هذا الكلام كان له وقوعه في نفس الجندي، إذ أوقفه على حقيقة ما ارتكب من الذنب.

وهذا منهج نبوى كريم في تعليم القادة عدم السكوت على أخطاء الجنود؛ لأن ذلك يضرهم ويلحق الضرر بغيرهم، بل عليهم أن يسعوا إلى تصويب الخطأ ومحاسبة مرتكبه وتقويمه، وبذلك يكونون معلمين ومرشدين ومربيين<sup>(3)</sup>.

### **ثالثاً: الوصول إلى تبوك:**

عندما وصل النبي صلى الله عليه وسلم لم يجد أثراً للحشود الرومانية ولا القبائل العربية، وبالرغم من أن الجيش مكث عشرين ليلة في تبوك لم تفكر القيادة الرومانية مطلقاً في الدخول مع المسلمين في قتال، حتى القبائل العربية المنتصرة أثرت السكون، أما حكام المدن في أطراف الشام فقد أثروا الصلح ودفع الجزية، فقد أرسل ملك أيلة للنبي صلى الله عليه وسلم هدية -وهي بعنة بيضاء

1 (?) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 133.

2 (?) المصدر نفسه، ص 133، 134.

3 (?) المصدر نفسه، ص 134.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

## ويرد- فصالحه على الجزية.

وأرسل خالد بن الوليد <sup>١</sup> على رأس سرية من الفرسان بلغ عددها أربعين وعشرين فارساً إلى دومة الجندل، واستطاع خالد بن الوليد أن يأسر أكيدر بن عبد الملك الكندي -ملكها- وهو في الصيد خارجها<sup>(١)</sup>، فصالحه النبي صلى الله عليه وسلم على الجزية<sup>(٢)</sup>، وقد تعجب المسلمين من قيام كان أكيدر يلبسه، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمن اديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»<sup>(٣)</sup> وقد ورد أن غنائم خالد من أكيدر كانت ثمانمائة من السبي وألف بعير وأربعين ألف درع وأربعين رمح<sup>(٤)</sup>، وقد وصلت إلى تبوك هدية ملك أيلة للنبي صلى الله عليه وسلم وهي بقعة بيضاء وبرد، فصالحه على الجزية<sup>(٥)</sup>، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاہدات لكل من أهل جرباء وأذرح<sup>(٦)</sup>، وأهل مقنا<sup>(٧)</sup> يؤدي بموجبها هؤلاء الناس من نصارى العرب الجزية كل عام، وتخضع لسلطان المسلمين، لقد انفرد رسول الله صلی الله عليه وسلم بالإمارات الواقعه في شمال الجزيره وعقد معها معاہدات، وبذلك أمن حدود الدولة الإسلامية الشماليه<sup>(٨)</sup>، وبهذه المعاہدات قص صلی الله عليه وسلم أجنحة الروم، فقد كانت هذه القبائل تابعة للروم ودخلوا في النصرانية، فاقدام من أقدم منها على مصالحة رسول الله والتزامها بالجزيره يعد قصاً لهذه الأجنحة، وبترًا لحال تبعيتهم للروم، وتحررًا لهم من هذه التبعية التي كانت تذللهم وتخضعهم لسلطان الروم، ليتالوا من تساقط فتاتهم شيئاً يعيشون به، وخوفاً من ظلمهم لقوتهم الباطشة، وقد وفوا بعهد الصلح والتزموا أداء الجزيره، فأعطوهها عن يد وهم صاغرون<sup>(٩)</sup>، وهذه سياسة نبوية حكيمه اختطها رسول الله في بناء الدولة ودعوة الناس لدين الله، فقد استطاع أن يفصل بين المسلمين والروم بإمارات تدين للرسول نقاط ارتکاز تحكم المسلمين، وأصبحت في زمن الخلفاء الراشدين نقاط ارتکاز سهلت مهمة الفتح الإسلامي في عهدهم، فمنها انطلقت قوات المسلمين إلى الشمال، وعليها أرتكزت لتحقيق هدفها العظيم<sup>(١٠)</sup>.

**رابعاً: وصايا رسول الله صلی الله عليه وسلم للجيشه عند**

١ (؟) انظر: الإصابة ٤١٢-٤١٥ من طريق ابن إسحاق باسناد حسن.  
٢ (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١٨٠(٤). (٣) المصدر نفسه (٤/١٨٠) باسناد حسن.

٤ (؟) انظر: البداية والنهاية ١٧/٥ وفي إسناده ابن لهيعة عن أبي الأسود، وابن لهيعة ضعيف فضلاً عن إرسال عروة.  
٥ (؟) انظر: المجتمع المدني للعمري، ص 241.

٦ (؟) المغاربي ١٠٣٢(٣).  
٧ (؟) انظر: الوثائق السياسية في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص ١١٩-١٢٤.

٨ (؟) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص ٢١٧.  
٩ (؟) محمد صادق عرجون ٤/٤٧٩). (١٠) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص ٢٢١.

قال أبو كبشة الأنباري :<sup>١</sup> لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى في الناس: «الصلوة جامعة» قال: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعيده، وهو يقول: «ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم؟» فناداه رجل منهم يا رسول الله، قال: «أفلا أنذركم بأعجب من ذلك؟» رجل من نفسكم ينتكم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسددوا، فإن الله عز وجل لا يعبأ بعذابكم شيئاً، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً<sup>(١)</sup>. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض ثمود، الحجر، واستقوا من بئرها، واعتجنا به، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهربوا ما استقوا من بئرها، وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقلة<sup>(٢)</sup> وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيكم مثل ما أصابهم» ثم زجر<sup>(٣)</sup> فاسرع حتى خلفها، وهذا منهج نبوي كريم في توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته إلى الاعتبار بديار ثمود، وأن يتذكروا بها غضب الله على الذين كذبوا رسوله، وألا يغفلوا عن مواطن العطة برسومها الدارسة، وأطلالها القديمة، ونهاهم عن الانتفاع بشيء مما في ربوعها، حتى الماء لكيلا تفوت بذلك العبرة، وتخف الموعظة، بل أمرهم بالبكاء، وبالتباكى، تحقيقاً للتأثير بعذاب الله، ولو أنهم مرروا بها كما نمر نحن بآثار السابقين، لتعرضوا لسخط الله، فإن الغابرين شهدوا المعجزات ودلائل النبوة، وعاينوا العجائب، لكن قست قلوبهم فاستهانوا بها، وحق عليهم العذاب، وحاق بهم ما كانوا به يسهرزون من نقمة الله وغضبه.

إن الله عز وجل ما قص علينا من أنبياء الأمم الخالية، إلا لكي نأخذ منها العطة والاعتبار، فإذا شهدنا بأعياننا ديارهم التي نزل فيها سخط المولى عز وجل وعداته الأليم، وجب أن تكون الموعظة أشد، والاعتبار أعمق، والخوف من سخط المولى -سبحانه- أبلغ، ولهذا تسجي النبي صلوات الله وسلامه عليه شتوبيه لما مر بالديار الملعونة المسخوطة واستحدث خططاً راحلته<sup>(٤)</sup> وقال لاصحابه: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، حذراً أن يصيكم ما

<sup>1</sup> (؟) انظر: الفتح الرباني (21/195). <sup>2</sup> (2) البخاري، كتاب الأنبياء، رقم 3379.

<sup>3</sup> (؟) زجر: أي زجر ناقته، ومعناه ساقها سوقاً شديداً حتى خلفها أي جاوز المساكن.

<sup>4</sup> (؟) البخاري، كتاب الأنبياء، رقم 3381.

<sup>5</sup> (؟) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 480. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

## خامسًا: وفاة الصحابي عبد الله ذي الجادين<sup>(2)</sup>:

قال عبد الله بن مسعود: قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، قال: فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، قال: فاتبعتها، انظر إليها، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو الجادين المزنبي قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حضرته، وأبو بكر وعمر يديانه إليه، وهو يقول: «أدinya إلى أخاكما» فدللياه إليه، فلما هياه بشقه، قال: «اللهم إني أ Rossiت راضياً عنه» فارض عنه<sup>(3)</sup> قال (الراوي عن ابن مسعود): قال عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة<sup>(3)</sup>.

قال ابن هشام: وإنما سمي ذا الجادين؛ لأنه كان ينارع إلى الإسلام فيمتنعه قومه من ذلك يتضيقون عليه، حتى تركوه في بحارة ليس عليه غيره، فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان قريباً منه، شق بجادة باثنين، فائزراً واحداً واستعمل بالآخر، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له: ذو الجادين، لذلك<sup>(4)</sup>.

**وفي هذه القصة دروس وحكم وفوائد منها:**

### 1- تكريم النبي صلى الله عليه وسلم لجنوده أحياء وأمواتاً:

فهذا الفعل مع ذي الجادين يدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تكريم أصحابه حتى في حالة الوفاة؛ لأنهم قدمو أنفسهم للجهاد في سبيل الله تاركين وراءهم أعز ما يملكون، فكانت تلك الرعاية مظهراً من مظاهر تكريمه في الدنيا، حيث لم يترك جثتهم تتباوشهما الذئاب وغيرها من دواب الأرض؛ لكي يكون هذا التكريم من الأسباب التي تدفع غيرهم إلى الاستبسال والإقدام في ميادين الجهاد، ومن الجدير بالذكر أن هذا المبدأ لم يحد من يدعوا إلى تطبيقه إلا في العصر الحديث، وبهذا يمكن أن يقال: إن رعاية القائد المسلم لشئون جنده تعد سيناً عسكرياً لم تعرفه النظم والدساتير الوضعية إلا بعد قرون طويلة، من بزوغ الإسلام<sup>(5)</sup>.

فهذه صورة من البر والتكرير فريدة بقيمة، لن تجد في تاريخ الملوك والحكام من يبر ويتواضع إلى هذا المستوى، إلى حيث يوسع الحاكم فرداً من رعيته بيده في مثواه الأخير، ثم يلتمس له المرضاعة من رب العالمين، أما هو فقد أعلن أنه أ Rossiت راضياً عنه<sup>(6)</sup>.

1 (?) البخاري، كتاب الأنبياء رقم 3381. 2 (7) البجاد: الكسae الغليظ الجافي.

3 (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 598.

4 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/182).

5 (?) انظر: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص 299.

6 (?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 472.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

## 2- جواز الدفن في الليل، والغبطة مشروعة في الخير:

فقد دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا البجادين ليلاً، والسنّة أن يعجل في دفن الميت، كما أن الغبطة وهي أن تتمي حصول الخير لك كما حصل لغيرك من إخوانك، وهذا عكس الحسد، إذ الحسد تمنى زوال النعمة عن غيرك، والحسد كله شر كما ترى، أما الغبطة فلا تكون إلا في الخير<sup>(1)</sup>، تأمل قول عبد الله بن مسعود <sup>t</sup> حينما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حق ذي البجادين: «اللهم إني أمنيت عنه راضياً فارض عنه» فقال ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب اللحد<sup>(2)</sup> إنها كلمة كل مؤمن أمن بالله واليوم الآخر، ووقف موقفه ذاك، فقد عرفوا أين تكون ميادين التنافس<sup>(3)</sup>.

**سادساً: بعض المعجزات التي حدثت في الغزوة:**

ظهرت في غزوة تبوك معجزات منها:

### 1- الله تعالى يرسل السحاب لدعاء نبيه بالسقيا:

لما جاز النبي صلى الله عليه وسلم حجر ثمود، أصبح الناس ولا ماء لهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه، واستسقى لهم معه من المسلمين، فأرسل الله - سبحانه وتعالى - سحابة فامطرت حتى ارتوى الناس، واحتلوا حاجتهم من الماء، فتحدث ابن إسحاق عن قال لمحمود بن لبيد: هل كان الناس يعرفون التفاقد فيهم؟ قال: نعم والله، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه، ومن أبيه، ومن عميه، وفي عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك، ثم قال محمود: لقد أخبرني رجال من قومي، عن رجل من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا، فأرسل الله السحابة، فامطرت حتى ارتوى الناس، قالوا: أقبلنا عليه ونقول: وب JACK! هل بعد هذا الشيء؟ قال: سحابة مارة<sup>(4)</sup>.

### 2- خبر ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً في طريقه إلى تبوك، ضلت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه، يقال له: عمارة بن حزم، وكان عقيباً بدريراً، وهو عمبني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن

<sup>1</sup> (؟) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 163، 164. <sup>2</sup> (2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 598.

<sup>3</sup> (؟) انظر: معين السيرة، ص 452.

<sup>4</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام (4/176)، صور وعبر من الجهاد النبوى، ص 473.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

<sup>5</sup>

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

اللصيت القيناعي، وكان منافقاً.

قال زيد بن اللصيت وهو في رحل عمارة، وعمارة عند رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: أليس محمد يزعم أنهنبي؟ ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدرى أين ناقته؟

قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وعمارة عنده: «إن رجلاً قال: هذا محمد يزعم أنهنبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته؟ وإنى والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد جبستها شجرة بزماتها» فانطلقو حتى تأتونى بها، فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** آنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه بهذا وكذا، للذى قال زيد بن اللصيت، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة، ولم يحضر رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى، فأقبل عمارة على زيد، يجاوز في عنقه (يطعنـه فيه) يقول: إلـي عبـاد الله، إنـ في رـحلـي لـدـاهـيـة، وـماـ أـشـعـرـ، اخـرـجـ أـيـ عـدـوـ اللهـ<sup>(1)</sup> مـنـ رـحـلـيـ فـلـاـ تـصـبـنـيـ، قـالـ ابنـ إـسـحـاقـ: فـزـعـمـ بعضـ النـاسـ أـنـ زـيـدـاـ تـابـ بـعـدـ ذـلـكـ، وـقـالـ بـعـضـ النـاسـ: لـمـ يـزـلـ مـتـهـماـ بـشـرـ حـتـىـ هـلـكـ<sup>(2)</sup>».

### 3- الإـخـارـ بـهـبـوبـ رـيحـ شـدـيـدـةـ وـالـتـحـذـيرـ مـنـهـاـ

أخبر رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أصحابه في تبوك بأن ريحًا شديدة ستهب، وأمرهم بأن يحتاطوا لأنفسهم ودوا بهم فلا يخرجوا حتى لا تؤذهم، وليربطوا دوابهم حتى لا تؤذى، وتحقق ما أخبر به رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فهبت الريح الشديدة وحملت من قام فيها إلى مكان بعيد<sup>(3)</sup> فقد روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي حميد قال: وانطلقا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيء<sup>(4)</sup>.

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم معقباً على هذا الحديث: هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من إخباره **صلى الله عليه وسلم** بالغريب وخوف الضرر من القيام وقت الريح<sup>(5)</sup>.

### 4- تـكـثـيرـ مـاءـ عـيـنـ تـبـوكـ وـالـإـخـارـ بـمـاـ سـتـكـونـ عـلـيـهـ مـنـ خـصـبـ

<sup>1</sup> (؟) انظر: أعلام النبوة للماوردي، ص100، السيرة النبوية لابن هشام (4/177).

<sup>2</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/177). (3) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص141.

<sup>4</sup> (؟) صحيح مسلم بشرح النووي (42/15)، مختصر مسلم رقم 1543.

<sup>5</sup> (؟) شرح النووي على صحيح مسلم (15/42).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

قال معاذ بن جبل t: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائتها شيئاً حتى آتني» فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك<sup>(6)</sup>, تبض<sup>(7)</sup> بشيء من ماء، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل مسستما من مائتها شيئاً؟» قالا: نعم، فسبهما النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء، وغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يديه وجهه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهما حتى استقى الناس<sup>(8)</sup>.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً»<sup>(4)</sup>, لقد كانت منطقة تبوك والوادي الذي كانت فيه العين منطقة جرداء لقلة الماء، ولكن الله -عز وجل- أجرى على يد رسوله صلى الله عليه وسلم بركة تكثير هذا الماء حتى أصبح يسيل بغيرارة، ولم يكن هذا آتياً لسد حاجة الجيش، بل أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه سيستمر وستكون هناك جنان وبساتين مملوءة بالأشجار المثمرة، ولقد تحقق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فترة قليلة من الزمن، وما زالت تبوك حتى اليوم تمتنع بجنانها وبساتينها ونخيلها وتمورها، تنطق بصدق نبوة الرسول وتشهد بأن الرسول لا يتكلم إلا صدقًا، ولا يخبر إلا حقاً، ولا ينبيء بشيء إلا ويتتحقق<sup>(5)</sup>.

## 5- تكثير الطعام:

قال أبو سعيد الخدري t: لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا<sup>(6)</sup> فأكلنا وأدمنا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افعلوا»، فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إنهم إن فعلوا قل الطهر<sup>(7)</sup> ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع لهم بالبركة، لعل الله يجعل في ذلك، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنطع<sup>(8)</sup> فيسطه، ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف الذرة، والآخر بكف التمر، والآخر بالكسرة حتى اجتمع على النطع في ذلك شيء يسير، ثم دعا عليه بالبركة، ثم قال لهم: «خذوا في أوعيتكم» فأخذوا من أوعيتهم حتى

(?) الشراك: هو سير النعل ومعناه ماء قليل جداً.

(?) تبض: بفتح التاء وكسر الموحدة وتشديد الصاد ومعناه تسيل.

(?) صحيح مسلم بشرح النووي (15/41)، مختصر مسلم رقم 1530.

(?) صحيح مسلم بشرح النووي، الفتاح الرباني (21/196). (2) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 142.

(?) نواضحنا: جمع ناضح وهي الإبل التي يسقي عليها.

(?) الطهر: ما يحمل عليه من الإبل. (5) النطع: بساط من الجلد.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ما تركوا من المعسكر وعاء إلا ملأوه، وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت منه فضلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٌ فتحجب عنه الجنة»<sup>(1)</sup>.

هذه بعض المعجزات والكرامات التي أظهرها الله على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك تدل على صدق نبوته ورسالته، وتدل على رفعة منزلته وتكريمه عند ربه<sup>(2)</sup>.

### سابعاً: حديث القرآن الكريم عن مواقف المنافقين أثناء الغزوة:

**أ- قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهم-**

قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، لا أرغب بطعونا، ولا أكذب السنة، ولا أجبن عن اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن. قال عبد الله: فانا رأيته متعلقاً بحقب<sup>(3)</sup> ناقة رسول الله والحجارة تنكب<sup>(4)</sup>، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ولعب، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «أبا الله وآياته ورسوله كتم تستهزئون؟».

وفي رواية قتادة قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوه إلى تبوك وبين يديه أناس من المنافقين فقالوا: يرجو هذا الرجل أن تفتح له قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات.. فاطلع الله عليه على ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «احبسوا هؤلاء الركب»، فاتاهم فقام: قلتم كذا وقلتم كذا، قالوا: فأنزل الله فيهم ما تسمعون<sup>(5)</sup>، فأنزل الله تعالى: (يَحْذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةُ تَسْتَهْنُونَ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ فَلِإِسْتَهْنَانِ اللَّهُ مُحِرِّجٌ مَا تَحْذِرُونَ ۝ وَلَئِنْ سَأَلُوكُمْ لِيَقُولُنَّ أَنَّمَا كُنْتُمْ تَخُوضُ وَتَلْعَبُ فُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْنُونَ) [التوبية: 64-65].

**والاستفهام في قوله: (فُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْنُونَ) استفهام إنكارى.**

1 (؟) الفتح الرباني (196/21-198).

2

3 (؟) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 141.

4

5 (؟) الحجارة تنكب: حبل يشد به الرحل في بطن البعير.

4

4 (؟) انظر: الدر المنشور للسيوطى، (4/230). (2) انظر: تفسير المراغى (4/153).

5

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء موبحاً ومنكراً: ألم تجدوا ما تستهزئون به في مزاجكم ولعبكم - كما ترمعون - سوى فرائض الله وأحكامه وأياته ورسوله الذي جاء لهدايتكم وإخراجكم من الظلمات إلى النور؟!

ثم بين - سبحانه - أن استهزاءهم هذا أدى إليهم إلى الكفر فقال: (لَا يَعْتَذِرُوا فَذَكَرْتُمْ تَعْذِبَةً إِيمَانِكُمْ إِنْ تَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ تُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) [التوبه: 66].

ومعنى الآية: أي لا تذكروا هذا العذر لدفع هذا الحرم، لأن الإقدام على الكفر لأجل اللعب لا ينبغي أن يكون، فاعتذاركم إقرار بذنبكم، فهو كما يقال: عذر أفيح من ذنب<sup>(1)</sup>.

وقوله: (إِنْ تَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ تُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) أي: إن نعف عن بعضكم لتوبتهم وإنابتهم إلى ربهم - كمخشن بن حمير - نعذب بعضاً آخر لجرائمهم وأصرارهم عليه<sup>(2)</sup>.

**ب- إيذاء الرسول والمؤمنين ومحاولة اغتيال رسول الله:**

وقد نزل في هؤلاء المنافقين قول الله تعالى: (يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا فَالُوا وَلَقَدْ فَالَّوْا كَلِمَةَ الْكُفُرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ مِنْ فِيْهِمْ بِمَا لَمْ يَتَالُوا وَمَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فِيْهِمْ فَإِنْ يَتُوْبُوا إِلَيْكَ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلُّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) [التوبه: 74].

وقد ذكر ابن كثير أن الصحاх قال: إن نفرا من المنافقين هموا بالفتک بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو في غزوة تبوك في بعض الليالي في حال السير، وكأنوا بضعة عشر رجلا نزلت فيهم هذه الآية<sup>(3)</sup>، وفي رواية الواحدى عن الصحاھ: خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، فكانوا إذا خلا بعضهم إلى بعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وطعنوا في الدين، فنقل ما قالوا حذيفة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله: «يا أهل الإنفاق، ما هذا الذي يلغني عنكم؟» فحلفو ما قالوا شيئاً من ذلك، فأنزل الله هذه الآية إكذاباً لهم<sup>(4)</sup>.

والمعنى الإجمالي للآية: (يحلفون بالله أنهم ما قالوا تلك الكلمة التي نسبت إليهم، والله يكذبهم ويثبت أنهم قد قالوا كلمة الكفر التي

2 (?) المصدر نفسه (4/153).

3 (?) تفسير ابن كثير (2/372).

4 (?) انظر: أسباب النزول للواحدى، ص 251.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

+

+

رويـت عنـهـمـ. وـلـمـ يـذـكـرـ الـقـرـآنـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ لـأـنـهـ لـاـ يـنـبـغـيـ ذـكـرـهـاـ...ـ)ـ<sup>(1)</sup>ـ.

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) انظر: حديث القرآن الكريم (2/665).  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

+

+

### المبحث الثالث

## العودة من تبوك إلى المدينة وحديث القرآن في المخلفين عن الغزو وعن مسجد الضرار

عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن مكث في تبوك عشرين ليلة<sup>(1)</sup>، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدم مسجد الضرار الذي بناه المنافقون وهو راجع إلى المدينة، ولما اقترب من المدينة خرج الصبيان إلى ثنية الوداع يتلقونه، ودخل المدينة، فصلى في مسجده ركعتين ثم جلس للناس، وجاء المخلفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقدموه له اعتذار، وكانوا أربعة أصناف: فمنهم من له أذن شرعية وعدّرهم الله - سبحانه وتعالى -، ومنهم من ليس له أذن شرعية وتاب الله عليهم، ومنهم من منافقي الأعراب الذين يسكنون حول المدينة، ومنهم من منافقي المدينة.

**أولاً: المخلفون الذين لهم أذن شرعية وعدّرهم الله سبحانه وتعالى:**

قال تعالى: ( لَيْسَ عَلَى الصُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا تَصَحُّوا لِللهِ وَرَسُولِهِ هَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتُوكَ لِتَحْمِلُهُمْ قُلْتَ لَا أَجُدُ مَا أَخْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيقُنُ مِنَ الدَّمْعِ حَرَنَا أَلَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ ) [التوبه: 91، 92].

يبينت هذه الآيات الكريمة الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك وكأن لهم عذر شرعي بأنه ليس عليهم حرج وليس عليهم إثم في هذا التخلف؛ ذلك لأن لهم عذراً شرعاً منعهم من الخروج، وفي المراد بالضعفاء: أنهم الزمني والمشياخ الكبار، وقيل: الصغار، وقيل: المجانين، سموا ضعافاً لضعف عقولهم، ذكر القولين الماوري. وال الصحيح أنهم الذين يضعفون لزمانة أو عمى، أو سن، أو ضعف في الجسم، والمرضى: الذين بهم أعلال مانعة من الخروج للقتال<sup>(2)</sup>.

وقوله: ( وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ ). أي: ليس على الذين لا يحدون نفقة تبلغهم إلى الغزو حرج أو إثم ( إِذَا تَصَحُّوا لِللهِ وَرَسُولِهِ ) أي إذا عرفوا الحق، وأحبوا أولياءه<sup>(3)</sup> وأبغضوا أعداءه<sup>(3)</sup>.

وقوله: ( مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ) قال الطبرى: يقول تعالى: ليس على من أحسن فنصح لله ورسوله في تخلفه عن رسول

<sup>1</sup> (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 603. (2) انظر: زاد المسير (4/485).

<sup>3</sup> (?) انظر: تفسير القرطبي (8/226).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الله عن الجهاد معه، لعذر يعذر به، طريق يتطرق عليه فيعاقب من قبله (**وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ**).<sup>1</sup>

يقول تعالى: والله ساتر على ذنوب المحسنين، يتغمدها بعفوه لهم عنها، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها<sup>(1)</sup>.

وقال القرطبي: الآية أصل في سقوط التكاليف عن العاجز، من جهة القوة أو العجز من جهة المال<sup>(2)</sup>.

وقوله: (**وَلَا عَلَى الدِّينِ إِذَا مَا أَتُوكَ لِتَخْمِلُهُمْ فُلْتَ لَا أَحُدُ مَا أَخْمَلْتُمْ عَلَيْهِ**) معطوف على ما قبله من عطف الخاص على العام، اعتناء بشأنهم وجعلهم كأنهم -لتميزهم جنس آخر، مع أنهم مندرجون مع الذين وصفهم الله قبل ذلك (**أَلَا يَحِدُوا مَا يُنْفِقُونَ**).

أي: لا حرج ولا إثم على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون، إذا ما تخلفوا عن الجهاد، وكذلك لا حرج ولا إثم أيضا على فقراء المؤمنين [الذين إذا ما أتوك لتخلملهم] على الرواحل التي يركبونها لكي يخرجوا معك إلى هذا السفر الطويل، (فُلْت) لهم يا محمد<sup>(3)</sup>: (**لَا أَحُدُ مَا أَخْمَلْتُمْ عَلَيْهِ**، قوله: **تَوَلُوا وَأَغْيَيْتُمْ تَقْيِضُ مِنَ الدَّامِعِ**) أي انصرفوا وأعينهم تسيل بالدموع من شدة الحزن لأنهم لا يجدون المال الذي ينفقونه في مطالب الجهاد، ولا الرواحل التي يركبونها في حال سفرهم إلى تبوك<sup>(4)</sup>.

**ثانياً: المخلفون الذين ليس لهم أذنار شرعية وتاب الله عليهم:**

جاءت ثلاث آيات تتحدث عن هؤلاء المخلفين وهي:

1- قوله تعالى: (**وَآخَرُونَ اغْتَرَ فُوًا بِذُنُوبِهِمْ حَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ**) [التوبة: 102].

ومعنى الآية الكريمة: أن هؤلاء الجماعة تخلفوا عن الغزو لغير عذر مسوغ للتخلف ثم ندموا على ذلك، ولم يعتذروا بالأذنار الكاذبة كما اعتذر المنافقون، بل تابوا واعترفوا بالذنب ورجوا أن يتوب الله عليهم، والمراد بالعمل الصالح: ما تقدم من إسلامهم وقيامهم بشرائع الإسلام وخروجهم إلى الجهاد في سائر المواطن، والمراد بالعمل السيئ: هو تخلفهم عن هذه الغزوة، وقد أتبعوا هذا العمل السيئ عملا صالحا وهو الاعتراف به والتوبة عنه.

وأصل الاعتراف الإقرار بالشيء. ومجرد الإقرار لا يكون توبة إلا

<sup>1</sup> (?) انظر: تفسير الطبرى (10/211).  
     (2) انظر: تفسير القرطبي (8/226).

<sup>3</sup> (?) انظر: حديث القرآن الكريم (2/672).  
     (4) المصدر نفسه (2/673).  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأول من رمضان وعيد الفطر 1426

إذا اقتربن به الندم على الماضي والعزم على تركه في الحال والاستقبال، وقد وقع منهم ما يفيد هذا، ومعنى الخلط أنهم خلطوا كل واحد منهما بالآخر، كقولك: خلعت الماء باللين واللين بالماء.

وفي قوله: (**عَسَى اللَّهُ أَن يَثُوْبَ عَلَيْهِمْ**) دليل على أنه قد وقع منهم - مع الاعتراف - ما يفيد التوبة، أو مقدمة التوبة - وهي الاعتراف - قامت مقام التوبة، وحرف الترجي وهو (عسى) هو في كلام الله - سبحانه - يفيد تحقيق الواقع لأن الإطماء من الله سبحانه إيجاب؛ لكونه أكرم الأكرمين (**إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ**) أي: يغفر الذنوب ويتفصل على عباده<sup>(1)</sup>.

**2- قوله تعالى: ( وَآخِرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذَّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ )**

[التوبة: 106].

والمراد بهؤلاء المرجون - كما في الصحيحين - هلال بن أمية، وكعب بن مالك، ومراراة ابن الربع، وكانوا قد تخلعوا عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأمر ما - مع الهم باللحاق به عليه الصلة والسلام - فلم يتيسر لهم، ولم يكن تخلفهم عن نفاق - وحاشاهم - فقد كانوا من المخلصين، فلما قدم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وكان ما كان من المتخلفين قالوا: لا عذر لنا إلا الخطيئة، ولم يعتذروا له **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولم يفعلوا كما فعل أهل السواري<sup>(2)</sup>، وأمر رسول الله باجتنابهم، وشدد الأمر عليهم كما ستعلمك إن شاء الله تعالى، وقد وقف أمرهم خمسين ليلة لا يدرؤن ما الله - تعالى - فاعل لهم<sup>(3)</sup>.

**3- قال تعالى: ( وَعَلَى الْثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقْتَهُمْ حَتَّى إِذَا  
صَاقُتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ يَمْرِأُهُمْ وَحْتَ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ  
أَنْقُسْهُمْ وَظَنُوا أَنَّ لَا مَلْجَأً مِّنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ تُمْ نَابَ  
عَلَيْهِمْ لِتُبُوْبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ )** [التوبة: 118].

والمراد بهؤلاء الثلاثة هم هلال بن أمية، وكعب بن مالك، ومراراة بن الربع، وفيهم نزلت هذه الآية<sup>(4)</sup>، وسوف نتحدث عن هذه القصة - بإذن الله - بنوع من التفصيل لما فيها من الدروس والعبر والحكم.

**ثالثاً: المخلفون من منافقي الأعراب الذين يسكنون حول المدينة:**

**هؤلاء المخلفون من منافقي الأعراب نزل فيهم قوله تعالى: ( وَجَاءَ الْمُعَذْرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤَذَّنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا**

1 (؟) انظر: تفسير الشوكاني (2/399).

2 (؟) أي الذين ربطوا أنفسهم في سواري المسجد كأبي لبابة وأصحابه.

3 (؟) انظر: تفسير اللوysi (11/17).

4 (؟) انظر: حديث القرآن الكريم (2/677).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

**الله وَرَسُولُهُ سَيِّصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** [التوبه: 90].

رابعاً: المخلفون من منافقي المدينة:

قال تعالى: ( فَيَرَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يَحَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفَسُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْقُرُوا فِي الْحَرَقَ قُلْ تَأْرُجُهُمْ أَشَدُ حَرَقًا لَوْ كَانُوا يَنْفَقُهُونَ فَلَيَصْحِحُوكُوا قَلِيلًا وَلَيُبْكِيوكُوا كَثِيرًا حَرَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَإِن رَّجَعُكُمُ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَأَسْتَأْنُوكُمْ لِلْجُرُوحِ فَقُلْ لَنِّي تَخْرُجُوكُوا مَعِي أَتَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوكُوا مَعِي عَدُوًا أَتُكُمْ رَاضِيُّمْ بِالْقَعْدِ أَوْ لَمْ رَأِيْ فَاقْعُدُوكُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ) [التوبه: 81].

هذا وقد لاحظت اختلاف سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم في معاملته للمنافقين عندما اعتذروا له، عن المسلمين الصادقين، حيث انه صلى الله عليه وسلم عامل المناافقين باللين والصفح، واختار المسلمين الصادقين الشدة والعقوبة! ولا شك أن الشدة والقسوة في هذا المقام مع المسلمين مظهر للإكرام والتشريف، وهو ما لا يستحقه المنافقون، وكيف يستحق المناقرون أن تنزل آيات في توبتهم -على أي حال؟!- إنهم كفرا، ولن ينشلهم شيء مما يتظاهرون به في الدنيا، من الدرك الأسفل في النار يوم القيمة، وقد أمر الشارع جل جلاله أن ندعهم لما تظاهروا به ونجري الأحكام الدنيوية حسب ظواهرهم، فيما التحقيق عن بواسطنا أعاد لهم وحقيقة أقوالهم، وفيما معاقبتهم في الدنيا على ما قد يصدر عنهم من كذب ونحن إنما نعطيهم الظاهر فقط من المعاملة والأحكام؛ كما يبدون لنا هم أيضاً الظاهر فقط من أحوالهم وعقائدهم، قال ابن القيم: وهذا يفعل الرب -سبحانه- بعباده في عقوبات جرائمهم، فيؤدب عبده المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده، بادنى زلة وهفوة، فلا يزال مستيقظاً حذراً، وأما من سقط من عين الله وهان عليه فإنه يخلب بينه وبين معاصيه، وكلما أحدث ذنبنا أحدث له نعمة<sup>(1)</sup>.

#### خامساً: مسجد الضرار:

في أثناء عودة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة راجعاً من تبوك نزلت عليه الآيات الآتية:

( وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيَقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْضَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ فِتْلٍ وَلَيَحْلِفُنَّ أَنْ أَرْدَنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشَهِدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقْمُ فِيهِ أَتَدًا لَمَسِحِدٌ أَسِسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقْعُومَ

<sup>1</sup> (?) انظر: زاد المعاد (3/578).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

**فِيهِ فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ** [التوبية: 107-108].

وسيت نزول هذه الآيات الكريمتات: أنه كان بالمدينة -قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها- رجل من الخرج يقال له أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخرج كبير، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرًا إلى المدينة وأجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شرق اللعين أبو عامر برقه، وبارز بالعداوة وظاهر بها، وخرج فارًا إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجتمعوا بهن وافقهم في أحياء العرب فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله عز وجل، وكانت العاقبة للمتقين، وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفيين فوقع في إحداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيب بذلك اليوم فجرح وكسرت رباعيته اليمنى والسفلى، وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطلهم، واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك علينا يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه وسبوه، فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا إلى الله قبل قراره وقرأ عليه القرآن، فأبى أن يسلم وتمرد، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يموت بعيدًا طريرًا فنالته هذه الدعوة، وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في ارتفاع وظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم، فوعده ومناه، وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم وينهيم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتذدوا له معقولاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لاءاته، ويكون مرصاداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فنشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيصلّي في مسجدهم ليحتاجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: «إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله» فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمدته بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم، مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هدمه قبل

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

مقدمه المدينة<sup>(1)</sup>. هذا ما ذكره ابن كثير في سبب النزول.  
أما معنى الآيات الكريمة: أخبر الله سبحانه أن الباущ لهم على بناء المسجد أربعة أمور:

- 1- الضرار لغيرهم، وهو المضاراة.
- 2- الكفر بالله والمحاهاة لأهل الإسلام، لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق.
- 3- التفرق بين المؤمنين، لأنهم أرادوا ألا يحضرها مسجد قباء فتقل جماعة المسلمين، وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطidan الألفة ما لا يخفى.
- 4- الإرصاد لمن حارب الله ورسوله، أي الإعداد لأجل من حارب الله ورسوله<sup>(2)</sup>.

وقد خَبَّ اللَّهُ -تَعَالَى- مساعهم، وأبطل كيدهم بأن أمر نبيه صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهدمه وإزالته.  
وقوله: (وَلَيَخْلُفُنَّ إِنْ أَرْدَتَا إِلَّا الْخُسْنَى) ذم لهم على أيمانهم الفاجرة، وأقول لهم الكاذبة؛ لذلك قال تعالى: (وَاللَّهُ يَشَهِدُ إِلَّاهُمْ لَكَادُّوْنَ).

ثم نهى الله تعالى رسوله والمؤمنين عن الصلاة في هذا المسجد نهياً مؤكداً، فقال سبحانه: (لَا تَقْمُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أَسْسَنَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ لِنَّ يَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْطَهِرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ).

قال ابن عاشور: قوله سبحانه: (لَا تَقْمُمْ فِيهِ أَبَدًا) المراد بالقيام الصلاة؛ لأن أولها قيام، ووجه النهي عن الصلاة فيه أن صلاة النبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه تكسيبه يميناً وبركة فلا يرى المسلمين لمسجد قباء مزية عليه؛ ولذلك أمر رسول الله صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمار بن ياسر، ومالك بن الدخشيم مع بعض أصحابه وقال لهم: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وحرقوه» ففعلوا<sup>(3)</sup> قوله: (لِمَسْجِدٍ أَسْسَنَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) احتراس مما يستلزم النهي عن الصلاة فيه من إضاعة عبادة في الوقت الذي رغبو للصلاة فيه، فأمره الله بأن يصلِّي في ذلك الوقت الذي دعوه فيه للصلاة في مسجد الضرار أن يصلِّي في مسجده أو في مسجد قباء، لئلا يكون لامتناعه من الصلاة من خطوط

<sup>1</sup> (؟) انظر: تفسير ابن كثير (2/338).  
<sup>2</sup> (؟) المصدر نفسه (2/403).

<sup>3</sup> (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/184). (2) انظر: حديث القرآن الكريم (2/661).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ

إلى الشيطان أن يكون صرفه عن صلاة في وقت دعى للصلاة فيه، وهذا أدب نفساني عظيم<sup>(1)</sup>.

وفيه أيضاً دفع مكيدة المنافقين أن يطعنوا في الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه دعى إلى الصلاة في مسجدهم فامتنع قوله: أَحَقُّ<sup>(2)</sup>) وإن كان اسم تفضيل فهو مسلوب المفاضلة؛ لأن النهي عن صلاته في مسجد الصرار أزال كونه حقيقة بصلاته فيه أصلاً.

ولعل نكتة الإتيان باسم التفضيل أنه تهكم على المنافقين لمحاجاتهم، ظاهراً في دعوتهم النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه بأنه وإن كان حقيقة بصلاته بمسجد أسس على التقوى أحق منه، فيعرف من وصفه بأنه (أَسْسَنَ عَلَى التَّقْوَى) أن هذا أساس على صدتها<sup>(2)</sup>.

وقد رأى ابن عاشور أن المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى أنه مسجد هذه صفتة لا مسجداً واحداً معيناً، فيكون هذا الوصف كلياً انحصر في فرددين: المسجد النبوي، ومسجد قباء<sup>(3)</sup>.

قوله تعالى: (فِيهِ رَحَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا) روى ابن ماجه أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معاشر الأنصار، إن الله قد أثني عليكم في الطهور فما طهوركم؟» قالوا: نتوضاً للصلاة ونقتسل من الجنابة ونستنجي بالماء، قال: فهو ذاك فعليكموه<sup>(4)</sup>. وفي قصة مسجد الصرار دروس وعبر وفوائد منها:

## 1- الكفر ملة واحدة:

وقد تبين هذا في موقف أبي عامر الراهب من الإسلام ومن المسلمين؛ إذ غضب غصباً شديداً، وتالم لهزيمة المشركين في بدر، فأعلن عداءه للرسول، وتوجه إلى عاصمة الشرك مكة يبحث أهلها على قتال المسلمين، وخرج مقاتلاً معهم في أحد، وحلول تفتت الصف الإسلامي<sup>(5)</sup> وصدق الله تعالى عندما قال: (وَالذِّينَ كَفَرُوا بِعَصْبُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَغْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَيْزِرٌ) [الأنفال: 73].

## 2- محاولة التدليس على المسلمين:

حاول المنافقون أن يضفوا الشرعية على هذا البناء وأنه مسجد

1

2

3

4

5

(?) انظر: التحرير والتنوير (11/31). (4) المصدر نفسه (11/32).

(?) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالماء (1/127).

(?) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 179.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

ينوه لأسباب مقنعة في الظاهر، ولكن لا حقيقة لها في نفوس أصحابها، فقد جاءوا يطلبون من الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة في هذا البناء ليكون مسجدا قد باركه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاحة فيه، فإذا حدث هذا فقد استقر قرارهم في تحقيق أهدافهم، وهذا أسلوب ماكرو-خيبيت قد ينطلي على كثير من الناس<sup>(1)</sup>.

### 3- فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين:

إن الباحث ليلاحظ مدى العناية الإلهية بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد أطلعه الله -عز وجل- على أسرار هؤلاء المنافقين وما أرادوه من تأسيس هذا المسجد، فلولا إعلام الله لرسوله لما ادرك رسول الله حقيقة نواياهم، ولصلى في البناء فأضافي عليه الشرعية وأقبل الناس يصلون فيه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه، وبذلك يحدث الاختلاط بين المنافقين وضعاف المسلمين فينفردون بهم وقد يؤثرون عليهم بالشائعات<sup>(2)</sup>.

### 4- العلاج النبوى الحاسم:

إن ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأمر بهدم مسجد الضرار هو التصرف الأمثل، وهذا منهج نبوي كريم سنه لقادة الأمة في القضاء على أي عمل يراد منه الإضرار بال المسلمين وتفرق كلمتهم، فالداء العضال لا يعالج بتسكنيه والتخفيف منه، وإنما يعالج بجسمه وإزالة أثاره، حتى لا يتجدد ظهوره بصورة أخرى، وإن الثمار العملية، التي لمسها المسلمون على إنتر تطبيق الأمر النبوى الحازم لتدلنا على أن هذه المنهجية التي نهجها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذا المكر الخبيث، هي الطريقة المثلثى لقمع حركة النفاق في المجتمع المسلم، فقد أصبح أمرهم بعد ذلك يتلاشى شيئا فشيئا حتى لم يبق منهم بعد لحاق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى إلا عدد قليل، ولم يعرف عنهم بعد تدمير مسجد الضرار أن قاموا بأعمال تخدم الهدف نفسه لعلمهم بنتائج العمل بعد انكشافهم<sup>(3)</sup>.

### 5- ما يلحق بحكم مسجد الضرار:

ذكر المفسرون ما يلحق بمسجد الضرار في الحكم، فهذه بعض أقوالهم:

أ- قال الزمخشري:... وقيل كل مسجد بني مباهاة أو رباء وسمعة أو لغرض<sup>(4)</sup> سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيب، فهو لاحق بمسجد الضرار.

<sup>1</sup> (?), 4) المصدر نفسه، ص 181.

<sup>2</sup> (?). انظر: تفسير الزمخشري (

<sup>3</sup> 3/310).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

علق الدكتور عبد الكريم زيدان على قول الزمخشري فقال: ولكن هل يلحق بمسجد الضرار فيهم، كما هدم مسجد الضرار الذي بناء المناقون في المدينة وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمه؟ لا أرى ذلك، وإنما يمكن أن يقال إن المسجد الذي بني لهذه الأغراض يلحق بمسجد الضرار من جهة عدم ابتنائه على التقوى، والإخلاص الكامل لله تعالى<sup>(5)</sup>.

**بـ- قال القرطبي في تفسيره:** قال علماؤنا: وكل مسجد بني على ضرار أو رباء وسمعة فهو في حكم مسجد الضرار لا تجوز الصلاة فيه<sup>(2)</sup>.

**جـ- وقال سيد قطب في تفسيره:** هذا المسجد مسجد الضرار الذي اتّخذ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيدة للإسلام والمسلمين، هذا المسجد ما يزال يَتَّخَذُ في صورٍ شتى؛ يَتَّخَذُ في صورة نشاط ظاهره الإسلام وباطنه لسحق الإسلام أو تشويهه... ويَتَّخَذُ في صورة أوضاع ترفع لافتة الدين عليها لتنترس وراءها، وهي ترمي هذا الدين، ويَتَّخَذُ في صورة تشكيلات وتنظيمات وكتب وبحوث تتحدث عن الإسلام، لتخدّر القلقين الذين يرون الإسلام يذبح ويتحقق، فتخدّرهم هذه التشكيلات وتلّك الكتب بما توحّيه لهم من أن الإسلام بخير، وأنه لا داعي للخوف أو القلق عليه<sup>(3)</sup>.

#### 6- قاعدة لمعرفة ما يلحق بالمسجد الضرار:

قال الدكتور عبد الكريم زيدان: كل ما يَتَّخَذُ مما هو في ظاهره مشروع، ويريد متّخذه تحقيق غرض غير مشروع، فهو ملحق بالمسجد الضرار، لأنه يحمل روحه وعناصره<sup>(4)</sup>، وإذا أردنا الإيجاز قلنا في هذه القاعدة: كل ما كان ظاهره مشروعًا ويريد متّخذه الإضرار بالمؤمنين فهو ملحق بالمسجد الضرار<sup>(5)</sup>.

وبناء على هذه القاعدة يخرج من نطاق مسجد الضرار وما يلحق به، ما ذكره الإمام ابن القيم من مشاهد الشرك، ومن أماكن المعااصي والفسوق كالحانات وبيوت الخمر والمنكرات ونحو ذلك؛ لأن هذه المنكرات ظاهرها غير مشروع فلا تلحق به وإن استحقت الإزالة كمسجد الضرار باعتبارها منكرات ظاهراً وباطناً<sup>(6)</sup>.

#### 7- مساجد الضرار في بلاد المسلمين:

5 (?) انظر: المستفاد من قصص القرآن (2/504). (4) انظر: تفسير القرطبي (8/254).

2 (?) في طلال القرآن (1711، 3/1710). (3) انظر: المستفاد من قصص القرآن (2/506). (2, 3) المصدر نفسه (2/507).

6 (4) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/508). هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426هـ.

لا يزال أعداء الإسلام من المنافقين والملحدين، والمُبَشِّرين (المنصريين) والمستعمرين، يقيمون أماكن باسم العبادة وما هي لها، وإنما المراد بها الطعن في الإسلام وتشكيك المسلمين في معتقداتهم وأدابهم، وكذلك يقيمون مدارس باسم الدرس والتعليم ليتوصلوا بها إلى بث سموهم بين أبناء المسلمين، وصرفهم عن دينهم، وكذلك يقيمون المنتديات باسم الثقافة والغرض، منها خلخلة العقيدة السليمة في القلوب، والقيم الخلقية في النفوس، ومستشفيات باسم المحافظة على الصحة والخدمة الإنسانية والغرض منها التأثير على المرضى والضعفاء وصرفهم عن دينهم، وقد اتخذوا من البيئات الجاهلة والفقيرة -لاسيما في بلاد إفريقيا- ذريعة للتوصيل إلى أغراضهم الدينية التي لا يقرها عقل ولا شرع ولا قانون<sup>(1)</sup>.

إن مسجد الضرار ليس حادثة في المجتمع الإسلامي الأول، وإنقضت، بل هي فكرة باقية، يخطط لها باختيار الأهداف العميقية، وتحتار الوسائل الدقيقة لتنفيذها، وخططتها تصب في التامر على الإسلام وأهله بالتشويه وقلب الحقائق، والتشكيك، وزرع بذور الفتن لإبعاد الناس عن دينهم وإشغالهم بما يضرهم ويدمر مصيرهم الآخروي<sup>(2)</sup>.

\* \* \*

<sup>2</sup> (?) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 182.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## المبحث الرابع

### قصة الثلاثة الذين خلفوا

وردت قصة الثلاثة الذين خلفوا على لسان كعب بن مالك ت في كتب السيرة والحديث والتفسير بروايات متقاربة في الفاظها، ولقيت عنابة فائقة في الشرح والتدرис، وكان صحيح البخاري من أكثر الكتب دقة وتفصيلاً لهذه القصة<sup>١</sup>.

وترك كعب بن مالك ت يحدثنا بنفسه حيث قال: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاهما إلا في غزوة تبوك، غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة<sup>٢</sup> حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر ذكر في الناس منها، كان من خيري أنني لم أكن - فقط - أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزارة، والله ما اجتمع عندى قبله راحلتان - فقط - حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورأى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومقارزاً، وعدوا كثيراً، فجلى لل المسلمين أمرهم ليتأهلاً بهم، فأخبرهم بوجه الذي يريد، وال المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريدون الديوان، قال كعب: مما رجل يريد أن يتغيب إلا طن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله.

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حيث طابت الشمار والطلال، وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي اتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، فاقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادي بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأنجهر، فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو<sup>٣</sup> وهمممت أن أرتحل فادركتهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطافت فيهم أحزنني أنني لا أرى إلا رجالاً مغموماً عليه النفاق أو رجالاً من عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه

<sup>1</sup> (?) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 187.

<sup>2</sup> (?) ليلة العقبة: الليلة التي بايع رسول الله ﷺ الأنصار على الإسلام.

<sup>3</sup> (?) تفارط الغزو: تقدم الغزاة وسبقوها وفانوا.

وسلم حتى بلغ تبوك، فقال وهو حالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بنى سلمة: يا رسول الله حبسه برباده، ونظره في عطفيه<sup>(1)</sup> فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً<sup>(2)</sup> ينزوء به السراب<sup>(3)</sup> فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كن أنا خثيمة» فإذا هو أبو خثيمة الانصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه<sup>(4)</sup> المنافقون، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً<sup>(5)</sup> من تبوك حضرني بشي<sup>(6)</sup>، فطافت أذنكر الكذب وأقول: يم آخر من سخطه غداً؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطل قادماً<sup>(7)</sup> زاح<sup>(8)</sup> عنى الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً، فاجمعت صدقه<sup>(9)</sup> وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً، وكان إذا قدم من سفربدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخالفون فطفقوا يعتذرون إليه، ويختلفون له، وكانتوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم، وباعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت، فلما سلمت، تبسم تبسم المغضوب، ثم قال: «تعال»، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» قال: قلت: بلـ، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطك بعذر، ولقد أعطيت جداً<sup>(10)</sup> ولكنـ واللهـ لقد علمتـ لئن حدثتكـ اليومـ حدثـ كذـبـ ترضـيـ بـهـ عـنـيـ، ليـوشـكـنـ<sup>(11)</sup> اللهـ أـنـ يـسـخـطـكـ عـلـىـ، وـلـئـنـ حدـثـكـ حدـيثـ صـدـقـ تـجـدـ عـلـىـ فـيـهـ<sup>(12)</sup> إـنـيـ لـأـرـجـوـ فـيـهـ عـقـبـيـ اللـهـ<sup>(13)</sup>، لاـ واللهـ ماـ كانـ لـيـ عـذـرـ، وـالـلـهـ مـاـ كـنـتـ قـطــ أـقـوىـ، وـلـآـيـسـرـ مـنـيـ حـينـ تـخـلـفـ عنـكـ، قالـ رسولـ اللهـ صلىـ اللهـ عليهـ وسلمـ: «أـمـاـ هـذـاـ فـقـدـ صـدـقـ، فـقـمـ حتـىـ يـقـضـيـ اللـهـ فـيـكـ»، فـقـمـتـ وـثـارـ رـجـالـ منـ بنـىـ سـلـمـةـ فـاتـبعـونـيـ، فـقـالـواـ لـيـ: وـالـلـهـ مـاـ عـلـمـنـاكـ كـنـتـ أـذـنـبـ ذـنـبـاـ قـبـلـ هـذـاـ، وـلـقـدـ عـجـزـتـ أـلـاـ تكونـ اـعـتـذـرـ إـلـىـ رـسـولـ اللـهـ صلىـ اللهـ عليهـ وسلمـ بـمـاـ اـعـتـذـرـ بـهـ إـلـيـهـ المـخـلـفـونـ، فـقـدـ كـانـ كـافـيـكـ ذـنـبـكـ، استـغـفـارـ رـسـولـ اللـهـ صلىـ اللهـ عليهـ

1 (?) والنظر في عطفيه: أي جانيه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه.  
2 (?) مبيضاً: ليس البياض.

3 (?) ينزوء به السراب: يتحرك وينهض، والسراب ما يظهر للإنسان.

4 (?) لمزه المنافقون: عابوه واحتقروه. (5) توجه قافلاً: راجعاً.

6 (?) حضرني بشي: حزني.

أبغى على ظله.

8 (?) زاح: أزال.

10 (?) أعطيت جداً: فصاحة وقوة في الكلام وبراعة.

11 (?) ليوشكن: ليس عن.

12 (?) تجد على فيه: تغتصب.

13 (?) إني لارجو عقبي الله: يعقبني خيراً ويشبني عليه.

**وسلم لك، قال: فوالله ما زالوا يؤنبونني<sup>(1)</sup>** حتى أردت أن أرجع إلى **رسول الله صلى الله عليه وسلم** فاكذب نفسي.

قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجالان، قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، قال: من هما؟ قالوا: مراة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، فيهما أسوة. فمضيت حين ذكروهما لي. ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا -أيها الثلاثة- من بين من تخلف عنده. فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تذكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلышنا على ذلك خمسين ليلة، فاما صاحبها فاستكانا<sup>(2)</sup> وقعدا في بيتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم<sup>(3)</sup> فكنت أخرج، فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلى قربا منه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلى، وإذا التفت نحوه أعرض عندي، حتى طال ذلك علي من جفوة الناس، مشيش حتى تصورت جدار حائط أبي قتادة<sup>٤</sup> - وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي - فسلمت عليه، فوالله ما رد على السلام، فقلت له: يا أبي قتادة، أشندك بالله<sup>(4)</sup> هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، فعدت فناشته فسكت، فعدت فناشته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، وتوليت حتى تصورت الجدار، وبينما أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطي من نبط أهل الشام<sup>(5)</sup> ممن قدم بالطعام بيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إلى، حتى جاءعني فدفع إلى كتابا من ملك غسان، وكانت كتابا، فقرأتها فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفال، ولم يجعلك الله بدار هوأن ولا مضيعة<sup>(6)</sup> فالحق بنا نو فقلت حين قرأتها: وهذا أيضا من البلاء فتيممت<sup>(7)</sup> بها التنور، فسجرتها<sup>(8)</sup> به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين واستلبث الوحي<sup>(9)</sup> إذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك أن تعزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذ أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها فلا تقربنها، قال: فارسل إلى صاحبي بمثل هذا.

قال: فقلت لأمرأتي: الحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله

1 (؟) يؤنبونني: يلومونني أشد اللوم.  
2 (؟) أستكانا: خضعا.

(2) أشب القوم وأجلدهم: أي أصغرهم

3 سن وأقواهم: أسلوك بالله.  
4 (？) أشندك بالله: أسلوك بالله.  
5 (？) مضيعة: يعني أنك لست بأرض يصيغ فيها حرقك.  
6 (？) تيممت: قصدت.

7 (？) فسجرتها: أحقرتها.  
8 (8) استلبث الوحي: أبطة

في هذا الأمر، قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله، فقالت له: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تذكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقرئني، فقالت: إنه -والله- ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمراتك؟ فقد أذن لامرأة هلال ابن أمية أن تخدمه، قال فقلت: لا أستاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدراني ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استاذته فيها، وأنا رجل شاب، قال فلبيثت بذلك عشر ليال، فكميل لنا خمسون ليلة على ظهر بيته من بيوتنا، فيبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منها، قد صاقت على نفسي وصاقت على الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع<sup>(1)</sup> يقول، بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر. قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، قال: فاذن<sup>(2)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم توبية الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلى فرساً، وسعى ساع من أسلم قبلي، وأوفى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبه فكسوه إياهما بشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت أتامم<sup>(3)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقاني الناس فوجا فوجا<sup>(4)</sup> يهنوئوني بالتوبة ويقولون: لتهنأك توبية الله عليك حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد، حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهروي حتى صافحتي وهناني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعب لا ينساها طلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم من عليك منذ ولدتك أمك» قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال: «لا، بل من عند الله» وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّ استثار وجهه كأنه قطعة قمر قال: وكنا نعرف ذلك قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع<sup>(5)</sup> من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك» قال: فقلت: فإنني أمسك سهمي الذي بخير قال: وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي إلا أحدث إلا صدقًا ما بقيت، فوالله ما علمت أن أحدًا من المسلمين أبلاه<sup>(6)</sup> الله في صدق الحديث

1 (?) أوفى على سلع: صعده وارتفاعه عليه، وسلح: جبل بالمدينة معروف.

2 (?) فأدن الناس: أي أعلمهم. (3) أتمم: أي قصد.

4 (?) فوجا فوجا: الفوج الجماعة. (5) أنخلع من مالي: أتصدق به.

6 (?) أبلاه الله: أنعم عليه.

هديّة الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا، أحسن مما أبلغني الله به، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا، ولنبي لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي، قال: فأنزل الله عز وجل: (لَقَدْ ثَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرْبِعُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ ثَابَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ يَعْلَمُ رَفُوفَ رَجِيمٍ ۝ وَعَلَى التَّلَاثَةِ الَّذِينَ حَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَلَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِيتُ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَطَنَوْا أَنَّ لَا مَلِحًا مِّنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ تَمَّ ثَابَ عَلَيْهِمْ لِتُشُوَّبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ) [التوبة: 117-118] حتى بلغ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: 119].

قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة -قط-. بعد إذ هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقني رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أكون كذبيه فأهلتك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا الله حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، قال الله: (سَيَخْلُفُونَ يَاللهِ لَكُمْ إِذَا اتَّقْلَيْتُمُ الَّذِي هُمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَإِغْرِصُوْا عَنْهُمْ أَنَّهُمْ رَحِيمٌ وَمَا وَاهِمٌ جَهَنَّمُ حَرَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) [التوبة: 95-96].

قال كعب: وكنا تخلفنا -أيها الثلاثة- عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له، فبایعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضي الله فيه، فيذلك قال الله عز وجل: (وَعَلَى التَّلَاثَةِ الَّذِينَ حَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِيتُ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَطَنَوْا أَنَّ لَا مَلِحًا مِّنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ تَمَّ ثَابَ عَلَيْهِمْ لِتُشُوَّبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ) [التوبة: 118] وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا<sup>(1)</sup>، عن حلف له واعتذر إليه فقبل منه<sup>(2)</sup>. وفي هذه القصة دروس وعبر وفوائد كثيرة نذكر منها:

## 1- الأسلوب الجميل والبيان الرائع والأدب الرفيع:

لقد تمت صياغة هذا الحديث بأسلوب جميل، وبيان رائع، وأدب رفيع، وأنه ليعتبر مع أمثاله كحديث صلح الحديبية وحديث الإفك - نماذج عالية للأدب العربي الرفيع، وليث القائمين على وضع المناهج الدراسية يختارون هذه الأحاديث وأمثالها لتنمية مدارك الطلاب، وتكوين الملكة الأدبية

<sup>1</sup> (?) أرجاؤه أمرنا: تأخيره أمرنا.

<sup>2</sup> (?) البخاري، كتاب المغازي رقم 4418، صحيح السيرة النبوية، ص 614.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

والثروة اللغوية العالمية، انظر مثلاً إلى قول كعب في هذا الحديث:  
فَلَمَا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظْلَلَ قَادِمًا زَاهٍ عَنِ  
الْبَاطِلِ، وَعَرَفَتْ أُنَيْ لَنْ أَخْرَجْ مِنْهُ أَبْدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذْبٌ؛ فَأَجْمَعَتْ  
صَدْقَهُ<sup>(1)</sup>.

## 2- الصدق سفينه النجا:

لقد أدرك كعب، وهلال، ومرارة -رضي الله عنهم- خطورة الكذب  
فعزموا على سلوك طريق الصراحة والصدق وإن عرضهم ذلك للتعب  
والمضايقات، ولكن كان أملهم بالله -تعالى- كبيراً في أن يقبل توبتهم  
ثم يعودون إلى الصف الإسلامي أقوى مما كانوا عليه<sup>(2)</sup>، وما أحبل  
ختم رب العالمين توبته على كعب ومن معه بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا<sup>(3)</sup>  
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبه: 119].

## 3- الهجر التربوي وأثره في المجتمع:

إن الهجر التربوي له منافعه العظيمة في تربية المجتمع المسلم  
على الاستقامة ومنع أفراده من التورط في المخالفات التي تكون إما  
يترك شيء من الواجبات أو فعل شيء من المحرمات؛ لأن من توقع  
أنه إذا وقع في شيء من ذلك سيكون مهجوراً من جميع أفراد  
المجتمع، فإنه لن يفكر في الإقدام على ذلك.

ولا يغيب عن البال أن تطبيق هذا الحكم يجب أن يتم في الظروف  
المتشابهة لحياة المسلمين في العهد النبوى المدني، حيث توحد الدولة  
المهيمنة والمجتمع القوى، مع أمن الواقع في الفتنة لمن طبق عليه  
هذا الحكم.

وهذا الهجر التربوي يختلف عن الهجر الذي يكون بين المسلمين  
على أمور الدنيا، فهذا ديني وذاك ديني، فالهجر الديني مطلب  
شرعى يتأبى عليه فاعله، أما الهجر الديني فإنه مكره إلا إذا زاد عن  
ثلاثة أيام فإنه يكون محرماً<sup>(3)</sup> لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
«لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فِي وَقْتٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فِي عَرْضِ هَذَا  
وَيَعْرَضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَا بِالسَّلَامِ»<sup>(4)</sup> ولقوله صلى الله عليه  
 وسلم: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسْفُ دَمِهِ»<sup>(5)</sup>.

## 4- تنفيذ أوامر القيادة في المجتمع المسلم:

استجابة المجتمع المسلم كله لتنفيذ أمر المقاطعة والهجر الذي  
صدر من القائد الأعلى صلى الله عليه وسلم وامتنعوا جميعاً عن الحديث مع هؤلاء

<sup>1</sup> (؟) انظر: التاريخ الإسلامي (8/137).

<sup>2</sup> (؟) انظر: التاريخ الإسلامي (8/138).

<sup>3</sup> (3) المصدر نفسه (8/139).

1984.

<sup>4</sup> (5) مسند أحمد (4/220).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

الثلاثة، ووصف كعب لنا ذلك فقال: ... فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تذكرت في نفسي الأرض فيما هي التي أعرف، فأما صاحبنا فاستكانا وقعدا في بيتهما يكياً، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد<sup>(1)</sup> ... وقد أطلق كعب السلام على ابن عم أبي قتادة فلم يرد عليه السلام، وناديه بالله مراراً: هل تعلمني أحب الله ورسوله؟

فسكت، مع أنه من أحب الناس إليه، لقد كان أبو قتادة في هذا الموقف موزع الفكر بين إجابة رجل حبيب إليه عزيز عليه، وبين تنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتطبيق الهرج التربوي، ولكن ليس هناك تردد بين الأمرتين، فالذي أوحى به إيمان أبي قتادة هو تنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم فظاهر ذلك على سلوكه<sup>(2)</sup>.

وقد بلغ الالتزام بالأمر النبوى في الهرج التربوى ذروته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة الذين خلقوا باعتزال زوجاتهم حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً، فالالتزام الجميع بذلك، واستاذنت زوجة هلال بن أمية - وكان شيخاً طاعناً في السن لا يجد من يخدمه - فطلبت من الرسول صلى الله عليه وسلم أن ياذن لها أن تخدمه فاذن لها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك شريطة ألا يقربها؛ فالالتزامت رضي الله عنها<sup>(3)</sup>.

## 5- الولاء التام لله ورسوله:

كان العدو الصليبي يراقب ويرصد ويستغل الفرصة السانحة لكي يمزق الجبهة الداخلية ويتشعل نار الفتنة بين المسلمين ليوهن البنية ويقوض الأركان، ولذلك استغل ملك غسان فرصة هجران المسلمين لکعب بن مالك <sup>†</sup> وعقوبة رسول الله صلى الله عليه وسلم له، بأن يرسل سفيره لکعب برسالة خاصة منه إليه يغريه فيها، تأمل قوله: قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك<sup>(4)</sup>. فكان تعليق كعب على هذه الرسالة: وهذا من البلاء أيضاً، قد بلغ مني ما وقعت فيه أن طمع في رجال من أهل الشرك، ثم أحرق الرسالة<sup>(5)</sup> وهذا الموقف يدل على شدة ولاء كعب لله ورسوله وقوه إيمانه وعظمته نفسه، فقد أدرك أنها محنـة جديدة أقسى من الاولى، فلا يرضيه أن يجيب ملك غسان بالسلب، أو يرمي بالكتاب ويمزقه، ولكنه رمى به في التنور ليصير رماداً، وبصیر كل ما به دخاناً يتبدد في الهواء، وخرج الرجل من محنته وهو أقوى مما يكون إيماناً، وأصفى ما يكون روحـاً، وأكرم ما يكون أخلاقاً، في العظمـة هذه أنفوس المؤمنـة الكـبيرة<sup>(6)</sup>! لقد مر كعب من فوق هذا الاختبار

<sup>2</sup> (?) انظر: التاريخ الإسلامي (140/8). <sup>2</sup> (2) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 196.

<sup>4</sup> (?) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4418. <sup>4</sup> (4) المغازي (1051/3). <sup>6</sup> (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/517). <sup>6</sup> (6) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 307.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

والابتلاء عزيزاً قوياً بإسلامه، لم يتأثر به ولا انزلق فيه<sup>(1)</sup>.

## 6- توبه الله على العبد قيمة دينية يتطلع إليها الصادقون:

عندما نزلت الآيات الكريمة التي بينت توبه الله على هؤلاء الثلاثة كان ذلك اليوم من الأيام العظيمة عند المسلمين، ظهرت فيه الفرحة على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استثار كأنه قطعة قمر، وظهرت الفرحة على وجوه الصحابة -رضي الله عنهم- حتى صاروا يتلقون كعباً وصاحبيه أفواجاً يهنيئونهم بما تفضل الله به عليهم من التوبة، وجاء كعب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ووجهه يبرق من السرور فقال له: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، وهذا يعني مقام التوبة وأنها أعظم من الدخول في الإسلام.

إن التوبة تعني عودة العبد إلى الدخول تحت رضوان الله تعالى الذي هو أعلى هدف ينشده المسلم، وبالتالي فإنه يحظى بحفظه -جل وعلا- في الدنيا وتكريمه في الآخرة، لقد كانت توبه كعب عظيمة عبر عنها بنزع ثوبيه -الذين لا يملكون يومئذ غيرهما- وإهدائهم لمن يشره<sup>(2)</sup> وعدم نسيان كعب لطلحة بن عبد الله مصافحته وتهنئته له<sup>(3)</sup> وكذلك كانت فرحة صاحبيه عظيمة غير أن كعبا لم يذكر في هذا الخبر إلا ما جرى له<sup>(4)</sup> وقد جاء في رواية الواقدي: وكان الذي يبشر هلال بن أمية بتوبته سعيد بن زيد قال: وخرجت إلىبني واقف فيبشرته فسجد، قال سعيد: مما طنته يرفع رأسه حتى تخرج نفسه<sup>(5)</sup>.

## 7- تشرع أنواع العبادات شكرًا لله عند النعمة:

كانت فرحة كعب بن مالك بتوبه الله -سبحانه وتعالى- عليه لا تحدوها حدود، ولا يتصورها مثل، وقد تفنن هو في التعبير عنها بحملة من العبادات منها:

**أ- سجود الشكر:** حينما سمع كعب البشارة بتوبه الله عليه خر ساجداً من فوره شكرًا لله -تبارك وتعالى- فقد كان من عادة الصحابة -رضي الله عنهم- أن يسجدوا شكرًا لله -تعالى- كلما تجددت لهم نعمة أو انصرفت عنهم نعمة، وقد تعلموا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(6)</sup>

**ب- مكافأة الذي يحمل البشري:** فقد نزع كعب ثوبيه اللذين كان يلبسهما، فكساهمما الذي سمع صوته بالبشرى، وما كان يملك وقتئذ غيرهما، ثم استعار ثوبين فلبسهما، ولا شك أن هذا ضرب من

2 (؟) انظر: التاريخ الإسلامي (8/141).

3 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/581).

4 (؟) انظر: المغازي للواقدي (3/1054).

5 (؟) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي، ص 493.

هديّة الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الهبة المشروعة، فإن كان المبشير غنياً كان له هدية، وإن كان فقيراً كان له صدقة، وكلاهما إخراج المال شكرًا لله -تعالى- على إنزاله الفرج<sup>(1)</sup>.

**ج- التصدق بالمال:** فقد جعل كعب من توبته أن ينخلع من ماله صدقة لله تعالى، لكنه -عليه الصلاة والسلام- لم يتقبل منه التصدق بجميع ماله، وقال له: «أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك»، وكأنه يستشيره بذلك، فكانت المشورة بإمساك بعض ماله<sup>(2)</sup> وقد ثار الخلاف الفقهـي فيما نذر التصدق بجميع ماله، والصدقة مستحبة، والنذر واجب الوفاء، ولم يذهب كعب إلى النذر، وإنما استشار في الصدقة بكل المال، فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بإمساك بعض ماله.

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) نفس المصدر، ص 493، الصراع مع الصليبيين، ص 202.

<sup>2</sup> (?) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوـي، ص 493.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العـشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## المبحث الخامس

### دروس وعبر وفوائد

**أولاً: معالم من المنهج القرآني في الحديث عن غزوة تبوك:**

إن الآيات التي أنزلها الله في كتابه المتعلقة بغزوة العسراة هي أطول ما نزل في قتال المسلمين وخصوصهم، وقد بدأت باستئنافهم لرد هجوم المسيحية، وإشعارهم بأن الله لا يقبل ذرة تفريط في حماية دينه ونصرة نبيه، وأن التراجع أمام الصعوبات الحائلة دون قتال الروم، يعد مزلقة إلى الردة والنفاق<sup>(1)</sup> قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قَاتَلَكُمُ الْكُفَّارُ فَإِنْ كُفَّارُهُمْ أَشَدُّ عَدَاوَةً إِلَيْكُمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَنْهَاكُمْ مِنَ الْحَيَاةِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَنْ يُغَيِّرُ كُمْ وَلَا تَصْرُوْهُ سَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [التوبه: 38، 39].

وعند التأمل في سورة التوبه يلاحظ القارئ أن لها معالم في عرضها لغزوة تبوك منها:

1- عاتب القرآن الكريم من تخلف عتاباً شديداً، وتميزت غزوة تبوك عن سائر الغزوات بان الله حرث على الخروج فيها - وعاتب من تخلف عنها - والآيات الكريمة جاءت بذلك كقوله تعالى: (أَنْفَرُوا حَقَّاً فَأَنْقَالُوا وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفَسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [التوبه: 41].

وقد ختمت الغزوات النبوية بهذه الغزوة، وقد كان تطبيقاً عملياً لوضع النص القرآني فيه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتَلُوا الَّذِينَ يَلْوَثُكُم مِّنَ الْكُفَّارِ) [التوبه: 123] موضع التنفيذ<sup>(2)</sup>.

2- ميز القرآن الكريم هذه الغزوة عن غيرها، فسموها الله تعالى ساعة العسراة، قال تعالى: (لَقَدْ يَأْتِيَ اللَّهُ عَلَى التَّبِيِّنِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) [التوبه: 117] فقد كانت غزوة عسراة بمعنى الكلمة.

3- من معالم منهج القرآن في عرضه لهذه الغزوة العظيمة أن الله رد على المنافقين لمزهم فقراء الصحابة عندما جاء أحدهم ينصف صاع وتصدق به، فقالوا: إن الله لغبني عن صدقة هذا، وما فعل هذا إلا رباء، فنزلت الآية: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّهِّرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَحْدُوْنَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [التوبه: 79].

<sup>1</sup> (؟) انظر: فقه السيرة للغزالى، ص 404.

<sup>2</sup> (؟) انظر: حديث القرآن الكريم (2/702).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

4- بين القرآن الكريم أن المؤمنين الذين خرجوا مع رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - وعددهم يزيد عن الثلاثين ألفاً - قد كتب الله لهم الأجر العظيم<sup>(1)</sup> قال تعالى: **(وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكُلْتُمْ فَلَيَّنَّ لَأَحَدٌ مَا أَخْمَلْتُمْ عَلَيْهِ تَوْلُؤُ وَأَغْيَثُمْ تَغْيِضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرَّنَا أَلَا يَحِدُّوا مَا يُنْفِقُونَ )** [التوبه: 92].

**ثانيًا: ممارسة الشورى في هذه الغزوة:**

مارس رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في هذه الغزوة الشورى وقبيل مشورة الصديق والفاروق في بعض النوازل التي حدثت في الغزوة ومن هذه النوازل:

### **أ- قبول مشورة أبي بكر الصديق في الدعاء حين تعرض الجيش لعطش شديد:**

قال عمر بن الخطاب: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى طلنا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن الرجل ليتذرع بيده فيعتصر فرثه فيشربه، ثم يجعل ما يبقى على كبدته، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع الله، قال: **«أَتَحِبُّ ذَلِكَ؟»** قال: نعم، فرفع يديه فلم يردهما حتى حالت السماء فأطبلت ثم سكت فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكرية<sup>(2)</sup>.

### **ب- قبول مشورة عمر بن الخطاب في ترك نحر الإبل حين أصابت الجيش مجاعة:**

أصابت جيش العسرة مجاعة أثناء سيرهم إلى تبوك، فاستأذنوا النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في نحر إبلهم حتى يسدوا جوعتهم، فلما أذن لهم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في ذلك جاءه عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فابدى مشورته في هذه المسألة، وهي أن الجندي إن فعلوا ذلك نفدت رواحلهم وهم أحوج ما يكونون إليها في هذا الطريق الطويل، ثم ذكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** حل لهذه المعضلة وهو: جمع أزواج القوم ثم الدعاء لهم بالبركة فيها، فعمل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بهذه المشورة حتى صدر القوم عن بقية من هذا الطعام بعد أن ملأوا أو عيّنوا منه وأكلوا حتى شبعوا.

### **ج- قبول مشورة عمر في ترك اجتياز حدود الشام والعودة إلى المدينة:**

عندما وصل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى منطقة تبوك وجد أن الروم فروا خوفاً من جيش المسلمين، فاستشار أصحابه في اجتياز حدود الشام، ف وأشار عليه عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بأن يرجع بالجيش إلى

<sup>1</sup> (؟) انظر: حديث القرآن الكريم (2/703).

<sup>2</sup> (؟) أخرجه ابن حبان، كتاب الجهاد، باب غزوة تبوك، رقم 1707.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

المدينة وعلل رأيه بقوله: إن للروم جموعاً كثيرة وليس بها أحد من أهل الإسلام، ولقد كانت مشورة مباركة؛ فإن القتال داخل بلاد الرومان بعد أمراً صعباً، إذ إنه يتطلب تكتيكيًّا خاصاً لأن الحرب في الصحراء تختلف في طبيعتها عن الحرب في المدن، بالإضافة إلى أن عدد الرومان في الشام يقرب من مائتين وخمسين ألفاً، ولا شك في أن تجمع هذا العدد الكبير في تحصنه داخل المدن يعرض جيش المسلمين للخطر<sup>(1)</sup>.

إن ممارسة الشورى في حياة الأمة في كل شؤونها السياسية والعسكرية والاجتماعية... إلخ منهج تربوي كريم سار عليه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في حياته.

### ثالثاً: التدريب العملي العنيف:

كان في خروج الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه إلى تبوك فوائد كثيرة، منها:

تدريبهم تدريباً عنيفاً، فقطع بهم صلى الله عليه وسلم مسافة طويلة في ظروف جوية صعبة حيث كانت حرارة الصيف اللاهب، بالإضافة إلى الظروف المعيشية التي كانوا يعانون منها، فقد كانت هناك قلة في الماء حتى كادوا يهلكون من شدة العطش، وأيضاً كانت هناك قلة في الإزاء والظهر ولا شك في أن هذه الأمور تعد تدريباً عنيفاً لا يتحمله إلا الأقوياء من الرجال.

وفي هذا الدرس يقول الأستاذ محمود شيت خطاب: تعلم الجيش الحديث على تدريب جنودها تدريباً عنيفاً، كاجتياز مواقع وغراقيل صعبة جداً، وقطع مسافات طويلة في ظروف جوية مختلفة، وحرمان من الطعام والماء بعض الوقت، وذلك لإعداد هؤلاء الجنود لتحمل أصعب المواقف المحتمل مصادفتها في الحرب، لقد تحمل جيش العسراً مشقات لا تقل صعوبة عن مشقات هذا التدريب العنيف -إن لم تكن أصعب منها بكثير- لقد تركوا المدينة في موسم نضح ثمارها، وقطعوا مسافات طويلة شاقة في صحراء الجزيرة العربية صيفاً، وتحملوا الجوع والعطش مدة طويلة.

إن غزوة تبوك تدريب عنيف للمسلمين، كان غرض الرسول صلى الله عليه وسلم منه إعدادهم لتحمل رسالة حماية حرية نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية... فقد كانت هذه الغزوة آخر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، فلابد من الاطمئنان إلى كفاءة جنوده قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى<sup>(2)</sup> وقد ساعد هذا التدريب العملي الصحابة في عصر الخلفاء فقاموا بفتح بلاد الشام وببلاد الفرس بقوة إيمانهم، وثقتهم بخالقهم، وساعدتهم على ذلك لياقتهم البدنية العالية،

<sup>1</sup> (?) انظر: غزوة تبوك، باشميل، ص 176، 177.

<sup>2</sup> (?) انظر: الرسول القائد، ص 281، 282.

ومعرفتهم العملية لاستخدام السيوف والرماح وأنواع الأسلحة في زمانهم.

### رابعاً: أهم نتائج الغزوة:

أ- يمكن للباحث أن يلاحظ أهم نتائج هذه الغزوة وهي:

**1- إسقاط هيبة الروم** من نفوس العرب جميّعاً - مسلّهمه وكافرّهم على السواء - لأن قوة الروم كانت في حس العرب لا تقاوم، ولا تغلب، ومن ثم فقد فزعوا من ذكر الروم وغزوهـم، ولعل الهزيمة التي لحقت بال المسلمين في غزوـة (مؤـنة) كانت مؤكـدة على ما ترسـخ في ذهن العربي في جاهـلـته من أن الروـم قـوـة لا تـقـهرـ، فـكان لا بدـ من هذا النـفـيرـ العامـ لـإـرـاحـةـ هـذـهـ الـهـزـيمـةـ الـنـفـسـيـةـ منـ نـفـوسـ العـربـ.

**2- إظهـارـ قـوـةـ الدـوـلـةـ الـإـسـلـامـيـةـ كـقـوـةـ وـحـيـدـةـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ قـادـرـةـ عـلـىـ تـحـديـ القـوـيـ الـعـظـمـيـ عـالـمـيـ -ـ حـيـنـذـاـكـ -ـ لـيـسـ بـدـافـعـ عـصـبـيـ أوـ عـرـقـيـ،ـ أوـ تـحـقـيقـ أـطـمـاعـ زـعـامـاتـ مـعـاصـرـةـ،ـ وـإـنـماـ بـدـافـعـ تـحرـيرـيـ؛ـ حـيـثـ تـدـعـوـ الـإـنـسـانـيـةـ إـلـىـ تـحـرـيرـ نـفـسـهـاـ مـنـ عـبـودـيـةـ الـعـبـادـ إـلـىـ عـبـودـيـةـ رـبـ الـعـبـادـ،ـ وـلـقـدـ حـقـقـتـ هـذـهـ الـغـزوـةـ الـغـرـضـ الـمـرـجـوـ مـنـهـاـ بـالـرـعـمـ مـنـ عـدـ الـاشـتـبـاكـ الـحـرـبـيـ مـعـ الـرـوـمـ إـذـنـ اـثـرـواـ الـفـرـارـ شـمـالـاـ فـحـقـقـوـاـ اـنتـصـارـاـ لـلـمـسـلـمـيـنـ دـوـنـ قـتـالـ،ـ حـيـثـ أـخـلـواـ مـوـاقـعـهـمـ لـلـدـوـلـةـ الـإـسـلـامـيـةـ،ـ وـتـرـتـبـ عـلـىـ ذـلـكـ خـضـوعـ الـنـصـرـانـيـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـمـتـ بـصـلـةـ الـوـلـاءـ لـدـوـلـةـ الـرـوـمـ مـثـلـ إـمـارـةـ دـوـمـةـ الـجـنـدـلـ،ـ إـمـارـةـ إـيـلـةـ (ـمـدـيـنـةـ الـعـقـبـةـ حـالـيـاـ عـلـىـ خـلـيـجـ الـعـقـبـةـ)،ـ وـكـتـبـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـمـ كـتـابـاـ يـحدـدـ مـاـ لـهـمـ وـمـاـ عـلـيـهـمـ<sup>(1)</sup>ـ وـأـصـبـحـتـ الـقـبـائـلـ الـعـرـبـيـةـ الشـامـيـةـ الـأـخـرـيـةـ التـيـ لـمـ تـخـضـعـ لـلـسـيـطـرـةـ الـإـسـلـامـيـةـ فـيـ تـبـوكـ تـتـعـرـضـ بـشـدـةـ لـلـتـأـثـيرـ الـإـسـلـامـيـ،ـ وـبـدـأـ الـكـثـيرـ مـنـ هـذـهـ الـقـبـائـلـ يـرـاجـعـ مـوـقـعـهـ وـيـقـارـنـ بـيـنـ جـدـوـيـ الـاسـتـمـرـارـ فـيـ الـوـلـاءـ لـلـدـوـلـةـ الـبـيـزـنـطـيـةـ أـوـ تـحـوـيلـ هـذـاـ الـوـلـاءـ إـلـىـ الـدـوـلـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـنـاشـئـةـ،ـ وـيـعـدـ مـاـ حـدـثـ فـيـ تـبـوكـ نـقـطـةـ الـبـداـيـةـ الـعـمـلـيـةـ لـلـفـتـحـ الـإـسـلـامـيـ لـلـبـلـادـ الـشـامـ<sup>(2)</sup>ـ وـإـنـ كـانـتـ هـنـاكـ مـحاـوـلـاتـ قـبـلـهاـ وـلـكـنـهاـ لـمـ تـكـنـ فـيـ قـوـةـ الـتـأـثـيرـ كـغـزوـةـ تـبـوكـ،ـ فـقـدـ كـانـتـ هـذـهـ الـغـزوـةـ بـمـثـاـيـةـ الـمـؤـشـرـ لـبـداـيـةـ عـمـلـيـاتـ مـتـوـاـصـلـةـ لـفـتـحـ الـبـلـادـانـ،ـ وـالـتـيـ وـاـصـلـهـاـ خـلـفـاءـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـبـلـ مـوـتـهـ جـهـزـ حـيـشاـ بـقـيـادـةـ أـسـامـةـ بـنـ زـيدـ بـنـ حـارـثـةـ لـيـكـونـ رـأـسـ حـرـبـيـ مـوـجـهـةـ صـوبـ الـرـوـمـ،ـ وـطـلـيـعـةـ لـجـيـشـ الـفـتـحـ،ـ ضـمـ هـذـاـ الـجـيـشـ جـلـ صـحـابـةـ رـسـولـ اللـهـ،ـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـقـمـ بـمـهـمـتـهـ إـلـاـ بـعـدـ وـفـاتـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ،ـ وـمـعـ هـذـاـ فـقـدـ حـقـقـ الـهـدـفـ الـمـطـلـوبـ مـنـهـ كـمـاـ سـيـاتـيـ<sup>(3)</sup>ـ بـإـذـنـ اللـهـ عـنـدـ الـحـدـيـثـ فـيـ سـيـرـةـ الصـدـيقـ tـ.**

لـقـدـ وـضـعـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ الـأـسـسـ الـأـولـىـ

1 (؟) انظر: دراسات في عهد النبيه والخلافة الراسـهـةـ، للشـجـاعـ، صـ209ـ.

2 (؟) انظر: المسلمين والروم في عصر النبيه، عبد الرحمن احمدـ، صـ102ـ.

3 (؟) انظر: دراسات في عهد النبيه، للشـجـاعـ، صـ209ـ.

## واليخواطات المثلثى لفتح بلاد الشام والفتواحات الإسلامية.

3- توحيد الجزيرة العربية تحت حكم الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث تأثر موقف القبائل العربية من الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة الإسلامية بمؤثرات متداخلة كفتح مكة، وخيبر، وغزوة تبوك، فبادر كل قوم بإسلامهم بعد أن امتد سلطان المسلمين إلى خطوط التماس مع الروم ثم مصالحة نجران في الأطراف الجنوبية على أن يدفعوا الجزية، فلم يعد أمام القبائل العربية إلا المبادرة الشاملة إلى اعتناق الإسلام والالتحاق بركب النبوة بالسمع والطاعة؛ ونظراً لكثرتها وفود القبائل العربية التي قدمت إلى المدينة من أنحاء الجزيرة العربية بعد عودة النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك لتعلن إسلامها هي ومن ورائها، فقد سمي العام التاسع للهجرة في المصادر الإسلامية عام الوفود<sup>(1)</sup>.

وبهذه الغزوة المباركة ينتهي الحديث عن غزوات النبي صلى الله عليه وسلم التي قادها بنفسه، فقد كانت حياته المباركة غنية بالدروس وال عبر التي تربى عليها أمته في أجيالها المقبلة<sup>(2)</sup>، وملينة بالدروس وال عبر في تربية الأمة وإقامة الدولة التي تحكم بشرع الله.

\* \* \*

<sup>1</sup> (?) انظر: نصرة النعيم (396، 1/395).

<sup>2</sup> (?) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون، (4/460).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## المبحث السادس أهم الأحداث ما بين غزوة تبوك وحجة الوداع

### أولاً: وفد ثقيف وإسلامهم:

لما انصرف الرسول صلى الله عليه وسلم عن الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفي حتى ادركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم، ورجع إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام، فرموه بالنيل، فأصابه سهم فقتله، ثم إنهم رأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب الذين أسلموا، فاجمعوا على أن يرسلوا رجلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم عليه ستة منهم في رمضان بعد رجوعه من تبوك سنة تسع<sup>(1)</sup>.

وكان الوفد يتكون من ستة من كبار بني مالك والأحلاف، ثلاثة لكل منها وعلى رأسهم جميرا عبد ياليل بن عمرو<sup>(2)</sup>، ويتكون هذا الوفد على هذا النحو يدل على فكر سياسي عميق؛ ذلك لأن ثقيف تأمل في أن يتدخل المهاجرون من بني أمية للتوسط في إقرار الصلح مع الرسول بسبب علاقة بني أمية التاريخية بالأحلاف<sup>(3)</sup>.

كان الصحابة يعرفون اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بإسلام ثقيف؛ ولذلك ما إن ظهر وفد ثقيف قرب المدينة، حتى تنافس كل من أبي بكر والمغيرة على أن يكون هو البشير بقدوم الوفد للرسول، وتنازل المغيرة لأبي بكر<sup>(4)</sup>.

واستقبل الرسول الوفد راضياً وبنى لهم خياماً لكي يسمعوا القرآن ويرروا الناس إذا صلوا، وكانت ضيافتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا يفدون عليه كل يوم، ويختلفون عن عثمان بن أبي العاص على رحالهم، فكان عثمان كلما رجعوا و قالوا بالهجرة، عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن الدين واستقرأه القرآن، حتى فقه في الدين وعلم، وكان إذا وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نائماً عمد إلى أبي بكر، وكان يكتم ذلك من أصحابه، فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعجب منه وأحبه<sup>(5)</sup>.

فمكث الوفد أيامًا يختلفون إلى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي يدعوهم إلى الإسلام، فقال له عبد ياليل: هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى أهلنا وقومنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم إن أتكم أقررتم بالإسلام قاضيكم، وإن فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم».

1 (?) انظر: رسالة الأنبياء، عمر أحمد عمري، ص 199.  
2 (?) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام (4/193).

3 (?) انظر: رجال الإدارة في الدولة الإسلامية، د. حسين محمد، ص 76.

4 (?) انظر: السيرة النبوية لأبن هشام (4/193).

5 (?) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، المغاربي، ص 670.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

قال عبد ياليل: أرأيت الزنى؟ فانا قوم عزاب بغرب<sup>(6)</sup> لا بد لنا منه، ولا يصبر أحدنا على العزبة، قال: «هُوَ مَا حرم اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ( وَلَا تَقْرِبُوا الزَّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءً سَبِيلًا ) » [الإسراء: 32].

قال: أرأيت الربا؟ قال: «الربا حرام» قال: فإن أموالنا كلها ربا، قال: «لَكُمْ رِءُوسُ أَمْوَالِكُمْ، يَقُولُ تَعَالَى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) » [البقرة: 278].

قال أفرأيت الخمر؟ فإنها عصير أعنابنا، لا بد لنا منها.

قال: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَمَهَا» ثم تلا رسول الله هذه الآية: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسُرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ] [المائدة: 90].

فارتفع القوم وخلا بعضهم ببعض، فقال عبد ياليل: وبحكم! نرجع إلى قومنا بتحرير هذه الخصال الثلاث! والله والله لا تصير ثقيف عن الخمر أبداً، ولا عن الزنا أبداً.

قال سفيان بن عبد الله: أيها الرجل، إن يرد الله بها خيراً تصير عنها، قد كان هؤلاء الذين معه على مثل هذا، فصبروا وتركوا ما كانوا عليه، مع أنها تخاف هذا الرجل، قد أوطا الأرض غلبة ونحن في حصن في ناحية من الأرض، والإسلام حولنا فاش، والله لو قام على حصننا شهراً لمتنا جوعاً، وما أرى إلا الإسلام وأنا أخاف يوماً مثل يوم مكة.

وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتبوا الكتاب، كان خالد هو الذي كتبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل إليهم الطعام فلا يأكلون منه شيئاً حتى يأكل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسلموه.

قالوا: أرأيت الربة، ما ترى فيها؟ قال: «هدمها».

قالوا: هيئات لو تعلم الربة أنا أوضعنها هدمها<sup>(2)</sup> قتلت أهلنا، قال عمر بن الخطاب: ويحك يا عبد ياليل، إن الربة حجر لا يدرى من عبده ممن لا يعبد، قال عبد ياليل: أنا لم نأتك يا عمر، فأسلموا وكمل الصلح، وكتب ذلك الكتاب خالد بن سعيد، فلما كمل الصلح كلموا النبي صلى الله عليه وسلم يدع الربة ثلاثة سنين لا يهدمها، فأبي، قالوا: سنتين، فأبي،

<sup>6</sup> (؟) أي: نذهب إلى بلاد بعيدة. (؟) أي: أسرعنا السير في السفر.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

يريدون يترك الربة لما يخالفون من سفهائهم والنساء والصبيان، وكرهوا أن يروعوا قومهم بهدمها، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يعفيهم من هدمها<sup>(1)</sup> فوافق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعفيهم على طلبيهم ذلك، وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يعفيهم من الصلاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا خير في دين لا صلاة فيه»<sup>(2)</sup>.

لقد طلب وفد ثقيف أن يعفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض الفرائض وأن يحل لهم بعض المحرمات إلا أنهم فشلوا في طلباتهم وخضعوا للأمر الواقع<sup>(3)</sup>.

وقد أكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفادتهم وأحسن ضيافتهم في قدوتهم وإقامتهم وعند سفرهم، وأمر صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبي العاص على الطائف، فقد كان أحراصهم على تعلم القرآن والتفقه في الدين، وكان أصغرهم سنًا<sup>(4)</sup>، ولقد تأثر الوفد من معاملة النبي صلى الله عليه وسلم ومن اختلاطهم بال المسلمين حتى إنهم صاموا ما بقي عليهم من شهر و McKenna في المدينة خمسة عشر يوما ثم رجعوا إلى الطائف<sup>(5)</sup> وبعد رجوعهم جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعة بقيادة خالد بن الوليد <sup>†</sup> ومشاركة المغيرة بن شعبة<sup>(6)</sup> <sup>†</sup> وأبي سفيان بن حرب <sup>†</sup><sup>(7)</sup> وبعثهم في أثر الوفد<sup>(8)</sup>.

وبينما نجحت مساعي الوفد في إقناع ثقيف بالدخول في الإسلام وأخبروه بمصير اللات، وإذا بالسرية قد وصلت إلى الطائف ودخل المغيرة بن شعبة في بضعة عشر رجلا يهدمون الربة<sup>(9)</sup> وكان ذلك تحت حراسة مشددة من قومهبني معتب الذين قاموا دونه خشية أن يرمي أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعود<sup>(10)</sup>، وخرجت ثقيف عن بكرة أبيها رجالها ونساؤها وصبيانها حتى الآذكار من خدورهن، وكانتوا - لقرب عهدهم بالشرك - لا ترى عامة ثقيف أنها مهدومة ويظنون أنها ممتدة<sup>(11)</sup>.

وكان المغيرة رجلا فيه دعاية وظرف فقال لأصحابه: والله

1 (؟) انظر: المغارى للواقدى (3/968).  
2 (؟) انظر: التاريخ الاسلامي للحميدى (8/50)، المغارى للواقدى (3/968).

3 (؟) انظر: المجتمع المدنى في عهد النبوة، ص 221-223.  
4 (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/519). (5) المصدر نفسه (2/519).

5 (؟) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/195).  
6 (؟) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (304، 5/303). (9) المغارى (3/671).

7 (؟) انظر: دلائل النبوة (5/304).  
8 (؟) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (304، 5/303). (9) المغارى (3/671).

9 (؟) انظر: دلائل النبوة (5/304).  
10 (؟) انظر: دلائل النبوة (5/304).  
11 (؟) انظر: السرايا والبعوث، ص 300.

لأضحكنكم من ثقيف، فضرب بالفأس ثم سقط يركض، فارتاح أهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا: أبعد الله المغيرة فقد قتلته الربة، وفرحوا حين رأوه ساقطاً<sup>(1)</sup> وقالوا مخاطبين أفراد السرية: من شاء منكم فليقترب وليجتهد على هدمها، فوالله لا تستطيع أبداً، فوثب المغيرة بن شعبة، وقال: قبحكم الله يا معشر ثقيف! إنما هي لکاع<sup>(2)</sup> حجارة ومدر، فاقبلوا عافية الله واعبدوه<sup>(3)</sup>.

أكمل المغيرة بن شعبة <sup>†</sup> ومن معه هدم الطاغية حتى سووها بالأرض، وكان سادنها واقفا على آخر من الجمر ينتظر نسمة الربة وغضبها على هؤلاء العصابة<sup>(4)</sup>، فما إن وصلوا إلى أساسها حتى صاح قائلاً: سترون إذا انتهت أساسها يغصب الأساس عصباً يخسف بهم<sup>(5)</sup>، فلما سمع المغيرة <sup>†</sup> بذلك السخف قال لقائد السرية: دعني أحفر أساسها، فحفره حتى أخر جروا ترابها وانتزعوا حليتها، وأخذوا ثيابها، فبهتت ثقيف<sup>(6)</sup> وأدركت الواقع الذي كانت تحبه غشاوة على أعينهم<sup>(7)</sup>.

وأقبل الوفد حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليتها وكسوتها، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه، وحمدوا الله على نصرة نبيه وإعزازه دينه<sup>(8)</sup>.

وتم القضاء على ثاني أكبر طواغيت الشرك في الجزيرة العربية، وحل محلها بيت من بيوت الله عز وجل يوحد فيه الرب الذي لا إله إلا هو، وذلك بتوجيه كريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن أبي العاص<sup>(9)</sup> <sup>†</sup> عامله على الطائف حيث أمره (بأن يجعل مسجد الطائف حيث كان طاغيتيهم)<sup>(10)</sup>.

**ثانياً: وفاة زعيم المنافقين (عبد الله بن أبي ابن سلول):**  
مرض عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، في ليال بقين من شوال، ومات في ذي القعدة من السنة التاسعة<sup>(11)</sup>.

قال أسامة بن زيد: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي في مرضه نعوده، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «قد كنت أنهاك عن حب يهود»، فقال عبد الله: فقد أغضبهم سعد بن زراة فمات<sup>(12)</sup>.

2

(?) لکاع عند العرب: العبد، ثم استعمل في الحمق والذم.  
(?) انظر: دلائل النبوة (5/303).

3

(3) انظر: السرايا والبعوث، ص300.

4

(?) انظر: المغارزي (3/972).

5

(5) انظر: دلائل النبوة (5/303).

6

(?) انظر: المغارزي (3/972).

7

(?) انظر: السرايا والبعوث، ص301.

8

(?) انظر: تاريخ ابن شيبة (2/507) نقلاً عن السرايا والبعوث، ص301.

9

(?) انظر: السرايا والبعوث، ص301.

10

(?) انظر: دلائل النبوة (303-5/299)، المغارزي (970-3/972).

11

(?) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، المغارزي، ص659.

12

(?) أبو داود، كتاب الجنائز، باب في العيادة رقم 3094.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ولما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألته أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلني عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلني عليه، فقام عمر، فأخذ ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، تصلني عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا خَيْرُنِي اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِهِ»<sup>(1)</sup>. فقال: (إِسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ يَا أَهْلَهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [التوبه: 80].

وسأزیده على سبعين» قال: إنه منافق، قال: فصلني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل آية: (وَلَا تُصِلُّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْتَى وَلَا تَقْعُمُ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا تُوْلَوْهُ وَهُمْ فَاسِقُونَ) [التوبه: 84]<sup>(2)</sup>.

وإنما صلي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إجراء له على حكم الظاهر وهو الإسلام، ولما فيه من إكرام ولده عبد الله - وكان من خيار الصحابة وفضلائهم - وهو الذي عرض على النبي أن يقتل أباه لما قال مقالته يوم غزوة بنى المصطلق كما بينا، ولما فيه من مصلحة شرعية، وهي تاليق قلوب قومه وتابعيه، فقد كان يدين له بالولاء فئة كبيرة من المنافقين، فعسى أن يتاثروا ويرجعوا عن نفاقهم ويعتبروا وبخلصوا لله ولرسوله، ولو لم يجب ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح لكان سبة وعارا على ابنه وقومه، فالرسول الكريم اتبع أحسن الأمرين في السياسة إلى أن نهي فانتهى<sup>(3)</sup>.

وأما إعطاؤه صلى الله عليه وسلم القميص فلأن الغنى به بخل بالكرم، وقد كان من خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يرد طالب حاجة قط، على أنه كان مكافأة له على إعطائه العباس عم الرسول قميصه لما جاء به أسيرا يوم بدر، وكان من خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأjal بيته رد الجميل بخير منه<sup>(4)</sup>.

وبموت عبد الله بن سلول تراجعت حركة النفاق في المدينة، حتى إننا لم نجد لهم حضوراً بارزاً في العام العاشر للهجرة، ولم يبق إلا العدد غير المعروف إلا لصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان<sup>(5)</sup>، وكان عمر - فيما بعد - لا يصلني على جنازة من جهل حاله حتى يصلني عليه حذيفة بن اليمان؛ لأنه كان يعلم أعيان المنافقين، وقد أخبره رسول الله بهم<sup>(6)</sup>.

1 (?) البخاري، كتاب تفسير القرآن رقم 4670.  
2 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (533/2).

3 (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 621، 622، 28534.

4 (?) انظر: دراسات في عهد النبي للشجاع، ص 221.

5 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426  
مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

كان العام التاسع حاسماً لحركة النفاق في المجتمع الإسلامي، فقد وصل النظام الإسلامي إلى قوته؛ ومن ثم لا بد من تحديد إطار التعامل مع كل القوى بوضوح<sup>(1)</sup>، ولهذا عبر الإمام ابن القيم عن خطة الإسلام أمام المنافقين، فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة، وأمر أن يعرض عنهم، ويغلط عليهم، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم، ونهى أن يصلى عليهم وأن يقوم على قبورهم، وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم<sup>(2)</sup>.

وحاءت هذه الخطة وفق النصوص القرآنية التي احتوتها سورة التوبية (براءة)، (الفاضحة) حيث يستغرق الحديث عن المنافقين أكثر من نصف السورة فيفضح نواياهم وأعمالهم ووصف أحوالهم النفسية والقلبية، وموقفهم في غزوة تبوك وقبلها وفي أثائها وما تلاها، وكشف حقيقة حيلهم ومعاذيرهم في التخلف عن الجهاد، ويش كشف الضعف والفتنة والفرقعة في الصدوق، وإيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول والعمل<sup>(3)</sup>.

**ومن أهم الأحكام التي برزت في هذه المرحلة ضد المنافقين:**

### **1- عدم الصلاة على من مات منهم، ودمغهم بالكفر:**

( ) وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَخِدٍ مِّنْهُمْ مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقْرُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا أُتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ۝ وَلَا تُعْجِلْكَ أَمْوَالَهُمْ وَأَفْلَأُدُّهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدِّنِيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ( ) [التوبية: 84، 85].

### **2- تهديم مسجدهم الذي بنوه للإضرار المسلمين، وهو مسجد الضرار وقد تحدث عنه فيما مضى بنوع من التفصيل.**

### **3- إصدار الأمر بمجاهدة المنافقين كمجاهدة الكافرين:**

( ) تَأْبِهَا السَّيِّئُ ۖ جَاهِدٌ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَأَهْمُ جَهَنَّمُ وَيَسِّنَ الْمَصِيرُ ( ) [التحريم: 9]، وسواء أكان الجهاد بالقتال أم في المعاملة والمواجهة والكشف والفضح فإن طريقة التعامل مع المنافقين بعد سورة براءة، غير المعاملة قبلها.

<sup>5</sup> (?) انظر: معين السيرة النبوية، ص 464. (6) انظر: دراسات في عهد النبي، ص 219.

<sup>2</sup> (?) زاد المعاد (2/91).

<sup>3</sup> (?) انظر: المنافقون، محمد جميل غازي، ص 92، 93. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

**4- الكشف عن صفاتهم وأعمالهم بوضوح:** كما جاء في سورة التوبية أيضاً، فهم الذين قالوا تبليطاً لل المسلمين: (فِرَحَ الْمُخْلِفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرَّ قُلْ نَارٌ حَمِيمٌ أَسْدٌ حَرَّا لَوْ كَانُوا يَعْفَهُونَ) [التوبه: 81] وهم الذين يلمزون المطوعين في الصدقات وبؤدون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القول والفعل<sup>(1)</sup> ... إلخ. هذه معالم المنهج النبوى في التعامل مع حركة النفاق في المجتمع الإسلامي في العام التاسع الهجرى.

ثالثاً: تخبير النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته (دروس في بيوتات الرسول صلى الله عليه وسلم):

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا زِيقَا حَلَّ أَنْ كُبِشَتْ ثُرْذَنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِيَّنَهَا فَتَعَالَّى إِنْ أَمْتَعَكَنْ وَأَسِرَّ حَكِّنْ سَرَّا حَمِيلًا وَإِنْ كَتَنْ ثُرْذَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنْ أَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب: 28-29].

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن نزول هاتين الآيتين كان بعد اعتزال

النبي صلى الله عليه وسلم لنسائه بعد أن أقيمت لأهيدن عليهم شهرًا، فاعتزلهن في مصرية له، وهي القصة المعروفة بقصة إيلاته<sup>(2)</sup> من نسائه، وكان تاريخ نزول هذه الآيات في العام التاسع للهجرة<sup>(3)</sup>.

وأما سبب نزولها فهو طلب زوجاته صلى الله عليه وسلم التوسيعة عليهن في النفقة، فقد أخرج مسلم عن جابر t قال: دخل أبو بكر يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستاذن فأذن له، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه وأحجاراً ساكناً، قال: فقال: لا قولن شيئاً أضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة<sup>(5)</sup> سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها<sup>(6)</sup>، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «هُنَّ حَوْلٍ كَمَا تَرِي يَسَالُنِي النَّفَقَةُ»، فقام أبو بكر إلى عائشة يجا عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجا عنقها، كلاماً يقول: أتسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عندك؟! فقلن: والله لا نسأل رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهن

1 (؟) انظر: دراسات في عهد النبوة، الشجاع، ص 220.  
2 (؟) الإبلاء: الحلف، قضايا نساء النبي والمؤمنات، ص 51.

3 (؟) المصدر نفسه، ص 68.

4 (؟) واجماً: هو الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام.

5 (؟) بنت زيد امرأة عمر جميلة بنت ثابت نسبتها عمر إلى أحد أجدادها.

6 (؟) فوجات عنقها: بمعنى طعن عنقها.

شهرًا أو تسعًا وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية<sup>(1)</sup>.

كانت الحياة المعيشية في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم تجري على و蒂رة واحدة بالرغم من إمكانية التوسيع في بعض الأحيان، ونساء الرسول صلى الله عليه وسلم هن من البشر، يرغبن بما يرغب به الناس، ويشهين ما يشتته الناس<sup>(2)</sup>، فقد كان مساكنهن متواضعة بسيطة غاية البساطة، فقد وصفها الدكتور أبو شهبة فقال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم بنى حجرا حول مسجده الشريف لتكون مساكن له ولأهله، ولم تكن الحجر كبيوت الملوك والأكاسرة والقياصرة، بل كانت بيوت من ترفع عن الدنيا وزخرفها، وأبتغي الدار الأخرى، فقد كانت - كمسجده - مبنية من اللبؤن والطين وبعض الحجارة، وسقوفها من جذوع النخل والجريد قربة الفناء، قصيرة البناء، ينالها الغلام الفارع بيده، قال الحسين البصري - وكان علاما مع أمه خيرة مولاه أم سلمة: قد كنت أنا أطالب سقف في حجر النبي صلى الله عليه وسلم بيدي. وكان لكل حجرة بابان، خارجي وداخلي من المسجد ليسهل دخول النبي صلى الله عليه وسلم إليه<sup>(3)</sup>.

وأما الإضاءة، فلم يكن هناك مصباح يستضاء به، يدل على ذلك ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أنا نام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلان في قبيلته، فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي، فإذا قام بسطلهمما، قالت: وألبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح<sup>(4)</sup>.

أما الفراش الذي يأوي إليه النبي - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - فهو عبارة عن رمل حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، ووسادته من أدم حشوها ليف<sup>(5)</sup>، فقد كانت معيشته صلى الله عليه وسلم تدل على الشدة، فعن أنس بن مالك ت قال: ما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم رأى رغيفا مرقا<sup>(6)</sup> حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطا<sup>(7)</sup> بعينه قط<sup>(8)</sup>، وعن عائشة قالت: إن كنا لنتظر إلى الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، فقال لها عروة بن الزبير: ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء<sup>(9)</sup>. هذا، وقد فتح الله على المسلمين بعد خير وفتح مكة، وغزوة تبوك، وقد قرأت زوجات النبي صلى الله عليه وسلم آيات في كتاب الله تبح التمتع بنعم الله دون إسراف،

<sup>1</sup> (7) مسلم في الطلاق (2/1104). <sup>3</sup> (7) انظر: معين السيرة، ص 465.

<sup>3</sup> (7) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنّة، (2/35)، (36).

<sup>4</sup> (7) البخاري، كتاب الصلاة رقم 513. (3) البخاري، كتاب المطالم والغصب، رقم 2468.

<sup>6</sup> (5) مرقاً: رقيقاً ضد الغليظ. <sup>6</sup> (5) سميطاً: الذي أزيل شعره بالماء الممسخ وشوى.

<sup>8</sup> (7) البخاري في الرقائق، رقم 6457. <sup>8</sup> (7) البخاري في الرقائق، رقم 6459.

فِرْغَنْ أَن يَنَالُهُنْ حَظٌ مِّنْ ذَلِكَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (يَا بَنِي آدَمَ حَذِّرُوا زِيَّتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَأَشْرُبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) [الأعراف: 31].

وَحْضَ عَلَى أَكْلِ الطَّيَّابَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، قَالَ سَيِّحَانَهُ: (فُلْ مَنْ حَرَّمَ رِبَّهُ اللَّهُ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِيَادَهُ وَالطَّيَّابَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تُعَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [الأعراف: 32].

وَدَعَا إِلَى التَّوْسِطِ فِي الْإِنْفَاقِ وَالاعْتِدَالِ فِيهِ فَقَالَهُ تَعَالَى: (وَلَا تُحْجَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عَنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ النِّسْطِ فَتَنْقَعِدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) [الإِسْرَاء: 29]. إِلَّا أَنْ هُنَاكَ جَانِبًا أَخْرَى يَتَعَلَّقُ بِهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَمْطُ مِنَ الْمُعِيشَةِ اخْتِارَهُ بِتَوْجِيهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ لِشَيْءٍ مِّنْ هَذَا كَمَا أَدْبَرَ رَبِّهِ -سَيِّحَانَهُ وَتَعَالَى- بِقَوْلِهِ: (لَا تَمْدَدَنْ عَيْنِيْكَ إِلَى مَا مَنْعَنَا بِهِ أَرْوَاحًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْرِنْ عَلَيْهِمْ وَأَخْفِصْ حَنَائِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) [الْحَجَر: 88]، وَقَوْلُهُ سَيِّحَانَهُ: (وَلَا تَمْدَدَنْ عَيْنِيْكَ إِلَى مَا مَنْعَنَا بِهِ أَرْوَاحًا مِّنْهُمْ رَهْرَةً الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِتَفْتَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَيْقَى) [طه: 131]. وَلَذِكَ جَاءَتْ آيَاتُ التَّخْيِيرِ قَوْفَ زَوْجَاهُ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَصْبَةِ التَّخْيِيرِ مَوْقِفًا حَاسِمًا لَا تَرْدَدَ فِيهِ، فَإِنَّهُنَّ اخْتَرُنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ، فَقَدْ كَنْ يَطْلُبُنَ مِنْهُ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّوْسِعَةَ فِي النَّفَقَةِ، وَكَنْ يَدَافِعُنَ عَنْ ذَلِكَ مَا اسْتَطَعُنَ، فَلَمَّا وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى وَضْعَهُنَّ أَمَامَ خَيَارِيْنَ: الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِيَّتَهَا، أَوِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْدَّارُ الْآخِرَةُ، لَمْ يَتَرَدَّنَ لَحْظَةً وَاحِدَةً فِي سُلُوكِ الْخَيَارِ الثَّانِيِّ، بَلْ قَلْنَ جَمِيعَهُنَ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: نَرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ<sup>(1)</sup>.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا أَمْرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَخْيِيرِ أَرْوَاجِهِ يَدْأُبِي فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرُ لَكَ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبُويكَ»، قَالَتْ: وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَبَوِي لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَلَ شَنَاؤهُ -قَالَ: (يَا أَبَاهَا الَّتِيْنِ قُلْ لَا أَرْوَاحِكُمْ إِنْ كَيْنُنْ تُرْدُنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِيَّهَا فَتَعَالَيْنَ أَمْتَعْكُنْ وَأَسْرِخْكُنْ بَسَرَاحًا حَمِيلًا وَإِنْ كَيْنُنْ تُرْدُنَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنْ أَجْرًا عَظِيمًا»)» [الْأَحْزَاب: 29-28]. قَالَتْ: فَقِلْتُ: فِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوِي؟ فَإِنِّي أَرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَرْوَاجُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَا فَعَلتُ<sup>(2)</sup>.

وَهَكُذا تَتَجَلِّي فِي مَوْقِفِهِنَّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ- صُورَةُ نَاصِعَةٍ لِلْقُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَاخْتِيَارِ حَقِيقَيِّ الْإِلْحَاصِ وَالصَّدْقِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُولَى مِنْ أَيْتِيَ التَّخْيِيرِ يَقُولُ: [إِنْ كَيْنُنْ تُرْدُنَ

<sup>1</sup> (؟) انظر: قضايا نساء النبي ﷺ والمؤمنات في سورة الأحزاب، ص 77.

<sup>2</sup> (؟) البخاري، كتاب التفسير رقم 4786.

**الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَرِزْقَنَاهَا فَتَعَالَىٰ** ) كال وعد بحصولهن على مبتغاهن في الحياة الدنيا وزينتها إن اخترن ذلك، ولكنهن رفضن هذا، واخترن لله ورسوله والدار الآخرة، وفي قوله تعالى في الآية الثانية: ( **وَإِنْ كَيْنُواْ تُرِدُّنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا** ) إشارة إلى أن ما ينلنه من الأجر سيبه كونهن محسنات، ومن ذلك اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، إذ لا يكفي لحصولهن على هذا الأجر كونهن زوجات للرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>.

وتنكير الأجر، ثم وصفه بأنه عظيم، فيه ترغيب لهن بالكف عن التطلع إلى الحياة الدنيا وزينتها، فهذا الأجر لا يقدر قدره إلا الله، وهو شامل لخيري الدنيا والآخرة<sup>(2)</sup>.

ولقد اعتبر الخلفاء الراشدون قصة التخيير تلك معلماً من معالم الإسلام، ومنهجاً نبوياً كريماً ينبغي أن يسلكه بيت القيادة في الأمة، وإن النظرة الفاحصة في التاريخ لتبيّن أن هذا الجانب يعد معياراً دقيقة يه يعرف القرب من الاستقامة أو البعد عنها، وقد فهم قادة الأمة المؤمنون حينما وجدوا على امتداد تاريخ الإسلام، أهمية هذا الجانب فرعوه حق رعايته، وإن الأمثلة العملية من تاريخ الخلافة الراشدة هي من الوفرة والكثرة بمكان بحيث لا تتعب الباحث في التفتيش عنها<sup>(3)</sup>. إن قيادة الأمة تكليف ومغرم وليس مغناًماً، ولا بد للذين يتولونها أن يحسوا أهمية التعالي على حطام الدنيا، والشوق إلى الله والدار الآخرة<sup>(4)</sup>.

#### رابعاً: حج أبي بكر ـ الناس:

كانت تربية المجتمع وبناء الدولة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم مستمرة على كل الأصعدة وال المجالات العقائدية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والتبعيدية، وكانت فريضة الحج لم تمارس في السنوات الماضية، فحجـة عام 8ـهـ بعد الفتح كلف بها عتاب بن أبيـد، ولم تكن قد تميزت حجـة المسلمين عن حجـة المشركـين<sup>(5)</sup>، فلما حل موسم الحج أراد صلى الله عليه وسلم الحجـ، ولكنه قال: «إنه يحضر البيت عراقة مـشرـكون يـطـوفـونـ بالـبـيـتـ، فـلاـ أـحـبـ أـحـجـ حـتـىـ لـاـ يـكـونـ ذـكـ» فأرسل صلى الله عليه وسلم الصديـقـ أمـيرـاـ علىـ الحـجـ سـنةـ تـسـعـ، فـخـرـجـ أـبـوـ بـكـرـ وـمـعـهـ عـدـدـ كـبـيرـ منـ

1 (؟) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات في سورة الأحزاب، ص 79.

2 (؟) انظر: تفسير السعدي (4/148).

3 (4) انظر: البداية والنهاية (7/136).

4 (؟) انظر: معين السيرة، ص 475.

5 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي شيبة (2/536)، دراسات في عهد النبوة، ص 222. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

الصحابة<sup>(1)</sup>، وساقوا معهم الهدى<sup>(2)</sup> فلما خرج الصديق يركب الحجيج نزلت سورة براءة، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليه أبا بكر رضي الله عنه وأمره أن يلحق بأبي بكر الصديق، فخرج على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العصباء، حتى أدرك الصديق أبا بكر بذري الحليفة، فلما رأه الصديق قال له: أمير أم مأموم؟ فقال: بل مأموم، ثم سارا، فاقام أبو بكر للناس الحج على منازل لهم التي كانوا عليها في الجahليه، وكان الحج في هذا العام في ذي الحجه كما دلت على ذلك الروايات الصحيحة لا في شهر ذي القعده كما قيل، وقد خطب الصديق قبل الترويه ويوم عرفة ويوم النحر، ويوم النفر الأول، فكان يعرف الناس مناسكهم في وقوفهم وإفاضتهم ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات... إلخ، وعلى يخلفه في كل موقف من هذه المواقف، فيقرأ على الناس صدر سورة براءة ثم ينادي في الناس بهذه الامور الأربع: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدة، ولا يحج بعد العام مشركاً<sup>(3)</sup>. وقد أمر الصديق أبا هريرة في رهط آخر من الصحابة لمساعدة علي بن أبي طالب في إنجاز مهمته<sup>(4)</sup>.

إن نزول صدر سورة براءة يمثل مفاصلة نهائية مع الوثنية وأتباعها، حيث منعت حجهم وأعلنت الحرب عليهم<sup>(5)</sup>.

قال تعالى: ( بَرَاءَةُ مَنْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ . فَسِيحُونَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَعْلَمُوا مِنْكُمْ عَيْرُ مَعْجَرِيِ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْرِزُ الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحِجَّةِ الْأَكْبَرِ إِنَّ اللَّهَ بِرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ شِئْمَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلُّنَّمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَيْرُ مَعْجَرِيِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِذَابِ الْيَمِّ ) [التوبه: 1-3].

وقد أمهل المعاهدون لأجل معلوم منهم إلى انتهاء مدهم، فقال تعالى: ( إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَاتِّمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدْتَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ) [التوبه: 4].

كما أمهل من لا عهد له من المشركين إلى انسلاخ الأشهر الحرم، حيث يصبحون بعدها في حالة حرب مع المسلمين، قال تعالى: ( فَإِذَا انْسَلَحَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدُوكُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَافْعُدوهُمْ كُلَّ مَرْضَدٍ فَإِنْ تَأْبُوا

<sup>1</sup> (?) انظر: نصرة النعيم (1/398)، الطبقات الكبرى (2/168).

<sup>2</sup> (?) انظر: فتح الباري (8/82).

<sup>3</sup> (6) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 625.

<sup>4</sup> (7) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/537).

<sup>5</sup> (?) انظر: نصرة النعيم (1/399).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الاواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

**وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الرِّكَاهَ فَخَلُوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ  
رَّحِيمٌ** ) [التوبه: 5].

وقد كلف النبي صلى الله عليه وسلم علياً باعلان نقض العهود على مسامع المشركين في موسم الحج، مراعاةً لما تعارف عليه العرب فيما بينهم في عقد العهود ونقضها، إلا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، وهذا العرف ليس فيه منافاة للإسلام؛ فلذلك تدارك النبي صلى الله عليه وسلم الامر وأرسل علياً بذلك، فهذا هو السبب في تكليف علي بتبييل صدر صورة براءة، لا ما زعمته الرافضة من أن ذلك للإشارة إلى أن علياً أحق بالخلافة من أبي بكر، وقد علق على ذلك الدكتور محمد أبو شهبة فقال: ولا أدرى كيف غفلوا عن قول الصديق له: أمير أم مأموم؟<sup>(1)</sup> وكيف يكون المأموم أحق بالخلافة من الأمير؟!<sup>(2)</sup>.

وقد كانت هذه الحجة بمثابة التوطئة للحجۃ الکبری وهي حجة الوداع<sup>(3)</sup>. لقد أعلن في حجة أبي بكر أن عهد الأصنام قد انقضى، وأن مرحلة جديدة قد بدأت، وما على الناس إلا أن يستحبوا للشرع الله تعالى، فيبعد هذا الإعلان الذي انتشر بين قبائل العرب في الجزيرة، أيقنت تلك القبائل أن الأمر جد، وأن عهد الوثنية قد انقضى فعلاً، فأخذت ترسل وفودها معينة إسلامها ودخولها في التوحيد<sup>(4)</sup>.

#### خامسًا: عام الوفود (9هـ):

لما افتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبنيعت، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمد أربعة أشهر لقبائل العرب المشركين لكي يقرروا مصيرهم بأنفسهم قبل أن تتخذ الدولة الإسلامية منهم موقفاً معيناً، ضربت إليه وفود العرب آباطاً إيل من كل وجه معينة إيمانها ولاءها<sup>(5)</sup>، وقد اختلف العلماء في تاريخ مقدم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عددها، حيث أشارت المصادر الحديثة والتاريخية إلى قدوم بعض الوفود إلى المدينة في تاريخ مبكر عن السنة التاسعة؛ ولعل مما أدى إلى الاختلاف في تحديد عدد الوفود بين ما يزيد على ستين وفداً عند البعض، وليرتفع فيبلغ أكثر من مائة وفداً عند آخرين، ولعل البعض قد اقتصر على ذكر المشهور منهم<sup>(6)</sup> فقد أورد محمد بن إسحاق أنه: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة، وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبنيعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه<sup>(7)</sup>.

1 (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 624.  
2 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة، (2/540).

3 (?) المصدر نفسه (2/540).

4 (?) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص 283.  
5 (?) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص 284.

6 (?) انظر: نصرة النعيم (1/396).

هديـة الشبـكة الـليـبية والـكتـاب بـمنـاسـبة العـشـر الـآخـر مـن رـمـضـان وـعـيـد الفـطـر 1426

وقد استقصى ابن سعد في جمع المعلومات عن الوفود، كما فصل كثيراً وقدم ترجمات وافية عن رجال الوفود، ومن كانت له صحة منهم، وما ورد عن طريقهم من أثار، ولا تخلو أسانيد ابن سعد -أحياناً- من المطاعن، كما أن فيها أسانيد من الثقات أيضاً<sup>(1)</sup> ولا شك في أن الأخبار التي أوردها المؤرخون ليست ثابتة بالنقل الصحيح المعتمد وفق أساليب المحدثين، رغم أن عدداً كبيراً من المرويات عن تلك الوفود ثابتة وصحيحة<sup>(2)</sup> فقد أورد البخاري معلومات عن وفد قبيلة تميم وقد وفده إلى النبي **صلى الله عليه وسلم**، ووفود أخرى مثل: عبد القيس، وبنى حنيفة، ووفد نجران، ووفد الأشعريين، وأهل اليمن، ووفد دوس<sup>(3)</sup> وتعززت أخبار هذه الوفود بمعلومات إضافية وردت في مصادر تاريخية إلى جانب ما ورد عنها في كتب السير والمغازي<sup>(4)</sup> وقد أورد مسلم أخباراً عن أغلب الوفود المذكورة آنفاً<sup>(5)</sup> كما أوردت بقية الكتب الستة معلومات أوسع شملت عدداً كبيراً من الوفود<sup>(6)</sup>.

إن قصص الوفود وأخبارها وكيفية تعامل رسول الله **صلى الله عليه وسلم** معها من الأهمية بالمكان الكبير<sup>(7)</sup> وتبقى مسألة الحاجة الماسة إلى نقد تاريخي لمتون الأخبار المفصلة التي وصلتنا عن الوفود<sup>(8)</sup>. لقد تركت لنا تلك الأخبار والقصص منهاجاً نبوياً كريماً في تعامله **صلى الله عليه وسلم** مع الوفود يمكننا الاستفادة من هديه **صلى الله عليه وسلم** في تعامله مع النفسيّة البشرية وتربيته ودقته وتنظيمه، وفيها ثروة هائلة من الفقه الذي يدخل في دوائر التعليم والتربية والتثقيف وبعد النظر وجمع القلوب على الغاية، وربط أفراد باعینهم بالمركز بحيث تبقى في كل الظروف والأحوال مرتکزات قوية إلى الإسلام، إلى غير ذلك من مظاهر العظمة للعاملين في كل الحقول نفسياً واجتماعياً واقتصادياً وإدارياً وسياسياً وعسكرياً تعطي لكل عامل في جانب من هذه الجوانب دروساً تكفيه وتغطيه<sup>(9)</sup> هذا وقد تميز العام التاسع بتواجد العرب إلى المدينة، وقد استعدت الدولة الإسلامية لاستقبالهم وتهيئة المناخ التربوي لهم، وقد تمثل هذا الاستقبال، بتهيئة مكان إقامة لهم وكانت هناك دار للضيافة<sup>(10)</sup> ينزل فيها الوفدون، وهناك مسجد رسول الله **صلى الله عليه وسلم** الذي كان ساحة للاستقبال، ثم كان هناك تطوع أو تكليف رسول الله **صلى**

(3) انظر: البداية والنهاية (47). (4) انظر: نصرة النعيم (1/397).

(5) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/542).

(6) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4365، 4368، 4372، 4392.

(7) انظر: البداية والنهاية (98-5/40).

(8) انظر: نصرة النعيم (1/398).

(9) المصدر نفسه (1/398). (10) انظر: السيرة النبوية الأساسية في السنة.

(?) انظر: الإسيرة النبوية الصحيحة (2/544).

(?) انظر: الأساس في السنة (1014/2).

(?) انظر: المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد شراب (2/400).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

الله عليه وسلم لأحد الصحابة باستضافة بعض القادمين<sup>(1)</sup> واهتم صلى الله عليه وسلم بتلك الوفود وحرص على تعليمها وتربيتها، وقد كانت تلك الوفود حريصة على فهم الإسلام وتعلم شرائعه وأحكامه، وأدابه، ونظمها في الحياة، وتطبيق ما علموه تطبيقاً عملياً، جعلهم نماذج حياة لقضائهم، وقد كان لكثير منهم تساؤلات عن أشياء كانت شائعة بينهم إتيغاء معرفة حلالها وحرامها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً أشد الحرص على تفقيههم في الدين، وبيان ما سأله عنه، وكان صلى الله عليه وسلم يدّني منهم من يعلم منه زيادة حرص على القرآن العظيم وحفظ آياته تفقهاً فيه ويقول لأصحابه: فهو إخوانكم<sup>(2)</sup> وكان صلى الله عليه وسلم يسأل عمن يعرف من شرفائهم، فإذا رغبوا في الرحيل إلى بلادهم أو صاحبوا بلزمون الحق، وحثهم على الاعتصام بالصبر، ثم يجزيهم بالجوائز الحسان، ويسيوي بينهم، فإذا رجعوا إلى أقوامهم رجعوا هداة دعاء مشرقة قلوبهم بنور الإيمان، يعلمونهم مما علموا، ويحدثونهم بما سمعوا، ويدركون لهم مكارم النبي وبره وبشره واستنارة وجهه سروراً بمقدتهم عليه، ويدركون لهم ما شاهدوه من حال أصحابه في تأخيهم وتحابيهم، ومواساة بعضهم بعضاً ليثروا في أنفسهم الشوق إلى لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقاء أصحابه، ويحببوا إليهم التأسي بهم في سلوكهم ومكارم أخلاقهم<sup>(3)</sup> واختارت بعض الوفود البقاء على نصرانيتها كوفود نصارى نجران ووافقت على دفع الجزية، وتحاول أن تتحدث عن بعض الوفود لما في ذلك من الفقه والدروس وال عبر، كوفود عبد القيس، وبني سعد بن يكر ووفد نصارى نجران.

### أ- وفد عبد القيس:

وقد تحدث ابن عباس رضي الله عنهم عن قدومهم فقال:  
 إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من الوفد؟» أو «من القوم؟» قالوا: ربيعة قال: «مرحبا بالقوم<sup>(4)</sup> - أو بالوفد- غير خزايا ولا ندامى»<sup>(5)</sup>. قال: فقالوا: يا رسول الله، إنا ناتيك من شقة بعيدة<sup>(6)</sup> وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مصر، وإننا لا نستطيع أن ناتيك إلا في شهر حرام، فميرنا بأمر فصل<sup>(7)</sup> نخبر به من وراءنا، ندخل به الجنة، قال: فامرهم باربع، ونهاهم عن أربع، قال: أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: «هل تدرؤن ما الإيمان بالله؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:

1 (؟) انظر: دراسات في عهد النبوة للشجاع، ص 221.  
 2 (؟) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون، (4/520)

3 (؟) المصدر نفسه، (4/521).

4 (؟) مرحبا بال القوم: صادفت رحبا وسعة.

5 (؟) غير خزايا ولا ندامى: معناه لم يكن منكم تأخر عن الإسلام ولا عناد.

6 (؟) شقة بعيدة: السفر البعيد، وقيل المسافة البعيدة.

7 (؟) الأمر الفصل: البين الواضح الذي ينفصل به المراد.

«شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمساً من المغنم» ونهاهم عن الدباء<sup>(1)</sup> والحنتم<sup>(2)</sup> والمزفت<sup>(3)</sup> وربما قال النمير<sup>(4)</sup> أو المغير، وقال: «احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم»<sup>(5)</sup> وفي رواية: أن الأشج بن عبد القيس تخلف في الركاب حتى أناخها، وجمع متع القوم، ثم جاء يمشي حتى أخذ بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله» فقال: جبل جبلى عليه أم تخلقا مني؟ قال: «بل جبل» قال: الحمد لله الذي جبلى على ما يحب الله ورسوله<sup>(6)</sup>.

وقد انشغل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقدمهم وأخر صلاة السنة البعدية بعد الظهر وصلاها بعد العصر<sup>(7)</sup>.

### بـ- وفد ضمامة بن ثعلبة عن قومه بنى سعد بن بكر:

قال أنس بن مالك t: بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد، ثم علقه، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي صلى الله عليه وسلم متئ بين ظهارانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: قد أجبتك. فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إني أسألك فمشدّد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك، فقال: «سل عما بدا لك» فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، الله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: «اللهم نعم». قال: أنشدك بالله، الله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: «اللهم نعم».

قال: أنشدك بالله، الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنىائنا فتقسمها في فقرائنا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم نعم». فقال الرجل: أمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخوبني سعد بن بكر<sup>(9)</sup>.

وفي رواية ابن عباس... حتى إذا فرغ قال: فإنيأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وساؤدي هذه الفرائض وأحتسب ما نهيتنـي عنه ثم لا أزيد ولا أنقص.

1 (?) الدياء: القرع اليابس، أي الوعاء فيه.

2 (?) الحنتم: أصبع الأقوال فيها: الحرار الخضر وهي حرار كان يحمل فيها الخمر.

3 (?) المزفت: الأوعية التي فيها الزفت.

4 (?) النمير: جذع ينقر وسطه ثم ينيد فيها الرطب والبسر.

5 (?) البخاري، كتاب الإيمان رقم 53.

6 (?) انظر: صحيح السيرة البوية، ص 631.

7 (?) المصدر نفسه، ص 635.

8 (?) تجد: تحقد وتحمل البغضاء

9 (?) البخاري، كتاب العلم، رقم 63. (3) لأنه فرق شعره فرقتين.

قال: ثم انصرف راجعا إلى بعيره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولئي: «إن يصدق ذو العقبيتين<sup>(١)</sup> يدخل الجنة» قال: فأتى إلى بعيره، فاطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بئس اللات والعزى، قالوا: صه يا ضمام اتق البرص والجذام، اتق الجنون، قال: ويلكم! إنهم - والله - لا يضران ولا ينفعان، إن الله عز وجل قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كتتم فيه، وأبغي أشهد أن لا إله إلا الله وجده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، إني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونه لكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، قال: يقول ابن عباس رضي الله عنهم: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل قوم مما كتب من ضمام بن ثعلبة<sup>(٢)</sup>.

وتدل قصة إسلامه على مدى انتشار تعاليم الإسلام في وسط القبائل العربية، حتى جاء ضمام لا ليسأل عنها، ولكن جاء ليستوثق منها، معدداً لها الواحدة تلو الأخرى، مما يدل على استيعابه لها قبل مجئه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup>.

#### ج- وفد نصارى نجران:

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران<sup>(٤)</sup> كتاباً قال فيه: أما بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولية الله من ولية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم أذنكم بحرب، والسلام<sup>(٥)</sup>.

فلما أتى الأسقف الكتاب، جمع الناس وقرأه عليهم، وسألهم عن الرأي فيه، فقرروا أن يرسلوا إليه وفداً يتكون من أربعة عشر من أشرافهم، وقيل ستين راكباً، منهم ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم: العاقب، وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذي يصدرون عن رأيه، والسيد وهو صاحب رحلتهم، وأبو الحارث أسقفهم وحبرهم وصاحب مدارسهم. فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ودخلوا المسجد عليهم ثياب الحبرة، وأردية مكفوفة بالحرير، وفي أيديهم خواتيم الذهب، فقاموا يصلون في المسجد نحو المشرق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوهم».

ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنهم، ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان: من أجل زيكم هذا، فانصرفوا يومهم هذا، ثم غدوا عليه بزي الرهبان فسلموا عليه، فرد عليهم ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا وقالوا: كنا مسلمين قبلكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

2 (؟) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 630، مسند أحمد (1/264)..

3 (؟) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 650.

4 (؟) نجران بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن..

5 (؟) انظر: البداية والنهاية (5/48).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

«يمنعكم من الإسلام ثلات: عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن لله ولدا»<sup>(1)</sup> وكثير الجدال والحجاج بينه وبينهم، والنبي يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة، وكان مما قالوه لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لك تتشتم صاحبنا وتقول إنه عبد الله، فقال: «أجل إنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول»، فغضباً وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أبي؟ فإن كنت صادقاً فأنارنا مثله؟ فأنزل الله في الرد عليهم قوله سبحانه: (إِنْ مَثَلَ عِيسَىٰ عَنْهُ اللَّهُ كَمَثَلَ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ إِنَّ الْحَقَّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) [آل عمران: 60-59].

وكانت حجة دامغة شبه فيها الغريب بما هو أغرب منه<sup>(2)</sup>، فلما لم تجدُ معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة<sup>(3)</sup> امتثالاً لقوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ تَعْدُدٍ مَا حَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا تَدْعُ أَنْتَاءَنَا وَأَنْتَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَسْهِلْ فِي جَعْلِ لَعْنَتِ اللَّهِ عَلَى الْكَادِيِّينَ) [آل عمران: 61].

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه علي، والحسن والحسين، وفاطمة وقال: «إِذَا أَنَا بِعُوتْ فَأَمْنُوا»<sup>(4)</sup> فائتمروا فيما بينهم فخافوا الهلاك لعلمهم أنهنبي حقاً، وأنه ما باهله قوم نبياً إلا هلكوا، فابوا أن يلاعنوه وقالوا: أحكم علينا بما أحبت، فصالحهم على الفي حلة، ألف في رجب، والف في صفر<sup>(5)</sup> ولما عزموا على الرجوع إلى بلادهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أبعث معنا رجلاً أميناً ليقبض منهم مال الصلاح، فقال لهم: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حقَّ أمين» فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح»، فلما قام قال: «هذا أمين هذه الأمة»<sup>(6)</sup>.

**سادساً: يعوث رسول الله لتعليم مبادئ الإسلام وترتيب أمور الإدارة والمال:**

كانت الوفود تسعى إلى المدينة لتعلن إسلامها وتنضوي تحت سيادة الدولة الإسلامية ويتعلموا ما شاء الله أن يتعلموه في المدينة قبل رجوعهم إلى موطنهم، وكان صلى الله عليه وسلم يرسل معهم من يعلمهم دينهم، وشرع صلى الله عليه وسلم ببعث دعاته في شتى الجهات، وأهتم بجنوب الجزيرة حيث قبائل اليمن لتعليمهم مبادئ الإسلام وأحكامه، فقد انتشر أمر الإسلام في الجزيرة ومختلف

1 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/547)

2 (?) انظر: زاد المعاد (3/633)، السيرة النبوية لأبي شهبة (2/547).

3 (?)، 5) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/547).

4 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/547).  
5 (2) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم 3745.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

أطرافها، وأصبحت الحاجة داعية إلى معلمين وداعاً ومرشدين يشرحون للناس حقائق الإسلام<sup>(1)</sup> لكي تتباه قلوبهم وتشفي صدورهم من أمراض العاهلة وأدراهنها الخبيثة، وامتنعت قبيلة بنى الحارث بن كعب عن الدخول في الإسلام، فارسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً في سرية دعوية جهادية.

### أ- بعث خالد إلى بنى الحارث بن كعب (10هـ):

كان بنو الحارث بن كعب يسكنون بنجران، ولم يقبل منهم أحد الإسلام، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى سنة عشر، وأمره أن يدعوه إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثة، فإن استجابوا قبل منهم، وإن لم يفعلوا قاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان في كل وجه يدعون إلى الإسلام، فاسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم كتب خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه بإسلامهم وأنه مقيم فيهم حتى يكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بأن يقبل إلى المدينة ومعه وفد منهم ففعل، فلما قدموا أمر عليهم قيس بن الحصين، وبعث إليهم بعد ذلك عمرو بن حزام لفقههم في الدين ويعملهم السنة، ومعالم الإسلام<sup>(2)</sup> وفي روایة: أنه صلى الله عليه وسلم أرسلي علیاً بدلاً من خالد، وعندما وصل إلى قبائل همدان قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت همدان جميعاً، فكتب على إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: السلام على همدان، السلام على همدان. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريضاً على الجبهة الجنوبية للدولة وأن تدخل قبائل اليمن في الإسلام، وظهر هذا الاهتمام في النتائج الباهرة التي حققتها الدعوة في كثرة عدد الوفود التي كانت تتسبّب من كل أطراف اليمن متوجهة إلى المدينة؛ مما يدل على أن نشاط المبعوثين إلى اليمن كان متصلاً وبعيد المدى، وكانت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم تساند هذا النشاط الدعوي السلمي حيث بعث خالد بن الوليد ثم علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- في هذا السياق<sup>(3)</sup>.

إن الوثائق التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم مع قبائل اليمن وحضرموت قد بلغت عدداً كبيراً ضمنها محمد حميد الله -رحمه الله-

1) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص322.

2) انظر: السيرة لابن هشام (4/250).

3) انظر: الفقه السياسي للوثائق النبوية، ص231.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

في كتابه (مجموعة الوثائق السياسية)<sup>(1)</sup>.

إن التركيز على مفاصل القوى، ومراعاة التأثير في المجتمعات وبناء الدول، منهج نبوي كريم حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ممارسته في حياته.

### **بـ- بعث معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما- إلى اليمن:**

**1- بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل الأنصاري أعلم الصحابة في علم الحلال والحرام إلى اليمن قاضياً ومفقيها، وأميرًا، ومصدقاً<sup>(2)</sup>، وجعله على أحد مخلافاتها<sup>(3)</sup> وهو الأعلى، ولما خرج معاذ قاصداً اليمن خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعه ويوصيه، ومعاذ راكب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته، فاوصاه بوصايا كثيرة ورسم له منها دعوياً عظيماً حيث قال له: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإنهم طاغوا عليك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوٰت في كل يوم وليلة، فإنهم طاغوا بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغانيائهم فترد على فقرائهم، فإنهم طاغوا عليك بذلك فأياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»<sup>(4)</sup>.**

وفي هذا الحديث إرشاد من النبي صلى الله عليه وسلم للدعاء إلى الله بالدرج والبدء بالأهم فالملهم، فالدعوه تكون بترسيخ الإيمان بالله تعالى ورسوله إيماناً يثبت في القلوب ويهيمن على الأفكار والسلوك، ثم تكون الدعوه بعد ذلك إلى تطبيق أركان الإسلام العملية التي ترسخ هذا الإيمان وتنمييه، ثم يأتي بعد ذلك الأمر بالواجبات والنهي عن المحرمات، فيتقبل الناس تكاليف الإسلام التي قد تكون مخالفة لهوى النفس؛ لأن قلوبهم قد عمرت بالإيمان واليقين قبل ذلك<sup>(5)</sup>.

وهذا منهج نبوي كريم رسمه صلى الله عليه وسلم لمعاذ ولمن ي يريد أن يسير على هدى الصحابة الكرام، وما أحوج الذين نذروا أنفسهم للدعوة إلى الله إلى الوقوف أمام هذا الهدى النبوي يترسمون خطاه، ويستوعبونه فهماً ووعياً، وتطبيقاً، وحيثذا تكون خطاهم في الطريق الصحيح<sup>(6)</sup>. ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصاياه لمعاذ قال له: «يا معاذ، إنك عسى لا تلقاني بعد

1 (4) انظر: الوثائق السياسية، حميد الله، (111 ص 230).

2

3 (?) المصدق: أخذ الزكاة.

4

5 (?) المخالف: الإقليل والكورة والرستاق.

6

6 (1) انظر: التاريخ الإسلامي (8/187).

7

عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقري»<sup>(1)</sup>، فبكى معاذ خشعاً لفارق الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك وقع الأمر كما أشار الرسول، فقد أقام معاذ باليمن ولم يقدم إلا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(2)</sup>.

2- وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري إلى مخلاف اليمن الآخر وهو الأسفل، قاصياً ومفقهاً وأميراً ومصدقاً، وأوصاه ومعاذ فقال: «يسراً ولا تعسراً، وبشراً ولا تنفراً، وتطاوعاً ولا تختلفا»<sup>(3)</sup>.

وهذا منهج نبوي كريم أرشد إليه رسول الله معاداً وأبا موسى بأن يأخذ بالتبشير ونهاهما عن التغفير<sup>(4)</sup>.

#### ج- ترتيب أمور الإدارة والمال:

إن النظام جزء من هذا الدين، وداخل في كل أمره، لأن النظام يجمع الأشتات، وتحقق به الأهداف والغايات، فالنظام سمة يتميز بها الإسلام منذ اللحظة الأولى، حيث يدخل في جميع جوانب الإسلام التصورية والشعائرية والتعبدية وفي الشرائع الحياتية كلها، فكان صلى الله عليه وسلم يضع من يدير المدينة في حالة غيبته عنها، وكلما فتح منطقة وضع عليها أميراً، وكانت الوفود تأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعيّن عليها أميراً من قبله، ثم يترك لهم من يعلمهم دينهم، ويرسل إليهم من يجمع صدقاتهم<sup>(5)</sup>، وكان يختار عماله من الصالحين وأولي العلم والدين، ومن المنظور إليهم من العرب وذوي الشخصيات المؤثرة في قبائلهم، فقد كان عامله على مكة عتاب بن أسيد، وعلى الطائف عثمان بن العاص، وبعث معاداً وأبا موسى إلى اليمن، وأقر الرسول في بعض الحالات أمراء وملوك القبائل التي أسلمت أو قبلت الجزية، ومنهم باذان ابن سامان ولد بهرام الذي أقره الرسول صلى الله عليه وسلم على اليمن بعد إسلامه، ولما بلغه موته قسم عمله على جماعة من الصحابة، فولى على صناعة شمر بن باذان، وعلى مأرب أبا موسى الأشعري، وعلى الجندي على بن أمية، وعلى همدان عامر ابن شمر الهمذاني، وعلى ما بين نجران وزمع وزييد خالد بن سعيد بن العاص، وعلى نجران عمرو بن حزام، وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضي، وعلى السكاسك والسكنون عكاشه بن ثور<sup>(6)</sup>.

(2) انظر: معين السيرة، ص 486.

(3) انظر: صحيح السيرة، ص 654.

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/559).

(5) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4342.

(6) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (8/186).

(7) انظر: دراسات في عهد النبي للشجاع، ص 221.

(?) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر (2/59).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

وكان **صلى الله عليه وسلم** يستوفي الحساب على العمال، يحاسبهم على المستخرج والمصروف، وحدد **صلى الله عليه وسلم** بعض عماله رواتب، منهم عتاب بن أسيد والي مكة درهماً كل يوم<sup>(1)</sup>، ولما استعمل -عليه الصلاة والسلام- قيس بن مالك على قومه همدان خصص له قطعة من الأرض يأخذ خراجها، وكانت رواتب عماله تتغير بتغير أحوال المعيشة فهي ليست ثابتة<sup>(2)</sup>. قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «من ولـي لـنا ولـاية ولـم يكن له بـيت فـليـتـخذ دـابة»<sup>(3)</sup>، وهذه هي الحاجات الرئيسية لولي الأمر في ذلك الوقت منعاً لأخذ الرشوة، وهذه قاعدة قانونية جاء بها الإسلام قبل أن تشتهر القوانين الوضعية<sup>(4)</sup>. الحديثة في بنودها، وهي أن الهدية للحاكم رشوة صريحة.

\* \* \*

1 (?) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/153).  
2 (?) انظر: الدولة العربية الإسلامية، منصور الحرabi، ص 44.  
3 (?) انظر: الدولة العربية الإسلامية، ص 44، الترتيب الإدارية للكتاني (1/227).  
4 (?) انظر: الدولة العربية الإسلامية، ص 44.

## حجّة الوداع (10هـ)

الحج أحد الأركان الخمسة، وقد فرض في العام العاشر، وهذا ما ذهب إليه ابن القيم<sup>(١)</sup> واستدل بادلة قوية وهو اللائق بهديه صلى الله عليه وسلم في عدم تأخير ما هو فرض لأن الله تعالى يقول: ( وَلِهُ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَعَ إِنَّمَا سَبِيلًا ) [آل عمران: ٩٧] وقد نزلت عام الوفود أواخر سنة تسع<sup>(٢)</sup>.

لم يحج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة غير حاجته التي كانت في العام العاشر، وعرفت هذه الحاجة بحجّة البلاغ، وحجّة الإسلام، وحجّة الوداع؛ لأنّه صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها ولم يحج بعدها، وحجّة البلاغ لأنّه صلى الله عليه وسلم بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وعملاً، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بيّنه، فلما بين لهم شريعة الحج، ووضّحه وشرحه أنزل الله عليه بعرفة: ( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ) [المائدة: ٣]<sup>(٣)</sup> ولما نزلت هذه الآية بكى بعض الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب أ وكأنهم فهموا منها الإشارة إلى قرب أهل الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما قيل لسيدنا عمر: ما يبكيك؟ قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان<sup>(٤)</sup>، وكان عدد الذين مع رسول الله أكثر من مائة ألف<sup>(٥)</sup>.

## أولاً: كيف حج النبي صلى الله عليه وسلم؟

عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج وأعلم الناس أنه حاج، فتجهزوا - وذلك في شهر ذي القعدة سنة عشر - للخروج معه، وسمع بذلك من حول المدينة، فقدموا يريدون الحج مع الرسول، صلى الله عليه وسلم ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون، فكانوا من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، مد البصر، وخرج من المدينة نهاراً بعد الظهر لخمس بقين من ذي القعدة يوم السبت، بعد أن صلّى الظهر بها أربعاء<sup>(٦)</sup>.

وخطبهم قبل ذلك خطبة علمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه، ثم سار وهو يلبي ويقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن

<sup>١</sup> (?). انظر: زاد المعا德 (3/595).

<sup>2</sup> (?). انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 680، زاد المعا德 (3/595).

<sup>3</sup> (?). البخاري، كتاب المغازي، رقم 4407.

<sup>4</sup> (?). انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/575).

<sup>5</sup> (?). انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 386.

<sup>6</sup> (?). انظر: صحيح السيرة النبوية للندوي، 664، السيرة النبوية للندوي، 386. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

**الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»<sup>(1)</sup>.** والناس معه يزيدون وينقصون، وهو يقرهم، ولا ينكر عليهم، ولزم تلبيته ثم مضى حتى نزل بـ (العرج) ثم سار حتى أتى (الأبواء) فوادي (عسفان) في (سرف) ثم نهض إلى أن نزل بـ (ذى طوى) فبات بها ليلة الأحد، لأربع خلون من ذى الحجة، وصلى بها الصبح، ثم اغتنس من يومه، ونهض إلى مكة فدخلها نهاراً من أعلاها، ثم سار، حتى دخل المسجد، وذلك صحي<sup>(2)</sup> فاستلم الركن<sup>(3)</sup> فرمل ثلاثا<sup>(4)</sup> ومشي أربعًا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام. فقرأ **(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَهِّلِي وَعَهْدَنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَرَا بَيْتَنَا لِلطَّائِفَيْنَ وَالْعَاكِفَيْنَ وَالرَّكَعَ السُّجُودَ)** [البقرة: 125] فجعل المقام بينه وبين البيت، وكان يقرأ في الركعتين: **(فُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) و (فُلْ يَا أَبَاهَا الْكَافُرُونَ)**، ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: **(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوُّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْمٌ)** [البقرة: 158] وبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا، فرقى عليه، حتى إذا رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره، وقال: **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمَلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»** ثم دعا بين ذلك قال مثل هذه ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة، حتى إذا انصب<sup>(6)</sup> قدماه في بطن الوادي سعي<sup>(7)</sup> حتى إذا صعدتا<sup>(7)</sup> مشي حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: **«لَوْ أَنِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لِمَ أَسْقَى الْهَدِيِّ، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدِيٌ فَلِيَحْلِ، وَلِيَجْعَلْهَا عُمْرَةً»<sup>(8)</sup>.**

قال سراقة بن مالك بن جعشن: يا رسول الله، أعلمنا هذا أم للأبد؟ فتشيك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى، وقال: **«دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحُجَّةِ»** مرتين **«لَا، بَلْ لَأَبْدَ أَبْدَ»**<sup>(9)</sup> وأقام بمكة أربعة أيام: يوم الأحد، والإثنين، والثلاثاء، والأربعاء، فلما كان يوم الخميس صحي توجه بمن معه من المسلمين إلى منى ونزل

1 (؟) البخاري، كتاب الحج، باب التلبية رقم 1549.

2

3 (؟) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 387.

4

5 (؟) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، رقم 1227.

6

7 (؟) الرمل: إسراع المشي مع تقارب الخطى.

8

9 (؟) نفذ إلى مقام إبراهيم: أي بلغه ماضيا في زحام

9

659 (؟) انصب قدماه: انحدرت.

(؟) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي رقم 1218.

(؟) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، رقم 1218، صحيح السيرة النبوية، ص

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

بها وصلى بها الظهر والعصر، والمغرب والعشاء والفجر، ومكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة<sup>(1)</sup> فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام<sup>(2)</sup> كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فاجاز<sup>(3)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فرحلت له، فأتى بطن الوادي<sup>(4)</sup> فخطب الناس وقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضاً فيبني سعد فقتلته هذيل، وريا الجاهلية موضوع، وأول ريا أضع رياناً، ريا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله. فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتكم فروجهن بكلمة الله، ولكن عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه<sup>(5)</sup> فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح<sup>(6)</sup>، ولهم عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما ألن تصلوا بعده إن اعتصمتם به، كتاب الله، وأنتم تسألون عنّي، مما أنتم فائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأدّيت ونصحّت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكثها<sup>(7)</sup> إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات<sup>(8)</sup> ثم أذن ثم أقام فصلى الظاهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئاً، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات<sup>(9)</sup> وجعل جبل المشاة بين يديه<sup>(10)</sup> واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص<sup>(11)</sup>، وذكر أبو الحسن الندوبي: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته والتضرع والابتهاج إلى غروب الشمس، وكان في دعائه رافعاً يديه إلى صدره،

<sup>1</sup> (؟) نمرة: موضع يجنب عرفات وليس من عرفات.

<sup>2</sup> (؟) المشعر الحرام: جبل يمزدلفة كانت قريش تقف عليه، ولا تقف مع العرب في عرفات ولكن رسول الله ﷺ وقف في عرفات.

<sup>3</sup> (؟) فاجاز: حاوز المزدلفة ولم يقف بها، وإنما توجه إلى عرفات.

<sup>4</sup> (؟) بطن الوادي: وادي عرنة، وليس عرنة من أرض عرفات عند العلماء إلا مالكا

<sup>5</sup> (؟) أي لا يجوز للمرأة أن تدخل أحداً إلى بيت زوجها من قريب أو بعيد أو امرأة إلا من يرضي عنه زوجها.

<sup>6</sup> (؟) الضرب المبرح: الشديد الشاق.

<sup>7</sup> (؟) ينكتها: يقابلها ويردها إلى الناس مشيراً إليهم.

<sup>8</sup> (؟) أنظر: صحيح السيرة النبوية، ص 661، مسلم كتاب الحج، رقم 1218.

<sup>9</sup> (؟) الصخرات: صخرات في أسفل جبل الرحمة، وهو الجبل الذي يوسط أرض عرفات.

<sup>10</sup> (؟) جبل المشاة: مجتمعهم، وقيل جبل المشاة: معناه طريقهم حيث تسلك الجالة.

<sup>11</sup> (؟) حتى غاب قرص الشمس، حتى غابت الشمس وذهبت الصفرة.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

كاستطعام المسكين، يقول فيه: «اللهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، لا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، والوجل المشفق المقرب المعترف بذنبي، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضئيل، من خضعت لك رقبته، وفاقت لك عيناه، وذل جسده، ورغم أنفه لك، اللهم لا تحعنلي بدعائك رب شقيا، وكن بي رءوفاً رحيمما، يا خير المسؤولين وبأ خير المعطين»<sup>(1)</sup>.

**وهنالك أنزلت عليه: (اليوم أكمليت لكم الإسلام دينًا)** [المائدة: 3] فلما غربت الشمس أفض من عرفة، وأردف أسامة بن زيد خلفه، وأفاض بالسكينة، ثم أضم إليه زمام ناقته، حتى إن رأسها ليصيب طرف رحله، وهو يقول: «أيها الناس عليكم السكينة»<sup>(2)</sup> وكان يلبي في مسيره ذلك، لا يقطع التلبية حتى أتى المزدلفة وأمر المؤذن بالأذان فاذن، ثم أقام فصل المغرب قبل حط الرحال وتبريك الجمال، فلما حطوا راحلهم، أمر فأقيمت الصلاة ثم صلى العشاء، ثم نام، حتى أصبح، فلما طلع الفجر صلاها في أول الوقت، ثم ركب حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة وأخذ في الدعاء والتضرع، والتکبير والتهليل والذكر، حتى أسفر جداً، وذلك قبل طلوع الشمس، ثم سار من مزدلفة، مردقاً للفضل بن عباس، وهو يلبي في مسيره، وأمر ابن عباس أن يتقطط له حصى الجمار سبع حصيات، فلما أتى بطن محسر، حرك ياقته، وأسع السير<sup>(3)</sup> فإن هنالك أصحاب أصحاب الفيل العذاب، حتى أتى منى، فاتى جمرة العقبة، فرمها راكباً بعد طلوع الشمس، وقطع التلبية<sup>(4)</sup> ثم رجع إلى منى فخطب الناس خطبة بلغة، أعلمهم فيها بحرمة يوم النحر وتحريمها، وفضلها عند الله، وحرمة مكة على جميع البلاد، وأمر بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله، وأمر الناس باخذ مناسكهم عنه، وأمر الناس ألا يرجعوا بعده كفاراً، يضرب بعضهم رقاب بعض، وأمر بالتبلیغ عنه<sup>(5)</sup> وقد جاء في هذه الخطبة: «أتدرؤن أي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميء بغير اسمه فقال: «أليس ذي الحجة؟» قلنا: بلى، قال: «أي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليست بالبلدة الحرام؟» قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم - وفي رواية أعراضكم - عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم، إلا هل

<sup>1</sup> (?) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 389. <sup>2</sup> انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 662.

<sup>3</sup> (?) المصدر نفسه، ص 662، السيرة النبوية، للندوي ص 389.

<sup>4</sup> (?) انظر: صحيح السيرة النبوية للندوي، ص 389.

<sup>5</sup> (?) انظر: صحيح السيرة النبوية للندوي، ص 389.

بلغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدى كفراً يضر ببعضكم رقاب بعض»<sup>(1)</sup>.

ثم انصرف إلى المنحر بمنى، فنحر ثلاثة وستين بدنة بيده، وكان عدد هذا الذي نحره عدد سنى عمره، ثم أمسك وأمر علياً أن ينحر ما يقى من المائة، فلما أكمل صلى الله عليه وسلم نحره استدعى الحلاق، فحلق رأسه، وقسم شعره بين من يليه، ثم أفاوض إلى مكة راكباً، وطاف طواف الإفاضة<sup>(2)</sup> فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم، فقال: «انزعوا بني عبد المطلب، فولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لتنزعتم معكم»، فناولوه دلواً فشرب منه<sup>(3)</sup> ثم رجع إلى منى من يومه ذلك فبات بها، فلما أصبح أنتظر زوال الشمس، فلما زالت مشي من رحله إلى الجمار، فيبدأ بالجمرة الأولى ثم الوسطى ثم الجمرة الثالثة، وهي جمرة العقبة، وخطب الناس<sup>(4)</sup> بمنى خطبتيين: خطبة يوم النحر، وخطبة ثانية في ثاني يوم النحر<sup>(4)</sup> وهو يوم النفر الأول، وهي تأكيد لبعض ما جاء في خطبتي عرفة، ويوم النحر بمنى، والواقع أن تكرار الخطب في حجة الوداع كان أمراً لا بد منه لحاجة المسلمين، فهي الحجة الوحيدة التي حجها الرسول صلى الله عليه وسلم وقد عز فيها الإسلام والمسلمون، وأصبحت كلمتهم هي النافذة في الجزيرة كلها، كما كانت الوداع الأخيرة، فما أشد حاجة المسلمين في هذا المشهد العظيم إلى التذكير والنصح والتوصية وإلى تكرار القول والتاكيد عليه حتى يعوه ويحفظوه ولا ينسوه، وإلى تقريرهم بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة<sup>(5)</sup>.

هذا، وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكمل رمي أيام التشريق الثلاثة، ثم نهض إلى مكة فطاف للوداع ليلاً سحراً، وأمر الناس بالرحيل وتوجه إلى المدينة<sup>(6)</sup> وفي طريق العودة من حجة الوداع خطب الرسول صلى الله عليه وسلم الناس في غدير خم قريباً من الجحفة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وقد جاء في هذه الخطبة: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربِّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله؛ فيه الهدى والنور، فخذلوا بكتاب الله واستمسكوا به، فتحث على كتاب الله ورَّعْب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في

<sup>1</sup> (?): انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/550)، السيرة النبوية لأبي شهبة (2/578).

<sup>2</sup> (?): انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 390.

<sup>3</sup> (?): مسلم، كتاب الحج، رقم 1218، صحيح السيرة النبوية، ص 663.

<sup>4</sup> (?): انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 390.

<sup>5</sup> (?): انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/579)، المستفاد من قصص القرآن (2/515).

<sup>6</sup> (?): انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 390.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»<sup>(1)</sup> وفي رواية... أخذ بيد علي t وقال: «من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»<sup>(2)</sup>

وفي رواية: «من كنت مولاه فعلي مولاه»<sup>(3)</sup> وكان علي قد أقبل من اليمن وشهد حجة الوداع<sup>(4)</sup> وقد اشتكي بعض الجند علّي وأنه اشتد في معاملتهم، وكان قد استرجع منهم حلاوة زعها عليهم نائبه، فأوضح لهم النبي صلى الله عليه وسلم في غدير خم مكانة علي، ونبه على فضله لينتهوا عن الشكوى<sup>(5)</sup> فقد كان الحق مع علي في إرجاع ما أعطاه نائبه في غيبته لأنها أموال صدقات وخمس<sup>(6)</sup>.

ولما أتى رسول الله صلی الله عليه وسلم ذا الحليفة بات بها، فلما رأى المدينة كبر ثلاث مرات، وقال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَجَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أَيُّوبُ تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لَرِبِّنَا حَامِدُونَ، صَدِيقُ اللَّهِ وَعَدْهُ، وَنَصْرُ عَبْدِهِ، وَهُزْمُ الْأَحْزَابِ وَحْدَهُ»، ثم دخلها نهاراً<sup>(7)</sup>.

### ثانياً: الدروس وال عبر والفوائد:

#### 1- مرحلة النصح التي وصلت إليها الأمة:

وصلت الأمة الإسلامية في السنة العاشرة مرحلة من النصح متقدمة، وكان ذلك يقتضي لمساتأخيرة، فوسع صلی الله عليه وسلم في العامين التاسع والعاشر من الهجرة دائرة التلقى المباشر من خلال استقباله الوفود، ومن خلال رحلة الحج، فاوجد قاعدة عريضة تحمل دعوته وقد تلقت عنه مباشرة، وكان لذلك أكبر الأثر في أن تبقى رحبي الإسلام دائرة وإلى الأبد<sup>(8)</sup> ففي حجة الوداع كانت اللمسات الأخيرة في تربية الأفراد والمجتمع على كتاب الله وسنة رسوله صلی الله عليه وسلم.

#### 2- تربية الأفراد على قطع الصلة بالجاهلية والابتعاد عن الذنوب:

أ- فقد أشار صلی الله عليه وسلم إلى أهمية قطع المسلم علاقته بالجاهلية، أو ثانها، وثاراتها، ورباتها، وغير ذلك، ولم يكن حديثه صلی الله عليه وسلم مجرد توصية بل كان قراراً أعلن عنه للملاكله لأولئك

1 (?) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل علي بن أبي طالب، رقم 2048.  
2 (?) النسائي في خصائص علي، ص 21، صحيح السيرة النبوية، ص 688.

3 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/550).

4 (?) انظر: البداية والنهاية (5/209).

5 (?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/551).

6 (?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/581).

7 (?) انظر: المسيرة النبوية للندوي، ص 391، نقلًا عن زاد المعاد (1/249).  
8 (?) انظر: الأساس في السنة (2/1054).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

الذين كانوا من حوله والأمم التي ستأتي من بعده، وهذه هي صيغة القرار: «ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية، تحت قدمي موضوع، دماء الجاهلية موضوعة... وربا الجاهلية موضوع»<sup>(1)</sup> لأن الحياة الجديدة التي يحياها المسلم بعد إسلامه حياة لا صلة لها برجس الماضي وأدرانه<sup>(2)</sup>.

**ب-** وقد حذر صلى الله عليه وسلم من الذنوب والخطايا والآثام، ما ظهر منها وما بطن: لأن الذنوب والخطايا تفعل بالفرد ما لا يفعله العدو بعده، فهي سبب مصائبه في الدنيا (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِي مَا كَسَبْتُ أَنْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) [الشوري: 30] فترديه في نار جهنم في الآخرة، وتفعل في المجتمعات ما لا يفعله السيف، وأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقصد بالخطايا العودة إلى عبادة الأصنام؛ لأن العقول التي تفتحت على التوحيد، ترفض أن تعود إلى الشرك الظاهر، ولكن الشيطان لا ييأس من أن يجد طريقه إليها من ثغرات الخطايا والذنوب، حتى تردي صاحبها في المهاوي<sup>(3)</sup>.

### 3- تربية المجتمع على مبادئ أساسية:

**أ-** الأخوة في الله هي العروة الوثقى التي تربط بين جميع المسلمين (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً) [الحجرات: 10] فقد قال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس، أسمعوا قولي واعقلوه، تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لأمرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمون أنفسكم» وقال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم، إلا فلا ترجعوا بعدي ضللاً يضركم رقاب بعض»<sup>(4)</sup>.

**ب-** الوقوف بجانب الضعيف حتى لا يكون هذا الضعف ثغرة في البناء الاجتماعي، فاوصى صلى الله عليه وسلم في خطبته بالمرأة والرقيق على أنها نموذجان عن الضعفاء<sup>(5)</sup>، فقد شدد صلى الله عليه وسلم في وصيته على الإحسان إلى الضعفاء<sup>(6)</sup> وأوصى خيراً النساء، وأكد في كلمة مختصرة جامعة القضاء على الظلم البائد للمرأة في الجاهلية، وتبينت ضمانات حقوقها وكرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية<sup>(7)</sup>.

(7) قراءة سياسية

<sup>1</sup> (?) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 331.  
للسيرة النبوية، محمد قلعجي، ص 303.

(2) مسلم، كتاب الحج رقم

<sup>3</sup> (?) المصدر نفسه.  
1218.

<sup>5</sup> (?) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص 304. (4) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكين، ص 575.

<sup>7</sup> (?) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 332.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

**جـ-** التعاون مع الدولة الإسلامية على تطبيق أحكام الإسلام، والالتزام بشرع الله، ولو كان الحاكم عبداً جبيشاً، فإن في ذلك الصلاح والفلاح، والنجاة في الدنيا والآخرة<sup>(8)</sup> فقد بين **صلى الله عليه وسلم** العلاقة بين الحاكم والمحكوم بأنها تعتمد على السمع والطاعة ما دام الرئيس يحكم بكتاب الله وسنة رسوله **صلى الله عليه وسلم**، فإذا مال عنهم فلا سمع ولا طاعة، فالحاكم أمين من قبل المسلمين على تنفيذ حكم الله تعالى<sup>(9)</sup>.

**دـ-** المساواة بين البشر: فقد قال **صلى الله عليه وسلم**: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض، إلا بالتفوي، الناس من آدم، وأدم من تراب»<sup>(3)</sup> حيث حدد أن أساس التفاضل لا عبرة فيه لجنس، ولا لون، ولا وطن، ولا قومية، وإنما أساس التفاضل قيمة خلقية راقية ترفع مكانة الإنسان إلى مقامات رفيعة جداً<sup>(4)</sup>.

**هـ-** تحديد مصدر التلقي: وقد حدد **صلى الله عليه وسلم** مصدر التلقي والطريقة المثلث لحل مشاكل المسلمين التي قد تتعارض طريقهم في الرجوع إلى مصادرن لا ثالث لهما، ضمن لهم بعد الاعتصام بهما الأمان من كل شفاء وضلال، وهما: كتاب الله وسنة رسوله **صلى الله عليه وسلم**، وإنك لتجده يتقدم بهذا التعهد والضمان إلى جميع الأجيال المتعاقبة من بعده، ليبين للناس أن صلاحية انتمسك بهذين الدليلين ليست وقفاً على عصر دون آخر، وأنه لا ينبغي أن يكون لاي تطور حضارى أو عرف زمني أي سلطان أو تغلب عليهم<sup>(5)</sup>.

لقد وصف **صلى الله عليه وسلم** الداء والدواء، ووضع العلاج لكل المشكلات بالالتزام التام بما جاء من أحكام من في كتاب الله وسنة رسوله **صلى الله عليه وسلم**: «تركت فيكم ما إن تمسكت به لن تتضلو بعدى أبداً: كتاب الله وستني» هذا هو العلاج الدائم، وقد كرر **صلى الله عليه وسلم** نداءه للبشرية عامه، عبر الأزمنة والأمكنة، بوجوب الالهتداء بالكتاب والسنن في حل جميع المشكلات التي تواجه البشرية، فإن الاعتصام بهما يجنب الناس الضلال ويهديهم إلى التي هي أقوم في الحاضر والمستقبل، لقد اجتازت تعاليم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وهديه حدود الجzerة، واختارت حواجز الزمان، وأسوار القرون، وظل يتردد صداها حتى يوم الناس هذا، وإلى أن يبرأ الله الأرض ومن عليها، فلم يكن يخاطب ساميته فيقول لهم: أيها المؤمنون، أو أيها المسلمين، أو أيها الحجاج.. بل كان يقول لهم:

(?) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكين، ص 576. 8

9

(?) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 333. 3

4

(?) مسند أحمد (3/411) إسناده صحيح. 4

5

(2) انظر: الموسوعة في سماحة الإسلام، عرجون (2/876). 5

(?) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 333. 5

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

يا أيها الناس، وقد كرر نداءه إلى الناس كافة مرات متعددة دون أن يخصصه بجنس أو بزمان أو مكان أو لون، فقد بعثه الله للناس كافة وأرسله رحمة للعالمين<sup>(1)</sup>.

#### 4- الأساليب التعليمية من خطب حجة الوداع:

##### أ- التعليم بمباشرة ما يراد تعليمه:

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته الكرام مناسك الحج بصورة عملية، لأن قام بها وبما شرحتها فعلاً، ولم يكتف بأن يعلّمها لهم قوله، ولذلك قال لهم: «خذوا عنّي مناسككم»<sup>(2)</sup> وعلى هذا فيستحسن من الدعاة وهم يعلمون الناس معانٍ للإسلام، أن يعلّموهم هذه المعانٍ، والمطلوبات الشرعية، أو بعضها - في الأقل - بصورة عملية، كالوضوء، والصلاوة، وتعليم قراءة القرآن بصورة سليمة<sup>(3)</sup>.

##### ب- تكرار الخطب:

لاحظنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كرر خطبه، فقد خطب في عرفة، وفي منى مرتين، كما كرر معاني بعض هذه الخطب، فعلى الدعاة أن يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكرروا خطبهم ويكرروا بعض معانيها التي يرون حاجة لتكرارها، حتى يستوعبها السامعون ويحفظوها؛ لأن القصد من خطب الخطيب إفاده السامعين بما يقول، فإذا كانت الفائدة لا تحصل - أو لا تتم - إلا بتكرار الخطب من حيث عددها، أو بتكرارها من حيث تكرار معانيها، فليكررها الداعية، ولا يكون حرصه على أن يأتي بجديد في خطبه ما دام يرى الحاجة في ترسیخ معانٍ معينة في أذهان السامعين، إن الداعية همه أن يفيد السامعين، وليس همه أن يظهر براعته في الخطب، وفي تنوع معانيها، دون نظر ولا اعتبار إلى ما يحتاجه السامعون، ودون اعتبار لفهمهم هذه المعانٍ واستيعابهم لها<sup>(4)</sup>.

##### ج- فليبلغ الشاهدُ الغائبَ:

وفي هذا توجيه نبووي كريم لكي تعم الفائدة أكبر عدد ممكن من الناس؛ فهذا من باب التعاون على الخير، ولأن الغائب قد يكون أو على العلم وأكثر فهما له من الحاضر الذي سمع، وعلى الدعاة والعلماء عندما يلقيون درساً أو محاضرة لإخوانهم أو لعامة الناس فمن المستحسن أن يقولوا للحاضرين: فليبلغ الحاضر منكم الغائب بما سمعه<sup>(5)</sup>.

1 (؟) انظر: الجانب السياسي في حياة الرسول، ص 131، أحمد محمد باشميل.  
2 (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/549) مسلم (2/942) رقم 1297.

3 (؟) انظر: المستفاد من فصص القرآن (2/518).

4 (؟) انظر: المستفاد من فصص القرآن (2/517)، (518).

5 (؟) البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي رب مبلغ، رقم 105.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

## د- جلب انتباه الحاضر لما ي قوله الخطيب:

ويستفاد من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين عن اسم اليوم الذي هم فيه، وكذا عن الشهر والبلد وهم يعروفونها؛ مما يجلب انتباهم إلى ما قد عسى أن يريد به بطرح هذه الأسئلة فيصغون إليها أصغاراً تماماً، قال القرطبي: سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة -أي عن اليوم والشهر والبلد- وسكته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهو مهم، وليرسلوا عليه بكلتهم، وليسنعوا عظمة ما يخبرهم عنه.. فعلى العلماء والداعية أن يقدموا بين يدي ما يقولونه ما يدعوه إلى جلب انتباه السامعين ويشدهم إلى كلامهم<sup>(1)</sup>.

### 5- بعض الأحكام الفقهية المستنبطة من حجة الوداع:

جاءت حجة الوداع حافلة بالأحكام الشرعية خاصة ما يتعلق بالحج وبالوصايا والأحكام التي وردت في خطبة عرفات؛ لذلك اهتم العلماء بحجة الوداع اهتماماً كبيراً واستنبطوا منها الكثير من أحكام المنسك وغيرها مما تحفل به كتب الفقه وكتب شروح الحديث، وخصص بعضهم مؤلفات مستقلة في حجة الوداع<sup>(2)</sup>.

ونشير إلى بعض هذه الأحكام باختصار شديد فمن هذه الأحكام:

**أ- افطار الحاج يوم عرفة:** قالت ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم: إن الناس شكوا في صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة، فأرسلت إليه ميمونة يحلاب<sup>(3)</sup> للبن، وهو واقف في الموقف، فشرب منه، والناس ينظرون إليه<sup>(4)</sup>.

**ب- كيف يفعل بمن توفي محرما؟** قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينما رجل واقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة إذ وقع عن راحلته، فوقصته -أو قال فاوقصته-<sup>(5)</sup> فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه<sup>(6)</sup> ولا تخمروا رأسه<sup>(7)</sup> فإن الله يبعثه يوم القيمة مليياً»<sup>(8)</sup>.

**ج- هل يجوز الحج عن الغير؟** قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي

(?) انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (2/518).

(?) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/549)، ما ألفه الالباني «حجـةـ النـبـيـ»

وغيره.

(?) الإناء الذي يحلب فيه.

(?) البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم عرفة، حديث رقم 1989.

(?) فوقصته: قتلته في الحال.

(?) لا تحنطوه: لا تضعوا عليه من الطيب شيئاً.

(?) لا تخمروا رأسه: لا تغطوا رأسه.

(?) البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن في ثوبين، رقم 1265، مليياً: يحضر يوم

القيمة على الهيئة التي مات عليها.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

**صلى الله عليه وسلم** يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيئاً كبيراً لا يثبت على الراحلة، فأفاجع عنه؟ قال: «نعم» وذلك في حجة الوداع<sup>(1)</sup>.

**د- منهج التيسير: لا حرج، لا حرج:** قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته، فطافق ناس يسألونه فيقول القائل: يا رسول الله، إني لم أكنأشعر أن الرمي قبل النحر فنحرت قبل الرمي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فارم ولا حرج» قال: وطافق آخر يقول: إني لم أشعر أن النحر قبل الحلق، فحلقت قبل أن انحر، فيقول: «انحر ولا حرج»، قال: فما سمعته يسأل يومئذ عن أمر، مما ينسى المرء ويجهل من تقديم بعض الأمور قبل بعض وأشباهها، إلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افعل ولا حرج»<sup>(2)</sup>.

هذه بعض الأحكام المختصرة، ومن أراد المزيد فليراجع ما كتبه الألباني عن حجة الوداع، فقد لخص الحجة في اثنين وسبعين مسالة<sup>(3)</sup>، وكتاب (الوصية النبوية للأمة الإسلامية) للدكتور فاروق حمادة، فقد جمع من المصادر الأدبية والحديثية وكتب أهل السيرثمانية وثلاثين بندًا، ثم قام بتحليلها وتخريجها وتوثيق نصوصها بميزان الحرج والتعديل الذي اعتمدته أئمة المسلمين منذ الصدر الأول، لأن الأمر دين وشرع - كما قال - وقد أجاد وأفاد<sup>(4)</sup>.

## 6- فوائد في تسمية أيام الحج:

كان يقال لليوم السابع من ذي الحجة يوم الزينة؛ لأنه يزين فيه الأئذن التي تهدى بالجلال وغيرها، واليوم الثامن يقال له: يوم التروية؛ لأنهم كانوا يرددون فيه إبلهم من الماء ويحملون منه ما يحتاجون إليه حال الوقوف وما بعده، لأن هذه الأماكن لم يكن فيها يومئذ آبار ولا عيون، أما الآن ففيها الماء الكثير والحمد لله، واليوم التاسع: يوم عرفة للوقوف فيه بها، واليوم العاشر: يوم النحر ويوم الأضحى ويوم الحج الأكبر، واليوم الحادي عشر: يوم القر لأنهم يقررون فيه، ويقال له: يوم الرءوس لأنهم يأكلون فيه رءوس الأضاحي، وهو أول أيام التشريق، وثاني أيام التشريق، يقال له: يوم النفر الأول لجواز الخروج فيه إلى مكة لمن يريد التعميل، وثالث أيام التشريق يقال له يوم النفر الثاني<sup>(5)</sup> قال عز شأنه: [البقرة: 203].

1 . (؟) البخاري في الحج، باب وجوب الحج وفضله، رقم 1513.  
2 . (؟) البخاري في العلم بباب الفتيا على الدابة رقم 83.

3 . (؟) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 683.

4 . (؟) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 681.

5 . (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي شيبة، (2/579).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

+  
525

+

\* \* \*

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

+

+

## المبحث الثامن

### مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته

إن الأرواح الشفافة الصافية القوية لتدرك بعض ما يكون مخبئاً وراء حجب الغيب بقدرة الله تعالى، والقلوب الطاهرة المطمئنة لتحدث صاحبها بما عسى أن يحدث له فيما يستقبل من الزمان، والعقول الذكية المستنيرة بنور الإيمان لتدرك ما وراء الألفاظ والأحداث من إشارات وتلميحات، ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الصفات الحظ الأوفر، وهو منها بال محل الأرفع الذي لا يسامي ولا يطأول<sup>(1)</sup>.

ولقد جاءت بعض الآيات القرآنية مؤكدة على حقيقة بشرية النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كغيره من البشر سوف يذوق الموت وبعاني سكراته كما ذاقه من قبل إخوانه من الأنبياء، ولقد فهم صلى الله عليه وسلم من بعض الآيات اقتراب أجله، وقد أشار صلى الله عليه وسلم في طائفة من الأحاديث الصحيحة إلى اقتراب وفاته، منها ما هو صريح الدلالة على الوفاة، ومنها ما ليس كذلك، حيث لم يشعر بذلك منها إلا الأحاداد من كبار الصحابة الأجلاء كأبي بكر والعباس ومعاذ رضي الله عنهم<sup>(2)</sup>.

**أولاً: الآيات والأحاديث التي أشارت إلى وفاته صلى الله عليه وسلم:**

#### 1- الآيات:

أ- قال تعالى: ( وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ تَنْقِلِبْتُ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يُصْرِرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ) [آل عمران: 144].

قال القرطبي: فأعلم الله تعالى في هذه الآية أن الرسل ليست بباقية في قومها أبداً، وأنه يجب التمسك بما أنت به الرسل، وإن فقد الرسل بموت أو قتل<sup>(3)</sup>.

ب- قال تعالى: ( إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ) [الزمر: 30].

قال ابن كثير: هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق t عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تحقق الناس موته<sup>(4)</sup>.

1 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/587).

2 (؟) انظر: مرض النبي ووفاته، خالد أبو صالح، ص 33.

3 (؟) انظر: تفسير القرطبي، (4/222).

4 (؟) انظر: تفسير ابن كثير (4/53).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

جـ- قال تعالى: ( وَمَا حَعْلَنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِّنْ فَهْمُ الْخَالِدُونَ ) [الأنياء: 34] ثمًّا أَعْقَبَ ذَلِكَ بِبَيَانِ أَنَّ الْمَوْتَ حَتَّمَ لَازِمًا وَقَدْ سَابِقَ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ( كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَنِيلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَالْيَنَّا تُرْجَعُونَ ) [الأنياء: 35] فَهَذِهِ الْآيَاتُ صَرِيقَةٌ وَنَصْتٌ عَلَىٰ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُنَاكَ بَعْضُ الْآيَاتِ أَشَارَتْ إِلَىٰ ذَلِكَ وَإِنَّ لَمْ تَصْرِحْ، مِنْهَا:

دـ- قال تعالى: ( وَلَلآخرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبِّكَ فِتْرَصَنِي ) [الضحى: 4-5].

هـ- قال تعالى: ( كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ دُوَالَّجَالِ وَالإِكْرَامِ ) [الرحمن: 26-27].

وـ- قال تعالى: ( كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) [القصص: 88].

فَهَذِهِ الْآيَاتُ تَبَيَّنُ أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ سَتَمْضِي فِيهِمْ سَنَةُ اللَّهِ فِي مَوْتِ خَلْقِهِ لَنْ يَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ أَحَدًا أَبَدًا.

زـ- قال تعالى: ( إِلَيْؤَمَّ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَثْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ) [المائدة: 3].

وَقَدْ بَكَىٰ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ حِينَ نَزَّلَتِ الْآيَةُ، فَقَيْلَ: مَا يَبْكِيكَ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الْكَمَالِ إِلَّا النَّقْصَانُ. وَكَانَهُ أَسْتَشْعِرُ وَفَاتَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(1)</sup>.

قال تعالى: ( إِذَا حَاءَ تَصْرُّرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَذْهَلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفَرَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا ) [النصر: 1-3].

فَقَدْ سَأَلَ عُمَرُ بْنُ عَبَّاسَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ( إِذَا حَاءَ تَصْرُّرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ).

فَقَالَ: أَجْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُهُ إِيَاهُ، فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ مَنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ<sup>(2)</sup>، وَفِي رِوَايَةِ الطَّبرَانِيِّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْيَتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ حِينَ نَزَّلَتْ فَأَخْذَ بِأَشَدِ مَا كَانَ قَطْ اجْتَهَادًا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ<sup>(3)</sup>.

2- أما الأحاديث التي أشارت إلى ذلك فهي:

أـ- قَالَتْ -عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: اجْتَمَعَ نِسَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، لَمْ يَغُدْ مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ تَمْسَحُ لَا تَخْطُئُ مَشِيتَهَا مَشِيشَةً أَبِيهَا، فَقَالَ: «مَرْحَبًا يَا بُنْيَتِي» فَأَقْعَدَهَا يَمِينَهُ أَوْ

<sup>1</sup> (؟) انظر: البداية والنهاية (5/189).

<sup>2</sup> (؟) البخاري، كتاب المغازي رقم 4430.

<sup>3</sup> (؟) مجمع الزوائد (9/26) رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأحد أسانيده رجاله ثقات.

شماله، ثم سارّها فبكت، ثم سارّها فضحكـت، فقلـت لها: خـصك رسـول الله بالـسـرار وأـنت تـبـكـين؟ فـلـما أـنـقـات قـلت لها أـخـبرـيـنـي ما سـارـكـ؟ فـقـالـت: ما كـنـت لـأـفـشـي سـرـ رسـول الله صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ، فـلـما تـوـفـي قـلت لها: أـسـأـلـكـ لـمـا لـي عـلـيـكـ مـنـ الـحـقـ لـمـا أـخـبـرـتـنـيـ، فـقـالـتـ: أـمـا إـلـآنـ فـنـعـمـ، قـالـتـ: سـارـنـيـ فـي إـلـأـوـلـ قـالـ لـيـ: «إـنـ جـبـرـيلـ كـانـ يـعـارـضـنـيـ فـي إـلـقـرـآنـ كـلـ سـنـةـ مـرـرـةـ، وـقـدـ عـارـضـنـيـ فـيـ هـذـاـ العـامـ مـرـتـيـنـ، وـلـأـرـى ذـلـكـ إـلـأـقـتـرـابـ أـجـلـيـ، فـاتـقـيـ اللـهـ وـاصـبـرـيـ، فـنـعـمـ السـلـفـ أـنـالـكـ»، فـبـكـيـتـ، ثـمـ سـارـنـيـ فـقـالـ: «أـمـا تـرـضـيـنـ أـنـ تـكـونـيـ سـيـدةـ نـسـاءـ الـمـؤـمـنـيـنـ، أـوـ سـيـدةـ نـسـاءـ هـذـهـ الـأـمـةـ؟» فـضـحـكـ<sup>(1)</sup>.

وـفـيـ هـذـاـ حـدـيـثـ دـلـيـلـ قـاطـعـ إـشـارـةـ إـلـىـ اـقـتـرـابـ أـجـلـ رسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، وـأـنـ سـاعـةـ الـفـرـاقـ قـدـ بـاتـ قـرـيبـةـ، إـلـأـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـدـ اـخـتـصـ اـبـنـتـهـ فـاطـمـةـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ - بـعـدـ ذـلـكـ، وـلـمـ يـعـلـمـ بـهـ الـمـسـلـمـوـنـ إـلـأـ بـعـدـ وـفـاهـ رسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ<sup>(2)</sup>.

بـ- قـالـ جـابـرـ tـ: رـأـيـتـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـرـمـيـ عـلـيـ رـاحـلـتـهـ يـوـمـ النـحرـ وـيـقـوـلـ: «لـتـاخـذـوـاـ عـنـيـ مـنـاسـكـكـمـ؛ فـإـنـيـ لـأـدـرـيـ لـعـلـيـ لـأـحـجـ بـعـدـ حـجـتـيـ هـذـهـ»<sup>(3)</sup>.

قـالـ النـوـوـيـ: فـيـهـ إـشـارـةـ إـلـىـ تـوـدـيـعـهـ وـإـعـلـامـهـ بـقـرـبـ وـفـاتـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، وـحـثـهـ عـلـىـ الـاعـتـنـاءـ بـالـأـخـذـ عـنـهـ وـأـنـتـهـازـ الـفـرـصـةـ مـنـ مـلـازـمـتـهـ وـتـعـلـمـ أـمـرـوـنـ الدـيـنـ، وـبـهـذـاـ سـمـيـتـ حـجـةـ الـوـدـاعـ<sup>(4)</sup>.

وـقـالـ اـبـنـ رـجـبـ: وـمـا زـالـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـعـرـضـ بـاقـتـرـابـ أـجـلـهـ فـيـ أـخـرـ عـمـرـهـ، فـإـنـهـ لـمـ يـخـطـبـ فـيـ حـجـةـ الـوـدـاعـ قـالـ لـلـنـاسـ: «خـذـوـاـ عـنـيـ مـنـاسـكـكـمـ، فـلـعـلـيـ لـأـقـاـمـ بـعـدـ عـامـيـ هـذـهـ» فـطـفـقـ يـوـدـعـ النـاسـ فـقـالـوـاـ: هـذـهـ حـجـةـ الـوـدـاعـ<sup>(5)</sup>.

جـ- قـالـ أـبـوـ سـعـيدـ الـخـدـرـiـtـ: خـطـبـ رسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ النـاسـ وـقـالـ: «إـنـ اللـهـ خـيـرـ عـبـدـاـ بـيـنـ الـدـنـيـاـ وـبـيـنـ مـاـعـنـ اللـهـ فـاختـارـ ذـلـكـ الـعـبـدـ مـاـعـنـ اللـهـ» قـالـ: فـبـكـيـ أـبـوـ بـكـرـ، فـعـجـبـنـا لـبـكـائـهـ أـنـ يـخـبـرـ رسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـنـ عـبـدـ خـيـرـ، فـكـانـ رسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ هـوـ الـمـخـيـرـ، وـكـانـ أـبـوـ بـكـرـ أـعـلـمـنـاـ<sup>(6)</sup>.

قـالـ الـحـافـظـ اـبـنـ حـجـرـ: وـكـانـ أـبـوـ بـكـرـ tـ فـهـمـ الرـمـزـ الـذـيـ أـشـارـ بـهـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ منـ قـرـيـنـةـ ذـكـرـهـ ذـلـكـ فـيـ مـرـضـ مـوـتـهـ.

1 (?) البخاري، كتاب الاستئذان رقم 6286, 6285.

2 (?) انظر: مرض النبي ووفاته، ص 35.

3 (?) مسلم، كتاب الحج، رقم 1297.

4 (4) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (9/45).

5 (5) انظر: لطائف المعارف، ص 105. (6) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم 3654.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426

فاستشعر منه أنه أراد نفسه؛ فلذلك بكى<sup>(1)</sup>.

**د- قال العباس بن عبد المطلب :** رأيت في المنام كأن الأرض تنزع إلى السماء<sup>(2)</sup> باشطان<sup>(3)</sup> شداد، فقصصت ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ذاك وفاة ابن أخيك»<sup>(4)</sup>، وفي هذا الحديث إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقرب وفاته، وفيه صدق رؤيا المؤمن، واستشعار بعض الصحابة وفاته عليه الصلاة والسلام<sup>(5)</sup>.

**هـ- وعن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن** خرج راكباً والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحته فقال: «يا معاذ، عسى إلا تلقاني بعد عامي هذا، فتمر بقبري ومسجدي» فيكتفى معاذ لفراقه صلى الله عليه وسلم، فقال: «لا تبك يا معاذ؛ فإن البقاء من الشيطان»<sup>(6)</sup> وفي الحديث إخبار النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل باقتراب أجله، وأنه يمكن إلا يلقاه بعد عامه هذا، وفيه شدة محبة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم وبكاوهم إذا ذكروا فراقه<sup>(7)</sup>.

### ثانياً: مرض الرسول صلى الله عليه وسلم:

#### 1- بدء الشكوى:

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع في ذي الحجة، فأقام بالمدينة يقيمه والمحرم وصفراً، من العام العاشر، فبدأ بتجهيز جيش أسامة، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يتوجه نحو البلقان وفلسطين، فتجهز الناس وفيهم المهاجرون، والأنصار، وكان منهم أبو بكر وعمر، وكان أسامة بن زيد ابن ثمانى عشرة سنة، وتكلم البعض في تأميره وهو مولى وصغير السن على كبار المهاجرين والأنصار، فلم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم طعنهم في إمارته<sup>(8)</sup>، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إمارته أبيه، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان من أحب الناس إلى وإن ابنه هذا لمن أحب الناس إلى بعده»<sup>(9)</sup>، وبينما الناس يستعدون للجهاد في جيش أسامة ابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوكاً الذي قبضه الله فيه، وقد حدثت حوادث ما بين مرضه ووفاته منها:

1 (؟) فتح الباري (7/16).

2 (؟) تنزع إلى السماء: أي تجذب، وأصل النزع: الجذب والقلع.

3 (؟) باشطان شداد: الأشطان جمع شيطان وهو الحيل.

4 (؟) البزار (1/397)، كشف الأستار رقم 844، مجمع الزوائد (9/24) رجاله ثقات.

5 (؟) انظر: مرض النبي ووفاته، ص 37.

6 (؟) مجمع الزوائد (9/22) صحيح البخاري في السلسلة الصحيحة رقم 2497.

7 (؟) انظر: مرض النبي ووفاته، ص 38.

8 (؟) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (2/552).

9 (؟) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي (4/213).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426 هـ

## أ- النبي في البقيع وزيارةه قتلى أحد وصلاته عليهم:

عن أبي مويهية مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا أبا بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل فقال: «يا أبا مويهية، إني قد أمرت أن استغفر لأهل البقيع، فانطلق معن»، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنا لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن ققطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى»<sup>(1)</sup> ثم أقبل علىّ فقال: «يا أبا مويهية، إني قد أتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخربت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة» قال: فقلت: «أبى أنت وأمي، خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: «لا والله يا أبا مويهية، لقد اخترت لقاء ربى والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجده الذي قبضه الله فيه<sup>(2)</sup>.

ومن حديث عقبة بن عامر الجهي ت قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمانين كالمودع للآحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: «إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإن لاظر اليه وأنا في مقامي هذا، وإنني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تتأفسوها» فقال عقبة: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(3)</sup>.

## ب- استئذانه صلى الله عليه وسلم أن يمرّض في بيت عائشة وشدة المرض الذي نزل به:

قالت عائشة رضي الله عنها: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد وجده، استأذن أزواجه في أن يمرض في بيته، فأذن له، فخرج وهو بين رجلين، تخط رجلاه في الأرض، بين عبادين ورجل آخر<sup>(4)</sup>، ولما دخل بيته استد وجده، قال: «أهريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن<sup>(5)</sup>، لعلي أعهد إلى الناس» فأجلسناه في مخصوص<sup>(6)</sup> لحفصة، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق بشير إلينا بيده أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم<sup>(7)</sup> وقالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله

1 (?) أي الفتن الآخرة.  
2 (?) الحاكم في المستدرك (3/55، 56)، صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

3 (?) البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، رقم 1344.  
4 (?) قال ابن عباس: الرجل الآخر هو علي بن أبي طالب.

5 (?) جمع الوكاء، وهو ما يشد به رأس القربة.  
6 (?) مخصوص: يكسر الميم وهي الإحاجة التي تغسل فيها الثياب.

7 (?) البخاري، كتاب الوضوء، رقم 198.

هديّة الشيّكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>, وقال عبد الله بن مسعود ت: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعلك وعكا شديداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أجل: إني أوعك كما يوعك رجلان منكم» قال: فقلت: ذلك أن لك أجرين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أجل» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيناته، كما تحط الشجرة ورقها»<sup>(2)</sup>.

**ثالثاً: من وصايا رسول الله في أيامه الأخيرة:**

### 1- وصيته صلى الله عليه وسلم بالأنصار:

مر العباس ت بقوم من الأنصار ي يكون حين اشتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم وجده، فقال لهم: (ما يبكيكم؟) قالوا: ذكرنا مجلسنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل العباس عليه صلى الله عليه وسلم فأخبره فُعِّصَ بعصابة دسماء<sup>(3)</sup> أو قال: بحاشية برد، وخرج وصعد المنبر - ولم يصعد بعد ذلك اليوم - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرسي<sup>(4)</sup> وعيتي<sup>(5)</sup>، وقد قصوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»<sup>(6)</sup>، وفي الحديث شدة محنة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبكاؤهم لمرضه وحرمانهم من مجلسه<sup>(7)</sup>.

### 2- إخراج المشركين من جزيرة العرب وإجازة الوفد:

لقد ازدادت شدة المرض على رسول الله، بحيث كان يغمى عليه في اليوم الواحد مرات عديدة، ومع ذلك كله أحب صلى الله عليه وسلم أن يفارق الدنيا وهو مطمئن على أمته أن تضل من بعده، فأراد أن يكتب لهم كتاباً مفصلاً ليجتمعوا عليه ولا يتنازعوا، فلما اختلفوا عنده صلى الله عليه وسلم عدل عن كتابة ذلك الكتاب وأوصاهم بأمور ثلاثة، ذكر الرواية منها اثنين:

\* «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب».

\* «وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم به»<sup>(8)</sup>.

### 3- النهي عن اتخاذ قبره مسجداً:

1 (؟) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 695.

2 (؟) البخاري، كتاب المرض، باب شدة المرض، رقم 5647.

3 (؟) بعصابة دسماء: أي سوداء.

4 (؟) كرسي وعيتي: أراد أنهم يطانته وموضع سره وأمانته، والذين يعتمد عليهم في أمره، واستعارة الكرش والعيبة لذلك.

5 (؟) العيبة: ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده.

6 (؟) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، رقم 3799.

7 (؟) انظر: مرض النبي ووفاته، ص 65.

8 (؟) البخاري، كتاب الجهاد والسير، رقم 3035.

كان من آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «قاتل الله اليهود والنصارى، اتخدوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بارض العرب»<sup>(9)</sup>.

#### 4- إحسان الظن بالله:

قال جابر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: «أحسنوا الظن بالله عز وجل»<sup>(2)</sup>.

#### 5- الوصية بالصلوة وما ملكت أيمانكم:

قال أنس رضي الله عنه: كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت: «الصلوة وما ملكت أيمانكم» حتى جعل يغرغر بها في صدره، ولا يفيض بها لسانه<sup>(3)</sup>.

#### 6- لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا:

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب في مرضه الذي مات فيه، فقال: «اللهم بلغت» ثلاث مرات، «أنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا، يراها العبد الصالح أو ترى له، إلا واني قد نهيت عن القراءة في الركوع والسجود، فإذا رکعتم فعظموا الله، وإذا سجدتم فاجتهدوا في الدعاء، فإنه قمن»<sup>(4)</sup> أن يستجاب لكم»<sup>(5)</sup>.

رابعاً: أبو بكر يصلی بال المسلمين:

ولما اشتد المرض بالنبي صلى الله عليه وسلم وحضرت الصلاة فأذن بلال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مرروا أبي بكر فليصل»<sup>(6)</sup> فقيل: إن أبي بكر رجل أسيف<sup>(7)</sup> إذا قام مقامك لم يستطع أن يصل بالناس، وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة فقال: «إنك صواحب يوسف<sup>(7)</sup>، مرروا أبي بكر فليصل الناس» فخرج أبو بكر فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة، فخرج بهادي بين رجلين، كأنه انظر إلى رجليه تخطان من الواقع، فأراد أبو بكر أن يتاخر فأواما إليه النبي صلى الله عليه وسلم - أن مكانك - ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه، قيل للأعمش: فكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلّي وأبو بكر يصلّي بصلاته، والناس يصلون بصلوة أبي بكر؟ فقال برأسه: نعم<sup>(8)</sup>.

(?) انظر: صحيح السيرة النبوية ص 712، البخاري، كتاب الصلاة رقم 435.

9

(?) مسلم، كتاب الوصية، رقم 1637.

2

(?) سنن ابن ماجه، كتاب الوصايا (2/900)، رقم 901.

3

(?) قمن: أي جدير وتحقق.

4

(?) مسلم (1/348) كتاب الصلاة رقم 207.

5

(?) أسيف: من الأسف وهو شدة الحزن والمراد أنه رقيق القلب.

6

(?) والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن.

7

(?) البخاري، كتاب الأذان رقم 712.

8

## خامسًا: الساعات الأخيرة من حياة المصطفى:

1- كان أبو بكر يصلّي بال المسلمين حتى إذا كان يوم الإثنين، وهم صافوف في صلاة الفجر، كشف النبي ﷺ ستر الحجرة، ينظر إلى المسلمين، وهم وقوف أمام ربيهم، ورأى كيف أثمر غرس دعوته وجاهده، وكيف نشأت أمّة تحافظ على الصلاة، وتواكب عليها بحصرة نبها وغيبتها، وقد قررت عينه بهذا المنظر البهيج، وبهذا النجاح الذي لم يقدر لنبي أو داعٍ قبله، واطمأن أن صلة هذه الأمة بهذا الدين وعبادة الله تعالى صلة دائمة، لا تقطعها وفاة نبها، فملئ من السرور ما الله به عليم، واستثار وجهه وهو منير<sup>(1)</sup> يقول الصحابة رضي الله عنهم: كشف النبي ﷺ ستر حجرة عائشة بنظر إلينا وهو قائم كان وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرج، وظننا أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة، فasher علينا أن أتموا صلاتكم، ودخل الحجرة، وأرخي الستر<sup>(2)</sup> وانصرف بعض الصحابة إلى أعمالهم، ودخل أبو بكر على ابنته عائشة وقال: ما أرى رسول الله إلا قد أقلع عنه الوجع، وهذا يوم بنت خارجة، إحدى زوجتيه، وكانت تسكن بالسنح<sup>(3)</sup> فركب على فرسه وذهب إلى منزله<sup>(4)</sup>.

## 2- في الرفيق الأعلى:

واشتدت سكرات الموت بالنبي ﷺ، ودخل عليه أسامة بن زيد وقد صمت فلا يقدر على الكلام، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها علىأسامة، فعرف أنه يدعوه، وأخذت السيدة عائشة رسول الله وأوسدته إلى صدرها بين سحرها ونحرها<sup>(5)</sup>، فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر وبده سواكه، فجعل رسول الله ﷺ عليه وسلم ينظر إليه، فقالت عائشة: أخذه لك؟ فasher برأسه: نعم، فأخذته من أخيها ثم مضغته ولبنته وناولته إياه فاستاك به كاحسن ما يكون الاستياك، وكل ذلك وهو لا ينفك عن قوله: «في الرفيق الأعلى»<sup>(6)</sup> وكان ﷺ يدخل يده في ركوة ماء أو علبة فيها ماء، فيمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات» ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى».. حتى

1 (؟) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 401.  
2 (؟) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4448.

3 (؟) السنح: موضع خارج المدينة كان للصديق مال فيه وبيت.

4 (؟) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/593).

5 (؟) السحر: الرئة. النحر: الثغرة التي في أسفل العنق.

6 (؟) البخاري، كتاب المغازي رقم 4437. (7) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4449.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

قبض ومالت يده<sup>(1)</sup>, وفي لفظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم أعني على سكرات الموت»<sup>(2)</sup>.

وفي رواية: أن عائشة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وأصفت إليه قبل أن يموت وهو مسند ظهره يقول: «اللهم اغفر لي وأرحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى»<sup>(3)</sup>.

وقد ورد أن فاطمة رضي الله عنها قالت: واكب أباها! فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»، فلما مات قالت: يا أباها.. أجاب ربيا دعاه، يا أباها.. جنة الفردوس مأواه، يا أباها.. إلى جبريل ننعاها، فلما دفن صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة لأنس: كيف طابت أنفسكم أن تحيوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب؟!<sup>(4)</sup>.

### 3- كيف فارق رسول الله الدنيا؟

فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وهو يحكم جزيرة العرب، ويرهيه ملوك الدنيا، ويغدوه أصحابه بذوقهم وأولادهم وأموالهم، وما ترك عند موته ديناراً ولا درهماً، ولا عباداً ولا أمة، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء، وسلامه وأرضاً جعلها صدقة<sup>(5)</sup>.

وتوفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير<sup>(6)</sup>.

وكان ذلك يوم الإثنين 12 من ربيع الأول سنة 11 للهجرة بعد الرواول<sup>(7)</sup> وله صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة<sup>(8)</sup>، وكان أشد الأيام سواداً ووحشة ومصايبًا على المسلمين، ومحنة كبرى للبشرية، كما كان يوم ولادته أسعد يوم طلعت فيه الشمس<sup>(9)</sup>.

يقول أنس<sup>(10)</sup>: كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء<sup>(10)</sup> وكتب أم أيمن فقيل لها: ما يبكيك على النبي؟ قالت: إني قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيموت، ولكن إنما أبكي على الوحي الذي رفع عنا<sup>(11)</sup>.

### 4- هول الفاجعة و موقف أبي بكر منها:

قال ابن رجب: ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

(8) الترمذى، كتاب الجنائز رقم 978.

(1) البخارى، كتاب المغازي، رقم 4440.  
(2) البخارى، كتاب المغازي، رقم 4462.

(3) البخارى، كتاب المغازي، رقم 4461.  
(4) انظر: السيرة النبوية للندوى، ص 403.

(5) انظر: البداية والنهاية (4/223). (6) مسلم، كتاب الفضائل (4/1825).

(?) انظر: السيرة النبوية للندوى، ص 404. (8) الترمذى رقم 5/549.  
3618.

(10) مسلم (4/1907). (11) انظر: لطائف المعارف، ص 114.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

اضطرب المسلمين، فمنهم من دهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من انكر موته بالكلية<sup>(1)</sup>.

### قال القرطبي مبينا عظم هذه المصيبة وما ترتب عليها من أمور:

من أعظم المصائب المصيبة في الدين.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أصابكم مصيبة فليذكروا مصابها بي، فإنها أعظم المصائب»<sup>(2)</sup> وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، انقطع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب، وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه<sup>(3)</sup>.

لقد أذهل نبأ الوفاة عمر<sup>t</sup> فصار يتوعد وينذر من يزعم أن النبي مات، ويقول: ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم، والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات<sup>(4)</sup>.

ولما سمع أبو بكر الخبر أقبل على فرس من مسكنه بالسنج، حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة فتيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكي، ثم قال: يا بني أنت وأمي! والله لا يجمع الله عليك موتين، أما الموتة التي عليك فقد متها<sup>(5)</sup>، وخرج أبو بكر وعمر يتكلم، فقال: اجلس يا عمر، وهو ماضٍ في كلامه، وفي ثورة غضبه، فقام أبو بكر في الناس خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه فقال:

أما بعد: فإن من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كلن يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قِبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَانَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصْرَرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِيَ اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران: 144].

قال عمر: فوالله ما إن سمعت أبا بكر تلاها فهو يت إلى الأرض ما تحملني قدمي، وعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات<sup>(6)</sup>.

(?) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني، رقم 1106.

2

3

(?) انظر: تفسير القرطبي (2/176).

4

(?) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/594).

5

(?) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4452.

6

(?) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4454.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العاشر من رمضان وعيد الفطر 1426

قال القرطبي: هذه الآية أدل دليل على شجاعة الصديق وجرأته، فإن الشجاعة والجرأة حددهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي صلى الله عليه وسلم، فظهرت شجاعته وعلمه، قال الناس: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى علي، وأضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسنج<sup>(1)</sup>.

فرحم الله الصديق الأكبر، كم من مصيبة درأها عن الأمة! وكم من فتنة كان المخرج على يديه! وكم من مشكلة ومعضلة كشفها بشهب الأدلة من القرآن والسنة، التي خفيت على مثل عمر<sup>t</sup>! فاعرفوا للصديق حقه، واقدروا له قدره، وأحبوا حبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحبه إيمان وبغضه نفاق<sup>(2)</sup>.

### 5- بيعة أبي بكر بالخلافة:

وابع المسلمين أبي بكر بالخلافة، في سقيفة بنى ساعدة، حتى لا يجد الشيطان سبيلاً إلى تفريق كلمتهم، وتمزيق شملهم، ولا تلعب الأهواء بقلوبهم، وليفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الدنيا وكلمة المسلمين واحدة، وشملهم منتظم، وعليهم أمير يتولى أمورهم، ومنها تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه<sup>(3)</sup> والحديث عن بيعة أبي بكر سنتكلم عنه بالتفصيل عند الدخول في عصر الخلفاء الراشدين، إن شاء الله تعالى.

### 6- غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفنه والصلاه عليه:

قالت عائشة رضي الله عنها: لما أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: ما نdry أجرده من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقه في صدره، فكلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرؤن من هو، أن أغسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه، فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلكون بالقميص دون أيديهم، قالت عائشة: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسله إلا نساوه<sup>(4)</sup>.

وكفن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب سحولية، من ثياب

<sup>1</sup> (? ) انظر: تفسير القرطبي (4/222).

<sup>2</sup> (? ) انظر: مرض النبي ووفاته، ص 24.

<sup>3</sup> (? ) انظر: السيرة النبوية للندوی، ص 406.

<sup>4</sup> (? ) المستدرک للحاکم (3/59، 60) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجا، ووافقه الذهبي، وصححه ابن جيان.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

<sup>5</sup>

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

سحول - بلدة باليمن - ليس فيها قميص ولا عمامة<sup>(1)</sup> وقد صلى عليه المسلمون. قال ابن عباس: لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل الرجال فصلوا عليه بغير إمام أرسالا، حتى فرغوا، ثم أدخل النساء فصلين عليه، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه، ثم أدخل العبيد فصلوا عليه أرسالا، لم يؤمهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد<sup>(2)</sup>.

قال ابن كثير: وهذا الصنيع - وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد - أمر مجمع عليه لا خلاف فيه<sup>(3)</sup>.

## 7- موقع دفنه وصفة قبره ومن باشر دفنه؟ ومتى دفن؟

اختلف المسلمون في موقع دفنه فقال بعضهم: يدفن عند المنبر، وقال آخرون: بالبقيع، وقال قائل: في مصلاه<sup>(4)</sup>, فجاء أبو بكر الصديق فجسم مادة هذا الخلاف أيضا بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت عائشة وأبن عباس: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسل اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: ما نسيت ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه»، ادفنته إلا أن دفن النبي صلى الله عليه وسلم في موضعه الذي توفي فيه أمر مجمع عليه<sup>(5)</sup>.

وقال ابن كثير: قد علم بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام دفن في حجرة عائشة التي كانت تختص بها، شرقى مسجده في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة، ثم دفن فيها أبو بكر، ثم عمر، رضي الله عنهما<sup>(7)</sup>.

وقد لحد<sup>(8)</sup> قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أجمع العلماء على أن اللحد والشق<sup>(9)</sup> جائزان، لكن إذا كانت الأرض صلبة لا ينهار ترابها فاللحد أفضل، وإن كانت رخوة تنهار فالشق أفضل<sup>(10)</sup>.

<sup>1</sup> (?) انظر: مختصر سيرة الرسول، ص 37، تهذيب الأسماء للنووي، ص 23، مسلم (2/650) كتاب الجنائز رقم 45

<sup>2</sup> (?) انظر: دلائل النبوة، (7/250) وسنن ابن ماجة رقم 1628، والحديث فيه ضعف.

<sup>3</sup> (?) انظر: البداية والنهاية (5/232).

<sup>4</sup> (?) الموطأ رقم 545، ابن سعد (2/293).

<sup>5</sup> (?) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 727.

<sup>6</sup> (?) انظر: مرض النبي ووفاته، ص 160. (5) انظر: البداية والنهاية (5/238).

<sup>7</sup> (6) اللحد: الشق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت.

<sup>8</sup> (?) والشق: أي يحفر في وسط الأرض. (8) انظر: المجموع للنووي (5/287).

<sup>9</sup> (9) انظر: أحكام الجنائز، ص 144. هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

وقد قال الألباني -رحمه الله-: ويجوز في القبر اللحد والشق لحريان العمل عليهما في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن الأول أفضل<sup>(5)</sup> لأن الله تعالى لا يختار لنبيه إلا الأفضل<sup>(6)</sup>، وأما صفة قبره فقد كان مسنّاً<sup>(7)</sup> أي مرتفعاً، وذهب جمهور العلماء إلى أن المستحب في بناء القبور هو التنسيم وأنه أفضل من التسطيح<sup>(8)</sup>، وفي المسألة خلاف طوilk ليس هذا محله، وقد قرب ابن القيم رحمة الله بين المذهبين فقال: وكانت قبور أصحابه لا مشعرة، ولا لائعة، وهكذا كان قبره الكريم، وقبراً صاحبيه، فقبره صلى الله عليه وسلم مسنّم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء، لا مبني ولا مطين، وهكذا قبراً صاحبيه<sup>(9)</sup> وقد كان قبره صلى الله عليه وسلم مرتفعاً قليلاً عن سطح الأرض<sup>(10)</sup>.

وما الذين باشروا دفنه صلى الله عليه وسلم فقال ابن إسحاق: وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزاد النووي<sup>(11)</sup> والمقدسي<sup>(12)</sup>: العباس، قال النووي: ويقال كان أسامي بن زيد وأوس بن خولي<sup>(13)</sup> معهم. ودفن في اللحد، وبني عليه صلى الله عليه وسلم في لحده اللbin، يقال إنها تسع لبيات، ثم أهالوا التراب<sup>(14)</sup>.

وما وقت دفنه فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه دفن ليلة الأربعاء، قال ابن كثير: والمشهور عن الجمهور ما أسلفناه من أنه عليه السلام توفي يوم الإثنين ودفن ليلة الأربعاء<sup>(15)</sup>.

لقد كان لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر على الصحابة الكرام، فقد قال أنس<sup>(16)</sup>: وما نفينا عن النبي صلى الله عليه وسلم الأيدي -إنا لفي دفنه- حتى أنكرنا قلوبنا<sup>(17)</sup>.

**سادساً: بعض ما قيل من المراثي في وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم:**

6 (؟) انظر: مرض النبي ووفاته، ص 160 وقد استفادت من هذا الكتاب فائدة كبرى في مبحث مرض ووفاة الرسول

7 (؟) البخاري، كتاب الجنائز رقم 1390. (12) انظر: مرض النبي ووفاته، ص 164.

9 (1) انظر: زاد المعاد (1/524). (2) انظر: تهذيب السنن لابن القيم (4/338).

10 (3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/321).

12 (؟) انظر: تهذيب الأسماء، ص 23.

13 (؟) انظر: مختصر السيرة، ص 35.

14 (؟) انظر: مرض النبي ووفاته، ص 173.

15 (؟) انظر: تهذيب الأسماء للنووي، ص 23.

16 (؟) انظر: البداية والنهاية (5/237) صحيح السيرة النبوية، ص 728.

17 (؟) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 729.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

## 1- ما قاله حسان في موت رسول الله:

لقد نافح حسان بن ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، ودافع عن الإسلام والمسلمين بقصائده الرائعة التي هزت عرب الجزيرة وفعلت فيهم الأفاعيل، ولقد تأثر بممات حبيبي صلى الله عليه وسلم فرثاه بقصائد مبكية حزينة، حفظها لنا التاريخ، ولم تهملها الليالي، ولم تفصلها عنا حواجز الزمن، ولا أسوار القرون، فمما قاله يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الأرمد<sup>(2)</sup>

يا خير من وطئ الحصى لا  
الغرقد<sup>(3)</sup>

في يوم الاثنين النبي  
متلدا<sup>(4)</sup> يا ليتنى لم أولد  
الأسود<sup>(6)</sup>

في روحه من يومنا أو في  
المحدث<sup>(8)</sup>

ولدته محصنة بسعد الأسعد  
من يهد للنور المبارك يهتدى  
في جنة تثنى عيون الحسد<sup>(9)</sup>

يا ذا الجلال وذا العلا  
إلا بكىت على النبي محمد  
المتحد<sup>(10)</sup>

ما بال عينك لا تنام كأنها

جزعا على المهدي أصبح

وجهه يقيك الترب لهفي

بابي وأمي من شهدت وفاته  
فطللت بعد وفاته متبدلا

أقيم بعده بالمدينة بينهم؟!

أو حل أمر الله فيما عاجلا  
فتقوم ساعتنا فلنلقى طيبا

يا بكر آمنة المبارك بكرها  
نوراً أضاء على البرية كلها  
يا رب فاجمعنا معا ونبينا

في جنة الفردوس فاكتبها لنا  
والله أسمع ما بقيت بها لك  
يا ويج أنصار النبي ورهطه!

(?) المآقي: جمع مأق ومؤق وهي محاري الدمع من العين 1  
(?) الأرمد: الذي يشتكي ويعانى العين 2

(?) بقى الغرقد: المكان الذي يدفن فيه أهل المدينة موتاهم. 3

(?) متلدد: متغير. 4

(3) صبحت: سقطت صباحا. 5

(?) الأسود: ضرب من الحيات. 6

(6) المحدث: الأصل. 7

(8) سواء الملحد: وسطهم. 8

(9) الإثمد: كحل أسود. 9

سوداً وجوهم كلون الإثم<sup>(1)</sup>  
وفضول نعمته بنا لم تجحد  
أنصاره في كل ساعة مشهد  
أحمد<sup>(3)</sup>

مثل الرسولنبي الأمة  
أوفي بذمة جار أو بميعاد  
مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد

الصادي<sup>(4)</sup>

2- ومما قاله أبو بكر الصديق يبكي النبي صلى الله عليه وسلم:  
ضاقت عليّ بعرضهن الدور  
والعظم مني - ما حبيت -  
والصبر عندك - ما بقيت -  
غُبٰت في لحد عليه صخور  
تعيا لهن جوانح وصدور<sup>(5)</sup>

3- وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم يبكي  
رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
أرقت فبات ليلى لا يزول  
وأسعدني البكاء وذاك فيما

ضااقت بالأنصار البلاد

ولقد ولدناه<sup>(2)</sup> وفينا قبره

والله أكرمنا به وهدى به

صلى الإله ومن يحف بعرشه

وقال أيضا:

تالله ما حملت أنت ولا

ولا يرى الله خلقا من بريته

من الذي كان فينا يستضاء

إلى أن قال:

يا أفضل الناس إني كنت في

فارتابع قلبي عند ذاك لموته  
لما رأيت نبينا متجنداً

أعْتِيقَ وَبِحَكٍ !! إنَّ خَلَكَ قد

يَا لِيَتِنِي مِنْ قَبْلِ مَهْلَكٍ

فَلَتَحْدِثَنِي بَدَائِعُ مِنْ بَعْدِهِ

(10) أبي بنى النجار أخواه النبي ﷺ من قبل آباءه.

(11) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (4/328).

(?) الصادي: العاطيش، السيرة النبوية لابن هشام (4/329).

(?) انظر: المستطرف للابشيهي، ص 366، ديوان أبي بكر الصديق، طبع حدثاً

حققه وشرحه راجي الأسم، ص 33، 32.

عشية قيل: قد قبض  
تـكـادـ بـنـاـ جـوـانـبـهاـ تمـيلـ  
يـرـوحـ بـهـ وـيـغـدـوـ جـبـرـائـيلـ  
نـفـوسـ النـاسـ أـوـ كـادـتـ تـسـيلـ  
بـمـاـ يـوـحـىـ إـلـيـهـ وـمـاـ يـقـولـ  
عـلـيـنـاـ وـالـرـسـوـلـ لـنـاـ دـلـيلـ  
وـإـنـ لـمـ تـجـزـعـيـ فـهـوـ السـبـيلـ  
وـفـيـهـ سـيـدـ النـاسـ الرـسـوـلـ<sup>(1)</sup>

4- وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وكنت بـنـاـ بـرـاـ وـلـمـ تـكـ جـافـيـاـ  
لـبـيـكـ عـلـيـكـ الـيـوـمـ مـنـ كـانـ  
الـهـرـجـ<sup>(2)</sup> آـتـيـاـ  
وـمـاـ خـفـتـ مـنـ بـعـدـ النـبـيـ  
عـلـيـ جـدـثـ أـمـسـىـ بـيـثـرـبـ  
وـعـمـيـ وـآـيـيـ وـنـفـسـيـ وـمـالـيـاـ  
وـمـتـ صـلـيـبـ العـوـدـ أـبـلـجـ  
سـعـدـنـاـ،ـ وـلـكـ أـمـرـهـ كـانـ  
رـاضـيـاـ<sup>(3)</sup>

لـقـدـ عـظـمـتـ مـصـبـبـتـنـاـ وـجـلـلـتـ  
وـأـضـحـتـ أـرـضـنـاـ مـاـ عـرـاـهـ  
فـقـدـنـاـ الـوـحـيـ وـالـتـنـزـيلـ فـيـنـاـ  
وـذـاكـ أـحـقـ مـاـ سـالـتـ عـلـيـهـ  
نـبـيـ كـانـ يـجـلـوـ الشـكـ عـنـاـ  
وـيـهـدـيـنـاـ فـلـاـ نـخـشـيـ مـلـامـاـ  
أـفـاطـمـ،ـ إـنـ جـزـعـتـ فـذـاكـ  
فـقـبـرـ أـبـيـكـ سـيـدـ كـلـ قـبـرـ

أـلـاـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ كـنـتـ رـجـاءـنـاـ  
وـكـنـتـ رـحـيـمـاـ هـادـيـاـ وـمـعـلـمـاـ  
لـعـمـرـكـ مـاـ أـبـكـيـ النـبـيـ لـفـقـدـهـ  
كـأـنـ عـلـىـ قـلـبـيـ لـذـكـرـ مـحـمـدـ  
أـفـاطـمـ،ـ صـلـيـ اللـهـ رـبـ مـحـمـدـ  
فـدـيـ لـرـسـوـلـ اللـهـ أـمـيـ  
صـدـقـتـ وـبـلـغـتـ الرـسـالـةـ  
فـلـوـ أـنـ رـبـ النـاسـ أـبـقـيـ نـبـيـنـاـ  
عـلـيـكـ مـنـ اللـهـ السـلـامـ تـحـيـةـ

\* \* \*

1 (?) انظر: الاكتفاء للكلاعي (2/456).

2 (?) الهرج والفتنه.

3 (?) انظر: تفسير القرطبي (4/220,219).

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
[libya-web.net](http://libya-web.net) - [info@libya-web.net](mailto:info@libya-web.net)

## الخاتمة

وبعد، فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب وتحليل تضمنتها فصول هذا الكتاب، فيما يتعلق «بالسيرة النبوية .. عرض وقائع وتحليل أحداث» فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله على فله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ فاستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أنني كنت حريصاً أن لا أقع في الخطأ وعسى أن لا أحزم من الأجر.

وأدعوا الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب إخوان المسلمين، وأن يذكرني من يقرؤه في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستحاجة إن شاء الله تعالى، وأختتم هذا الكتاب بقول الله تعالى: (رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْرَانَا الَّذِينَ سَيَقُونَا بِالْأَيْمَانِ وَلَا تَحْكُمْ فِي قُلُوبِنَا غَلَى لِلَّذِينَ أَمْنَوْا رَبَّنَا إِنَّكَ رَوُوفٌ رَّحِيمٌ) [الحسن].

**ويقول الشاعر:**

ومنك الجود والفضل الجزيل  
وحالى لا يسرّ به خليل  
من الأوزار مدمعه يسيل  
ذنوب حملها أبداً ثقيل  
على الأبواب منكسر ذليل  
وجاء الشيب واقترب الرحيل  
به يُشفى فؤادي والغليل  
ومن فعل القبيح أنا القتيل  
فهاك العبد يدعو يا وكيل  
بأعمار لنا وبها تزول

إلهي أنت للإحسان أهل  
إلهي بات قلبي في هموم  
إلهي تب وجد وارحم عبيداً  
إلهي ثوب جسمي دنسنته  
إلهي جد بعفوك لي فإني  
إلهي خاني جلدي وصبري  
إلهي داوني بدواء عفو  
إلهي ذاب قلبي من ذنبي  
إلهي قلت ادعوني أجكم  
إلهي هذه الأوقات تمضي

**ويقول الشاعر:**

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

+

اطلب العلم ولا تكسل فما  
احتفل للفقه في الدين ولا  
واهجر النوم وحصله فمن  
لا تقل قد ذهبت أربابه

<sup>544</sup> أبعد الخير على أهل الكسل  
تشتغل عنه بمال وحَوْل  
يعرف المطلوب يحقر ما بذل  
كل من سار على الدرب وصل

سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب  
إليك.

\* \* \*

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

+

+

## المصادر والمراجع

(أ)

- 1 آثار الحرب في الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، دراسة مقارنة، دار الفكر، 1981م.
- 2 آثار تطبيق الشريعة، د. محمد عبد الله الزاحم، دار المنار، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1991م.
- 3 آفات على الطريق، محمد سيد نوح، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1990م.
- 4 أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم ابن الأثير.
- 5 الإمام، محمد إدريس الشافعي، طبعة الفكر، بيروت، لبنان ، سنة 1410 هـ - 1990م.
- 6 الإنقان في علوم القرآن، عبد الرحمن السيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.
- 7 الإدارة الإسلامية في عصر عمر بن الخطاب، د. فاروق مجلاوي، دار مجلاوي، عمان.
- 8 الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة مصر.
- 9 الاعتصام للإمام الشاطبي، دار الفكر، الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.
- 10 الإعلام في صدر الإسلام، د. عبد اللطيف حمزة، دار الفكر.
- 11 إمتناع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، للشيخ أحمد المقرنزي، صحجه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التاليف والترجمة بالقاهرة 1941م.
- 12 الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، صالح الرفاعي، دار الخصيري، المدينة، 1418هـ.
- 13 أحكام الجنائز وبدعها للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- 14 أحكام السوق في الإسلام، أحمد الدربيش، دار عالم الكتب، 1409هـ - 1989م.
- 15 أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي. تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1408هـ.
- 16 الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق.
- 17 الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، محمود محمد الجوهرى.
- 18 إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني - إشراف زهير الشاويش.
- 19 الأساس في السنة وفقها، السيرة النبوية، سعيد حوى، دار السلام بمصر، 1989م.
- 20 الأساس في السنة، سعيد حوى، دار السلام، مصر.
- 21 أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، د. الحسين جربو محمود جلو، مؤسسة الرسالة، دار العلوم الإنسانية، الطبعة الأولى 1414هـ - 1994م.
- 22 أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1402هـ - 1982م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

- 23 أسباب هلاك الأمم السالفة، سعيد محمد بابا سيلا، سلسلة الحكمة البريطانية، 2000م.
- 24 الاستخبارات العسكرية في الإسلام، عبد الله على السلام مناصرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1412هـ - 1991م.
- 25 الإسلام في خندق، مصطفى محمود، دار أخبار اليوم القاهرة، مصر، 1994م.
- 26 أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، التجاني عبد القادر حامد، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، دار البشير 1416هـ - 1995م.
- 27 أضواء على المحرقة، توفيق محمد سبع، مطبعة الهيئة العامة لشئون المطبع الأميرية 1973م.
- 28 أعلام النبوة للماوردي، الكليات الأزهرية.
- 29 إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت.
- 30 الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، تأليف أبي الربع سليمان ابن موسى الكلاعي الاندلسي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م.
- 31 الأموال، أبو عبد القاسم بن سلام، مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت.
- 32 الانحرافات العقدية والعلمية، علي بن نجيب الزهراني، دار طيبة، 1418هـ.
- 33 أنساب الأشراف للبلذري، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف مصر.
- 34 الأنساب، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند 1382هـ - 1962م.
- 35 أهمية الجهاد في نشر الدعوة، د. علي العلياني، دار طيبة، الطبعة الأولى، 1405هـ.
- 36 الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، 1984م.

(ب)

- 37 البحر الرائق في الزهد والرقائق، أحمد فريد، دار البخاري، القصيم بالسعودية.
- 38 بدائع السالك في طبائع الملك، أبو عبد الله بن الأزرق، تحقيق وتعليق علي سامي النشار، منتشرات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية.
- 39 البداية والنهاية، أبو الفداء ابن كثير الدمشقي، دار الريان للتراث.
- 40 بلوغ الأربع في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، تحقيق محمد بهجة الاثري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.
- 41 بناء المجتمع الإسلامي في عصر النبوة، محمد توفيق رمضان، دار ابن كثير، دمشق.
- 42 بهجة المحاerval وبغية الأمائل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، شرح جمال الدين محمد الأشخر اليمني، دار صادر - بيروت.

(ت)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العاشر من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

- 43 تأملات في سورة الكهف للشيخ أبي الحسن الندوبي، دار القلم.
- 44 تأملات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع، 1408هـ.
- 45 تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي.
- 46 التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، د. عبد العزيز الحميدي، دار الدعوة، الإسكندرية.
- 47 التاريخ السياسي والحضاري، د. السيد عبد العزيز سالم.
- 48 التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، استراتيجية الرسول السياسية والعسكرية، د. علي معطي، مؤسسة المعارف بيروت.
- 49 تاريخ الطبراني، لأبي جعفر بن جرير، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت.
- 50 تاريخ اليهود في بلاد العرب، ولفنسون، طبعة القاهرة 1927م.
- 51 تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الآداب، النجف، 1967م.
- 52 تاريخ دولة الإسلام الأولى، فايد حماد عاشور، سليمان أبو عزب، دار قطرى بن الفجاءة، الدوحة، الطبعة الأولى، 1409هـ - 1989م.
- 53 تاريخ صدر الإسلام، عبد الرحمن عبد الولي شجاع، دار الفكر المعاصر، صناعة.
- 54 التحالف السياسي في الإسلام، منير محمد الغضبان، دار السلام، الطبعة الثانية 1988م.
- 55 التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار الكتب الشرقية تونس.
- 56 تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى لمحمد بن عبد الرحمن المباركفورى، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبى، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان.
- 57 تحفة الأشراف، أبو الحجاج يوسف المزى، الدار القيمة 1384هـ.
- 58 التربية القيادية، منير الغضبان، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1998م.
- 59 تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)، ابن أبي حاتم - تحقيق أسعد الطيب - مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية - ط2/1419هـ - 1999م.
- 60 تفسير أبي السعود، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لقاضي القضاة أبي السعود محمد العمادى الحنفى، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، مطبعة السعادة، القاهرة.
- 61 تفسير ابن كثير، ابن كثير القرشي، دار الفكر ودار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.
- 62 تفسير الألوسي، المسمى روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، للألوسى (محمود الألوسى البغدادى) إدارة الطباعة

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

- + +
- المصطفائية بالهند.  
-63 تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، الإمام الفراء البغوي الشافعي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 64 تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف الإمام ناصر الدين أبوالخير عبد الله الشيرازي البيضاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1402هـ - 1982م.
- 65 تفسير الرازى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الثالثة.
- 66 تفسير الزمخشري المسمى بالكتشاف، دار المعرفة 1967م.
- 67 تفسير السعدي المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن ناصر السعدي، المؤسسة السعودية بالرياض، 1977م.
- 68 تفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، 1965م.
- 69 تفسير المراغى، لأحمد مصطفى المراغى، طبع دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1394هـ.
- 70 تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 71 التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى 1411هـ - 1991م.
- 72 تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، تأليف الإمام عبد الله أحمد بن محمد النسفي، المتوفى سنة 710هـ، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- 73 تفسير ابن عطية المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، الطبعة الأولى 1412هـ - 1991م.
- 74 تفسير سورة فصلت، د. محمد صالح علي مصطفى، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1409هـ - 1989م.
- 75 تلقيح فهوم أهل الأثر، لابن الجوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، دون ذكر الطبعة.
- 76 التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، محمد السيد حمد يوسف، دار الإسلام، مصر، الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.
- 77 تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة، صالح أحمد العلي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السابع عشر، بغداد 1969م.
- 78 تنوير الحوالك شرح موطاً مالك، جلال الدين السيوطي، دار إحياء الكتب.
- 79 تهذيب مدارج السالكين لابن القيم، هذبه عبد المنعم صالح العلي العزي مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1409هـ - 1989م.
- (ج)
- 80 جامع الأصول، لابن الأثير المتوفى سنة 606هـ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، طبع مكتبة الحلوانى سوريا، عام 1392هـ.
- 81 جامع العلوم والحكم، للإمام ابن رجب الحنبلي، دار الفكر، بيروت.
- 82 الجامع لأخلاق الراوى، وأداب السامع للخطيب البغدادي، مكتبة المعارف بالرياض، 1403هـ - 1983م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

- 83- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، دار البيارق، عمان، بيروت الطبعة الأولى 1414هـ - 1993م.
- 84- الجوab الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، مطابع المجد.
- 85- جوامع السيرة لابن حزم، المتوفى 456هـ، تحقيق الدكتور احسان عباس والدكتور ناصر الدين الاسد، طبع دار إحياء السنة باكستان 1368هـ.
- 86- حيل النصر المنشود، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، الطبعة السادسة، 1405هـ - 1985م.

## (ج)

- 87- حاشية ابن عابدين، مطابع مصطفى اليابي وأولاده.
- 88- حديائق الأنوار ومطالع الأسرار، لابن الدّيْع الشيباني، تحقيق عبد الله إبراهيم الانصاري.
- 89- حديث القرآن عن غزوات الرسول صلی الله علیه وسلم، د. محمد بكر آل عابد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى.
- 90- الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول صلی الله علیه وسلم في مكة، د. عبد الوهاب كحيل، عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986م.
- 91- الحركة السنوسية في ليبيا، علي محمد الصلايبي، دار البيارق، عمان طبعة أولى 1999م.
- 92- حقوق النبي صلی الله علیه وسلم على أمته، د. محمد بن خليفة التميمي، دار أضواء السلف، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.
- 93- الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، عبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1995م.
- 94- الحكومة الإسلامية، أبو الأعلى المودودي، ترجمة أحمد ادريس، المختار الإسلامي للطباعة والتشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1397هـ - 1977م.
- 95- حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، مطبعة السعادة، مصر، 1351هـ.
- 96- حوار الرسول مع اليهود، د. محسن الناظر، الطبعة الثانية، 1412هـ - 1992م، دار الوفاء.

## (خ)

- 97- خاتم النبین صلی الله علیه وسلم، للشيخ محمد أبي زهرة، دار الفكر بيروت الطبعة الأولى 1972م.
- 98- الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة 1409هـ - 1989م.
- 99- الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت.

## (د)

- 100- دائرة المعارف الكاثوليكية، مقال التثليث.
- 101- الدر المنشور في التفسير بالتأثر، الإمام السيوطي، الناشر محمد أمين دمج، بيروت، لبنان.
- 102- دراسات في السيرة النبوية، د. عماد الدين خليل، دار النفائس، بيروت هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

- الطبعة الحادية عشرة 1409هـ - 1989م.
- 103 دراسات في عهد النبوة، د. عبد الرحمن الشجاع، دار الفكر المعاصر، صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1999م.
- 104 دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الخامسة 1408هـ - 1988م.
- 105 دراسة تحليلية لشخصية الرسول، د. محمد قلعي، دار النفائس الطبيعة الأولى، سنة 1408هـ - 1988م.
- 106 الدرر في اختصار المغازي والسيير، يوسف بن عبد البر، وزارة الأوقاف بمصر، لجنة إحياء التراث، القاهرة 1412هـ - 1994م.
- 107 دروس في الكتمان، محمود شيت خطاب، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة العاشرة، 1988م.
- 108 دستور للأمة من القرآن والسنة، د. عبد الناصر العطار، مؤسسة علوم القرآن، الشارقة، الإمارات، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ - 1993م.
- 109 الدعوة الإسلامية، عبد الغفار عزيز.
- 110 دعوة الله بين التكوين والتمكين، د. علي جريشة، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986م.
- 111 دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للحافظ أبي بكر أحمد البيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، 1405هـ.
- 112 دور المرأة في خدمة الحديث، آمال قدراش، كتاب الأمة، الطبعة الأولى، 1420هـ.
- 113 دولة الرسول صلى الله عليه وسلم من التكوين إلى التمكين، كامل سالم الدقنس، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1994م.
- 114 الدولة العربية الإسلامية، منصور الحرabi، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية بليبيا الطبعة الثانية 1983م.
- 115 ديوان أبي بكر الصديق، حققه وشرحه راجي الأسمري، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.
- 116 ديوان شوقي، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، طبعة 1986م.
- 117 ديوان عنترة، فاروق الطباع، دار القلم بيروت، لبنان.  
(ر)
- 118 الرؤى والأحلام في النصوص الشرعية، أسامة عبد القادر.
- 119 الرؤيا ضوابطها وتفسيرها، هشام الحمصي، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، 1417هـ - 1996م.
- 120 رجال الإدارة في الدولة الإسلامية، د. حسين محمد سليمان، دار الإصلاح، الدمام بالسعودية.
- 121 الرحيم المختوم، لصفي الدين عبد الرحمن المباركفورى، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م، مؤسسة الرسالة، لبنان.
- 122 رسالة الأنبياء، عمر أحمد عمر، دار الحكمة دمشق، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

- 123- الرسول القائد، محمود شيت خطاب، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة بغداد الطبعة الثانية، 1960م.
  - 124- الرسول المبلغ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1418هـ- 1997م.
  - 125- الرسول المعلم وأساليبه في التعليم للشيخ عبد الفتاح أبي غدة، دار مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م.
  - 126- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، طبعة 1387هـ.
- (ز)
- 127- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1384هـ- 1965م.
  - 128- زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله ابن القيم حفظه: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر، الطبعة الأولى، 1399هـ، دار الرسالة.
  - 129- زاد اليقين لأبي شنب، لاشين أبو شنب، دار البشير،طنطا، مصر، الطبعة الأولى، 1413هـ- 1993م.
  - 130- الزهد، أحمد بن حنبل، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1412هـ- 1992م.
  - 131- زيد بن ثابت، كاتب الوحى، وجامع القرآن، صفوان داودى، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1411هـ- 1990م.

(س)

- 132- سيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1394هـ- 1974م.
- 133- السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، د. بريشك محمد بريشك، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1417هـ- 1996م.
- 134- السفارات النبوية، د. محمد العقيلي، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986م.
- 135- سفراء الرسول، محمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى، 1417هـ- 1996م.
- 136- سنن الدارقطني: علي بن عمر الدارقطني وأبادى- عالم الكتب- لبنان - دون تاريخ.
- 137- سنن أبي داود: الإمام أبو داود السجستاني، تحقيق وتعليق عزت الدعايس، 1391هـ، سوريا.
- 138- سنن ابن ماجة: الحافظ أبو عبد الله بن زيد القرزويني، دار الفكر.
- 139- سنن الترمذى: الإمام أبو عيسى الترمذى، دار الفكر، 1398هـ.
- 140- سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، مطبعة مصطفى الحليبي القاهرة، 1964م.
- 141- سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1403هـ.
- 142- السير والمغازي لابن إسحاق، تحقق سهيل زكار، دار الفكر، طبعة أولى 1978م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

- 143- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة.
- 144- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صور مقتبسة من القرآن الكريم، تاليف الاستاذ محمد عزة دروزة، عنى بها الاستاذ عبد الله إبراهيم الانصاري، المؤتمر العالمي للسيرة النبوية الدوحة 1400هـ.
- 145- السيرة النبوية، أبو الحسن الندوبي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة 7/1408هـ.
- 146- السيرة النبوية، دراسة تحليلية، محمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.
- 147- السيرة النبوية، للذهبي، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة هلال بيروت.
- 148- السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، الطبعة الأولى 1412هـ / 1992م، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.
- 149- السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى 1412هـ - 1992م.
- 150- السيرة النبوية دروس وعبر، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، 1406هـ - 1986م.
- 151- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1417هـ - 1996م.
- 152- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أجمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م.
- 153- السيرة النبوية لأبي حاتم البستي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م.
- 154- السيرة النبوية، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر، بدون تاريخ.
- 155- السيرة النبوية، لابن كثير، للإمام أبي الفداء إسماعيل، تحقيق مصطفى عبد الواحد، الطبعة الثانية، 1398هـ، دار الفكر بيروت، لبنان.
- 156- السيرة النبوية، لمحمد الصويانى، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.

## (ش)

- 157- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 158- شرح ديوان حسان بن ثابت، ضبطه وصححه عبد الرحمن البرقوقي - دار الأندرس بيروت، بدون تاريخ.
- 159- شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1965م، القاهرة.
- 160- شرح الشفا: نور الدين ملا على قاري - تحقيق حسين مخلوف، مطبعة المدنى - القاهرة - مصر - 1398هـ.
- 161- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق وتعليق وتخرير أحاديث وتقديم د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعب الآرناؤوط، ط 4، 4، 1412هـ - 1992م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 162- شرح المعلقات للحسين الزويني، تحقيق يوسف علي بدوي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1989م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

- 163** شرح المواهب اللدنية للقسطلاني، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار المعرفة، بيروت.
- 164** شرح النووى على صحيح مسلم للإمام النووي المتوفى 676هـ - طبع المطبعة المصرية ومكتبتها - القاهرة عام 1347هـ.
- 165** الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى، الإمام القاضي عياض، استانبول، عثمانية.
- (ص)
- 166** صبح الأعشى في صناعة الانشأ، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1987م.
- 167** الصحابي الشاعر عبد الله بن الربيعي، تأليف محمد علي كاتبي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1999م.
- 168** صحيح البخاري، محمد إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م.
- 169** صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1408هـ - 1988م.
- 170** صحيح السيرة النبوية للطرهوني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى 1414هـ.
- 171** صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1998م.
- 172** صحيح سنن ابن ماجة: ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1988م.
- 173** صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، 1347هـ - 1929م.
- 174** صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان الطبعة الثانية، 1972م.
- 175** الصراع مع الصلبيين، محمد عبد القادر أبو فارس، دار البشير، طنطا، طبعة عام 1419هـ - 1999م.
- 176** الصراع مع اليهود، محمد أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م.
- 177** صفة الصفوة لابن الجوزي، تحقيق: محمود خوري، ومحمد قلعجي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية 1399هـ.
- 178** صفة الغرياء، سلمان العودة، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، 1412هـ - 1991م.
- 179** صفة التفاسير للصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1401هـ.
- 180** صلاح الدين الأيوبي، عبد الله علوان.
- 181** صلح الحديبية، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1973م - 1393هـ.
- 182** صور من حياة الرسول، أمين دويدار، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخيرة من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

- 183 صور وعبر من الجهاد النبوى في المدينة، تأليف: د. محمد فوزي فيض الله، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1996م.

(ض)

- 184 ضوابط المصلحة، محمد رمضان سعيد البوطى، مؤسسة الرسالة ط 4، سنة 1402هـ.

(ط)

- 185 الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع، محمد بن العثيمين، غزوة أحد.

- 186 طبقات الشعراء الجاهلين والإسلاميين، أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله الجمحي بدون معلومات نشر.

- 187 طبقات ابن سعد الكبرى، محمد بن سعد الزهرى، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، 1376هـ - 1957م.

- 188 طريق النبوة والرسالة، د. حسين مؤنس، دار الرشاد، الطبعة الثانية، 1418هـ - 1997م.

- 189 الطريق إلى المدائن، عادل كمال، دار النفائس، بيروت، لبنان الطبعة الخامسة، 1407هـ - 1987م.

- 190 الطريق إلى المدينة، محمد العبد، دار الجوهرة، عمان، الطبعة الثانية، 1999م.

- 191 الطريق إلى جماعة المسلمين، حسين بن محسن بن علي جابر، دار الوفاء بالمنصورة في مصر الطبعة الخامسة، 1413هـ - 1992م.

(ظ)

- 192 ظاهرة الإرقاء، سفر الحوالى، مكتبة الطيب، الطبعة الأولى، 1417هـ، القاهرة، مصر.

(ع)

- 193 العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوى، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية عشرة، 1405هـ - 1985م.

- 194 عبد الله بن مسعود، عبد الستار الشيخ، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية 1410هـ - 1990م.

- 195 العقيرية العسكرية في غزوات الرسول، محمد فرج، دار الفكر العربي، القاهرة الطبعة الثالثة، سنة 1977م.

- 196 عقيدة أهل السنة في الصحابة، د. ناصر حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م.

- 197 علاج القرآن الكريم للجريمة، د. عبد الله الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ.

- 198 العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، د. سعيد عبد الله حارب المهيري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1995م.

- 199 علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية، د. سعاد الصالح، الناشر: تهامة جدة، الطبعة الأولى، 1401هـ.

- 200 عمدة التفسير (مختصر ابن كثير) الشيخ أحمد شاكر، مكتبة التراث الإسلامي، 1991م.

- 201 عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني.  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين الأولى من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

- 202- العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمري، دار العاصمة، الطبعة الأولى، 1413هـ.
- 203- عون المعبود، شرح سنن أبي داود، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر بيروت.
- 204- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس، دار المعرفة، بيروت.

(غ)

- 205- الغرباء الأولون، سلمان العودة، الطبعة الثالثة، دار ابن الجوزي، الدمام السعودية عام 1412هـ - 1991م.
- 206- غزوة أحد، أحمد عز الدين.
- 207- غزوة أحد دراسة دعوية، محمد عيطة بن سعيد بن مذحج، دار إشبيليا، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.
- 208- غزوة أحد لأبي فارس، محمد عبد القادر أبو فارس، ط1، 1402هـ - 1982م، دار الفرقان، عمان - الأردن.
- 209- غزوة الأحزاب، محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، 1403هـ - 1983م.
- 210- غزوة الأحزاب، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، الطبعة الخامسة، 1397هـ - 1977م.
- 211- غزوة بدر الكبرى الحاسمة، محمود خطاب.
- 212- غزوة بدر الكبرى، محمد أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى، 1402هـ - 1982م.
- 213- غزوة بدر الكبرى، محمد أحمد باشميل، طبعة دار الفكر، الطبعة السادسة، سنة 1394هـ.
- 214- غزوة تبوك، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، بيروت.

(ف)

- 215- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- 216- الفتح الرباني للساعاتي، أحمد عبد الرحمن الساعاتي، في ترتيب مسنده الإمام أحمد، أحمد عبد الرحمن الساعاتي، مطبعة الفتح الرباني بالقاهرة، الطبعة الأولى.
- 217- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرایة، من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر.
- 218- الفصل في الملل والنحل، لابن حزم، مكتبة السلام العالمية.
- 219- فصول في السيرة النبوية، عبد المنعم السيد.
- 220- فقه الإسلام، شرح بلوغ المرام، لفضيلة الشيخ عبد القادر شيبة الحمد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، عام 1403هـ.
- 221- فقه الابتلاء محمد أبو صعيديك، دار البيارق، عمان - بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.
- 222- فقه التمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصلايبي، دار البيارق، عمان، الطبعة الأولى، 1999م.
- 223- فقه الدعوة إلى الله، عبد الحليم محمود، دار الوفاء، الطبعة الأولى،

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

- + +
- 1410هـ - 1990م . فقه الدعوة الفردية، د. سيد محمد نوح، دار اقرأ، صنعاء.
- 224 فقه الزكاة للقرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الحادية والعشرون، 1414هـ - 1994م.
- 225 الفقه السياسي للوثائق النبوية، خالد الفهداوي، دار عمار، الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م.
- 226 فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث مكة المكرمة.
- 227 فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الحادية عشرة، دار الفكر، دمشق - سوريا، 1991م.
- 228 فقه السيرة للغزالى، دار القلم، دمشق، سوريا الطبعة الرابعة، 1409هـ - 1989م.
- 229 فلسفة التربية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، مكتبة هادي، مكة المكرمة، طبعة عام 1409هـ.
- 230 الفوائد لابن القيم، محمد بن أبي يكر بن قيم الجوزية، دار الريان للتراجم، القاهرة مصر، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م.
- 231 في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحمامة، الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد، وزارة الأوقاف بدولة قطر الطبعة الأولى، رجب 1417هـ.
- 232 في ظلال السيرة النبوية، الهجرة النبوية، الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان،الأردن، الطبعة الثانية، 1408هـ - 1988م.
- 233 في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة التاسعة، 1400هـ - 1980م.
- (ق)
- 234 القاموس المحيط، مجد الدين محمد الفيروزآبادي، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، بمصر، الطبعة الثانية 1371هـ - 1952م.
- 235 قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعي، دار النفائس بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1416هـ - 1996م.
- 236 قصيدة بانت سعاد لکعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، تأليف د. السيد إبراهيم محمد، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986م.
- 237 قضايا في المنهج، سلمان العودة، دار مكتبة القدس، الطبعة الثالثة، 1420هـ - 1999م.
- 238 قضايا نساء النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنات، حفصة بنت عثمان الخليفي، دار المسلم، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.
- 239 قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (660هـ) المكتبة الحسينية المصرية، بحوار الأزهر، الطبعة الأولى، 1353هـ - 1934م.
- 240 القول المبين في سيرة سيد المرسلين، د. محمد الطيب النجار، دار اللواء، الرياض، 1401هـ - 1981م.
- 241 قيادة الرسول السياسية والعسكرية، أحمد راتب عمروش، دار النفائس، الطبعة الأولى 1419هـ - 1989م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

- 243- القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار القلم، الطبعة الأولى، 1410هـ- 1990م.
- (ك)
- 244- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر، بيروت.
- (ل)
- 245- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.
- 246- لقاء المؤمنين، عدنان النحوي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض - السعودية، الطبعة الثالثة، 1405هـ- 1985م.
- (م)
- 247- مازا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوبي، دار المعارف الطبعة السابعة، 1408هـ- 1988م.
- 248- المال في القرآن الكريم، سليمان الحصين، دار المراجعة الدولية، الطبعة الأولى، 1415هـ- 1995م.
- 249- مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، الطبعة الثانية، 1416هـ- 1996م.
- 250- مباحثات في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، سوريا.
- 251- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعرفة، الرياض، الطبعة الثامنة، 1401هـ- 1981م.
- 252- مبادئ علم الإدارة، محمد نور الدين عبد الرزاق، مكتبة الخدمات الحديثة، جدة السعودية، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- 253- مبادئ نظام الحكم في الإسلام، عبد الحميد متولي، دار المعرفة، الطبعة الأولى.
- 254- الميسوط، شمس الدين السرخسي، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى.
- 255- المجتمع المدني في عهد النبوة، د. أكرم العمري، الطبعة الأولى 1404هـ- 1984م.
- 256- مجلة المجتمع الكويتية، عدد رقم 248، 17 صفر 1399هـ.
- 257- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي يكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثالثة، سنة 1402هـ- 1982م.
- 258- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد قاسم الغاصمي التجدي، المكتب التعليمي السعودي بال المغرب.
- 259- مجموعة الوثائق السياسية، لمحمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة، 1405هـ- 1985م.
- 260- محسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت.
- 261- المحرر الوحيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، أبي محمد بن عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب طبعة 1395هـ.
- 262- محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون، دار القلم، الطبعة الثانية، 1415هـ- 1995م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

- 263- محمد رسول الله، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975م.
- 264- محة المسلمين في العهد المكي، د. سليمان السويكت، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1412هـ-1992م.
- 265- المختار من كنوز السنة، محمد عبد الله دراز، دار الأنصار القاهرة، الطبعة الثانية 1978م.
- 266- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة، ابن قيم الجوزية، اختصره محمد الموصلي، مكتبة الرياض الحديثة.
- 267- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، محمد بن عبد الوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- 268- مختصر صحيح مسلم للحافظ زكي المنذري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق الطبعة الثالثة، سنة 1397هـ-1977م.
- 269- المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية، محمد جمال الدين علي محفوظ، مطابع الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة.
- 270- مدخل لفهم السيرة، د. يحيى اليحيى، أخذها المؤلف من صاحب الكتاب قبل أن يطبعها.
- 271- المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس، دار الفرقان، عمان.
- 272- المدينة المنورة فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد حسين شراب، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى 1415هـ-1994م.
- 273- المرأة في العهد النبوي، د. عصمة الدين كركر، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى 1993م.
- 274- مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته وأثره على الأمة، خالد أبو صالح، دار الوطن، الطبعة الأولى، 1414هـ.
- 275- مرويات غزوة أحد، حسين أحمد الباكري، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية، إشراف، د. أكرم العمري، عام 1399هـ.
- 276- مرويات غزوة الحديبية، د. حافظ الحكمي، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، 1411هـ-1991م.
- 277- مرويات غزوة بدر، أحمد باوزير، مكتبة طيبة، الطبعة الأولى 1400هـ-1980م.
- 278- مرويات غزوة بنى المصطلق، إبراهيم القربي، طبع المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، عام 1402هـ.
- 279- مساجد القاهرة ومدارسها، أحمد فكري، طبعة الإسكندرية، 1961م.
- 280- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله النسابوري بذيله التلخيص للذهبي، دار النشر مكتب المطبوعات الإسلامية، طبعة سنة 1390هـ-1970م.
- 281- المستشفيات الإسلامية، د. عبد الله عبد الرزاق، مسعود العبد، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان،الأردن الطبعة الأولى، 1408هـ-1987م.
- 282- المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين الأ بشيهي، مكتبة الحياة، بيروت.
- 283- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.
- 284- المسلمون والروم في عصر النبوة، عبد الرحمن أحمد سالم، دار الفكر هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

- العربي، طبعة 1418هـ- 1997م.
- 285 مسند أبي يعلي الموصلي، الحافظ أحمد بن علي التميمي - دار المامون للتراث - دمشق - دمشق، بيروت، ط 1.
- 286 المسند، أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت.
- 287 المشروع الإسلامي لنهضة الأمة قراءة في فكر حسن البنا، لمجموعة من الباحثين.
- 288 مشكاة المصايخ، الخطيب التبرizi المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، 1381هـ- 1961م.
- 289 مصعب بن عمير، الداعية المحاهد، محمد حسن بريغش، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، 1407هـ- 1987م.
- 290 مصنف عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الزراق بن همام الصناعي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى.
- 291 المطالب العالمية إِبْرَاهِيمُ الْمَسَانِيدُ الثَّمَانِيَّةُ: أَحْمَدُ حَمْرُ الْعَسْقَلَانِيُّ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- 292 معارك خالد بن الوليد، د. ياسين سويد، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، الطبعة الرابعة، 1989م.
- 293 معالم قرآنية في الصراط مع اليهود، د. مصطفى مسلم محمد، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ- 1994م.
- 294 المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، د. محمد الديك، ، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1418هـ- 1997م.
- 295 معجم البلدان، الياقوت الحموي، دار صادر، دار بيروت، 1404هـ- 1984م.
- 296 معجم الطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني، دار العربية، بغداد، 1398هـ.
- 297 المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، م: 260هـ- ت 360هـ، دار مكتبة العلوم والحكم، طبعة 2، 1406هـ- 1985م.
- 298 معركة الوجود بين القرآن والتلمود، عبد الستار فتح الله سعيد، مكتبة المدار.
- 299 المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبي و موقف الإسلام منها، د. سميرة محمد جمجم، دار المجتمع جدة، الطبعة الأولى، 1407هـ- 1987م.
- 300 المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، للزهري، دار الفكر، دمشق، 1401هـ- 1981م.
- 301 مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، عروة بن الزبي، تحقيق: د. محمد الأعظمي، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، 1401هـ- 1981م.
- 302 المغازي للواقدي، محمد عمر بن واقد المتوفي 207هـ، تحقيق د. مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ- 1984م.
- 303 مقاهم ينفي أن تصح، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1413هـ- 1993م.
- 304 المفصل في أحكام النساء، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1413هـ- 1993م.
- 305 مقاصد الشريعة الإسلامية، د. محمد سعد اليوبي، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ- 1998م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

- 306 المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، ط٢، سنة 1415هـ - 1993م، الرياض.
- 307 مقدمة ابن الصلاح وشرحها، للحافظ العراقي، طبع دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- 308 مقدمة ابن خلدون، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون، ط، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة بدون تاريخ.
- 309 مقومات إلداعية الناجح، د. علي بادحدح، دار الأندرس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م.
- 310 مقومات السفراء في الإسلام، حسن فتح الباب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة 1970م.
- 311 مقومات النصر، د. أحمد أبو الشباب، المكتبة العصرية، لبنان 1420هـ - 1999م.
- 312 مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول للأستاذ أحمد الشريف.
- 313 ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، عدنان النحوي، الطبعة الثانية.
- 314 من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1413هـ - 1992م.
- 315 من هدي سورة الأنفال، محمد أمين المصري، طبع مكتبة دار الأرقم، الكويت.
- 316 المناقون، محمد جميل غازي، مكتبة المدنى ومطبعتها، جدة، السعودية 1972م.
- 317 منامات الرسول صلى الله عليه وسلم، عبد القادر الشيخ إبراهيم، دار القلم العربي، بحلب، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1999م.
- 318 مناهج وأداب الصالحة في التعليم والتعليم، د. عبد الرحمن البر، دار اليقين المنصورة، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.
- 319 المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج بن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- 320 منهاج السنة النبوية، لابن تيمية مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1986م.
- 321 منهاج القرآني في التشريع، عبد الستار فتح الله سعيد، مطبع دار الطباعة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1992م.
- 322 منهاج الإعلام الإسلامي في صلح الحدبية، سليم حجازي، دار المنارة، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986م.
- 323 منهاج الإسلام في تزكية النفس، د. أنس أحمد كرزون، دار نور المكتبات، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، 1418هـ - 1997م.
- 324 منهاج التربية للسيرة النبوية- التربية الجهادية، منير الغضبان، مكتبة المنار، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م.
- 325 منهاج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الخامسة، 1403هـ - 1983م.
- 326 منهاج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، مكتبة المنار، الأردن الطبعة الثالثة 1411هـ - 1990م.

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخير من رمضان وعيد الفطر 1426

هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

- 327 منهج الرسول في غرس الروح الجهادية في نفوس الصجابة، السيد محمد نوح، نشرته جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م.
- 328 الموازنة بين ذوق السماع وذوق الصلاة والقرآن، للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق: مجدي فتحي السيد.
- 329 المواقف في أصول الشريعة، لأبي إسحاق إبراهيم موسى اللخمي الشهير بالشاطبي، دار الفكر، 1341هـ.
- 330 الموسوعة في سماحة الإسلام، محمد الصادق عرجون، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة ط الثانية 1404هـ - 1984م

## (ن)

- 331 نشأة الدولة الإسلامية، د. عون الشريف قاسم، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط 2، 1400هـ - 1980م.
- 332 نصب الراية في أحاديث الهدایة، بحاشية بغية الألمعي في تخرج الزيلعي، عبد الله ابن يوسف بن محمد الزيلعي، المكتب الإسلامي، دمشق، 1393هـ.
- 333 نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن حميد، دار الوسيلة، الطبعة الأولى 1418هـ.
- 334 نظام الحكم، في الشريعة والتاريخ الإسلامي، طاfer القاسمي، دار النفائس، الطبعة السادسة، 1411هـ - 1990م.
- 335 نظام الحكومة النبوية المسمى التراثيب الإدارية، محمد عبد الحي الكتاني، دار الأرقام، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.
- 336 النظام السياسي في الإسلام، محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الثانية 1407هـ - 1986م.
- 337 نظرات في رسالة التعاليم، محمد عبد الله الخطيب، محمد عبد الحليم حامد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر 1995.
- 338 نظرات في السيرة للإمام حسن البنا، سجلها وأعدتها للنشر أحمد عيسى عاشور، مكتبة الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1399هـ - 1979م.
- 339 نقوس ودروس في إطار التصوير القرآني، توفيق محمد سبع، مجمع البحوث الإسلامية القاهرة، مصر الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- 340 النكت والعيون (تفسير الماوردي)، لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي، تحقيق خضر محمد خضر - نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والتراجم الإسلامي، بالكويت.
- 341 النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمد محمد الطناحي ط / المكتبة الإسلامية 1385هـ.
- 342 نور اليقين، محمد الخضري، دار القلم، دمشق، سوريا.
- 343 نيل الأوطار، شرح منتقة الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، محمد بن علي الشوكاني، دار الحديث، القاهرة.
- 344 الهجرة الأولى في الإسلام، د. سليمان العودة، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1419هـ.

## (ه)

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأخيرة من رمضان وعيد الفطر 1426هـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة  
libya-web.net - info@libya-web.net

- 345 هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة، أحمد عبد الغني النجولي الجمل، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 1409هـ-1989م.
- 346 الهجرة النبوية المباركة، د. عبد الرحمن البر، دار الكلمة، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.
- 347 الهجرة في القرآن الكريم، أحرزمي سامعون جزولي، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م.
- 348 هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب، لأبي بكر الجزائري، مكتبة لينة.
- 349 هذا الدين، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، 1412هـ-1992م.

(و)

- 350 واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، جدة الطبعة الثانية، 1408هـ-1987م.
- 351 الوحي والرسالة، د. يحيى اليحيى، أخذت من المؤلف صورة قبل الطبع.
- 352 الوسطية في القرآن الكريم، علي محمد الصلايبي، دار النفائس، دار البيارق، الطبعة الأولى، 1419هـ-1999م.
- 353 وفاء الوفا بأخبار المصطفى، أبو الحسن بن عبد الله السمهوري، دار المصطفى، طبعة القاهرة، 1326هـ.
- 354 الوفود في العهد المكي وأثره الإعلامي، لعلي رضوان أحمد الأسطل، دار المنار،الأردن عمان الطبعة الأولى 1404هـ-1984م.
- 355 وقوفات تربوية مع السيرة النبوية، أحمد فريد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، 1417هـ-1997م.
- 356 وقوفات تربوية من السيرة النبوية، عبد الحميد البلاي، المنار، الكويت، الطبعة الثالثة، 1411هـ-1991م.
- 357 الولاء والبراء في الإسلام، محمد سعيد الفحطان، دار طيبة الرياض، الطبعة السادسة، 1413هـ.
- 358 ولادة الشرطة في الإسلام، نمر محمد الحميداني، دار عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1414هـ-1994م.

(ي)

- 359 يقطة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر الجنة والنار، لصديق حسن.
- 360 اليهود في السنة المطهرة، د. عبد الله الشقاري، دار طيبة، الرياض، طبعة أولى، 1417هـ-1996م.
- 361 اليوم الآخر في الجنة والنار، د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثانية، 1408هـ-1988م.

\* \* \*

# فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
--------	---------

## الفصل الثامن

### غزوة بدر الكبرى

<b>المبحث الأول: مرحلة ما قبل المعركة.....</b>	<b>أولاً: بعض الحوادث في أثناء المسير إلى بدر .....</b> <b>ثانياً: العزم على ملاقة المسلمين ببدر .....</b> <b>ثالثاً: مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه.....</b> <b>رابعاً: المسير إلى لقاء العدو وجمع المعلومات عنه .....</b> <b>خامساً: مشورة الحباب بن المنذر في بدر .....</b> <b>سادساً: الوصف القرآني لخروج المشركين .....</b> <b>سابعاً: موقف المشركين لما قدموا إلى بدر .....</b>
<b>المبحث الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون في ساحة المعركة.....</b>	<b>أولاً: بناء عريش القيادة .....</b> <b>ثانياً: من نعم الله على المسلمين قبل القتال .....</b> <b>ثالثاً: خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في المعركة .....</b>
<b>المبحث الثالث: نشوب القتال وهزيمة المشركين.....</b>	<b>أولاً: إمداد الله للMuslimين بالملائكة .....</b> <b>ثانياً: انتصار المسلمين على المشركين وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل القليب .....</b>
<b>المبحث الرابع: مشاهد وأحداث من المعركة.....</b>	<b>أولاً: مصارع الطغاة .....</b> <b>ثانياً: من مشاهد العظمة .....</b>
<b>المبحث الخامس: الخلاف في الأنفال والأسرى.....</b>	<b>أولاً: الخلاف في الأنفال .....</b> <b>ثانياً: الأسرى .....</b>
<b>المبحث السادس: نتائج غزوة بدر ومحاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم .....</b>	<b>أولاً: نتائج غزوة بدر .....</b> <b>ثانياً: محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم وإسلام عمير بن وهب .....</b>
<b>المبحث السابع: بعض الدروس والعبر والفوائد من غزوة بدر .....</b>	<b>أولاً: حقيقة النصر من الله تعالى .....</b>

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

- ثانياً: يوم الفرقان .....  
 ثالثاً: الولاء والبراء من فقه الإيمان .....  
 رابعاً: المعجزات التي ظهرت في بدر وما حولها .....  
 خامساً: حكم الاستعانة بالمشرك .....  
 سادساً: حذيفة بن اليمان وأسيد بن الحصير رضي الله عنهم .....  
 سابعاً: الحرب الإعلامية في بدر .....  
**المبحث الثامن: أهم الأحداث التي وقعت بين غزوتي بدر واحد** .....  
**أولاً: الغزوات التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر وقبل أحد** .....  
 ثانياً: غزوةبني قينقاع .....  
 ثالثاً: تصفية المحرضين على الدولة الإسلامية، مقتل كعب بن الأشرف .....  
 رابعاً: بعض المناسبات الاجتماعية .....

### الفصل التاسع غزوة أحد

- المبحث الأول: أحداث ما قبل المعركة** .....  
 أولاً: أسباب الغزوة .....  
 ثانياً: خروج قريش من مكة إلى المدينة .....  
 ثالثاً: الاستخبارات النبوية تتبع حركة العدو .....  
 رابعاً: مشاورته صلى الله عليه وسلم لأصحابه .....  
 خامساً: خروج جيش المسلمين إلى أحد .....  
 سادساً: خطة الرسول صلى الله عليه وسلم لمواجهة كفار مكة .....  
**المبحث الثاني: في قلب المعركة** .....  
 أولاً: بدء القتال واستداؤه وبواحد الانتصار للمسلمين .....  
 ثانياً: مخالفة الرماة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم .....  
 ثالثاً: خطة الرسول في إعادة شتات الجيش .....  
 رابعاً: من شهداء أحد .....  
 خامساً: من دلائل النبوة .....  
**المبحث الثالث: أحداث ما بعد المعركة** .....  
 أولاً: حوار أبي سفيان مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .....  
 ثانياً: تفقد الرسول صلى الله عليه وسلم الشهداء .....  
 ثالثاً: دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد .....  
 رابعاً: معرفة وجهة العدو .....  
 خامساً: غزوة حمراء الأسد .....  
 سادساً: مشاركة نساء المسلمين في معركة أحد .....

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

- سابعاً: دروس في الصبر تقدمها صحابيات للأمة .....  
**المبحث الرابع: بعض الدروس وال عبر والفوائد**  
أولاً: تذكير المؤمنين بالسنن ودعوتهم للعلو الإيماني .....  
ثانياً: تسلية المؤمنين وبيان حكمة الله فيما وقع يوم أحد .....  
ثالثاً: كيفية معالجة الأخطاء .....  
رابعاً: ضرب المثل بالمجاهدين السابقين .....  
خامساً: مخالفة ولی الأمر تسبب الفشل لجنوده .....  
سادساً: خطورة إثارة الدنيا على الآخرة .....  
سابعاً: التعلق والارتباط بالدين .....  
ثامناً: معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للرماة الذين أخطأوا  
والمنافقين الذين أنخذلوا .....  
تاسعاً: أحد جبل نحبه ويحبنا .....  
عاشرًا: الملائكة في أحد .....  
الحادي عشر: قوانين النصر والهزيمة من سورة الأنفال وآل عمران .....  
الثاني عشر: فضل الشهداء وما أعده الله لهم من نعيم مقيم .....  
الثالث عشر: الهجوم الإعلامي على المشركين .....

### الفصل العاشر

#### **أهم الأحداث ما بين أحد والخندق**

- المبحث الأول: محاولات المشركين لزعزعة الدولة الإسلامية**  
أولاً: طمع بنى أسد في الدولة الإسلامية .....  
ثانياً: خالد بن سفيان الهمذاني وتصدي عبد الله بن أبيس له .....  
ثالثاً: غدر قبيلتي عضل والقارة، وفاجعة الرجيع .....  
رابعاً: طمع عامر بن الطفيلي في المسلمين وفاجعة بئر معونة (4هـ)  
**المبحث الثاني: زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم المساكين، وأم سلمة وأحداث متفرقة**  
أولاً: زينب بنت خزيمة أم المساكين رضي الله عنها .....  
ثانياً: زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم سلمة رضي الله عنها .....  
ثالثاً: مولد الحسن بن علي ھ .....  
رابعاً: زيد بن ثابت ھ يتعلم لغة اليهود سنة 4هـ .....  
**المبحث الثالث: أجلاء يهودبني النصیر**  
أولاً: تاريخ الغزوة وأسبابها .....  
ثانياً: إنذاربني النصیر بالجلاء وحصارهم .....  
ثالثاً: الدروس وال عبر في هذه الغزوة .....  
**المبحث الرابع: غزوة ذات الرفاع**  
أولاً: تاريخها وأسبابها ولماذا سميت ذات الرفاع؟ .....

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426ھ

٥

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

ثانياً: صلاة الخوف، وحراسة التغور .....  
 ثالثاً: شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاملته لجابر بن عبد الله.

### **المبحث الخامس: غزوة بدر الموعد ودومة الجندي**

أولاً: غزوة بدر الموعد .....  
 ثانياً: دومة الجندي .....  
**المبحث السادس: غزوة بنى المصطلق**

أولاً: من هم بنو المصطلق ومتى وقعت الغزوة وأسبابها؟ .....  
 ثانياً: زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها .....  
 ثالثاً: محاولة المنافقين في هذه الغزوة الفتنة بين المهاجرين والأنصار

رابعاً: توجيه القرآن الكريم للمجتمع الإسلامي في أعقاب غزوة بنى المصطلق .....  
 خامساً: محاولة المنافقين الطعن في عرض النبي صلى الله عليه وسلم

بالاقتراء على عائشة رضي الله عنها بما يعرف بحديث الإفك. .....  
 سادساً: أهم الآداب والأحكام التي تؤخذ من آيات الإفك. .....  
 سابعاً: فوائد وأحكام دروس من حادثة الإفك وغزوة بنى المصطلق.

### **الفصل الحادي عشر**

#### **غزوة الأحزاب**

##### **المبحث الأول: تاريخ الغزوة، وأسبابها، وأحداثها**

أولاً: تاريخ الغزوة وأسبابها .....  
 ثانياً: متابعة المسلمين للأحزاب .....  
 ثالثاً: اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالجبهة الداخلية .....  
**المبحث الثاني: اشتداد المحنـة بالـمسلمـين**

أولاً: نقص يهودبني قريطة العهد ومحاـولة ضـربـ المسلمينـ منـ الخـلف .....  
 ثانياً: تشـديدـ الحـصارـ عـلـىـ الـمـسـلـمـينـ وـانـسـحـابـ الـمـنـافـقـينـ وـنـشـرـهـمـ الـأـراـجـيفـ .....  
 ثالثاً: مـحاـولةـ النـبـيـ صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ تـخـفـيفـ حـدـةـ الـحـصارـ بـعـقـدـ

صلـحـ معـ غـطـفـانـ وـبـثـ الإـشـاعـاتـ فـيـ صـفـوـفـ الـأـعـدـاءـ .....  
**المبحث الثالث: مجيء نصر الله والوصف القرآني لغزوة الأحزاب**

أولاً: شدة تضرع الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل النصر .....  
 ثانياً: تحري انصراف الأحزاب .....  
 ثالثاً: الوصف القرآني لغزوة الأحزاب ونتائجها .....  
 هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

- رابعاً: التخلص من بني قريطة .....  
**المبحث الرابع: فوائد دروس وعبر**  
أولاً: المعجزات الحسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .....  
ثانياً: بين التصور والواقع .....  
ثالثاً: سلمان من أهل البيت .....  
رابعاً: الصلاة الوسطى .....  
خامساً: الحلال والحرام .....  
سادساً: شجاعة صفية عمة الرسول صلى الله عليه وسلم .....  
سابعاً: عدم صحة ما يروي عن جبن حسان ١ .....  
ثامناً: أول مستشفى إسلامي حربي .....  
تاسعاً: المسلم يقع في الإثم ولكنه يسارع في التوبة .....  
عاشرًا: من فضائل سعد بن معاذ ٢ .....  
حادي عشر: مقتل حبي بن أخطب، وكعب بن أسد .....  
ثاني عشر: شفاعة ثابت بن قيس في الزبير بن باطما اليهودي  
وسلمي  
بنت قيس في رفاعة بن شموال

- ثالث عشر: من أدب الخلاف .....  
رابع عشر: توزيع غنائم بني قريطة وإسلام ريحانة بنت عمرو .....  
خامس عشر: الإعلام الإسلامي في غزوة الأحزاب .....  
**الفصل الثاني عشر**

- ما بين غزوة الأحزاب والحدبية وأحداث مهمة**  
**المبحث الأول: زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت حتشب رضي الله عنها**  
أولاً: اسمها ونسبها .....  
ثانياً: زواجها من زيد بن حارثة رضي الله عنها .....  
ثالثاً: طلاق زيد لزینب رضي الله عنها .....  
رابعاً: الحكمة من زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زینب  
خامسًا: قصة زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زینب وما فيها  
من دروس وعبر .....  
**المبحث الثاني: الآن نغزوهم ولا يغزوننا**

- أولاً: سرية محمد بن مسلمة إلى بني القرطاء .....  
ثانياً: سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر .....  
ثالثاً: سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل .....  
رابعاً: تأديب الغادرين: غزوة بني لحيان، وغزوة الغابة وغيرهما ....

- خامسًا: سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنين .....  
**المبحث الثالث: تصفية المحرضين على الدولة**  
أولاً: سرية عبد الله بن عتيك لقتل سلام بن أبي الحقيق .....  
ثانياً: سرية عبد الله بن رواحة إلى اليسير بن رزام اليهودي .....  
**الفصل الثالث عشر**

### الفتح المبين (صلح الحديبية)

- المبحث الأول: تاريخه وأسبابه ومخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة**  
أولاً: تاريخه وأسبابه .....  
ثانياً: وصول النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان .....  
ثالثاً: الرسول يغير الطريق وينزل الحديبية .....  
رابعاً: ما خللت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حاجس الفيل .....  
خامسًا: السفارة بين الرسول وقريش .....  
سادسًا: الوفود النبوية إلى قريش ووقوع بعض الأسرى في يد المسلمين .....  
سابعاً: بيعة الرضوان .....  
**المبحث الثاني: صلح الحديبية وما ترتيب عليه من أحداث**  
أولاً: مفاوضة سهيل بن عمرو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .....  
ثانياً: موقف أبي جندل والوفاء بالعهد .....  
ثالثاً: احترام المعارضة النزية .....  
رابعاً: التحلل من العمرة ومشورة أم سلمة رضي الله عنها .....  
خامسًا: العودة إلى المدينة ونزول سورة الفتح .....  
سادسًا: أبو بصير في المدينة وقيادته لحرب العصابات .....  
سابعاً: امتناع النبي صلى الله عليه وسلم عن رد المهاجرات .....  
**المبحث الثالث: دروس وعبر وفوائد**  
أولاً: أحكام تتعلق بالعقيدة .....  
ثانياً: أحكام فقهية وأصولية .....  
ثالثاً: أنموذج من التربية النبوية .....  
**الفصل الرابع عشر**

### أهم الأحداث ما بين الحديبية وفتح مكة

- المبحث الأول: غزوة خير**  
أولاً: تاريخها وأسبابها .....  
ثانياً: مسيرة الجيش الإسلامي إلى خير .....  
ثالثاً: وصف تساقط حصن خير .....  
رابعاً: الأعرابي الشهيد، والراعي الأسود، وبطل إلى النار .....  
هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشرين من رمضان وعيد الفطر 1426

٥

- خامسًا: قدوم جعفر بن أبي طالب ومن معه من الحبشة .....  
 سادسًا: تقسيم الغنائم .....  
 سابعًا: زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفية بنت حبي بن أخطب .....  
 ثامنًا: محاولة أثيمية لليهود، الشاة المسمومة .....  
 تاسعًا: الحاج بن علاظ السلمي وإرجاع أمواله من مكة .....  
 عاشرًا: بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالغزوة .....  
**المبحث الثاني: دعوة الملوك والأمراء** .....  
 أولًا: كان صلح الحديبية إيزداناً ببداية المد الإسلامي .....  
 ثانياً: دروس وعبر وفوائد .....  
**المبحث الثالث: عمرة القضاء** .....  
 أولًا: الحيطنة والحدر من غدر قريش .....  
 ثانياً: دخول مكة والطواف والسعى .....  
 ثالثاً: زواجه من أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث .....  
 رابعًا: التحاق بنت حمزة بن عبد المطلب بركب المسلمين .....  
 خامسًا: أثر عمرة القضاء على الجزيرة وإسلام خالد بن الوليد .....  
 وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة .....  
 .....

#### **المبحث الرابع: سرية مؤته 8 هـ**

- أولاً: أسبابها وتاريخها .....  
 ثانياً: وداع الجيش الإسلامي .....  
 ثالثاً: الجيش يصل إلى معان واستشهاد الأمراء الثلاثة .....  
 رابعاً: المسلمين يختارون خالد بن الوليد قائداً .....  
 خامسًا: معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم و موقف أهل المدينة من الجيش .....  
 سادسًا: دروس و عبر و فوائد .....  
**المبحث الخامس: سرية ذات السلاسل** .....

#### **الفصل الخامس عشر**

#### **غزوة فتح مكة (8 هـ)**

#### **المبحث الأول: أسبابها والاستعداد للخروج والمشروع فيه**

- أولاً: أسبابها .....  
 ثانياً: الاستعداد للخروج .....  
 ثالثاً: المشروع في الخروج وأحداث في الطريق .....  
**المبحث الثاني: خطة النبي صلى الله عليه وسلم لدخول مكة وفتحها** .....  
 .....

هدية الشبكة الليبية والكاتب بمناسبة العشر الأواخر من رمضان وعيد الفطر 1426

ـ ٥ـ

مع الدعاء بحسن الاستفادة

libya-web.net - info@libya-web.net

- أولاً: توزيع المهام بين قادة الصحابة .....  
 ثانياً: دخول خاشع متواضع، لا دخول فاتح متعال .....  
 ثالثاً: إعلان العفو العام .....  
 رابعاً: بعث خالد بن الوليد إلىبني خزيمة .....  
 خامساً: هدم بيوت الأوثان .....  
**المبحث الثالث: دروس وعبر وفوائد** .....  
 أولاً: مواقف دعوية وقدرة رفيعة في التعامل مع النفوس .....  
 ثانياً: أتكلمني في حد من حدود الله؟ .....  
 ثالثاً: أجرنا من أجرت يا أم هانئ .....  
 رابعاً: إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين .....  
 خامساً: المحيا محياكم والممات مماتكم .....  
 سادساً: إسلام عبد الله بن الزبيري شاعر قريش .....  
 سابعاً: من الأحكام الشرعية التي تؤخذ من الغزوة ومكان نزول الرسول **صلى الله عليه وسلم** بمكة .....  
 ثامناً: من نتائج فتح مكة .....

### الفصل السادس عشر

#### غزوة حنين والطائف ٨٥

- المبحث الأول: أسبابها وأحداث المعركة** .....  
 أولاً: أهم أحداث غزوة حنين .....  
 ثانياً: مطاردة فلول الفارين إلى أوطاس والطائف .....  
**المبحث الثاني: فقه الرسول **صلى الله عليه وسلم** في التعامل مع النفوس** .....  
**المبحث الثالث: دروس وعبر وفوائد** .....  
 أولاً: تفسير الآيات التي نزلت في غزوة حنين .....  
 ثانياً: أسباب الهزيمة وعوامل النصر في حنين .....  
 ثالثاً: الأحكام المستنبطة من غزوة حنين والطائف .....  
 رابعاً: مواقف لبعض الصحابة والصحابيات .....  
 خامساً: إسلام كعب بن زهير - الشاعر - والهيمنة الإعلامية على الجزيرة .....  
 سادساً: من نتائج غزوة حنين والطائف .....  
**المبحث الرابع: أهم الأحداث ما بين حنين وتبوك** .....  
 أولاً: ترتيب استيفاء الصدقات .....  
 ثانياً: أهم السرايا في هذه المرحلة .....  
 ثالثاً: إسلام عدي بن حاتم .....  
 رابعاً: أحداث متفرقة في سنة ثمان .....

<b>غزوة تبوك 9 هـ وهي غزوة العشرة</b>	.....
<b>المبحث الأول: تاريخ الغزوة، وأسماؤها وأسبابها.</b>	.....
أولاً: تاريخها وأسماؤها .....	.....
ثانياً: أسبابها .....	.....
ثالثاً: الإنفاق في هذه الغزوة وحرص المؤمنين على الجهاد .....	.....
رابعاً: موقف المنافقين من غزوة تبوك .....	.....
خامساً: إعلان التفير وتعبئة الجيش .....	.....
<b>المبحث الثاني: أحداث في الطريق والوصول إلى تبوك..</b>	.....
أولاً: قصة أبي ذر الغفارى .....	.....
ثانياً: قصة أبي خيثمة .....	.....
ثالثاً: الوصول إلى تبوك .....	.....
رابعاً: وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجيش عند مروره بحجر ثمود .....	.....
خامساً: وفاة الصحابي عبد الله ذو البحارين ـ .....	.....
سادساً: بعض المعجزات التي حدثت في الغزوة .....	.....
سابعاً: حديث القرآن الكريم عن موقف المنافقين أثناء الغزوة .....	.....
<b>المبحث الثالث: العودة من تبوك إلى المدينة وحديث القرآن الكريم</b>	.....

<b>في المخلفين عن الغزوة وعن مسجد الضرار</b>	.....
أولاً: المخلفون الذين لهم أعذار شرعية وعذرهم الله سبحانه وتعالى .....	.....
ثانياً: المخلفون الذين ليس لهم أعذار شرعية وتاب الله عليهم .....	.....
ثالثاً: المخلفون من منافقي الأعراب الذين يسكنون حول المدينة .....	.....
رابعاً: المخلفون من منافقي المدينة .....	.....
خامساً: مسجد الضرار .....	.....

**المبحث الرابع: قصة الثلاثة الذين خلفووا**

<b>المبحث الخامس: دروس وعبر وفوائد</b>	.....
أولاً: معالم من المنهج القرآني في الحديث عن غزوة تبوك .....	.....
ثانياً: ممارسة الشورى في هذه الغزوة .....	.....
ثالثاً: التدريب العملي العنيف .....	.....
رابعاً: أهم نتائج الغزوة .....	.....

**المبحث السادس: أهم الأحداث ما بين غزوة تبوك وحجة الوداع**

أولاً: وفاة ثقيف وإسلامهم .....	.....
ثانياً: وفاة زعيم المنافقين عبد الله ابن سلول .....	.....

ثالثاً: تخير النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته .....	رابعاً: حج أبي بكر رضي الله عنه الناس ..... خامساً: عام الوفود 9هـ.....
سادساً: بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعليم مبادئ الإسلام ..... وترتيب أمور الإدارة والمال .....	<b>المبحث السابع: حجة الوداع 10هـ</b> ..... أولاً: كيف حج النبي صلى الله عليه وسلم؟ ..... ثانياً: الدروس وال عبر والفوائد .....
<b>المبحث الثامن: مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته</b> ..... أولاً: الآيات والأحاديث التي أشارت إلى وفاته صلى الله عليه وسلم ..... ثانياً: مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ..... ثالثاً: من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيامه الأخيرة ..... رابعاً: أبو بكر يصلى بال المسلمين ..... خامساً: الساعات الأخيرة من حياة المصطفى ..... سادساً: بعض ما قيل من المراثي في وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ..... الخاتمة .....	المصادر والمراجع ..... <b>فهرس الموضوعات</b> .....

\* \* \*